

الدكتور أحمد طربين

الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق

قضية

فلسطين

(١٨٩٧ - ١٩٤٨)

محاضرات في التاريخ السياسي

الجزء الأول

الدكتور أحمد طربين
الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق

قضية

فلسطين

(١٨٩٧ - ١٩٤٨)

محاضرات في التاريخ السياسي

الجزء الأول

الدكتور أحمد طربين

الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق

فلسطين

من الثورة إلى النكبة

(١٩٣٦ - ١٩٤٨)

محاضرات في التاريخ السياسي

للذاري

الذي كل فرد في البي ذاري الشجرة المكنونة
والشجرة المكنونة، ورفد بطول التاريخ
في حطين وحبيل النار، بلهيب نجيعه للذاري

بين يدي المحاضرات

دعاني معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة عام ١٩٦٦ لإلقاء محاضرات عن تاريخ قضية فلسطين منذ الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦) حتى النكبة (١٩٤٨) ، وذلك استكمالاً لكتابي الأول الذي نشره المعهد عام ١٩٥٩ بعنوان « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى (١٩٣٦) » .

وللأسف القصة من منتصفها ، لمن فاته الاطلاع على كتابي الأول ، وقبل أن أصل ما انقطع من حديثه ، حرصت على أن أبدأ كتابي الثاني بمقدمة تلخص بداية القصة وتوضح النهج الصهيوني السياسي وتقصي بداياته ، وتكشف عن خططه العملية التي يبدو أنها ما زالت ثابتة موحدة منذ سبعين عاماً . تتكيف بالأسلوب المرحلي والواقعي ولكنها لا تتبدل ، منذ أن كانت الصهيونية حركة تسعى وراء اعتراف الدول بها ، إلى أن أقرت عصبة الأمم أهدافها ، وحظيت باعتراف الأمم المتحدة بدولتها .

وقد وجهت عناية خاصة لدراسة ما توفّر لدي من مؤلفات زعماء الصهيونية اليهود أنفسهم ، أو المتعاطفين معهم ، ظهرت على شكل يوميات أو سير ذاتية ، أو خطب ومذكرات ، أو بحوث ، وذلك بقصد الابتعاد عن أي تأويل أو تفسير للأساليب الصهيونية الدبلوماسية أو الاستيطانية ، بسمح به الحدس والاجتهاد ، وبقصد وصف الوقائع وربطها وفق حقائقها لا وفق التصوّر والهوى . إن معرفة العدو ، أول شروط الانتصار عليه ؛ ونحن حتى اليوم لا يزال فينا من يجهل حتى المعطيات الأولى للمؤامرة الصهيونية الاستعمارية ، وخطورة جبهتنا تنعكس على مصير معرفتنا ، حين نجد العدو وافقاً على أدق شئوننا ، وإعياً لمواضع القوة والضعف فينا .

ان علة النكبة هي - بلا شك - أننا مازلنا نواجه (اسرائيل) بمنطق السيادةات الاقليمية ، وبواقع التجزئة ، وكلاهما يورث الضعف ويعقب الهزيمة ، لأن الصهيونية تواجهنا موحدة . والنكبة الحقة هي في ضعفنا المشين الذي كشفه اغتصاب فلسطين ، وطرد قومنا العرب ليحل الصهاينة محلهم . في جرحنا الذي ما زالت طراوته ندية في العيون ، بعد أن أصيبت الأمة العربية في كرامتها وفي عزتها . في تمكيننا الصهيونية من كسب معارك (الوضع الراهن) الذي تستميت لتخليده بين الأقطار العربية ، بعجزنا المدهش عن التوصل إلى صيغة مرضية للوحدة .

ولا أصدّق أن أحداً في العالم ، عدواً كان أم صديقاً يخفى عليه اليوم أن العرب يؤلفون في المجتمع الانساني أمة متضامنة في مصير واحد ، برهنوا عليه في معاركهم الأخيرة (تحرير الجزائر - العدوان الثلاثي - النكبة الأخيرة) ، ومع ذلك فقد عجزنا نحن العرب حتى الساعة ، عن إنشاء مؤسسات سياسية واقتصادية وثقافية ، تحوّل التضامن التاريخي العفوي بين الأقطار العربية ، إلى حقيقة فعلية تفرض وجودنا على السياسة الدولية بما يتناسب ومكانتنا البشرية والاقتصادية والاستراتيجية . وينعكس عجزنا هذا على واقعنا اليومي ، إذ سرعان ما نعاود خصوماتنا الداخلية ، ونشمت بنا الأعداء ، إثر توقف العدوان .

ونحن يحقّ لنا أن نختم ، ونتناقش ، ونعارض خطة عربية ما لتحرير فلسطين ، بقصد استبدالها بخطة أجدى منها (مثلاً) ، ولكن ليس من حقنا أن نناقش غرض تحرير فلسطين في حدّ ذاته ، لأن هذا غاية تعلق على الحصومة والنقاش والمعارضة ، ولا يطالها منطق السيادةات الاقليمية من قريب أو بعيد . ومن الجريمة والعار أن نختم حول مسألة كالمسألة الفلسطينية ، تهددنا في وجودنا ، ويتوقف على حلها في المرحلة التاريخية الراهنة ، حسم مشاكل الأمة العربية كلها .

إن الصهيونية ، موضوعياً ، حركة لا تسعى للحلولة بين الشعب العربي وحقه في فلسطين فصّب . وإنما أيضاً تسعى للحلولة بين الأمة العربية ومشرقها . والقوة كالماء ، تسرع الى المنخفضات ، والمنخفض هنا ، كان المشرق العربي الذي جذب الصهيونية إليه .

والصهيونية لم يذهلها تسارع الأحداث العالمية عن اللحاق بها ، بله توقعها والتخطيط لدره مخاطرها ؛ وبذلك لم تقسح المجال أمام الارتهال السياسي ، كما كان شأننا ، لتحقيق مآربها . وسيدش القارىء من تعدد الذرائع التي تتخذها الصهيونية أساساً في تطبيقها للأسلوب المرحلي الذي درجت عليه وأتقت خطواته ، في الانتقال من مرحلة الى أخرى . فمن اختلاق الاسطورة في « الحلق التاريخي » ، الى تحوير معاني الألفاظ والعبارات السياسية الحاسمة . إلى اختلاق اتفاقات لم تعقد أصلاً - والزعم بأنها اتفاقات قائمة وملزمة ، الى الانتقال المستمر بين المطالبة باستعمال النص الحرفي للاتفاقات السابقة كأساس لتفسيرها ، وبين الدعوة الى اعتماد النية التي ادعي أنها تهيمن على ذلك النص - طبقاً للمصلحة الصهيونية الآتية ، وما يصحب كل ذلك من إخفاء القصد النهائي الصهيوني ، لكيلا تخرج الأصدقاء ، وتكتل الأعداء قبل الأوان . وليست هذه الأساليب المتتوية المرحلية في العمل الدبلوماسي الصهيوني أمراً عارضاً تلجأ إليه الصهيونية في حالات الاضطراب ، كما هو مألوف بين الدول في مثل هذه الحالات ، وإنما هو أسلوب دائم تميزت به الصهيونية ، مع القدرة على إسكات أصوات النقد بفضل سيطرتها الفعالة على وسائل الدعاية العالمية وأدواتها .

وقد بلغ من إقناع هذه الأدوات ، أن الصهيونية استطاعت أن تكسب معظم معاركها بواسطة الاعلام التضليلي ، واعتادت على إحداث الضجيج الذي يطغى على الأصوات الصادقة حتى ينفي وجودها ، ويجور أية أزمة يفتعلها كما يشاء ، ثم يستهدف الانسان الغربي بمجملاته المتتابعة المحسوبة بدقة ، ليقه تحت تأثير مخدراته ، فلا يصحومها لئلا يدرك حقائق القضية وأصولها ، حتى صار مفهوم السلام عند ملايين الغربيين مرتبطاً بسلامة اسرائيل وأمنها ، وليس بجهود الانسانية الواعية لإنهاء سيطرة الاستعمار الجديد على العالم الثالث النامي .^(١)

(١) يقول هيرتل في يومياته : « ان الضجيج هو كل شيء . الضجيج في الحقيقة يعني شيئاً كثيراً . والضجيج المدعوم هو بعد ذاته ميثاق جدير بالاعتبار . إن تاريخ العالم لا شيء سوى ضجيج : ضجيج السلاح والأفكار المتقدمة . والرجال يجب أن يضعوا الضجيج موضع الاستعمال .»

Marvin Lowenthal (Trans .) The Diaries of Theodor Herzl
(N · Y . 1956) P · 58

وتغلغل الصهيونية في أوروبا الغربية وأمريكا مع تطور النظم الرأسمالية تطوراً صناعياً احتكاريًا ، مسخ فيه الرأسماليون الكبار الميرون على الأحزاب التقليدية شعارات الديمقراطية والحربة والبرلمانية والاقتصاد الحرّ ، فسلبوا كل محتواها ومعناها الحقيقي . وهنا أتيح للصهيونية أن تعيث في الأرض الفساد دون أن يعيقها أي عائق ، فأهدافها وبواعثها لا تختلف عن أهداف وبواعث الميثرين على مراكز القوة الأوروبية الغربية والأمريكية . ولم ينكشف - جزئياً - هذا الاستعباد الدعاوي الصهيوني مع مخططاته الامبريالية إلا في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ؛ ذلك أنه مهيا قيل في وصف براعة هذا (التكنيك) الدعاوي قبيل العدوان ، فانه لا يقاس مطلقاً بما اقترفه أيام العدوان من مراوغة وكذب وتلفيق ، حين راحت أجبرته تولول وتندب منددة « بعدوان العرب » ، ومحرضة عليهم ، ومضرة نار الشماتة والحقد ضدّهم ، بادم حق (الدولة الصغيرة الضحية) بالبقاء . وقد بلغ من ارتفاع حمى هذه الدعاية المسعورة أن مدت ألسنها الى الحكومات فحاصرتها لتعجز عن التفكير الصحيح ؛ فإذا ما أعدت حكومة منها يباناً يشوبه الاعتدال والتوقب ، راحت الصحف تحوّرّه في قالب مؤيد للصهيونية تماماً . والحكومات لا تجرؤ على تكذيب ذلك ، خشية اتهامها بالاسامية ومعاداة اليهود . واختنق المثقفون الواعون من السياسين والمفكرين لأن أصواتهم ضاعت في ضجيج المغالطات الكاسحة . وما أن انجلى حقيقة العدوان ، وانقشع جو الارهاب والارهاق وتعذيب الضهار الذي فرضته الصهيونية على الرأي العام الغربي ، حتى أصيب كثيرون من الناس بنوع من الذهول المصحوب بتبكيك الضمير ، حين أدركوا أنهم كانوا ضحية انخياز مؤلم لا مبرر له ، ووقفت قلة قليلة من المفكرين ، نزاها لا تقل عن شجاعتها ، بجانب الحق . وهي الآن تتسع ويزداد فهمها للقضية العربية شمولاً وعمقاً . وهي تدعو الى التزام المنطق والموضوعية والايجابية تجاه العرب الذين نجنى الغرب عليهم في غمرة الضجيج الصهيوني المغرض طوال عشرين عاماً ونيّف .

ليست (فلسطين المحتلة) اليوم هي نهاية البرنامج الصهيوني ، وإنما هي محطة على طريقه ، ومرحلة من مراحلّه . وأحسب أننا لولا نكبة حزيران ١٩٦٧ لما صدقنا ذلك . إن

الصهيونية ستنزل في تأهب مستمر للوثوب الى ما هو أبعد مما اغتصبة رقعة "وسكاناً .

ولن يقف في وجه مظامعها إلا العمل العربي الموحد الذي أثبت جدواه وأصلته أيام التحديات والنكبات في عصور التاريخ العربي المختلفة . ترى هل كان الاستعمار يجرؤ على مساندة (اسرائيل) وهو يعلم ان ذلك سيفتح عليه باباً يدمر مصالحه في مشرق الوطن العربي ومغربه ؟ ان التقاء المصالح بين الاستعمار والصهيونية منذ مطلع القرن العشرين ، هو الذي جعل (اسرائيل) تمثل دور كلب الحراسة للمصالح الاستعمارية ، عن طريق مشاغة الشعب العربي واستنفاد قدراته والحيلولة دون أخذه بأسباب التقدم والتضامن ، فلورص الشعب العربي صفوفه وارتفع مع قاداته الى مستوى المسؤولية التاريخية ، وانقلب بقوة وعيه لقضيته وصلابه ايمانه بحقه الى بركان متسع ، فإنه لا يهدد فقط بنفسه هذه المصالح فيلغي دور كلب الحراسة عليها ، وانما يفرض ايضاً وزنه على مجرى الأحداث العالمية . بفضل ثرواته وموقعه وامكاناته . وحينذاك يتحتم على الاستعمار أن يراجع سياساته كي يتلاءم مع ولادة الأمة العربية من جديد . ويتحتم ايضاً سقوط مراكز القوة الصهيونية في أوروبا الغربية وامريكا ، فتتحرر انتخابات الرئاسة الامريكية من مساوماتها ، فلا تستطيع أن تجعل رؤساء الجمهورية يضجون بالصالح القومي العام مقابل المصلحة الانتخابية ، في وقت يجهل فيه الجمهور حقائق القضية الفلسطينية بحيث يستطيع الرئيس الامريكي تجاهل الصالح العام دون التعرض لنقمة الجمهور ونقده . إن الحل بيد العرب وحدهم ، لا أحد معهم ولا أحد سواهم ، لأنهم يستطيعون القضاء على خطط الاستعمار الرامية الى عرقلة جهودهم لاستنقاذ فلسطين . ولكن كفانا أن نجعل من هذه الحطط مشجياً نعلق عليه أوزارنا وقصورنا وعجزنا ؛ فقد آن لنا أن نعلم ان الاستعمار لا ينحني ولا يغير خطه إلا أمام العمل العربي الموحد . إن أحداً غير العرب لا مصلحة له في وحدة عضوية متكاملة للأقطار العربية تضمن لها القوة والمعة والرخاء ، ولنا من احداث التاريخ شواهد على ذلك .

وقد وجدت ان الموضوع يستقيم ويزداد وضوحاً لو قسمته الى قسمين : في القسم الأول (التمهيدي) ندرس ايجازاً نشأة الحركة الصهيونية ونحوها في مؤتمر بال (١٨٩٧)

الى حركة سياسية منظمة ، وما أعقب ذلك من بدء المناورة والمداورة الصهيونية بقصد الاستحواذ على فلسطين منذ مطلع القرن الحالي . ولم يجد الصهاينة ما يسند اغتصابهم سوى دعوى اسطورية تشير الى ما أسموه بالحق التاريخي والعلاقة التوراتية بفلسطين ، وقد اضطر الباحث لتخصيص فصل في القسم التمهيدي من الكتاب لتبديد ضباب هذه الاسطورة التي لا تستحق الرد ، لولا أنها وجدت سبيلاً الى اذهان ذوي النية الحسنة من الغربيين غير المطلعين على أصول القضية وحقيقتها . ثم شرح الباحث ملائسات (الصفحة) التي عقدت بين الاستعمار البريطاني ، وبين الصهيونية والتي تمثلت باعلان تصريح بلفور (١٩١٧) الذي وعد اليهود (بوطن قومي) في فلسطين . وقد صدر الوعد عن بريطانيا قبل ان تحتل فلسطين ، وذلك بمبادرة لا أخلاقية ولا شرعية ليس تجاه عرب فلسطين الذين كانوا يشكلون ٩٣٪ من سكانها فحسب ، وانما ايضاً تجاه الثورة العربية التي كانت تقاوم الترك الى جانب بريطانيا بعد أن وثق العرب بشرف الوعود البريطانية في استقلال بلادهم ووحدها بعد الحرب .

وكان من الطبيعي ان تكرس بريطانيا المنتدبة على فلسطين نفسها لتقوية العنصر اليهودي فيها ، وأن تستمر في حكم البلاد حتى يحين الوقت الذي يصبح فيه اليهود غالبية نكتمهم من اقامة دولة يهودية بحكم الأمر الواقع . وربما ظنت بريطانيا والصهيونية أن العرب سوف يركنون الى الهدوء بعد العاصفة التي أثاروها في بداية العشرينات ضد وعد بلفور وصك الانتداب . ولكن الثورات العربية المتتابعة خيبت ظنون المعتدين . وقد عرض الباحث للفترة مابين الحربين وخاصة فترة الثلاثينات التي استغل الصهاينة في أوائلها الاضطهاد النازي لليهود ، فعملوا على ادخال المزيد من مهاجرين الى فلسطين ، وقد نظر عرب فلسطين بألم مكبوت الى تدفق الهجرة اليهودية القسرية والى حماية الانتداب لها .

وكان لا بد من نشوب الثورة الكبرى (١٩٣٦) لصون حقوق الغالبية العربية وحماية أرضها والدفاع عن كرامتها . ونجحت الثورة التي استمرت ثلاث سنوات في وقف البرنامج الصهيوني الاستعماري لتهود فلسطين ، واضطرت بريطانيا لاصدار كتابها الابيض (١٩٣٩) الذي حدد من الهجرة اليهودية ومن بيع الأراضي ، ونسّف مشروع التقسيم الذي وضعته لجنة

بيل (١٩٣٧) ، ووعد باستقلال فلسطين ؛ واعتبر الصهاينة الكتاب الأبيض ضربة قاصمة لآمالهم ، واتضح لهم أنه لا يمكن السيطرة التامة على بريطانيا التي تحسب حساب العرب في فترة الحرب العالمية الثانية ، ولذا حشدوا قواهم السياسية في الولايات المتحدة ، حيث أمكنهم اكتساب الكونغرس والحكومة الى برنامجهم ، وبالتالي امكنهم استعمال النفوذ الامريكى في الامم المتحدة لاقرار مشروع يدعو الى تقسيم فلسطين (١٩٤٧) ، بمؤازرة شديدة من الاتحاد السوفيتي .

وكانت الحرب محتمة بين العرب والصهاينة في فلسطين لأن كل الدروب كانت تؤدي اليها . وكانت بداية النكبة (١٩٤٨) .

وبعد فما أتفه هذه المداد المكتوب ، في جنب الدم الزكي المهرق على أديم فلسطين الطاهر ، من الشهداء الفدائيين الأبرار ، الذين ينحني العرب في أيامهم الكبرى أمام ذكراهم حافظاً من حوافز الوحدة ورمزاً من رموز الخلاص . ولعلنا نؤمن ، بعد ، أن الحق الذي لا تدعمه القوة ، هو حق ضعيف ، فنعدّ أنفسنا ليوم الفصل المرتقب .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر لإدارة معهد البحوث والدراسات العربية إذ دعنتني لإخراج هذا البحث ، كما أتوجه بالعرفان الى المدير الدؤوب لمركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، وإلى القائمين على مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، للتسهيلات الممنوحة إلى الباحثين في الاطلاع على محتويات المكتبة الغنية في كل منها ، والتي بدونها لا يتكامل (علم النكبة) ، والله من وراء القصد .

د . أحمد طربين

دهشق

القسم الاول (تمهيد)

الفصل الأول

فلسطين العربية بين الحقيقة والاسطورة

ليس بدّ للباحث من الاحاطة بشيء من تاريخ فلسطين القديم ، كما يبسدد ضباب الأسطورة الصهيونية التي تسعى عبثاً لإطفاء شمس عروبة فلسطين الساطعة والتشكيك بحق العرب الصريح فيها .

فلسطين بلد صغير لا يمكن أن يكون وحدة جغرافية ، وقد سكنه أمم متعددة ، وكان مصيره يرتبط بمصير أمه سورية ، بحيث أن المؤرخين اليونانيين سمّوه (فلسطيناسورية) ، أي فلسطين سورية . ويروي لنا التاريخ أن فلسطين ما انفكت عن سورية منذ فجر التاريخ العتيق ، وظلت مرتبطة بها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وهي جغرافياً مقاطعة جنوبية من سورية ، ولكن التجزئة التي نُكِب بها الشرق العربي في الهلال الحُصيب اقتطعت فلسطين من أمها سورية ، ونحمت منها كياناً سياسياً مستقلاً عما يجاوره من بلدان تشترك في الأرض والمصاحبة السياسية والروائح الفكرية والاقتصادية والاجتماعية .

وكان المؤرخون العرب يطلقون على سورية اسم بلاد الشام ، وهي المنطقة التي تلي نهر النيل شرقاً ؛ بل ان هيرودوت يعتبر فلسطين جزءاً من بلاد الشام قبل أن يدور أي جدل حول فلسطين من جانب العرب أو من جانب اليهود الصهاينة . هذا إلى أن مؤرخي الحروب الصليبية على تباين طبقاتهم كانوا يؤرخون للبلاد المقدسة على أنها جزء من الشام . وبما يذكر عن أصل تسمية البلاد بفلسطين أن بعض القبائل من شعوب بحر إيجه قدمت إلى ساحل الشام الجنوبي ، ومنذئذ سمي السهل الساحلي الذي وقع بيد تلك القبائل باسم

(فلسطين) كإسم القبيلة الأولى ، ثم سمي الكل باسم الجزء ، وأصبح فلسطين . ونعلم أن هذه المنطقة من ديار الشام كان يسكنها الكنعانيون ، وهم من أهم الشعوب التي تركت آثارها وأوابدها على أرض فلسطين التي صارت تعرف باسم (أرض كنعان) . ولقد كان الكنعانيون يؤلفون الموجة السامية الثانية التي هاجرت من موطنها القديم في الجزيرة العربية حوالي ٢٥٠٠ ق . م . ، وقد امتد سلطانهم حتى مدينة حماء ، وظلت لهم السيادة نحو ١٥٠٠ عام تقريباً ، وكان لهم حظ وافر من العمران والحضارة . وكانت موجات سامية أخرى قد سبقت الكنعانيين إلى مناطق مختلفة من بلاد الشام ومن جملتها فلسطين ، ونخص منها بالذكر العموريين الذين استقروا تدريجياً في مناطق على الفرات وعلى العاصي وعلى طول الساحل السوري وفي الجنوب أي في فلسطين . وحين جاءت الموجة الكنعانية تصالبت وتمازجت مع الجماعات العمورية المختلفة تمازجاً تاماً وبدأت تطبع البلاد بطابعها . وكتاب العهد القديم (التوراة) وهو الذي يحتوي على سيرة بني اسرائيل وتاريخهم وقضاتهم وملوكهم يعترف بأن فلسطين موطن الكنعانيين ، وأنها تعرف ببلاد كنعان^(١) . والكنعانيون من أصل عربي . يذكر الطبري أنهم من العرب البائدة ، وكذلك يذكر ابن خلدون . وهناك لفيف من مؤرخي الفرنجة يؤكدون هذا الرأي من أمثال (برستد - Breasted) الذي قال أن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ عام ٢٥٠٠ ق . م .

والكنعانيون ضربوا بسهم وافر من المدينة ، وقد اشتهروا ببناء المدن المحصنة وباستعمال العجلات الحربية وبالصناعات الحديدية ، كما عرفوا بازدهار تجارتهم وانتعاش زراعتهم . والنقوش المصرية في معبد الكرنك تذكر أسماء ١١٩ مدينة فلسطينية ، في حين لا يوجد

(١) من ذلك مثلاً ما وردني سفر القضاة عن القتال الذي دار بين حكام فلسطين وبني اسرائيل: «فجاءت الملوك وقالت ، ثم قالت ملوك كنعان في تعناك عند مياه مجدو وما أخذوا كسباً من الفضة . (القضاة ٥ : ١٩) . تقع مجدو على السفح الشمالي لجبل الكرمل (حيفا) وتسمى تل المنسل . وفي سفر التكوين: «وكان أبناء نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافت ، وحام هو أبو كنعان» (١٨ : ٩) . ولكن جميع العلماء متفقون اليوم على أن الكنعانيين هم ساميون لا حامييين . وفي سفر التكوين أيضاً : « فأقام ابرام بأرض كنعان » ١٣ : ١٢ الخ ...

في فلسطين حالياً أكثر من ثلاثين مدينة . وقد وُصفت فلسطين الكنعانية ومدنها في التاريخ القديم بأنها بلاد الخيرات تدرّ لناً وعلاً ، وذلك من قبل أن تشهد الغزوة العبرانية عام ١٢٠٠ ق.م. بدليل أن التوراة في معرض بيانها لفضل الله على بني اسرائيل أشارت في عدة مواضع الى هذا المعنى ؛ فقد ورد في سفر يوشع (٢٤ : ١٣) : « وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومدناً لم تنبهاها فكنتم فيها ، ومن الكروم والزيتون التي ماغرستم تأكلون . وفي سفر تثية الاستراع مايفيد ذلك أيضاً (٦ : ١٠ - ١١) « ليعطيك مدناً عظيمة طيبة لم تنبها ويوتاً ملائمة من الخيرات لم تملأها وآباراً محفورة لم تحفرها وكروماً وزيتوناً لم تغرسها . »

يتضح مما تقدم أن أول من استوطن هذا البلد المقدس هم العرب بشهادة التوراة ، ومن هنا تنهاوى حجة الصاينة في ما يزعمون أنه حقهم التاريخي في فلسطين . إن عروبة فلسطين أقدم قومية عرفها التاريخ إذ استمرت طوال ٤٥٠٠ عام دون انقطاع .

وتعرضت أرض كنعان بعد ١٥٠٠ عام من الحكم الكنعاني المستقر لغزوة قبائل من شعوب بحر ايجة ، وبعد ذلك بفترة قامت قبيلة سامية بغزو فلسطين ، واصبح افرادها يعرفون بالعبرانيين . وربما سموا كذلك لعبورهم نهر الأردن من جهة الشرق ، وُسموا بعد ذلك بالاسرائيليين نظراً لدعواهم انهم من ذرية يعقوب المعروف باسرائيل ، ويعقوب حفيد ابراهيم من ولده اسحاق . وتروي التوراة انهم قدموا الى فلسطين من مصر التي مكثوا فيها ردهاً من الزمان ثم غادروها بعد أن ضاقت السبل عليهم ، وخرجوا بقيادة النبي موسى عليه السلام . ومجدثنا الخبر المتواتر أن أصل العبرانيين قبيلة كانت تقطن (أور) جنوبي العراق ، ومنهم ابراهيم عليه السلام ، الذي هاجر مع أهله وعشيرته متجنباً لهم نحو شمالي سورية ، ثم جنوبها، حيث استقرت الجماعة في (حبرون - الخليل) ، وهناك أخذوا يرعوث ماشيتهم في الوادي القريب من المدينة . وتذكر التوراة ان ابراهيم اشترى في حبرون قطعة أرض لتكون منزلاً له ، وأن أحد ابناؤه قد اشترى مثلها في جوار نابلس لتكون مدفناً له ، وهذا يدل على أن العبرانيين وجدتهم ما كانوا يملكون اية قطعة ارض في فلسطين . وكان العبرانيون ، بعد دخولهم الى فلسطين حوالي ١٢٠٠ ق.م يعيشون عيشة

البدواة ، محصورين بين أعدائهم المناوئين لهم من الكنعانيين والفلسطينيين . وبعد قرابة القرن تمكنوا من غزو معظم المرتفعات في فلسطين ومارسوا في خلال ذلك ضروباً من القسوة والوحشية والابادة^(١) التي يندر نظيرها بين الغزاة الأولين . وحتى أنعام الأعداء وماشيهم لم تكن في نجوة من بطشهم وانتقامهم إذ هي من رجس الكفار الوثنيين . ولكن الغزوة العبرانية لم يكن بمقدورها ان تطرد الشعب الأصلي لفلسطين أو تبديه ؛ فالتوراة تحدثنا أن اهالي البلاد لم يجاؤا عن فلسطين ، بل تابعوا حياتهم القومية في مدنهم وقراهم ومزارعهم . والأمر في مجموعه لم يتعد قيام حكم أجنبي لم يكن بمستطاعه أن يستأثر بالوطن كله . ولذا فقد حتمت علاقات الجوار التي سادت بين العبرانيين الغزاة الذين مازالوا يعيشون حياة البدواة ، وبين الكنعانيين والفلسطينيين سكان البلاد الذين كانوا قد قطعوا شوطاً عظيماً في الحضارة والعمارة ، نوعاً من التعايش إذ اضطر العبرانيون للسكنى مع اهل البلاد . ولا أدل على ذلك مما أورده التوراة في هذا الصدد : سفر القضاة ١ : ٢١ « ولم يطرد بنو بنيامين اليبوسيين الذين كانوا يسكنون اورشليم وإثما سكن اليبوسيون في اورشليم مع بني بنيامين الى هذا اليوم . . . » وورد في السفر نفسه ١ : ٢٧ - ٣٥ ما يلي :

« ولا منسا طرد أهل بيت شان وأمصارها ولا تعناك وأمصارها ولا سكات دور وأمصارها ولا سكان ابلعام وأمصارها ولا سكان مجدو وأمصارها وإثما رام الكنعانيون أن يسكنوا في تلك الارض ، وكان عندما تقوى اسرائيل أن وضعوا الجزية على الكنعانيين ولم يطردوهم بالكلية ، ولا افرايم طرد الكنعانيين الساكنين في جزر وإثما سكن الكنعانيون في جزر بينهم ، ولا زابلون طرد سكان قطرون ولا سكان نهلول وإثما سكن الكنعانيون بينهم وصاروا مودعي الجزية ، ولا أشير طرد سكان عكو ولا سكان صيدون ولا أحلاب ولا أكزيب ولا حلبة ولا افيق ولا رحوب ، وإثما سكن الأشيريون بين الكنعانيين سكان الارض إذ لم يطردوهم ، ولا نفتالي طرد سكان بيت شمس ولا سكات بيت عناة بل سكن بين الكنعانيين سكان الارض إلا أن سكان بيت شمس وبيت عناة

Sakran, Frank « Palestine Dilemma » Arab Rights

(١)

Versus Zionist Aspirations » Washington ,1918,P.32

صاروا لهم موادي الجزية ... » . فبدخول العبرانيين أرض كنعان بدأوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الحضرة . ولدى اتصالهم بالكنعانيين شعروا بالحاجة الى تطوير نمط حياتهم والأخذ منهم بأسباب الحياة الحضرية الجديدة عن طريق النشوء عليها والتمرس بها . وقام الكنعانيون بدور المعلم المدرب للعبرانيين ، ونشأت بحكم الظروف صلات من الجوار قام على أساسها الاقتباس الحضاري . وكانت النتيجة أن أخذ العبرانيون عن الكنعانيين كثيراً من المقومات الحضارية ، حتى أن اللغة التي سادت بين العبرانيين فيما بعد كانت اللغة الكنعانية بعد أن اندثرت اللغة العبرانية القديمة . فالكنعانيون هم الذين مدّوا المنطقة ، وهم الذين أعطوا مدينة القدس اسمها القديم (أورشليم) . إن اسم (اورشليم - مدينة السلام) قد أطلق على القدس قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين ، وكل ما فعله الملك داود هو انه أطلق على المدينة اسم (يروشليم) أي مع قليل من التحريف . ولما حلّ العبرانيون في بعض أجزاء من فلسطين وسورية والاردن ، أطلقوا عليها اسم (ارض اسرائيل) . ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن الكنعانيين هم الذين أدخلوا دولاب الحراف وصناعة الحرف والآجر المشوي الى المنطقة ، وقد هجر العبرانيون بعد وصولهم الى فلسطين سكنى الحيام ، وسكنوا المغاور والكهوف وتحصنوا بها ، إذ لم يكن لهم في البدء مدن محصنة لصد هجمات المغيرين عليهم . وفي سفر القضاة (٦ : ٢) ما يفيد ذلك المعنى : « قويت يد مدن على اسرائيل ومن أجل المدينين عمل لهم بنو اسرائيل المغاير التي في الجبال والكهوف ونقوباً منيعة .. » ومعلوم أن المدينين كانوا من الاقوام السامية العربية التي اقامت بالقرب من خليج العقبة في ما يعرف ببلاد مدين . ومن هذه الاقوام أيضاً العمونيون الذين سكنوا بلاد عمون في القسم الشمالي من شرق الاردن ، والمؤابيون في جنوب شرق البحر الميت (منطقة مؤاب) والأدوميون في منطقة النقب (منطقة أدوم) . ولم يكن الوافق سائداً بين العبرانيين ، وما زال الشقاق يمزق صفوفهم حتى اضطرهم عداوة الفلسطينيين (الذين حرّموا عليهم حيازة الاسلحة الحديدية ، ومنعواهم من أعمال

فلسطين ٢ (١٩٦٨)

الحدادة)^(١) أن يقلدوا الأقوام التي سبقتهم في ميادين التقدم، ويؤسروا مملكة كان أشهر من تولى حكمها داود (١٠١٠ - ٩٧٠ ق . م) ثم سليمان (٩٧٠ - ٩٣٠ ق . م .) الذي استطاع أن يوسع رقعة حكمه ، ولكن موته آذن بانتهار نفوذ العبرانيين ، وسرعان ما عاد النزاع حاداً بينهم ، ولم تلبث مملكتهم أن انقسمت الى قسمين : مملكة اسرائيل في الشمال وقامت حول مدينة السامرة شمال نابلس ، ومملكة يهوذا في الجنوب وقامت حول مدينة اورشليم . وجدير بالذكر أن نفوذ هاتين الدولتين لم يشمل كل فلسطين ، وإنما اقتصر على ما حول هاتين المدينتين ، وما جاورهما من القرى . والتوراة طافحة بأخبار نزاع الدولتين واستعداء إحداهما الدول المجاورة على سقيقتها ، وأخبار نزاع إحدى الدولتين أو كليهما ضد الكنعانيين تارة وضد الفلسطينيين تارة أخرى . وبعد أن ظلت فلسطين مسرحاً للحروب والفتوح عليها ، تعرضت لغزو دام حتى الفتح العربي ، وتعاقب عليها البابليون والآشوريون والاعريق والرومان . وقضى الآشوريون بقيادة (سلمنصر) على مملكة اسرائيل (٧٢١ - ٧١٠ ق . م) وأدجوها في امبراطوريتهم ، وفي الوقت نفسه اعترفت (يهوذا) بالسيادة الآشورية . وفي عام ٥٨٠ ق . م قضى نبوخذ نصر زعيم الامبراطورية البابلية الثانية على (يهوذا) واستولى على اورشليم وهدمها وخرّب الهيكل وسبى معظم أهلها إلى بابل ، ولم يبق في المدينة سوى عدد ضئيل من اليهود ، في حين أخذت العناصر العربية المجاورة تتوافد بأعداد كبيرة على البلاد . وحين هزم الملك كورش الفارسي خصمه (نابونيد) آخر ملوك بابل الثانية في عام ٥٣٨ ق . م ، فكر بغزو مصر ، ورأى أن يعيد اليهود من أسر بابل ليجعل منهم مرشدين وأدلاء ييسرون له سبل احتلالها فأعاد من رغب في العودة من (اليهود) وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل ، ويقدر عدد العائدين بأربعين ألفاً ، بينما اختار القسم الأعظم من اليهود البقاء في بابل حيث مكثوا لأنفسهم

وازدهرت أعمالهم واستقرت أحوالهم فيها ، وحيث اعتادوا أن يقيموا طقوسهم الدينية بعيداً عن هيكل اورشليم في الكنيس اليهودي الذي أقاموه هناك لهذه الغاية . ويبدو أن الذين عادوا من يهود السبي بعد ٧٠ عاماً الى اورشليم كما تقول التوراة^(١) هم الذين حملوا معهم فكرة التضامن اليهودي وأسطورة الشعب المختار ، وتعلقت آمالهم اثناء الأسر بعودة المملكة على يد بطل من أبطال الغيب . ولم يكن هذا البطل مقصوداً عندهم على ذرية داود ، بل زعموا مرة أنه هو (كورش) الفارسي الذي سمي بالمسيح في الاصحاح الخامس والأربعين (الآبة ١) من سفر اشعيا النبي : « هكذا يقول الرب لكورش مسيحه الذي امسكت يمينه لأخضع الأمم بين يديه » . ولبثوا يتخيلون المسيح الموعود ملكاً صاحب عرش وتاج يفتح (اورشليم) بالسيف ويبعد فيها الدولة التي دالت ، وتطلعوا إلى أكثر من الحكم الذاتي الذي حصلوا عليه في ظل الحكم الفارسي وما أعقبه من الحكم اليوناني والسلافي والروماني . ولهذا الغرض حظرت الكاهن (عزرا) وبعده (نحميا) على اليهود الزواج من غير بني دينهم من البابليين والوثنيين ، وأصبح المعبد عند أمثال هذين الكاهنين مركزاً للحياة الدينية ومونلاً للعصبة الطائفية معاً .^(٢)

دام الحكم الفارسي لبلاد الشام وفيها فلسطين حوالي القرنين ، ثم أطاح به الاسكندر المقدوني . ولكن الحكم الأجنبي جعل الديانة اليهودية تتعرض لتطورات شتى ، فتغير الكثير من تقاليدها وطرقها . وكان للمدينة اليونانية تأثير عميق على اليهودية أيضاً ؛ فقد فضل الجليل اليهودي الجديد أساليب الحياة اليونانية المتحررة على القيود الدينية المتزمته ، واستمتع بالأدب والفن اليونانيين ، كما أعجب باللباس اليوناني وألوانه الزاهية . بل ان بعض اليهود تأثروا بالآلهة اليونانية ، وتولوا تقريب وجهات النظر بين بني دينهم (أبناء

(١) ibid , P . 15 ويقون المؤرخون ان كورش أصبح ملك فارس عام ٥٣٩ ق.م

وأن الأسر البابلي دام ٤٨ عاماً فقط .

(٢) Lilienthal, A.M. « What Price Israel » Chicago 1953, P. 3

يهوه) وبين اليونانيين (الوثنيين) . ولكن هذا الفريق المنحرف تعرض لحمولات عنيفة من المحافظين الذين اتخذوا من التوراة ثم من التلمود^(١) مصادر لتفكيرهم ، بعكس المنحرفين الذين رفضوا التلمود وراحوا يفسرون التوراة تفسيرات شتى تسير التطور . ومع هذا الخلاف راح الفريقان يتبادلان التهم ؛ المحافظ يتهم المنحرف المتأثر بعادات اليونان وثقافتهم بالحيانة والمروق ، والمنحرف يتهم المحافظ المنفرد بالرجعية والجرد والتعصب . وبين هؤلاء وأولئك وقفت غالبية اليهود على الحياد ، وتركت لرؤساء الدين أمر معالجة هذه النواحي الدينية الشائكة والفصل فيها . ولم يلبث هذا التيار الانغلاقي المتزمت المحافظ أن فرض نفسه على تطور الأحداث التالية ، التي بدأت حين قرر الملك السلوقي انطيوخوس أن يدعم وحدة مملكته الداخلية بمحاولة دمج اليهود في الحياة العامة ، والقضاء على تفردهم وتباعدهم عن مجتمعهم الذي يعيشون بين ظهرانيه . وأصدر لهذه الغاية مرسوماً بإلغاء اليهودية كدين ، ومنع إجراء طقوسها ، واستولى على الهيكل في اورشليم . ووضع على مذبحه تمثالاً للاله اليوناني (زفس) ، وأمر اليهود بعبادة الآلهة الوطنية . ولكن هذه التدابير العنيفة أثارت حفيظة اليهود فقام بينهم كاهن اسمه (ماتاثياس Mattathias) وأنشبت الثورة ضد السلوقيين ، ولما مات استمرت الثورة بقيادة ابنه يهودا الذي أصبح يعرف بالمكابي ، وكلمة (مكابا) مشتقة من العبرية الكنعانية بمعنى محباً - لأن زعماء الثورة اختبأوا أولاً في المغاور والكهوف ريثما يعدون العدة للثورة^(٢) . واستطاع المكابيون الاستيلاء على القدس ، في حين كان انطيوخوس مشغولاً مجرّبه مع الفرس ، فلم يكتوث بثورة اليهود وأرجأ أمرها حتى يفرغ من إخضاع الفرس ، ولكن الموت عاجله . وبدأ القادة الاغريق يتقاتلون تنازعاً على الحكم ، وعلى اثر سلسلة الحروب ضد السلوقيين ، برزت طبقة حاكمة بين اليهود تتألف من القادة المحاربين ، وعلن يوحنا ابن هيركانوس Hyrcanus نفسه ملكاً بعد يهودا المكابي ، وكان النزاع يشجر بين الأسر الكبيرة في كل مرة ينصب فيها ملك . وسرعان ما تحققت هذه الأسر من

(١) التلمود : مجموعة التعاليم اليهودية التي تشرح شريعة موسى ، وقام بوضعها رؤساء الدين اليهودي .

(٢) Gesinius, William « A Hebrew & English Lexicon of the Old Testament, • Oxford 1962, PP. 285,561

عقم مقاومة قوة الرومان الفاهرة ، وقد بدأ نجحهم يتألق في المشرق . وبعد سقوط سورية وفلسطين في يدالقائد الروماني (بومبي) عام ٦٣ ق.م ، تابقت الأسر على خطب وّد الأسياد الجدد ، والتزلف اليهم^(١) . وبعد كثير من الدسائس والحصومات بين الزعماء اليهود نجح ااحدم واسمه (هيرود الأكبر - Herod) بمونة الرومان في جعل نفسه سيداً على البلاد ، واعترف به الرومان ملكاً على اليهود تحت حمايتهم . ولكن هيرود نفسه كان نصف يهودي لأن أمه كانت أدمية من قبيلة عربية تعيش جنوبي البحر الميت ، ولذا لم يكن على وفاق مع المتعصين اليهود . على أن (هيرود) وطد مركزه باظهار الاحترام للدين اليهودي وتقاليده ، دون أن يوغز عليه صدور الرومان . وبعد موته تنافس أولاده على الحكم ، وغرقت البلاد بالفوضى . وحين ولد السيد المسيح في بيت لحم كان (هيرود انتيباس) ابن هيرود الأكبر يحكم في القدس ، وحين سعى به اليهود لصلبه بعد ثلاثة وثلاثين عاماً ، كانت المملكة الهيرودية قد انتهت وحكم البلاد حاكم روماني اسمه (بونتيسوس بيلاطس Pilate) . وكان اليهود يرتقبون المسيح الذي تنبأ بقدمه أنبياءهم ، ولذا التفوا حوله حين سمعوا به ، وتنصر فريق منهم ؛ ولكن الكهنة الذين وجدوا فيه خطراً يهدد مخططاتهم السياسية وامتيازاتهم مكروا به ، وأعلنوا أنه دجال وطالبوا بدمه ، وكانوا مشغولين عن دعواته باستعادة ملكتهم في هضاب فلسطين .

ولكن السيد المسيح أعرض عن مكر الكهنة الصدوقين الارستوقراطيين الذين كانوا يتشبثون بجرفية التعاليم التورانية ، وسفّه أحلامهم التواقة للسلطان الزمني ، قائلاً للشعب : « أعط مالقيصر لقيصر ومائه لله وان بملكتي ليست من هذا العالم » . فضلاً عن أن السيد المسيح نف عقيدتهم القائمة على التفوق العنصري والانغلاق المذهبي ، وكان من الطبيعي أن لا يستصوب الكهنة ذلك ، فينتهروا السيد المسيح كما انتهروا أنبياءهم من قبل ،

Marlowe, John « Rebellion in Palestine » London ,1946,P . 14 (١)

وساروا وراء عدد من ادعاء النبوة الذين يدعي كل منهم انه المسيح المخلص، وهم في حقيقتهم محترفوا سياسة يتسترون بستار الدين، وكنيجة حتمية لظهور هؤلاء الأدياء، قامت عدة ثورات ضد روما، قادها المتطرفون اليهود. وفي عام ٦٦ م نجح اليهود في الاستيلاء على اورشليم، فعاقبهم الامبراطور الروماني تيتوس Titus بقساوة، وأحرق اورشليم ودمر الهيكل عام ٧٠ م، وأرسل الألوف من أسرى اليهود الى روما، وبذلك يمضي (التشتت) اليهودي الذي بدأ بالسبي البابلي، نحو نهاياته. وظن الرومان أن تدابيرهم القمعية سوف تفضي إلى اندماج اليهود كما اندجت القبائل الاسرائيلية العشرة في آشور من قبل، ولكن اقتناع اليهود بصحة عبادتهم للاله الواحد من ناحية، واعتقادهم بأنهم شعب الاله المختار، من جهة اخرى، جعلهم ينكمشون على أنفسهم لأن الرب « يخضع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا ويختار لنا ميراثاً شرف يعقوب الذي احبه »، (سفر المزامير ٤٧ : ٣). وهكذا اصطدم الرومان باليهود الذين حاربهم بقيادة (باركوكبا - Barkokba) عام ١٣٢ م يسانده الحاخام (أكيبا - Akiba) وحاولوا جمع بني دينهم تحت رايته، ودامت ثورته ثلاث سنوات. ولكن القائد الروماني (تينوس روفوس - Timnius Rufus) أخمد الثورة وهدم اورشليم عام ١٣٥ م، وبنى معبد جوبيتر^(١) مكان هيكلها المنهدم. وغادر البلاد من بقي فيها من اليهود متجهين في كل اتجاه الى الشمال في آسيا الصغرى واروبا والى الجنوب حيث استقروا في مصر وعلى طريق الحجاز وفي يثرب، وتسرب بعضهم الى اليمن، وتكامل بذلك تشتت اليهود، ولم يعد يسمع لهم أي ذكر، وبحي لهم كل أثر في فلسطين.

وجدير بالملاحظة أن الحياة العربية لم تحتجب عن فلسطين خلال غزوة اليونان وغزوة الرومان، برغم مئات السنين التي تعاقبت عليها. وظل الشعب العربي مستوطناً لبلاده، يشهد الغزوات والفتوح، ويتفاعل مع ما تحمله من التقاليد والحضارات، دون أن يفقد شيئاً من مقومات وجوده وخصائص حياته.

(١) Sakran, op . cit . , P. 51

وبعد معركة اليرموك الفاصلة ، خرجت فلسطين من يد الروم البيزنطيين - خلفاء الرومان - إلى يد العرب المسلمين ، وأعطى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب أهل القدس (إيليا) عهداً يعتبر أقدم ميثاق دولي رفيع يدعو لاحترام الشعائر الدينية وصون المقامات المباركة . وقد استجاب عمر لرغبة أهالي القدس في أن لا يساكنهم اليهود فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود . . . وهذا دليل على أن القدس لم تكن يهودية وكذا فلسطين ، وما كان اليهود فيها على أكثر تقدير سوى طائفة أو جالية ضئيلة العدد ، أمّت البلاد للحج ثم بقيت فيها بقصد ديني بحت .

وأخذت القبائل العربية تتوافد الى فلسطين وتسكنها حتى طبعها بالطابع العربي الخالص ودخل أهلها في الاسلام . وفي عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، بني مسجد الصخرة (٦٩١ م) ، ويزعم اليهود أنه قائم على انقاض هيكل سليمان ، ومن تقاليدهم البكاء عند الحائط الغربي للمسجد ، حزناً على خراب الهيكل ، وابتهالاً بأن يعيد الله بناءه ويرجع (اسرائيل) الى سالف أيامها .

ثم تأتي حملات الفرنجة الصليبية ، متسترة بستار الدين (١٠٩٦ - ١٢٩١ م) فتستطيع بعد جهود مضيئة أن تقيم دولة لاتينية في القدس ، دامت أكثر مما دامت دولة اليود عهد داود وسليمان . والحق أن أوجه الشبه بين هاتين الدولتين كثيرة من حيث ضعف الدول المسيطرة على المشرق العربي ، وانحلالها وتدهور مقدراتها وقت الغزو الأجنبي . فالتاريخ يحدّثنا أن الدولتين العظيمتين في العراق وفي مصر اللتين كانتا تتناوبان السيطرة على ديار الشام ومنها فلسطين ، كانتا في حالة ظاعرة من الضعف والانحلال حين وقعت الغزوة العبرية على فلسطين (١٢٠٠ ق . م) . هذا هو الجو السياسي الذي أتاح للغزوة اليهودية أن تحكم في فلسطين . وهذا الجو السياسي نفسه هو الذي أتاح للغزوات الصليبية أن توطد أقدامها على طول الساحل السوري وفي فلسطين ، مستغلة مشاعر التنافر والعداء التي كانت

تسيطر على علاقات الحكام العرب آنذاك ، واستعداء بعض هؤلاء الحكام للافرنج على إخوتهم في العروبة والاسلام . ويوجد لهذه الظاهرة أكثر من وجه شبه بالغزوة الصهيونية الأخيرة في اقرن العشرين ، وظروف الانقسام العربي آنذاك . شهد صلاح الدين الأيوبي تناحر الحكام وتباعد الأمراء ، فوجه اليهم : « كونوا يـبدأ واحداً وأعضاء متساندة ، وقلوباً يجمعها ود ، وسيوفاً يجمعها غمد ، فالعداوة محدقة بكم ، والكفر يجمع على الايمان . . . » . واجتمعت الكلمة على صلاح الدين فانقلب الفشل الى فوز ، والفرقة الى وحدة ، والانقسام الى اتفاق ، واختفت سحب الغم من الوجوه ، وتلاشت سطور الكآبة من الجباه ، وشخصت الأبصار إلى حطين حيث كتب النصر على الفرنجة ، واستولى العرب على القدس بعد أن سالت أنهار من دمايهم في سبيلها . ولم تلبث القبائل العربية أن سكنت المناطق الشاغرة التي أقطعها إياها صلاح الدين . وكان للظاهر (بيبرس) وخليفته (قطز) الفضل في طرد الفرنجة نهائياً من البلاد ، وفي إسدال الستار على تلك الحروب الشعواء بين الشرق والغرب . وبعد هزيمة المماليك في مرج دابق (١٥١٦) وقعت سورية وبضمنها فلسطين في قبضة العثمانيين ، وظلت تحت سلطانهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وكانت فلسطين متوزعة على ثلاث متصرفيات أو صناجق ؛ اثنتان منها هما نابلس وعكا وتضامن شمال فلسطين وتبعاان ولاية بيروت في ديار الشام ، والثالثة هي متصرفية القدس الشريف وتضم جنوبي فلسطين ، وكانت تابعة للأستانة مباشرة نظراً لما لها من القداسة الدينية .

ونخلص من هذه اللوحة التاريخية إلى القول بأن العرب سكنوا فلسطين قبل الفتح الاسلامي وبعده ، وان اربعة عشر قرناً من الحكم العربي كانت كافية لتوطيد عروبتهـا توطيداً تتلاشى أمامه جميع المزايم الصهيونية الاسطورية ؛ فادعاء اليهود (بالحق التاريخي) و(العلاقة التاريخية) في ملكية فلسطين وشرعية العودة اليها ، لا يقوم على أساس صحيح ، ولم يتخذ الصهاينة كحجة لهم إلا أنهم لا يملكون أدنى حجة قانونية تدعم عدوانهم على فلسطين العربية . ولقد مرّ بنا أن هذه (العلاقة التاريخية) للعبرانيين أو الاسرائيليين مع فلسطين ، كانت في أحسن أحوالها ، قصيرة متقطعة ، غير مستقرة ، بادت واندثرت منذ وقت

طويل ، وهي في الأصل لا تقوم على شيء أفضل من حق الاحتلال الناجم عن الغزو ، لا على الولادة فيها والتملك لها ، كما هو الحال مع عرب فلسطين . ومعلوم أن الحق الوحيد الذي يعطي لأي شعب الحق في بلده إنما يشتق من واقع التملك المستمر الطويل لا من غيره . وقد جرى الأخذ بهذا المبدأ على الصعيد العالمي ، ولقي قبولاً عاماً من جميع الشعوب ، واعترف به كأساس لوحدة جميع الأمم وتماجية أراضيها وأمن وطنها ، ولا يمكن أن يستتب النظام العالمي العادل وتتوطد دعائم السلام المنشود على أي أساس آخر . فإذا أمكن تطبيق هذا المبدأ على بلد جديد كأمریکا لا يتجاوز تاريخه الأربعة والعشرون عاماً ، فكيف يبلغ حق عرب فلسطين في بلدهم الذي يضر بحقوقهم فيه بالقدم حتى فجر التاريخ المعروف ؟ ! إن عرب فلسطين لا يتحدرون فقط من الموجة العربية الإسلامية التي عمت البلاد منذ أربعة عشر قرناً ، وإنما ينتمون أيضاً إلى سكان فلسطين القدامى من الكنعانيين والفلسطينيين ، الذين كانوا في البلاد حين طرأت عليها الغزوة العبرانية الإسرائيلية ، وعاشوا فترة الاحتلال الإسرائيلي ، واحتفظوا بملكية بلدهم واستمروا في حياتهم المعتادة خلال هذه الفترة ، وظلوا يتابعون حياتهم التاريخية الحافلة بكل أنواع نشاطهم ، بعد (التشرذم) العبراني ، ليختلطوا بالموجة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي ، وليكتسبوا الصبغة العربية حتى الغزوة الصهيونية الاستعمارية الجديدة عام ١٩٤٨ . وإذا كان هذا (الاحتلال الموقت) يمكن أن يعطي الصهاينة (حقاً تاريخياً) في العودة الى فلسطين ، فيحينئذ يحق للعرب أن يطالبوا بالاندلس التي ملكوها طوال ثمانية قرون زاهرة ومتواصلة ، ولترك بامتلاك البلقان حتى أبواب فينا ، ولحق للإيطاليين أن يطالبوا بالجزر البريطانية . وللهنود الحمر بطرد الأمريكيين والكنديين والأمريكيين اللاتين الخ . . . ولو قبض لأمم العالم أن تأخذ بهذا الحكم الصهيوني الغريب الذي لا يقبله منطق سليم ، لسادت بلدانها الفوضى ، ولعم الاضطراب أرجاءها ولا تقلبت موازينها ، ولتهاوت مقدراتها . فضلاً عن أنه لا يجوز أن يستولي اليهود الصهاينة - حتى ولو بلغ عددهم خمسة عشر مليوناً - على بلاد يقدسها ويحج حرماتها نحو ألف مليون من المسلمين والمسيحيين على السواء . ولكن مع كل هذه الحقائق الدامغة ترى السياسة البريطانية تماري في هذه الحقائق ، وتذكر في الكتاب الأبيض الذي أصدرته عام

١٩٢٢ لشرح خطتها السياسية في فلسطين بعد الاضطرابات التي نجمت عن وعد بلفور ، وعلى لسان وزير مستعمراتها ونستون تشرشل الضالع مع الصهيونية : « إن من الضروري عليها - أي الطائفة اليهودية - أن تعلم بأن وجودها في فلسطين حق وليس منة . ولهذا من الضروري ضمانتها لإنشاء الوطن القومي ، ضماناً دولياً ، والاعتراف رسمياً بأنه قائم على أساس علاقات تاريخية قديمة . ان ما سبق من بيان يغني عن الرد . ونحن لو عكفنا على دراسة الدعوى الصهيونية في فلسطين ، لوجدنا انها تستند في الأساس على ما يسمى بالوعد الالهي بعودة اليهود إلى فلسطين ، ويشتد ذلك طبعاً أن توجد مشاهة قومية وعرقية بين يهود فلسطين منذ اربعة آلاف عام ، وبين يهود روسيا وبولندا واوربا وامريكا اليوم . وهذا يفضي بنا ليس فقط إلى بحث الوعد الالهي ، وإنما أيضاً إلى تقصي إمكانات جواز اعتبار يهود اليوم احفاداً للعبرانيين القدامى .

من المؤسف أن كثيراً من المسيحيين الذين يرون في قيام اسرائيل ، تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس ، يجهاون تماماً ما الذي وعد به هذا الكتاب المقدس ، ولمن وعد !

تقوم الدعوى الصهيونية في فلسطين بالأساس على ما يسمى بالوعد التوراتية التي أعطاها (الرب) إلى (ابراهيم) منذ اربعة آلاف عام : « إلى نسلك أعطي هذه الأرض . . » ، وأن عبارة (نسل ابراهيم) تعني لدى الصهاينة ، فقط أولئك الذين هم يهود اليوم ، سواء أكانوا من نسل ابراهيم أم لا ! وقد دحض مشاهير علماء الكتاب المقدس الدعوى الصهيونية ، ومنهم الدكتور ألفرد غيوم ، أستاذ الدراسات التوراتية في جامعة لندن ، ومؤلف آثار متنوعة عن العهد القديم (التوراة) وذلك في قوله : « إن أول وعد صريح بفلسطين قد جرى منحه في سيخم (نابلس) ، فقد ورد في سفر التكوين ١٢ : ٧ « ولنسلك أعطي هذه الأرض . . » ، حين وقف ابراهيم على تلة مرتفعة قرب بيت ايل (في منطقة السامرة) تلقى هذه الكلمات : « فقال الرب لأبرام بعد انفراد لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه إلى الشمال والجنوب وإلى المشرق والمغرب ، فجميع الأرض التي ترى أعطيها ولنسلك مدى الأبد . . » (١٣ : ١٥) . وأكثر من ذلك وضوحاً : « وفي ذلك اليوم بت الرب

ميثاقاً مع ابرام قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات». (١٥ : ١٨) .

ويشرح الأستاذ غيوم خلال التصور القائل بأن هذه الوعود قد مُدّت لليهود فقط ، ويشير إلى أن ما تقوله التوراة ليس ذلك . فإن كلمات (إلى نسلك) تشمل بدون شك على العرب ، مسلمين ونصارى إذ هم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسماعيل ، واسماعيل هو الأب المعروف لعدد كبير من القبائل العربية . وسفر التكوين نفسه يسجل أن ابراهيم أب لكثير من القبائل العربية الشمالية عن طريق زوجته الثانية قطورة^(١) . ولا يمكن الجدل - كما يقول غيوم - في أن ما ورد في سفر التكوين ٢١ : ١٠ - ١٢ يلغي بالضرورة الوعد المبذول لنسل ابراهيم ككل : « صنع ابراهيم وليعة عظيمة يوم فطام اسحاق ، وان سارة رأت ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم ذا مهزء فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق ، فصعب ذلك على ابراهيم جداً لأجل ابنه ، فقال الله لابراهيم لا يصعب عليك من أجل الصبي ومن أجل الجارية ، فكل ما قالت لك سارة فاسمع قولها لأنه باسحاق يُدعى لك النسل ، وأما ابن الجارية فإني أجعله أيضاً لأمة لكونه نسلك » ...

وينبغي ملاحظة أن ابراهيم حين عقد الميثاق مع ربه عبر عملية ختان ابنه ووعد بجميع أرض كنعان « كملك أبدي » فقد كان اسماعيل هو الذي مُخْتَن ، ولم يكن اسحق الذي يدعي الصهاينة ادعاءً اسطورياً انحذارهم من نسله قد ولد لابراهيم بعد في زمن الوعد المقدس المزعوم (سفر التكوين ١٧ : ٤ - ٨) : « ولا يقال لك بعد الآن ابرام ولكنه يكون اسمك ابراهيم لأنني جعلتك أبا أمم كثيرة ، ولأثمرتك غاية التثمير وأجعل منك أمماً وتخرج منك ملوك ، وأقيم ميثاقي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم ميثاقاً دائماً لأكون إلهاً لك ولذريتك من بعدك وسأعطيكَ ونسلك من بعدك أرض متغربتك أرض كنعان كلتها إخذاةً مستديمةً وأكون لهم إلهاً » ..

(١) سفر التكوين (٢٥ : ١ - ٤) « ثم تزوج ابراهيم امرأة أخرى اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشوبق وشوحاً .. »

X ويستطرد الأستاذ غيوم في ملاحظته فيقول : صحيح أنه من الآن فصاعداً ، تؤخذ عبارة (نسل ابراهيم) لتعني بين نسل اسحاق ، (الاسرائيليين) ، ولكن من البداية لم يكن الأمر كذلك . فقد كان لنسل اسماعيل كل الحق في أن يدعوا أنفسهم ويعتبروا من ذرية ابراهيم . وحين أزاح السبي الآشوري سكان السامرة ، وأزاح الأسر البابلي سكان يهوذا ، رأى الأنبياء الاسرائيليون في هذه النكبات تحقيقاً للعدالة الإلهية على شعب عاص ومخالف للناموس . ولكنهم علموا شعهم أن بقية منهم سوف تعود . . وعاد اليهود بالفعل من حيث أنوا ، وأعادوا بناء أسوار القدس ، والهيكل . وبعد تأرجح مقدراتهم السياسية ، فانهم مارسوا فترة قصيرة من الاستقلال السياسي ، والتوسع في عهد المكابيين ، وبذلك تكون نبوءات العودة قد تحققت ، ولا يمكن ان تتحقق ثانية ، ولا يشتمل العهد القديم (التوراة) على نبوءة بالعودة الثانية ، بعد عودة اليهود من أسر بابل ، وذلك لأن :

١ - جميع اليهود الذين رغبوا في العودة ، بعد السبي ، عادوا الى الأرض المقدسة ، برغم أن كثيرين جداً فضلوا البقاء حيث كانوا ، وشكلوا (يهود الشتات Diaspora) .

٢ - مات آخر الأنبياء اليهود قبل خراب القدس في عام ٧٠ م بقرون .^(١)

هذا إلى أن العرب المسلمين الذين كانوا يشكلون الغالبية الساحقة من سكان فلسطين ، أي أكثر من ٩٠ بالمائة ، لا يؤمنون بهذا (الوعد الإلهي) . وان القرآن الكريم ينفي الزعم القائل بأن الرب أعطى نسل ابراهيم - أي اليهود - ميثاقه المقدس بتسليمهم أرض كنعان التي تشتمل على بعض أجزاء من فلسطين . ومهما يكن الأمر ، فمن الواضح أنه لا يمكن غزو البلاد الآهلة بسكانها وفتحها في القرن العشرين فقط على أساس من الدعوى الدينية لأقلية هي غاية في الصغر ، فضلاً عن أن ما يسمى بالمملكة اليهودية التي قامت يوماً على جزء من أرض فلسطين ، وجزء أكبر منه في سورية والأردن ، لم يقم على الجزء الذي تحتله (اسرائيل) اليوم وتقيم عليه (دولتها) .

Guillaume , Alfred , « Israel according to Holy Scriptures » (١)
(Cedar Rapid : Ingram Press) pp.11-15

وأخيراً لا آخر ، فانه مما يجزّ في النفس أن بعض المسيحيين في أوروبا وأمريكا لا تزال تضلهم الأباطيل الصهيونية وتوحي اليهم بأن قيام اسرائيل انما هو تحقيق للنبوءات المسيحية نفسها ! في حين أن نظرة فاحصة الى الكتاب المقدس بعديه القديم والجديد توضح بجلاء أن كلمة (الخلاص) تفيد وتتضمن في معناها التوراتي الحقيقي منجزات دينية وروحية ، ولا تفيد أو تتضمن فعال الغزو والاعتصاب والتتكيل بالخصوم . وأكثر من ذلك تخصيصاً إن ما يرد في العهد الجديد (الانجيل) من مصطلحات مثل (اسرائيل) أو (اورشليم الجديدة) أو (اسرائيل الرب) تنطبق على الكنيسة المسيحية المثالية ، او على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني للكلمة . وليس ثمة دلالة واحدة تشير إلى ان اي مسيحي حقيقي يعتقد بالعهد الجديد يمكنه ان يخلط بين (اسرائيل الجديدة) التي برزت الى الوجود بموجب مخطط سياسي يستند الى القوة القاهرة المصحوبة باقتلاع السكان الأصليين من ارضهم وممتلكاتهم دونما مبرر، مع (اسرائيل الرب) في المعتقد المسيحي الذي يعني أن الكنيسة المسيحية قد تحققت بمجيء المسيح وتبشيره . إن هذين النوعين من (اسرائيل) متناقضان تماماً والحق ان المسيحيين العرب الذين قرأوا الكتاب المقدس وفسروا كلمة (اسرائيل) بمعناها المثالي الروحي ، وجدوا فجأة ان هذه الكلمة تنطبق على كل ما هو مدمر لممتلكاتهم ومهاك لنفوسهم ؛ فهي تسبب لهم ازمة نفسية وتشعرهم بالمرارة في كل مرة يقرأون فيها ما يقترن بتسمية اسرائيل بشعب الله ، او ما يوحي بفكرة اسرائيل^(١) . يتبين مما تقدم ان الدعوى الصهيونية في فلسطين ليست صحيحة ولا مشروعة . وليس من المعقول ان يقال : « ان كون الانسان يهودياً هو مرادف لكونه من نسل ابراهيم ! » ذلك ان كثيراً من اليهود في التاريخ القديم والحديث كانوا يتحولون الى اليهودية من عنصر آخر . فهناك اليهود الزنوج في المالايا ، والفالاساس Falasas في اثيوبيا وغيرهم . ان الزعماء السياسيين الصهاينة في فلسطين المحتلة ، وكذلك المهاجرين اليهود الذين جاءوا الى فلسطين المحتلة من وسط اوربا وبولندا وروسيا

(١) عن « لاجئون من فلسطين » نشرة بالانكليزية صادرة عن قسم التبشير الخارجي - المجلس

الوطني للكنائس - نيويورك ١٩٤٧ ص ١٥

وامريكا هم في الأعم الأغاب من اصل خزري،نحدروا من الروس القوقازيين الذين حوّلهم اليهود البيزنطيون الى اليهودية في منتصف القرن الثامن الميلادي .^(١)

وقدرّد الوزير اليهودي البريطاني السير ادوين مونتاغو Montagu ، وزير الهند في وزارة لويد جورج التي وافقت على وعد بلفور (١٩١٧) على زملائه المسيحين الذين انساقوا مع الخطط الصهيوني وايدوه ، بقوله : « انا انكر ان فلسطين هي اليوم ذات صلة باليهود . . من الحق تماماً ان فلسطين تلعب دوراً كبيراً في التاريخ اليهودي ، ولكنها كذلك ايضاً في التاريخ الاسلامي الحديث . وبعد زمن اليهود ، من المؤكد انها تلعب دوراً اكبر من دور اي بلد آخر في التاريخ المسيحي » .

وحذّر مونتاغو زملاءه بقوله : « ان الصهيونية كانت تبدو لي دائماً عقيدة سياسية مؤذية ، لا يمكن لأي مواطن مخلص للملكة المتحدة أن يدافع عنها » ، وأكد ملحاً على أنه « لا يوجد أمة يهودية » ، وأشار إلى أفراد من نفس أسرته قال انهم يعيشون في البلاد منذ أجيال وليس لهم أي نوع من المشاركة في الرأي أو الأمنية مع أمة يهودية في أي بلد آخر ، أكثر من حقيقة كونهم يعتقدون الى درجة أكثر أو أقل نفس الديانة . . . إن قولنا إن اليهودي الانكليزي واليهودي المراكشي هما من نفس الأمة ، ليس أصح من قولنا إن الانكليزي المسيحي والفرنسي المسيحي هما من نفس الأمة »^(٢) !!

إن استناد الحق العربي المطلق الى اعتبارات العدالة هو الذي جعل زعماء التحرر والسلام في العالم يعلنون عن منتهى دعمهم لقضية فلسطين المشروعة ؛ فقد كتب المهاتما غاندي في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٨ في صحيفة الهاريغان Harigan معبراً عن رأيه بوضوح مطلق بقوله : « أنا أعطف على اليهود كل العطف ، غير أن العطف لا يعيني عن متطلبات العدالة . إن المناداة بالوطن القومي لليهود لا تلقى مني استجابة كبيرة . فلسطين تنتمي للعرب بنفس

Hadawi,Sami « Bitter Harvest » Palestine 1914 - 67 ,New york (١)

1967,P.32

Quoted by Hadawi , ibid,P.33

(٢)

المعنى الذي تنتمي به انكلترا للانكليز أو فرنسا للفرنسيين . ومن الخطأ أن يفرض اليهود على العرب . وإذا لم يكن لليهود من وطن إلا فلسطين فهل يستيفون فكرة كونهم مرغبين على مغادرة الاجزاء الاخرى من العالم التي يستقرون فيها ؟ ام هل يريدون وطناً مزدوجاً حيث يستطيعون ان يمشوا حيث شاؤوا ؟ إن فلسطين بمفهوم التوراة ليست هي البقعة الجغرافية وإنما هي في قلوبهم . ولكن إذا توجب عليهم ان ينظروا الى فلسطين الجغرافية على انها وطنهم القومي ، فمن الخطأ ان يدخلوها في ظل الاسلحة البريطانية-ولا شيء يمكن ان يقال ضد المقاومة العربية في وجه التفوق الشامل ، (١)

إن الدعوى الصهيونية المستندة الى التاريخ هي دعوى غير منطقية وبجافية للحق والعدل؛ فاليهود أنفسهم كانوا دخلاء وغرباء ، ووضعهم كان وضع غزاة عاديين كبقية الغزاة الذين يأتون ويذهبون كثيراً في تلك الأيام دون أن يتركوا أثراً على الحياة القومية والتاريخية للسكان الأصليين . ومن الواضح أنه لم يعد بمقدور أحد في القرن العشرين أن يبرز مثل هذه الدعاوى المتهافة ، خاصة وان اليهود الذين يعيشون في امريكا واوربا وغيرها من بقاع العالم لا يمكنهم ادعاء التماثل والتشابه مع أولئك الذين عاشوا قبل ألفي عام في فلسطين؛ لأن القبول بادعائهم وراثته أولئك اليهود القدامى سيبلغ حد الاعتراف بالاسطورة العنصرية العرقية وخطرها لا يقل عن خطر فلسفة هتلر وزملائه في النازية التي تقوم أيضاً - كالعنصرية- على الاعتقاد بتفوق اسطوري مزعوم للعرق الآري على السامية . أي على اللاسامية التي طالما شكى من شرورها اليهود في تعاملهم مع شعوب أوربا عموماً !! ومع ذلك فالبحث العالمي الموضوعي المجرد بوصلنا إلى دحض الاسطورة الصهيونية القائلة بأن يهود اليوم يعتبرون أحفاداً للعبرانيين اليهود القدامى الذين غزوا فلسطين يوماً ، ثم تشتتوا . إن الاستاذ هاري ل شابيرو - Shapiro رئيس قسم الانثروبولوجيا في المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعي ، أجرى دراسة مستفيضة عن التاريخ البيولوجي (للشعب اليهودي) ، وفيها يقول إن

Palestine Problem in Perspective, Topical Publications, Delhi (١)

اليهود « ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا أمة بالمعنى الصارم للكلمة » . وبعد تدبّع تاريخ اليهود يصرح الدكتور شاييرو : « إنه لأمر غريب أن اليهود يُعتبرون غالباً - وقد بُذل جهد كبير للبرهنة على أنهم - عرق متميز . . . والمقارنة البيولوجية . . . تبرهن أن المتطلبات الأساسية لأي دعوى بأن اليهود يشكلون ذاتية عرقية ، لا يمكن تليينها على الأقل بالمقاييس التقليدية المتخذة أساساً في التصنيف العرقي . إن الاختلاف العريض في الصفات الجسمية للسكان اليهود ، وتنوع الجينات المورثة المتوافرة في فئات دمهم ، تجعل إدراجهم تحت أي تصنيف عرقي موحد ، التناقض بعينه^(١) .

وثمة عالم انثروبولوجي آخر يبدّد (خرافة الجنس اليهودي) هو الأستاذ جوان كوماس Comas ، من جامعة مكسيكو الوطنية ، ويعلق عليها بقوله : « على الرغم من ان الفكرة العرقية تثير غالباً استجابة سلبية ، فمن الغريب أن جماعات مختلفة تجدها نافعة ومفيدة لها ، وبذلك تعيش الفكرة . فاليهود الصهاينة مثلاً ، يتكلمون دائماً على (الشعب اليهودي) بنغمة توافقية عرقية متميزة ، ولا يقصدون بها أن تعني استمرار التاريخ فحسب ، وإنما أيضاً استمرار الدم والثقافة والمصير » . واستطرد الأستاذ كوماس يقول : « ان مثل هذه الدعوى لوحظت أكثر بعدما تكبده أبناء دينهم في ألمانيا باسم العرقية ، وقد صاغوها بقصد تبرير تأسيس (وطن) في (اسرائيل) ، وبقصد تقوية الروابط مع أبناء دينهم اليهود في البلدان الأخرى ، وطلباً لدعمهم » . ويوضح الأستاذ كوماس رأيه بقوله : « ان الحقيقة الانثروبولوجية هي أن اليهود من الوجهة العرقية مختلفو العرق ، ولا اساس للدعاء بوجود عرق يهودي . ان هجراتهم الدائمة خلال التاريخ ، وعلاقتهم - المقصودة وغير المقصودة - مع أوسع تشكيلة من الأمم والشعوب ، قد حملت معها درجة كبيرة من الهجنة والتمازج البيولوجي ، بحيث أن ما يسمى بشعب اسرائيل يمكن ان يكشف عن

Shapira, H.L. • The Jewish People, A Biographical History • (١)
Quoted from Hadawi , op. cit, pp. 33-34, U N E S C O ,1960 pp. 74-5

خصائص نموذجية لكل شعب . ولبرهان على ذلك تكفي مقارنة يهودي من روتردام (هولندا) بوجهه المحمر وقوامه الثقيل ، مع يهودي من سالونيك (اليونان) مثلاً بعينه اللامعتين ووجهه الشاحب ، وجسمه النحيل المنكمش . ثم يصنّف كوماس اليهود ، وفقاً لأصولهم الى الجماعات المنفصلة التالية :

أ - المتحدرون من المهاجرين اليهود من فلسطين (قلائل جداً) .
ب - المتحدرون من امتزاج واتحاد يهود من أصل آسيوي مختلط ، أو بين يهود وجماعات أخرى .

ج - يهود بالدين ، ولكن دون أن يكون لهم أية صلة أنثروبولوجية مها كانت مع يهود فلسطين ، ويتألفون فقط من عروق وأجناس أخرى تحوّلت الى الدين اليهودي .

ويدرج الأستاذ (كوماس) تحت التصنيف الأخير (ج) مثلاً نموذجياً معروفاً ، هو (بولان - Bulan) ملك الحُر الذي تحوّل الى اليهودية في عام ٧٤٠ م مع كثير من نبلاء بلاده وأفراد شعبه .^(١)

وليدعم الأستاذ (كوماس) رأيه ، أشار إلى أن من كل ١٠٠ عقد زواج يهودي في ألمانيا ما بين ١٩٢١ و ١٩٢٥ كان يوجد ٥٨ عقد زواج يهودي ، ٤٢ زواج مختلط . وفي برلين عام ١٩٢٦ كان هناك ٨٦١ زواج يهودي و ٥٥٤ زواج مختلط ، وقال كوماس : « ان الأرقام تتكلم من تلقاء نفسها . خاصة لو أخذنا بعين الاعتبار العدد الكبير من الأزواج والزوجات الذين أصبحوا يهوداً بالدين ، برغم أنه ليس فيهم أي شيء (سامي) .

(١) الحُر جنس غير سامي كانوا يتلون البلاد الواقعة غربي جبال الأورال وشمال البحر الأسود، وكانوا على الوثنية الى ان هودم تجار من يهود القسطنطينية حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي ، وشكلوا دولة تدعى باليهودية . وفي نهاية القرن العاشر الميلادي هزم الحُر أمام الروس الفارنجية Varangians ، القادمين من الشمال ، وضاعت مملكتهم في فيافي الدولة الروسية القيصرية ، وهذا يفسر وجود ملايين اليهود في جنوب روسيا . وفي القرون التالية ضم جزء كبير منهم الى الدول الجديدة التي اقتطعت من الامبراطورية الروسية، والتي عرفت باسم بولندا ولتوانيا ورومانيا ...

فلسطين م ١٩٦٨

ودليل آخر ، يورده (كوماس) لدعم رأيه في استحالة وجود عرق يهودي ، هو : « ان (٤٩) بالمائة من اليهود البولنديين ذوو شعر أشقر فاتح اللون . بينما يوجد فقط (٥١) بالمائة شعرهم داكن اللون . في حين أنه يوجد فقط (٣٢) بالمائة من ذوي الشعر الأشقر بين اليهود الألمان و (٣٠) بالمائة من يهود فينا ذوو عيون فاتحة اللون . والأنف المعقوف لليهودي النموذجي ، نجده في (٤٤) بالمائة فقط من أفراد بعض الجماعات (البشرية) ، في حين أن الأنوف المستقيمة توجد في (٤٠) بالمائة ، والأنف الروماني في ٩٪ والأنف الدقيق في ٧٪ . »

ويستند الأستاذ (كوماس) الى رأي مصدرين علميين آخرين عن الموضوع : ر . ن . سلمن - Salman يقول : « ان نقاوة العرق اليهودي هي نقاوة أسطورية ؛ ان التنوع الواسع بين النماذج العرقية يوجد بين يهود ، يتباينون بحسب شكل جماجمهم من الرؤوس العريضة إلى الرؤوس الطويلة . وفي ألمانيا وروسيا خاصة ، يوجد يهود لا تظهر فيهم أدنى الصفات العرقية السامية . »

وإلى ذلك يضيف م (فيشبرغ Fishberg) : « ان النسبة المئوية للشعر الفاتحي العيون ، وتوزعهم غير المنتظم بين مختلف مراكز السكان اليهود ، والتباين الهائل في مقاييس الجمجمة - وهو تباين عظيم بقدر ما هو ملاحظ بين أية شعوب في أوروبا - ووجود يهود زنوج وتيونون وخلافهم ، والتنوع في القوام لديهم الخ . . . كل ذلك يعتبر براهين أخرى على عدم وجود عرق سامي واحد لم يطرأ عليه التغيير منذ الأزمنة القديمة . » ويختم (فيشبرغ) قوله : « ان دعاوى اليهود بنقاوة سلالاتهم هي من العبث وانعدام الأساس بحيث تشبه المزاعم القائلة بوجود اختلاف أساسي بين اليهود وبين ما يُدعى بالعرق الآري الذي تقوم عليه اللاسامية ^(١) . »

American Council for Judaism, Issues magazine, N.Y. Winter (١)
1965 - 1966; pp. 21 - 23, Quoted from Hadawi , ibid, pp. 31 - 36

ونقطة أخرى تدعم وجهة النظر القائلة بتهافت دعوى وجود (الشعب اليهودي) هي أن تعريف اليهود لليهودي كان دائماً ان اليهودي هو ابن أم يهودية أو من اعتنق اليهودية، وانه لقول يفتقر الى المنطق السليم أن نعتبر المتحدرين اليهود من كل البلاد ينتمون الى أصل واحد ودم واحد، وأنهم يتصلون بالعبرانيين القدامى ، وهم بالتالي : « ورثة فلسطين طبقاً للوعد الالهي » !! وبجسب قانون العودة وقانون الأحوال ، في (اسرائيل) يمكن اعتبار أي شخص مهما كان غريباً ومتبائناً في اللغة واللون والثقافة والعرق ، له الحق في الذهاب الى فلسطين ، إن هو فقط اعتنق اليهودية ؛ في حين أن المسلمين والنصارى من سكان الأرض المقدسة - الذي لا يمكن أن يجادل في صحة تحدرهم من ذرية ابراهيم - إن كان للوعد الالهية أبة وجهة شرعية في القرن العشرين - ينكر عليهم حق الحياة في بلد مسقط رأسهم وأجدادهم وأسلافهم . إن ما يدعيه الصهاينة وما يفعلونه لا يختلف بحال عما كان يدعيه ويفعله الفاشيون والنازيون ؛ فكل من الصهيونية والفاشية والنازية تقوم على الكراهية والعنف والتفوق الاسطوري العرقي . وإذا كان هتلر قد سيطرت على ذهنه فكرة تفوق العرق التيوتوني الآري، فالصهاينة ، كما سنرى ، منذ أن كتب زعيمهم الأول تيودور هرتسل كتيبه (دولة اليهود) كانوا يتحدثون عن (الشعب المختار) ويزعمون لأنفسهم النقاء العنصري الذي يقوم أساساً على الانغلاق والتفوق والتمييز ضد الآخرين . والصهاينة كذلك كالنازيين يطالبون اليهود في كل بلاد العالم بالولاء الشامل لهم ، تماماً كما فعل النازيون ما قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها مع الألمان الذين يعيشون بعيداً عن المانيا وأوروبا. ولا يدخر الصهاينة وسعاً في استعمال أحط الأساليب الاستغلالية لضمان ولاء اليهود في (أرض الشتات) بالاغراء والتهديد وحتى بالقتل والتشهير ، تماماً كما فعل النازيون والفاشيون . والصهيونية كذلك تستمد مادتها من حافز التوسع الاقليمي ، وتعتبر أن صوت العنف والقوة يعلو على جميع قرارات الأمم المتحدة وحقوق الانسان وتقرير المصير ، لأنه أقوى من كل عقل ومنطق . وللصهيونية ، كما كان للفاشين النازيين ، عملاء ومنظمات سرية وعلنية تبرع ، في الوقت المناسب ، بتضليل الرأي العام وحقنه بالأباطيل والأكاذيب حتى لا يصحو أبداً على صوت الحق والضمير ، ويكشف الأسطورة التي نسج خيوطها التزييف والبهتان ، وسنرى في الفصل التالي كيف جرى نسج هذه الأسطورة وفي أية ظروف تم ذلك .

الفصل الثاني

المسألة اليهودية والخطط الصهيونية قبل مؤتمر بال (١٨٩٧)

كان يسيطر على اليهود في المجتمعات الاوربية احساس عميق وقديم بأنهم اجانب متميزون عن الشعوب التي يعيشون وسطها ، ولذا مالوا الى عزل أنفسهم في أحياء يهودية تسمى (الغيتو - Ghetto) كي يحافظوا على تقاليدهم القديمة ويمارسوا طقوسهم الدينية ، بعيداً عن غير اليهود (الكفار - Gentiles) . ويمكن البحث عن أصل القضية اليهودية - الناجمة عن عزلة اليهود ورفضهم الاندماج ، وما اعقب ذلك من وقوع الاضطهاد عليهم وعدم الثقة بهم ، في :

١ - بعض العقائد اليهودية المتوارثة ، وهي التي تؤكد أن الله اختصهم بفضائله ، واختارهم من بين سائر البشر باعتبارهم من نسل ابراهيم الخليل الذي اصطفاه الله وأعطاه وذريته ميثاقه الأزلي ، فأنقذ أبناء حفيده يعقوب (بني اسرائيل) من طغيان فرعون مصر ، وأخرجهم بقيادة موسى ، ثم أدخلهم فلسطين عبر نهر الأردن بزعامه يشوع بن نون واختار للملكهم داود وسليمان . وحين ابتعد اليهود عن تعاليم دينهم ، انهارت مملكتهم ، وشردوا خارج فلسطين (في ديار الشتات - المنفى Diaspora) ولكنهم سيسترجعون مملكتهم بتأييد من الله ، مادامت فيهم بقية صالحة ، وسيتحقق الوعد الالهي بظهور المسيح الذي يخلصهم من الاضطهاد ويرجعهم الى فلسطين (أرض الميعاد) . وهذه العقائد الدينية جعلتهم يحسون بأن لهم رسالة خاصة في العالم ، رسالة تفصلهم عن الكائنات البشرية الأخرى ، وتلقي على كواهلهم أعباء معينة : تلك هي تأدية الشهادة عن الله أمام جميع الأمم ،

وإطاعة الناموس في كل عمل يقومون به . إن احساس اليهود بأن لهم رسالة عالمية اختصهم الله بها ، وما يصادفه من رفض وإنكار لدى غير اليهود (الكفار) ، هو السبب الأساسي في قصور اليهود عن الدخول في مشاركة كاملة مع أي شعب يعيشون بين ظهرانيه ، وانشاء علاقات معنوية طبيعية معه . وقد عبّر هرتسل غير مرة عن هذا التفوق والانغلاق اليهودي الذي اشتملت عليه الرسالة ، بقوله : « أرض الميعاد .. حيث يمكن أن ننال نحن ايضاً مكافآت على الأعمال العظيمة . حيث نستطيع ان نعيش في سلام مع كل العالم – العالم الذي سيتحرر بتحررنا ويغنى بغنانا ، ويسمو بسمونا^(١) » . ومعنى هذا ان حرية العالم منوطة بحرية اليهود ، وان نراه العالم وسموه متصلان بثرائهم وسموم . وهكذا تبلغ الغطرسة اليهودية ، وروح الاعتزاز والاعتداد غايتها ، وهذا ما جعل اليهود ييؤءون بالجزور والتشريد . وبما يؤكد صحة هذا الاستنتاج حكم بن غوريون القائل : « ان الشعب اليهودي سوف يصبح من جديد شعباً مختاراً بعد استعادة سيادته القومية ، وينير الطريق أمام العالم » .^(٢) ان نظرة شعوب العالم الى اليهود ، وسرّ النعمة عليهم عبر التاريخ

Patai, Raphael (ed.) The Complete Diaries of Theodor Herzl (١)
New York, Herzlpress, 1960, l.p.181 اليوميات الكاملة لتيودور هرتسل جمعها وترجمها الى الانكليزية من الاصل الألماني الأستاذ الأمريكي اليهودي هاري زون ، وقام بالتحريير زميله رفايل باتاي ، وتعتبر أول طبعة كاملة لليوميات بأية لغة على الاطلاق . وقد صدرت في خمسة أجزاء مجموعها ١٩٦١ صفحة عن دار هرتسل وتوماس يوسلوف للطباعة والنشر في نيويورك ١٩٦٠ .

ولكن يوميات هرتسل نشرت بلغتها الأصلية (الألمانية) لأول مرة في مطلع العشرينات من القرن الحالي ، وصدرت بشكل ناقص ومشوه . فقد تعتمد ناشروها من اليهود الصهاينة آنذاك ، حجب الكثير مما ورد فيها خوفاً من إثارة النعمة على الحركة الصهيونية ، وخشية إدانتها وفضح وسائلها ومخططاتها . فاليوميات التي سجلها مؤسس الحركة الصهيونية ، تتضمن عشرات الشواهد والأدلة على أن الصهيونية حركة استعمارية تتوسل لتحقيق أهدافها بوسائل لا أحط ولا أفند . وأن ما قاله أعداء اليهود والصهاينة في حق اليهود والصهاينة – في المائة السنة الأخيرة – لم يكن بأعنف ولا بأسوأ مما قاله هرتسل نفسه في اليهود والصهاينة .

ولما تحقق زعماء الصهيونية من ضرر نشر يوميات هرتسل بعد جمعها ، وما يترتب من عواقب إحاطة الناس بفحواها ، سارعوا إلى سحبا ، واستعادوا معظم نسخها من الأسواق والمكتبات . وسوف نشير الى ما نقتبس من اليوميات الكاملة لتيودور هرتسل ، بكلمة (يوميات) مع ذكر الجزء من الصفحة .
Teshuva Baal.(ed.) .The Mission of Israel . N.Y . 1963 .p. 228 (٢)

يتضحان من هذه التعاليم اليهودية التي انحرف بها بعض أجهارهم فخرجوا على العالم بأول دعوة عنصرية متعصبة تحمل نظرة عدوانية استغلالية لغير اليهود (الكفار) . وقد ترتب على ذلك كله العامل الثاني في القضية اليهودية :

٢ - اضطهاد اليهود : بدأ الاضطهاد منذ أيام الامبراطورية الرومانية حين رفضت الجماعات اليهودية المتدينة الاندماج في المجتمع الروماني والثقافة الرومانية . ولم يتوقف الاضطهاد بعد انتشار المسيحية في اوربا إذ اعتبر اليهود مؤولين عن دم السيد المسيح ، وشرعت الدول الاوربية بإصدارقوانين تحظر عليهم امتلاك الأراضي .وقد أكسبهم نشاطهم التجاري والمالي وما يتصل به من عمليات الاقراض والربا ، سخط المجتمعات باعتبار أن تسلط اليهودالتجاري وجشعهم الماليهما مصدر ما تعانيه الطبقات الكادحة من بؤس وفاقة . وقد صعب ذلك عدم الاطمئنان إلى ولاء اليهود وإخلاصهم ، نظراً لحب أساليهم وسوء مكرمهم ، لدرجة أن اتهام بعضهم بالحيانة والاشترك بمؤامرات تستهدفدمار العالم والسيطرة عليه ، كان أمراً مألوفاً في كثير من البلدان الاوربية ، وبذلك يتخذ اضطهاد اليهود فيها مظهرالدفاع عن النفس . وبينما كان البعض يرى أن اليهود يقعون في قلب الاضطرابالعالمي ، حاملين معهم أينما ذهبوا عنصراً من التدمير والقلق ، فإنه من الرأي ايضاً أن الاضطهاد والشعور بأنهم غير مرغوب فيهم ، مما أبرز لديهم بعض الحصال الرديئة التي قد لا تظهر بدون ذلك . ولكن لاينبغي الخلط بين السبب والنتيجة ؛ فاضطهاد اليهود هو نتيجة لسبب هو انغلاقهم على انفسهم واحساسهم بالتفوق والرسالة .

وقد أدى هذا الاضطهاد الى عزلة اليهود ، في أحيائهم المنغلقة الخاصة (الغيتو) التي بنعت نظامها عادة بأحط النعوت ، ولكن يجب ان نتذكر ان اليهود لم يلبزموا عنوة بأحيائهم . لقد كان نظام هذه الأحياء - تماماً كنظام (الملة) الذي يعادله في السلطنة العثمانية - هو الشكل الطبيعي للمجتمع تجاه جماعة دينية منفصلة ، في عصر يسوده الاعتقاد بأن المجتمع يجب أن يجرى تنظيحه على أساس ديانة خاصة . عصر كان القانون يُشتق فيه من الايمان الديني . وضيق بعض الدول الاوربية على اليهود في أراضيها ، بل وطردتهم

كلية ، كما حدث في انكلترة (القرن ١٣) وفرنسا (القرن ١٤) واسبانيا (القرن ١٥) إثر خروج العرب المسلمين منها ، وارتفاع موجة التعصب المسيحي . وقد أفضى ذلك إلى أن الجماعات اليهودية تركزت آنثذ في الدويلات الألمانية والابطالية ، وخاصة في بولندة حيث أقام عدد كبير من اليهود فيها ، وفي بلدان اوربا الشرقية . أما جماعات اليهود التي كانت مستقرة في ديار العروبة مشرقاً ومغرباً ، فقد وفر لها الشرع الاسلامي الأمن والرخاء بصفة أبناءها من أهل الكتاب . وحين تعرض يهود اسبانيا إثر زوال الحكم العربي الاسلامي للعسف والارهاق ، لجأوا الى الدولة العثمانية والبلدان العربية ، فوجدوا فيها مستقراً آمناً ومقاماً كريماً .

وكان انتصار أفكار الاستنارة التحررية الذي أعقب الثورة الفرنسية ، وانتشار مبادئ العدالة والمساواة وتأكيد حقوق الانسان ، مما أدى الى تحسن وضع اليهود في اوربا الغربية ، وتحطيم نظام الأحياء اليهودية (الغيتو) ، وكان يمكن ان يقضي إلى حل المشكلة اليهودية عن طريق اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون وسطها . لا سيما بعد أن أصبح اليهود دستورياً واقتصادياً مواطنين عاديين ، إثر إلغاء القوانين المقيدة لحياتهم منذ عام ١٧٩١ في فرنسا ، ثم في معظم الدول الاوربية ، وفي الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك . وبينما وجد بعض المفكرين اليهود في الموجة التحريرية التي بلغت ذروتها حين اعترف بسهارك بتحرير اليهود عام ١٨٧١ ، ما يضمن لهم حياتهم وبقاءهم حيث يقيمون ، كانت غالبية يهود بلدان اوربا الشرقية لا تزال تزح نحت وطأة التمييز التشريعي ضدها . وقد كان اغتيال قيصر روسيا ، الكسندر الثاني عام ١٨٨١ الشرارة التي اشعلت نار النزعة الانفصالية لدى اليهود ، فكان أن بدأت موجة من الأعمال المعادية لليهود ، سميت (بالاسامية - Antisemitism) وجعلت السلطات الروسية من اليهود مسؤولين عن هذا الاغتيال ، الأمر الذي نجم عنه تعويق عملية تحرير يهود روسيا ، واثقالهم بمزيد من القيود ، وخروج أعداد كبيرة منهم للتوطن في بلدان اوربا الغربية وامريكا ، بعد أن حظر عليهم

التوطن في بولندا . ولم تنعكس آثار الأفكار التحررية المستنيرة على يهود أوروبا الشرقية وروسيا إلا في العقد الثاني من القرن العشرين .

ان تحرر المجتمع والثقافة في اوربا، وانجاهها نحو العلمانية عموماً وظهور الدول الحديثة التي فصلت بين الدين والدولة ، كل ذلك ، قد بدل موقف الاوربيين (الكفار) ، فمالوا الى فقدان نفورهم من اليهود؛ومن حيث المبدأ أصبح الحقد على اليهود بوصفهم (يهوداً)^(١) أمراً غير مقبول ؛ (فالكفار) الذين كانوا ينفرون من اليهود ، أو لا يكثرثون بهم ، أمساوايشعرون بأنهم مازمون بمعاملتهم على قدم المساواة في كامل الحقوق المدنية والسياسية، على اعتبار أن ذلك نتيجة طبيعية لما تعتنقه أوربا من مبادئ الليبرالية والديمقراطية التي أصبحت العنصر المهيمن على روح العصر في الفكر السياسي الأوربي الحديث . وقد رافق هذه التبدلات الفكرية والدستورية ، تبدلات أساسية في بنية المجتمع الأوربي الطبقي ، اتيح لليهود خلالها أن يمتكوا مباشرة مع المجتمعات الأوربية ، وعلى قدم المساواة .

فمن المعلوم أن غالبية اليهود كانت تقتصر منذ زمن بعيد في مختلف بلدان اوربا الشرقية والوسطى ، على تعاطي الأعمال الخاصة بالطبقة الوسطى ؛ كالتجارة والحرف والصيرفة ، وكانوا يملكون في هذه الشؤون نصيباً كبيراً لا يتناسب مع نصيب الفئات الأخرى من السكان ، بل كان يتركز احتكارها في ايديهم . حتى إذا نشأت طبقة وسطى

(١) وصف الزعيم الهندي جواهر لال نهرو اليهود ، بقوله : « وأصبحت كلمة يهودي نفسها تعني الحياة وسوء الاستعمال . أصبحت مرادفة للخيل والمرابي والشحيع » .

J . I . . Nehru . Glimpses of World History , • London 1962 p. 763

ويقول كارل ماركس في كتابه (المسألة اليهودية) : « ما هو الأساس الديني لليهودية ؟ المصلحة العملية والمنفعة الشخصية . إذن فالعصر الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال ، وبالتالي من اليهودية الواقعية والعملية ، إنما يمرر نفسه أيضاً .. المال هو إله اسرائيل المطاع . وأمامه لا ينبغي لأي إله أن يعيش . ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويجوها الى سلعة . المال هو القيمة العامة والمكونة في ذاتها لجميع الأشياء . لقد أصبح إله اليهود إلهاً دنيوياً ، وغدا إله الناس (السنجعة) . هذا هو الاله الحقيقي لليهودي » . (ترجمة محمد عيتاني ص ٥٦) . بيروت ١٩٥٢ .

من الأوربيين غير اليهود ، خلال الأجيال القليلة الأخيرة ، كان من الطبيعي أن تشتد المنافسة بينها ، وبين اليهود ، وخاصة حين تقترون بارتباك اقتصادي وفترات من الكساد ، تضيق في غضونهما فرص الربح ، فتزداد المنافسة حدة . وهنا لا بد أن تبرز على السطح الفوارق العميقة بين (الكفار) وبين اليهود المؤهلين للنشاط الرأسمالي الجديد في المجتمعات الصناعية الأوروبية ، بحكم صفاتهم الاقتصادية وخبرتهم المالية والمصرفية . ولا بد أن تسام الحركات القومية الأوروبية في تعميق هذه الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بتأكيدا على قومياتها الخاصة ، وبتسليط الضوء على المجموعات اليهودية في أوربا كمجموعة من الغرباء ، الذين لم تفلح قوى الاستنارة في دمج الكثيرين منهم وإنشاء علاقات طبيعية معهم ، نظراً لتمزق كثيرين من اليهود ، بين الجماعة الأوروبية العمومية ، التي ينتسبون إليها بطرق متعددة ، وبين مجموعتهم الدينية الخاصة التي ما زالت تعاني احساس الانعزال عن العالم . وقد غدى ذلك عوامل اضطهاد اليهود في بعض الظروف السياسية والاقتصادية ، بصورة أكثر أو أقل عنفاً . فضلاً عن أن الاحجام عن الاندماج في المجتمعات الأوروبية ، ووقائع التاريخ ، قد غديا في كثير من اليهود بعض الصفات كالارتباب ، والعصبية العنصرية ، والشعور بالنقص ، وانعدام الأمن — وهي صفات أصبحت بدورها اسباباً مساعداً في الاضطهاد . كما ان بقايا روح الانعزال الطائفية والعائلية المتشبثة في نفوسهم ، مضافة الى احساسهم بالرسالة المخصوصة ، كانت تورثهم حالة نفسية منقسمة وقلقة . والاوربيون (الكفار) إذ يدركون ما تتطوي عليه (يهودية) اليهود ، كانوا يعززون إليها أي قصور أو نقص عند الأفراد اليهود ، فلا يعتبرونهم دائماً مواطنين أصحاء كاملين . وبقدر ما يتأثر اليهود على التمسك بإحساس التميز والرسالة ، فإن الريبة والتوجس يستمران بينهم وبين جيرانهم (الكفار) . وقد ينشأ الاضطهاد والتمييز السياسي والاجتماعي ضدهم على الأرجح ، في فترات التوتر العام والقلق الشامل ، متخذاً هذا الشكل أو ذاك ، الأمر الذي لا بد ان أن يشير المصاعب أمام اليهود ، أفراداً وجماعات .

ومها يكن الأمر ، فان فكرة اندماج اليهود وذوبانهم في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانها ، بينا كانت واضحة آخذة بالانتشار في اوربا الغربية ، وخاصة بين العناصر اليهودية المفكرة والمثقفة والمقدمة اجتماعياً ، فانها لم تلق الترحيب في روسيا وبولندا ، وبلدان اوربا الشرقية وبحر البلطيق ، من جانب المتعصين اليهود الذين وجدوا فيها ما يزيد في تصميمهم على العمل . وقد استغلوا ما يبدو من ظواهر (اللاسامية) في هذه البلدان لإثارة الحقد والتعصب في صدور جماهيرهم . وتحركت أرقامهم تكتب في محاولة لاقتناع جماهيرهم بعظمة اليهود وفضلهم على البشرية ، وتدعو بحجارة يزيدها الاضطهاد الذي تشجعه اعمالهم المقصودة بذكاه ومهارة . وقد اعترف هرتسل نفسه بأن « الصهيونية هي وليدة الضغط والاضطهاد ، وأنه إن لم يكن هناك ضغط واضطهاد ضد اليهود ، فيجب ان تخلقها لكي تقوي الصهيونية ، وتجعل اليهود يتحركون لتحقيق أهداف الصهيونية » . ويصور هرتسل مضمون الاضطهاد اليهودي بقوله : « ان كل شيء يعتمد على قوتنا الدافعة ، وماهي قوتنا الدافعة ؟ بؤس اليهود » . أما دايفيد بن غوريون فيقول معلقاً على اثر فكرة الاندماج في يهود اوربا الشرقية : « لم تكن الصهيونية مجرد نظرية شاملة ، أو مفهوماً فلسفياً أو دينياً ، مستقلة عن الزمان والمكان والظروف ، بل كانت في الواقع فلسفة يهودية ، هي في جوهرها نضال ضد الاندماج »^(١).

وقامت الحركة الصهيونية السياسية في النصف الثاني من القرن الماضي على اساس عنصري مقتضاه الايمان بأن اليهودية ليست مجرد ديانة وإنما حركة علمانية أساساً ، وهي تعتبر الجواب على النزعة اللاسامية وعلى دعوة الاندماج ، وترى أن اليهود يشكلون عنصراً متميزاً يجنبه وثقافته وتاريخه ، ومن ثم فهم يكونون شعباً له الحق في تكوين دولة . وتجد الصهيونية أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو خلق دولة يهودية وإضفاء الصفة القومية على اليهودية . وبعبارة أخرى ان الصهيونية تمثل رد فعل اليهود في شرقي اوربا على نظام الأحياء اليهودية (الغيتو) في روسيا وبولندا والمانيا حيث بدأت الحركة الصهيونية ، لا في غربي اوربا حيث

(١) حولية حكومة اسرائيل ، لعام ١٩٥٢ ، ص ٣٦

اعترفت الدول هناك بتحريرهم، وبدأ اندماجهم في المجتمعات غير اليهودية التي نشأوا فيها . على انه مع الوقت أخذت الحركة الصهيونية بأسباب الانتشار لأن مؤسسيها تحققوا من أنهم لن يستطيعوا تبرير حجبتهم من غير مساندة يهود العالم . وقد استعمل الصهاينة في مجتهد عن مساندة اليهود ، فكرة (العودة) الحثالية إلى أرض الميعاد (فلسطين) لمنح الصهيونية شحنة عاطفية بغية جعلها مقبولة من جميع اليهود . وفي الوقت نفسه عملت الصهيونية على أن يتمك اليهود بدينهم^(١) ، ويفيدوا من القيم اليهودية القديمة التي تجعل منهم شعب الله المختار . كما عملت على إحياء اللغة العبرية والثقافة اليهودية ، وعلى تدعيم الأمل في العودة الى فلسطين كرابطة تجمع اليهود سياسياً ، وتدعوهم لإقامة دولة يهودية يستطيعون في نطاقها أن يمارسوا شعائرهم ويؤدوا رسالتهم العالمية ، وذلك عن طريق نشر مجموعة من المؤلفات الصهيونية التي استهدفت تجديد المفاهيم القديمة ، وتكييفها مع الأفكار العقلانية الحديثة . « وبذلك تبدل الطابع الديني ، الذي عاش بشكل تضرع وتوسل لقوة فوق الطبيعة ، ليتخذ شكلاً سياسياً وطنياً . . وتحول الوعد الى دافع داخلي عند اليهود يغذي ارادتهم وينظم قواهم »^(٢) . ولم يتشكل هذا الاتجاه الفكري الجديد يوم وليلة ، وإنما استغرق جهود عشرات من المفكرين والكتاب ، طوال عقود عديدة من السنين .

ولكن الصهيونية ، خلافاً للحركات القومية والتحريرية المعروفة في العالم ، لم يكن لها شعب ، ولذا وجب إيجاد نظرية عمل صهيونية تصلح لبعث (القومية اليهودية) في جماعات اليهود المقيمين في عديد من دول اوربا الشرقية والغربية وامريكا ، من ناحية . كذلك وجب

(١) القصد من ذلك هو بث الشعور بما يسمى (الوعد الالهي والأمل بالعودة) . ويرى بن غوريون أن « الشعب اليهودي رأى في هذا الوعد بوراة الارض جزءاً من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه » . وان « الايمان بظهور المسيح لاعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي ، يردده الفرد في صلواته اليومية » .. (حولية حكومة اسرائيل ، لعام ٥٣ -

على الصهيونية أن تنقل هذا (الشعب) من هذه الدول الى الأرض المرغوب في تحريرها من (الاحتلال الأجنبي) من ناحية ثانية . فالصهيونية لا تملك الشعب ولا تملك الأرض .

بل ان الحركة الصهيونية تختلف عن الحركات الاستعمارية والامبريالية اختلافاً كبيراً؛ فمن المعلوم أن التوسع الاستعماري والامبريالي إنما يتم بمجدد طاقات الدولة الطامعة كلها ، مع طاقات من يخضع لها أو يدور في فلكها ، بقصد احتلال الأرض التي تتطلع للاستحواذ عليها . أما الصهيونية فقد نهضت أساساً لإيجاد (الدولة) الاستعمارية الامبريالية ، فلم تتوافر لها بالتالي الأجهزة والطاقات التي لا يكون احتلال عسكري أو سيطرة فعلية لإلهاها . ولكن الصهيونية تغلبت على هذا المبدأ بالدوران حوله ، وذلك باعتبارها النشاط الدبلوماسي الناجح على أوسع نطاق دولي ، للحصول على ما يمكن ان تجود به عليها الدول الاستعمارية ، كما تتمكن الصهيونية من التغلغل في الأرض المنشودة بحماية الامبريالية ، بعد الاتفاق على (التعويضات المتقابلة) . وفي صوغ نظرية عمل للصهيونية ، وفي رسم خططها وشرح أساليبها ووضع مبادئها ، يرجع الفضل الى (تيودور هرتل) ، الذي كانت الفكرة الصهيونية من قبله غامضة الملامح فأوضحها ، وأبرز معالمها ، ووضع برامجها ، وحدد وسائلها وأهدافها^(١) .

استنكر هرتل الحلول غير القومية التي وضعت للمشكلة اليهودية ، وقال إنها عقيمة . وحمل حملة شعواء على فئات اليهود التي اندمجت في مجتمعات غربي اوربا وامريكا ، وكان هؤلاء الاندماجيون أهم معارضي الصهيونية السياسية ؛ وزعم هرتل ان الاندماج لا يقضي على (الشعب اليهودي) فحسب ، وإنما أيضاً لا بد أن يصطدم بردود فعل تزداد عنفاً كلما ازداد اندماج اليهود . ولم يقبل هرتل بأن يكون لليهود ولاء آخر غير الولاء الصهيوني : «على الانسان ان يختار بين صهيون وفرنسا»^(٢) . . . ولكن اليهود المستقرين الاندماجين ردوا

(١) انظر « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين » للمؤلف ، مطبوعات معهد الدراسات العربية

العالية - القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٢

(٢) يوبيات ، ١٤ ص ٢٧٢

عليه قائلين بأن حركات تحرير اليهود مطردة ، وان انتكاس بعض هذه الحركات هو أمر طبيعي وموقت ، بينما تحرير اليهود هو الأمر الذي يحققه انتشار الثقافة والمعرفة والمبادئ التحررية . ثم أن أداء اليهود لرسالتهم العالمية يتم عن طريق المواطنة في المجتمعات التي يعيشون فيها أكثر مما لو كانوا في فلسطين . فضلاً عن ان انشاء دولة يهودية يثير مشكلة الولاء المزدوج ، مما يهدد أوضاع اليهود المندمجين ويقضي على مستقبلهم .

ووصف هرتسل هجرة اليهود من شرق أوروبا الى غربها وإلى امريكا - للتخلص من الاضطهاد والعوز - بأنها تدخل (اللاسامية) الى بلد خال منها ، وتبقي اليهود في وضع الأقلية أينما وجدوا^(١) .

أما حل المشكلة اليهودية ، بالاستيطان اليهودي غير السياسي ، الذي كان يتم بمساعي بعض أثرياء اليهود مثل البارون (ادمون دي روتشيلد) الذي كان ينفق على المستعمرات الزراعية في فلسطين ، والبارون (موريس دي هيرش) الذي كان يمول الاستيطان اليهودي في الارجننتين ، فقد قابله هرتسل بالنقد العنيف ، باعتبار أن هذه الجهود لا ترمي الى خلق نواة دولة يهودية ، وانما تقنع بتوحيد جماعات يهودية صغيرة وسط مجتمع غريب . وبما ان هذا الاستيطان غير سياسي في دوافعه وغرضه ، فهو لا يحل مشكلة اضطهاد اليهود^(٢) .

كذلك أنكر هرتسل على اليهود القائلين بنظرية الثورة الاشتراكية كجواب على (اللاسامية) عن طريق نفس جذور القومية للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة في أوروبا ، والهادفة الى خلق مجتمع جديد بلا فوارق قومية . وذكّر اليهود

(١) د. فايز صايغ « الدبلوماسية الصهيونية » - مطبوعات مركز الأبحاث - بيروت

١٩٦٧ ، ص ٤٥ - ٤٦

(٢) تحتوي (اليوميات) على صفحات عديدة يصب فيها هرتسل جام غضبه على روتشيلد وهيرش ، ويسخر من مشاريعها ويهددها ، ثم يعود للتودد لها لأن تحقيق مشاريع الصهيونية وشراء رضى السلطات التركية ، والحكومات الاوربية لا يتم إلا بمساعدة أثرياء اليهود وتمويلهم .

الاشتراكيون، وخاصة من عاش منهم في روسيا، أن اضطهاد اليهود هو مظهر عام لاضطهاد الشعب الروسي بواسطة السلطات الحاكمة المستغلة، وان على اليهود ان يدعموا الحركات الاشتراكية للعالم والفلاحين بغية القضاء على العدو المشترك الذي يستغل الشعوب جميعاً، وهو أنظمة الحكم الرجعية المسيطرة على الاقطاع ورأس المال. ورأى هرتسل أن ذلك لن يؤدي إلا الى محو (الشعب اليهودي) عن طريق تذويبه ودجه. وشكك الصابنة عموماً في أن الاشتراكية سوف تقضي على التعصب ضد اليهود. كذلك رفض هرتسل الحلّ المنادي بالتدين وانتظار المسيح المخلص الذي سيرسله الاله الى بني اسرائيل، كما وعدمه. وأنصار هذا الحل هم نفر كبير من المحافظين على التراث الديني اليهودي، والذين يرفضون تحويل العقيدة اليهودية الى مبدأ سياسي. ويقرون أن انشاء صهيون مسألة دينية يحققها الله لا البشر. في حين لا تحقق نبوءات اليهودية التقليدية، في نظر هرتسل، حلّ مشكلة اللاسامية.

أجمع أسلاف هرتسل من أنصار « اليهودية القومية »، أو ما أصبح يعرف بالصهيونية السياسية - تمييزاً لهم عن معارضيه من انصار الصهيونية الدينية والثقافية^(١) والعملية، على أن تأسيس دولة اليهود، يحتاج أساساً لمعونة احدى الدول الكبرى :

(١) كان أبرز قادة الصهيونية الدينية أو الثقافية هو احداهام (١٨٥٦ - ١٩٢٧) ، وقد اشتهر بهذا الاسم ومعناه واحد من الشعب، واسمه الحقيقي هو (أشير غينزبرغ) الرومي الأصل. وقد رأى ان منطلقات حركة (محبي صهيون) تكشف عن تصور خاطئ لحل المشكلة اليهودية حين تقترح تجميعهم في فلسطين. والحل عنده يتم بالحفاظ على الروح اليهودية وتمييزها ويتصل تحقيق ذلك بايجاد مركز ثقافي يهودي في فلسطين. اعتقد (احداهام) أن اللاسامية هي مرض متأصل معدي لدى (الأمم الاخرى) ، ويعتبر أم الفائلين بالصهيونية الروحانية الثقافية. وكان يرى - بسذاجة - ان اليهود حقاً تاريخياً بالهجرة الى فلسطين لانشاء مستعمرات فيها بحسب مقدرة البلاد، مع اعترافه الكامل بحق العرب فيها. وهدفه الرئيسي من (العودة إلى صهيون) هو خلق مركز روحي في فلسطين، يصل ما انقطع منذ ثلاثة آلاف عام من التقاليد الخلقية والفلسفية لليهودية. ويبدو من كتاباته أنه كان يمت السياسة والسياسيين ويكره المناورات والميادين السياسية، ومن هنا فإنه لم يكن يمتنظ هرتسل بأي احترام ولم يكن يؤمن بجذواه، وكان يقول عنه انه قائد ←

فالخام (زفي هيرش كالشر Kalischer) (١٧٩٥ - ١٨٧٤) نشر مؤلفه (البحث عن صهيون) ودعا فيه الى استيطان فلسطين بمساعدة دولية ، وذلك عن طريق انشاء منظمة تقوم بشراء الأرض الزراعية . وهاجم التدين ، وانتظار المسيح ، كأسلوب لحل المشكلة اليهودية ، وطالب اليهود بأن يحتدوا مثل الايطاليين والبولنديين والمجريين في البحث عن قومياتهم .

(وموسى هيس Hess) (١٨١٢ - ١٨٧٥) تأثر بالتيار القومي في أوروبا وبالمنجزات الوحودية القومية فيها ، وخاصة الوحدة الايطالية ، فدعا في كتابه (روما والقدس) الى ما أسماه بالقومية اليهودية . ورأى أنه ليس الاندماج ، وإنما الاقتناع بوجود قومية يهودية ، هو الحل الحقيقي للمشكلة اليهودية . ويعتبره الكاتب اليهودي موسى مينوحين بأنه الأب الحقيقي لليهودية القومية السياسية . وفي عام ١٨٦٢ نشر كتابه (روما والقدس) ، قال فيه إن اليهود سيظلون أبداً غرباء بين الأمم ، وان الدين اليهودي هو القومية اليهودية . فكل يهودي ، بفضل مولده ، هو اوتوماتيكياً مرتبط بالتضامن

-يهودي خطر ومؤذ . وقد تحقق تماماً ، على ما يقول موسى مينوحين ، بأن فلسطين لا تستطيع أن تلبي الحاجات الاقتصادية والبشرية للملايين اليهود . وما ضايقه خاصة ، كان التدهور الروحي الذي رافق اليهود في الغيتو والتشرد . وكان (احدها عام) يفتش عن حل لأمراض شعبه كالذلة ، والحث ، والجهل ، وعدم الاكتراث بالمثل الروحية والفلسفية لليهودية ، ويريد بعث (القلب اليهودي) ، وراوده الأمل بأن(العودة الى صهيون) سوف تضيء من جديد التراث الروحي والتقاليد الخلقية اليهودية . وقد حضر أحدها عام المؤتمر الصهيوني الأول في بال ١٨٩٧ ، ولكنه لم يحضر غيره في حياة هرتسل ، ومنذئذ نبذ أحدها عام (الصهيونية السياسية) واستنكرها بشدة في مقالاته ، وظل كذلك حتى مات ١٩٢٧ . وكان انطباعة عن هرتسل الذي أجرى معه محادثتين قصيرتين قبل مؤتمر بال وبعده ، أن هرتسل كان تفكيره نقض الشعور بالمسؤولية ، وأن آراءه وخططه والبيانات التي أنهاها للمؤتمر عن مفاوضاته في القسطنطينية ، ليس ورامها أية حقيقة . لقد بدا هرتسل له مضللاً مخادعاً ينحرف بولاء الصهاينة القدامى واهتمامهم بمشاريعهم المثمرة الى صوره الخيالية . وفي اليوم التالي للمؤتمر كتب احدها عام الى رافنتزكي Ravnitzky وهو كاتب صهيوني يقول : « يتضح لي أمر واحد ، هو أننا دمرونا اكثر بكثير مما بنينا . من يدري ما اذا كان هذا هو آخر اشارة لشعب ميت ؟ انني ببساطة ، لا استطيع ان انزع هذه الفكرة من رأسي » . (Menuhin, op.cit.,pp.54,55,60,62-63)

مع أمته بكاملها ..^(١) وظلت (اللاسامية) المتمثلة في قضية دريفوس ، تغذي ذهنه القلق ، فلا يستطيع ان يوفق بينها وبين نزعة الفرنسيين الظاهرة في التحرر والثقافة والانسانية . ولم يكن من بعد النظر بحيث يرى الارتفاع والانخفاض في خط البشرية البياني الذي تسلكه في صراعها الدائم من أجل الديمقراطية والعدالة . كان يتوقع الارتفاع فقط ، ولا يسمح لنفسه في التفكير بالانخفاض المحترم والموقت ، ولذا دافع (هيس) ، بعد أن أصبح قومياً مهووساً ، عن نوع من الادارة الفرنسية لفلسطين ، تتطور لمنفعة اليهود حتى تصبح دولة يهودية^(٢) .

أما ليو بنسكر (Pinsker) (١٨٢١ - ١٩٨١) فقد كان طبيباً روسياً في أوديسة ، وقد مال أولاً إلى الاندماج ، ولكن حوادث ١٨٨١ - ١٨٨٢ صيرته يهودياً قومياً متعصباً . فأصدر عام ١٨٨٢ كتابه (التحرر الذاتي) واقترح فيه وضع خطة سياسية عامة لتنظيم يهود العالم وتوحد جهودهم . وهو أول من قدم فكرة الوطن القومي اليهودي ، وقال ان التحرر الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية يعيش شعبها على أرض محددة . وهاجم الداعين الى الاعتماد على تغيير الحكومات الاوربية لأساليبها ونظرتها الى اليهود . وطالب بعقد مؤتمر قومي ، فاذا تعذر ذلك ، انشاء شركة ماسحة تقوم بشراء قطعة من الارض يستوطنها عدة ملايين من اليهود مع مرور الزمن . وبنسكر ، كخلفه هرتل ، لم يحدد فلسطين بالذات لتكون وطناً قومياً « لأن تنفيذ هذا المشروع يرتبط بتأييد الحكومات الاوربية » ، بل طالب بأية أرض تكون السيادة لهم فيها ، ذلك أن « هدفنا الذي نعى اليه ليس الأرض المقدسة ، بل أية قطعة من الأرض تخصص لنا »^(٣) . وحين نشر بنسكر

Moshe Menuhin, « The Decadence of Judaism in our Time » (١)

N.Y. 1965, p . 25

ibid, p. 26 (٢)

Leo Pinsker • Auto Emancipation, London ? , p . 23 & (٣)

Menuhin, op . cit . P . 57 .

مقترحاته ، التفت حوله جمعيات (محبي صهيون - Hoveveh Zion) بعد أن وافق على تحديد فلسطين كوطن قومي لليهود^(١) . وترجع هذه الجمعيات في نشأتها الى الأفكار الصهيونية الأولى للهاخام كاليشر وهيس وغيرهما ، وإلى فعال اللاسامية الموجهة ضد اليهود ، وخاصة في روسيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ . وقد انتشرت جمعيات (محبي صهيون) في بعض بلدان أوروبا وخاصة في شرقها . وكان الهدف هو دعم حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين عن طريق تشجيع الهجرة والمعونة المالية والأدبية وإحياء اللغة العبرية ، وهكذا نبتت أولى بذور الصهيونية السياسية .

وقد نجم عن نشاط هذه الجمعيات المدعم بالمعونات المالية من روتشيلد إقامة المستعمرات الصهيونية الأولى في فلسطين : (بتاح تكفا ، ريشون لزيون^(٢) ، روشينا ، زكرون يعقوب والجديرة) في مطلع الثمانينات من القرن الماضي^(٣) . وقد عقدت جمعيات (محبي صهيون) أول مؤتمر يهودي عالمي عام ١٨٨٤ (قبل ١٣ عاماً من مؤتمر بال ١٨٩٧) في كاتوفتز Katowitz في المانيا على مقربة من الحدود الروسية ، حيث اختير (بنسكر) رئيساً له . وأصبحت (لجنة اوديسة) اللجنة التنفيذية لحركة محبي صهيون ، في بداية التسعينات ، وقامت بدور هام في تنسيق وتوصية أعمال الاستيطان في فلسطين بعد أن قرر المؤتمر استيطانها بواسطة مزارعين يهود . وكان ذلك حللاً مبناه الحنين العاطفي والشعور الديني ، ولم يستفسر اعضاء المؤتمر عما جرى في (وطنهم) منذ أن (نُفوا) من قبل ألفي عام^(٤) . وبحض الحركة على استيطان فلسطين ، وبتحقيق موجة الهجرة الصهيونية الأولى

(١) Parzen, op . cit., pp.26-7

(٢) كانت مستعمرة (ريشون لزيون) ومعناها الأولون في صهيون ، أقدم هذه المستعمرات ، وقد أنشأتها مجموعة من المهاجرين اليهود القادمين من روسيا ورومانيا (١٨٨٢) وقد روعي في اختيار موقعها عدم استئثار السكان العرب ، ونجبت تشكك الموظفين الاتراك في المشروع .

(٣) Parzen, Herbert, «A Short History of Zionism», N Y. 1962 , P. 25.

(٤) Menuhin , op . cit . , P. 29

المسماة (العالية First Aliyah) ، بدأت فكرة الوطن القومي تنتقل من حيز الفكرة الى حيز الواقع ؛ وبما له دلالة أن ناتان برنباوم (١٨٦٤ - ١٩٣٧) أحد زعماء حركة (محبي صهيون) كان أول من أوجد لفظة (صهيونية)^(١) .

ومها يكن من أمر فقد مهدت حركة (محبي صهيون) السبيل ، بعد التقدم الذي أحرزته ، إلى ما عرف بصهيونية هرتسل السياسية التي لا يمكن فهمها ولا الاحاطة بأهدافها ووسائلها إلا اذا تفهمنا شخصية هرتسل والاسلوب المرحلي الذي وضعه لتنفيذ برنامجه السياسي ، وتحقيق هدفه النهائي ، بموجب مبادئ الواقعية والمرونة التي تحسب حساب الظروف ، ولا تتراجع عن الغاية النهائية التي رسم هرتسل مخططاتها بروح ميكانيكية مكررة .

صهيونية هرتسل - الاطوار النظري : ولد هرتسل في ايار ١٨٦٠ في مدينة بودابست ، ومات في تموز ١٩٠٤ في سن الرابعة والاربعين ، أو كما يقول كاتب يهودي مشهور « في سن ما قبل النضج .. » وان طبيعته الطموحة المحبة لمظاهر العظمة والسلطان ، بالاضافة الى الاضطهاد النازل باليهود ، قد اتخذ ليجعل منه قائد القومية السياسية (اليهودية) وموجهها ، ونوعاً من المسيح الحرافي السياسي . ونظراً لتأثيره العميق على دماء اليهود ، وما نتج عن أحلامه وتطلعاته ، فيجب ان نرجع الى اقصى ما يمكن من حياة هذا الرجل الذي « اصبح كالبقرة المقدسة ، منزهاً عن كل نقد أو تحليل^(٢) » .

لم تكن هنغاريا التي ولد فيها هرتسل بأفضل حالاً من البلدان المجاورة لها كبولندة ورومانية والبلقان ، من حيث التخلف والتعصب المذهبي . وحين كان لهرتسل من العمر ثمانية عشر عاماً ماتت أخته بالتيفويد ، ووجد الأب والأم وابنها الوحيد أن الحياة في المدينة بعدها لم تعد تطاق ، فهاجروا الى فينا حيث انتسب هرتسل الى جامعته ونال دكتوراه

Cohen, Israel • A short History of Zionism, • London 1951, (١)
PP. 38, 33 .

Menuhin, op . cit . , P. 32 . (٢)

الحقوق . وقد اعتاد هرتل منذ طفولته أن يرافق أباه لحضور الصلوات أيام السبت والأعياد . وقد روى هرتل قبل موته بنصف عام لكتاب يهودي يدعى (روفن برين- روفن Brainin) أنه في حوالي سن الثانية عشرة قرأ في كتاب الماني عن (المسيح الملك) الذي مازال ينتظره كثير من اليهود ، والذي سوف يأتي راكباً على حماره . وكان تاريخ الخروج وأسطورة التحرير ، مخلصان في ذهن الصبي هرتل .. وبعد وقت قصير ، رأى في المنام ان الملك المسيح جاءه هيئة رجل عظيم القدر ، وأخذته بين ذراعيه ، وطار به في أجواز الفضاء .. «وعلى واحدة من الغيوم الزاهية الألوان ، لاقينا وجه موسى .. ونادى المسيح على موسى قائلاً : من أجل هذا الطفل قد صليت ، ثم التفت إليّ وقال : اذهب وبلغ اليهود أنني سوف آتي حالاً ، وأقوم بمعجزات عظيمة وأعمال كبيرة من أجل شعبي ، ومن أجل العالم بأكمله !»^(١)

كان هرتل يحلم بالشهرة ، ويرجو أن يكون مثل فردينان دولبس بائي قناة السويس (١٨٦٩) ، وكان يشبه نفسه بالمكتشف المشهور ستانلي « الذي أدهش العالم - العالم المتمدن كله - عندما اختط طريقه في القارة السوداء . ومع هذا فما أصغر مغامته بالنسبة لمغامي »^(٢) . وهرتل يعتبر نفسه أعظم من ستانلي إذ كان يرى أنه زعيم اليهود منذ أن بدأ يفكر بالحركة الصهيونية ويخطط لها . وهو يتباهى بمعرفته وذكائه ، وبقوة قلمه ، وببراعته على صغر سنه ، ولكنه - وهذا وجه آخر للتناقض في شخصيته - يخشى على نفسه جنون العظمة والتعالي على سائر اليهود^(٣) . ولم يكن هرتل بوضع خطة لحل أهله معه في السفينة الى (أرض الميعاد) مع ممثل يرفته عنهم أثناء الرحلة ، ويكون بعد

Alex Ben-Theodor Herzl - Philadelphia, 1915, PP. 13 - 14, (١)
Quoted in Menuhin, P. 33 .

(٢) يوميات ١٤ ص ٤

(٣) نفس المصدر السابق ١٤ ص ٤٣

ذلك مديراً للسرحد الوطني ، وأتمنا سيتوج ابنه أميراً على البلاد : «قد أضع تاجاً على رأس هانز يوماً ، وأنصبه حاكماً ثم أخاطبه في الهيكل أمام كبار رجال البلاد بياصاحب السموا^(١)» .

وفي تصوراته لنفسه ما بين ١٤ و ١٦ حزيران ١٨٩٥ كتب يقول : «ستكون الدولة اليهودية شيئاً عظيماً .. سيكون البلد الاعجوبة للمدينة بأسرها ... وسأكون في أوج قوتي عند المرحلة الثالثة ؛ عندها سيكون العالم بأسره الى جانبي - اليهود والمسيحيون . العامة ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الارستوقراطية ، والكهنة جميع الفرق ، والملوك والأباطرة ...»^(٢) ولن يتسع المجال لسرد المزيد من أخيلة هرتسل وتصوراته ، وكان يومذاك ، لا يزال بأول الطريق .

وعاصر هرتسل الضجة التي صحبت محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي الكابتن (الفرد دريفوس Dreyfus) الذي اتهم بتزويد ألمانيا بأسرار عسكرية ، وحكم عليه بالتجريد من رتبته وبالنفى مدى الحياة . وكتب هرتسل في ٦ تموز ١٨٩٥ يقول : « نوردو وأنا متفقان على أن اللاسامية وحدها جعلت منا يهوداً»^(٣) وبذلك توصل الى ما توصل اليه أمثال هيس وبنسكر وسوكولوف^(٤) من أن اللاسامية هي مرض عضال لدى الأمم الأخرى (الكفار) ولا يمكن علاجه إلا بالدولة اليهودية . ورأى هرتسل أن ما يجب عمله هو ايجاد موطن (للشعب اليهودي) بواسطة (براءة Charter) مغلنة

(١) المصدر السابق ١٢ ص ٥٧

(٢) نفس المصدر ١٢ ص ١٠٥

(٣) Marvin Lowenthal (Trans.) the Diaries of Theodor Herzl (٣) N. Y. 1959, P. 58 .

(٤) ناحوم سوكولوف Socolow (١٨٦١ - ١٩٣٦) مفكر يهودي من روسيا ، أصدر كتاباً سماه « الصهيونية في التوراة » ، وينطوي على روح تعصبية شديدة ، وقد عرف سوكولوف بتجمعه على دعاة الاندماج ، وترأس المؤتمر الصهيوني في خمس دورات ما بين ١٩٢١ - ١٩٣١ .

ومعترف بها تحت حماية دولة أوروبية مثل تركيا وألمانيا وانكلترا وابطاليا . (والبراءة)
 عند هرتسل تعني الترخيص السياسي الذي كان يود الحصول عليه لإقامة مستعمرات في
 فلسطين تتمتع بالحكم الذاتي . وبعبارة أخرى استعمار فلسطين ، وإيجاد دولة فيها .
 وتصور هرتسل أن يحصل على البراءة من السلطان العثماني . ومن أجل تحقيق فكرته ، مضى
 يجري اتصالات أولية مع أثرياء اليهود ، الذين كانوا يمولون مشاريع الهجرة والاستيطان
 اليهودي منذ سنوات . فاجتمع أولاً بالبارون دي هيرش Hirsch المئري النموي ، ثم
 بالبارون روتشيلد المئري الفرنسي ، فلم يلق منها ما يؤيد حله المفضل للمشكلة اليهودية وهو
 انشاء الدولة . فالتجه الى حركة (محبي صهيون) (١١) ، والى جمعية المكابيين في انكلترا ،
 فلم يكتب له النجاح في اقناعها بفكرته . ولكن ذلك كله لم يوهن عزيمته ، فقام بالدعوة
 علناً الى حشد الرأي العام اليهودي ضد مشاريع الاستيطان اللاسياسي - الخيري ،
 واستبدال العمل الصهيوني السياسي المنظم بها . ونشر في شباط ١٨٩٦ كتيبه (دولة اليهود
 Der Judenstaat) وفيه وصف خطته لتطوير (استعادة) الدولة اليهودية ، بقوله :
 « نعط لنا القيادة على رقعة من الأرض تقي بجاجتنا القومية الحقة ، ونحن نتكفل بما
 تبقى . . والحطة - التي هي بسيطة في صورتها ، وان كانت معقدة في التنفيذ - ستولى
 تنفيذها هيئتان : جمعية اليهود ، والشركة اليهودية . فالخططات العلمية التي تضعها جمعية
 اليهود ، والسياسات التي ترسمها ، يوكل أمر تنفيذها للشركة اليهودية » . وبعبارة أخرى ،
 دعا هرتسل الى انشاء هيئتين : أولاهما جمعية اليهود التي يناد بها الوظائف السياسية
 والدبلوماسية ، كتمثيل ارادة (الشعب اليهودي) القومية ، وإجراء المفاوضات اللازمة
 مع الدول المعنية لتملك الارض ، والتعامل مع السلطات القائمة فيها ، ثم اعلان قيام
 (الدولة) . وثانيها الشركة اليهودية ويناط بها تصفية ممتلكات اليهود الراغبين في الهجرة ،

(١) أمل هرتسل بأن تسانده جمعية (محبي صهيون) قبل أية مؤسسة أخرى، ولكنه طرد من
 الاجتماع الذي حضره زعمائها في لندن (يوميات ١٢ ص ٤٢٠) .

والقيام بالمهام العملية والادارية والمالية المتعلقة بالاستيطان الاستعماري وتنظيم التجارة والاقتصاد في الوطن المنشود^(١). وبصدد الأرض المرادتملكها واستيطانها ، فكر هرتسل بكل من فلسطين والارجنتين ، والتفت فيما بعد الى قبرص والعريش ، واوغندا وموزمبيق ... ولا يرى هرتسل فمة ضرورة الى « بذل الجهود الكبيرة » لحث الحركة ، بل يفترض « أن اللساميين سوف يزودونها بالدوافع والحوافز اللازمة » ويقول : « ان الضغط الذي يلقي بثقله علينا يولد رغبة في الهجرة حتى بين الطبقات الموسرة والمترفة في المجتمع . لكن أفقر طبقاتنا تكفي وحدها لإقامة دولة ، لأن هؤلاء يشكلون أقوى الغزاة ولأن القليل من اليأس لا بد منه في تكوين مشروع عظيم »^(٢). ويحاول هرتسل اقناع الرأي العام غير اليهودي في اوربا بجزايا الهجرة اليهودية وما ينجم عنها وعن المخطط الصهيوني من منافع وفوائد اقتصادية ، من حيث بيع الممتلكات اليهودية في (المنفى) بأسعار مغرية وتنشيط حركة النقل المواصلات من جراء الهجرة ، وملء المسيحين المراكز اليهودية الشاغرة ، واستهلاك المستوطنين اليهود في (وطنهم) للسلع الاستهلاكية المستوردة من اوربا ، وتوظيف رؤوس الاموال اليهودية في البلدان التي هاجروا منها . الخ ...^(٣) ويدعو هرتسل دول اوربا لمساعدته ، ويتعهد بأن تكون (دولة اليهود) بمثابة للحضارة الاوربية في الشرق المتخلف ؛ فلو جرى كل شيء على ما يرام ، واستحوذ اليهود على فلسطين ، لصاروا « يشكلون آنذاك جزءاً من الرديف أو السد الاوربي بوجه آسيا ، ومركز طليعيّاً للمدينة ضد البربرية » .^(٤)

ولم يكتف هرتسل بدعوة الدول الكبرى لمعونه على صفحات كتبه ، وانما راح في في السنوات التي تلت ذلك يسعى بكل وسيلة للحصول على تأييد هذه الدول للصهيونية ،

Herzl « the Jewish state » , N. Y. 1904, P. 252 (١)

ibid, P. 69 (٢)

ibid , P. 29 (٣)

ibid (٤)

أو حملها على التوسط لدى السلطنة العثمانية ، التي كانت فلسطين تقع ضمن ممتلكاتها الآسيوية ، للتخلي عن فلسطين وطناً لليهود ، وحملها كذلك على حماية ما قد يتم الاتفاق عليه مع السلطان عبد الحميد . وقد ركّز هرتسل ، في مفاوضاته مع السلطان ورجال السلطنة ، على تقديم الوعود بالقروض المالية ، وبدفع الجزية ، وبالمعونة الفنية لوقف تدهور المالية العثمانية . وركّز في مفاوضاته مع الدول الكبرى على الفوائد الامبريالية والاستراتيجية والاقتصادية والمعنوية التي تجنيها كل من هذه الدول نتيجة معاونتها في قيام (دولة اليهود) بفلسطين . هذا هو الاطار النظري لصهيونية هرتسل السياسية ، وفيما يلي بعض تفصيل الاطار العملي التطبيقي .

صهيونية هرتسل - الاطار العملي التطبيقي : نوره لا لأهميته في التوضيح والتوثيق فحسب ، وإنما أيضاً لأن البرنامج الذي سار عليه هرتسل ، ببعثه الصهيانة من بعده ، وتابعوا نهجه العملي الذي تبدو المكيافيلية في كل خطوة من خطواته ، ويتخلله الأسلوب المرحلي الواقعي الذي يجري حسابه في ضوء مقارنة العوامل المواتية والعوامل المعارضة ، وبوحي من منطلق التقدير المجرّد للظروف الموضوعية عندما تتطلب الحاجة الملحة تلبية " فورية أو تأجلاً موقوتاً . والاسلوب الصهيوني المرحلي في واقعيته لا يستسلم للواقع ، وإنما يعمل في إطاره بقصد تغيير ظروفه وتطويع قيوده دون أن يتراجع عن هدفه النهائي . نتمس آثار هذا الأسلوب المرحلي الواقعي ليس في ما قام به هرتسل من مفاوضات واتصالات مع الأطراف المعنيين فحسب ، وإنما أيضاً في كل قرار اتخذته الحركة الصهيونية منذ بداية نشاطها في أواخر القرن الماضي وحتى الساعة .

وكانت ألمانيا أول الدول الأوروبية التي حاول هرتسل مفاوضاتها منذ ٢٥ حزيران ١٨٩٥ ، وقد أجرى هرتسل عدة اجتماعات مع دوق بادن الكبير - عم الامبراطور ولهم الثاني ومستشاره - وقد تم ذلك بوساطة قيس بريطاني اسمه (هكلر Hechler) يعمل راعياً لل سفارة البريطانية في فينا .^(١) وقد رحب دوق بادن بالفكرة الصهيونية ولكنه امتنع عن

(١) يوميات ١٢ ص ٣١٠

تأييدها علناً ، وقد تبين لهرتل أن الحكومة الألمانية لا ترغب في بذل الوعد له بمحاية مسبقة للشركة الاستعمارية لتطوير الأراضي في فلسطين التي كان ينوي تأسيسها . وقال ان الجانب الألماني يريد من الصهاينة أن يكملوا كل الترتيبات أولاً - من حيث الحصول على الأرض وعلى امتيازات المستوطنين - ثم ينالون الحماية . ويصف هرتل الموقف الألماني بامتعاض بقوله : « لا يمكن ان يكون المرء أكثر حذراً من ذلك . ولكن اعتراضى الوحيد على ذلك الموقف هو : إذا حصلنا نحن على كل هذا بأنفسنا ، فلن تبقى لنا عند ذاك حاجة الى حماية ثقيلة الوطأة » (١)

وأجرى هرتل اتصالات مع المسؤولين في الحكومة البريطانية بعد أقل خمسة شهور من مباشرته الاتصال مع الجانب الألماني . وبعد ثلاثة شهور بدأ يحاول الاتصال بمسؤولي دولة ثالثة هي النمسا ، فكتب الى رئيس حكومتها (باديني) في ١٨ شباط ١٨٩٦ يطلب معونته ويعدده بأن «يدخله التاريخ إن فعل ذلك» (٢) . واتصل كذلك بالحكومة الروسية وبالفايتكان ، ولم يكن الحظ حليفه في جميع هذه الجهود الدبلوماسية التي تهدف للضغط على السلطان العثماني عبد الحميد . وقد نصح صديق هرتل هو (صمربيل مونتاغو) بأن يقدم هرتل للسلطان رشوة بمليون جنيه مقابل الحصول على فلسطين (٣) .

وكلف هرتل أحد عملائه واسمه (نفلنسكي Nevlnsky) بالتقرب من السلطان ومفاوضته ، ولكن آمال هرتل خابت عندما استمع الى (نفلنسكي) بحديثه عن مقابله للسلطان بقوله : « قال السلطان لي إذا كان هرتل صديقك ... فانصح به بأن لا يسير أبداً في هذا الموضوع . إني لا أستطيع أن أبيع ولو قدماً واحداً من اراضي الامبراطورية ، لأنها ليست ملكي ، بل ملك شعبي ... دع اليهود يحتفظون بيلابنيهم ، فإذا ما جرى تقسيم الامبراطورية ، فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل . لكن ما يجري تقسيمه آنذاك إنما هو جثتنا - لأننا لن نسمح بتشريح جسدنا ونحن أحياء لأي غرض كان » (٤) .

(٢) المصدر نفسه ١٢ ص ٣٠٣

(٤) المصدر نفسه ١٢ ص ٣٧٨

(١) يوميات ٢٢ ص ٧٨٨

(٣) يوميات ١٢ ص ٣٠٦

اتضح لهرتسل أن موقف السلطان متشدد، ولذا وجب تطبيق الأسلوب المرحلي بمرورته وواقعيته . وجد أن كلمة (دولة) بديلها السياسي والحقوقى الواضح تثير الشكوك والاعتراضات من جهات شتى ، وتقف حائلاً دون الحصول على (براءة) تسمح للصهاينة باستيطان فلسطين ، فليس بدّ من التظاهر بالتراجع عنها مرحلياً ، وإبدالها بكلمة جديدة مرضية للجانب التركي ، هي (وطن) كناية بها عن الدولة ، مع الحرص على السير بتؤدة وروية لثلاثين يوماً المشروع برمته .

وتحقق هرتسل من الموقف التركي الصلب بصدد مشروع (الدولة اليهودية المستقلة) إثر حديث أجراه مع سياسي تركي اسمه (زياد باشا) في حزيران ١٨٩٦ ، وقد ذكر فيه صراحة : « اننا نزيد الحصول على فلسطين دولة مستقلة تماماً ، واذا لم نتمكن من أخذها فسوف نذهب الى الأرجنتين . قال زياد : انك لن تجد حتى من هو مستعد للتفاوض معك إن أنت طالبتنا بفلسطين مستقلة .. »^(١) كما تلقى هرتسل رسالة بهذا المعنى من أحد عملائه في الآستانة ، وهو صحفي انكليزي اسمه (سديني هويتان) ، يقول فيها إنه أفلح في استمالة أحد المقربين الى السلطان (احمد مدحت أفندي) وأثار اهتمامه في المسألة الصهيونية ، « ويرى احمد مدحت أننا يجب أن نعمل بتؤدة ، وأن لا نطلب الكثير ، حتى لا يقول السلطان (لا) رأساً . وبشكل خاص يجب أن لا نستعمل لفظة (الاستقلال الذاتي) لأنها سبق أن جرت تركيا الى عدة حروب^(٢) » . والتزاماً من هرتسل بالأسلوب المرحلي الواقعي ، سارع لتبديد الشكوك . ووجه لعميله (هويتان) رسالتين اولاهما شخصية كتبها بالألمانية يعده فيها بالمكافأة . وثانيتهما كتبها بالفرنسية ليطلع (هويتان) عليها من يشاء من المسؤولين الاتراك ، والسلطان نفسه ان أمكن ، بغية إقناعهم بتراجع هرتسل عن فكرة (الدولة) ، وتجنب كل ما يعيق المفاوضات في المستقبل مع الجانب التركي . وذلك بمناسبة عرض هرتسل

(١) يوميات ١٦ ص ٣٦٧ .

(٢) يوميات ٢٢ ص ٥٤٩ .

خدماته على السلطان ، في جريدته الجديدة التي قرر إصدارها باسم (دي فلت) ، واستعداده لنشر الأنباء التي قد تكون في صالح حكومة السلطان ^(١) . وقد دوّن نص الرسالة الثانية في يومياته بتاريخ ٤ حزيران ١٨٩٧ ، وجاء فيها : « بادىء ذي بدء ، يجب أن لا يؤخذ كتابي (دولة اليهود) على أنه التحديد الرسمي للمشروع . أنا أول من يعترف بأن فيه الكثير من النظريات . وحين نشرت الفكرة ، كنت مجرد كاتب بسيط آنذاك ، وما كنت أعلم كيف يستقبلها الشعب اليهودي . وأفضل برهان على ذلك هو أنني اقترحت الإقامة إما في الأرجنتين أو في فلسطين . لكن الحركة اليهودية الجديدة ، أخذت منذئذ شكلاً مختلفاً بالمرّة ، وأصبحت عملية وبممكنة . إننا الآن نراعي ظروف الواقع ، ونرغب في أن نحسن التصرف سياسياً...» . ويمضي هر تسل الى تحديد قاعدة جديدة للمفاوضة مع تركيا يعبر عنها بالمرونة والغموض ويعد بالمعونة المالية ، بقوله : « إذا منحنا جلالة السلطات الشروط الضرورية لإسكان شعبنا في فلسطين ، فإننا نوفر للاقتصاد التركي التنظيم والازدهار بالتدريج ، وحالما يقبل الطرفان بهذا المبدأ ، فإنها ينصرفان الى النظر في تفاصيله . ومن السهل أن نرى أن الراغبين في إضعاف الامبراطورية العثمانية وتفقيتها هم أعداء خطتنا ، وأعداؤنا أيضاً هم الذين يريدون امتصاص دماء تركية بقروضهم الشرهة . ذلك أن الحكومة بواسطتنا سوف تستعيد سيطرتها على موارد البلاد ، وسوف تبعث البلاد من جديد » ^(٢) .

والفقرة الأخيرة من الرسالة تعبر عن الازدواجية المخادعة التي كانت أسلوب هر تسل لا في تعامله مع الأتراك فحسب ، وإنما أيضاً مع جميع الأطراف التي يتصل بها من أجل هدفه . إن ما ورد في تلك الفقرة من حرص على تنظيم مالية تركيا وازدهارها ، واتهام المقرضين بالجشع وامتصاص الدماء ، يمكن مقارنته مع ما أظهره هر تسل من سخط شديد وغضب بالغ حين سمع قبل نيف وخمسة شهور بأن الدول الأوروبية أقرضت تركيا بعض المال ، ووصف

(١) المصدر السابق ٢٢ ص ٥٤٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٢ ص ٥٥٩ .

الجبر بأنه سيء : « لأن هذا المال سيساعد الأتراك على العوم فوق سطح الماء » (١) ، وأخذ هرتسل يبني نفسه بفشل القرض . (٢) ومقابل تبرعه بالعواطف نحو تركيا ، كان هرتسل صراً يتأمر عليها وعلى حكوماتها وسلطانها ، ويتحين فرص ضعف السلطان ليفرض عليه مطالبه . وقرر قبل سنة من مؤتمر بال ، أن الوقت مناسب للاتصال بالسلطان لأن بلاده كانت تعاني من قيام الأرمن بمجوات شغب في الآستانة ، ودون ذلك في يومياته بتاريخ ١٨٩٦/٨/٢٩ : « الوقت مناسب جداً للتفاوض مع السلطان ، فهو اليوم ضعيف الأمل بالحصول على مال من أي إنسان » (٣) . وما كتبه يوم ١٨٩٦/٩/١٢ يفصح نواياه في بقاء تركيا ضعيفة ليسهل عليه استغلالها : « وردت أخبار من لندن عن تكبير الدول بخلع عبد الحميد . إذا تحقق ذلك ماتت الفكرة الصهيونية مدة طويلة من الزمن ، فإن السلطان الجديد سيجد المال ، ولن يحتاج لنا » (٤) .

عجز هرتسل عن تحقيق أمنيته بإنشاء كيان قومي لليهود في فلسطين ، بدون تفاهم مسبق مع إحدى الجهات الاستعمارية على الأقل . ولعل هذه الحقيقة هي أكثر ما جعله لا يقنط في محاولاته المستمرة لجعل تلك الجهات تقف الى جانبه ، وتتدخل في مفاوضاته العقيمة مع السلطات العثمانية . وقد بلغ به هذا الاصرار الى استغلال المصالح المتضاربة للدول الاستعمارية ، واللعب على كل الجبال من وراء ظهرها . من ذلك أن هرتسل أخذ يجرب حظّه مع بريطانيا ، منافسة ألمانيا وروسيا ؛ فقد كتب الى اللورد (سولزبرى) وزير خارجيتها ، يعرض خدماته على مصلحة بريطانيا الاستعمارية في الشرق بقوله : « هناك طريقة لتصحيح المالمية التركية ، وبالتالي المحافظة على التوازن الدولي لمدة أطول ، ولايجاد طريق جديد الى الهند في الوقت نفسه - وهو الطريق الاقصر بالنسبة الى انكلترة . .

(١) المصدر السابق ٢٢ ص ٥٠٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٢ ص ٥١١ .

(٣) المصدر السابق ٢٢ ص ٤٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٢٢ ص ٤٦٥ .

أقصد بهذه الطريقة انشاء دولة يهودية في فلسطين لها استقلال ذاتي ، مثل مصر ، تحت سيادة السلطان . . والأمر ممكن اذا توافر لنا دعم دولة كبرى - اكرر هنا أنه دعم محفي - وسيكون من مصلحة انكابترة بناء خط حديدي ، رأساً ، عبر فلسطين من البحر المتوسط الى الخليج الفارسي « (١) .

ومن ناحية أخرى يبدو أن انحلال السلطة العثمانية وضعفها الشديد ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، وتطلع الدول الكبرى لاقتسام خيراتنا - لولا خشية بعضها من بعض - كانت عوامل أسهمت في صرف نظر هرتسل عن أمريكا الجنوبية واتجاهه نحو فلسطين . ولعل أكثر ما ركز تفكير هرتسل على فلسطين كان الصهاينة أنفسهم من أصدقائه وزائريه الذين استغربوا تردده في أمرها ، وكذلك حماس اليهود البريطانيين ويهود فلسطين أيضاً (٢) . وهذا ما جعل هرتسل يقول : « لن يريد اليهود الذهاب الى الارجننتين ولكن الى فلسطين » (٣) . وهكذا بدأ اهتمام هرتسل ينصرف كلية الى فلسطين في أقل من سنة من بدء الدعوة رسمياً . حتى أن بعض الذين طالعوا كتيبه « دولة اليهود » أخذوا يتنبأون عن موعد « عودة » اليهود الى فلسطين . ويبدو ان هرتسل أخذ يتعلم عن حدود فلسطين « اليهودية » حين نشر أمامه (هكلر) خارطة فلسطين في مقصورتها بالقطار الذي كانا يستقلانه عائدين من مقابلة موفقة مع دوق بادن الكبير . « نشر هكلر خرائط فلسطين التي كانت معه ، وأخذ يشرح ساعات - يجب أن تكون الحدود الشمالية الجبال التي تقابل كابادوكيا (في تركيا) ، والحدود الجنوبية قناة السويس ، وسيكون شعارنا : فلسطين داود وسلیمان » (٤) . وبحسابات تنبؤية عجيبة أقنع (هكلر) ، صاحبه هرتسل بأن عامي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ سوف يشهدان استعادة اليهود لفلسطين ، ولذا فلا يجب إضاعة

(١) يوميات ٢٢ ص ٥٠٠ .

(٢) المصدر السابق ١٢ ص ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٤١٦ ، ٢٢٤ ، ٢١٦ - ٥١٧ .

(٣) يوميات ١٢ ص ٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق ١٢ ص ٣٤٢ وأيضاً Menuhin, op. cit , P. 44

الوقت : « هكلر » قريب من دوق بادن الكبير ، وهذا بدوره يعرف قيصر ألمانيا الذي هو أنير لدى سلطان تركيا - حاكم فلسطين - فهنا السبيل للوصول الى الهدف ! وتمت مقابلة هرتسل للقيصر ، ولم تسفر المقابلة عن شيء مطلقاً . ولكن هرتسل خطب بعد رحلته في اجتماع حاشد بلندن ، مشيداً بما حققه . ونقلت صحيفة (العالم اليهودي) اللندنية مقالته هرتسل لسامعيه : « أنا لا أريد أن أرسم صورة الوطن لكم ، لأنه سوف يتحقق سريعاً ، أنا مدرك لما أقول ، ولم أتحذّر بمل هذا التحديد قبل الآن ، وأنا أطلب منكم أن تقبلوا كلمتي هذه حتى ولو لم أستطع أن أجعلها محددة تماماً » . ولكن خيبة الأمل صفت الحالمين بعد أن علموا أن البيان الرسمي الذي صدر عن زيارة القيصر الألماني لفلسطين ، لم يعرّف حتى هوية هرتسل الذي كان استقبله ، وانكشف هرتسل بأنه رجل مغرق في الخيال ، يتعمد الكذب ، وبعد سامعيه بأكثر مما يستطيع عمله . وهو يخادع نفسه والآخرين ، ويشير اهواء الجماهير ويضلّلتها »^(١) .

وسائل هرتسل : وهذا يفضي بنا الى شرح وسائل صهيونية هرتسل التي استخدمها قبل مؤتمر بال وبعده . والحق انه لا يتسع المجال لبسط القول فيها ؛ وحسبنا أن نقول بأن هرتسل كان يؤمن باستغلال كل شخص او فئة او جماعة أو مؤسسة أو حكومة ، تضمن له بلوغ هدفه أو تقربه منه . فهو لا يتورع حتى عن استغلال رجال الدين الذين كان يرى أنهم دعامة الثانية بعد الارستوقراطيين في دولته^(٢) . كتب في منتصف حزيران ١٨٩٥ يقول : « سيكون الحاخامون من أسس منظمتي ، وسوف أكرمهم . إنهم سيحتمسون الناس .. ومكافأة لهم سيكون لهم سلطة كهنوتية معززة . »^(٣) وكان هرتسل يفيد من

Lawenthal, op. cit . , P. 298

(١)

(٢) كتب هرتسل في يومياته بتاريخ ١٨٩٥/٦/٩ ، بتخيل نظام الحكم في دولته العتيدة؛ « إنني أختار الارستوقراطية لأنني بحاجة الى شكل مرن من الحكم في المستقبل . ان الملكية تؤدي الى الثورة ، أما الجمهورية فليس لها الفضائل الكافية » . يوميات ١٢ ص ٦١ .

(٣) يوميات ١٢ ص ١٠٤ .

سذاجة اتباعه وحبهم للألقاب والمظاهر : « اليهود يتوقون دائماً للاحترام ، لأنهم شعب مرذول ، فإذا ما عطينا بهذا ، نستطيع ان نسيرهم كيفما نريد »^(١) . وفي ما كتبه عن تخبئه لعلاقات « دولته » مع جاراتها في امريكا الجنوبية - وكان يومذاك يرى إقامتها هناك - ما يكشف عن حقيقة نوابه في استغلال العالم غير اليهودي ... « سمنحهم قروضاً مقابل امتيازات أرض و ضمانات لنا . ومن الأمور التي يجب ان يقبلوا بها هو السماح لنا بأن تكون لنا قوات دفاع . سنكون بحاجة الى إذن منهم في البدء ، ولكننا سنقوى بالتدريب ونمنح أنفسنا ما نريد ، ونصبح قادرين على مجابهة كل إنسان »^(٢) .

وإذا كان الاستغلال وسيلة هرسل الأساسية في أسلوبه العملي ، فهناك وسائل أخرى لا تقل عنه شأناً وهي :

١ - الرشوة ، وهذه لها مقام خاص عنده ، وتشكل سلاحاً رئيسياً يدحر به خصومه ، أفراداً وحكومات . وبومياته حافلة بأرقام المبالغ التي كان يدفعها لعملائه من اليهود وغيرهم . وحتى الأصدقاء والمعاونين كان يعدمهم بالمال والربح ليضمهم الى صفوفه ويستخدمهم في أغراضه . وفي بومياته عن شهر حزيران ١٨٩٥ ، تبرز الرشوة بشكل ملحوظ ، وقد فكر بها هرسل منذ عام ١٨٩٣ ، حين أراد رشوة البابا في روما ، وذلك حين تعهد له بأن يجعل أبناء اليهود مسيحين ، إن هو ساعد اليهود ضد اللاسامية^(٣) .

٢ - التهديد والتشهير ، والتفكير بإنشاء جيش يهودي يقوم ، عن طريق العنف ، بفتح البلد الذي يريد وطناً لليهود ، في حالة إخفاق مساعيه باللين والرشوة والهدايا والاستغلال^(٤) ..

(١) بوميات ١٢ ص ٢٠٨ .

(٢) بوميات ١٢ ص ٧٠ .

(٣) بوميات ١٢ ص ٧ .

(٤) بوميات ٤٤ ص ١٣٨٦ ، ١٢ ، ٤٢٠ ، ٢٢ ، ٥٨٩ .

٣ - الكذب والخداع والنفاق والازدواجية في أسلوب العمل ؛ كثيراً ما يكتب هرتسل عن نجاح عظيم موهوم أحرزه . من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، أنه فشل في حزيران ١٨٩٦ في تأمين مقابلة مع السلطان عبد الحميد ، فطالب هرتسل بوسام من السلطان ليخضع به الناس : « اذا رفض السلطان أن يستقبلني ، فليعطني على الأقل اثباتاً على أنه بعد أن استمع إلى اقتراحي ورفضه ، ما يزال يريد أن يبقى على نوع من العلاقة بيننا : مثلاً وسام من رتبة عالية يبرهن على هذا . . لم أهتم يوماً بالأوسمة ، ولا أهتم بها الآن ، ولكنني أريد شاهداً أمام من أتعامل معهم في لندن على أنني حزت قبولاً لدى السلطان »^(١) .

ويعترف هرتسل أنه يبقي الناس على جهلهم به ، وأنه يستعمل الأساليب البراقة لخداع الناس وأنه يستخدم أراذل القوم ، وأنه لا يأمل بتحقيق أهدافه بالوسائل التي يعلن عنها^(٢) . وقد لخص هرتسل أسلوب الكذب والخداع والتزييف الذي يمارسه ، في يومياته بتاريخ ١٢ أيار ١٨٩٨ على النحو التالي : « الضجيج هو كل شيء ! الضجيج في الحقيقة يعني شيئاً كثيراً . الضجيج المدعم هو مجد ذاته (براءة) جديرة بالاعتبار . ان تاريخ العالم لا شيء سوى الضجيج : ضجيج السلاح والأفكار المتقدمة . وعلى الرجال أن يستخدموا الضجيج »^(٣) . . وقال أيضاً : « كل ما يعني هو أن تتكلم ، حتى ولو تكلمت ضد الصهيونية . لكن لا تصمت إزاء الموضوع . الحديث عن الشيء ولو بتفاهة ، يعرضه على أنظار الناس ، هذا هو فن الخطابة »^(٤) . وموضوع الضجيج هنا ، وهو صنو

(١) يوميات ، ١٢ ص ٣٩٧ - ٤٠٠ . وحصل هرتسل على وسام الكومودور من الرتبة المجيدية .

(٢) يوميات ٢٢ ص ٦٤١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ .

(٣) Lowenthal , op cit . , P. 231

(٤) يوميات ٢٢ ص ٥٠٧ .

الحديث المعاد المكرور ، هو ما تبذره أذهان الصهاينة من دعاوى ومطالبات وشعارات لا تستند إلى الحقي والتاريخ والطبيعة ، وإنما تقوم على الالتحال والتزييف والتلفيق . والصهيونية التي لا تؤمن بالمثل والقيم المعنوية تحاول عن طريق هذا الضجيج أن تقنع ضمائر (الأمم الأخرى) بأنها حركة إنسانية في المقام الأول ، وذلك بتزوير التاريخ ، والتباكي على ظلم الانسان للانسان ، وتندب حظ اليهود العائر ، بينما هي خالقة ذلك الحظ والمحترقة عليه . كل ذلك يجري وسط ضجيج مفتعل ، يطغى على الأصوات الصادقة حتى يكاد ينفي وجودها ، ويسكت الألسن الناقدة ، ويغلق الأعين الفاحصة . وقد برع الصهاينة في تقهم ما عناه زعيمهم هرسل بالضجيج ؛ فمضوا يغرقون البسطاء في موجه ، ويخدرونهم بسمومه ، ويحيطونهم بستار محكم من التجهيل حتى يعجزوا عن التفكير السليم ، وحتى لا يصحوا من تأثيرهم وخداعهم . والغاية من الضجيج الهرتلي تجنيد أكبر قطاع ممكن من الرأي العام لتأييد القضية المطروحة ، وخلق جوٍّ من الضغط الذي يسفر عن نتائج مقصودة في مرحلة معينة . وسنرى أن هذا الأسلوب لقي نجاحاً باهراً في الولايات المتحدة الامريكية .

وما قاله هرسل عن فلسطين ، يوضح تماماً أسلوبه المفضل المتعدد الوسائل . قال إنه سوف يستولي على أرضها بكل وسيلة ، ودعا الى استغلالها دونما اعتبار لأبسط الحقوق المشروعة والمعاني الانسانية ، حين كتب صراحة في ١٢ حزيران ١٨٩٥ يقول : « عندما نحتل البلاد ، سنعمل سريعاً على إفادة الدولة التي ستأخذنا (إليها) ، ويجب أن نستخلص ملكية الأرض التي ستعطي لنا ، ولكن بالطف والتدرج . سنحاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح الى البلدان المجاورة ، وذلك بتأمين أشغال لهم هناك ، ورفض إعطائهم أي عمل في بلدنا ، أما أصحاب الأملاك فيسكونون بجانبنا . على أننا يجب ان نقوم بكثي العمليتين ، استخلاص الأرض ، وإبعاد الفقراء بتعقل وحذر . يجب أن نعمل على ايهام اصحاب الأملاك غير المنقولة ، بأنهم يمدعوننا ببيعهم الأشياء بأكثر مما تساوي . وأما نحن

فلن نبيعهم شيئاً . سيقوم عملاؤنا السريون باستخلاص الأملاك ، عن طيب خاطر ،
وستدفع الشركة (اليهودية) أثماناً باهظة . ويومذاك سنبيع لليهود فقط ، وستكون المتاجرة
بالعقارات جائزة بين اليهود فقط . طبعاً لن نستطيع أن نصرح بهذا ، ونعلن بأن أي بيع
آخر ليس قانونياً . . لذلك فيجب أن نحافظ على كل ما يباع من ممتلكات عن طريق افساح
المجال للشركة كي تشتريه ثانية ،^(١) . .

أما عرب فلسطين ، وأصحاب البلاد الشرعيين ، فلهم مهمة يقومون بها لدى هرتسل :
« اذا رحلنا إلى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما لا قبل لليهود به ، مثل الأفاعي الكبيرة
وغيرها ، فاستخدم أهل البلاد - قبل أن أعطيهم أعمالاً في البلدان المجاورة - ليقتروا على مثل
هذه الحيوانات ، جوائز كبيرة لمن يأتي بجلود الأفاعي ويوضا الخ ،^(٢) ! . .
هذا عن أفكار الصهاينة وخطط هرتسل قبل مؤتمر بال ، فما هي المساعي والجهود
التي قام بها بعد مؤتمر بال وماذا كان مصيرها ؟!

(١) المصدر السابق ، ١٢ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ١٢ ص ٩٨ .

الفصل الثالث

فشل مساعي صهيونية هرتسل السياسية (١٨٩٧ — ١٩٠٤)

قرر هرتسل أن ينعقد المؤتمر الصهيوني في مدينة ميونيخ ، ولكن يهود تلك المدينة قاوموه بشدة ، ورفضوا أن تتحول مدينتهم الى قاعدة للصهيونية . وكذلك تبرا يهود برلين من المؤتمر ، وجاروا يهود ميونيخ ، ورفضت جمعية (محبي صهيون) المشاركة في المؤتمر^(١) ، وأخيراً تقرر عقد المؤتمر في مدينة بال السويسرية .

وشكا هرتسل من أعوانه ، وهو على أبواب المؤتمر ، فقد كتب في ٢٣ آب ١٨٩٧ يقول : « الحقيقة التي أخفيها عن كل الناس هي أنه لا يوجد لدي إلا جيش من الشحاذين . إني لا أقود إلا الأطفال والشحاذين والأغرار . بعضهم يستغلني ، وبعضهم يحسني أو يخونني ، وفريق ثالث يتخلى عني في اللحظة التي يجد فيها مستقبلاً أحسن . القليلون فقط هم متحمسون بدون أنانية »^(٢) .

وخشي هرتسل أن يكشف اجتماع المؤتمرين ، بعضهم ببعض ، حقيقة الأساليب والوسائل التي تدرع بها في الدعوة للمؤتمر وحشد الجهود حول القضية الصهيونية ، فكتب يقول : « لقد وصل هكسر ، وسيصل نفلانسكي ، وكل الذين ساعدوا في خلق هذه الحركة . . بإشرافي . ستكون احدي مهاتي أن أمنع اجتماعهم بعضهم الى بعض كثيراً ، لأنهم قد

(١) المصدر السابق ٢م ص ٥٣٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٨ .

(٢) المصدر السابق ٢م ص ٥٧٧ .

يفقدون إيمانهم بالقضية وبني، اذا رأوا الوسائل الرضيعة التي استعملها في إقامة البناء الحالي. إن الأمر كله حيلة من الحيل التي تبدو طبيعية بعد حدوثها، بقدر ما كانت تبدو مستحيلة قبل حدوثها»^(١).

وكان على هر تسل أن يحسب كل المصاعب التي قد يجابهها في المؤتمر، وأن يحول دون حدوث كل ما من شأنه أن يعرقل الاتصالات الدبلوماسية الصهيونية مستقبلاً. صحيح أنه لم ينل شيئاً من السلطان العثماني، ولا من القيصر الألماني، ولا من الحكومة البريطانية أو الروسية، ولكنه لم يقطع الأمل من أحد منهم، ولذا حرص على أن لا تنزعج إحدى هذه الجهات من ردود الفعل التي قد تنشأ - ولا سيما في تركيا - ازاء ما تجري السنة المؤتمرين به، وخاصة بالنسبة للبرنامج الذي سيعلنه المؤتمر في ختام أعماله، ويجدد فيه أهداف الحركة الصهيونية ووسائل تحقيقها.

ويرى هر تسل أن ما سينجزه المؤتمر لن يحسن تقديره إلا من يعرف حساسية الموضوعات الواجب عدم اثارها خلاله، وشبه ذلك ببراعة لعبة ترقيص البيض، لامن حيث الحيلولة دون تصادمه وتحطمه فحسب، وانما أيضاً من حيث الحرص على إخفائه فلا يرى أحد أي واحدة منه. فهناك بيضة تركيا والسلطان، وبيضة الحكومة الروسية التي يجب أن لا يقال بشأنها ما يجرح برغم أن الأحوال المشينة التي يعيش فيها يهود روسيا لا بد وأن يشار إليها. وبيضة الطوائف المسيحية بسبب الأماكن المقدسة، وبيضة اليهود المتدينين، وبيضة الوطنية النسائية، وبيضة العصريين الخ ..

«لإنها باختصار، تكثيف لكل المصاعب التي جابهتها منذ البدء. يضاف إليها بيضات أخرى في رقصة البيض: بيضة ادموند روتشيلد، بيضة (محيي صهيون) في روسيا، بيضة

(١) المصدر السابق ٢٤، ص ٥٧٨.

المستعمرين . ثم هناك بيضات الخلافات الشخصية : بيضة الحسد ، وبيضة الحقد^(١) .
دعا هرتسل الجماعات اليهودية لترسل عنها مندوبين لحضور مؤتمر بال الذي انعقد في ٢٩
آب ١٨٩٧ ، حيث اجتمع ٢٠٤ أعضاء ، ولم يكونوا ممثلين منتخبين انما كانوا ممثلين
لمعظم يهود العالم بحكم الأمر الواقع . وفوق بوابة كلزينو بال رفع علم في وسطه نجمة داود
السداسية ، واعتقد معظم المندوبين أنه صورة من العلم اليهودي القديم ، وانتخب هرتسل
لرئاسة المؤتمر وتجنب في خطاب الافتتاح ذكر (الدولة اليهودية) كمطلب للصهيونية وإنما أجل
غاية المؤتمر بقوله « أننا هنا انزسي حجر الاساس للبيت الذي سيظل الأمة اليهودية . وكان هذا
الحجر بشكل قرار اتخذته المؤتمر وجاء على النحو التالي : « ان هدف الصهيونية هو انشاء وطن
ليهود في فلسطين يضمنه القانون العام ، . ولتحقيق هذا الهدف يتبنى المؤتمر الوسائل الأربع
التالية التي سميت (برنامج بال) وهي :

- ١ - تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقاً
لخطير مناسبة .
- ٢ - تنظيم اليهود وربطهم جميعاً بواسطة مؤسسات عامة على الصعيد المحلي والعالمي ،
تتلاءم مع القوانين المرعية في كل بلد .
- ٣ - تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي وتعزيزهما .
- ٤ - اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات المعنية ، حيث يكون
ذلك ضرورياً لتحقيق هدف الصهيونية^(٢) .

وجدير بالذكر أن المؤتمر للصهيونية في الأول تكشف عن أول معارضة في داخله من
جانب اليهود غير الصهيونيين الذين واجهوا المؤتمر بمعارضة عنيفة قبل انعقاده ، ولكنهم لم

(١) المصدر السابق ٢٤ ، ص ٥٧٨ .

(٢) Sokolow, N. « History of Zionism » London 1919, P. 269

يستطيعوا أن يثبتوا جدواهم لأن الجو الصهيوني قد فرض نفسه على المؤتمر وضاعت صيحاتهم في الضجيج دون أن تحظى بنتيجة إيجابية . ومن ناحية أخرى فإن الاتجاهات الصهيونية المتضاربة التي تكشفت عنها الصهيونية في مرحلة مبكرة من تطور حركتها ، وجدت صدى لها في (برنامج بال) . فمن المعلوم أن هرتسل كان يتزعم الذين لم يرغبوا في المخاطرة بمساعيم العملية قبل التأكد من ضمان الحماية السياسية . وبعبارة أخرى كان هذا الفريق يرى أن تحقيق الهدف الصهيوني مشروط بالحصول على (براءة) بقيام شركة تعمل على تهجير اليهود الى فلسطين وتوطينهم فيها ، على أن يتم ذلك تحت حماية حكومة من الحكومات أو أكثر . وقد رفض هرتسل فكرة التسلل الى فلسطين كوسيلة لإقامة الدولة اليهودية ، وهرتسل هو القائل : « ان مشاريعنا تنطوي على توظيف الاموال وإجراء التحسينات ، وأنا لا أريد لها أن توضع موضع التنفيذ مادامت البلاد ليست ملكنا » (١) .

وقد كتب هرتسل بعد سنة واحدة من بدء دعوته الصهيونية ، ضد التسلل التدريجي لليهود الى فلسطين ، فقال في أيار ١٨٩٦ : « إنني ضد التسلل ، وإذا سمح به ارتفعت أسعار الأراضي وصعب علينا شراؤها . وفكرة إعلان الاستقلال حينئذ تصبح أقوى وأعتبرها فكرة غير عملية ، لأن الدول الكبرى لن تعترف به ، حتى ولو كانت السلطة قد ضعفت كفاية . برنامجي هو من الجهة الأخرى ، وقف التسلل وتركيز كل قوانا للحصول على فلسطين في ظل القانون الدولي . وذلك يتطلب مفاوضات دبلوماسية بدأت بها ، وحملة دعاوة على واسع نطاق » . وظل هرتسل يعارض الهجرة المتقطعة طويلاً (٢) .

وقد عبر هذا الاتجاه عن نفسه في النقطة الرابعة من (برنامج بال) وسمي أنصاره بالصهيونيين السياسيين ، لأنهم يعتمدون الأسلوب الدبلوماسي السياسي في مطالبهم (براءة) تمنحهم قطعة من الأرض ، وتصلح كجسر يعبر عليه اليهود نحو جعل الأرض يهودية

(١) يوميات ٣٠ ص ٩٤٢ .

(٢) المصدر نفسه .

وأصار الاتجاه المضاد بدعون بالصهيونيين العمليين ، ورأى هؤلاء أن خطورة الوضع اليهودي تفرض العمل بأي شكل وبأي أسلوب ومهما ارتفع الثمن ، ورفضوا أن ينظروا في أي عرض لإقامة وطن أو أمة يهودية في أي مكان غير فلسطين . وقالوا بوجود التركيز على النقطة الأولى في برنامج بال ، وذلك مباشرة التسلل والهجرة الجماعية الى فلسطين والاستحواذ على أراضيها ، على أن يتلو ذلك الحصول على موافقة الحكومة او الحكومات المعنية لانشاء الدولة اليهودية . وكان على رأس هذا الاتجاه زعماء حركة (محبي صهيون) وغالبية أنصاره من يهود أوروبا الشرقية . ولا حاجة الى القول ان الفارق بين الاتجاهين (السياسي) و (العملي) لا يعود الى المبدأ ، بقدر ما يعود الى التركيز على بند دون آخر وعلى الأسبقية الزمنية .

هذا إلى أنه تحدد في مؤتمر بال الهدف المرحلي الصهيوني ، وهو إنشاء (وطن) أو (منزل) للشعب اليهودي في فلسطين وتحديد الهدف بهذا الشكل يمثل في الواقع تسوية عامة وحلاً وسطاً بين ما تصوره هرتسل من إنشاء (دولة) وما تصورته غالبية المؤتمر التي اعترضت على فكرة (أمة يهودية) . وأبدل شعار (الدولة) ظاهرياً وموقتاً بشعار غامض (وطن) يرضي جميع الاتجاهات ، ويفرق بين جميع النزعات ، دون ان يكون له مدلول سياسي وحقوقى محدد . فقد ثبت ان لفظه (وطن) ادعى للقبول بها من جانب أثرياء اليهود المندمجين ، والمؤيدين للاستيطان في وجهه العملي لا السياسي ، وأقل استشارة للنفور والمعارضة من جانب الحكومة العثمانية والحكومات الاوربية . فضلاً عن أن لفظه (وطن) يمكن تأويلها بسهولة - وفي الوقت المناسب - بحيث تعني (دولة) . وقد علق هرتسل نفسه على هذه المسألة بقوله : « لا داعي للقلق ، فوف يقرؤها الناس (دولة يهودية) على أبة حال » . أو كما دون في يومياته بعد الأيام الثلاثة الأولى التي استغرقتها لجان المؤتمر : « لو أني جئت لأوجز مؤتمر بال في كلمة واحدة - وهذا ما لن أفعله جهاراً -

لقلت : في بال أتمت الدولة اليهودية . ولو أتي أعلنت هذا القول اليوم ، لقابطني العالم كله بالهزء والسخرية، ولكن ربما في مدى خمس سنوات، وبالتأكيد في مدى خمسين سنة، سوف يرى كل إنسان الدولة اليهودية ،^(١) .

ونذكر - استطراداً - أن الصهيونية ظلت تلحح طوال عشرين سنة على أن إنشاء (وطن) هو هدفها ، إلى أن سمحت ظروف الحرب العالمية الأولى للأسلوب المرحلي الصهيوني الدبلوماسي ، أن يظفر بـ (براءة) إنشاء (وطن قومي) ، وهذا مدلول جديد أقل من الدولة وأكثر من (وطن) . وأقطاب الصهيونية شدّدوا على وجوب التمييز بين الهدف المرحلي المعلن : (الوطن القومي) ، وبين الهدف النهائي المستور : (الدولة) . وفي الوقت نفسه كان البريطانيون الذين جاؤوا بالصهاينة الى فلسطين ، يبددون مخاوف العرب بأن (الوطن القومي) لا يعنى (الدولة) ، وفي غضون هذه الفترة لم ينفك زعماء الصهاينة لحطة عن تذكير أنصارهم بأن الهدف النهائي للحركة ما يزال إقامة الدولة ، وما عدا ذلك تمويه مقصود ، يوجه الأسلوب المرحلي ، ومبدأ الواقعية والمرونة ، لتفادي المعارضة وتكتيل الأعداء قبل الأوان .

وكان على المؤتمرين في بال أن يبحثوا بعناية في تنسيق جهودهم الموزعة على أقطار العالم المختلفة ، حينما وجد فيها يهود ، وينظروا في إقامة منظمة صهيونية عالمية تشرف على تنفيذ (برنامج بال) ، وتستقطب المشاعر (القومية) لدى اليهود ، وتحوّلها إلى قوة سياسية ضاغطة ، وتشجع الهجرة الى فلسطين واستيطانها ، وتجمع المال لتغطية نفقات الحركة الصهيونية في تنظيمها ونشاطها . وقد جابه الزعماء الصهاينة عدة عقبات في مرحلة تأسيس

(١) يوميات ٢٤ ص ٥٨١ .

المنظمة الصهيونية العالمية : منها افتقار هرتسل ومعاونه للخبرة الادارية اللازمة^(١) ، وانعدام الموارد المالية الضرورية لترسيخ دعائم المنظمة الصهيونية . ويوميات هرتسل حافلة بشكاواه من معاونه بسبب ما وصفه بجهلهم وأنايتهم وجشعهم وتقاعسهم ؛ فكان دائم النقد لهم والتشهير بهم والاختلاف معهم ، وكان تهديده لهم ونعتهم بأسوأ النعوت أمراً مألوفاً بقدر ضيقه بهم وبأسه من صلاحهم^(٢) . ومن العقبات أيضاً انتشار اليهود في جهات العالم الأربع ، وما ينجم عنه من صعوبات في التوجيه والربط والتنسيق بين مختلف وحداتهم العاملة ، وما يتصل بذلك من عدم سماح بعض الدول لليهود فيها ، بالانضمام الى تنظيم يتعدى حدودها . وأخيراً ، لا آخرأ ، المعارضة العنيفة التي كان يبديها العديد من الدول والشعوب ، وغالبية اليهود أنفسهم للأفكار والمخططات الصهيونية آنذاك .

وللتغلب على هذه العقبات ، واتلاني العجز الظاهر في الجهاز الاداري الصهيوني ، تقرر-

(١) يعترف هرتسل بذلك حين يقول في يومياته غداة مؤتمر بال : « افتقرت في اليوم الاول عدداً من الاخطاء . اما في اليوم الثاني فكنت قد أصبحت في مستوى الوضع ... كل واحد تقدم إلي بطلب معلومات عن كل شيء ، المهم منها وغير المهم ، كان اربعة أو خمسة يتحدثون إلي في الوقت نفسه دائماً وهو ارهاق عقلي هائل ، لأنه يجب الاجابة على كل واحد منهم بجواب محدد حاسم . أحسست كأنني مضطر أن ألعب اثنين وثلاثين لعبة شطرنج في آن واحد » (٢٢ ص ٥٨٦) .

(٢) كتب يقول في زميله ماكس نورردو : « غضب نورردو في المؤتمر التمهيدي لعدم انتخابه رئيساً . وفي غيره » « لأنني لم أكن موجوداً في القاعة عند مناقشة الاستيطان تسلل بامبس الى المنصة ودخل احدى اللجان ، سمحت لابن الزانية بالذهاب ، كما سمحت للوغدشيلد .. » . (٢٢ ص ٥٨٥) وكتب هرتسل في برنباوم : « يلعب برنباوم الذي يزداد وقاحة واستجداء ، أوراقه كلها ليصبح سكرتيراً عاماً . حتى الآن لا يوجد قرش واحد ، ومع هذا بدأ يطلب من اللجنة تسديد ديونه وإعطائه وظيفة .. مقابل كتيب ظل مجهولاً ، وبعض المقالات . لما ظهرت حلى المسرح كان قد ترك الصهيونية منذ ثلاثة أعوام وغول الى الاشتراكية ، وبالرغم من هذا أشاع في بال أنه لولاه لما أمكن قيام هرتسل ومؤتمر بال .. » (٢٢ ص ٥٨٩ الخ ...)

وفقاً لبرنامج بال - أن يشكل جهاز مركزي للمنظمة الصهيونية العالمية^(١) . أما الأجهزة الصهيونية المحلية المزمع اقامتها في كل بلد توجد فيه جالية يهودية ، فقد قرر مؤتمر بال وخلق الاطار العام لهذه الاجهزة ، مع ترك شكلها النهائي وشكل العضوية فيها لكل بلد على حدة ، وذلك لصعوبة تحديد شكلها واعمالها بسبب إمكان تعارض ذلك مع قوانين البلدان المعنية^(٢) . أما العضوية في المنظمة الصهيونية العالمية ، فتمنح لمن يلتزم ببرنامج بال ، ويدفع رسم العضوية بحيث يمكنه أن ينسب عنه ممثلاً أو أكثر في المؤتمر الصهيوني . وبذلك جرت تعبئة القوى اليهودية الصهيونية بشكل فعال .

(١) تألف الجهاز المركزي للمنظمة من ست هيئات :

١ - المؤتمر الصهيوني « وهو السلطة العليا في الحركة الصهيونية » يجتمع مرة كل عام . ويتألف من دافعي (الشيل - Shekel) وهو رسم للعضوية بقيمة المارك الالمانى آنذاك . والمؤتمر ينتخب من بين أعضائه رئيس المنظمة ، ونائبه ، واللجنة التنفيذية ، والمجلس العام . أما الأعضاء الذين يتألف منهم المؤتمر الصهيوني نفسه ، فينتخبهم أعضاء المنظمة (دافعو الشيل) في البلدان المختلفة على أساس ان لكل عضو ممثلاً واحداً للمؤتمر . والمؤتمر الصهيوني هو الذي يرسم السياسة الصهيونية ويعبر عن آرائها .

٢ - المجلس العام - هو السلطة العليا في غياب المؤتمر ، وعدد أعضائه ٢٣ يمثلون المنظمات الفرعية القومية المتعددة ، وخمسة منهم يشكلون الاداة التنفيذية الحقيقية .

٣ - اللجنة التنفيذية - ينتخب أعضاؤها من بين أعضاء المجلس العام ، يقيمون في فينا أو حيث يقيم رئيس المنظمة . ومهمتها تطبيق مقررات المؤتمر ، وتقديم تقرير عن اعمالها الى المؤتمر الصهيوني القادم .

٤ - رئيس المنظمة الصهيونية - يرأس اجتماعات المجلس العام واللجنة التنفيذية والمؤتمر الصهيوني وينطق باسم المنظمة .

٥ - نائب رئيس المنظمة - يحل محل الرئيس في مهامه عند الحاجة .

٦ - مكتب التوجيه المركزي مهمته التنسيق بين الاجهزة المركزية والاجهزة المحلية . (انظر اسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ص ٣٣ - ٣٥) .

Bein, Alex, «Theodore Herzl: A Biography» Philadelphia, 1940, p.240 (٢)

نما الجهاز التنظيمي في السنوات السبع الأولى التي تلت مؤتمر بال ، وقد طرأ على أسس التنظيم الكثير من التعديل والتغيير بحكم الظروف والحاجات المتغيرة . وأقيمت في عهد هرتسل ، وقبل وفاته ، المؤسسات الصهيونية التنظيمية الادارية والمالية ، وبذلك تغلبت الحركة الصهيونية على أصعب العقبات التي واجهتها . وهكذا قامت الجمعيات الصهيونية في كثير من بلدان العالم ، بعد المؤتمر الصهيوني الأول ، وتضاعف عددها ثماني مرات بحلول موعد المؤتمر الصهيوني الثاني الذي عقد في بال أيضاً (آب ١٨٩٨) ، كما تضاعف عدد أعضاء المؤتمر نفسه مرتين ، وامتاز عن المؤتمر الأول بحضور ممثلين منتخبين لأول مرة . كذلك شهدت المؤتمرات الصهيونية التي تلتها نمواً في عدد الأعضاء المشتركين ، وتزايد عدد الجمعيات الصهيونية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا وغيرها^(١) .

وفي الوقت نفسه أدرك زعماء الصهيونية ، وعلى رأسهم هرتسل ، ضرورة إيجاد بنك صهيوني ، إذ بدونه تغدو آمالهم في الهجرة والاستيطان حلاماً بعيد المنال . ونظراً للصعوبات التي واجهتهم ، لم يتمكنوا من اتخاذ قرار بإنشاء (الصندوق القومي اليهودي - الكيرن كيمت) إلا في المؤتمر الصهيوني الخامس في بال (آب ١٩٠١) . وكان القصد منه : والحصول على أراض في فلسطين ، تكون ملكاً للشعب اليهودي ، ولا يمكن التفريط بها ، وان يكون الصندوق قائماً كلياً على تبرعات طوعية من اليهود في جميع أنحاء العالم ،^(٢) .

إذن فقد أصبح لليهود الصهاينة ممثل رسمي يتحدث باسمهم لأول مرة ؛ فاستغلوا المسألة اليهودية ونقلوها من الصعيد الداخلي المحلي للدول التي يقيم فيها اليهود ، إلى الصعيد الخارجي الدولي ، وبدأت الاتصالات الرسمية الصهيونية مع الدول الكبرى ، إثر اعترافها بشخصية المؤتمر الصهيوني العالمي كأمر واقع لا كأمراً قانوني . وباشر زعماء الصهاينة عملهم بشكل

Cohen, Israel : «Theodore Herzl: Founder of Political Zionism» (١)

N . Y . 1959, p.228

ibid,p.255

(٢)

عني - بعد أن انتقل الكفاح الى مرحلة جديدة ، هي مرحلة العمل من أجل بناء صهيون - كما قال هرتسل في خطابه الختامي لأعمال المؤتمر .

وكانت النقطة الرابعة من برنامج بال التي نصت على ضمان موافقة الحكومة من أجل تحقيق هدف الصهيونية ، تنسجم مع مخططات هرتسل ومسايعه الدائبة التي شرع فيها قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول . لقد نجح هرتسل في اعطاء العمل الدبلوماسي مقام الصدارة في برنامج العمل الصهيوني ، ولكنه فشل في الوصول به الى النتائج التي علقها عليه . تكشف عن ذلك مفاوضاته التي أجراها (تنفيذاً للنقطة الرابعة في برنامج بال) مع المانيا والسلطنة العثمانية وبريطانيا بصفة رئيسية . مع القيصر الألماني ولهم ، جدد هرتسل مساعيه حتى ظفر بقبالته مرتين أثناء زيارة القيصر للآستانة ثم للقدس . ولكن المقابلتين أسفرتا عن الفشل الذريع . وقد وردت في يوميات هرتسل تفاصيل عن المقابلين ، وما سبقها وما لحقها ، نعرض لبعضها لأنها تلقي الضوء على النوايا الصهيونية ، وتوضح اسلوب العمل الصهيوني ، وطرق الاغراء التي اتبعتها مع جميع الاطراف المعنية . والاسلوب نفسه مع كثير من البراءة الدبلوماسية المشهودة سيلتزمه وايزمن في تعامله ، مع الدولة (بريطانيا) التي نجحت معها ، أخيراً ، المساعي الصهيونية في الحصول على (البراءة) عن طريق إبرام صفقة مرضية لكليهما . فبعد أن تأكد هرتسل من مكانة القيصر الرفيعة لدى السلطان ، أخذ يصرح بأطماع الصهيونية في فلسطين . قال بوضوح إنه يريد دولة تمتد من النيل الى الفرات « لقد تحدثت مع بودنهايمر (صهيوني يهودي) في أمر الطلبات التي تريدها . المساحة : من وادي النيل الى الفرات . على ان تمر مؤسساتنا الخاصة بفترة انتقالية ، وأن يكون هناك حاكم يهودي اثناء هذه الفترة ، وبعد ذلك تقوم علاقة بيننا مثل علاقة مصر والسلطان . عندما يصبح اليهود ثلثي السكان في مقاطعة ما ، تتحول الادارة اليهودية الى قوة سياسية »^(١) .

تقابل القيصر الألماني مع هرتسل يوم ١٨ تشرين الأول ١٨٩٨ ، وسأل القيصر :

(١) يوميات م ٢ ص ٧١١

ماذا تريد ان اطلبه من السلطان ، وأجاب هرتسل : شركة قانونية - تحت الحماية الألمانية ، وانتهت المقابلة مع الوعد ببقاء آخر في فلسطين . وأرسل هرتسل - بناء على طلب القصر - نص الخطاب الذي سيلقيه هرتسل أمامه في القدس ، وفيما يلي نصه نوره لأنه يعكس نمط التفكير الصهيوني الذي ما يزال هو هو في تبرير وتفسير اغتصاب الحقوق العربية في فلسطين :

« يتقدم ، باحترام عميق ، وفد من أبناء اسرائيل الى القصر ، في البلاد التي كانت لآبائنا ، والتي لم تعد بعد لنا ، لا يربطنا بهذه الأرض المقدسة لقب احتلال حقيقي ، وقد مرّ على هذه الأرض التي كانت يوماً يهودية ، أجيال كثيرة ؛ فإذا تكلمنا عليها ، فنحن كأنما نتكلم على حلم أيام قديمة جداً ، ولكن الحلم ما يزال حياً يعيش في مئات الألوف من القلوب ، وقد كان ولا يزال البلم الشافي في ساعات الألم لشعبنا المسكين . . . ان صهيونية اليوم صهيونية عصرية . . . وتهدف الى حل المسألة اليهودية على أساس إمكانيات الوقت الحاضر ، ونحن نؤمن أننا قد ننجح الآن ، لأن الانسان اصبح غنياً جداً في وسائل التنقل وطرق انجاز العمل . فالشاريع التي كانت تبدو مستحيلة منذ نصف قرن ، أصبحت أمراً عادياً اليوم . غيرت قوة البخار والكهرباء وجه العالم ، وبمثل هذه الامور يجب ان نصل الى حلول انسانية . وفوق كل هذا فإننا قد ننجحنا في اثاره الشعور القومي عند اخواننا الموزعين في كل مكان . ففي مؤتمرات بال وضعنا برنامج حركتنا أمام العالم كله ، وهو : ان نخلق ضمن القانون المدني ، وطناً قومياً للشعب اليهودي . هذه أرض أجدادنا ، أرض صالحة للاستعمار والزراعة ، لقد رأيتهم جلالتمك البلاد ، انها تستصرخ أناساً ليعملوا فيها ، وبين اخواننا جماعة ضخمة من العمال يصرخون طالبين أرضاً يزرعونها . . . ونحن نعتبر قضيتنا قضية سامية جدية بأن نحوز عطف كبار الأدمغة . لذلك فنحن نطلب من جلالتمك مساعدتكم السامية من أجل المشروع . ولكننا ما كنا نقدم على مثل هذا الطلب لو كان في خطتنا أدنى تجاوز أو تعد على حاكم هذا البلد . . . ونحن متأكدون أن الخطوة الصهيونية

ستحمل معها الخير لتروكيا؛ ستحمل الى هذه البلاد موارد عملية، وستعمل على تشيير مساحات واسعة من الأرض المهملة في المستقبل القريب، وفي هذا كله زيادة في السعادة لأناس كثيرين. نحن نخطط لقيام شركة يودية لأراضي سورية وفلسطين، والتي ستأخذ على عاتقها مهمة القيام بهذا المشروع. ونطلب لها ان تكون تحت حماية القصر الألماني. وفكرتنا هذه لانسيء الى حقوق أحد ولا الى مشاعره الدينية. انها تؤمن المصالحة التي طالما كانت مرغوبة. نحن نعرف ونحترم جميع الأديان التي قامت على التربة التي عليها أيضاً قام دين آبائنا»^(١).

وفي مقابلة هرتسل للقصر في القدس، لم يحصل منه على شيء، ولم يكن هرتسل راضياً عن المقابلة: «عند ذهابنا قلت لشناير: لم يقل نعم ولا قال لا»^(٢)! والحقيقة أن الفشل التام كان حليفه بدليل ما ورد في البيان الرسمي الصادر عن زيارة القصر للقدس وفيه فقرة تقول: «في جوابه على خطاب لرئيس وفد، قال القصر ولهم إنه يمكن الاعتماد على اهتمامه الخيري في تحقيق كل جهد يهدف إلى زيادة الرفاهية في الامبراطورية التركية، ضمن الاحترام الكامل لسيادة السلطان»^(٣). ولكن لتأمل في ما بيته الصهانية من (أمر واقع) لأجل سعادة وارتقاء الكثيرين من أهالي فلسطين، توضحه رسالة هرتسل الى نصيره دوق بادن الكبير، يطلب فيها مساعدة الحكومة الألمانية (آذار ١٩٠٠): «ما لم يكن شيء يخدمني، فإن اللحظة المناسبة للعمل قد حانت، والوضع الدولي اليوم مناسب أيضاً. فقد صُرف انتباه القوى المتصارعة حالياً عن المشرق، ويمكن تدير أمر (أمر واقع) بدون إثارة معارضة كبيرة. هذا (الأمر الواقع) هو ما نسعى اليه منذ وقت طويل. كل المتطلبات جاهزة. لقد أنشأنا بكل حذر، منظمة لجاهيرنا، مستعدة للتحرك. بإشارة

(١) يوميات - المصدر السابق ٢٢ ص ٧١٩.

(٢) المصدر السابق ٢٢ ص ٧٥٧.

(٣) المصدر السابق ١٢ ص ٢٩٨.

واحدة ينطلق مئات الألوف بالحركة . وأستطيع أن أقدر ان عدد المستعمرين الذين يستطيعون الوصول الى فلسطين في مدة سنوات قليلة بثلاثة أو أربعة ملايين نسمة ، حسب مصادر يوثق بها من عملائنا السريين . وتغطية النفقات المالية الباهظة حتى منذ البدء مؤمنة ، ومعظم الدول المهمة ليست ضدنا ، اذا لم تكن معنا بالفعل . أما تركيا فقد نجحت في كسب المؤيدين في الدوائر الحكومية . أما القرار فهو بالطبع بيد جلالة السلطان وحده . . . هناك أمران ضروريان لتحقيق المشروع العظيم : اولهما مساعدة جلالة القيصر الألماني مساعدة شخصية مع جلالة السلطان . . . ثانيها ، موعد مع جلالة امبراطور روسيا ، ولهذا غاية مزدوجة : فمن جهة يجعل الجماهير الروسية ترى أن حر كتنا تال الخطوة ، ويجعل الحكومة التركية من جهة ثانية تدرك أنها يجب أن لا تخشى معارضة من ذلك الجانب ، إذا عقدت ميثاقاً معنا . . . ولن يكتشف أحد أن المسألة كلها تحت مشاركة ألمانيا وحمايتها ، إلى أن يقرر جلالة القيصر الألماني أن اللحظة لذلك قد حانت . . . يمكن إجماعية المانية بدون تضحية وبدون أية مخاطرة . آسيا الصغرى تحت النفوذ الألماني ،^(١) .

ومع الجانب العثماني ، استعمل هرتسل أسلوبه المفضل : (الرشوة) يبذلها بسخاء للوسطاء والعملاء من أتراك وغيرهم ، كما تفلح محاولاته في مقابلة السلطان وإقناعه . وأخيراً حظي بعد ثلاث سنوات من الجهود المستمرة بالمقابلة لا بصفته رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية ، وإنما بصفة صحفي يهودي لا مع^(٢) . ويبدو أن عميل هرتسل واسمه (فامبري) وهو مستشرق يهودي مجري عجوز ، وعريق في العمالة ، هو الذي هيا هذه المقابلة ، وحذر هرتسل : إياك أن تحدثه عن الصهيونية . . . القدس مقدسة لدى هؤلاء

(١) يوميات ، ٣٢ ص ٩٠٩ .

(٢) Bein, op. cit , p. 352 وفي يوميات هرتسل : « لا بصفته صهيونياً وإنما بصفته رئيساً لليهود وصحافياً متنفذاً » ٣٢ ص ١٠٩٢ .

الناس مثل مكة، إلا أن الصهيونية جيدة ضد المسيحية»^(١) وبهذا المفتاح في يد هرتسل، دخل لمقابلة السلطان . ولكن لا هذه المقابلة ، ولا المقابلتين اللتين أجراهما هرتسل ، من بعد ، مع السلطان أسفرت عن أي نجاح ؛ فالسلطان رفض منح حقوق غير محددة بالهجرة اليهودية الى فلسطين ، مقابل سداد المنظمة الصهيونية الدين العام للسلطنة^(٢) .

وقد نقل الى هرتسل جواب السلطان النهائي على مشروع (تهجير اليهود الى فلسطين) ومنحه براءة ذلك في شهر آب ١٩٠٢ وجاء فيه : « يمكن للاسرائيليين أن يُقبلوا ويستقروا في الامبراطورية العثمانية شرط أن لا يكونوا جميعاً في مكان واحد، بل يُفترقوا في أماكن تعينها لهم الحكومة ، وشرط أن يحدد عددهم مسبقاً من الحكومة . وسيُعطون الجنسية العثمانية ، ويطلبون بجميع الضرائب المدنية ، بما فيها الخدمة العسكرية . كما سيكونون خاضعين لجميع قوانين البلاد ، كالأتراك تماماً»^(٣) .

وأصاب هرتسل نوبة من اليأس ، وعبر عن رأيه بالسلطات ورجال حكومته ، وهو يستعد لمغادرة الآستانة بقوله : « وبعد تقديم التحيات ، غادرت جبّ علي بابا والأربعين حرامياً»^(٤) !

وإذ قطع هرتسل الأمل من مفاوضاته مع ألمانيا والسلطنة العثمانية ، حوّل نظره إلى بريطانيا ، وكانت تحتل قبرص ، وتسيطر على مصر (بما في ذلك سيناء والعريش) ؛ وكان النفوذ الصهيوني في بريطانيا قد ازداد بدرجة ملحوظة ؛ فقد أعلن ستون مرشحاً في الانتخابات لمجلس العموم ، تأييدهم للصهيونية (تشرين الأول ١٩٠٠) ، الأمر الذي شجع هرتسل

(١) يوميات ٣م ص ١٠٦٣ .

(٢) المصدر السابق ٣م ص ١٠٧٣ .

(٣) المصدر السابق ٤م ص ١٣٤٠ .

(٤) المصدر السابق ٤م ص ١٣٤٢ .

على التدخل في الشؤون السياسية والدولية لخدمة مخططة في الوصول الى فلسطين مروراً بقبرص^(١). وشرع يعمل للحصول على (براءة) الاستيطان في قبرص، أو في سيناء والعريش، أو في المنطقتين معاً (وكان الصهاينة يعتبرونها جزءاً مما يسمونه فلسطين الكبرى)، حيث يكون استيطان اليهود نقطة تجمّع ثم انطلاق لغزو فلسطين . أو كما عبّر هرتسل عن ذلك في ٤ كانون الثاني ١٩٠١ بقوله : « إننا سوف نتجمّع في قبرص ؛ وفي يوم من الأيام سندهب منها إلى أرض اسرائيل ونأخذها بالقوة ، كما أخذت منّا في العصور الغابرة »^(٢).

طرق هرتسل باب الحكومة البريطانية، واجتمع بالمستر تشمبرلن Chamberlain وزير المستعمرات البريطاني (تشرين الأول ١٩٠٢) . قال هرتسل « هناك أراض خالية في العريش وفي سيناء ، تستطيع انكثرا ان تعطينا اياها ، ويكون لها بدل ذلك زيادة في قوتها وولاء عشرة ملايين يهودي ؛ هل تقبل أن نقيم مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء؟ أجاب تشمبرلن نعم إذا رضي لورد كرومر بذلك »^(٣).

وفهم تشمبرلن ما رمي اليه هرتسل من التجمع في إحدى تينك المنطقتين أو فيها معاً، كتمهيد لغزو فلسطين فيما بعد . ومضى يتأمر مع هرتسل على تنفيذ برنامجه الصهيوني ، وضرب له موعداً ثانياً للقاء ظهر اليوم التالي . ورحب تشمبرلن بضيفه متبسماً وهو يقول : « لقد هيأت لك موعداً مع اللورد (لانزدون Lansdowne) وزير الخارجية ، وقد مهدت لك الطريق . اعرض عليه الأمر كله ، ولكن لا تذكر قبرص لأنها من اختصاصي . قل له إن المستعمرة التي تقترحها لا يقصد منها ان تكون نقطة هجوم على ممتلكات السلطان » ، وكان يقول هذا بوجه مبتم ، فالقناع اليوم (هرتسل يسمي تشمبرلن بالقناع) كان مليئاً

(١) المصدر السابق ٣م ص ٩٨١ ، ١٠٢٢ - ١٠٢٣ .

(٢) المصدر السابق ٣م ص ١٠٢٢-١٠٢٣ .

(٣) المصدر السابق ٤م ص ١٣٦٠ كرومر كان الحاكم البريطاني في مصر .

بالحيوية والانشراح . قلت طبعاً ، لا مجال للشك في هذا ، فأنا لا أنوي الذهاب الى فلسطين إلا برضى السلطان . فنظر إليّ تشمبرلن نظرة تهكم^١ كأنما يريد أن يقول : قل هذا للسلطان . ولكنه قال : أ كدله (لاندون) أنك لا تعترم القيام بإغارة من العريش الى فلسطين قلت مبتسماً : لا تخف يا مستر تشمبرلن ، سوف أطمئن باله^٢ .

مشروع العريش وسيناء :

و كتب هرتسل مذكرة بمقترحاته - بناء على طلب (لاندون) - في ٢٤/١٠/١٩٠٢ ، وفيها الى جانب الاغراء الصهيوني شرح للمفاوضات التي أجراها مع السلطان دون جدوى ، وتوضيح لكيفية الهجرة والاستيطان في العريش وفي غيرها ، وقال في ختام المذكرة : هناك حوالي عشرة ملايين يهودي في العالم لا يستطيعون في جميع البلدان أن ينتموا الى انكلاثة علناً . إنما سينتمون اليها بقلوبهم إذا هي قامت بعمل مثل هذا ، فأصبحت حامية الشعب اليهودي . وفي لحظة تستطيع ان تعتمد على عشرة ملايين موال مخلص في جميع أنحاء العالم ، وإن كان ذلك سيجري سراً . بعضهم مجرد بائعي إير وخطان في قرى الشرق الصغيرة ، ولكن البعض الآخر تجار كبار وأصحاب مصانع ، ومدراء بنوك وعلماء وفنانون وصحفيون وأصحاب أعمال أخرى . جميع هؤلاء سيكونون رهن إشارة الأمة العظيمة التي ستمهد لهم المساعدة المطلوبة . سيكون لانكلاثة عشرة ملايين عميل من أجل عظمتها وسيطرتها . وهذا الولا لا بدّ أن يكون على الصعيد السياسي والاقتصادي^٣ .

سارع هرتسل الى ارسال لجنة صهيونية من الخبراء الى مصر في ٢٠ كانون الثاني ١٩٠٣ وحدد مهمة اللجنة في رسالة الى رئيسها : دراسة امكانية الاستيطان في القسم الشمالي من

(١) المصدر السابق م٤ س ١٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق م٤ س ١٣٦٤ .

شبه جزيرة سيناء . « ان مهمتك هي ان تبحث وتقرر بمساعدة رجال الحملة ، الفرص
والامكانيات التي تسمح باستعمار الأرياف والمدن في المنطقة الواقعة على البحر الأبيض المتوسط
بين قناة السويس والحدود التركية ، وكذلك على الساحل . » وقد استحلف
هرتل أفراد البعثة على الشرف أن لا ينشروا أي خبر عن الحملة^(١). وبحث هرتل مشروع
سيناء والعريش في حاله الراهنة آنذاك (٣ آذار ١٩٠٣) فوجده يتلخص فيما يلي :

« ان الأمور في شبه جزيرة سيناء مختلطة بشكل هو في صالحنا ، ويجب أن أوضح
انها تتلخص في : امتلاك ، قوة ، حق . الامتلاك بيد الحكومة المصرية ، والقوة بيد
الحكومة الانكليزية ، وأما الحق فللحكومة التركية . لذا يجب أن أحصل على الملكية
من الحكومة المصرية ، ثم أطلب الحكومة الانكليزية بأكثر ما يمكنها إعطاؤه من قوة ؛
وأخيراً أحصل على الحق من الحكومة التركية بواسطة البخشيش^(٢) . » . وبادر هرتل من
فوره للسفر الى مصر ، وفي ٢٥ آذار زار اللورد كرومر ، وتحدثا ، ثم قابل بطرس غالي
رئيس الوزارة المصرية^(٣) . واستمع كذلك الى تقرير لجنة الخبراء الصهاينة التي عادت من
سيناء ، واعترض على نقطتين وردتا في التقرير ، واعتراضه يكشف عن أسلوبه المفضل في
المراوغة والحداع والمرحلية : « كنت أفضل لو أن القسم الأول من هذه الجملة قد حذف :
(في حالتها الحاضرة لا يمكن السكنى فيها ، أما اذا توافر لها الماء فيمكن سكانها) .
كذلك يجب أن لا يذكر السبب الذي من أجله نريد أن تصل البلاد الى خط العرض
التاسع والعشرين »^(٤) .

(١) المصدر السابق م ٤ س ١٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق م ٤ س ١٤٣٠ .

(٣) المصدر السابق م ٤ س ١٤٤٦ .

(٤) المصدر السابق م ٤ س ١٤٥٠ وهو الخط المار بجنوبي فلسطين .

ولم يجد هرتسل فائدة من بقاءه في مصر ، فأبقى لجنة الخبراء فيها لمتابعة الاتصال مع كرومر والحكومة المصرية ، وغادر مصر الى فينا وباريس في ٤/٤/١٩٠٣ ، ولم يكن راضياً عن حصلة زيارته لمصر ، فقد كتب في يومياته عن فتور حماس كرومر للمشروع الصهيوني ، وقال : « رفض كرومر أن يستقبلي قبل ذهابي ، وبعث برسالة رفض جافة يقول فيها انه يجب تعديل كثير من الأمور في المسودة قبل القبول بها »^(١) . ثم سافر هرتسل الى لندن لمقابلة تشمبرلن في ٢٣/٤/١٩٠٣ من قبل أن يصله رفض الحكومة المصرية النهائي لمشروعه ؛ وكان تشمبرلن واقفاً على تقرير كرومر غير المشجع بصدد المشروع الصهيوني ، فحاول تعزية هرتسل بعرض مشروع استيطان شرق افريقيا (اوغندا) عليه . والمحادثة التي جرت بين الرجلين معبرة وصریحة ، في ضوء ما شرحنا من ضلوع الصهيونية مع الاستعمار ، تير في ركابه حينئذ ، وتصطنع لمسارته واجتذابه الأسلوب المرحلي الواقعي ، وتراعي مقنض الحال وموادة الظروف .

يروى هرتسل على ذمته أن تشمبرلن قال له : « لقد عثرت لكم اثناء سفري على بلاد مناسبة : اوغندا . انها حارة على الساحل ولكن الطقس يصبح ممتازاً في الداخل حتى للأوربيين . تستطيعون ان ترعوا القطن والسكر فيها ، وقد قلت في نفسي وأنا هناك هذه البلاد تصلح للدكتور هرتسل . ولكنك طبعاً تريد أن تذهب الى فلسطين أو مايجاورها . أجبت نعم ، يجب ان تكون قاعدتنا فلسطين ، ثم فيما بعد نستوطن في اوغندا . ذلك لأن هناك عدداً كبيراً جداً من اليهود الذين يريدون أن يهاجروا ، ولكن يجب أولاً أن نضع أساساً قريماً ، ولهذا فكرنا في العريش لوضع سياسة جذابة ، ولكنهم لا يفهمون هذا في مصر ، ولم استطع أن أوضح الأمر لهم كما أفعل هنا . لذلك اضطرت هناك أن اطلب تنازلاً غير تام بسبب الحالة السياسية الراهنة - وكان هذا التنازل مالياً فقط . وهي

(١) المصدر السابق م ٤ ، ص ١٤٦٦ .

بذلك صفقه خاسرة اذا فكرنا بالأرض ، لأن أحداً لا يدفع ثمناً لمثل هذه البلاد ، لأحد غيرنا - وذلك لأن لنا وراء هذا الدفع مطامع سياسية . ويجب ان يكون واضحاً أننا لن نضع أنفسنا تحت حكم مصري ولكننا نريد حكماً بريطانياً .

وأجاب تشمبرلن « بخامري شعور بأن الأوضاع لن تتغير . لن نترك مصر . هذه كانت نيتنا في الأصل ، وأنا أعرف ذلك لأني كنت في الحكومة . كنا قد قررنا أن ننسحب من مصر في الثلاثينات ، ولكننا استثمرنا كثيراً من أموالنا فيها واصبح لنا مصالح عديدة هناك الى درجة لانستطيع معها أن نخرج . وهكذا يمكن لك وللوطن الذي تعمل له أن تستفيد من الممتلكات البريطانية . وأنا متأكد انكم تستطيعون ان تستفيدوا . أما اذا سارت الأمور الى حل غير هذا ، واذا كانت مستعمرتكم قوية ، فأنا متأكد أنكم سوف تستطيعون ان تثبتوا انفسكم جيداً » . وقال تشمبرلن : « إن مصالحننا في آسيا الصغرى نقل يوماً عن يوم . وسيأتي الوقت الذي يشجر فيه النزاع حول هذه المنطقة بين فرنسا والمانيا وروسيا - بينما نحن نتراجع إلى مناطق أبعد ، وفي هذه الحالة ماذا يكون مصير مستعمرتكم اليهودية في فلسطين ، اذا تأسست في هذه الفترة ؟ قلت (المتحدث هرتسل) أظن أن ذلك سيكون في صالحنا ، ذلك إننا سنكون (دولة حاضرة) وهذا لن يكون لنا بفضل حسن نية القوى المتنازعة ، وإنما بسبب الغيرة . ومتى تركنا في العرش تحت الحكم البريطاني ، فإن فلسطين ستصبح أيضاً ضمن السلطة البريطانية »^(١) . وقد وعد تشمبرلن محدثه أن يجري الضغط على كرومر لیسرع في العمل وبيت في المشروع الصهيوني .

وفي ١١ أيار ١٩٠٣ استلم هرتسل بريقة مختصرة حاسمة من بعثة الخبراء الصهاينة في مصر تقول : « إن الحكومة المصرية ترفض »^(٢) ، والسبب هو تعذر تأمين كمية الماء

(١) المصدر السابق م ٤ ص ١٤٧٣ .

(٢) المصدر السابق م ٤ ص ١٤٨٦ .

اللازمة المشروع ، وكان (غاستون) الحبير الأول في الري لدى الحكومة المصرية قد وأعلن أننا سنحتاج الى خمسة أضعاف كمية الماء التي ذكرها (ستيفنس) . كذلك إن وضع المضخات يعني إيقاف سير السفن في قناة السويس عدة أسابيع ^(١) . وهكذا سقط مشروع العريش وسيناء ، بفضل معارضة مصر له ، بعد أن خيل لهرتسل أنه قاب قوسين من النجاح .

وقد وجه حاييم وايزمن فيما بعد نقداً لاذعاً لهرتسل ، بسبب الطريقة التي عالج بها مشروع استيطان سيناء والعريش ، وقد سجل وايزمن هذا النقد في سيرته الذاتية ضمن ما سجل من مآخذ على صهيونية هرتسل السياسية .

قال وايزمن : « لا يسع المرء إزاء التحليل الدقيق للتقرير إلا أن يشعر بأن موقف البعثة قد أملاه الى حد كبير رغبة القادة الصهاينة آنذاك في مباشرة الاستعمار فقط على نطاق واسع جداً . لأنهم شعروا أن مثل هذا الاستعمار فقط يمكن أن يعمل شيئاً لتخفيف ما يقاسيه الشعب اليهودي . وإذا لم يكن الاستعمار ممكناً على نطاق واسع ، فمن المفضل (في رأيهم) إسقاط المشروع برمته . وعندي أن هذا الرأي ، وحده ، هو الذي أحبط المشروع ، وقد كان حقيقة ملموسة ان البعثة لم تر' الا كنفاء بالشريط الضيق من الارض على طول الساحل الجنوبي لفلسطين ، وقد كان يمكن بالتأكيد إقامة المستعمرات عليه ، طالما كان يوجد بواذر طيبة للمياه الجوفية .

فاللجنة رأت أنه عمل أصغر كثيراً من الأفكار العظيمة التي سادت يومذاك دوائر القيادة الصهيونية . وبما أن تلك البداية كانت متواضعة جداً لتلبي نداء الرؤى والتصورات لدى القادة أو الجماهير . . . لذلك شعرت البعثة أنها مضطرة لأن تشمل تقصياً صحراء سيناء - وهذه لم تكن صالحة للاستعمار بدون الماء . وأسقط المشروع بكلية ، ولم تجر

(١) ستيفنس هو مهندس زراعي صهيوني وعضو البعثة . المصدر السابق .

محاولة لتفحص الرقعة الأصغر الصالحة للاستعمار ؛ ولو أننا نجتمعنا على طول الساحل الجنوبي لفلسطين ، كبداية مها كانت صغيرة ، لاختلف مصير فلسطين الحالي اختلافاً جوهرياً^(١) !

وبعد انهيار مشروع سيناء والعريش ، لم يتخل هرتسل عن آماله في الحصول عليها بطريق آخر ، خصه بقوله :

« انطلقت من اقتراح اوغنده الذي عرضه تشمبرلن ووصلت الى موزمبيق . سوف أحاول الحصول على هذه الأرض الحاملة من الحكومة البرتغالية ، التي هي في حاجة الى المال . على أني أريد الحصول على موزمبيق بقصد المقايضة فقط . وسوف أحصل من الحكومة البريطانية ، لقاء تنازلي لها عن موزمبيق على شبه جزيرة سيناء برمتها ، مع مياه النيل صيفاً وشتاءً ، وربما حصلت على قبرص أيضاً - كل ذلك مقابل لاشي^(٢) . وبالفعل قابل هرتسل سفير البرتغال في فينا (أيار ١٩٠٣) وفكر بالسفر الى البرتغال لضمان الحصول على موزمبيق ، كذلك فكر باستعمار أجزاء من الكونغو البلجيكي (آنذاك) ، ولكنه تخلى عن هذه الفكرة لفشله في الفوز بمعد لمقابلة ملك البلجيكي^(٣) . ومن ناحية أخرى أنهى هرتسل الى روتشيلد في مقابلة بينها في صيف عام ١٩٠٢ ان السلطان العثماني عرض على هرتسل انشاء مستعمرات يهودية في العراق وذلك في مقابلة مع السلطان جرت في شباط من العام نفسه . قال هرتسل : « عرض السلطان عليّ العراق . فسأل روتشيلد بدهشة : ورفضت ؟ قال هرتسل : نعم !

وفي الرسالة التي وجهها هرتسل الى روتشيلد (تموز ١٩٠٣) يقول « ان السلطان عرض

(١) Weizmann, Chaim • Trial & Error, • London , 1949, third impression, pp. 120 - 121

(٢) يوميات م ٤ ص ١٤٨٧ .

(٣) يوميات م ٤ ص ١٥١١ .

علي استيطان العراق ورفضت العرض لأنه لم يشمل فلسطين . وقد ذكر هرتسل أن هذا العرض سري تماماً ولكنه رأى ضمانات مشروع العراق السياسية للمستقبل قليلة^(١) .

وقبل ذلك تحدث هرتسل في ربيع ١٩٠٢ أمام مجلس مديري الصندوق الاستعماري اليهودي حول العراق أيضاً بقوله : « ان السلطان حالياً غير راض عن إعطائنا امتيازات في فلسطين ، وبدلاً منها ، عرض عليّ منحي حق الاستعمار في ولاياته الأخرى في آسيا الصغرى وخاصة في بلاد ما بين النهرين . »^(٢)

وعلى الرغم من ان هرتسل اخذ يفكر جدياً بمشاريع استيطانية أخرى ، غير انه ظل يعمل لاجراء دولة يهودية في فلسطين ، كما يتضح من قوله : « ان الطريقة التي يمكن بواسطتها تهجير اليهود ، ليست باقامة مستعمرات صغيرة وليس فيها ما يستميلهم اليها ، وإنما هي في تنظيم الحطط الكبيرة التي تقوم على الاهتمام بمشاعر اليهود القومية »^(٣) . ولذلك تابع جهوده ليجد من يتوسط له لدى السلطان العثماني .

وقد شعر هرتسل بضرورة القيام بعمل من شأنه أن يلبى المطالب الملحة لليهود الروس الذين تعرضوا في هذه الآونة (ربيع ١٩٠٣) للاضطهاد^(٤) . وضاعف هرتسل جهوده لاجراء (حل سريع) لهم ، ليطلع به على المؤتمر الصهيوني المزمع عقده في صيف العام نفسه ، ولكن اختيار هرتسل وقع هذه المرة على روسيا القيصرية وعلى وزير الداخلية الروسي (بليفه Plehve) المعروف بعدائه الشديد لليهود ، والمتهم بتدبير حوادث الاضطهاد الأخيرة في كيشيف .

(١) يوميات م ٤٤ ص ١٢٩٤ ، ١٣٠٢

(٢) يوميات م ٤٤ ص ١٢٥١ - ١٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق م ٤٤ ص ١٤٩٢ .

(٤) يقول وايزمن ان يهود كيشيف Kishinev تعرضوا لغضبة الفوغاه في المدينة وقتل منهم

٤٤ بين رجل وامرأة وطفل وجرح اكثر من من ألف ، وأصاب السب والدمار ١٥٠٠ منزل ، ولم يأمر بليفه وزير الداخلية قواته بالتدخل الا ظهر اليوم التالي .

Weizmann, op . cit, p. 105

وتمت المقابلة بين الرجلين في ٨ آب ١٩٠٣ ، وطلب هرتسل توسط روسيا الفعال لدى السلطان العثماني للحصول على (براءة) استعمار فلسطين ، باستثناء الاماكن المقدسة ، على ان تدفع الحكومة الروسية مساعدة مالية لتنجير الراغبين من اليهود الروس ، من احل الاموال والضرائب التي يدفعها هؤلاء^(١) .

والباحث لم يجد فيما مانوفر له من المصادر ، مايشككه في قول هرتسل بأن قيصر روسيا وحكومته قد وافقا على تأسيس دولة يهودية في فلسطين . فقد نقل هرتسل ذلك عن وزير الداخلية (بليفيه) إثر مقابلتها الثانية ، في ١٣ آب ١٩٠٣^(٢) ، ويقول إنه استلم من (بليفيه) رسالة مؤرخة في ١٢ آب بهذا المعنى . وقد اعتبر هرتسل هذه الرسالة كتصريح رسمي من روسيا ، يدل على أنها مستعدة لقبول بدولة يهودية مستقلة في فلسطين . ومضى ، بعد ذلك ، يلح على توسط القيصر الروسي لدى السلطان العثماني لتأمين ذلك^(٣) . فكتب في ١١ ايلول من العام نفسه ، رسالة الى (فون هارتويك) مدير الدائرة الاسيوية في الخارجية الروسية ، ورئيس الجمعية الروسية الفلسطينية الامبراطورية ، يدعوه فيها لتنظيم الهجرة اليهودية من روسيا الى فلسطين التي « تناديهم جميعاً » . ولخص هرتسل مطلبه بقوله : « لتقدم لنا حكومة جلالة الامبراطور (الروسي) مساعدة لدى السلطان حتى يفتح فلسطين للهجرة اليهودية بشكل واسع ، وينحها الحكم الذاتي ضمن القانون العام الذي يؤمن لها سلامة تامّة ، وامكانية تقدم طبيعي قومي . وبهذا نخلو الأراضي الروسية من اليهود بقدر ما هي فلسطين مستعدة لقبولهم . في هذا يكون خلاص يهود روسيا ، وحل مشكلة لايمكن لحكومة الامبراطورية أن تحلها بشكل آخر »^(٤) .

(١) المصدر السابق م٤ ص ١٥٢٠ .

(٢) المصدر السابق م٤ ص ١٥٣٥

(٣) المصدر السابق م٤ ص ١٥٣٧

(٤) المصدر السابق م٤ ص ١٥٥٥

برى وايزمن أن هرسل أراد أن يجعل من المعونة الروسية وسيلة للضغط على السلطان العثماني . ولكن وايزمن يهزأ من هذه الوسيلة ومن جهود هرسل في هذا السبيل ويصفها بأنها (نقص في الواقعية بلغ غايته) ، لأن الاسلاميين لا يمكن أن يعاونوا على (تحور) اليهود ، فقد كرر بليفيه لهرسل اتهامه لليهود بأنهم جميعاً من العناصر الثورية . وحين بذل بليفيه بعض الوعود الغامضة التي لم يكن ينوي الوفاء بها ، وجه هرسل كلمة الى الزعماء اليهود في سان بتربيرغ محذراً من ابواب العناصر الراديكالية الثورية في أوساطهم ^(١) .

وبادر هرسل إلى إحاطة معارفه من كبار الألمان لإشراكهم في المسعى الذي يستهدف الضغط على السلطان ، فكتب رسالة الى الأمير الألماني فيليب اويلنبيرغ رئيس ديوان القيصر الألماني في ١١ ايلول ١٩٠٣ ، يطلب مساعدة المانيا ، ويمتدح وعد بريطانيا باقامة مستعمرة يهودية تتمتع بحكم ذاتي في شرق افريقيا ، مع صورة عن رسالة بليفيه له . قال هرسل : « ان إقامة هذا الملجأ للمضطهدين (اليهود) سيكون نقطة تركيز لمصالح انكلترة في شرق افريقيا ... غير أننا نحن اليهود العنيدون نتمسك أكثر برمال فلسطين وصخورها . لذلك فأنا أفضل ما جاء في رسالة فون بليفيه - المرفقة طيه أيضاً - إذا تمكنا ان نعمل به في أقرب وقت ممكن . على أن هذا هو تصريح رسمي صادر عن الحكومة الروسية ، وقد أعطي لي بهذه الصفة - وأنا اعتقد أن سموكم يشاركوني الرأي في أنه تصريح خطير . إن روسيا تتخلى عن كل حقوقها في فلسطين ، ما دامت تسمح لي حتى باقامة دولة يهودية مستقلة فيها . نحن مساكين لانطلب كل هذا . انما نكتفي بحكم ذاتي يهودي تحت رعاية السلطان . . انك باصاحب سمو تعرف انني كنت دائماً أبني الآمال الكثيرة على المعونة الألمانية . . في حر كتنا عنصر الماني ثقافي لا يستهان به ، وقد استطاع القيصر (الألماني) بثاقب نظره أن يراه (!) أعلنت روسيا بشكل عام بأنها مع أعطاننا فلسطين ، وفرنسا لاتستطيع ان

تعارض حليقتها (روسيا) . أما انكلترة فلن تبدي أي معارضة معقولة بعد العرض الذي قدمته في شرق افريقيا . .^(١)

وقد بلغ تزلف هرتسل للرجعية ، متمثلة في (بليفيه) الذروة ؛ وذلك حين لم يكف عن الاتصال به ، ولم يتوان عن استعدائه ضد الاشتراكيين اليهود وغير اليهود وبعده بمساعدته^(٢) . وقد اتخذ هرتسل هذه الوجهة لأن تفكيره الرجعي لا ينجم مع الاتجاه التقدمي الثوري . ولأنه شخصياً يعلم أن الاشتراكيين يقفون ضده بسبب صلاته الواشجة مع الدوائر الحاكمة الرجعية في أوروبا . وقد بلغ من اقتناعه بالمبادئ الرجعية أنه اتهم كل اشتراكي بأنه لا يمكن أن يكون يهودياً^(٣) . وكان دائماً يستغل عداؤه للاشتراكية من أجل كسب رضى الحكام الرجعيين ، بغية اكتسابهم الى جانب مشروعه . من ذلك ما كتبه الى دوق بادن الكبير في ٢٤ نيسان ١٨٩٦ إثر اجتماعه به : « ان قيام دولة الصهاينة سيكون خدمة لأوروبا عن طريق إضعاف الحركة الثورية الاشتراكية^(٤) . بل ان موضوع اتخاذ الصهيونية بديلاً للثورية بين يهود أوروبا ، كان من آخر المواضيع التي تحدث بها هرتسل مع بعض الحكام الاوربيين ، وسجلها في يومياته . وقد رغب هرتسل في أن يبقى (بليفيه) تحت تأثير وعده له ، فأمطره بوابل من الرسائل ، وفي احداها يصف له معارضة يهود روسيا لعرض اوغندة البريطاني في المؤتمر الصهيوني السادس : « وبعد مناقشة حامية استطعت أن أطرح الاقتراح التمهيدي على التصويت :

(١) المصدر السابق م ٤٠ ص ١٥٥٨

(٢) يوميات م ٤٠ ص ١٤٩٣ .

(٣) يوميات م ٢٠ ص ٦٧٢ - ٦٧٣ .

(٤) يوميات م ١٠ ص ٣٤٤ .

وهو أن نرسل بعثة للتقصّي - ويرجأ اتخاذ القرار النهائي حتى انعقاد مؤتمر ثان في مدى سنة او سنتين . . كان عدد من أيّد الاقتراح ٢٩٥ مقابل ١٧٧ معارضاً .

وشرح هرتسل سبب مازعمه من تأييد العناصر الثورية اليهودية خارج روسيا لمشروع استعمار فلسطين لا مشروع افريقيا ، وكان شرحه ينطوي على المحاباة والازدواجية ، بقدر ما ينطوي على الاغراء والمبالأة القائمة على الاستغلال الموجّه بدقة نحو الهدف . قال هرتسل : « ان تفسير هذا الانجاء الغريب - بعد أن كان هؤلاء حتى الآن غير مهتمين بالصهيونية - يمكن ان يكون كما يلي : الهجرة الى افريقيا لن تشمل سوى عدة آلاف من العمال ، ولذلك لن نخدم أية غاية سياسية . بينما اذا استوطن اليهود في فلسطين ، ستضطر العناصر التقدمية أن تنضم الى الحركة حتى لا تتأخر في الانضمام الى مجتمع جديد تكون العناصر المحافظة والبرجوازية الرجعية قد أسرعت الى الانضمام إليه . . لذلك فإن هذا المؤتمر قد ألقى ضوءاً أعلى الحقيقة التي كان لي شرف التحدث اليك عنها في (سان بطرسبرغ) : لا يمكن تنظيم هجرة دائمة إلا صوب فلسطين . إن الآمال معقودة الآن على وعد الحكومة الذي جاء في رسالة سعادتكم المؤرخة في ١٢ آب . وفشل هذه الآمال سيبيء جداً الى الحالة بأكملها . لن يتق فيّ أجد بعد ذلك ، ونحصل الأحزاب الثورية على جميع ما تحسره الصهيونية التي مثلتها أنا وأصدقائي . لذلك فإن أصبح حل هو فعالية وعدمك بالتوسط لدى الحكومة العثمانية . لقد نلظفت ، سعادتكم ، وأخبرتني أثناء آخر محادثة لنا ، ان رسالتك المؤرخة في ١٢ آب ، ووجهت إليّ بعد قبول جلالة الامبراطور وحسب أمره . ان توسط جلالة الامبراطور الشخصي والمباشر لدى السلطان يمكن أن يكون له أكبر تأثير ، خصوصاً وأنا مستعدون ان نقدم مساعدات مالية للخزينة العثمانية » (١) . .

ولا حاجة الى القول إن (بليفيه) وجد في هرتسل شخصاً يوفرّ عليه مشقة التفكير

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٥١

في حل للمشكلة اليهودية ، ويطرح عليه مبدأ ترحيل اليهود (غير الاذكيا)^(١) بدلاً من التنكيل بهم^(٢) والتخلص من تأمرهم وخبثهم ؛ ولما اجتمعت السياسة والمصلحة في هذا الحلّ ، لم يتورع (بليفيه) عن التصريح بأنه ليس لديه ما يعترض به على ترحيل اليهود الذين بدأت تنفث بين بعضهم عقائد ثورية تشكل خطراً داهماً على النظام القيصري الرجعي . وأفاد هرتسل من ذلك ليجعل من (بليفيه) « مناصراً » للصهيونية ، فاقترح عليه ان يكتب له رسالة بدعم المشروع الصهيوني ، يبرزها هرتسل ليس فقط أمام المؤتمر الصهيوني القادم ، للبرهنة على أنّ الحركة الصهيونية باستطاعتها الاعتماد على المعونة الأدبية والمادية للحكومة الروسية ، وانما أيضاً لتصبح الرسالة « التيممة » المحمولة إلى كل مكان لإبطال « الرصد » المسحور الذي وضعه أعداء الصهيونية للحيلولة دون انطلاقتها ونجاحها .

وها هو ذا هرتسل يبرزها أمام ملك ايطاليا ، ثم أمام البابا^(٣) : إن قاتل شعبه قد صافحه ، وتحدث اليه بأدب ، أليس هذا بالحدث الجلل ؟ وقد توفّر هرتسل على بذل الوعود المؤيدة لـ(بليفيه) وللقصر الروسي ، ولجميع الرجعيين الذين كانوا يحكمون أوروبا . والوعد هي : ان الصهيونية سوف تحلّ جميع العناصر الثورية والاشتراكية بين اليهود . وهذا الحل نفسه ، للمفارقة ، كان ما يرتأه هرتسل قبل بضع سنوات حين قال : لاسبيل لدحر اللاسامية إلا بجعل جميع اليهود اشتراكيين^(٤) !

وإذ لم تسفر مساعي هرتسل مع روسيا عن شيء ، فقد التفت صوب ايطاليا ، وتطلع لمقابلة ملكها الشاب . قابله هرتسل واقترح عليه ان « توجه هجرة اليهود الفائضة نحو طرابلس الغرب ضمن قوانين ايطاليا وأنظمتها الحرة » ، فأجاب الملك ببساطة وبجزم : « ولكن

(١) المصدر السابق م٤ ص ١٥٣٥ .

(٢) يروي هرتسل ان بليفيه قال له انه لا يمكن أن يقذف باليهود في البحر الاسود .

المصدر السابق م٤ ص ١٥٣٢ .

(٣) يوميات م٤ ص ١٥٩٤

(٤) Menuhin, op. cit, p. 47

هذه أيضاً ديار غيركم « !! قال هرتسل : ولكن تقسيم تركيا سيجري لا محالة ، يا صاحب الجلالة ، ! فأجاب الملك : متى ؟ صحيح ان شعباً مثلكم يستطيع ان ينتظر حتى مائة عام ، ولكني ، أنا وأنت ، لن نعيش لنراه «^(١) .

واقترح الكونت البابوي لياي - Lippay على هرتسل أنه يحسن به التقرب من البابا بيوس العاشر ضمناً لهدفه في فلسطين ، وهياً له مقابلة مع وزير خارجية البابا في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠٤ ، وطلب هرتسل من الوزير اعلان مناصرة الفاتيكان للمشروع الصهيوني الذي يريد « الأرض غير المقدسة فقط ، أما الأماكن المقدسة فتظل خارج نطاق حكمنا » . وأجاب الوزير : « ولكننا لا يمكن ان نقف الى جانب اليهود كما تريد ، إلا اذا هم اعتنقوا المسيحية » !

وهياً الكونت (لياي) مقابلة لهرتسل مع البابا ، بعد ثلاثة أيام ، وكان من السهل ان يتنبأ المرء بموقف البابا من محدثه الذي ينكر الوهية المسيح . قال البابا : « لانستطيع أن نقبل هذه الحركة (الصهيونية) . لا نقدر ان نمنع اليهود من الذهاب الى القدس - ولكن لن نرضى به رسمياً أبداً . إن تراب القدس ان لم يكن دائماً مقدساً ، فقد قدسته حياة المسيح الذي عاش عليه ، وكرئيس للكنيسة لا نستطيع ان اصرح بغير هذا . لم يعترف اليهود ببيدنا ، ولذلك لا نستطيع ان نعترف بالشعب اليهودي » . ولجأ هرتسل الى المراوغة والاستغلال ، ضارباً على وتر الاضطهاد النازل باليهود وقال : « ان غايتنا هي فقط تخفيف آلام اليهود ، ولا غاية دينية لنا أبداً . فأجاب البابا : نعم ، ولكننا ، وخصوصاً أنا كرئيس للكنيسة لا يمكن ان نقبل هذا . اي ان هناك امكانييتين : إما ان يظل اليهود متمسكين بايمانهم ويظلون ينتظرون المسيح - الذي جاء بالنسبة لنا وبهذا

(١) يوميات م ، س ١٥٩٦ ، وأيضاً Lawenthal, op. cit, p. 427

يكونون منكرين ألوهية المسيح ، ولا نستطيع مساعدتهم . او ان يذهبوا الى فلسطين بدون ايمان ، وهذا بالطبع يجعلنا أقل عطفاً عليهم ونصرة لهم « (١) .

وبالنسبة لهرتل كانت تلك المقابلة تعتبر إنجازاً ببناءً أيضاً ، ألم يجتمع مع البابا كزيم لليهود ! إن هذا يعني الكثير بالنسبة لإعجابه بالأبهة والعظمة . أما الكونت (ليباي) فقد تلقى زيمات من فئة الألف ليرا لقاء خدماته (٢) !

بقي عرض اوغندة الذي قدمته بريطانيا لاستيطان اليهود ، وعرف بمشروع اوغندة ، وقبله هرتل على أساس مرحلي . فاذا لم تكن الظروف موالية لاستيطان فلسطين ، فهو مستعد للقبول ، مؤقتاً على الأقل ، بنوع من الوطن القومي في اوغندة وموزمبيق البرتغالية ، والكونغو البلجيكي وطرابلس الغرب ، وقبرص والعربش وسيناء وسوريا . ويبدو أن الاضطهاد الذي جرى آنذاك في (كيشيف) بروسيا دفعه للقبول مبدئياً بعرض اوغنده . وقد اتضح فيما بعد أن قبوله هذا كان قائماً على الاعتبارين التاليين :

- ١ - ان يستخدم هرتل هذا المشروع سياسياً كوسيلة للضغط على الجانب التركي ! .
- ٢ - أن ينتزع بهذا المشروع اعترافاً ضمنياً من دولة كبرى كبريطانيا ، بالمنظمة الصهيونية العالمية ، عن طريق مفاوضاتها لها يرى ويزمن أنه ولأول مرة في تاريخ (المنفى) اليهودي تتفاوض حكومة عظمى رسمياً مع ممثلين منتخبين من (الشعب) اليهودي ، وهذا يعني الكثير « (٣) .

والحق ان الاعتبار الأول يؤديه سلسلة من الرسائل التي وجهها هرتل الى السلطان

(١) يوميات هرتل ، المصدر السابق م ٤ ص ١٦٠٢ .

(٢) المصدر السابق م ٤ ص ١٤١٧ .

(٣) Weizmann , op. cit . , p . 111

عبد الحميد ، وكبار الموظفين الأتراك ، والتي أشار فيها إلى أن رسالته تمثل محاولة أخيرة مع الجانب التركي قبل إنهاء المفاوضات بشأن عرض بريطانيا عليه استعمار شرق أفريقيا . المطلوب والمرغوب فيه جداً أن لا يضيع الجانب التركي هذه الفرصة . وفي رسالة هرتسل للسلطان كتب مقترحاً تنازل السلطان لليهود عن استعمار منطقة الجليل ، مقابل قرص بليون ليرة تركية تدفع للخزانة السلطانية ، ويصبح المستعمرون مواطنين في السلطنة ، وتبقى المستعمرة تحت حكم السلطان^(١) . وكتب الى الصدر الأعظم عزت باشا ، يطلب : « فقط حق استعمار سنجق عكا مقابل ضمانه دفع مائة ألف ليرة تركية سنوياً ، تعتمد اسماً على الايجار السنوي . . »^(٢) ولكن كل ذلك لم يؤد الى أية نتيجة . أما رفاق هرتسل فقد عارضوا مشروع اوغندة بشدة ، فكتب عنهم في ٤ شباط ١٩٠٣ يقول : « أن أعضاء لجنة العمل الروسي ، وخاصة (أوسيشكن وجاكوبسن Ussishken, Jacobson) وغيرهما قد اعلنوا عيائهم »^(٣) .

وخطب وايزمن معترضاً على المشروع وقال انه محاولة لإضفاء صفة جديدة تماماً على الحركة الصهيونية . وختم خطابه بقوله : لئن كانت الحكومة البريطانية والشعب هما من أعرف ، فسوف يعرضون علينا عرضاً أفضل منه^(٤) . وقال المشروع موافقة غالبية الأعضاء ٢٩٥ وعارضه ١٧٥ ، واستكف قرابة المائة^(٥) . ويرى وايزمن أن هرتسل أراد أن يتخذ من عرض اوغندة حجة شطرنج ، وقد رغب الى المؤتمر الصهيوني أن يوافق على المشروع ليخيف السلطات ويدفعه للعمل كأنه يقول : « اذا لم تعطنا فلسطين ، فسوف نسقطها نهائياً من حسابنا ونذهب الى شرق افريقيا البريطانية »^(٦) .

(١) المصدر السابق م ٤ ص ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ .

(٢) المصدر السابق م ٤ ص ١٤١١ .

(٣) المصدر السابق م ٤ ص ١٥١٧ .

(٤) Weizmann, op. cit. p. 114

(٥) Weizmann, ibid P. 115

(٦) Weizmann, ibid. P. 113

ولكن المؤتمر الصهيوني السادس المنعقد في بال (١٩٠٣) شهد معارضة شديدة لهرتسل لأنه قابل بليفيه عدو اليهود وتفاوض معه . وندد به يهود اوربا الشرقية وروسيا لقبوله مشروع اوغندة ، وعبروا عن معارضتهم بالانسحاب من الجلسة ، ولكن هرتسل أقنعهم بالعودة على أساس التوصل الى تسوية لا يتخذ المؤتمر بموجبها أي قرار نهائي ، إلا بعد الاستماع الى تقرير اللجنة الفنية التي تشكلت لدرس مشروع استيطان اوغندة على الطبيعة .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يجابه فيها هرتسل المعارضة ، وإن لم يسبق له أن جوبه بمثل هذا التحدي القوي الذي جعله يقف موقف الدفاع . فنذ بداية الحركة الصهيونية كان قصدها أن ترسخ قانونياً دعائم (قومية يهودية) تطالب جميع اليهود آلياً أن يتشكلوا يهودية متميزة تدعى (الشعب اليهودي) ، بغض النظر عن أولئك الذين لا يعتبرون أنفسهم جزءاً من هذه الأرومة الشعبية المختلطة ، وانما يرتضون ، بل ويأخون على التمسك بهويتهم وحدها مع حقوقهم وواجباتهم الموروثة في البلدان التي يعيشون فيها كمواطنين . وكان على المؤتمر الصهيوني الثاني أن يعالج مثل هذا الصدود اليهودي عن الصهيونية . فنادى هرتسل بوجود استهداف هذه الجماعات اليهودية المتأبئة في الحملات القادمة ، وشدد على أن لا يتسامح اعضاء المؤتمر مع اولئك الذين لا يعتبرون (اليهودية) قوميتهم ، وحرص على سحقهم^(١) . وكان هرتسل على ثقة أن أنصاره بطبعونه طاعة عمياء ، وبثقة كاملة . أما الزعامة السياسية التي كان فقدانها خلال الألفي سنة من شتاتنا قد أضرت بنا أكثر من جميع الاضطهادات ، فقد اختص نفسه بها^(٢) . هرتسل هو الزعيم ، ولذلك لن يسمح لأحد بنقده : « لا أريد أحداً أن يمدحني ، وذلك لأن أحداً لا يستطيع أن يلومني ، لأنني الزعيم .. سأعرف من

Menuhin, op. cit ., p. 41

(١)

ibid, p. 42

(٢)

مدى طاعتكم وحماسكم إلى أي حد أستطيع أن اعتمد عليكم^(١) ،

معارضة صهيونية ضد هرتسل :

وكان هرتسل واقفاً على معارضة اليهود له في كل مكان ، وأكثر مالمس ذلك في زيارته للآستانة (١٨٩٨) حين لفت فون بولوف كبير مرافقي القصر الألماني نظر هرتسل الى أن يهود العالم لا يتفقون مع آرائه ، أو على حد قوله في يومياته : « ولفت نظري إلى أن اليهود الأغنياء لا يناصرون فكري ، والجرائد الكبيرة ليست معك أيضاً ، وخاصة جريدتك . . يجب أن تسعى لمل جريدة كبيرة مثلها ، لتكون الى جانبك . قلت باصاحب السعادة ان هذه مسألة تعتمد على المال فقط^(٢) » ! .

وعندما حضر الى فلسطين ، اتهمه اليهود هناك بأنه صنيعه بريطانية وأنه آلة بيد الأرسالية الانكليزية للتبشير بين اليهود^(٣) . وبعد عودته من فلسطين شنت عليه الصحف اليهودية حملات عنيفة لم يرغب في الرد عليها ، لأنني لا أريد الدخول في معركة قدرة^(٤) .

وحين اجتمع هرتسل بالبارون ادمون روتشيلد المثري اليهودي لأول مرة في لندن (تموز ١٩٠٢) أعلن روتشيلد صراحة لمحدثه أنه ضد الصهيونية ؛ وبكلمات هرتسل : « قال انه ليس بصهوني ، واننا لن نحصل على فلسطين ، وغير ذلك . كان انكليزياً ويريد أن يبقى انكليزياً . قلت ليس صحيحاً أن الدول الكبرى تقف ضد ذهاب اليهود الى فلسطين . في الواقع اني جعلت المانيا وروسيا تعطفان على قضيتنا ، وأظن أن انكلتره لن تعارض . أما السلطان فأنا مقرب منه . فأجاب روتشيلد : نعم ، طبعاً ؛ الساطن معك ، لأنك

(١) يوميات ١٤ م ٩٨ .

(٢) يوميات ٢٤ م ٧٢٩ .

(٣) يوميات ٢٤ م ٧٥٩ - ٧٦١ .

(٤) يوميات ٢٤ م ٧٧٢ .

الدكتور هرتسل الذي يكتب في الجريدة الحرة الجديدة! فصحت به : هذا خطأ . ان الجريدة . لا علاقة لها أبدأ بخطتي . هنا حاول الأهل أن يجرني (١) .

وكان بين الصهانية ايضاً من يستنكر اسلوب هرتسل الديكتاتوري الذي لا يقبل المراجعة ولا النقد، وطريقته في تصريف شؤون المنظمة، وتفردّه بتكليف أهداف الصهيونية أحياناً ؛ فالمعارضة التي انسحبت من المؤتمر الصهيوني السادس ، عقدت مؤتمراً في خاركوف بروسيا (تشرين الاول ١٩٠٣) ضم الزعماء الصهانية الروس . واتخذ المؤتمر (المنشق) قراراً بتوجيه انذار نهائي لهرتسل من حيث مطالبته بتغيير أسلوبه الديكتاتوري ، ومطالبته بعرض كل مسألة هامة على المجلس العام قبل شهر من اجتماع المجلس (٢) . وقد ظلت الأزمة محتدمة بين المعارضة وبين هرتسل حتى تمّ التوصل الى تسوية بينها قبل وفاة هرتسل بأسابيع قليلة .

والحق أن المنظمة الصهيونية العالمية لم تكن ذات بنية داخلية متاسكة نظراً لتوزع اليهود في شتى أنحاء العالم . فالانقسام المشهور بين اليهود الغربيين (الاشكنازيم) واليهود الشرقيين (السفارديم) كان واضحاً جداً . ومن ناحية أخرى فالمنظمة الصهيونية كانت تتشكل في مطلع القرن العشرين من ثلاثة تجمعات سياسية رئيسية هي : اليسار ويمثله بوغالي صهيون (الصهانية الاستراكيون) . واليمين يمثله المزاراحي (الصهانية المتدينون) . والصهانية العامون (٣) . هذا إلى الحلاف القائم بين الصهانية العمليين الذين يطالبون باستيطان فلسطين دون ترخيص (براءة) من الدولة العثمانية ، والصهانية السياسيين ، من اتباع هرتسل الذين يسعون جاهدين للحصول على ترخيص (براءة) بحق لهم بمرجه استيطان قائم

(١) يوميات م ٤ ص ١٢٩١ .

(٢) Bein, op. cit, p. 474

(٣) Parzen, op. cit, p. 25

على القانون . هذا بالإضافة الى الصهيونية الروحية الثقافية بزعامة أحدها عام .

وكان حاييم وايزمن أحد اقطاب المعارضة ضد هرتسل ؛ وقد وصف مأخذه على صهيونية هرتسل آنذاك إثر مقابلته الأولى معه في المؤتمر الصهيوني الثاني المنعقد في بال (١٨٩٨) بقوله : « ظهر لي منذ البداية أنه (هرتسل) بصدد القيام بعمل عظيم ، ولكن دونما إعداد ملائم ، وكان ذا شخصية قوية ولكنها ساذجة . كان يرى أولاً أن على أثرياء اليهود ان يفتحوا خزائهم ليعطوا السلطان من مالها طالما كان يملك فلسطين . وكانت يرى ثانياً أنه يجب إقناع الدول الكبرى لتمارس بعض الضغط على تركيا ولتعمل كضامنة للصفقة . ولذا فقد وجد هرتسل ضالته في المانيا وانكثرتة الدولتين الأعظم ، وشرع يركز على المانيا والقيصر . ثم تحول بعد ذلك الى انكثرتة . وكانت المنظمة الصهيونية برمتها تحت تصرفه ؛ يمارس الضغط بواسطتها على أثرياء اليهود ، ويستمد منها السلطة للقيام بمساعيه لدى الدول الكبرى»^(١) .

نظم وايزمن وصحبه من اليهود الروس المتعلمين أنفسهم في ما أسموه (بالعصبة الديموقراطية) ، وضاقوا بأسلوب هرتسل في العمل ، وأخذوا عليه تملقه للكبراء والأمراء والحكام . « توهم (هرتسل) أنهم سوف يعطوننا فلسطين ، وكان تتبّعهم لهم كمن يتتبع السراب . وقد رافق ذلك ، وربما حتّمه ، تحوّل القيادة الصهيونية نحو اليمن ؛ إذ انصرف هرتسل نحو الأغنياء والأقوياء ورجال المصارف اليهود الممولين ، والى دوق بادن الكبير ، والقيصر ولهم الثاني ، والى سلطان تركيا ، ثم مؤخراً الى وزير الخارجية البريطانية . ونحن من ناحية اخرى كان لدينا ايمان ضئيل بتفضّل القوي علينا»^(٢) .

وقد تملعل وايزمن وصحبه من البهرج الكاذب والظرف المصطنع والحرص على ارتداه

Weizmann, op. cit. pp. 62-63 (١)

ibid. p. 73 (٢)

الثياب الرسمية (الفراك) والملابس العصرية ، « وبالنسبة لنا كانت (القيادة الصهيونية) تفيض بالاصطناع والتبذير وتحفل بعلية القوم . انها لاتوحي لنا بالديموقراطية والبساطة وجدية الحركة ؛ لقد كنا لانشعر نحوها بالارتياح^(١) . »

وهزأ وايزمن بأسلوب هرتسل الذي اتبعه للوصول الى هدفه (البراءة) : « ومأخذ ثالث على صهيونية هرتسل هو انه اعتمد على المجهود الدبلوماسي للحصول على فلسطين لليهود . وكان يتشدد بالكلمات الكبيرة مثل الاعتراف الدولي ، البراءة لاستعمار فلسطين ، الهجرة الجماعية ؛ ولكن النتيجة اضمحلت على مرّ السنين ، ولم يبق سوى الكلمات . قابل هرتسل السلطان ، والقصر ، ووزير الخارجية البريطانية . وكان على وشك ان يقابل هذا الرجل الخطير ، وتلك الشخصية المهمة ، والنتيجة العملية لاشيء . ولذا لم يكن بوسعنا إلا أن نرتاب في هذه المفاوضات السدئية^(٢) . »

وكان مما يحزّن في نفس وايزمن وعصيته أن هرتسل وصحبه من اليهود (الغربيين) كانوا يعتقدون أن اليهودية الروسية غير قادرة على تزويد الحركة الصهيونية بالزعامة المقتدرين ، ولذا فقد استثنوا اليهود الروس واستبعدوهم من قيادة الحركة « بينما هم مصدر قوتهم »^(٣) . وحين استبدل هرتسل اوغندة بفلسطين ، واستبدلت خارطة اوغندة بخارطة فلسطين في صدر قاعة المؤتمر الصهيوني ، وذلك كتدبير انقاذي موقت إثر حادثة كيشنيف ، رأى وايزمن في ذلك دليلاً واضحاً على أن الايمان (بفلسطين) لم يكن راسخاً في ذهن القيادة الغربية الصهيونية ، وأنها كانت أشبه بالسراب ، وحين تلاشى السراب ظهرت اوغندة مكانه^(٤) .

ومها يكن الأمر ، فان جهود هرتسل الدبلوماسية ، وان لم تسفر عن أية نتيجة عملية

ibid, p. 72 (١)

ibid (٢)

ibid, p. 75 (٣)

ibid (٤)

تنعكس على الهدف الصهيوني ، فان المفاوضات التي أجراها مع الدول والرؤساء ، جعلت من المسألة اليهودية قضية عالمية . وفي الرقعة نفسه كانت تعني اعترافاً ضمناً بالمنظمة الصهيونية العالمية - الأمر الذي مهد السبيل أمام زعماء الصهيونية بعد هرتسل ، للسير قدماً على خطته من أجل الحصول على (براءة) ، حتى تم لهم ذلك في ظروف الحرب العالمية الأولى ، وعلى يد الدكتور حاييم وايزمن ، متعملة بوعد بلفور (١٩١٧) .

الفصل الرابع

الصهيونية العملية السياسية تشرع في استيطان فلسطين وتعاقد على وعد بلفور
صهيونية وايزمن :

انعقد المؤتمر الصهيوني السابع (آب ١٩٠٥) بعد وفاة هرتسل ، وقد اسقط مشروع
اوغندة نهائياً حين كشف المؤتمر عن زيادة ملحوظة في قوة الصهاينة (العمليين) . وقد
أكد المؤتمر الذي كان برئاسة (دافيد ولفسون - Wolfsohn) من ليتوانيا على وجوب إقامة
الدولة في فلسطين ، وأعاد النظر في مشروع الهجرة اليهودية لتأخذ طابعاً أوسع . وفي
المؤتمر الصهيوني الثامن الذي ترأسه ولفسون ايضاً ، تقرر إنشاء الصندوق التأسيسي
اليهودي - كيرن هيسود^(١) ، وإنشاء دائرة خاصة لشؤون فلسطين تتبع اللجنة التنفيذية
للمؤتمر ، وتأسيس مكتب صهيوني في يافا باسم (مكتب فلسطين) ، واعتبار اللغة العبرية
لغة رسمية للحركة الصهيونية .

ويبدو أن الخلاف على مشروع اوغندة بين الصهاينة (السياسيين) المؤيدين له ،
والصهاينة (العمليين) المعارضين له ، قد تحول الى خلاف بين المدرستين الصهيونيتين ، وافضى
إلى جدل عريض لم يلبث أن هداً نهائياً باندماج هاتين المدرستين إثر المؤتمر الصهيوني الثامن .
فقد ظل الصهاينة السياسيون يقولون ان فلسطين تحكمها تركيا ، وشراء الأرض فيها محظور
قانوناً وأنه لا يمكنهم عمل أي شيء إلا السعي للحصول على (البراءة) من حيث هي تنطوي
على الترخيص السياسي لاستعمار فلسطين ، مع التطلع إلى الدول الكبرى مثل انكلترا و المانيا

(١) لم يكتمل انشاؤه حتى عام ١٩٢١

لمساعدتهم في الحصول عليها . وقد ساند هذا الرأي المنظمات الصهيونية في ألمانيا والنمسا، ومعظم اليهود الغربيين . وفي الوقت نفسه ظل الصهاينة العمليون ، ومعهم حاييم وايزمن ، يقولون انهم لا يعارضون جهود الصهاينة السياسيين وإنما يؤكدون على أن النشاط السياسي وحده لا يكفي لبلوغ الهدف الصهيوني ، إذ يجب أن يصحبه إنجاز متين وبناء وهو الاستيطان العملي الطبيعي لأرض فلسطين ، الذي هو بدوره سوف يقترن بتصاعد معنوي للوعي اليهودي ، وإحياء اللغة العبرية ، وانتشار معرفة التاريخ اليهودي ، وتقوية الارتباط بالقيم الدائمة لليهودية .^(١) أي ان جهود هر تزل الدبلوماسية فشلت لأنه لم يسبقها عمل إنشائي صهوني في فلسطين يشبثها وياندها . والحق أن كل من المدرستين كانت مؤيدة للصهيونية السياسية ، والفرق الوحيد بينهما أن المدرسة السياسية أكدت على (الشرعية) والأخرى على استعمار فلسطين وعلى خيالية ثقافية تاريخية . وقد عبّر وايزمن ، الذي برز واحداً من اهم الزعماء الصهاينة بعد موت هر تزل ، عن رأي الصهاينة العمليين في المؤتمر الصهيوني الثامن حين شارك في النقاش ودعا إلى توحيد جهود الصهاينة السياسيين والعمليين . قال وايزمن : « إن عملنا الدبلوماسي مهم ، ولكنه يزداد أهمية بانجازاتنا الفعلية في فلسطين ؛ فإذا جمعنا بين المدرستين الصهيونيتين (السياسية والعملية) أمكننا أن نتجاوز نقطة الموت . ربما نحن لم نعمل شيئاً كثيراً حتى الآن ، ولكن إذا قلتم لي إنه حالت بيننا وبين قصدنا الصعوبات المحلية ، أو السلطات التركية ، فسوف لن أقبل سماع ذلك منكم . إنها ليست غلظة الترك كناية ، إذ يمكن دائماً عمل شيء ،^(٢) وكانت حجة وايزمن أنه حتى ولو توفرت (البراءة) كما كان يحلم بها هر تزل ، فإنها سوف تبقى دونما قيمة ، إلا اذا اعتمدت على أرض فلسطين نفسها ، وعلى يهود استقروا فيها ، وعلى مؤسسات أنشأوها لأنفسهم . فالبراءة في جسد

Weizmann, Chaim · Trial & Error » , London, 1949, Third (١)
Impression pp. 156-157

ibid, p. 157

(٢)

ذاتها ليست سوى قصاصة ورق. ذلك أننا لسنا كائناً الأهم والحكومات ، فنحن لانملك تحويل تلك البراءة السياسية إلى حقيقة واقعة عن طريق القوة . ليس لدينا ما ندعم البراءة به الا عملنا على تلك الأرض . وطبعاً من الضروري ان تبقى قضيتنا ماثلة امام مجالس الرأي العام في العالم . ولكن عرضنا لقضيتنا ان يكون مجدياً وفعالاً إلا اذا اقترن بالهجرة والاستعمار والتعليم «^(١) . ولذا صاغ وايز من شكلا من التسوية بين المدرستين الصهيونيتين مع تغليب الطابع العملي ، فيما اصبح يعرف بالصهيونية (التركيبية - Synthetic) .

ودافيد بن غوريون لم يخرج عن هذا المعنى ، عام ١٩١٥ حين هزأ بالصهاينة الذين يظنون ان المقررات الدولية تضمن وتحقق لليهود مطالبهم ، ويؤكد ان ما ينجزه الصهاينة على أرض فلسطين نفسها من هجرة واستيطان وعمل هو السبيل لبلوغ الهدف الصهيوني . وان الاستيطان وايس الشراء أو الإشغال ، هو الذي يثبت للشعب حق الملكية . أو كما قال بكلماته : « لن تصبح (أرض اسرائيل) لنا حين يوافق الاتراك والانكليز ، أو مؤتمر السلام القادم ، ويوقعون على معاهدة بهذا القصد ؛ وإنما حين نبنيها نحن اليهود بانفسنا . ولن نحصل من الآخرين مطلقاً على وثيقة التملك التي لاتدحض ، وإنما نحوزها بعملنا الخاص فقط ؛ والوطن إنما يشاد بفضل الرواد Halutzim ، بفضل الطلائع^(٢) . » . والحق ان هذه العبرة النهجية التي خرج بها الصهاينة إثر توحيد المدرستين السياسية والعملية ، أصبحت النهج السياسي المرحلي المتدرج والواقعي ، الذي انتهجه الصهيونية (التركيبية) منذ المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩٠٧) ، وهو الذي سيطر على تصرفاتها وسياساتها في الفترة ما بين الحربين وما بعدها بقليل .

ibid , pp. 157-158

(١)

Ben Gurion : • Rebirth & Destiny of Israel • N. Y 1951, P.5 (٢)

بدء الاستعمار الصهيوني المنظم :

وهكذا باشرت الحركة الصهيونية مشروع الاستيلاء على فلسطين تدريجياً عن طريق التسلل اليها ، وفرض الوجود السياسي فيها ، ووضع الاطراف المعنية أمام الأمر الواقع . ورأت الصهيونية أن المشروع لايمكن تنفيذه عن طريق الهجرة العادية ، وإنما يجري نتيجة حركة سياسية عامة تستقل بفلسطين ، ولذا اعطت الجهود الاستعمارية مقام الأولوية بين الأهداف الصهيونية . وكانت الهجرة اليهودية هي الركن الأساسي في الصهيونية ، ولذا أقيمت لها الأجهزة والتنظيات لكيلا ترتطم بالصعوبات التي واجهت الهجرة الاولى في مطلع الثمانينات من القرن الماضي : كانهدام الخبرة بالشؤون الزراعية ، والاعتماد على الفلاح العربي لخبرته وقدرته على تحمل الظروف المناخية والاقتصادية ، واعتماد نظام الانتاج فيها على الملكية الخاصة ، والانتاج الفردي .

ولما أوشك الدمار أن يلحق بمستعمراتها ، سارع البارون ادمون دي روتشيلد بتقديم المعونات المالية لها . وبما أن المهاجرين من اليهود الشرقيين كانوا لايملكون المال الكافي للشروع في أي عمل ، فقد اعتمدوا في انشاء المستعمرات بفلسطين على معونة المؤسسات المالية الصهيونية التي شكلها اليهود الغربيون ، وكان روتشيلد هو ابرز من ساهم في تلك المعونات . وحين سأله وايزمن عن الانطباع الذي تركته زيارته الاخيرة لفلسطين ، قيل الحرب العالمية الاولى بقليل ، أجاب روتشيلد : « لم يكن في مقدور الصهاينة بدوني ان يفعلوا شيئاً ، ولا كان مقدراً لعلمي أي نجاح بدونهم »^(١) . وقد وصف بن غوريون أولئك المهاجرين الأولين « بأنه كانت تنقصهم الثقافة السياسية والفكرة الواضحة » . ومن المعلوم أن سبب هذه الموحدة الأولى من الهجرة يعود في معظمه الى اضطهاد اليهود أكثر مما يعود الى الأمانى الصهيونية لدى يهود اوربا الشرقية وروسيا آنذاك ، إذ لم تكن الفكرة الصهيونية قد تبلورت قبل مؤتمر بال الأول .

وفي عام ١٩٠٠ كان قد تم تأسيس ٢٢ قرية ومستعمرة يهودية في فلسطين ، ولكن
العنصر الأساسي ، وهو العمال اليهود ، لم يكن متوفراً تماماً . وقد سدّ هذا النقص بطلانغ
(الهجرة الثانية Second Aliyah) التي وصلت الى فلسطين ما بين ١٩٠٤ و ١٩١٤ ويعتبر
افرادها أكثر اليهود تعصباً ، ومع ان عددها لم يتجاوز (٤٠) ألفاً الا ان غالبيتهم انتخبت من
من أوساط عمالية فنية .

وقفة فوارق بين النظم التي اعتمدها الهجرة اليهودية الأولى والثانية ؛ فقد اعتمدت الهجرة
الثانية على نظام (الملكية القومية) للارض بدلاً من الملكية الخاصة ، وعلى النظم التعاونية
والجماعية في الانتاج والاستثمار والاستعمار بدلاً عن النظام الفردي في الانتاج . وعوضاً عن
تشغيل الفلاح العربي في أرضه واراض أجداده ، ألحت الهجرة الثانية على طرده منها ، وعلى
مقاطعة اليد العاملة العربية في المشاريع الصهيونية . هذا إلى الربط المحكم بين الأهداف
التي اقيمت في ضوئها المستعمرات الزراعية ، والأهداف الصهيونية المتطلعة « لاسترداد »
(أرض اسرائيل) . ولذلك روعي العامل الاستراتيجي التوسعي في انتقاء مواقع
المستعمرات الجديدة ، بينما لم يحسب حاسبه بدقة في تعيين مواقع مستعمرات الهجرة الأولى ،
التي لم تكن جزءاً من حركة صهيونية شاملة ذات برامج محددة واهداف احتلالية توسعية
بعيدة المدى . وحينئذ بدأ الغزو الصهيوني يأخذ طابعاً منظماً دقيقاً -اً من حيث انتخاب
عناصر المهاجرين ، واعداد المساكن والمزارع لاستقبالهم ، وتأمين الأعمال لهم ، وتلقينهم
العنصرية الصهيونية باضطراد الآخرين ، وبناء دولة أشبه ماتكون بالعسكر . وقد لجأت
الصهيونية اثناء مرحلتها التنفيذية هذه الى حماية منشآتها بتشكيل منظمة الحراس اليهود التي عرفت
باسم (هاشومير) ، والمساعدة على إقامة مستعمرات جديدة أيضاً . وكان بن غوريون عضواً
في هذه المنظمة . ولكن بعد صدور وعد بلفور لم تعد مهمة الدفاع عن المستعمرات تقع

على عاتق جماعة متطوعة من الحراس ، وانما على عاتق الجالية اليهودية بأجمعها في فلسطين المسماة (اليشوف) ، وفتح مجال الخدمة فيها أمام جميع أقوياء البنية من يهود فلسطين ، وسميت الحركة (الهاغانا) ومعناها بالعبرية (الدفاع) . صارت تنفخ في كل مهاجر يهودي روح الانغلاق والتعصب والعداء للعرب .

إن مسؤولية شراء الأراضي ، واستيعاب المهاجرين اليهود ، وتوجيه التعليم وغير ذلك من المهام الضرورية لتهود فلسطين ، كانت تقع على عاتق الصندوق القومي اليهودي (كيرن كيمت لاسرائيل) الذي تأسس عام ١٩٠١ والذي عبر عن حرصه على الاستيطان الصهيوني الموحد بتأكيد على مبدأين اساسيين لا يقبلان الاخلال بهما ، وهما :^(١)

١ - اتباع الأراضي بصفاتها . ملكاً جماعياً قومياً للشعب اليهودي .

ب - تأميم العمل اليهودي .

وتلخص حجج الصهاينة في تبرير ذلك بما يلي :

١ - الملكية الخاصة نقيض الوحدة القومية اليهودية .

٢ - الملكية الخاصة حليفة التجزئة والتفتت ، ومبدأ الملكية الجماعية يوضع في خدمة تضامن اليهود القومي .

٣ - الملكية الخاصة قد تغري اليهودي ببيع املاكه الى غير اليهودي بدافع الربح بما يهدد بناء الوطن القومي .

٤ - الملكية الخاصة قد تستخدم عملاً أرخص أجراً لضمان مقدار أكبر من الربح ، وهذا يؤدي الى بطلان تأميم الطاقة العمالية اليهودية وفشلها ، ويتعارض مع العقائدية

(١) انجيلينا الحلو : ٠ عوامل تكوين اسرائيل . مطبوعات مركز الابحاث - بيروت ١٩٦٧

الصهيونية العامة ، ولا شك في أن استخدام غير اليهودي يحدّ من طاقة العودة المحزونة لدى الجماهير اليهودية ، ويفضي بدوره الى نفس عملية التجميع وإعادة البناء القومي .

٥ - ينظر الصهيوني إلى من يفلح الأرض باعتباره عاملاً مباشراً في إنمائها وتطويرها . فالفلاح اليهودي يجعل الأرض يهودية ، بينما غير اليهودي يسلها طابعها القومي اليهودي . لذلك يمثل تحالف العمل اليهودي مع الأرض القومية المكتسبة صورة متكاملة لعملية التأميم اليهودي .

وبالإضافة الى مسؤولية الصندوق القومي عن ابتياع الأراضي لتحقيق الهدف القومي ، فإنه قام بدور متفرع عنه في إقناع اليهود الموجودين في فلسطين بتحويل ملكيتهم الخاصة الى ملكية عامة ، وكذلك بالامتناع عن استخدام الطاقة العالية العربية . فقد صرح الصندوق أن شروط الأفضلية حيال مآلتي التسليف والمعونة الفنية ، إنما تمنح للفلاح اليهودي الذي يستخدم العمل اليهودي فقط على أرضه . وبفضل مسؤولية الصندوق عن شراء الأراضي واستيعاب المهاجرين وتوجيه التعليم ، وبفضل معوناته التي قدمها الى المؤسسات المختلفة ، فإنه كان قادراً على الاشراف عليها وضبطها وجعلها في خدمة الهدف الصهيوني^(١) .

وكان لا بد أن ينعكس ذلك على إحياء اللغة العبرية والثقافة والتعليم بوجه خاص ؛ ففي المؤتمر الصهيوني الحادي عشر تقرر إنشاء جامعة عبرية في القدس عام ١٩١٣ ، وهو نفس العام الذي تخرج فيه أول دفعة من المدرسة العبرية المسماة (جيمنازيا هرتسليا) . ويعترف الكاتب اليهودي موسى مينوجين الذي تخرج منها ، أنه منذ أول سنوات دراسته ورفاقه في المدرسة المذكورة كانوا يلقنون يوماً خطبة مطولة عن « واجباتنا المقدسة نحو امتنا وبلدنا وأرض آبائنا ، وكان يقرع قلوبنا الفنية أن أرض آبائنا يجب أن نخلص لنا نظيفة من الكفار - العرب ، وأنه يجب أن نسخر حياتنا لخدمة أرض آبائنا ، وللقتال من أجلها . »^(٢)

(١) المصدر نفسه ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢) Menuhin, op. cit, p. 52

إذن في مجال التطبيق العملي ، لا تنطوي الحطة الاستيطانية الصهيونية على إلغاء وجود العناصر الأجنبية (أو الأمية الكافرة Gentile) ضمن الاطار القومي اليهودي فحسب ، وإنما يصبح من واجبه القومي أيضاً أن تتخلص من العناصر الأجنبية التي تشوب النقاء اليهودي في عملية بناء (الوطن) .

بأشر الصهاينة أعمالهم بإنشاء (مكتب فلسطين) في يافا عام ١٩٠٨ لوضع الخطط اللازمة لتنفيذ أول عملية منظمة للاستيطان الصهيوني . وبمعاونة (الصندوق القومي اليهودي) قام المكتب ببناء منطقة سكنية قرب مدينة يافا ، هي نواة مدينة تل أبيب ، وما زالت تتوسع حتى أصبحت المركز الرئيسي للنشاط الصهيوني في فلسطين . وأنشأ المكتب كذلك (شركة إقما الأراضي في فلسطين) عام ١٩٠٩ وهدفها شراء الأراضي العربية ، ووضع برنامج ثقافي خاص للمهاجرين الجدد عند وصولهم الى فلسطين . وكان للمؤسسات الصهيونية المالية أكبر الأثر في الشروع باستعمار فلسطين تحت اشراف مكتب يافا ؛ إذ قدم (صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار) قروضاً قصيرة الأجل للتجار والصناع والمزارعين اليهود ، وساعد بنك (انكلو - فلسطين) الذي سيصبح عام ١٩٢١ (الصندوق التأسيسي لفلسطين - كيرين هيسود) المستوطنين في القضايا الضريبية وشراء الأراضي وساهم في تدريبهم ، بواسطة فرعه الرئيسي في يافا ، وفروعه الثانوية في القدس والحليل وحيفا وبيروت وصفد وطبرية .^(١)

وحتى مطلع الحرب العالمية الأولى كان تنفيذ برنامج الاستيطان اليهودي ، يقع على كاهل الصندوق القومي ، وكان (مكتب يافا) يقوم بتأجير رقعة من أملاك هذا الصندوق الى أحد المستوطنين ، تقدر مساحتها بحسب طاقة المستوطن وعائلته على القيام

(١) أسعد عبد الرحمن . المنظمة الصهيونية العالمية ، مطبوعات مركز الابحاث - بيروت

Bohm, Adolf . The Jewish National Fund » , P. 29 ، اقتباساً عن : ص ٦٩ ،

بفلاحتها دون معونة مأجورة أخرى ، وتمكينه من استصلاحها وإعدادها للزراعة ، ثم تزويده بما يلزمه من السكن والماشية والمعدات والأدوات الزراعية . وقد اقتضى تنفيذ الصندوق القومي لبرنامج تنمية الاستيطان ، إنشاء عدة صناديق متفرعة عنه تساعد على تحقيق مهمته . منها (صندوق شجر الزيتون) الذي أصبح فيما بعد (صندوق الأشجار) و (صندوق سكن العمال) و (صندوق الاستيطان التعاوني) . وقد منح الصندوق القومي قروضاً لبعض الجمعيات الخاصة مثل (جمعية بناء المساكن التعاونية) ، كما ساعد الجهاز التعليمي اليهودي ، بمنحه المدارس الأموال والأراضي اللازمة .^(١)

وقد ابتاع الصندوق القومي من الأفراد اليهود ما مجموعه (٨٧٠٠) دونم من الأراضي ما بين تأسيسه وإنشاء (مكتب فلسطين) ، في محاولة لتدعيم مبدأ (الملكية القومية) . وبدأ الصندوق عام ١٩١١ شراء الأراضي من بعض الملاكين العرب . وبلغت مساحة ما اشتراه منها حتى عام ١٩٢٠ (٢٢٣٦٢) دونماً من الأرض التي اعتبرت ملكاً قومياً .

وحين أعطت بريطانيا للصهاينة (البراءة) متمثلة في وعد بلفور (١٩١٧) وضمنوه صك الانتداب (١٩٢٢) قوي مركز الصندوق القومي اليهودي نظراً للتأييد الذي حظي به من دولة الانتداب .^(٢) وقد أسفرت جهود الاستيطان العملي الصهيوني عن هجرة (٤٠)

(١) المصدر السابق ص ٧٠ عن بوهم ص ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٧ - ٥٢ .

(٢) جاء في صك الانتداب أن على الحكومة المنتدبة ان تساعد اليهود ... وورد في المادة السادسة من صك الانتداب : « على ادارة فلسطين ، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى .. أن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة ، حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للعقاصد العمومية . وورد أيضاً في المادة الحادية عشرة : « على ادارة فلسطين أن توجد نظاماً للأراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة أمور أخرى ، منها المنافع التي تنجم عن تشجيع إكثار المهاجرة واستغلال أعظم ما يستطيع من الأرض . وقد فسرت الدولة المنتدبة هاتين المادتين تفسيراً متحيزاً للصهاينة .

ألف يهودي ما بين ١٩٠٤ - ١٩١٤ ، في حين لم يتجاوز عدد المهاجرين في الفترة الأولى ما بين ١٨٨٢-١٩٠٤ (٢٥) ألفاً^(١).

وعد بلفور :

أما (البراءة) التي كان لا بدّ أن تسيّر الجهود الدبلوماسية الصهيونية الموجهة للحصول عليها ، جنباً الى جنب مع الجهود العمليّة الاستيطانية في فلسطين ، فيرجع الى وايزمن ودبلوماسيته البارعة خاصة فضل الظفر بها .^(٢) وقد أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى الى احداث الارتباك والفوضى في الجهاز الاداري الصهيوني ، بعد انقطاع ما كان يصل بينه وبين الأجهزة الصهيونية المركزية في تركيا وروسيا ودول الغرب . كما أدى الى سحب ونفي عدد من الصهاينة العاملين ، والى إغلاق بنك (انكلو - فلسطين) ، وحل منظمة الحراس المسلحة شبه العسكرية (هاشومير) ، وتوقف المؤسسات الصهيونية عن العمل . وكان توزع يهود العالم بين بلدان المعسكرين المتصارعين ، والبلدان المحايدة ، بما أفضى الى تقلص المساهمات المائيّة والبشرية اليهودية الواردة الى فلسطين . ولكن قادة الصهيونية لم يكونوا جميعاً متفقين على ربط مصيرهم بمعسكر الحلفاء الذي تشكل روسيا القيصرية جانباً مهماً منه ، نظراً لعداء اليهود عموماً لروسيا . ولذلك آثر فريق من اليهود أن يحافظوا على صلات الود مع المانيا التي كان يتركز فيها مكاتب وأجهزة الحركة الصهيونية ، لاسيما وأنه كان لليهود الألمان دور فعال وناشط في الحركة الصهيونية ، لا يفوقهم فيه غير يهود أوروبا الشرقية .

غير أنه برغم الارتباك والفوضى السائدين في الصفوف الصهيونية ، فقد ظهر عاملان

(١) Cohen, Israel, .A short History of Zionism, .London 1951, p. 254

(٢) انظر الفصل الرابع والفصل الخامس والفصل السادس من كتاب المؤلف « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين » ص ٢٥ - ٥٩ للتوسع حول تصريح بلفور وظروف إخراجه ، وتحليل نصه ، وتناقضه بما سبق ولحق من وعود وعهود . وانظر كذلك الفصل المتعلق بتصريح بلفور الذي عقده المؤلف البريطاني جفرز J. M. N. Jeffries . في كتابه القيم Palestine, The Reality, London 1939 . وقد جددت مؤسسة الدراسات الفلسطينية طبع هذا الفصل في مجلة منشوراتها لعام ١٩٦٧ وهو يقع في ٢٠ صفحة بالانكليزية .

كان حصيلتها (البراءة) التي طالما سعت الصهيونية إليها ؛ والعاملان هما : ظهور حاييم وايزمن كزعيم للحركة الصهيونية بحكم الأمر الواقع ، وتزايد دعم الصهاينة الامريكيين للأهداف الصهيونية طوال فترة الحرب .

اما وايزمن فقد كان حتى بداية الحرب العالمية الاولى يبدو مكتفياً (بالبدابات الصغيرة) الصهيونية في فلسطين، وبالتقدم المتواضع الذي أحرزته المستعمرات الصهيونية المنشأة سابقاً ، مع التقدم المرضي الذي حققته المدارس العبرية الجديدة ، الابتدائية والثانوية في يافا وتل أبيب والقدس . وساد السلام ربوع فلسطين حتى اندلاع الحرب ، فتطلع عرب فلسطين بالأمل نحو مبدأ تقرير المصير ونحو القومية العربية . وكان ذلك أمراً طبيعياً ومعقولاً طالما كانوا يعيشون في بلدهم^(١) . ولكن الجيل الجديد من يهود (الهجرة الثانية) حملوا بالقومية « اليهودية » ، وانحرفوا - فجا يقول مينوحين - بفكرة تقرير المصير انحرافاً توراتياً ، عبر عنه بن غوريون الشاب بقوله : « ان الحقوق في فلسطين لاتعود الى المستوطنين الحاليين ، سواء كانوا من اليهود أو من العرب ، كما هو الحال في البلدان الأخرى . ان المعضلة هنا هي حق العودة لليهود المشتتين ، وحق اعادة بناء الحرية والسيادة اليهوديتين وتنميتها . وان عدم الاستجابة لتلك الفكرة هو إخلال بانتسابنا لاسرائيل »^(٢) ! والمدعش أنه لأول مرة بدا ان القادة الصهاينة (يكتشفون) السكان العرب في فلسطين ، فقد كتب وايزمن في سيرته الذاتية يقول : « لقد كان فيكتور جاكوبسن مدير فرع بنك انكلو فلسطين الذي سمعت منه شيئاً ولأول مرة عام ١٩٠٧ عن الحركة القومية العربية الناشئة^(٣) . وبشرح لنا مينوحين كيف تحول وايزمن من ناقد مستنكر لأساليب

Menuhin, op. cit , pp. 52-53 (١)

Menuhin, ibid, P. 53, Ben Gurion, op. cit, P. 38 (٢)

Weizmann, op. cit, p. 125 (٣)

لأساليب هرتل ، الى مستجيب لها ، عامل بها ، بقوله : « في وسط الحرب العالمية الاولى حضر بن غوريون الى نيويورك ليقنع يهودها بالتطوع في لواء يهودي يرجع معه الى فلسطين ويجارب لتحريرها في صفوف الجيش البريطاني بقيادة اللني . وقد قصد بن غوريون من ذلك اجباروايزمن (العلي) على العمل ، وكان يعيش وبثقل في انكلترة خلال الحرب . وقد افقع بن غوريون وايزمن بأن يصبح « هرتل » آخر ، ويخدم مصالح الصهاينة سياسياً في لندن .

وأحسن وايزمن بمحض الصهاينة الشبان القوميين له ، ورأى « فرصاً ذهبية » في وسط الجلبة القائمة ، وامكانات للتواطؤ مع ما كان يدور في دوائر الدول المتحالفة ، والاصطياد كان جيداً في الماء العكر . وفجأة ، سم الصهاينة جميعاً من (البدايات الصغيرة) ، ووضعوا أرجلهم في أحذية هرتل السياسي ، وبدأوا « يمشون على البيض » ، ويستعملون « أساليب الخداع والمظاهر البراقة » ، والعبارات الكبيرة « لهرتل - البراءة » ، الدولة اليهودية - وهي نفس المآخذ التي كان وايزمن والصهاينة (العمليون) يستكرونها في هرتل بعد موته ١٩٠٤^(١) ، وقد عبّر وايزمن عنها آنذاك بقوله : « ان اسلوب الخداع والمظاهر البراقة ، واللهجة الفييناوية يجب ان يسقط ويجب ان يبدأ العمل الجاد^(٢) » .

والحق ان العمل الصهيوني الجاد بدأ منذ مطلع الحرب العالمية الاولى لا في منتصفها برغم ظروف الحرب التي بلبت أوضاع التنظيم الاداري الصهيوني . وكان وايزمن ، الذي تمثلت في شخصيته الصهيونية (التركيبية) ، متيقظاً لاستغلال الظروف المتغيرة التي تحقق

Menuhin, op. cit, p. 53

(١)

ibid, p. 50

(٢)

٨ فلسطين (١٩٦٨)

هدف الصهيونية . وكان لا بدّ له ان يلجأ الى تطبيق فعّال للنقطتين الثالثة والرابعة من برنامج بال ، وهي كسب اليهود البريطانيين الى الصهيونية من ناحية ، وايجاد اصدقاء للصهيونية بين زعماء الحكومة البريطانية ، وذلك بقصد الحصول على مساندة الأمم الأخرى وموافقتها على الهدف الصهيوني ، في وقت بدا فيه وضع فلسطين عرضة للتغيير . أي ان وايزمن عاد للتركيز على صهيونية هرتسل السياسية وشعر ان اكتساب (البراءة) في هذا الوقت أمر حيوي جداً للصهيونية .

ويبدو ان وايزمن ورفاقه وجدوا ان بريطانيا أفضل حليف ، وذلك في ضوء عطفها على الحركة الصهيونية أيام هرتسل والمشاريع التي قدّمها للاستيطان الصهيوني . فضلاً عن أن البارون العجوز ادمون روتشيلد الذي زاره وايزمن في باريس أثناء عودته الى لندن بعد وقت قصير من اعلان الحرب ، حضّ وايزمن على الاتصال بالساسة البريطانيين ، وقال له : « .. نعم تبدو الأشياء قائمة ، ولكننا سوف نربح الحرب . وهذا هو الوقت لنعمل ، حتى لا ينسونا في التسوية العامة ، وقد حثّني على الاتصال بالساسة البريطانيين فور عودتي الى انكلترا ، وكان رأي روتشيلد (وواقفه عليه وايزمن) أن الحرب سوف تمتد الى الشرق الأوسط ، وأن أموراً في غاية الأهمية سوف تحدث لنا ،^(١) .

وكانت الظروف مواتية لوايزمن ، إذ صادف إثر عودته الى لندن بشهرين المستر سكوت Scott محرر جريدة المانشستر غارديان ، ويعترف وايزمن بأنه تعرّف على رجل كان له قيمة لا تقدر بالنسبة للحركة الصهيونية . وقال له سكوت أريد أن أعرفك بلويد جورج ، وأضاف يقول : « أنت تعلم أن لديكم يهودياً في الحكومة هو المستر هيربرت صموئيل . » وقبل أن يجتمع وايزمن بلويد جورج وهربرت صموئيل بشهر واحد ، سارع

Weizmann, op. cit. p. 189

(١)

لتقديم مذكرة في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٤ يجمل فيها الخطوط الرئيسية لموقف الصهاينة في المفاوضات التي سيجرونها مع الحكومة البريطانية ، وجاء في المذكرة : « ألا ترى أن الفرصة أمام الشعب اليهودي الآن تدخل في حيز المناقشة على الأقل ؟ أنا أدرك طبعاً أننا لا نستطيع المطالبة بأي شيء ، لأننا أصغر من ذلك بكثير ، ولكن نستطيع أن نقول بشكل معقول إنه إن دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانية ، وإن شجعت بريطانيا الاستيطان اليهودي في فلسطين باعتبارها تابعة لبريطانيا ، فإنه يمكن ان يكون لنا هناك في خلال عشرين عاماً الى ثلاثين ، مليون يهودي ، وربما أكثر . منهم سيرتقون بالبلاد ، ويعيدون إليها الحضارة ، وبشكلون حراسة فعالة جداً لقناة السويس »^(١) . وهذا يعني بوضوح :

١ - ضرورة انتصار الحلفاء

٢ - اقامة (انتداب) بريطاني في فلسطين

٣ - على ان يسهل ذلك (الانتداب) دخول مليون يهودي أو أكثر الى فلسطين في مدة عشرين عاماً الى ثلاثين بعد مباشرة الانتداب .

٤ - ان ينتهي (الانتداب) البريطاني بعد أن يسيطر اليهود على مقدرات فلسطين مقابل استمرارهم في خدمة مصالح بريطانيا بالدفاع عن القناة^(٢) .

وتلقى وايز من دعوة من (سكوت) لتناول الافطار مع لويد جورج وهربرت صموئيل . . . ودار الحديث عن فلسطين طبعاً ، فقد سأل لويد جورج ضيفه وايز من عنها ، وعن المستعمرات اليهودية وعن عدد اليهود فيها وعدد الذين يستطيعون الذهاب اليها . وبعد ذلك أشار لويد جورج على وايز من ان يتحدث مع (آرثر بلفور) ، ومع رئيس الوزراء (اسكويث) . وكان صموئيل مؤيداً للصهيونية أصلاً ، وقبل اجتماعه بوايز من ؛ فقد طرق موضوع خلق دولة

Weizmann, op. cit. p. 191 (١)

Taylor, Alan, - Prelude to Israel, - N. Y. 1959, P. 12 (٢)

المناسب . وبما يدعو الى الغرابة حقاً أن المؤيد الوحيد الآخر لهذا الاقتراح هو لويديجورج الذي لاحاجة بي الى القول بأنه لايتهم مثقال ذرة لليهود او ماضيهم او مستقبلهم ، بل يعتقد ان الاماكن المقدسة سنتهك حرمتها اذا ماسمح لفرنسا الملحدة المتشككة ان تمتلكها أو أن تضعها تحت رقابتها ،^(١) .

أخفقت جهود الصهاينة مع اسكويث رئيس الوزارة لأنه كان يلتزم بسياسة إحلال العرب محل الأتراك كأصدقاء لبريطانيا في الشرق الأدنى^(٢) . واجهوايزمن ورفاقه معارضة اليهود البريطانيين غير الصهاينة ، الذين احتجوا بأن القومية الصهيونية لن ينجم عنها غير اللاسامية ، ولذا فهم لا يؤيدون انشاء وطن يهودي كحل للمسألة اليهودية . وسارعوايزمن والصهاينة الى الاستعانة بصحفي انكليزي مرموق في جريدة المانشستر غادرياث اسمه سايدبوثام Sidebotham ومؤيد للصهيونية للقيام بمجملعة واسعة تستهدف اكتاب اليهود وغير اليهود إلى الأفكار الصهيونية ، «وقد ساعد (سايدبوثام) في تأسيس وتنظيم (لجنة فلسطين البريطانية) التي لعبت دوراً هاماً في اجتذاب الرأي العام لصالحنا»^(٣) وقدنجحت هذه اللجنة في تعطيل المعارضة اليهودية للخطط الصهيونية في بريطانيا ، وافلح (سايدبوثام) في ضمان عطف كثير من البريطانيين على الصهاينة حين اشار في إحدى مقالاته إلى ماتعنيه اقامة دولة يهودية صديقة وموثوقة في فلسطين ، من قيمة استراتيجية لبريطانيا^(٤) .

ومع بلفور ، أجرى وايزمن مقابلة موفقة حين ابتدره بلفور بقوله : « انك لم تتغير كثيراً منذ أن التقينا (مقابلة وايزمن مع بلفور ، لاول مرة كانت عام ١٩١٦ وقد

Weizmann, op. cit. P. 192 (١)

Esco, op. cit, p. 81 (٢)

Weizmann, op. cit, P. 233 (٣)

Esco, op. cit, P. 81 (٤)

يهودية في فلسطين مع السير (ادوارد غراي) وزير الخارجية الذي وعده العمل على تحقيق مثل هذه الدولة في المستقبل^(١). وبعد اكتساب غراي الى الصهيونية ، كتب صموئيل مذكرة إلى اسكويث نفسه عن موضوع (دولة يهودية) في فلسطين ، دونها اسكويث في يومياته بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩١٥ : « لقد تلقيت الآن من هربرت صموئيل مذكرة عنوانها (مستقبل فلسطين) ذهب يجادل فيها بكثير من التطويل و ببعض الحماس تأييداً لضم فلسطين الى بريطانيا ، البلد الذي يحجم و ياز ، الكثير منه جبال قاحلة و بعضه لامااء فيه . و هو يعتقد أن بإمكاننا أن نقيم في هذا البلد الذي لايرجى منه الخير الكثير ما يقرب من ثلاثة او اربعة ملايين من اليهود الاوروبيين ، وان هذا العمل سيكون له تأثير طيب على اليهود الذين بقوا خارج فلسطين ، وهذه المذكرة لدى قراءتها تشبه الى حد كبير طبعة جديدة من (تاتكرود^(٢)) اخرجت للحياة من جديد . واني اعترف بأن هذا الاقتراح القاضي بإضافة مسؤوليات علينا لا يستهويني ، لكنه تفسير غريب لقول دزرائيلي المأثور المحبب اليه (الجنس هو كل شيء) ، وأن يجد هذا القول أصداء غنائية تصدر عن عقل هربرت صموئيل الذي عرف عنه التنظيم و التسيق . و بعد عدة أسابيع عاد (اسكويث) إلى الموضوع وعلق عليه بقوله : « اظن أنني كنت أشرت إلى مذكرة هربرت صموئيل المغرقة في الحماس والتي تلح على أنه لدى فصل أملاك تركيا الآسيوية ، علينا أن نأخذ فلسطين ، وان نحشد فيها في وقت معين جميع اليهود المشتتبين في أنحاء الأرض ، حيث يتاح لهم الحصول على الحكم الذاتي في الوقت

The Esco Foundation for Palestine : A Study of Jewish (١)

Arab & British Policies, New Haven, Yale University, 1917,

Vol I , P. 80

و جدير بالذكر أن غراي الذي كان قد أيد الصهيونية حين كان وزيراً للخارجية ، أكد عام

١٩٢٣ أن وعد بلفور كان متناقضاً مع نفسه وأنه ينطوي على تهديد للصالح العربية .

Barbour, N. •Palestine, Star or Crescent,• N. Y. 1947, pp. 125-123

(٢) تاتكرود هو امير صليبي من رجال الحملة الأولى ، اشتهر بمغامراته الكثيرة في بلاد الشرق

و باندفاعه لاحتلال بلدانه وبعداوته المتأصلة للعرب و الاسلام .

تحدث وايزمن معه عن الصهيونية مطولاً آنذاك) . هل تعلم انني كنت افكر في محادثتنا ، وأنا اعتقد أنه حالما يتوقف اطلاق النار ، فقد يمكنك الحصول على اورشليمك ^(١) .

ولكن اهمية دعم وعد بلفور للصهيونية لن تتضح إلا بعد اشتراكه في وزارة لويد جورج الذي حل محل اسكويث في كانون الاول ١٩١٦ ، وحينئذ يستوفر للصهيونية اعتراف جزئي باهدافها العدوانية ، وسيجتمع لها بين أعضاء الحكومة البريطانية التأييد الكافي لاعلان التزام بريطانيا بالعطف رسمياً على هذه الاهداف ، وسط خلو الميدان الا من رجال الاستعمار والصهيونية ، يتسابقون فيه كما يشاؤون ويكون الدسائس والمؤامرات دون أقل التفات لمشئته اهل البلاد ، وحقوقهم الطبيعية والسياسية .

واقضى العمل الصهيوني الرسمي أن يتخذ مظهر شرعياً ، بعدما أصاب المنظمة الصهيونية العالمية من تفكك وبلبلة ، في ظروف الحرب القائمة ، ولذلك تشكلت اللجنة السياسية الصهيونية الأولى في شهر كانون الثاني ١٩١٦ ، وتألقت من وايزمن وجوزيف كورن Cowen ودكتور موريس غاستر Caster وهربرت بنتوتيش Bentwitch كممثلين عن الاتحاد الصهيوني الانكليزي . وانضم اليهم اثنان من الصهانية القياديين في القارة الأوروبية احدهما سوكولوف Sokolow عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية المعطلة ، وثانيهما تشلينوف Tschlenow . وعملت اللجنة بالتشاور مع بعض افراد عائلة روتشيلد وهربرت صموئيل ، وأحدها عام .

وبدأت الصهيونية تعبر مرحلة الدعاية التحضيرية والمناقشة النظرية إلى مرحلة التحقيق العملي ، حين اكتسبت الصهيونية الى جانبها رجلاً أرمينياً هو جيمس مالكولم Malcolm ، وهو على صلة وثيقة بالسير مارك سايكس السكرتير الاول لوزارة الحرب البريطانية الحجير

Weizmann, op. cit, P. 195

(١)

بشؤون الشرق الاوسط ورئيس قسم التحريات في وزارة الحرب. ويروي وايزمن ان سايكس ابدى قلقه يوماً لصديقه مالكولم من نقص المشاعر المؤيدة للحلفاء بين صفوف اليهود الاميركيين ، فعرض عليه مالكولم ان يصله ببعض الصهانية العاملين في انكلترة، والذين بمقدورهم ان يؤثروا على أنصارهم في امريكا للزج بالولايات المتحدة في الحرب الدائرة. وكان ان باشروايزمن وزملاؤه انصالاتهم بسايكس الذي تلقى تفويضاً من اللورد (ملتر) للشروع في التفاوض معهم، وبذلك قطع الصهانية مرحلة أخرى على الطريق الى وعد بلفور .^(١) وقال وايزمن في سيرته الذاتية إنه لا يستطيع ان يجد من الكلمات ما يكفي لوفاء الخدمات التي أداها سايكس للصهانية « فهو الذي وجه عملنا الى مداخل ومخارج أبعد مدى في صيغتها الرسمية ، وكان بحكم عمله يتبع سكرتارية وزارة الحرب التي تضم أيضاً ليوبارد اميري Amery واورمبسي غور Gore ورونالد ستورز Storrs ، ولولا مشورة رجال مثل سايكس ولورد روبرت سيل لوقعنا في عديد من الأخطاء الخطيرة، في وقت لم تكن لنا خبرة في شئون المفاوضات الدبلوماسية الدقيقة » .^(٢)

وأدرك الصهانية أنه قد حان الوقت للضغط على الحكومة البريطانية من أجل إصدار تصريح سياسي بخصوص فلسطين ، بعد ضمان عطف الحكومة الفرنسية والاطالية ، وبعد تهدئة مخاوف البابا على مصير الطوائف غير اليهودية في فلسطين ، وقد ساعد سايكس كثيراً للوصول الى هذه النتيجة .^(٣)

ولم يلبث الصهانية أن علموا بوجود اتفاقية سايكس بيكو السرية بين بريطانيا وفرنسا،

Weizmann, op. cit, P. 230 (١)

ibid (٢)

(٣) انظر للؤلؤف « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين » ص ٣٠ .

وذلك عن طريق (سكوت) الذي أخبر وايزمن عنها في ١٦ نيسان ١٩١٧. ووصف وايزمن الاتفاقية بأنها غير معقولة ؛ فهي غير عادلة بالنسبة لانكلترة ، وميئة لنا وغير مسعفة للعرب .^(١) ولكن الاتفاقية برغم أنها فرضت على فلسطين حكماً دولياً بدل حماية بريطانيا ، غير أنها من ناحية أخرى استبعدت إمكانية حكم عربي في فلسطين ، وأتاحت للصهاينة وقتاً ينهون خلاله التفاوض لاغتصاب فلسطين . ومن هنا فإن اتفاقية سايبس يكون قد خدمت الأهداف الصهيونية ، وليس كما وصفها وايزمن بأنها ميئة . ونشط وايزمن للعمل فقابل لورد روبرت سبيل مساعد وزير الخارجية ومن المحبذ للصهيونية في ٢٥ نيسان ١٩١٧ ، وذكر له أن ما هم الصهاينة هو أن تكون فلسطين بحمة بريطانية لفرنسية ، لأن الادارة البريطانية أجدى وأصلح في نظرهم . وقال وايزمن انه يعمل من أجل (فلسطين يهودية) تحت الحماية البريطانية ، ووافق سبيل على هذا الرأي ، وأشار الى المصاعب التي تكتنف تحقيقه ، ولكنه اقترح أنه مما يساعد كثيراً أن يعتبر يهود العالم عن تأييدهم للحماية البريطانية على فلسطين .^(٢) ويعترف وايزمن « ان اليهود هم الذين اعطوا الجوهر والحقيقة لفكرة الحماية البريطانية على فلسطين - التي أخذت شكل الانتداب فيما بعد : » إننا لفتنا نظر البريطانيين طويلاً ، وأنا كررت ذلك في اجتماعي بلورد روبرت سبيل ، الى أن فلسطين يهودية ستكون حماية لانكلترة وخاصة لقناة السويس^(٣) .

وقد قام وايزمن وزملاؤه في اللجنة الصهيونية السياسية من ناحية ، كما قام القاضي لويس برنديس Brandeis الذي انتخب رئيساً للجنة التنفيذية الموقفة للشؤون الصهيونية العامة في الولايات المتحدة ، من ناحية أخرى بتقريب وجهات نظر الحكومتين البريطانية والامريكية

Weizmann, op. cit, P. 241

(١)

ibid , P. 242

(٢)

ibid, P. 243

(٣)

فما يتعلق بقضية فلسطين. (١) وحين ذهب بلفور الى الولايات المتحدة في مهمة خاصة (٢٠ نيسان ١٩١٧) قابل برنديس في حفلة بالبيت الأبيض ، « وقد قام برنديس بأكثر من الحصة على تبني فكرة (فلسطين يهودية) تحت الحماية البريطانية » ، في وقت أعلنت فيه كل من روسيا وامريكا (نيسان ١٩١٧) أنها تعارض الضم والالحاق للأراضي والبلدان من حيث المبدأ. (٢) ووصف وايز من قيمة المعونة الاميركية بقوله: « لكن أعظم ميزات المساعدة الاميركية آنذاك صدرت عن السياسة التي أعلنها الرئيس ويلسون برفض المعاهدات السرية . ومع أن تسويات سايكس بيكو لم تكن معاهدة بالمعنى الكامل لكنها كانت تحمل الصبغة الرسمية التي تكفي لخلق الصعوبة الفريدة في سبيل تقدمنا . وان اعلان مبادئ ويلسون بشأن المعاهدات العلنية المتفق عليها ، اضطر الدول الكبرى لوضع أوراقها على المائدة ، وهكذا ذبلت تسويات سايكس بيكو او المعاهدة شبه الرسمية وانطوت » (٣).

وقد دخلت الولايات المتحدة الحرب في هذه الفترة بالذات (نيسان) الى جانب الحلفاء .

ولا ننهي الكلام على الجهود الصهيونية الدبلوماسية من أجل الحصول على (البراءة) للتريخيص باستعمار فلسطين ، دون أن نشير الى ما بذله وايز من والصهانية لكي يتضمن الوعد البريطاني بمساعدتهم على استيطان فلسطين ، فقرة تشير الى (الحق التاريخي) . لذلك سعى الصهانية سعياً حثيثاً طوال المفاوضات مع الحكومة البريطانية ، لادراج نص صريح في متن الاعلان البريطاني المنشود ، يؤكد اعتراف بريطانيا بما زعموه لأنفسهم من (حق تاريخي) في فلسطين . وبين المطالب الصهيونية التي سلمها الجانب الصهيوني في مطلع عام ١٩١٧ للسير مارك سايكس نص ورد فيه ما يلي : « ينبغي أن يلقى حق الشعب

Parzen, op. cit. P. 56

(١)

Weizmann, op. cit. PP. 241-5

(٢)

ibid

(٣)

اليهودي بفلسطين اعترافاً دولياً .^(١) وفي حزيران ١٩١٧ أعلن بلفور استعدادة لاستلام المطالب الصهيونية لتضمينها في الاعلان الرسمي المزمع اصداره . وتوصل الصهاينة الى صيغة نهائية قدموها في ١٨ تموز الى بلفور ، وجاء فيها : « ان حكومة جلالتة ، بعد ان نظرت في اهداف المنظمة الصهيونية ، تقرّ مبدأ الاعتراف بفلسطين على انها الوطن القومي للشعب اليهودي ، ويحث الشعب اليهودي لإعادة في بناء حياته القومية في فلسطين في ظل حماية تقوم عند ابرام السلام » .^(٢)

وافقت الحكومة البريطانية على مبدأ الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي ، وستناقش الوسائل الضرورية المؤدية الى ذلك بالاستراك مع المنظمة الصهيونية.^(٣) وفي الاجتماع الوزاري يوم ٤ تشرين الأول ١٩١٧ الذي تقرر فيه ادراج التصريح الرسمي بصدد فلسطين ، اعترض (ادوين مونتاغو) بشدة على المبادرة البريطانية ، وكان نتيجة اصرار دعاة الاندماج من اليهود البريطانيين ان صدر تعهد بريطانيا بتأييد « تأسيس وطن قومي للعنصر اليهودي في فلسطين » .^(٤) أي بحذف فكرة (حق اليهود بفلسطين) وأيضاً حذف لفظة (إعادة بناء) الوطن . وقد حثق وايزمن من هذا التراجع المؤلم ، وكتب الى الحكومة يناشدها ان ترجع على الأقل الى صيغة (إعادة بناء) « إذ بهذا التبديل الصغير سيشار إلى العلاقة التاريخية بالتقاليد القديمة ، وبسقيم أمر الموضوع بأسره » .^(٥) واقترح كذلك وضع عبارة (الشعب اليهودي) بدلاً من (العنصر اليهودي) والمقترح الأخير قد نفذ بناء على تدخل برنديس .^(٦) وصدر وعد بلفور في شكل رسالة بعث بها بلفور وزير

Esco , op. cit. P. 94; Weizmann ; op.cit P. 256 (١)

Esco,ibid; P. 103 (٢)

Esco. ibid. 105 ; Weizmann, P. 257 (٣)

Weizmann, op. cit, P. 260 (٤)

ibid, p. 261 (٥)

ibid (٦)

خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد ونصها :

« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالتها التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة فأقرته :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية . على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . »

« أكون ممتناً لكم لو أبلغتم هذا التصريح الى الاتحاد الفيدرالي الصهيوني . » ١٠٥١ .
وعبر وايزمن عن خيبة أمله لأن نص التصريح جاء خلواً من أية إشارة الى (الحق اليهودي) أو (الصلة التاريخية) . فقد سجل في سيرته الذاتية أنه « بينما كانت الوزارة مجتمعاً لاقرار النص النهائي ، كنت أنا أنتظر خارجاً .. وجاءني سايكس بالوثيقة وهو يصيح : (دكتور وايزمن إنه مولود ذكر !) . ويتابع وايزمن حديثه فيقول : « لم يعجبني الصبي في البدء . إنه لم يكن الصبي الذي كنت أنتظره ، ولكنني كنت أعلم أن هذا كان حدثاً عظيماً . » (١)

وعلى الرغم من ابتئاس وايزمن ، فانه ظل وزملائه يتابعون مسألة (الحق القومي والتاريخي) بدون هوادة ، في الجهود الدبلوماسية الموجهة هذه المرة نحو تضمين ما فاتهم الحصول عليه - في صك الانتداب كما سنرى . إن وعد بلفور قد منح (البراءة)

للصهيونية السياسية ، ونجح الصهاينة في ترسيخ مطالب برنامج بال ، الذي يدعو - فيما يدعو - الى الحصول على مساندة الأمم الأخرى (الكفار) لحق اليهود « الشرعي » في بناء وطن قومي في فلسطين .

من دوافع وعد بلفور : من المفيد للباحث أن يعرض لآراء بعض رجال السياسة من بريطانيين وصهاينة حول دوافع وعد بلفور لالقاء مزيد من الضوء على الظروف والملابسات التي أحاطت بصدوره ، وللكشف عن مدى تغلغل النفوذ الصهيوني في الأوساط الدولية ، وعلى الخصوص البريطانية والامريكية ، ومقدار عبثه بأجهزة الدولتين وإفساد ضمائر القائمين على الحكم فيها .

نعرض اولاً لرأي رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج الذي صدر الوعد في عهدها ، ونعتمد في معرفته على ماجاء حوله في تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (بيل) :

« ذكر لنا المستر لويد جورج الذي كان رئيساً للوزارة في ذلك الزمن في سياق الشهادة التي أدلى بها أمامنا أنه بالرغم من أن القضية الصهيونية كانت تلقى معاضدة واسعة في بريطانيا وامريكا قبل شهر تشرين الثاني ١٩١٧ ، كان إعلان تصريح بلفور في ذلك الحين أمراً (اقتضته موجبات الدعاية) . وشرح لنا الموقف الحرج الذي كان يجتريه بدول الحلفاء والدول المشتركة معها في ذلك الوقت . فالرومانيون كانوا قد سُحِقوا ، ومعنويات الجيش الروسي كانت آخذة في الانحلال ، ولم يكن في وسع الجيش الفرنسي آتئذ أن يقوم بهجوم واسع النطاق ، وكان الايطاليون قد فشلوا فشلاً مروعاً في موقعة كابوريتو ، كما أن الغواصات الألمانية كانت قد أغرقت ما يبلغ بمحموله ملايين الاطنان من السفن البريطانية ، ولم تكن قد وصلت الفرق الاميركية بعد إلى الخنادق . وفي تلك الحالة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوئتهم قد يكون له أثره الفعال في توجيه كفة

الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدّهم . ثم ان عطف اليهود من شأنه على الأخص ان يضمن معاودة اليهود في امريكا، ويجعل من الصعب على المانيا تخفيف قواها العسكرية وتحسين وضعها الاقتصادي في الميدان الشرقي .

تلك هي الأحوال التي أصدرت فيها الحكومة البريطانية تصريح بلفور . وقد ذكر لنا مستر لويد جورج : « ان الزعماء الصهاينة قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله انه اذا اخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين فإنهم (اي الزعماء الصهاينة) سيعملون كل مايسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود في كافة أنحاء العالم وتأليبهم لمعاودة قضية الحلفاء . وقد برّوا بوعدهم هذا^(١) .

واعترف لويد جورج أيضاً امام اللجنة الملكية : « بلى كان المنظور ، أنه متى حان الوقت لقيام حكم تمثيلي في فلسطين ، وكان اليهود قد لبّوا نداء الفرصة المتاحة لهم بفكرة وطن قومي ، فأصبحوا اكثرية حاسمة - فلسطين اذذاك صائرة دولة يهودية » .

وذكر لويد جورج صراحة في مذكراته : « ليس من برهان على قيمة وعد بلفور كخطوة حربية افضل من دخول المانيا على أثره في مفاوضات مع تركيا في محاولة لايجاد مشروع آخر - يُجذب اليه الصهاينة^(٢) » .

أما بلفور فيقول في الجزء الثاني من وثائق السياسة البريطانية : « في فلسطين لم نقصد ابداً ان نستأنس برغبات السكان وأمانهم . ان الصهيونية بالنسبة لنا هي اهم بكثير من الرغبات والأفكار المسبقة لسبعمائة الف عربي يقطنون تلك الارض القديمة » .

ان الوفاق بين الصهيونية واستعمار البريطاني حتى عام ١٩٣٩ ثم الامر يكي بعد ذلك ، أشير الى بدايته مراراً في مذكرات تشرشل ولويد جورج على شكل إقرار وتأييد بالدور

(١) تقرير اللجنة الملكية ، الصادر بشكل أمر حكومي « ٥٤٧٩ Cmd » ص ٣١-٣٢
« النسخة العربية » . والنسخة الانكليزية ص ١٧ .

(٢) طرين - المصدر نفسه ، ص ٣٨

الذي قام به الصهاينة جلب امريكا الى ميادين الحرب الناشبة في اوربا . فقد ذكر تشرشل :
« ان تصريح بلفور ينبغي إذن أن لا يُنظر اليه كوعد أعطي لدوافع عاطفية ، بل كإجراء
عملي اتخذ في مصلحة قضية مشتركة ، وذلك في آونة لم تكن فيها هذه القضية تحتمل إغفال
أي عنصر لمساعدة مادة أو معنوية » .^(١)

أما هربرت صموئيل ، عضو وزارة الحرب البريطانية وأول مندوب سامي بريطاني على
فلسطين ، وهو يهودي وصهيوني ، فيرى أن وعد بلفور تبرره الضرورة الاستراتيجية ،
فقد ورد في مذكراته : « في اللحظة التي دخلت فيها تركيا الحرب تغير الوضع تماماً . فإن
قدر لفلسطين ان تحظى بمصير جديد ، فإن بريطانيا العظمى هي صاحبة الشأن الأول في
ذلك المصير بالها من مصالح استراتيجية هامة في الشرق الأوسط .

« وان على حكومتنا أن تولي عنايتها الجدية موضوع من سيخلف الأتراك في السيطرة
على فلسطين ذلك البلد الذي يتاخم قناة السويس .. وقد تجلت أهمية موضوع مصالح
بريطانيا العظمى الاستراتيجية بوضوح ، لأن فلسطين لو فصلت عن تركيا كما هو المحتمل ،
ووقعت تحت حكم أي من الدول الكبرى في القارة ، فيكون ذلك خطراً عليها ..
واعتقدت ان النفوذ الانكليزي يجب ان يقوم بدور هام في تأسيس مثل هذه الدولة ، لأن
وضع فلسطين الجغرافي وقربها من مصر يجعل صداقتها لانكلترا أمراً له أهميته .. وقد
سنت لي فرصة اليوم جرى فيها حديث موجز مع لويد جورج في الموضوع نفسه . لقد
أشار في مجلس الوزراء الى مصير فلسطين النهائي وقال لي انه مشتاق جداً لأن يرى دولة
يهودية قد أنشئت هناك^(٢) .

وبعد ، فالباحث لا يرى أنه بحاجة لتوضيح عوامل اصدار وعد بلفور بعد ما سبق

(١) انظر Samuel, Herbert, « Memoir » London, 1915

(٢) Wise S. & De Haas « The Great Betrayal » N. Y. 1930 , P. 288

بيانه منذ بداية العمل الصهيوني واتصالاته بالرسميين البريطانيين في مطلع هذا القرن . أما العوامل الأخرى التي أشار إليها لويد جورج ، والتي لا تتصل (بالصفحة) الاستعمارية المعقودة بين الصهيونية وبريطانيا ، فهي من قبيل المبررات لأمر سبق وقوعه ، ويفتقر الى المزيد من الحجج لدعم مفسراته وتأييد أسباب صدوره ، بغية ايهام القارىء بوجهة الحجج التي يوردها دعاة الاستعمار البريطاني في (طعنة الظهر) التي وجهت الى عرب فلسطين ، ووقعت ظلامتها على رأس العرب كافة . ان تضخيم دور اليهودية الأمريكية واليهودية الروسية في حساب ميزان القوى الذي كان البريطانيون وحدهم حريصين على رجحانه جانبيهم هو من هذا القبيل ، وان الصهيونية في الولايات المتحدة لم تكن تشكل آنذاك تلك القوة الضاغطة التي نحول مجرى السياسة الأمريكية وتدخلها غمار الحرب العالمية الأولى . ان دخول أمريكا الحرب لم يكن ينتظر ايعاز الصهاينة أو ترخيصهم ، لأن تطور الظروف السياسية والحربية كان لا بدّ وأن يجتّم دخول الأمريكيين الحرب الدائرة .

ومن هذا القبيل أيضاً ما يزعم البعض من أن الحكومة البريطانية أعطت وعد بلفور مكافأة لوايزن من على تحضيره مادة (الاستيرون) بطريقة جديدة ، أو على اختراعه مادة T . N . T الشديدة الانفجار . ويذكر (مينوچين) أن عملاء الصهيونية منذ أكثر من خمسين عاماً يشعون قصة مكافأة بريطانيا لوايزن من على اختراعه المادة المتفجرة التي « انقذت الحلفاء » في الحرب العالمية الأولى ، وذلك حين سأله لورد بلفور عما يتمنى عليه ، فأجاب « وايزن من «وطن لشعبي»^(١) . ونحن لو قرأنا ما كتبه وايزن نفسه عن هذه الاسطورة الغريبة ذات الطابع الرومانسي البطولي لوجدناه يقول : « لسبب لا أدركه كانوا (الصحفيون والأعلاميون) يملصقون بي

اختراع مادة T. N. T. وعبئاً كان يتكرر انكاره لأية علاقة لي بذلك ، أو اهتمام لي بمادة T. N. T. ، وان صدي لهم لم يستطع كفتهم عن ذلك ،^(١) .

ويستند الصهاينة في منح بريطانيا لهم وعد بلفور الى ما يزعمونه من المساعدة التي قدموها لقضية الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى . ولقد ثبت الآن أن لا أصل لبعض المساعدات التي أشاع الاعلام الصهيوني أن الصهاينة قدموها ؛ كما أن بعضها الآخر لا يعدو كونه من الخدمات التي قدمها اليهود بوصفهم من أهل البلاد التي استوطنوها .

ومها يكن من أمر فقد كان للتخطيط الصهيوني البارع أكبر الأثر في النصر الدبلوماسي الذي أحرزه الصهاينة بقيادة وايزمن . أو بكلمات مسؤول رسمي بريطاني يصف اسلوب وايزمن المرن والواقعي : « ان من أفضل الأمثلة على الدبلوماسية الناجحة هو ما صنعته وايزمن لإخراج الوطن القومي اليهودي إلى الوجود . فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كانت القضية لا يكاد يعرفها كبار الساسة المتحالفين ، إذ كان لها أعداء كثيرون ، وبين أشد المعادين لها من كان ينتمي الى أعلى طبقات شعبه (اليهودي) . ان المهمة التي أخذها وايزمن على عاتقه في نقل مركز الصهيونية إلى لندن والحصول على عون بريطانيا في فلسطين كانت أكثر صعوبة من أية مهمة أخرى لأي سياسي آخر في الدول الصغرى لقد أخبرني مرة أنه قام بالفي (٢٠٠٠) مقابلة للوصول إلى تصريح بلفور . وكان يكثف نقاشه مجذوق لا يخطيء بحسب الظروف الخاصة لكل سياسي . مع البريطانيين والاميركيين كان بمقدوره أن يستعمل لغة التوراة ، فيوظف لديهم هاجعاً عاطفياً عميقاً ومع غيرهم من الأمم كان يتحدث غالباً بلغة المصلحة ؛ فقد أخبر لويدي جورج أن فلسطين بلد جبلي صغير يشبه ويلز . ومع اللورد بلفور كان يعرض الأساس الفلسفي للصهيونية . ومع اللورد سيل كان يطرح القضية في نطاق تنظيم جديد للعالم . بينما كان حديثه مع اللورد ملنر

Weizmann, op. cit, p. 337

(١)

يصور بشكل مشرق قوة الامبراطورية الاستعمارية . أما بالنسبة لي ، وقد عنت بهذه الأمور كضابط صغير في الأركان العامة ، فقد كان يسوق جميع الأدلة التي يتمكن من الحصول عليها من مصادر كثيرة للتدليل على أهمية الوطن القومي بالنسبة لوضع الامبراطورية البريطانية الاستراتيجي . ولكنه عثر على الدوام بمائة نغمة من صوته ، عن اعتقاده بأني سأفهم أكثر من رؤسائي المسائل الاكثر دقة وغوضاً . بيد أن هذا العرض الحاذق للوقائع ما كانت ليجدى لو لم يُقنع كل من يتصل به باستقامة سلوكه وحقيقة ثقته بإدارة بريطانيا وقوتها ،^(١) .

والعبارة الأخيرة معبرة وذات دلالة ، وهي ان نجاح الصهيونية لا يعزى إلى براعة وايزمن الدبلوماسية ، بقدر ما يعزى إلى التقاء مصالحها مع مصالح الأوساط الحكومية الاستعمارية ؛ ومن هنا ما وجدته من الصدى الطيب لديها ، فأعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق . ذلك أن هذا التصريح في السياسة البريطانية صدر في اليوم نفسه الذي بدأ فيه الجنرال اللبني هجومه لاحتلال فلسطين ، ووافق عليه الرئيس ويلسون الاميركي قبل نشره . وهنا قام لويس برانديس (الذي اصبح قاضياً في المحكمة العليا في وقت لاحق) بالدور ذاته الذي قام به وايزمن في بريطانيا ، وبالصفة ذاتها كرئيس للجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة المنوط بها تعزيز الأهداف الصهيونية طوال فترة الحرب . وكان برانديس مثل وايزمن ناجحاً في إدخال الاشخاص ذوي المركز والنفوذ الى الصفوف الصهيونية ،^(٢) .

Sir Charles Webster . • The Art & Practice of Diplomacy • ، (١)
The Listener, Feb 28. 1952, P. 335, Quoted by Kirk « The Middle
East in the War » P. 246, Footnote.

Parzen, op. cit. , PP. 54-55 (٢)
٩ فلسطين « ١٩٦٨ »

ولا حاجة الى القول أن ماجرى من التعاون والتنسيق بين وايزمن في بريطانيا وبرانديس في الولايات المتحدة هو الذي اسهم في الجهود الرامية إلى تقريب وجهات نظر الحكومتين بصدد الاعتراف بأهداف الصهيونية . ولما حقق الصهاينة هذا النصر بقي عليهم مهمة استقطاب يهود العالم لتقوية المركز الصهيوني السياسي وتوحيد جهوده في المباشرة بالمهمة الثانية ، وهي التطبيق العملي لمقتضيات وعد بلفور ، أي استعمار فلسطين . أما المهمة الاولى فالزمن كفيل بتحقيقها ، وأما المهمة الثانية فلا بدّ من التخطيط لها وتنفيذها على أرض فلسطين نفسها .

الفصل الخامس

فلسطين في المؤتمرات الدولية - الانتداب

عرف العرب خطوط وعد بلفور بصورة غير رسمية منذ شهر نيسان ١٩١٨ وذلك بعد وصول اللجنة الصهيونية الى فلسطين التي قررت الحكومة البريطانية منذ مطلع عام ١٩١٨ أن ترسلها الى فلسطين للنظر في أوضاع فلسطين وتهيئة الخطط الكفيلة بإنشاء الوطن القومي وفقاً لروح وعد بلفور «^(١)». وكانت اللجنة تمثل العناصر اليهودية والصهيونية في دول الحلفاء باستثناء اميركا لأنها لم تدخل الحرب ضد الدولة العثمانية ، وبرغم تعيين الاعضاء الروس في اللجنة غير أنهم لم يتمكنوا من الالتحاق بها لأسباب سياسية ، فتشكلت اللجنة من الصهاينة البريطانيين : حاييم وايزمن رئيساً وعضوية جوزيف كرون ، والدكتور جوزيف ايدر وليون سيمون وسيف Sieff . ومثل الصهاينة الايطاليين ليفي بيانيني ، ومثل اليهود الغربيين سيلفن ليفي وهو يهودي افرنسي غير صهيوني اختاره ادمون روتشيلد لثلاث تصبغ اللجنة بالصيغة الصهيونية المطلقة . وكان اورمبسي غور هو ضابط الارتباط بين الصهاينة وبين السلطات العسكرية البريطانية في فلسطين ، ويقرّ وايزمن بفضله السابغ في تدليل كثير من الحالات الصعبة في وجه الصهاينة «^(٢)». وقد حظي وايزمن بمقابلة الملك جورج الخامس قبل رحيل اللجنة الى فلسطين ، وذلك بفصل المساعي الحثيثة التي تابعها مارك سايكس ولفور .

Weizmann, op. cit. p. 266

(١)

ibid, p. 267

(٢)

سافرت اللجنة بجرأ الى مصر ومنها إلى تل أبيب التي كانت قرية صغيرة مؤلفة من نحو ١٠٠ منزل يسكنها بضع مئات من السكان^(١). وفي فلسطين اضطلعت اللجنة بمهام (مكتب فلسطين) الذي جرى تشكيله عام ١٩٠٨ ليُمثل المنظمة الصهيونية العالمية. وكانت المهمة السياسية الأولى للجنة الصهيونية ان تصل ما بين الطائفة اليهودية في فلسطين وبين السلطات البريطانية فيها، على نسق ماجرى في بريطانيا نفسها من التواصل بين الرسميين البريطانيين وبين الصهاينة. وتشكيلة الصهاينة البريطانيين الذين تألفت منهم غالبية اللجنة تكشف عن الأهمية التي تعلقها الصهيونية على ارسال أبرز الزعماء الصهاينة البريطانيين لتدعيم البرنامج الصهيوني والشروع في تطبيقه عملياً، وذلك بمعونة السلطات البريطانية التي ينبغي اجتذابها للصهيونية وإقامة صرح المودة والصداقة معها. وكانت اللجنة تحمل توصيات من لورد جورج وبلفور الى الادارة العسكرية، وكانت صلاحياتها ان تعمل بصفة هيئة استشارية للسلطة البريطانية في جميع الشؤون ذات الأثر في انشاء وطن قومي لليهود^(٢).

وبدأ عرب فلسطين بدر كون ان هذه اللجنة هي نواة الدولة اليهودية. وكان وايز من يعرف كيف يبني وكيف يبعد المخاوف والشكوك من الحركة الصهيونية. ولم يتردد مع زملائه ان يعلن على الملأ أنه لا موجب للخوف من الحركة الصهيونية ذات الأغراض السلمية، والتي ستعاون مع (أبناء عمومته العرب) على إعادة الحياة للبلاد وانعاشها، وان الهجرة اليهودية لن ينجم عنها سوى الرخاء والسعادة للعرب. أما ما يبلغ العرب من نوابا الصهيونية فهو محض افتراء يرمي الى التفرقة بين الشعبين العربي واليهودي. وقد بدا جلياً تحيز الادارة العسكرية البريطانية واحتفالها بالصهيونية عندما حل وايز من ضيفاً على اللني في مركز قيادته

ibid p. 272

(١)

Jeffries. op. cit, p. 221

(٢)

وعندما أعطيت كل التسهيلات للجنة في تنقلها وإقامتها والقيام بتحريراتها والتدخل الصريح في شؤون الإدارة العامة ، ونهضة سبل الهجرة اليهودية واستعمار الأراضي . وأهاج قدوم اللجنة الصهيونية مشاعر الفرح لدى اليهود ، فخرجوا من أحيائهم يتفوت وبهزجون للوطن القرمي اليهودي .

وأمام مظاهر التحدي والخطر ، شعر عرب فلسطين بما يتهدد كياناتهم ، وخاصة عندما طلب الصهاينة ان يكون لهم جيش المدافع عن فلسطين ، وان يتولوا احتكار أعمال المصارف والشركات ، وعندما رأى العرب ان السلطات تحظر عليهم التجول والتنقل ، ولا تفسح المجال لهم لابتداء رأيهم في إدارة بلادهم ، وبذلك لا تصل أخبار احتجاجاتهم الى خارج فلسطين ، ولا يعرف الرأي العام العالمي حقيقة موقفهم من الصهيونية العدوانية . على ان ما ابداه أفراد اللجنة الصهيونية من تجاوز وقحة في التدخل بالشؤون العامة ، وما عرف عنهم من نزعة الاستئثار وعدم السماح باتخاذ قرار ما الا بعد موافقتهم المسبقة ، واصرارهم على ان يكون هدف الإدارة العسكرية الأوحد تحويل فلسطين الى وطن يهودي ، كل ذلك جعل بعض العسكريين في الإدارة البريطانية يضيقون ذرعاً باللجنة ، ويشمئزون من الصلف والحق المسيطرين على أفرادها . ولكن القاضي الامريكى الصهيونى برانديس صديق الرئيس الامريكى ويلسون الحميم ، سارع لنجدهم وقدم من أمريكا الى فلسطين^(١) ، وفي طريقه اليها عرج على لندن وقابل وايزمن في حزيران ١٩١٩ ، وكانت برفقة برانديس (جا كوب دوهااس - Haas) الذي يصفه بأنه معلمه في الصهيونية^(٢) .

وكان اول ما قام به برانديس لدى وصوله الى فلسطين (تموز ١٩١٩) ان زار مقر القيادة العسكرية البريطانية ، وذكر أنه قابل الجنرال السير لويس بولز Bols الذي

(١) انظر للمؤلف ، « معاضرات في تاريخ قضية فلسطين » المصدر السابق ص ٧٣-٧٤

Weizmann. op. cit. p. 310

(٢)

استخلفه النبي رئيساً للادارة العسكرية المؤقتة وقال له : « ان التشريعات التي تصدرها السلطات العسكرية يجب ان تعرض أولاً على اللجنة الصهيونية ، فردّ عليه مرافق الجنرال بقوله : « ان الحكومة التي تفعل مثل هذا تحطّ من قدرها ، وأنت كرجل قانون تدرك ذلك » .

غير ان القاضي أصرّ على رأيه بقوله : « ولكن ينبغي ان يكون مفهوماً ان الحكومة البريطانية ملازمة بتأييد القضية الصهيونية . واذا لم يقبل هذا المفهوم كبداً توجيهي ، فإني سأضطر الى رفع الأمر الى وزارة الخارجية » (البريطانية)^(١) .

وفي آذار ١٩٢٠ رفع الجنرال بولز شكوى الى رؤسائه في لندن قال فيها : « ان اللجنة الصهيونية تتعدى على صلاحياتي وصلاحيات كل دائرة من دوائر إدارتي ، أو أنها تدعي لنفسها هذه الصلاحيات . ومن رأيي القاطع أن هذه الحال لا يمكن ان تستمر دون ان تؤدي الى ضرر بالغ بالسلام العام ودون الاساءة الى ادارتي » .

ومضى الجنرال بولز يقول في شكواه : « لا فائدة من القول للعناصر المسلمة والمسيحية من السكان أن تصرّحنا بالمحافظة على الوضع الراهن لدى دخولنا القدس ، هو موضع مراعاة وتنفيذ . فالخفاقات تشهد بخلاف ذلك : ادخال اللسان العبري كلغة رسمية ، وانشاء قضاء يهودي ، والكيان الكامل لحكومة اللجنة الصهيونية الذي يعلمون به حق العلم ، وامتيازات التنقل الخاصة الممنوحة لأعضاء اللجنة الصهيونية ؛ فهذه أمور أقتعت العناصر غير اليهودية بتحيزنا . ومن ناحية أخرى تهمننا اللجنة الصهيونية ، أنا وضباطي بمناسبة الصهيونية العدا . ان الحالة لا تطاق ولا بدّ من مواجهتها بعدالة انصافاً لي وضباطي » . وأشار بولز الى قصد الصهاينة بقوله : « ان هذه الادارة قامت محلّصة بتنفيذ رغائب

Jeffries, op. cit p. 314

(١)

حكومة صاحب الجلالة ، وقد نجحت في ذلك بتمسكها الشديد بالقوانين التي تحدد تصرفات السلطة العسكرية التي تحتل أراضي العدو ، غير أن هذا لم يكن ليرضي الصهاينة الذين يهمهم ، على ما يبدو ، إلزام الإدارة العسكرية الموقته بسياسة متحيزة قبل صدور صك الانتداب . ومن الواضح أنه يستحيل إرضاء أناس متعصبين لا يطالبون رسمياً بأكثر من (وطن قومي) ، ولكنهم بالفعل لن يرضوا بما هو أقل من دولة يهودية ، وكل ما تشتمل عليه من معان سياسية . ولذا فإني أوصي ، في سبيل السلام والتقدم ومن أجل الصهاينة انفسهم ان تلغى اللجنة الصهيونية في فلسطين^(١) .

وعلى الرغم من دلائل التوتر والاضطراب بين عرب فلسطين نتيجة ما يبلغهم من نوايا سلخ فلسطين عن سورية وإعطائها للصهيونية ، فإن الصهاينة كانوا يتجاهلون ذلك ويضعون خططهم للاستحواذ على فلسطين وكانت أحداً لا يسكنها . وقبل ان يعودوا ويزمن الى فلسطين (آذار ١٩٢٠) كان قد بحث الحطط التي وضعها (مكتب القدس) حول شؤون الهجرة والري والاستيطان .

أما شراء الأراضي فلم توضع أية تدابير بشأنها ، لأن حكومة فلسطين سوف تضع تحت تصرفهم قريبا مناطق متسعة من الأراضي التابعة لأملاك الدولة^(٢) .

واحسن ويزمن بقرب هبوب العاصفة العربية : « كنا نشعر بأن الأمور لا تجري على ما يرام ، وأنه يسود التوتر في البلاد ، وقد جرى مقدار كبير من التهيج العلني في في الأوساط العربية ، ولم يوجد دلالة على ان الحكام المحليين كانوا يبذلون جهدهم لمنع الاضطراب . بالعكس كان ثمة أفراد من الرسميين بشجعون مشيري القلاقل ،^(٣) ! ترى

Barbour , Nevill , « Nisi Dominus , » London 1946, P. 97 (١)

& Jeffries . op cit, P. 316

Weizmann, op . cit, p. 316 (٢)

ibid, p. 317 (٣)

هل كان عرب فلسطين بحاجة الى من يثير حماسهم لقضية الاستقلال الذي طالما حنوا إليه وثاروا من أجله على الترك ، والذي سمعوا اخوانهم في المؤتمر السوري بدمشق وهم يعلنونه لأقطار سورية الطبيعية المتحدة كاملاً لاسائبة فيه ، ورفض مزاعم الصهيونية يجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود او محل هجرة لهم (٨ آذار ١٩٢٠) ؟ أفعجب إن خرجت المظاهرات تنادي بوحدة سورية الطبيعية المستقلة ، وبفلسطين جزءاً منها (١) ؟

أما اللجنة الصهيونية فقد بادرت منذ قدومها الى فلسطين لاقامه (جمعية تأسيسية) تسيطر من خلالها على يهود فلسطين ، بتوخيص من السلطات العسكرية البريطانية . كما قامت بانشاء عدد من المحاكم المدنية الدائمة ، وعملت اللجنة وكأنها حكومة لها جهازها التنظيمي المتشعب الدوائر الذي يتناول شتى مرافق الحياة العامة . وقد نمت أعمال اللجنة واتسعت الى درجة كبيرة ، وصفها كبير الاداريين البريطانيين في فلسطين بقوله : « لقد وسّعت اللجنة حجمها تدريجياً حتى أصبح لديها في ربيع ١٩٢٠ مائة عضو .. ونظمت نفسها في هيئة حاكمة ، وبذلت جهوداً لكي تعمل كحكومة داخل الحكومة الفعلية ، وحتى خارج الحكومة بحكم صلاتها وعلاقتها الوثيقة مع رجال الحكومة البريطانية ونما جهازها الاداري العامل بشكل أصبح معه عدد الدوائر التابعة لها مطابقاً لعدد الدوائر التي تقع تحت سلطتي . هذه الحكومة داخل الحكومة جعلت قيام الحكومة الرسمية بمسؤولياتها أمراً مستحيلاً . » (٢)

وقد شكك الصهاينة للحكومة البريطانية من موقف السلطات الادارية العسكرية في فلسطين ، وطلبوا اتخاذ اجراءات سريعة لمعالجة الوضع ، وسارعت حكومة لندن

Weizmann , ibid. p. 223

(١)

Jeffries, op. cit, pp. 309 - 310

(٢)

بارسال برقيات الى سلطات فلسطين تشير صراحة الى ان وعد بلفور هو السياسة
المعتبرة لحكومة جلالتة .

ولكن اللجنة الصهيونية لم تكتف بكل هذه الصلاحيات والسلطات الممنوحة لها ، فلما
قرر مجلس الحلفاء انتداب بريطانيا على فلسطين وأصدر صك الانتداب ، طالب الصهاينة
باقامة ادارة مدنية في فلسطين تحمل محل الادارة العسكرية التي لم تكن تضمن تدخلهم في
الحكم مباشرة وباستمرار ، برغم ممانحتها لمطالبهم ورغائبهم . واستلم اليهودي البريطاني
الصهيوني السير هربرت صموئيل مهام المندوب السامي لفلسطين اعتباراً من أول شهر تموز
١٩٢٠ ، وقد جاء قبل تعيينه بمدة الى فلسطين ، وكانت مهمته مساعدة الجنرال بولز في
تنظيم الشؤون المالية والادارية .^(١)

وكان تعيينه بداية فصل التطبيق العملي للخطوات السياسية الصهيونية التي تم احرازها
حتى ذلك الوقت ، ولا شك في أن الصهاينة قد بذلوا ماوسعهم لتعيين صموئيل في مرحلة
التأسيس الأولى للوطن القومي نظراً لأهميتها البالغة بين مراحل النهج الصهيوني العملي
الموضوع لفلسطين . وقد علق وايزمن بعد عام على هذا التعيين بقوله : « كنت مسؤولاً
بشكل أساسي عن تعيين السير هربرت صموئيل لفلسطين . إن السير هربرت صموئيل هو
صديقنا . وقبل ذلك المنصب الصعب نزولاً عند طلبنا . نحن عيناها في ذلك المنصب .
إنه صموئيلنا »^(٢) .

مشروع اتفاقية فيصل - وايزمن :

وقد أوعزت بريطانيا الى وايزمن ليقوم بصوغ حلقة جديدة في سلسلة التطمينات
الطويلة المبدولة للعرب ؛ فبعد أن أرسلت القائد هوغارث الى الحسين في جدة في مطلع

(١) طرين، المصدر السابق ص ٧٧ .

Jeffries, op. cit, p. 371

(٢)

عام ١٩١٨ ، رغبت الى وايزمن أن يرحل الى مضارب الأمير فيصل نجب الحسين في العقبة ويعقد معه أواصر صداقة . وتمت المقابلة بين الرجلين في حزيران ١٩١٨ بفضل وساطة الكولونيل لورانس الذي يختصه وايزمن في مذكراته بذكر حسن ، إذ يقول : « إن صلته (لورانس) بالحركة الصهيونية كانت ايجابية للغاية برغم كونه مؤيداً للعرب . وقد تصور الناس خطأ بأنه مناهض للصهيونية في حين كان من رأيه أن اليهود سيسدون للعرب معونة كبرى ، وان العالم العربي سيفيد كثيراً من وطن قومي يهودي في فلسطين » (١) .

ويبدو أن فيصلاً اتخذ وايزمن الدبلوماسية المحنك ، فاتفق الرجلان على أن يقبل فيصل بالبرنامج الصهيوني وأن يدعم الصهاينة جميع المطالب العربية بنفوذهم السياسي في الأوساط المتحالفة العليا . ووضع مشروع اتفاقية بين العرب واليهود ، وقع عليها الأمير ، ولا يزال الصهاينة يذكرونها في معرض التدليل على أن زعماء العرب لا يرون بأساً في التفاهم معهم ، وان المعارضة العربية تغذيها الدول (الفاشية) ويحمل لواءها بعض (الأنفدية) الذين يتخوفون من نتائج الحركة التقدمية ، التي خلقتها الصهيونية في أوساط العمال والفلاحين بفلسطين !

وقع مشروع الاتفاق بين فيصل ووايزمن في ٣ كانون الثاني ١٩١٩ وأهم مواده التسع هما المادتان الثالثة والرابعة :

- ١ - تؤخذ جميع التدابير وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر يوم ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ حين وضع دستور حكومة فلسطين ونظامها الاداري .
- ٢ - تتخذ كل التدابير لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين وتقويتها بمقياس واسع (٢) .

Weizmann, op. cit. pp. 294-295

(١)

(٢) أورد وايزمن تحفظ فيصل على مشروع الاتفاقية بقوله : « إذا تم للعرب ما طلبته في منشوري الذي وجهته الى وزير الشؤون الخارجية البريطانية يوم ؛ كانون الثاني ، فسوف أقوم بتنفيذ ما هو مكتوب في هذه الاتفاقية . واذا جرت تغييرات ، فلن اكون مسؤولاً عن الفشل في تنفيذها » . pp. 308-309

وَبُسرِع ، على قدر الامكان في اسكان المهاجرين اليهود في الأراضي . وتُصان حقوق الفلاحين العرب ويساعدون في تقدمهم الاقتصادي .

ان مشروع الاتفاقية لاغ من الوجهة الحقوقية لا لأن فيصلاً ارفقه بشرط صريح هو نوال العرب استقلالهم وحق تقرير مصيرهم كما وُعدوا في السنة السابقة في التصريح للسوريين السبعة وفي التصريح البريطاني الفرنسي ، فحسب ، وإنما أيضاً لأن فيصلاً لم يتحقق من أهمية ما كان يدور حوله ولم يدرك خطورة البرنامج الصهيوني الذي كان وازمن يعرف كيف يبدد الشكوك بصدده من أذهان الناس حوله . فضلاً عن أن فيصلاً يومذاك لم يكن يملك حق الكلام عن أهالي فلسطين الذين أجمعوا على استنكار وعد بلفور وما اشتمل عليه . وبما أن مطالب العرب لم يتحقق منها شيء ، فالاتفاقية التي حاولت الصهيونية في مناسبات عديدة أن تثبت بواسطتها أن العرب وافقوا - بلسان فيصل - على سياسة الوطن القومي ، هو لاغ وباطل . ويجب الاشارة هنا الى أن العرب يومذاك كانوا يرون الصهيونية على غير حقيقتها الاستعمارية ، ويتصورون أنها ترمي الى مهاجرة عدد من اليهود المضطهدين . ويقال ان فيصلاً كتب أيضاً رسالة يعبر عن تأييده للصهيونية الى الزعيم الامريكى الصهيوني فيلكس فرانكفورت . على أنه حين أثير الموضوع بعد سنين ، قال فيصل انه لا يتذكر أنه كتب مثل هذه الرسالة . ولم يستطع الصهاينة ان يأتوا بالوثيقة الأصلية .

استعد الصهاينة لحوض المعركة السياسية في مؤتمر الصلح بباريس ، ووضعت لجنة استشارية منهم برياسة هربرت صموئيل مسودة أولية بالمطالب الصهيونية ، وهي التي شكلت أساس البيان الذي قدم الى المؤتمر في ٢٣ شباط ١٩١٩ . وانضم وايزمن الى سو كولوفا وبقية أعضاء الوفد الصهيوني في باريس حيث كان عليهم ان يظهروا أمام مجلس العشرة في مؤتمر الصلح . وقبل أن يتحدث الوفد الصهيوني ، قدم فيصل بن الحسين مذكرة باستقلال البلدان العربية باستثناء فلسطين نظراً (لطابعها العالمي) ، وتحدث عن قيمة المعونة العربية للحلفاء .

وتكلم أعضاء الوفد الصهيوني نيابة عن المنظمة الصهيونية ، فتحدث سوكولوف عن الدعوى التاريخية (للشعب اليهودي) في فلسطين ، وأشار الى البيانات المؤيدة لهذه الدعوى من الحكومات المختلفة . ونهض وايزمن فتحدث عن الوضع الاقتصادي (للشعب اليهودي) وأشار الى أن اليهود كجماعة قد تضرروا بالحرب أكثر من أية جماعة أخرى ؛ وأن اليهود واليهودية يطلعان على العالم بمشكلة صعبة الحل ، وليس ثمة أمل بمثل هذا الحل (طالما أن المشكلة اليهودية تدور بالأساس حول عدم وجود موطن للشعب اليهودي) إلا بإيجاد الوطن القومي .

وفي الجلسة التي عقدها مؤتمر العشرة يوم ٢٧ شباط ١٩١٩ تكلم (سلفن ليفي) الاستاذ في (الكوليج دوفرانس) وهو يمثل (الاتحاد الأسرائيلي - الالينس) مفنداً دعوى الصهاينة التي نصت عليها مذكرتهم المرفوعة في شباط ١٩١٩ الى مجلس الحلفاء الاعلى : (١)

(١) وقد ورد فيها المطالب التالية :

- ١ - الاعتراف بدعوى اليهود التاريخية في فلسطين ، وحتم في اعادة بناء وطنهم القومي فيها .
- ٢ - تعيين حدود فلسطين بحيث تضم أجزاء من شرق الاردن وسورية ولبنان علاوة على فلسطين .
- ٣ - اقامة انتداب في فلسطين بادارة بريطانيا .
- ٤ - التحقيق الفعلي لوعده بلفور .
- ٥ - الترويج للاستعمار اليهودي في فلسطين ووضع البلاد في احوال سياسية واقتصادية وادارية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وتوجد امكانيات لانشاء دولة يهودية فيها بعد دون الافتئات على الحقوق المدنية والدينية للعرب ، وذلك بتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين وتسهيل اقامة اليهود فيها .
- ٦ - ايجاد مجلس تمثيلي ليهود فلسطين ويهود العالم وغايته تحقيق الوطن القومي وله الاولوية في تحقيق المشاريع واستثمار موارد البلاد الطبيعية . وتختتم المذكرة الصهيونية بأية من التوراة للتدليل على تسامح اليهود واحترامهم لحقوق العرب بعد انشاء الوطن القومي ، فتعتبر العرب غرباء عن فلسطين : «لن يكون هناك سوى قانون واحد يسوي بينكم وبين الغرباء» . (طرين : المصدر السابق ص ٦٥) .

« أقف موقف المؤرخ الأمين ، يدرس القضية بنزاهة ونجدة ، ولا يحاول إخفاء المصاعب . ان اولى العقبات التي تعترض الوطن القومي هي قضية النسبة بين ضيق الأرض الفلسطينية وملايين الناس المدعومين للمهاجرة اليها من اوربة الشرقية . والعقبة الثانية هي ان البلاد في حالتها الحاضرة لاتستطيع استيعاب عدد كبير من السكان الجدد ، ففيها اليوم ستمائة أو سبعمائة الف عربي ، ومن المستحيل ان تستوعب عدداً من اليهود يضاها هذا العدد . هذا فضلاً عن ان اليهود ، وقد عاشوا في اوربة ، لصعب عليهم أن يألفوا نوع المعيشة التي يكتفي بها العربي . والعقبة الثالثة هي ان المهاجرين اليهود سيفقدون من اوربة الشرقية اي من بلاد ذاقوا فيها انواع الظلم والاضطهاد ، وسيحملون معهم احقادهم القديمة وأهواءهم ، فيجعلون من فلسطين مركزاً للشغب والاضطرابات . ان الهيئة التي اوجدت عصبة الامم لتدرك تمام الادراك ان الأمم لاترتجج ارتججاً ، وان وجود بعض الأما في المشتركة لا يكفي لخلق وحدة قومية متينة . القضية اليهودية قضية جد معقدة ؛ فاليهود الوافدون من بولونيا ، ومن القفقاس ، ومن البلقان ، ومراكش واسبانيا ، ومن غيرها من البلدان ، لن يلاقوا السهولة في التفاهم والانسجام فيما بينهم . إن تألف هذه العناصر المختلفة وصهرها في بوتقة قومية واحدة يتطلب وقتاً ووقتاً طويلاً .

« ليس من اللياقة في شيء أن يطالب اليهود باسيازات في فلسطين ، في الوقت الذي تتأهب فيه الدول للاعتراف لهم بالمساواة التامة مع سائر مواطنيها وبضمان جميع حقوقهم ، ان التجارب تدل على ان منح هذه الامتيازات لا يجدي نفعاً لأحد : لا للواهب ولا للموهوب »^(١) .

وقال ليفي ان مستوى الحياة لدى اليهود في فلسطين أعلى منه لدى العرب ، وان

(١) نجيب صدقة : « قضية فلسطين » بيروت ١٩٤٦ الطبعة الاولى ، ص ٦٤ - ٦٥ .

اليهود سوف يميلون لانتزاع ما يملكه العرب ، وان خلق الوطن القومي اليهودي سينطوي على المبدأ الخطر القائل بالحقوق اليهودية المزدوجة .

وحين سئل وايزمن ما الذي يعنيه (بالوطن القومي اليهودي) ، أجاب إنه يعني خلق ادارة تنشأ عن الأوضاع الطبيعية للبلد - وهي دائماً تحافظ على مصالح غير اليهود . وبواسطة الهجرة اليهودية فالأمل وطيد بأن تصبح فلسطين في النهاية يهودية ، كما أن انكلترا انكليزية .^(١)

وقال وايزمن في رده على ليفي إن المسألة ليست ما اذا كانت الصهيونية صعبة التحقيق ، ولكن ما اذا كانت ممكنة التحقيق . وضرب مثلاً على إمكانيتها « ما أحرزه الفرنسيون من النجاح الباهر في تونس ، وما استطاعوا أن يحققوه فيها » .^(٢)

ولكن نداء الأستاذ اليهودي الفرنسي ليفي الذي تجلّى فيه المنطق والاعتدال لم يلتق الاصغاء الواجب له ، وبدا خافتاً يحدّر من العواقب على استحياء .

وبعد سماع الوفدين العربي والصهوني ، انعقد اجتماع سري ضم ممثلي الدول الكبرى لتقرير مصير البلدان العربية ، وجرى فيه نقاش عنيف بين ممثلي فرنسا وبريطانيا ، تدخل فيه ويلسون مقترحاً ارجاء البحث الى ان تتألف لجنة تحقيق حليفة تتولى درس الأوضاع الراهنة في سورية وفلسطين، وتضع تقريراً تبين فيه وجهة نظر سكان البلاد أنفسهم . قبل كليمنصو ولويد جورج مبدئياً باقتراح تشكيل لجنة تحقيق واستفتاء يشترك فيها أعضاء بريطانيون وفرنسيون وأمريكيون وايطاليون ، وتسعى لمعرفة رغائب الشعوب العربية في قضية مصيرها . غير أن بريطانيا وفرنسا تراجعتا عن رأيها خشية أن يكشف الاستفتاء عن عدم الرغبة فيها ، ولكن ويلسون قرر المضي قدماً في مقترحه ، فتألفت لجنة امريكية

Weizmann, op. cit. PP. 303-305

(١)

ibid, p. 305

(٢)

لتقصي المعلومات المتصلة برغبات العرب الفلسطينيين والسوريين أنفسهم . وسافر الأعضاء الامريكيون بمفردهم ، وعرفت اللجنة باسم (كنفج كرين - King Crane) وزارت فلسطين وسورية ما بين ١٠ حزيران و ٢١ تموز ١٩١٩ ، ولكن تقريرها لم ينشر الا بعد انقضاء فترة من الوقت (١٩٢٢) . (١) ولم يكن لتقرير اللجنة وتوصياتها أقل تأثير على مجرى السياسة يومذاك ؛ فالنزعة الحرّة في ويلسون اختفت معه عندما أصيب بالشلل واعتزل الحكم . ومع ذلك فمن الحير ايراد بعض الفقرات الواردة في تقرير اللجنة :

« من الضروري تعديل البرنامج الصهيوني المتطرف القاضي باطلاق الهجرة الى فلسطين ، وبتأهيل البلاد الى أن تصبح يوماً ما دولة يهودية . . ان الوطن القومي اليهودي يلحق اضراراً جسيمة بحقوق العرب المدنية والدينية . . . لقد اتضح للجنة ، بعد سماعها لبيانات الصهاينة ، انهم يتوقعون إجلاء السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضي منهم بشتى الاشكال . . إن الطوائف غير اليهودية في فلسطين ترفض البرنامج الصهيوني وتجمع على محاربته .

« ان الرئيس ويلسون في خطبته التي القاها في ٤ تموز ١٩١٨ وضع المبدأ التالي كواحد من المقاصد الأربعة الكبرى التي يحارب الحلفاء من أجلها ، وهو :

« ان حلّ كل مسألة سواء كانت تتعلق بالأرض او السيادة او المسائل الاقتصادية والسياسية يجب ان يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً ، لا على المصالح المادية او لفائدة أية دولة أو أمة أخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي او لسيادتها . فاذا كان هذا المبدأ هو الذي سيُسود ، واذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق ببلادهم ، فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين ، وهم تسعة أعشار

(١) انظر النص الكامل للتقرير في ملاحق كتاب المؤلف «عاضرات في تاريخ قضية فلسطين»

السكان كلهم تقريباً يرفضون البرنامج الصهيوني رفضاً باتاً . والجدول تثبت أن سكان فلسطين لم يُجمعوا على شيء مثل اجماعهم على هذا الرفض . فتعرض شعب هذه حالة النفسية لمهاجرة يهودية لا حد لها ، ولضغط اقتصادي اجتماعي متواصل كي يسلم بلاده - نقض شائناً للبدأ العادل الذي تقدم شرحه ، واعتماداً على حقوق الشعب وإن كان محوطاً بالاطار القانوني . . ولا ينبغي لمؤتمر الصلح ان يتجاهل ان الشعور المعادي للصهيونية في فلسطين وسورية بالغ أشده وليس من السهل الاستخفاف به ، فإن جميع الموظفين الانكليز الذين حادثهم اللجنة يعتقدون ان البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة ، ويجب أن لا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندي ، وهذا في نفسه برهان واضح على ما في البرنامج الصهيوني من الاجحاف بحق غير اليهود . لا بدّ من الجيوش في بعض الأحيان لتنفيذ المقررات ، ولكن ليس من المعقول ان تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة . هذا فضلاً عن ان مطالب الصهاينة الأساسية في حقهم بفلسطين مبنية على كونهم احتلوا منذ ألفي عام ، وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام ... ان الذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للتناجح حساباً ، ولا للشعور العدائي ضد الصهيونية في جميع أنحاء العالم التي تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة .

وبناء على ما تقدم ، تشعر اللجنة - مع عطفها على مسألة اليهود - أن الواجب يقضي عليها بأن تشير على المؤتمر أن لا يؤيد غير برنامج صهيوني معدّل كثيراً يجب العمل فيه بالتدرّج . وبعبارة أخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية الى فلسطين ، والعدول بتاتاً عن الحطة التي ترمي الى جعل فلسطين دولة يهودية (كومنولث) .. ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين الى دولة سورية المتحدة كاقسام البلاد الأخرى ، ووضع الأماكن المقدسة تحت ادارة لجنة دولية دينية^(١) ..

(١) المصدر السابق .

ولم تقتصر معارضة وعد بلفور على العرب ولجنة كنف - كرين ، وإنما امتدت الى
أوساط اليهود المندمجين ، وكانوا يشكلون غالبية الجماعات اليهودية في العالم .

فقد قدم يهود الولايات المتحدة ، بمثلين بنيف وثلاثين من أبرز وجوههم ، مذكرة
احتجاج طويلة وشديدة اللهجة الى الرئيس الامريكى ويلسون بتاريخ ٤ آذار ١٩١٩ ،
وقد نشرت المذكرة في صحيفة (نيويورك تايمس - ٥ آذار ١٩١٩) وأعلنوا فيها صراحة
معارضتهم القاطعة لفكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين . وبما جاء في الاحتجاج : « بما أن
مستقبل شكل الحكم في فلسطين سوف يوضع تحت نظر مؤتمر الصلح قريباً ، فنحن
الموقعين مواطني الولايات المتحدة ، نوحّد في هذا البيان المرفوع اليكم احتجاجاتنا على تنظيم
دولة يهودية في فلسطين كما اقترحته الجمعيات الصهيونية في هذه البلاد وفي اوربا ، وعلى تمييز
اليهود كوحدة قومية في أي بلد . ونحن نشعر أن عملنا هذا يعبر عن رأي غالبية اليهود
الامريكين المولودين في هذا البلد ، وأولئك المولودين في الخارج ، والذين عاشوا هنالدة
طويلة تكفي لتمثل الأحوال السياسية والاجتماعية الامريكية ان الصهاينة الامريكين
لا يمثلون سوى نسبة صغيرة فقط من اليهود الذين يعيشون في هذا البلد ، أي حوالي
١٥ ألفاً من أصل ٣,٥ مليون ، وفقاً لأحدث الاحصاءات المتوفرة .

ونحن بادئ ذي بدء نود أن نعبر عن تعاطفنا الكامل مع جهود الصهاينة التي تهدف
الى ايجاد ملجأ في فلسطين وفي غيرها ، لليهود الذين يعيشون في الوقت الحاضر داخل بلاد
يضطهدون فيها ، بحيث يمكنهم أن ينموا مقدراتهم بحرية ، ويقوموا بنشاطهم
كمواطنين أحرار ..

ولكننا نرفع أصواتنا بالتحذير والاحتجاج ضد طلب الصهاينة اعادة تنظيم اليهود
كوحدة قومية يعترف لهم فيها حالياً أو مستقبلاً بالسيادة الأرضية في فلسطين . ان هذا

فلسطين م ١٠ (١٩٦٨)

الطلب لا يشوه فقط تفسير مجرى تاريخ اليهود الذين انقطعوا عن كونهم أمة منذ ألفي عام، ولكن أيضاً يشتمل على تحديد وإمكان إلغاء دعاوى اليهود الأوسع في المواطنة الكاملة، وال حقوق البشرية في جميع البلاد التي لم تضمن فيها تلك الحقوق بعد . وبما أن العصر الجديد الذي يدخله العالم ، يهدف الى إنشاء حكومة في كل مكان تقوم على مبادئ الديمقراطية الصحيحة ، ولنفس هذا السبب ، فنحن نرفض المشروع الصهيوني « بوطن قومي » للشعب اليهودي في فلسطين ..

« ان الصهيونية نهضت نتيجة الأحوال التي لا تطاق والتي أرغم اليهود أن يعيشوا ضمنها في روسيا ورومانيا .. إن اليهود يندرون قلوبهم وأرواحهم لمصلحة البلدان التي يعيشون بين ظهرانيها في أحوال حرة . وجميع اليهود يرفضون كل شك بالولاء المزدوج .. »

« إن اقتراح انشاء دولة يهودية في فلسطين ، ينطوي على أخطار .. وهذه الأخطار قد نبه اليها السير جورج آدم سميت بأرق لهجة تحذيرية ، وهو الذي يعترف الجميع بأنه أعظم حجة في العالم عن كل ما يتصل بفلسطين في الماضي والحاضر . وقد أشار في ما نشره حديثاً تحت عنوان « سوريا والأرض المقدسة » إلى أنه « ليس من الصحيح ان فلسطين هي الوطن القومي للشعب اليهودي لا لشعب آخر .. إن تعريض اليهود لتكرار مثل هذه النزاعات المريرة الدموية التي لا يحصى عنها ، سيكون جريمة ضد انتصار تاريخهم الماضي بأكمله ، »

« إن الدولة اليهودية ستطوي على تحديات أساسية بالنسبة للعرق والدين . كما أن مصطلح (يهودي) لا يعني شيئاً . وجمع الكنيسة مع الدولة بأي شكل - كما كان الحال في ظل الميراثية اليهودية القديمة - سيكون قفزة الى الوراء بألفي عام .

أما بالنسبة لمستقبل فلسطين ، فالأمل وطيد بأن ما كان مرة (الأرض الموعودة) لليهود ، يمكن أن يصبح (أرض الموعود) لجميع العروق والمذاهب ، مع ضمانة عصبة الأمم ..

« ونحن نطالب أن تقوم في فلسطين دولة حرة ومستقلة ، وان نحكم بشكل ديمقراطي لا يعترف بالتمييز بين المذاهب والأجناس أو التحدر العرقي ، مع قوة مناسبة لحماية البلد من الأضطهاد أياً كان نوعه . ونحن لا نرغب في أن نرى فلسطين لا في الحال ولا في اي وقت مقبل ، منظمة كدولة يهودية » . ا . ه .

وقد وقع البيان ثلاثون من أبرز الشخصيات اليهودية الامريكية بينهم عضو الكونغرس ، والفيبر واستاذ الجامعة والمستشار ، والقاضي ، وكبار رجال الأعمال .. وقدم المذكرة عضو الكونغرس (كاهن) من كاليفورنيا وكالة عن هؤلاء^(١) .

الصهاينة يطعمون في مصادر المياه : وفي غضون ذلك وزع الوفد الصهيوني على مؤتمر الصلح خريطة (الدولة الصهيونية) في فلسطين تتبع حدودها الخطوط العامة المبينة فيما يلي :

تبدأ شمالاً من نقطة على البحر الأبيض المتوسط قرب صيدا ، ويسير خطها بمحاذاة مساقط المياه عند سفوح جبال لبنان الى جسر القرعون ، ومن هناك الى البيرة ويتبع الخط الفاصل بين وادي القرن ووادي التيم ، ومن هناك يتجه جنوباً بمحاذاة الخط الفاصل بين المنحدر الشرقي والمنحدر الغربي من جبل الشيخ الى مقربة من غرب بيت جن ، ومن هناك يتجه شرقاً تبعاً لمساقط المياه الشمالية لنهر مغنية على مقربة من الخط الحديدي الحجازي والى الغرب منه .

وير خط الحدود الشرقية قرب الخط الحديدي الحجازي والى الغرب منه وينتهي
لخليج العقبة . أما في الجنوب فإن الحدود ستكون وفقاً لما يتم الاتفاق عليه مع الحكومة
المصرية . (وهناك اشارة الى أن الحدود الجنوبية ستمتد من العريش في شمال سيناء الى
العقبة في الجنوب) . ويجدها غرباً البحر الأبيض المتوسط^(١) .

وجاء في مذكرة تفصيلية لاحقة « ان الحدود الميمنة أعلاه هي ما نعتبره ضرورياً
للأساس الاقتصادي للبلاد . ولا بد من ان يكون لفلطين منافذها الطبيعية الى البحار
ومن أن تتوافر لها السيطرة على أنهارها ومنابع مياهها . وعند وضع خطوط هذه الحدود
أخذت بعين الاعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والمقومات التاريخية للبلاد ، والعوامل
التي لا بد من أن تأخذها بعين الاعتبار اللجنة الخاصة عندما تعين خطوط الحدود بصورة
نهائية . وعلى اللجنة أن تضع نصب عينها ان من المرغوب فيه جداً ، لمصلحة الادارة
الاقتصادية ، ان تكون مساحة فلطين على أوسع قدر ممكن لتستطيع فيما بعد أن

Halpern, Ben • the Edea of the Jewish State • , Cambridge (١)

Harvard University Press, 1961, pp. 303-304

تشمل المطالب الصهيونية ما يعرف حديثاً :

١ - كل فلطين الموضوع تحت الانتداب .

٢ - لبنان الجنوبي بما في ذلك مدينتي صور وصيدا ومنابع نهر الاردن وجبل الشيخ والقسم
الجنوبي من نهر البطاني .

٣ - سورية - مرتفعات الجولان ، بما في ذلك مدينة القنيطرة ونهر اليرموك وبنابيع مياه
الجهة المعدنية .

٤ - الاردن - وادي الاردن بكامله ، والبحر الميت والمرتفعات الشرقية حتى مشارف عمان ،
الى خط يتجه جنوباً بمحاذاة الخط الحديدي الحجازي الى خليج العقبة وتجريد الاردن من كل
منفذ بحري .

٥ - ج.ع.م . - من العريش على البحر المتوسط باتجاه جنوبي مستقيم حتى خليج العقبة .

تستوعب عدداً كبيراً من السكان الناجحين فيكون في مقدورهم احتمال أعباء الحكم المتحضر الحديث بسهولة أكثر مما لو كانوا بدأوا صغيراً مغلولاً بالقيود الضرورية للسكان .

وتمضي المذكرة التفصيلية فتقول : « ان حياة فلسطين الاقتصادية ، كحياة أي بلد آخر شبه مجذب ، تعتمد على توافر المياه . لذلك كان من المهم جداً عدم الاكتفاء بضمان جميع الموارد المائية التي تغذي البلاد الآن ، بل يجب الحفاظ عليها والسيطرة عليها عند منابعها . فجبيل الشيخ هو الأب الحقيقي لمياه فلسطين ، ولا يمكن فصلها عنه دون توجيه ضربة قاضية إلى حياتها الاقتصادية . . والسهول الحصباء الواقعة الى شرق الاردن هي منذ أقدم العهود التوراتية مرتبطة اقتصادياً وسياسياً بأراضي غرب الاردن . . وهي تصلح الآن بصورة عجيبة للاستيطان على نطاق واسع » (١) . وظل البريطانيون يرحبون بمجهود الصهاينة لتوسيع رقعة فلسطين نحو الشمال والشرق ، لأن ذلك يعني توسيع دائرة نفوذهم . سعى لذلك بلقور وملنز وكيرزن ، ولكن الفرنسيين رفضوا ذلك وتمسكوا بحدود فلسطين بحسب معاهدة سايكس بيكو ، وذهبت جهود الصهاينة في اقتناعهم أدراج الرياح . فاستجدوا بالرئيس الاميركي ويلسون الذي أرسل الى حكومة لندن كتاباً رسمياً حاد الالهجة ، وضع الصهاينة انفسهم صيغته ، واكتفى ويلسون بتوقيعه وهو يطالب كذلك بنهر الليطاني وسهلي حوران والجلولان ، ويذكر أن نجاح القضية الصهيونية يتوقف على توسيع الحدود من الشمال والشرق .

وفي أثناء انعقاد المجلس الأعلى للحلفاء ، اثرت مسألة حدود فلسطين ومسألة خطوط تقسيم المياه . قال لويد جورج ان الانتداب البريطاني لفلسطين عبء ثقيل لأنها بلاد غير منتجة ولا تملك تجارة ما ، ولذا فإن بريطانيا تقبل فقط الانتداب لفلسطين الحقيقية . فلسطين

(١) المصدر السابق نفسه .

التاريخ القديم . وقال انه اتفق مع (كليمنصو) رئيس الوزارة الفرنسية ان مسألة حدودها سوف توضع على بساط البحث والمناقشة ، وإذا نشب خلاف حول بعض النقاط فسوف يعرض أمرها للوساطة على رئيس الولايات المتحدة ، وكان لويد جورج يرى أن الرئيس ويلسون لن يتحيز أبداً بخصوص أي خلاف ينشأ على حدود فلسطين بين فرنسا وبريطانيا .

قال لويد جورج ان المياه لفلسطين حاجة حيوية لوجودها ، وجميع اليهود متفقون على ان ينابيع جبل الشيخ ومياه نهر الاردن هي ضرورية للبلاد . ومن جهة اخرى فإن هذه المياه لا يستعملها أحد في سورية ! وهي في الواقع لن تستعمل الا كأداة مساومة للحصول على امتيازات من فلسطين ، ولذا فهو يطلب من ممثلي فرنسا ان ينظروا بتجرد الى مسألة تخطيط حدود فلسطين المقبلة .

ردّ برتلو Berthelot وزير الخارجية الفرنسي بقوله ان مياه سورية الجنوبية تستعمل لري الأراضي شمال الأردن . وان ثلوج حرمون (جبل الشيخ) تروي دمشق ، فلا يمكن استئناؤها من سورية . ثم ان مياه الليطاني تروي أخصب بقاع سورية . وقال ان حدود فلسطين التاريخية غير معروفة ، ولكنه يرى أن خط عرض بحيرة طبرية ~~يبدل~~ عموماً على حدود فلسطين .

وبخصوص اقتراح تحكيم الرئيس ويلسون في ما ينشأ من خلاف على الحدود الإقليمية لفلسطين ، قال برتلو إن الفرنسيين لا يقبلون ذلك الاقتراح ، لان ويلسون مستلم تماماً لتوجيه برانديس وآرائه الصهيونية المقررة المسبقة . وفي غضون المناقشة وصلت برقية من القاضي برانديس الى لويد جورج يذكر فيها انه بالاتفاق مع المنظمة الصهيونية الاميركية يطلب أن تشمل فلسطين على روافد نهر الليطاني المنحدرة من جبل الشيخ ، وان تشمل كذلك على

سهل الجولان وسهل حوران ، وان يحترم الوعد الذي قطعته بريطانيا لاسرائيل
بمرافقة الحلفاء .

علّق برتلو على برقية برانديس بقوله انها مغرقة في المبالغة ؛ وأنه (أي برتلو)
استعار كتاباً من لويد جورج وقرأ فيه ان حدود فلسطين التاريخية تمتد من دان
(بانياس) حتى بئر السبع . وانه مستعد لتبليغ حكومته ان هذه الحدود هي صحيحة .
أما ماجاء في برقية برانديس من وجوب اشتال فلسطين على نهر الليطاني ومياه جبل الشيخ
وسهل الجولان وسهل حوران ، فهو غلّو غير جدير بالاعتبار ، وللفلسطينيين ان يستعملوا
المياه التي تسيل جنوبي دان (بانياس) . وبعد استشارة لورد اللني ، قررت الحكومة
البريطانية قبول هذه الحدود ، ووافق عليها كليمنصو ، واقترح ان يرسل إلى القاضي برانديس
جواب يتضمن ان معلومات القاضي في الجغرافية مغلوطة ، وأنها يمكن ان تتحسن فيالودرس
خرائط اكثر ثقة ودقة من تلك الخرائط التي بين يديه^(١) ! وبتضح بما سلف ذكره كم كانت
الحكومة البريطانية مهتمة بتخطيط الحدود السورية الفلسطينية من ناحية ، والحدود اللبنانية
الفلسطينية من ناحية اخرى ، وذلك في نطاق مفاعها الحثيثة لضمان الموارد المائية والأراضي
الزراعية للصهاينة ، كما تباير الأهداف الموضوعة للوطن القومي الذي وعدت به بريطانيا .
بريطانيا منتدبة لفلسطين :

ولكن مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) لم يعين الحدود بين البلدين
التي فرض الانتداب عليها في الهلال الحصب ، غير ان اتفاقية وقعها بريطانيا مع فرنسا في
٢٣ كانون الأول ١٩٢٠ عيّنت الحدود بين كل سورية ولبنان من جهة وفلسطين
من جهة اخرى .

(١) Lloyd George « The Truth about the Peace Treaties , »
vol. 2 , London, pp. 1177-1181

وكان أول عمل قام به مؤتمر الصلح فيما يتعلق بفلسطين هو اقراره لنص المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم ، وهي المادة التي بني عليها صك الانتداب ، ونصها هو :

أ - ان المستعمرات والأقطار التي قضت نتائج الحرب الأخيرة بنزوحها من سيادة الدول التي كانت تحكمها ، والمأهولة بشعوب لاتزال غير قادرة على الوقوف منفردة في معترك الحياة الجديدة ، يجب ان يطبق عليها المبدأ القائل : ان خير هذه الشعوب وتقدمها وديعة مقدسة في عتق الحضارة فيجب أن تدرج في هذا الميثاق الضمانات للقيام بحق هذه الوديعة .

ب - ان الطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عملياً ، هي ان يعهد في تدريب هذه الشعوب إلى الأمم الراقية التي تمكنها مواردها أو خبرتها أو موقعها الجغرافي من الاضطلاع بهذه المسؤولية أحسن من غيرها ، وتكون هي مستعدة لقبول هذه المسؤولية ، وان تكون ممارسة هذا التدريب بصفتها منتدبة عن عصبة الأمم .

ج - ولا بد لصفة هذا الانتداب من ان تختلف بحسب درجة الشعب في الرقي وموقع القطر الجغرافي وأحواله الاقتصادية وغير ذلك من مثل هذه الأحوال .

د - ان بعض الجماعات التي كانت من قبل تابعة للإمبراطورية العثمانية قد وصلت من الرقي الى درجة يستطاع عندها الاعتراف موقتاً بكيانها كأمم مستقلة على ان تتولى إسداء المشورة والمعونة الادارية لها دولة منتدبة ، وذلك الى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف وحدها (حکم ذاتها بذاتها) ، على أن يكون لرغائب هذه الجماعات الاعتبار الأول في اختيار الدولة المنتدبة ^(١) .

League of Nations, Responsibilities of the League Arising (١)
out of Article 22 (Mandates) No 20-18-161 Annex 1 , P. 5.

والفقرة السابقة في المادة (٢٢) تنص على أنه « في كل حالة انتدابية يجب على الدولة المنتدبة أن تقدم إلى مجلس العصبة تقريراً سنوياً عن القطر الموضوع في عهدها » . وتقضي الفقرة التاسعة بأن « تشكل لجنة دائمة لتتلقى وتفحص التقارير السنوية للدول المنتدبة وتقدم مشورتها إلى المجلس (مجلس عصبة الأمم) في جميع الأمور المتعلقة بإعادة الانتدابات» .

وعلى الرغم من أن الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم ، قد أقامت وزناً رئيسياً لرغبات البلدان المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ، في اختيار الدولة المنتدبة ، فإن الحلفاء لم يلتزموا بعهدهم ، وإنما نكصوا على أعقابهم ، وأفرغوا الفقرة من مضمونها فبقيت حبراً على ورق . وفي الوقت نفسه تنكر الحلفاء لمقررات المؤتمر السوري الذي عبر عن رغائب الشعب العربي في ديار الشام وعن تطلعاته وأمانيه في الاستقلال ، ورفض مزاعم الصهاينة بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم ، وقرر مؤتمريه في سان ريمو (٢٥ نيسان ١٩٢٠) وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ووضع العراق تحت الانتداب البريطاني ؛ أما فلسطين فقد منح الانتداب عليها لبريطانيا ، تلبية لطلب الصهيونية ، على أن تلزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور .

وفي سان ريمو بذل الصهاينة ما بوسعهم من جهد ، ولبشوا ينتظرون مقررات المؤتمر بصدد فلسطين . وكان يدور في أروقة المؤتمر أن هيرت صموئيل سيكون أول مندوب سام لفلسطين . وكان صموئيل راغباً في هذا المنصب ، وقد وافق عليه لويد جورج وبلفور^(١) . ويصف وايزمن مراقبة الصهاينة لما كان يجري في المؤتمر ، ومتابعتهم حركات أعضائه ، فيروي كيف أنه وزملاءه كانوا ينتظرون بفارغ الصبر خروج المؤتمرين من قاعة المؤتمر ، وفي

Weizmann, op. cit. , pp. 324 - 5

(١)

أيديهم نص قراراته . وكيف أنه وزملاءه في غضون فترة الانتظار الطويل، كانوا يسرحون نظرهم في البحر أمامهم، أو يقتلون الوقت في تبادل الرأي والمناقشة ؛ حتى إذا لجأوا بلفور، وهو يلوح بيده لبعض معارفه من بعيد ، هبوا وازمن من مكانه ليصعد إليه وليسأله ما إذا كان ينتظر المندوبين ، ويجيبه بلفور بهدوء : « كلا ! انهم شركائي في لعبة التنس ، لقد تأخروا كثيراً ، !! ورغبة وازمن في اضافة الطابع المسرحي الرومانسي على مجريات الوضع، لا تغادره أبداً حين ينوه بتعاطف كبار الساسة مع الصهيونية . وها هو ذا لويد جورج يتقدم من وازمن برفقة سكرتيرة انتهت بجرارة على نتيجة المؤتمر : المصادقة على وعد بلفور، وقرار إعطاء الانتداب الفلسطيني الى بريطانيا العظمى . ولا يكفي بذلك وإنما بيدي لويد جورج غيرة شديدة على الصهانية حين يقول إن لديهم الآن فرصة عظيمة جداً ، وأنه ينبغي أن يبرهنوا على حسن استقبالهم لها ، وأنه لا وقت لديهم بضيعونه^(١) ! وأنه وازمن الى لجنة العمل الصهيوني في لندن ، بعد النصر الذي أحرزته الصهيونية في باريس : « كل شيء يتوقف علينا الآن »^(٢) .

صهيونية هربرت صموئيل :

جعل الحكم في فلسطين على شاكلة ما هو معروف في المستعمرات، والمندوب السامي مسؤول أمام وزير المستعمرات الذي لا بد من موافقته على الموازنة لتصبح نافذة . استلم اليهودي البريطاني سير هربرت صموئيل مهام المندوب السامي في فلسطين اعتباراً من أول تموز ١٩٢٠ . والواقع أن (الدولة اليهودية) قد وجدت منذ تعيينه في هذا المنصب الخطير ، أما قيامها عام ١٩٤٨ فكان قياماً مستقلاً عن الادارة البريطانية . كان المندوب السامي هو الحاكم الأعلى والمشرع الأول . وقد تفتن صموئيل في إيجاد الطرق الفعالة لتأييد المقاصد الصهيونية،

Weizmann, ibid , p. 325

(١)

ibid., p. 309

(٢)

وضع البلاد في أحوال سياسية واقتصادية وادارية تؤدي الى قيام الوطن القومي ؛ فعين أحد غلاة الصهاينة (نورمان بنتوتبش) نائبا عاما وترك له اعداد القوانين والانظمة التي لا تنتشر إلا بموافقة حكومة لندن مع حق سنها ، وجعل نسبة الموظفين اليهود طاغية (أضعاف العرب) . كما جعل مدير التجارة العام ومدير الهجرة والجوازات يهوديين . وأقام على رأس كل دائرة موظف انكليزي أو يهودي . واعتبرت العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والانكليزية، وترك لليهود أن يستقلوا بادارة معاهدهم ومدارسهم، في حين كانت المدارس والمعارف العربية بيد الانكليز .

وسعى صموئيل لارغام الفلاحين العرب على بيع أملاكهم بوسائل شيطانية ، كأن يمنع مثلاً تصدير الحبوب والزيت - وهما أساس ثروة الفلاح - كي تتخم الأسواق بهذه الحاصلات فتبهط أسعارها ، ويعجز الفلاح عن تسديد الديون والضرائب ، فيبيع أرضه لليهود . كما أمر صموئيل بتصفية أعمال البنك الزراعي العثماني وتحصيل قسم كبير من ديونه قسراً من صغار الفلاحين ، وهنا لم يبق للفلاح مفرّ من البيع لسداد الدين . وأقطع اليهود أكثر أراضي أملاك الدولة . وفتحت أبواب الهجرة لليهود بموجب شهادات تمنح لهم . كما منحت حكومة صموئيل (ايلول ١٩٢١) المالي اليهودي (روتنبرغ) امتياز توليد الكهرباء لعموم فلسطين ، أو امتياز كهربية فلسطين^(١) . بكاملها زراعياً وصناعياً ومنزلياً وذلك لمدة سبعين عاماً . وذلك بالاستفادة من نهر الاردن وروافده ، مع بحيرة طبرية خزناً للمياه وبناء ما يشاء من المعامل والمحطات . ومن وراء شروطه التي ليس كمثلها في المحاباة والتميز ، ضماناً للسيطرة على الموارد الطبيعية في فلسطين وعلى سائر المرافق ، ومن وراء ذلك كله السيطرة السياسية ؛ وقد فطن العرب الى خطورة مبدأ (مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب) - وهو المبدأ الذي اتخذ أساساً لتنظيم الهجرة اليهودية الى

(١) ما عدا توليد الكهرباء لمدينة القدس التي كان امتياز تنويرها بيد يوناني اسمه مافروماتيس الذي نال الامتياز زمن الدولة العثمانية ١٩١٤ .

فلسطين، ولم يفهم أن يدركوا منذ بداية الأمر أن مشروع روتنبرغ قصد به تكثير المصانع لطلب عمال يهود يعملون في المصانع ، ويستهدف ذلك كله تكثير الأقلية اليهودية لتطفي على الأكتية العربية . مع الحرص على حماية الصناعات اليهودية ، وفتح باب حرية التجارة لضرب المنتجات العربية .

أو كما قال عضو الوكالة اليهودية في وصف أهمية المشروع وأهمية امتياز مشروع آخر لا يقل أهمية عنه ، منح بعد خمس سنوات وهو امتياز املاح البحر الميت ، وذلك في مؤتمر صحفي عقد في تل ابيب أوائل عام ١٩٤٢ : « في فلسطين اليوم ١٨٠٠ مشروع صناعي ، كلفت اربعة عشر مليوناً من الجنيئات ، وتنتج سلماً بمثل هذه القيمة ، سنوياً . وقد أصبح خمسة وأربعون ألفاً من أبناء اليهود المشتتين يعيشون بفضل هذه الصناعات .. وقد وُجِئت نسبة عظيمة من رأس المال القومي الى انجاح مشروع البحر الميت ومشروع الكهرباء . . ولو أمكن اصطناع السلع من مواد البحر الميت في مصانع محلية ، بدلاً من تصديرها ، لازدادت صناعاتنا أضعافاً ، فتوسعت طاقة البلاد الاستيعابية ، فانفتحت الأبواب لمئات الألوف ، بل للملايين من المهاجرين » .^(١)

وقد عبثت الادارة البريطانية في عهد صموئيل بحقوق العرب ، وما تورعت عن تطبيق نظام الانتداب قبل وجوده الفعلي بنحو ثلاثة أعوام ، واتخذت لنفسها صلاحية التشريع ، وأباحت تغيير العملة وجعلت العبرية على قطعها ، ودست اسم (أرض اسرائيل) اسماً لفلسطين على المسكوكات والطوابع . ومضت حكومة صموئيل تتصرف بمقدرات عرب فلسطين وتحاول تغيير معالم وطنهم من قبل أن تزول السيادة العثمانية ، ومن قبل ان يوجد

(١) قدر العلماء المطلعون ثروات البحر الميت بحوالي ٢٤٠ - ٥٠٠ مليون جنيه استرليني (انظر : Chapt . 25, Newton) وصدقة ص ١٠٢ .

دستور للحكم في البلاد ، وعلى غير ما أساس دولي ، وذلك على الوجه الذي شاءته الياسة الصهيونية . وحين سأل أحد كبار الموظفين المندوب السامي صموئيل : أيستطيع أن يؤكد له أن سياسة الوطن القومي لاتعني أن يحكم اليهود البلاد عاجلاً . كان جواب صموئيل صريحاً : يؤسفني أن لا أستطيع أن أطمنك من هذا القبيل . ان الياسة سياسة حكومة جلالتة ، وقد جئت لأنفذها -- وهي تشجيع هجرة اليهود إلى حدّ أن يصيروا أكثرية ، في خلال خمسين عاماً ، أو مائة عام . وعند ذلك يكون لمصالحهم من التفوق ما يضمن لإنشاء حكومة يهودية في فلسطين .^(١)

وقد عفا صموئيل عن اليهود المحكوم عليهم في حوادث (٤ - ٨ نيسان) التي قتل خلالها تسعة وجرح ٢٥ من اليهود . واستشهد أربعة ، وجرح ٢١ من العرب ، وذلك أثناء قيام العرب في القدس بمظاهرة علت فيها هتافات بالوحدة السورية والاستقلال وسقوط الصهيونية والانتداب . ومرّ في هذه الأثناء جمع من اليهود فاشتبكوا مع العرب في معركة انتهت بتدخل السلطات البريطانية . وتألّفت عندئذ لجنة عسكرية برئاسة باين Palin ، وهي أول اللجان التي سنتوا إلى على فلسطين للتحقيق في هذه الحوادث ، فعكمت على بعض الزعماء العرب بالسجن ، وعلى الزعيم الارهابي الصهيوني جابوتنسكي بالسجن (١٥) عاماً لتأليفه فرقة مسلحة تدعى (الهاغانا) ، ولكن جاء العفو عنه من لندن . وحرص صموئيل ، عندما استلم منصب المندوب السامي في مطلع حزيران على عدم نشر تقرير اللجنة لأنه يظهر مسؤولية الصهاينة .

وفي أول أيار عام ١٩٢١ وقعت اضطرابات شديدة في يافا أشد خطورة من سابقتها ، وذهب ضحيتها ٤٨ شهيداً من العرب و ٧٣ جرحى و ٤٧ قتيلاً من اليهود و ١٤٦ جرحى .

وكان منشؤها شغب وقع بين فئتين مختلفتي الاتجاه من عمال اليهود في عيد العمل - في تل أبيب ، فانقسمتا الى قسمين ، وسارت احدهما الى (حي المنشية) العربي فظن العرب ان المظاهرة موجّهة ضدهم ودار القتال بين الفريقين ، واتصل الحُر بسكان يافا فامتدت الاضطرابات في منطقتها . ولولا تدخل الجيش البريطاني لجرت تصفية الحلاف بشكل حاسم ونهائي بين العرب والصهيانية . وصرحت اللجنة التي تشكلت برئاسة (هايكرافت Haycraft) رئيس قضاة فلسطين في تقريرها عن الحوادث أن المنظمة الصهيونية «عملت على تجاهل العرب بصفتهم عنصراً يجب له أكبر حساب . وفي بعض الأحوال وقفت في طريق مصالحهم ابتغاء فائدة اليهود ، وان تصرفاتها تثير هياج العرب من سكان فلسطين بدلاً من تهدئة مواطنيهم ، وانها بذلك تعدّ سبباً من اسباب الاضطرابات » .

والأسباب ترجع الى قتل العرب على مصيرهم وسخطهم من حرمانهم استقلالهم، وأوردت اللجنة في تقريرها من أقوال الصهيانية وشهادتهم ما يسوّغ ذلك القلق والخطر ، بدليل ما صرح به الدكتور ايدر Eider : نائب رئيس اللجنة الصهيونية الذي يوصف بأنه (معتدل) نسياً ، فهو يقول : لا يمكن ان يكون في فلسطين إلا وطن قومي واحد هو الوطن اليهودي ، ومن المستحيل اجراء المساواة في الشركة بين العرب واليهود ، بل يجب ان تكون هناك سيادة يهودية حالما يزداد عددهم ازدياداً كافياً ، وقال ايدر بصراحة : « يجب ان يسمح لليهود وحدهم بحمل السلاح من دون العرب » !

وذكر تقرير لجنة هايكرافت أن استياء العرب ناجم عن الهجرة اليهودية ، وعن الحطة الصهيونية كما يفسرها اليهود . وانتقد التقرير الطريقة التي تدار بها فلسطين لأنها موجّهة نحو تأسيس وطن قومي لليهود ، وليست موجّهة لمنفعة جميع الفلسطينيين على حدّ سواء . وهاجم التقرير الصهيانية لرفضهم الاعتراف بوجود القومية العربية في فلسطين ، وأوصى

بوجوب العمل على تهدئة قلق العرب وتطمينهم على حقوقهم ومركزهم في بلادهم أكثريتها . وتناول تقرير اللجنة موضوع الادعاءات الصهيونية التي تقول إن ما يديه العرب من عداوة انما هو منصب على الحكم البريطاني أكثر منه على الصهاينة . وان جماعة (الأندية) افتعلت العداوة بين جماهير العرب غير المتعلمين . فأجابت اللجنة على هذا التضليل بأن « صدق الشعور بالكراهية نحو اليهود ، وسعة انتشاره وشدته ، كل ذلك بلغ مبلغاً لا يمكن معه ان يعل بذلك التعليل السطحي المزعوم . واذا كان الادعاء معناه أنه لولا تحريض الأعيان والافندية والمشايخ لما كانت هناك اضطرابات ، فإنه ادعاء واه لا يقام له وزن . . أما اذا كان قد ظهر في البلاد شيء من شعور العرب ضد البريطانيين ، فإنه يرجع الى أن الحكومة مقرونة في أذهان العرب بتعصيد السياسة الصهيونية » .

وبرغم أن التقرير تضمن كثيراً من اللوم للحركة الصهيونية مقابل بعض الانصاف للعرب ، ولكن لم يكن للتقرير أي تأثير في تغيير سياسة الحكومة وإصرارها على المضي في تطبيق برامجها التهودية ، وتجاوز حقوق الغالبية الساحقة من العرب في فلسطين .

وفي أعقاب اضطرابات يافا ، قررت الحركة الوطنية العربية في فلسطين ان ترسل وفداً الى اوربا ليبسط ظلامه فلسطين للرأي العام ورجال السياسة هناك . ومرّ الوفد وكان برئاسة موسى كاظم الحسيني بالقاهرة في طريقه الى روما حيث اجتمع الى البابا ثم توجه الى تشرشل وزير المستعمرات الذي أصبحت شؤون الشرق العربي بيده ، وكان من الطبيعي أن لا يجد الوفد العربي منه أدناً صاغية نظراً لتعاطفه الشديد مع الصهيونية . ولكن الوفد العربي وجد تأييداً لدى بعض أعضاء البرلمان البريطاني ، مثل جوبسن هيكس Hicks في مجلس العموم ، واللورد ايسلنغتون Islington واللورد سيدنهام Sydenham

وركلان Reglan في مجلس اللوردات^(١). وطرح موضوع الانتداب على فلسطين للمذاكرة في البرلمان البريطاني .

خُذت الحكومة في مجلس اللوردات بسبب اقتراح قدمه اللورد (ايسلنغتون) القائل بأن الانتداب على فلسطين لا يمكن قبوله لأنه يخالف العهود التي قطعها الحكومة للشعب الفلسطيني ، ولأنه لا يتفق مع رغائب الأكتربة الساحقة في فلسطين . ونُحِث بلفور في مجلس اللوردات حديثاً ملتوياً ، أنكر فيه ان الانتداب لا يتفق مع سياسة الدول التي أوجدت مبدأ الانتداب ، وهزأ بأخطار السيطرة اليهودية على العرب . وجرى التصويت على نقض وعد بلفور ، فصوّت مجلس اللوردات بأغلبية (٦٠) صوتاً ضد وعد بلفور ، مقابل (٢٩) معه . وفاز اقتراح (ايسلنغتون) الذي كان يرمي الى تأجيل موافقة مجلس عصبة الأمم على صك الانتداب الى أن يعدّل هذا الانتداب تعديلاً يتفق مع عهود الحكومة للعرب . وقد اكتب وايزمن نتيجة ما دار في مجلس اللوردات وذهب لمقابلة صديقه بلفور ، فنصحه هذا بان لا يعلق على ذلك أهمية جدية ، وقال له : « ما أهمية قيام نفر من اللوردات المحمق بهذا العمل »^(٢) ! أما في مجلس العموم « بفضّل أبطال مثل المستر تشرشل والميجر اورمبسي غور كان حظنا أفضل ، إذ هُزم اقتراح نقض وعد بلفور »^(٣) .

وتزايد حجم النقد الموجه ضد سياسة بريطانيا في فلسطين ، بعد زيارة اللورد نورثكليف Northcliffe لفلسطين الذي وصم الصهاينة بأنهم معتدون . كما تناول الكاتب

Weizmann, op. cit, P. 350

(١)

ibid , p. 360

(٢)

ibid

(٢)

البريطاني (جفرز - Jeffries) الاغتصاب الصهيوني في فلسطين ، ومحاسبة الادارة البريطانية له على حساب العرب سكان البلاد ومالكها . ورأى جفرز أن خير ما يمكن عمله هو نقض وعد بلفور ، وشطب السياسة البريطانية في فلسطين برمتها ^(١) .

وإزاء المقاومة العربية الضاربة لوعده بلفور في فلسطين ، وازاء النقد الموجه ضد سياسة (الوطن القومي) ، لم نجد الحكومة البريطانية بدءاً من اصدار كتاب أبيض ، يشكل حلقة أخرى في سلسلة التطمينات الطويلة البريطانية للعرب ، التي ابتدأت منذ استيحاء الحسين من بريطانيا عن حقيقة وثيقتي سايكس بيكو (١٩١٦) ووعد بلفور (١٩١٧)؛ ويوما قال هو غارث الموفد الرسمي البريطاني للحسين في جدة بصريح العبارة : « ان استيطان اليهود في فلسطين لن يسمح به إلا بالقدر الذي يتفق والحربة السياسية والاقتصادية لسكان العرب » (كانون الثاني ١٩١٨) .

كتاب تشرشل الابيض عام ١٩٢٢ :

صدر الكتاب الابيض في حزيران ١٩٢٢ بقصد تفسير وعده بلفور تفسيراً يطمئن العرب ، ولكنه جاء مخيباً لآمالهم ^(٢) ، وفيما يلي بعض مقتطفات منه : « نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هي جعل فلسطين يهودية برمتها . واستعملت عبارات قيل فيها ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية . فحكومة جلالة تعتبر هذه الآمال

Weizmann op. cit, P. 352

(١)

(٢) يلاحظ هنا أن الكتاب الأبيض يضيف تعهداً جديداً ال وعد بلفور الذي لم يتعهد « بترقية » الوطن القومي « وتنميته » ، وإنما تعهد بتسهيل « تأسيسه » . ان « ترقية » الوطن القومي وتنميته يمكن تفسيرها على وجه يلزم الحكومة البريطانية بالبقاء في فلسطين الى ما شاء الله . ويعطي الصهاينة حجة لتضخيم مطالبهم وتوسيع أطهامهم كما يريدون ، وكما حدث بالفعل في السنوات التالية .

غير قابلة التحقيق ، وتعلن بأنها لا ترمي الى مثل هذه الغاية ، وبأنها لا تفكر قطّ بإخضاع أو محو السكان العرب أو القضاء على لغتهم وآدابهم في فلسطين . وهي تلفت النظر الى ان عبارات التصريح المنوه عنه (بلغور) لا تشير الى تحويل فلسطين بجمتها وجعلها وطناً قومياً لليهود ، بل انما تعني بأن وطناً كهذا يؤسس في فلسطين .

« وان اللجنة الصهيونية .. لا ترغب في ان يكون لها ، كما أنها لا تملك ، أي قسط في ادارة البلاد العامة . والمركز الخاص الذي تشغله الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب لا يخولها صلاحية تولى هذه الوظيفة ... »

« وان ذلك التصريح (بلغور) الذي تأيد في مؤتمر دول الحلفاء الكبرى المنعقد في سان ريمو ثم في معاهدة سيفر ، هو غير قابل للتغيير .. ومتى سأل سائل ما هو معنى ترقية الوطن القومي اليهودي في فلسطين يمكن ان يجاب على ذلك بأنه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على أهالي فلسطين إجمالاً ، بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع أنحاء العالم ، حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية أمل وطيد في تقدمها الحرّ، وتفسح للشعب اليهودي مجالاً وافياً كي يظهر مقدرته ، كان من الضروري أن يعلم ان وجوده في فلسطين هو كحقّ وليس كمتنة . ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان إنشاء الوطن القومي لليهود ضمناً دولياً ، والاعتراف رسمياً بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة .. »

« ومن الضروري لأجل تطبيق هذه السياسة ، تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة ، ولكن هذه المهاجرة لا يمكن ان تكون كبيرة الى حد يزيد في أي ظروف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد إذ ذلك . وقد

جرت المهجرة حتى الآن على هذه الشروط وبلغ عدد المهاجرين منذ الاحتلال البريطاني نحو ٢٥ الف مهاجر .

« وفي النية تأليف لجنة خاصة في فلسطين من أعضاء المجلس التشريعي الجديد المنتخبين من الأهالي للبحث مع الادارة في الامور المتعلقة بتنظيم المهجرة .. »^(١).

ونفى الكتاب الأبيض أن تكون فلسطين الواقعة غربي نهر الاردن داخلة في العهد الذي قطعه مكهاون للحسين ، وقال إن الحكرمة البريطانية عازمة على منح فلسطين بعض مؤسسات الحكم الذاتي ، « ولكنها ترتأي ، بالنظر للظروف الخاصة في تلك البلاد ، ان يتم ذلك تدريجياً لا طفرة » . وفي الوقت الحاضر يقام مجلس تشريعي مؤلف من أعضاء منتخبين وأعضاء معينين ، ولكن « من الحكمة أن يمرّ وقت ما قبل توسيع الحكم الذاتي في فلسطين ، وقبل تحويل المجلس صلاحية المراقبة على السلطة التنفيذية .. وبعد بضع سنوات يعاد النظر في حالة البلاد، فاذا أسفر الاختبار في سير النظم الدستورية التي يراد تأسيسها الآن عن نجاح ، تعطى إذ ذاك صلاحية أوفر لنواب الشعب المنتخبين .. »^(٢).

وقد فند الوفد الفلسطيني العربي ، في مذكرة قدمها الى وزارة المستعمرات (١٧ حزيران) فحوى الكتاب الأبيض ، ونبه الى ما فيها من افتئات على حقوق العرب ، وندد بمعاذير بريطانيا لتأخير استقلال فلسطين : « .. فعلينا أن نفهم اذن ان الحكم الذاتي سيُمنح حالما يصبح الشعب اليهودي في فلسطين قادراً على أن يستفيد الفائدة التامة منه ،

(١) انظر نص الكتاب الابيض كاملا في ملحق رقم ٥ من تقرير لجنة شو ١٩٣٠ ص ٢٦٥ - ٢٦٩

(٢) طريين، المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٤ .

بالاعتماد على عدده وقوته ، وليس قبل ذلك » . وطالبت المذكرة بتشكيل حكومة وطنية مسؤولة أمام برلمان فلسطيني منتخب من سكان البلاد المسلمين والنصارى واليهود ، واتهمت حكومة بريطانيا بأنها « قد انزلت نفسها في فلسطين منزلة المتحيز الى سياسة لا يمكن لأي أن يقبل بها لأنها تعني فناءه عاجلاً أم آجلاً . ولن تجدي الوعود شيئاً ما لم تكن مقرونة بالأعمال .. »^(١).

أما المنظمة الصهيونية العالمية فقد رحبت بالكتاب الأبيض الذي صدر عن تشرشل وزير المستعمرات، وتعدت لحكومة لندن في ١٨ حزيران أنها سوف تسيّر أعمالها وفقاً للسياسة المرسومة فيه . ولا عجب في ذلك لأن كتاب تشرشل الأبيض صدر محققاً لأهداف الصهاينة في القضاء على الآمال الاستقلالية والانحادية لعرب فلسطين ، وفي تأكيد وعد بلفور من جديد رغم الحملات العنيفة التي شنت عليه ، وفي اقرار مبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب كأساس لرسم سياسة الهجرة اليهودية الى فلسطين .

ولكن كل هذا لا يرضي الجشع الصهيوني ؛ فها هو ذا وايزمن الذي أصبح رئيس المنظمة الصهيونية العالمية (تموز ١٩٢٠) يشرح أسباب (اضطاراه) وسائر الهيئة التنفيذية الصهيونية للموافقة على الكتاب الأبيض ، بقوله :

« إننا اعتبرنا كتاب تشرشل الأبيض كتقليص خطير لوعده بلفور ، لأنه فصل شرق الأردن عن منطقة العمل الصهيوني ، وأثار مسألة المجلس التشريعي . ولكنه بدأ (بإعادة تأكيد تصريح ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ الذي لا يقبل التغيير) ، وتابع قوله (ان الوطن القومي اليهودي سوف يؤسس في فلسطين) و (الشعب اليهودي سيكون في فلسطين كحق لا كمنة) وبالإضافة الى ان (الهجرة لن تتجاوز مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب القادمين الجدد) .

(١) صدقة ، المصدر السابق ص ٩٤-٩٥ .

« وباختصار ، إنه يحصر تصريح بلفور بفلسطين غرب الأردن ، ولكنه يرتخ مبدأ المقدرة الاقتصادية على الاستيعاب فضلاً عن أنه قيل لنا بوضوح ان المصادقة على صك الانتداب يتوقف على قبولنا بالسياسة كما شُرحت في الكتاب الابيض ، وقد وجدنا ، رفاقي وأنا - أنه لامناس من قبله ، وقد فعلنا ذلك ، ولكن على مضض »^(١).

ومن المؤكد أن الصهاينة رضخوا لحكم الظروف التي كانت غير مشجعة لهم آنذاك ؛ فالرأي العام البريطاني قد بدأ يناقش وعد بلفور مناقشة لاتم عن تأييد واسع له . والمعارضة العربية بدأت تأخذ طابعاً جدياً عنيفاً لاسيما بعد أن انتقد تقرير لجنة (هايكرافت) المخطط الصهيوني والتحيز البريطاني له ، وما نجم عنها من انفجار النفوس العربية .

هذا الى ان عصبة الأمم لم تكن صادقت بعد على صك الانتداب ، الأمر الذي نفى امكانيات الضغط السياسي على بريطانيا ، بواسطة اعضاء العصبة الآخرين ، وفقاً لصك الانتداب نفسه .

وبما يدل على ان الصهاينة رضخوا لحكم الظروف القاهرة ، وانهم كانوا يعتزمون الافلات من قيود الكتاب الابيض . أن (جاوتنسكي) لم يبد ضده معارضة جدية ؛ فقد لاحظ « أن الكتاب الابيض إذا جرى تنفيذه بشرف وأمانة فإنه يعطينا اطاراً لاقامة غالبية يهودية في فلسطين ، ولقيام دولة يهودية في نهاية الأمر »^(٢) . ويعلق وايزمن على موقف جاوتنسكي هذا بقوله : « ولقد برهنت الأحداث التالية صحة رأيه ، فطالما كان اليهود قادرين على تنمية البلاد من خلال الهجرة واستثمار رؤوس الأموال ، فإن المقدرة الاقتصادية

Weizmann, op. cit. , p. 361

(١)

ibid, p. 361

(٢)

على الاستيعاب سوف تنمو باطراد ، وسوف ترتفع الهجرة باستمرار »^(١) .

ان هذا الموقف من جانب الصهيونية ووايزمن ، يذكّرنا بالأسلوب المرحلي الواقعي الذي كان يثبت جدواه دائماً كأسلوب للعمل الصهيوني : كان على الصهاينة ان يختاروا بين التثبيت بتفسيرهم لوعد بلفور وأبعاده ، أو المغامرة بخسارته كله . وهنا تتجلى واقعية وايزمن الذي واجه معارضة أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني في (كارلسباد) آب ١٩٢٢ . فقد انتقد بعض الصهاينة وايزمن لأنه قبل بما هو اقل من براءة يهودية تمنح فلسطين للصهاينة ؛ فردّ وايزمن بأن « الكتاب الأبيض موجود بالفعل و (البراءة) ليست كذلك ، وأن الكتاب الأبيض أعطانا فرصة العمل العظيم الخلاق في فلسطين »^(٢) . وهكذا يلجّ وايزمن على الجوانب الايجابية دائماً دون الجوانب السلبية . فهو يؤكد الجانب العملي ، ولا يكثرث بالجانب النظري .. في حالة عدم انطباقه مع الأهداف الصهيونية . إنه يؤيد العمل بما هو واقع بدل الاحلاح على طلب الحال في تلك المرحلة . وهذا لا يعني تفضيل وايزمن للحلول الوسط ، ولكنه يعني أن الرجل كان يرى الحكمة في بلوغ هدفه على مراحل ، بعد النظر إلى الظروف السياسية القائمة بواقعية تامة . من ذلك مثلاً ما أظهره من عدم الاحلاح على حرية العمل الصهيوني في شرق الاردن ، لأنه كان يعتقد ان شرق الاردن لن تصبح جزءاً مكملاً للدولة اليهودية قبل اكتمال بناء هذه الدولة في فلسطين . وقد أكدّ وايزمن في خطاب ألقاه بمدينة القدس عام ١٩٢٦ أن « الطريق إلى جسر اللّبي الذي سنعبه إلى شرق الأردن لن يرصف بالجنود ، ولكن بالعمل اليهودي وبالحرث اليهودي »^(٣) . وهذا دليل واضح على

ibid . (١)

ibid . p. 395 (٢)

Weisgal, Meyer W. (ed.) • Chaim Weizmann, Statesman, (٣)
Scientist & Builder of the Jewish Commonwealth • N. Y.
1941, P. 57 .

أن وايزمن لم يرضخ إلا لضغط الظروف ، ولم يتراجع قط عن الاهداف السياسية الصهيونية .

إن هذا الاسلوب المرحلي الواقعي المرن هو نفسه الذي أفضى بالصهاينة الى نيل المصادقة النهائية على صك الانتداب من جانب بريطانيا ثم من جانب عصبة الأمم .

المصادقة على صك الانتداب :

ولا يتبع المجال لتابعة المساعي الصهيونية المستميتة التي مرت بعدة مراحل تجلّي فيها الاقبال والإدبار، ابتداءً بمؤتمرات ريمو (نيسان ١٩٢٠) ، وانتهاءً بمصادقة العصبة على الانتداب في ٢٤ تموز ١٩٢٢ . فقد وجد الصهاينة ان الوضع الراهن في فلسطين آنذاك لا يوحى بالثبات والرضى ، طالما بقي صك الانتداب غير مصادق عليه من جانب عصبة الأمم . وقد توجب على وايزمن أن ينتقل بين لندن وباريس وجنيف وروما لتذليل العقبات ونفي الشكوك وجمع المعونات . وبما ان كيرزن اصبح وزيراً للخارجية بعد بلفور فقد توجب على الصهاينة أن يلبأوا من جديد الى تجنيد انصارهم في الحكومة البريطانية ، واستخدام نفوذهم لديها من خلال بلفور وملنر وصموئيل . وبما ان كيرزن غدا مسؤولاً عن وضع مسودة الانتداب فقد استعان الصهاينة بجنير اميركي في وضع المسودات هو (بن كوهن) ، كما استعانوا بسكرتير كيرزن الشاب واسمه (اريك فوربز آدم Eric Forbes Adam) المؤيد جداً . وقد خاض هؤلاء معركة صياغة صك الانتداب والمصادقة عليه لشهور عديدة ^(١) . وكانت مسألة تضمين عبارة (الحق القومي) وفكرة (إعادة تأسيس) الوطن اليهودي ذات اهمية بالغة فيها . ونحن نستشهد بوصف وايزمن للصراع المرير الذي خاضه الصهاينة مع الوفد البريطاني المكلف بوضع النص النهائي للانتداب . قال وايزمن : « كانت المسودة تتلو المسودة - فتقترح كل منها ، وتبحث ، ثم ترفض . وكانت

Weizmann, op. cit, P. 348

(١)

أخطر عقبة اعترضتنا هي تلك المتصلة بفقرة في مقدمة الصك - أعني بها العبارة التي نصت في صك الانتداب الحالي ، على (الاعتراف بصلة اليهود التاريخية بفلسطين) . فكان الصابنة يريدونها أن تنص على (الاعتراف بمقوق اليهود التاريخية في فلسطين) . في حين أن (كيرزن Curzon) وزير الخارجية الجديد بعد بلفور - كان يرفض رفضاً باتاً ، وكان يقول بجفاف : اذا وضعتم عبارة كهذه ، فاني انخيل منذ الآن وايزمن ، وهو يأتي إلي يوماً بعد يوم ، ويقول لي ان له حقاً في أن يفعل هذا أو ذاك ، أو ذلك في فلسطين ! لن أوافق على ذلك الأمر ! فاقترح بلفور كحل وسط ، عبارة (الصلة التاريخية) وهكذا كان^(١) .

لقد كانت هذه الفقرة في مستهل صك الانتداب أهم أجزاء الصك وأخطرها في نظر وايزمن : ه أنا اعترف أن ذلك الجزء كان أهم أجزاء صك الانتداب ، وكنت أشعر في قرارة نفسي ان التدابير الأخرى في صك الانتداب يمكن أن تبقى حرفاً ميتاً .. وحين أنطلع إلى الوراة أميل إلى تعليق أهمية أقل على (التصريحات) المكتوبة (والبيانات) و (الوسائل) مما كنت افعل في تلك الأيام . إن مثل تلك الوسائل هي في أحسن حالاتها أخطر يمكن أن تملأ أو لا تملأ . انها في الحقيقة ليست بذات أهمية إلا إذا دعمت بالتحقيق العملي . وقد حاولت ان اوجه الحركة (الصهيونية) أكثر فأكثر الى هذه الناحية من العمل ، مع مرور السنين^(٢) .

وبالتصديق على صك الانتداب ينتهي فصل آخر من فصول المأساة الفلسطينية ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام توسع الجهود الصهيونية في فلسطين .

سجلت الصهيونية نصراً كبيراً في مؤتمر الصلح حين أدمج نص تصريح بلفور في المادة

Weizmann, op. cit. P. 318

(١)

ibid.

(٢)

(٩٥) من معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠) الموقعة بين الدول الحليفة وتركيا . ومرت سنتان تقريباً قبل أن تعرض مسودة الانتداب الفلسطيني على مجلس عصبة الأمم . والتأخير كان ناجماً خاصة عن تدخل حكومة الولايات المتحدة التي ذكرت ان اشتراكها في الحرب يخولها حق إبداء الرأي في شروط الانتدابات . وافقت بريطانيا حالاً ، وارسلت الى الحكومة الاميركية مودات الانتداب الفلسطيني وغيره .

وفي حين ألحت الحكومة الاميركية على وجوب الأخذ بمبدأ الفرص الاقتصادية المتكافئة في بلدان الانتداب بالنسبة لجميع دول عصبة الأمم ، فانها تنازلت عن هذا الحق بخصوص فلسطين ، اعترافاً (بجائتها الخاصة) وبصالح (الوطن القومي اليهودي) . ولم يقتصر الأمر على اعتراف الحكومة الاميركية بذلك ، بل أن الكونغرس بمجلسيه قدتبني في ٣٠ حزيران ١٩٢٢ قراراً بتأييد انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، على ان لا يلحق ضرر بالحقوق المدنية والدينية للنصارى وللجاعات غير اليهودية الأخرى في فلسطين ، مع ضمان حماية المقامات المقدسة .^(١)

وبعد أن رفض الكونغرس الاميركي توقيع ميثاق عصبة الأمم ، احاطت الحكومة الاميركية حلفاءها علماء برغبتها في الاشتراك بالمفاوضات المتعلقة بالانتداب لحفظ مصالحها الاقتصادية عموماً والنفطية خصوصاً .

أما صك الانتداب فهو وثيقة هامة جداً في دراستنا ، ويقع في ٢٨ مادة^(٢) ، وأهم نقاطه البارزة أنه :

١ - أجاب أهم مطالب المنظمة الصهيونية المعروضة على مؤتمر الصلح ؛ فجعل تنفيذ وعد بلفور إحدى غايات الانتداب الرئيسية ، بل غايته الأولى : « تكون الدولة المنتدبة

Cmd. 5479, Report of the Palestine - Peel - Commission, (١)
1937, p. 31

(٢) انظر نصه الكامل في : طريين - المصدر السابق ، ص ٢٠٨ - ٢١٦ .

مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية ، تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي بحسب ما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك ، وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والمذهب (المادة الثانية) . واعترف بالصلة التاريخية التي تربط اليهود بفلسطين .

ونصت المادة الرابعة على تأسيس وكالة يهودية تسدي المشورة والمساعدة للحكومة البريطانية فيما يتعلق بتنمية الوطن القومي وتلبية حاجاته ، والوكالة ذات صلاحيات واسعة تتعاون مع الدولة المنتدبة على ادارة البلاد ، وتنفيذ المشاريع العامة :

« يعترف هيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية لتشير وتعاون في ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك بما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين . وتساعد وتشارك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً . ويُعترف بأن الجمعية الصهيونية هذه هي الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ، ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأليفها يجعلها صالحة ولائقة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي »^(١) .

ومنح صك الانتداب المهاجرين اليهود الجنسية الفلسطينية ، وجعل العبرية إحدى اللغات الرسمية الثلاث . . ويلاحظ ان المادة المتصلة بذلك مقتبسة من نص المذكرة التي كان قدمها الصهاينة الى مؤتمر الصلح (١٩١٩) .

وأجازت المادة (١١) « لادارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تجري أو تستثمر بشروط الانصاف والعدل الاعمال والمصالح العمومية وترقي مراقب البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الأمور مباشرة بنفسها .» .

(١) المصدر السابق

٢ - لم يحقق صك الانتداب المطالب الصهيونية الآتية :

١ - انشاء دولة يهودية أو الوعد بإنشائها في المستقبل .

ب - اطلاق الهجرة اليهودية . فالمادة السادسة تنص : « على ادارة فلسطين مع كفالة عدم إلحاق الضرر بمقوق جميع طوائف الأهالي ، أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة استقرار اليهود في الأراضي الزراعية ، ومن جملتها الأراضي المدوّرة البور غير المطلوبة للأعمال العمومية .

ح - توسيع الحدود الفلسطينية على حساب شرق الاردن وجنوبي سورية ولبنان .

٣ - ويتضارب صك الانتداب مع معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم ؛ ذلك ان الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من معاهدة فرساي تفرض على فلسطين انتداباً من درجة (١) . وضمت أحكام هذه الفقرة من معاهدة فرساي في الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من ميثاق العصبة . فقد اشترط صك الانتداب انشاء وطن قومي في فلسطين لشعب غريب عنها ، بينما غاية الانتداب هي خدمة مصالح البلدان الخاضعة لهذا النظام وتسديد خطاها والسير بها نحو الاستقلال التام ، لا تحويل الدول المنتدبة حقوقاً واسعة لا تترك مجالاً لاشتراك الوطنيين في الادارة . ومع أن صك الانتداب يعتبر أكثر وضوحاً من تصريح بلفور ، غير أنه لم يحدد معنى (الوطن القومي) ، ولم يبين متى يتم انشاؤه ! ولم يرد في آية وثيقة رسمية ما اذا كان المقصود بالوطن القومي اليهودي مجرد ايجاد وسيلة للتدرج نحو الدولة اليهودية ، أو أن الوطن القومي هو غاية في حدّ ذاته .

لقد انطوى وعد بلفور ، وصك الانتداب ، والاعتراف بالمنظمة الصهيونية كشرريك في ادارة البلاد ، على كل ما احتاج اليه الصهاينة ، وأفضى الى نتيجة أساسية واحدة وهي

ظهور إطار حكومي صهوني يستند إلى الدولة المنتدبة ما دام بحاجة إليها ، فإذا شكّل اليهود غالبية في البلاد ، أقاموا الدولة اليهودية كأمر واقع .

كما أن المادة (٢٢) من ميثاق العصبة قد جعلت لرغبة السكان الأصليين المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة ، والعرب ، لم يختاروا بريطانيا منتدبة عليهم ، وإنما المنظمة الصهيونية العالمية هي التي اختارت بريطانيا منتدبة على فلسطين . ولم يأخذ صك الانتداب بعين الاعتبار العهد بتأييد الاستقلال التي قطعها الحلفاء للعرب ، أو حتى الضمانات التي اشتمل عليها كتاب تشرشل الأبيض لعام ١٩٢٢ .

نقض الحلفاء عهدهم ووعدهم للعرب :

ترغم بريطانيا دائماً أن فلسطين لم تكن داخلة ضمن البلاد التي وعد العرب فيها بالاستقلال ، وتكتفي بتزويد ما ذكره مستر تشرشل في بيانه سنة ١٩٢٢ : « ليس الأمر كما ادعى الوفد العربي بأن حكومة جلالة الملك أعطت في أثناء الحرب تعهداً بأن تنشأ حالاً حكومة مستقلة في فلسطين . إن هذا القول يستند في الغالب على كتاب أرسله في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ السير هنري مكماهون المندوب السامي في مصر آنذاك إلى شريف مكة ، الملك حسين ملك الحجاز اليوم . وقد ادعى بأن هذا الكتاب يتضمن وعداً لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف أو تأييده . غير أن هذا الوعد أعطي معلقاً على تحفظ ورد في نفس هذا الكتاب . وهذا التحفظ يستثنى في ما يستثنيه من المناطق ، ذلك القسم من سورية الواقع غربي ولاية الشام . وقد اعتبرت حكومة جلالاته على الدوام بأن هذا التحفظ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل . وبناء عليه تكون فلسطين برمتها ، غربي الأردن ، مستثناة من تعهد السير هنري مكماهون » . ولنعرض لهذا التناقضين وعد بلفور ومراسلات مكماهون الحسين بشيء من التفصيل :

كان الانكليز قبل نشوب الحرب العالمية الأولى خير من يعلم بأن الشعب العربي الراح تحت نير الترك بدأ يتحرك ضد الاضطهاد والظلم والأحكام التي حلت به ، وأن الأتراك يحاولون خنق الحركة القومية العربية ومطالبها الاستقلالية والإصلاحية . ولما كان الانكليز واثقين من نشوب الحرب عاجلاً أو آجلاً بينهم وبين ألمانيا وحليفها تركيا ، فقد انصرف ذهنهم إلى العرب المستائين من حكم الترك للاستفادة منهم في المجهود الحربي . لقد شرع الانكليز يتصلون منذ مطلع الحرب ببعض أعضاء حزب اللامركزية بالقاهرة لمعرفة خططهم ونياتهم فيما لو دخلت تركيا الحرب ، وماذا سيكون موقفهم لو ضمن الحلفاء استقلال العرب وتحرير بلادهم من الترك . . . ونعلم أن اتصال الانكليز بالشريف حسين لم يدخل طوره الجدي إلا في شهر تموز ١٩١٥ عندما كانت ظروف الحلفاء الحربية سيئة جداً . وفي ١٤ تموز بعث الحسين بمذكرته المشهورة رداً على كتاب كان قد أرسله مكماهون من قبل . وتضمنت مذكرة الحسين الشروط التي يقبل بها العرب للثورة على الدولة العثمانية ، وهذه الشروط هي نفسها التي أقرتها جمعيتا العربية الفتاة والعهد في بروتوكول دمشق الذي كان يعبر عن آراء زعماء العرب قاطبة . ولسنا في صدد الكلام على المراسلات التي تبادلها الشريف حسين مع مكماهون والتي بلغ عددها عشرأ ، خمس من كل جانب ، وإنما نخلص إلى ذكر أهم ما تضمنه كتاب مكماهون الذي أشار إليه تشرشل آنفاً والمؤرخ في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ .

« . . . إن مرسين واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربي دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات ، على أن لا تنقض شيئاً من اتفاقاتنا مع الزعماء العرب » .

وفي ٥ تشرين الثاني رد الشريف بقوله :

« رغبة في تسهيل الاتفاق وفي خدمة الإسلام واجتناب كل ما من شأنه تعكير صفو المسلمين ، واعتماداً على صفات بريطانيا العظمى ومواقفها، الحميدة فإننا نتنازل عن إصرارنا في ضم مرسين وأدنة إلى المملكة العربية .

أما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفاً وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي فكلاهما من نسل واحد . . . ورد مكماهون في ١٤ كانون الأول « يسرني أنكم وافقتم على إخراج ولايتي مرسين وأدنة من حدود البلاد العربية . . . أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ؛ ولكن لما كانت مصالح حليفها فرنسا داخلية فيها فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق وسنخاطبكم بهذا الشأن في الوقت المناسب » .

وفي مطلع عام ١٩١٦ كتب الشريف الى مكماهون يقول :

« . . . أما الأقسام الشمالية وسواحلها فقد ذكرنا في كتابنا السابق أقصى ما أمكن من التعديلات، وذلك كله إنما كان من أجل إنجاز تلك الأمانى التي يشوقنا نيلها بإذن الله سبحانه وهو هو ذلك الشعور نفسه ما حدا بنا إلى تجنب ما يخشى أن يضر بالتحالف بين بريطانيا العظمى وفرنسا، وبالاتفاق المبرم بينها في هذه الحرب وولاياتها ، ولكننا نرى من الواجب علينا أن نؤكد للوزير الحظير أننا في أول فرصة تسنح بعد نهاية هذه الحرب سنطلب منكم ما نصرّف عنه الآن عيوننا اعتباراً من اليوم، ونتركه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها » .

ورد مكماهون في ١٠ آذار ١٩١٦ بقوله :

« . . . إن حكومة جلالتك صادقت على جميع مطالبكم وإن كل شيء رغبت الإسراع فيه سيرسل إليكم » . (مال وعتاد) . .

يتضح من هذه المراسلات أن فلسطين لم تكن موضع بحث إطلاقاً ولم تشملها التحفظات ، ولنزد ذلك إيضاحاً :

من المعلوم أن الامبراطورية العثمانية كانت مقسمة إدارياً إلى ولايات ، وكل ولاية تشمل على عدد من السناجق والأقضية . وكانت سورية مقسمة إلى ثلاث ولايات وسنجق مستقل : وهي ولاية سوريا وكانت تدعى أيضاً ولاية دمشق ، ولاية حلب ، وسنجق القدس الشريف المستقل . وكانت ولاية دمشق مثلاً تحتوي على أربع سناجق ، منها حوران والكرك جنوباً ، وحماة شمالاً ، وعلى عدة أقضية أخرى ، كما أن سنجق القدس يضم عدة أقضية . ولو تفحصنا ما جاء في رسالة مكماهون المؤرخة في ١٤ تشرين الاول ١٩١٥ التي تتضمن تحفظ بريطانيا بشأن مرسين وادنة وما يقع غربي دمشق حصص حماة حلب التي لا يمكن ان يقال عنها عربية محضة .. ، لاستنتجنا ان ذكر المدن الاربع دون تمييز بينها رغم اختلاف وضعها الإداري يدل على ان المراد من استثناء مكماهون هو القسم الواقع غربي هذه المدن فحسب ، اي ما يعرف اليوم بالاراضي اللبنانية مع جزء من ساحل سورية الشمالي ، ولا صلة لها بفلسطين على الإطلاق^(١) . ولو كان المراد من كلمة دمشق ولاية

(١) تشكلت لجنة اللورد موم لدراسة المراسلات بين الحسين ومكماهون بعد أن طال إخفاؤها . وصرح السير ميكايل ماكدونيل MeDonnel رئيس المحكمة العليا بفلسطين سابقاً ، معبراً عن الرأي بأن « فلسطين قد اشتمل عليها ضمن منطقة الاستقلال العربي ، وإلا فلماذا غدثوا عن مناطق دمشق وحصص وحماة وحلب ، وليست احداها تقع الى الشرق من فلسطين ، وكلها تقع شمالها بعيداً عنها ؟ ولماذا - اذا كان يجب وصف فلسطين - لا يتحدث عن بحيرة الحولة ونهر الاردن وبحيرة طبرية والبحر الميت كحدود شرقية ؟ » .

وجاء في تقرير لجنة اللورد موم : « ان حكومة صاحب الجلالة لم تكن حرة التصرف بفلسطين دون اعتبار رغائب ومصالح سكان فلسطين .. » Cmd, 5974 , Annex C. pp. 241-251 « وفي عام ١٩٦٤ اكتشف دليل جديد على هذه النقطة جاء في وثيقتين « سريتين » : الاولى -

سورية على ما ذكر تشرشل في بيانه السابق ، لما كان مكهاون بحاجة إلى ذكر حص وحماء لأنها يدخلان ضمن ولاية سورية دخول الاقسام الجنوبية ، سنجد حوران و سنجد الكرك . وكان يكفي أن يؤكد مكهاون أن الجهات الواقعة غربي دمشق وحلب تخرج من البلاد التي وعدت بريطانيا العرب باستقلالها . ولو كان المراد من إيراد لفظة (دمشق) ، سنجد دمشق ، لما كان من ضرورة لذكر حص طالما هي واقعة في سنجد دمشق ، ولما استثنى فلسطين ، لأن سنجد حوران و سنجد الكرك - ويقع غربها جزء من فلسطين - كانا مستقلين ومنفصلين عن سنجد دمشق .

ومن هنا نرى أن تحفظ بريطانيا كان يستهدف استثناء القسم الواقع غربي قضاء دمشق فحسب لا ولاية دمشق . وذلك تمثياً مع حص وحماء وحلب .

ولو أريد من كلمة (حلب) ولاية حلب بالمعنى الذي تذهب إليه الحكومة البريطانية ، لشمّل التحفظ ليس فقط القسم الشمالي الغربي من سورية ، بل لشمّل ولاية أدنة ، في حين أنه أفرد تحفظ خاص بأدنة ومرسين . ان عدم ذكر سنجد الكرك وعجلون وعمات ، كما ذكرت حص وحماء ، يدل بوضوح على أنه لم يكن المراد يومذاك إخراج القسم الواقع غربي شرق الأردن من البلاد العربية التي تضمن بريطانيا استقلالها . ولو أن بريطانيا عام ١٩١٥ كانت ترغب حقاً في الاحتفاظ بفلسطين ، واستثناءها كما استثنى لبنان ، لسكانت

—مذكرة من ٢٠ صفحة عن الالتزام البريطاني للملك حسين«اعدتها دائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية لغائدة الوفد البريطاني الى مؤتمر الصلح في باريس . والثانية ملحق من ١٢ صفحة عن «التزامات حكومة جلالة السابقة في الشرق الأوسط» . وكانت الوثيقتان تخصان المرحوم البروفسور ويليام لين وسترمان مستشار الشؤون التركية للوفد الأمريكي الى مؤتمر الصلح - وحفظتا بجامعة ستانفورد ، مع التوصية بعدم الاطلاع عليها الا بعد وفاته . ففي القسم الرابع من المذكرة ورد ما يلي : « أما فيما يتعلق بفلسطين فان حكومة جلالة التزمتم برسالة من السير هنري مكهاون الى الشريف حسين بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ بضمها الى حدود المناطق العربية المستقلة » . أنظر صحيفة التايمس اللندنية بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٦٤ تحت عنوان (أضواء على وعود بريطانيا بشأن فلسطين) .

ذكرتها بدقة ووضوح. والبريطانيون محافظة منهم على شعور حلفائهم الفرنسيين أرادوا أن يرفعوا مصالح حلفائهم واطمأنهم الاقليمية في البلاد ، ولكنهم توسعوا بعد ذلك في مدى هذا التحفظ حتى زعموا أنه يشمل فلسطين ، وراحوا يؤكدون أن الشريف حسين تنازل عنها، والحقيقة أن الشريف حسين كان رضي ببدء هذه التحفظات بالنسبة للبنان مؤقتاً ريثما ينظر في هذه المسألة بعد الحرب (١) .

ونحن لانكر أن هنالك مبدءاً قانونياً يقضي بالرجوع إلى قواعد معينة لإيضاح نية المتعاقدين في حالة وجود الإبهام . فقد ذكرت المراسلات المناطق الواقعة غربي الأفضية في الشمال ؛ وفلسطين تقع في الجنوب ولا يمكن أن يكون ثمة إبهام بين الشمال والجنوب . وتسمية فلسطين تسمية تاريخية شائعة في التوراة والانجيل . ولو أراد الانكليز حقاً أن يستثوا فلسطين لاختصروا وذكروا اسمها بدلاً من ذكر المناطق السورية الواقعة غربي حمص وحمه وحلب ودمشق ، أو لسوها غربي نهر الاردن .

وهناك برهان ساطع على أن الانكليز كانوا يعرفون المنطقة في زمن مراسلات السير مكماهون باسم فلسطين ، وذلك عندما منح اليهود وعد بلفور فذكروها باسمها المجرد لا بالمنطقة الواقعة غربي دمشق .. وأبلغ بلفور لورد روتشيلد عن تسهيل حكومة صاحب الجلالة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ١٩٢٢ عندما نشرت الحكومة البريطانية كتابها الأبيض لتفسر فيه الوطن القومي اليهودي وعباراته والسياسة التي تدير عليها في فلسطين ... أشارت إلى أن مراسلات السير مكماهون استثنت فلسطين من وعود الحلفاء للعرب . وعندئذ طالب العرب الحكومة

(١) انظر مقال المؤلف في المجلد السادس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٥٧)

البريطانية أن تنشر النص الكامل لهذه المراسلات حتى يحتكموا والانكليز إلى الرأي العام العالمي ، فأبت حكومة لندن نشرها بدعوى أن نشرها يؤدي السياسة البريطانية في ناحية من نواحيها . على أن العرف الدولي يوجب على الفريق الثاني أن ينشر مالمده إذا طلب أحد الفريقين نشرها ، وإذا لم يكن لفريق ثالث مصلحة فيها .

إن الكتان نفسه يعتبر حجة على بريطانيا وإصرارها على عدم النشر بينة قاطعة على خشيتها من الاحتكام للرأي العام الدولي .

كتب مكماهون عام ١٩٢٢ ، عندما ثار موضوع هذه المراسلات بالنسبة لفلسطين ، كتاباً لوزارة المستعمرات يقول فيه إنه بوصفه الطرف الآخر للمفاوض باسم حكومة بريطانيا لم يدر بخده ولم يقصد من هذه المراسلات أن تدخل فلسطين في ما وعد الحلفاء للعرب بالاستقلال . والرد على ذلك أن المفاوضات جرت بين الحكومة البريطانية وبين العرب، وتولاها بالنيابة عن الحكومة البريطانية مكماهون وعن العرب الشريف حين . وهي ليست مقرونة بشخصها إلا من حيث تمثيلها للجانبين المتفاوضين . لذلك فان تفسير الشخص الذي قام بالمفاوضة ليس له تأثير على حقيقة المفاوضات بالذات ، خصوصاً عندما ينسب هذا التفسير الى النية والقصد ، وهو لا يقدم في المسألة ولا يؤخر ، والحكم لا يكون حكماً .

على أن الحكومة البريطانية وجدت نفسها في مأزق حرج عام ١٩٣٩ أثناء بحث مسألة فلسطين في مؤتمر المائدة المستديرة بلندن حيث ألح الجانب العربي على وجوب نشر المراسلات ، فاضطرت بريطانيا لتأليف لجنة حضرها مندوبون من البريطانيين والعرب . وفتحت هذه المراسلات لأول مرة رسمياً ، وبدأ الأعضاء يمحسونها ، وكانت سياسة انكترا

منذ ١٩١٧ حتى ١٩٣٩ قائمة على أساس أن فلسطين مستثناءة من الاستقلال العربي الموعود . وفي ١٩٣٩ كان الوطن القومي قد بدت معاملة فدخل عشرات الألوف من اليهود وأقاموا مستعمراتهم في البلاد واستقروا فيها .

« وأحست » اللجنة أن فلسطين داخلية في الوعد ، فقد جاء في سياق تحليلها أنه لم يكن ينتظر في بادئ الأمر ان تكون حجة العرب في هذا الموضوع قوية كما ظهرت فيما بعد . كما جاء في تقريرها أنه من المؤسف حقاً أن يستعمل المفاوض البريطاني ما استعمله من عبارات من اجل استثناء فلسطين ، وقد وصف هذه التقرير هذه العبارات بأنها لا تحمل الوضوح اللازم . غير ان وجهة النظر العربية لم يؤخذ بها في نتيجة التقرير الذي نشر كوثيقة رسمية بريطانية تحت رقم (cmd 5957) .

إن التناقض بين وعد بلفور ومراسلات مكماهون الحسين لا يحتاج إلى جدل ، ومهما تفنن العرب في إظهار هذا التناقض فإن انكسرتوا نجيبهم دوماً بعناد : ليس هناك تناقض . إن حق العرب في فلسطين أقوى من أن يستند إلى وثيقة أو نص ؛ فلسطين عربية منذ مئات السنين ، وعندما صدر تصريح بلفور كان أكثر من ٩٠ بالمائة من سكانها عرباً فلا يجوز أن يقرر مصير هذه البلاد دون ان يأخذ رأي سكانها ، ولا بحق لبريطانيا أن تتصرف بمقدرات فلسطين ، ولا صلة رسمية لها بها يوم أصدرت وعد بلفور^(١) .

إن وعوداً أخرى أصدرتها بريطانيا بعد وعد بلفور لتبديد شكوك العرب ومخاوفهم ، وفيما يلي سنوجزها متبعين في ذلك التسلسل الزمني : أوعزت الحكومة البريطانية للقائد

(١) انظر تقرير في حالة فلسطين قدم الى ستر شرشل من اللجنة المركزية للوئمر العربي

الفلسطيني الثالث ، القدس ١٩٢١ .

هو غارث كبي يوضح للحسين بمذكرة شفوية صريحة جداً أن سياسة بريطانيا وحلفائها هي حرية العرب واستقلالهم ، وبخصوص فلسطين لا يوجد رغبة في سيطرة شعب على آخر وسيود هذه البلاد حكم عادل يقوم على رغبة السكان ، ومن المفهوم أن مجيء اليهود الى فلسطين سيكون منوطاً بحرية العرب السياسية والاقتصادية .

وأجاب الحسين بصراحة : « إذن فليات اليهود الى بلاد العرب . » ثم أرسلت الحكومة البريطانية في شباط ١٩١٨ الرسالة التي عرفت باسم رسالة باسيت^(١) ، وذلك عقب نشر البلاشفة لمعاهدة سايكس بيكو السرية التي خشيت بريطانيا أن يؤثر نشرها على مجرى

(٣) نص كتاب الكولونيل باست Bassett الى المرحوم الملك حسين المشتمل على نص برقية اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية . (نقلا عن كتاب حقائق قضية فلسطين ص ١٣٠) .

(مخطوطة) جدة في ٨ شباط سنة ١٩١٨ - ١٣٣٦/٤/٢٧ .

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز و شريف مكة وأميرها المعظم .

بعد بيان ما يجب من الاحتشام والتوقير قد أمرني جناب فخامة نائب جلالة الملك أن أبلغ جلالتم البرقية التي وصلت إلى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنوانتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتم وهذا نصها بالحرف الواحد : إن الرغبة والصرامة التامة التي اتخذتموها جلالتم في إرسالكم التحريرات التي أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وجعفر باشا، إلى جناب فخامة نائب جلالة الملك، كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى، وإن الاجراءات التي اتخذتموها جلالتم في هذا الصدد لم تكن رمزاً يعبر عن تلك العلاقة والصرامة التي كانت دائماً شاهدة العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى . ومما لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تنسج عليها تركيا هي إيجاد الارتياح والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم إرشادات جلالتم قد بذلوا الهمة الشاه ليظفروا بإعادة حريتهم القديمة . إن السياسة التركية لا تفتأ تفرس ذلك الارتياح بأن توسس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية ، وتلقي بأذهان دول الحلفاء انه يمكن ارجاع العرب عن مقصدهم. ولكن أقوال الدساسين لن تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين انجبت عقولهم إلى ←

الحرب ، وتسلم الحسين المذكورة من الكولونيل باسيت معتمد بريطانيا في جدة وقد أثبتنا نصها الكامل في الهامش .

ومن ثم أصدرت بريطانيا في حزيران ١٩١٨ تصريحاً موجهاً إلى سبعة من السوريين ويعرف بتصريح السبعة كما سماه لورانس ، أهم ما فيه أن الحكومة البريطانية تؤكد أن المنشورات التي أذاعها القواد البريطانيون عند استلامهم بغداد والقدس ، تؤلف جزءاً من الوثائق الرسمية ، وأنها تتضمن سياسة حكومة جلالة نجاه سكان تلك المناطق ، وان سياسة بريطانيا في المستقبل ستقوم على إرادة الشعب .

وأخيراً أفني تشرين الثاني ١٩١٨ صدر التصريح الفرنسي البريطاني بعد احتلال جيوش الحلفاء لبلدان الهلال الحُصيب بما فيها فلسطين ، لذا لا يمكن القول بأن فلسطين قد استئنيت بما جاء فيه . وقد نص التصريح على أنه « سيكون للبلاد التي تحررت من الحكم العثماني حرية واستقلال وحكومات محلية تتمتع سلطتها من الشعب ولا يفرض عليها أية أنظمة خاصة » . وتصريح بلفور مناقض أيضاً لتصريح المستر تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٢١ : « ولأجل ان نكتسب مساعدة العرب ضد الأتراك فقد قطعنا للعرب جملة عهود بالاشتراك

ح - فكر واحد وغرض واحد . إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفائها مازالت واقفة موقف التأييد لكل نهضة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة ، وهي مصممة أن تقف بجانب الأمم العربية في جهادها لأن تبنى عالماً عربياً الذي يسود فيه القانون والشرع بسد الظلم العثماني (وتتحده) (لعلنا نتحدى) التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم (انتهى) . وفي الختام التمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحترامات والتعنيات . نائب المعتمد البريطاني بمكة . الكولونيل باسيت . التوقيع .

مع حلفائنا لأجل إعادة اتحاد الأمة العربية ، وبقدر الامكان لأجل إرجاع النفوذ الى البلاد العربية التي تفتحها جيوشنا ، ، ومعلوم أن فلسطين إحدى هذه البلاد العربية (١) .

تقدير اشتراك جيوش الثورة العربية في الحرب :

لعل أهم اسهام قامت به جحافل الثورة العربية المتجهة لتحرير ديار الشام كان احتلال مدينة العقبة الاستراتيجية (٦ تموز ١٩١٦) ، في وقت لم يكن الجيش البريطاني فيه قد تمكن من عبور قناة السويس والتقدم نحو شبه جزيرة سيناء . وان القيادة البريطانية العليا لم تكن على علم بالهجوم العربي واحتلال العقبة الى أن أحاطها بذلك لورانس في زيارته التالية للقاهرة . وما قام به العرب بعد ذلك لم يكن أقل خطورة . فالجيش العربي ظل يضيق خطوط المواصلات التركية على جميع الجبهات ، وعلى طول الخط الحديدي الحجازي من المدينة المنورة الى دمشق .

ان أهمية المعونة ومداهها التي قدمها العرب للحلفاء ، ودلائها في ما أحرزوه من نصر ، قد لحصها الكابتن ليدل هارت ، المعلق العسكري الأول في القوات المتحالفة آنذاك بقوله : « في الأسابيع الحاسمة بينا كان النبي يعد لضربته والبدء بها ، أشغلت القوات العربية نصف القوات التركية تقريباً جنوبي دمشق .. ومن السهل رؤية ما يعنيه غياب هذه القوات في نجاح ضربة النبي . ولم تنته العمليات العربية بشق الطريق ، لأن العرب في القتال كانوا هم الذين أفنوا الجيش الرابع تقريباً ، وهو القوة التي كانت ما تزال سالمة ، ويمكن أن تعيق الطريق نحو النصر النهائي . إن استنفاد (قوى الترك) ، والجهد الجسمي والذهني الذي تكبدوه بالرجال والعتاد على يد العرب ، قد هيأ السبيل الذي أدى الى هزيمتهم (الترك) ، (٢) .

The Times 19 Dec. 1921

(١)

Jeffries, op. cit, pp. 231 - 235

(٢)

ان وعد بريطانيا ليس في الأصل مشروعاً وقانونياً ، وهذا منشأ المأساة الفلسطينية . أما عدم شرعيته فنأشئء عن أن بريطانيا كانت مرتبطة بعهد سابق يلزمها الاعتراف باستقلال العرب في فلسطين من ناحية . ومن ناحية أخرى فان الوعد يشكل تعهداً لا تملك بريطانيا حق الوفاء به دون مشورة العرب وموافقهم . ان اعطاء الوعد لممثلي الصهيونية العالمية في وقت لم يكن لبريطانيا « أبة » هيمنة أو سلطة شرعية مها كانت على فلسطين ، يذكرنا بجالة اللص الذي يعد زميله اللص بجمعة من مسلوباته قبل وقت طويل من قيامه بالسرقة فعلاً .

لقد توهم البعض في بداية الأمر ان موافقة العرب على وعد بلفور قد تمت بعد زيارة القائد هوغارث البريطاني للحسين في كانون الثاني ١٩١٨ ، ولكن هذا الوم زال تماماً حين أدرك العالم أن الضمانات السياسية والاقتصادية التي حملها هوغارث لم تحترم ، وان هجرة اليهود الى فلسطين لم تكن ذات هدف خيري وانساني ، بل وضع منذ عام ١٩٢٠ أن اليهود يهدفون من الهجرة أن يشكلوا غالبية ، فدولة يهودية . وكان العرب على حق في مخاوفهم لأن الصهيونيين لم يتخلوا قط عن هدفهم الأساسي في الدولة اليهودية ، ولأنهم تظاهروا بقبول الوطن القومي كما نص عليه وعد بلفور لعدم استطاعتهم الحصول على أكثر منه .

ان تبرئة حكومة لويد جورج من تهمة التآمر على العرب لا يمكن التماس العذر لها بحال من الأحوال حين بعث برسالته التي حملها هوغارث الى الحسين لتبديد شكوك العرب بلهجة صريحة جداً بأنه لن يسمح بإسكان اليهود في فلسطين الا بالقدر الذي يتفق مع حربة السكان العرب السياسية والاقتصادية . ان هذه الرسالة تنطوي على تغريب منقطع النظير . ولا عذر له كذلك في ارسال كتاب بتوقيع وزير خارجيته يوم الحسين بأن اتفاق

سايكس بيكو^(١) لا وجود له وأنه من صنع خيال الترك والبولشفيك . وقد استخف بعض أعضاء الحكومة البريطانية بدعوى الحسين في فلسطين - بموجب ما ذكرنا من وعود بريطانيا له - وكانوا على ثقة من أنهم يستطيعون بسهولة ، وفي الوقت المناسب ، اسكات ذلك الشيخ المضحك المقيم في مكة ، أو « ذلك القرد العجوز » على حد تعبير مارك سايكس ، ببعض الجمل البقعة على أن تكون قوية كذلك ، ومرفقة بكيس أو كيسين من الذهب لاتمام الصفقة . وقد نحوا هذا النحو لأنهم لم يدركوا حقيقة القوى العاملة وراء قيادة الحسين . ولو فرضنا أن حكومة لندن رأت أن تصب أذنها عن سماع دروس التاريخ لسبب ما ، فقد كان أمامها دلائل كافية في فلسطين منذ فجر الانتداب تشير بقوة الى ما ينتظرها من عواقب .

ولم تكن هذه الدلائل مقتصرة على الانذار الذي تضمنه تقرير لجنة كينغ كرين الحليف (بوجوب الحد كثيراً من البرنامج الصهيوني حفاظاً على السلام) ، وغيره من المصادر الموثوقة التي كان بعضها بريسانياً ، وإنما تعدته الى الفصول الافتتاحية من المسألة الفلسطينية نفسها . فلقد عاينت بريطانيا أن الاستيطان الصهيوني إنما يعني نحو القرى العربية وطرد فلاحها ، وان مزاعم الرخاء الصهيوني لا أساس لها مطلقاً من الصحة ، وهي مع ذلك

(١) أم ما تضمنه القسم المختص بانكلترا وفرنسا من معاهدة سايكس بيكو (نيسان - أيار ١٩١٦) مايلي :

المادة الأولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وغبيا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رياسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) « داخلية سورية » و (ب) « داخلية العراق » المبينتين في الخريطة الملحقة بهذا .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء « شقة سورية الساحلية » ولانكلترا في المنطقة الحمراء « شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) إنشاء ماترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمرات « فلسطين » يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء ومثلي شريف مكة .

لو صحت في تصورنا ، فإنها لا تعوض في نظر عرب فلسطين ما فقدته الفلاح من أرث يشكل أعز وأقدس ما يملك في هذه الدنيا .

لقد كانت الحكومة البريطانية تعلم حق العلم ، من التجارب الفعلية بأنها كانت تزرع أطنانا من الألغام المتفجرة بتلك السياسة التي مضت في تطبيقها بالقوة العاشمة ، وهذا برغم لهجة التفاؤل المفتعل البادي في الحطب الوزارية والتقارير الرسمية . وكانت بريطانيا ، الى تحقيقها مساويء سياستها المنحازة بلا وجه حق ، مستمرة في تجاهل التزاماتها نحو حلفاء الأمم من العرب !

وكان لا بد أن يتساءل العرب : ترى هل كانت التزاماتها للصهاينة أقوى مما تسمح بالتصريح به ، أو أنها أكثر انقيادا لضغطهم ، أم أنها كانت تعتقد أن الدولة اليهودية إن قامت في تلك البقعة الهامة من الشرق الأوسط ، ستكون حليفاً أقوى وأنفع لبريطانيا ، من دولة عربية تقوم في نفس البقعة ؟!

يبدو أن هذا السبب الأخير هو ما حدا ببريطانيا لدعم الصهيونية في فلسطين : لقد تم ربط المصالح المتقابلة بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيوني ؛ فمن ناحية تلغي بريطانيا تدويل فلسطين (الذي اتفق عليه مع فرنسا وروسيا) عن طريق استخدام النفوذ الصهيوني في أمريكا وفرنسا - فتطمئن على سلامة الطرق البرية والبحرية المؤدية الى ممتلكاتها في القارة الهندية وما وراءها ، وتبعد فرنسا عن القناة وعن سيناء ، وتبعدها عن فلسطين أيضا ، باعتبار أن تنفيذ البرنامج الصهيوني تحت نظر بريطانيا لا يتم دون الوجود البريطاني في فلسطين بشكل من الأشكال . وضمن التحالف بين الصهيونية وبريطانيا ما ينتغيه كل منهما ؛ فبريطانيا حصلت على ما يضمن لها أن المجتمع اليهودي سوف يعتمد دائما على الحماية البريطانية ، وسوف يظل دائما محتاج الى الوجود البريطاني في فلسطين ويبره . والصهيونية حصلت بدورها على ما يضمن لها أن بريطانيا - بالتزام وعد بلفور - سوف تسبغ الحماية

على عمليات الاستعمار الصهيوني ضد المعارضة العربية . وبادرت بريطانيا الى تعيين صهيوني يهودي كأول مندوب سام لها في فلسطين ^(١) . واعترفت بالوكالة اليهودية التي نصت بنود الانتداب على قيامها ، وفتحت أبواب فلسطين أمام الهجرة الصهيونية الجماعية ، ومنحت الصيانة أجزاء كبيرة من أراضي الدولة ، وبسطت حمايتها على مؤسسات (الوطن القومي) وسمحت لليهود بادارة مدارسهم وجعلت لغتهم لغة رسمية بجانب العربية والانكليزية . كما تغاضت عن وجود المنظمة العسكرية (الهاغانا) ، ثم قامت بعد ذلك بتدريب وحدات صهيونية ضاربة متحركة (البالماح) ، وغضت الطرف عن نشاط المنظمات الارهابية السرية (الارغون وشتيرن) . ولا نعجب بعد ، اذا وصفت اللجنة الملكية للتحقيق (١٩٣٧) المجتمع اليهودي الصهيوني في فلسطين بأنه « دولة داخل دولة » .

ولكن كل ما حققته الصهيونية في فلسطين (مضاعفة عدد اليهود ١٤ مرة عنه عام ١٩١٧ ، تطوير مؤسساتها شبه الحكومية ، بناء قوة عسكرية ضخمة - بعد ثلاثين عاماً من وعد بلفور) لم يكن الا محطات مؤقتة ، وليس خاتمة المطاف في البرنامج الصهيوني الموضوع للأرض المقدسة . فعلى الرغم من النفي الجازم ، الذي كان يصدر عن الزعماء الصهيونيين باستمرار منذ مؤتمرهم الأول ١٨٧٩ حتى عام ١٩٤٣ ، لوجود أية نوايا عندهم لإقامة دولة ، فان النشرات الداخلية للحركة الصهيونية ومذكرات قادتها تدل بوضوح على أنهم كانوا يسعون وراء اقامة الدولة ، خلافا لكل بياناتهم الرسمية والعلنية .

(١) يذكر هربرت صموئيل في ذكرياته: « لقد عينت مندوباً سامياً في فلسطين ، وحكومة جلالة الملك على دراية تامة بعواطفى الصهيونية ، بل لاشك في أنني غالباً عينت بسبب هذه العواطف » .

الفصل السادس

تنظيم النشاط الصهيوني وتساعد السخط العربي

(١٩٢٢ — ١٩٢٩)

صدر دستور فلسطين ، وأصبح نافذاً ابتداءً من اليوم الأول من شهر ايلول ١٩٢٢ ، ونشر في الجريدة الرسمية ، ومهد له مقدمة احتوت على تصريح بلفور وصك الانتداب . وفي الوقت نفسه أحاطت بريطانيا عصبة الأمم بعزمها على فصل شرق الاردن عن فلسطين فيما يتعلق بالفقرات المتعلقة بالوطن القومي في صك الانتداب^(١) .

وقرر العرب رفض مشروع الدستور رفضاً باتاً . أعلن ذلك المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس (٢٠ آب ١٩٢٢) ، كما أعلن مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي المنصوص عليه في الدستور لأنه وجد أن الاشتراك فيها إنما هو قبول بالانتداب وبتصريح بلفور .

وازاء ما بدا من تضامن العرب الرائع في تنفيذ قرار المقاطعة (شباط ١٩٢٣) لم يسع السلطات إلا أن تعلن عن اخفاق الانتخابات ، وتعطل مواد الدستور .

(١) قام فريق من الصهاينة المتعصبين وعلى رأسهم (جابوتنسكي) يطالبون بتصحيح الانتداب كما يشمل على شرق الاردن أيضاً كمدى للوطن القومي ، وعرف هؤلاء بحزب التصحيبيين الذين لا يعترفون علانية بأي اعتبار لحقوق وأمان غير اليهود ، ويصطنعون العنف والارهاب وسيلة لبلوغ أهدافهم .

وعمدت السلطات البريطانية الى تأليف مجلس (استشاري) أعضاؤه معينون (١٠ من البريطانيين و ١٠ من العرب و ٢ من اليهود) لتوريط العرب في التعاون معها ضمن السياسة الانتدابية . غير أن الأعضاء العشرة المعينين رفضوا حضور الاجتماعات ، ما لم تنشر الحكومة بلاغاً تعلن فيه ان هذا المجلس لا يمثل الأمة ، ولم يتشكل على أساس الدستور والمجلس التشريعي المفروضين من الأمة . ولما لم يصدر البيان قرر الأعضاء العرب الانسحاب ، وأخفق مشروع المجلس الاستشاري نهائياً ، وظل مقصوداً على كبار الموظفين الانكليز .

وبذلك تكون الحكومة البريطانية رغم وعودها العديدة للعرب ، رفضت رفضاً باتاً طلب العرب عام ١٩٢٢ في إقامة حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب ، متعائلة بأن ذلك يتعارض مع الوعود المعطاة لليهود . وفي دورتين متتابعتين لاجتماع مجلس العصبة (١٩٢٤ ، ١٩٢٥) أجابت حكومة لندن صراحة أنها لا يمكنها أن تنشئ مجلساً تشريعياً في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين حسب عددهم ، لأن ذلك يحول دون تنفيذ الحكومة للواجبات الملقاة على عاتقها في انشاء الوطن القومي !

أما الصهاينة فقد نشطوا في هذه الآونة ، ونظموا أجهزتهم الادارية لتنسيق العمل الصهيوني ، ولتحل محل (قيادة الأمر الواقع) التي تزعمها وايزمن طوال فترة الحرب دون أي تكليف رسمي مشروع . وفي مؤتمر لندن (تموز ١٩٢٠) جرى انتخاب وايزمن رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية ، وسوكولوف رئيساً للجنة التنفيذية ، وصادق علي المقررات التالية :

- ١ - التعايش بسلام مع الجماعات غير اليهودية في فلسطين .
- ٢ - اعتبار جميع الأراضي التي يستعمرها اليهود في فلسطين ملكاً عاماً للشعب اليهودي .

٣ - توظيف التبرعات الطوعية في صندوق قومي لجعل أراضي فلسطين ملكاً عاماً للشعب اليهودي .

٤ - انشاء مكتب هجرة مركزي في فلسطين ، و (مكاتب فلسطين) في الخارج بقصد تشجيع المهاجرين وانتقايمهم . وقد اكتمل في هذا المؤتمر بناء الجهاز المالي الصهيوني بإنشاء (الصندوق التأسيسي لفلسطين) المعروف باسم (كيرن هيسود) وانيطت به مسائل الهجرة والاستيطان .

وقد عبّر بن غوريون عن تقديره للعمل حين نظر الى القيمة الفعلية لوعده بلفور وصك الانتداب على فلسطين بقوله :

« إن مقصد وعد بلفور وهدف انتداب عصبة الأمم ، يظان قصاصات من الورق مالم نعمل نحن على استحضار اليهود الى فلسطين وتهيئة الأرض للاستيطان على مقياس واسع»^(١). وقال بن غوريون ان الانجازات العملية تصبح بمثابة حجة سياسية في يد الدبلوماسية الصهيونية : « ما لم نوسع رقعة استيطاننا المادي في الأرض ، فإن جميع ماعينا السياسية مع بريطانيا ، مها كانت بارعة ونشيطة ، ستسفر عن لا شيء . فالانجاز المادي أقوى حجة سياسية ، واكثرها تأثيراً على الحكومة المنتدبة أو أبة حكومة أخرى»^(٢) وهذا هو عين ما رآه وايزمن ، إذ اعتبر أن هدف الصهيونية لا يتحقق إلا بالتفاعل بين الجهد الدبلوماسي والانجاز العملي ؛ فالصكوك الدولية السياسية التي تبرمها الصهيونية تظل حرفاً ميتاً ما لم تقترن فوراً بالمنجزات الفعلية التي تثبتتها وتصونها . وذلك يجري باحتلال فلسطين تدريجياً عن طريق تنظيم هجرة يهودية الى فلسطين وشراء الأراضي فيها .

• Ben Gurion looks Back in Talks with Moshe Pearlman • (١)

N. Y. 1965, P. 53

ibid, p. 51

(٢)

وأعلن مؤتمر كارلسباد (ايلول ١٩٢١) وهو المؤتمر الصهيوني الرابع عشر أن عداوة العرب لن تضعف من تصميم الصهاينة على العمل لتحقيق الأهداف الصهيونية . وقد ارتفع عدد دافعي (الشيقل) الى ٧٧٠ ألفاً أي ما يعادل ٦٠ ضعفاً عددهم في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر الذي انعقد عام ١٩١٣^(١) . ومع النمو العددي لأعضاء المنظمة الصهيونية ، لم يعد لكل (٢٠٠) من دافعي الشيقل الحق في انتخاب ممثل لهم في المؤتمر ، إذ رفع العدد الى (٨٥٠٠) .

كذلك أوكل وايزمن الى (مكتب مركزي) مهمة الاتصال السياسي بوزارة المستعمرات في لندن ، بغية الحفاظ على استمرار التأييد البريطاني والاشراف على النشاط الصهيوني في العالم . وبلي المكتب المركزي مجموعة تنفيذية من الهيئتين التنفيذيتين في لندن وفلسطين ، ولجنة العمل ، والمجلس المركزي . وبقيت مكاتب لندن على علاقة وثيقة بدوائر عصبة الأمم ، وبالأوساط الرسمية الفرنسية والاطالية من خلال مكاتب خاصة ، وحلت الهيئة التنفيذية الفلسطينية محل اللجنة الصهيونية في فلسطين ، وعهد اليها برعاية شؤون الطائفة اليهودية فيها وتعمية الهجرة اليهودية اليها .

وحرصاً على دوام العلاقات الحسنة بين الادارة الانتدابية والطائفة اليهودية في فلسطين وخاصة بعد استقالة الدكتور ايدر رئيس الهيئة التنفيذية في عام ١٩٢٢ من منصبه ، استشار وايزمن صديقه الجنرال مكدونوف Magdonogh مدير التحريات البريطانية في فلسطين ، فيمن يقترحه مرشحاً شريطة أن « ينتمي للعالمين الانكليزي واليهودي ، وان يألف ويتعاون مع اليهود الشرقيين الذين يشكلون غالبية المهاجرين ، وكذلك مع اليهود الغربيين الذين يردون الصناديق اليهودية بمعظم أموالها » . فاقترح مكدونوف اسم الكولونيل

Cohen , op. cit. , pp. 86-89

(١)

(فريد كيش F. Kisch) عضو المخابرات العسكرية والضابط البريطاني الذي ولد من أب يهودي شرقي كان ينتمي لجمعية (محيي صهيون) . وهذه الصفة كان بمستطاعه اكتساب ثقة زملائه الضباط البريطانيين في الادارة الانتدائية والشعور بمودة الصهاينة ، وكان بحكم عمله قادراً على نفع لا يقدر مداه للصهاينة الذين كانوا يعتمدون على سلاح المخابرات مفتاحاً لدبلوماسيتهم الناجحة . والغريب أن لاتثار مسألة الولاء المزدوج بشأن شخص كيش ووظيفته ويبدو أن وايزمن الذي ما كان يفونه شيء مما يجري حوله تمكن من تذليل هذه الصعوبة (١) .

على أن المسألة الأهم التي شغلت بال وايزمن كانت مسألة اكتساب يهود العالم للأهداف الصهيونية ؛ فقد فكر في استقطاب المجموعات اليهودية الكبيرة في العالم من غير الصهاينة عن طريق توسيع الوكالة اليهودية التي نص عليها صك الانتداب ، تنفيذاً للنقطة الثالثة من برنامج بال الداعية الى التماس دعم يهود العالم .

ولهذا الغرض سافر وايزمن الى الولايات المتحدة في ربيع عام ١٩٢٣ وتقرب من زعيمين يهوديين غير صهيونيين كان لها أكبر الأثر في توفير الدعم السياسي والمالي من اليهود الاميركيين ، وهما (لويس مارشال) ، و (فيلكس اربورغ) ، فقد اقتنع وايزمن أن توسيع الوكالة اليهودية لتضم اليهود غير الصهاينة ايضاً أمر ذو اهمية خاصة ؛ فهو سيؤدي الى تجنيد اليهود البارزين الذين يشغلون مناصب رسمية حساسة - في اكثر من بلد - بالنشاط الصهيوني من ناحية ، وسيفضي في النهاية الى اكتسابهم الى جانب المخططات الصهيونية من ناحية ثانية . واخيراً لا أخرا سيوقف المعارضة اليهودية المتزايدة للمبادئ والسياسات الصهيونية، خاصة بعد أن شككت هذه المعارضة في ادعاء المنظمة الصهيونية بأنها ممثلة لما يسمى بالشعب اليهودي .

وبما شجع وايزمن في اصراره على توسيع الوكالة ، مارآه من سرعة اقتناع الزعيمين اليهوديين مارشال وواربورغ بوجهة النظر الصهيونية : وان الوزن المؤثر لمارشال وواربورغ قد سهل الامور امامي في الولايات المتحدة . وحتى قبل ان تؤسس الوكالة رسمياً ، فان الامير كين (اليهود) غير الصهاينة ابتدأوا بفعل هذا النفوذ بالمشاركة في الكيرن هيسود وفي الاجهزة الاخرى لبناء فلسطين^(١) . واخذ جانب كبير من يهود الولايات المتحدة بعد اقتناع الرجلين بالاهداف الصهيونية ، في مساندها معنوياً وتحمل كثير من عبئها المالي .

وبذلك نجح الصهاينة عن طريق انشاء الوكالة اليهودية الموسعة عام ١٩٢٩ واشراك جماعات يهودية غير صهيونية في نشاطها ، في جعل هذه الجماعات صهيونية ضمناً^(٢) . وقد اطمان الصهاينة الى سيطرتهم على الوكالة الجديدة حين جعلوا احتمالات وجود اغلبية صهيونية في الوكالة احتمالات قوية جداً بحسب دستور الوكالة الجديد . وبرغم ان العناصر الصهيونية اعطيت في الظاهر فقط قوة مساوية للعناصر غير الصهيونية ، غير ان اشتراك هؤلاء من الناحية الفعلية كان اشتراكاً عاجزاً وغير حقيقي ،^(٣) بوجب فقرة في دستور الوكالة : « اذا عجز الأعضاء غير الصهاينة في مجلس الوكالة اليهودية عن تقديم ترشيحات بعدد الاعضاء المخصصين للعناصر غير الصهيونية فانه يصبح من حق المنظمة الصهيونية ملء المقعد والمقاعد الشاغرة^(٤) . وقد استطاع عدد من الصهاينة العمل في الوكالة اليهودية و كأنهم غير صهاينة بحيث اصبح للصهيونية غالبية شلت بأصواتها الآراء غير الصهيونية في جميع المواضيع الهامة المطروحة . وفي معظم الأوقات كان الصهاينة يفرضون آراءهم على الوكالة تحت شعار

ibid, p. 385 (١)

Taylor, op. cit , P. 46 (٢)

(٣) انظر اسعد عبد الرحمن، المصدر نفسه ص ١٠٩ - ١١٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١١٢ .

عدم إعطاء العدو فرصة الافادة من تبعثرهم ، وذلك بسبب سيطرتهم على غالبية الاصوات . وكما يقول عضو غير صهوني في اللجنة التنفيذية للوكالة شارحاً هذا الوضع الشاذ : « ان الصهونيين في الوكالة مثلوا حركة لها وجود في جميع أطراف العالم . وكانوا مسؤولين أمام أحزاب كان لابد أن يعملوا على نقل ونحرير وجهات نظرها . اما الاعضاء غير الصهونيين فلم يكونوا مسؤولين امام أحد أو جهة ، ولا يمثلون أي مؤسسة . ومع استثناءات نادرة لم يكونوا مهئين للتصدي للمشاكل التي تطرح في اجتماعات الوكالة ^(١) .

في ضوء ما تقدم يستنتج أن الأشخاص غير الصهانية الذين ساهموا في توسيع الوكالة اليهودية لم يكونوا ممثلين حقيقيين وشرعيين ليهود العالم . فضلاً عن أنه لم يتح أمام الاعضاء غير الصهانية ان يسهموا اسهاماً فعلياً في نشاط الوكالة او قراراتها ، نظراً لوقوع الوكالة تحت تأثير الغالبية الصهيونية ، بحيث غدت وكأنها اداة في يد المنظمة الصهيونية العالمية .

ولقد مثلت الوكالة اليهودية الموسعة (الشعب اليهودي) بصورة شكلية في اجراء المفاوضة باسمه ، وفي اتخاذ القرارات نيابة عنه في كل ما يتصل باقامة الوطن القومي . وبانتقال جميع حقوق وواجبات المنظمة الصهيونية الى الوكالة اليهودية الموسعة في غضون الفترة الانتدائية ^(١) ، استطاع الصهانية تحت ستار الشرعية ان يزعموا لأنفسهم

(١) المصدر نفسه ص ١١٧-١١٨ عن

Berger , Elmer : « The Legal - Historical Background Relevant to an Adequate U. S. Govt. Legal policy » . Monograph Published by the American council for Judaism .

(١) تلخص مهام الوكالة اليهودية بتشجيع الهجرة وتعزيزها وامتلاك الأراضي ورفع مستوى الاستيطان الزراعي ، وتلبية الاحتياجات اليهودية الدينية ، وتطوير اللغة العبرية والثقافة اليهودية . ويتألف الجهاز الاداري للوكالة من رئيسها .

م ١٣ فلسطين (١٩٦٨)

حق الكلام عن يهود العالم ، ويجعلوا الوكالة أداة في أيديهم ، وسوف تشهد فترة الأربعينات خاصة مساعي ضخمة (لصينة) جميع التنظيمات اليهودية في الولايات المتحدة ، وستتحول الوكالة اليهودية الموسعة نهائياً الى مؤسسة صهيونية مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وحصل الصهاينة على عهد من حكومة لندن بأن المنظمة الصهيونية وحدها هي التي سيُعترف بها كوكالة يهودية في حال فسخ الشركة بين الصهاينة وغير الصهاينة ^(١) . وما جرى في الولايات المتحدة لاكتساب اليهود إلى الحركة الصهيونية جرى مثله في كل بلد تسكنه جماعات يهودية . وبهذا وضعت النقطة الثالثة من برنامج بال موضع التنفيذ ، وعبثت القوى الصهيونية لتكون في خدمة الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، وفي خدمة الوكالة اليهودية التي تكن سوى المنظمة الصهيونية ، والمهيئة الحاكمة الناشئة .

= ١ - رئيساً : وهو رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « الا اذا تقرر خلافه بثلاثة أرباع أصوات مجلس الوكالة » .

٢ - ومجلس الوكالة برئاسة المؤتمر الصهيوني في المنظمة الصهيونية ، وانيطت به سلطة التقرير في المبادئ العامة للسياسة . ونصف مقاعد المجلس تملؤها المنظمة الصهيونية ، في حين يعين اليهود غير الصهاينة في البلاد المختلفة ممثلهم لاشغال النصف الثاني ، ويجتمع المجلس مرة كل عامين للنظر في تقارير الاجهزة التنفيذية وللمصادقة على الميزانية الجديدة ، ولانتخاب رئيس للمجلس من بين أعضائه .

٣ - واللجنة الادارية في الوكالة برئاسة المجلس العام في المنظمة الصهيونية العالمية . عدد أعضائها اربعون ينتخب نصفهم الأعضاء الصهاينة في مجلس الوكالة ، ويعين نصفهم الآخر الأعضاء غير الصهاينة في المجلس من بين انفسهم .

٤ - اللجنة التنفيذية للوكالة ، مهمتها نفس مهمة سميتها في المنظمة الصهيونية ، ، وتعين من قبل مجلس الوكالة وتكون خاضعة للمجلس او اللجنة الادارية . ويجري تعيين الأعضاء مناصفة بين الصهاينة وغير الصهاينة . ومقر المكاتب التنفيذية للوكالة هو القدس . ويوجد في لندن مكتب تنفيذي للوكالة يشكله رئيس الوكالة مع بعض اعضاء اللجنة التنفيذية ، ومهمته تنسيق العلاقات بين الوكالة والادارة الانتدابية . وقد ربط بالوكالة جهاز مالي مؤلف من الكيرين كيمت والكيرين هيبود . (انظر أسعد عبد الرحمن ، المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٩) .

وازاء صلابة الموقف العربي في فلسطين من السياسة البريطانية الصهيونية ، لجأت السلطات الى مختلف الأساليب لتصدع وحدة الجبهة الداخلية العربية ، منها ما اتخذ الطابع الطائفي لافساد ما بين المسلمين واخوانهم النصارى من أطيّب العلاقات ، ومنها ما اتخذ طابع التمييز ما بين القرية والمدينة ، أو ما بين الفلاحين وأهل المدن وزعماء الحركة الوطنية الذين نعّوم بالأندية والاقطاعيين . وذلك بقصد ايقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح ازاء أخيه المدني الذي « يضطّده ويستغله ويزدره » . ولكن كل هذه الدسائس والمكائد لم تفت في عضد الجماهير العربية التي ظلت متمسكة بوجه عام .

وفي أوائل عهد المندوب السامي الجديد لورد بلومر Plumer - وكان ضالعا مع الصهاينة باعتراف وايزمن^(١) ، تظاهرت الادارة الانتدابية أنها راغبة في تعديل السياسة القائمة (تموز ١٩٢٦) ، ولكن ادعاءها لم يقترن بنتيجة فعلية .

وفي هذه الظروف والأحوال كان عرب فلسطين يصولون الاستعمار الضالع مع الصهيونية . فحدائة عهدهم بالسياسة الدولية ومناوراتها ، وقلة خبرتهم وضعف تنظيمهم السياسي ، وطوق العزلة الذي فرضته السلطات عليهم لثلا يصل صوتهم الى العالم الخارجي ، مما جعل صوتهم خافتاً ووزنهم ضئيلاً رغم حقهم الصريح المقدس .

أما إخوانهم العرب في البلدان العربية المجاورة ، فكانوا مشغولين في مشاكلهم القطرية الخاصة ، ومنهمكين في الاعداد للتحرير ولطرد الاحتلال الاجنبي الذي ورثوه عن (حلفاء) الأمس .

وهكذا فالسنوات العشر الأولى من سني الانتداب تميزت بفوز الصهيونية . وبدا العرب خلالها مستضعفين عاجزين . ولكن الأحوال ستبدل فجأة عام ١٩٢٩ عندما سهب عرب فلسطين للذود عن حقوقهم المشروعة . ذلك أنه مرت على فلسطين ما بين ١٩٢١ و١٩٢٩

(١) طرين - المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٠٩ .

فترة هدوء نسبي بسبب ضعف تيار الهجرة الصهيونية . ولعل أهم ما وقع في هذه الفترة من اضطرابات كان في يافا (مارس ١٩٢٤) خلال احتفال اليهود بعيد المساخر (بوريم) . وترى بعضهم يزي رجال الدين الاسلامي مما استفز العرب وأدى الى صدام دموي .

كما أن البلاد أضربت اضراباً عاماً لدى زيارة بلفور للقدس لافتتاح الجامعة العبرية (آذار ١٩٢٥) التي اقيمت على أرض عربية فوق جبل الزيتون ، انتزعتها السلطات البريطانية عام ١٩١٨ من أصحابها بالقوة بموجب قانون نزع الملكية واعطيت لليهود . وغادر بلفور فلسطين الى دمشق فقامت فيها مظاهرات ضخمة ضده ، مما حمل السلطات الفرنسية يومذاك على اخراجه بسرعة مخفوراً الى بيروت حيث ركب الباخرة رأساً ليعود الى بلاده^(١) .

تحيّز الادارة لسياسة الوطن القومي :

يعترف (مارلو) الذي لا تنقصه مشاعر التأييد للصهاينة ، بأن التعيين الشاذ ليهودي هو السير هربرت صموئيل كأول مندوب سامي على فلسطين ، يمكن ان يعتبر دليلاً على مدى ما هو مقصود ومقرر في السياسة البريطانية من دعم وتنمية الوطن القومي اليهودي^(٢) .

وحين قام وفد اسلامي في فلسطين بمقابلة المستر تشرشل وزير المستعمرات في آذار ١٩٢١ ، خاطبهم بقوله : « تطلبون مني أن أنتكر لوعده بلفور وان أوقف الهجرة ؛ ليس هذا في مقدوري ، ولست أرغب فيه أيضاً . إننا نظن أنه من الخير للعالم ، ومن الخير لليهود ، ومن الخير للامبراطورية البريطانية ، كما انه من الخير للعرب أيضاً . ونحن نستهدف

(١) طرين - المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١) Marlowe, John, • Rebellion in Palestine •, London 1946, pp.

pp. 96 - 97

ان يكون هذا حقاً،^(١) .وانتقلت كلمات وزير المستعمرات بين العرب ، واسهمت في ان تثير بينهم شعور الغضب الذي انتهى بعد شهر واحد الى سفك الدماء .

لقد ورد في تصريح تشرشل (١٩٢٢) ان المانع الوحيد لتأسيس حكومة وطنية في فلسطين اسوة بالبلدان العربية الأخرى ، ليس كون أهل فلسطين أقل رقباً وتقدماً من سكان تلك البلدان، وانما هو وعد بلفور. ومن هنا شعور عرب فلسطين بالظلم والاجحاف ، إذ لا يمكن ان يبرر ذو وجدان حرمانهم من التمتع بحقهم المقدس بالحرية والاستقلال لا لشيء سوى أن بريطانيا وعدت اليهود بإنشاء وطن قومي . وكان من الطبيعي جداً أن يعتقد عرب فلسطين ان كل حائل يحول بينهم وبين حقهم المقدس بالاستقلال والمحافظة على كيانهم القومي في بلادهم إنما هو قائم على التمييز والظلم ، وان من واجهم ان يناضلوا لإزالتها والوصول الى حقهم المقدس .

إن مبدأ المحافظة على حقوق الأهالي ومصالحهم في البلاد المنتدب عليها هو مسؤولية في عنق المدينة ، ولقد أهملت بسبب مصلحة فريق غريب طارئ على البلاد وسكانها . رفض عرب فلسطين الانتداب لأنه وضع بشكل يفهم منه أن ما هو موجود وقائم في فلسطين من سكانها هو أكتريه يهودية مقابل اقلييات غير يهودية ، وان الاكثريه لها حقوق ايجابية وإن الاقلييات لها حقوق سلبية ، وان حقوق تلك الأكتريه واسعة عامة بين حقوق الاقلية المذكورة .

إن مبدأ الانتداب الذي وجد حُدْمَة الاكثريه والدفاع عنها ومنفعتها ، يشار اليهم في الانتداب الفلسطيني باسم السكان غير اليهود ، وهذا لفظ مهين وخادع وغادر . وفي إشارة

Jeffries, op. cit., p.457

(١)

مخيفة نبي عن نويا بريطانيا ومقاصدها في قول تشرشل بأن وجود اليهود في فلسطين هو كحق وليس بمتة السماح والاذن لهم بدخولها ! ترى هل يعني ذلك أن وجود العرب مبني على عكس ذلك ؟!

لا شك في ان صك الانتداب قد وُضع مع تجاهل طبيعة الأمور وحقيقتها في فلسطين ، والقول نفسه ينطبق أيضاً على وعد بلفور . ولكن واضعي مسودة الانتداب كان لديهم كل فرصة ليتعرفوا على حقيقة الاوضاع القائمة في فلسطين (على فرض أنهم يجهلونها !) وكان بإمكانهم أن يعيدوا النظر في وعد بلفور ، ولكن بدلاً من ذلك اكدوا وعد بلفور ، بل وأغوه . ومن الغريب ان الانتداب قد صودق عليه من الولايات المتحدة الاميركية ، برغم تقرير لجنة كنج كرين الحضيف ، وان لورانس قد اعتبر الانتداب معقولاً بعد التسوية التي توصل اليها مؤتمر القاهرة برئاسة تشرشل (١٩٢١) .

وكان الصهاينة حريصين على ان يتضمن صك الانتداب مايلزم بريطانيا بتنمية الوطن القومي ، وقد اتضح بعد صدوره أن بنوده تأثرت كثيراً بمقترحاتهم فيما يختص بتفاصيل تشكيل الوطن القومي ، كبناء انشاء الوكالة اليهودية التي كان عليها ان تعمل كجهاز ربط بين اليهودية العالمية ويهود فلسطين ، وكمثلة لفلسطين أمام دولة الانتداب واليهودية العالمية . ومن هنا كان ما يطلبه اليهود دائماً وبالخاصة هو تنفيذ الانتداب الذي يتطلب فتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين وتنمية المصالح اليهودية فيها وحمايتها . ولوسئل الصهاينة ومؤيديهم عن وجهة العدالة في كل ذلك ، لأجابوا ان المسألة ليست مسألة عدالة ، وإنما مسألة تفسير للانتداب . ان بريطانيا لم تأت إلى فلسطين لتقف وراء ميزان العدل ، انها أتت اليها لاجراض استراتيجية امبريالية^(١) قبل زعماء اليهود بها .

Marlowe, op. cit., p. 55

(١)

و حين فرض الانتداب على بريطانيا المنتدبة واجب تأسيس وترقية الوطن القومي لليهودي فرض عليها ايضاً حماية حقوق غير اليهود في فلسطين (لا العرب تحصيماً ، وانما غير اليهود) ، وهكذا أساحت بريطانيا ضمناً عن وجود الأمازي القومية العربية بالنسبة لعرب فلسطين . وحين رفض هؤلاء الانتداب ، لم تكثر بريطانيا بهم لأنها اعتبرت ان قبولها بالانتداب لا يجعلها مسؤولة امامهم ، وإنما أمام عصبة الامم ، عن إدارتها لفلسطين وفقاً لبنود الانتداب^(١) ولا عجب إذا نظر الصهاينة منذ البداية إلى (الوطن القومي) على أنه شيء « يجب أن ينمو برغم العرب وعلى حسابهم ، ولم تخطر على بالهم مسألة القبول بالعرب كشركاء يقفون معهم على قدم المساواة في بناء فلسطين جديدة »^(٢) .

إن الصهاينة منذ ان توافدت هجرتهم إلى فلسطين افترضوا ان العربي شخص أدنى منهم ، يكتفي بالنذر اليسير ويمكن تجاهله وعدم الاكتراث به . وقد تمسك الصهاينة بمبدأ (مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب) كأساس للهجرة اليهودية ، بمعنى ان العدد الذي سيسمح له بالقدوم إلى فلسطين يتوقف على قدرته بتزويد نفسه بعمل فيها ، أي ان الهجرة اليهودية لن يحددها سوى المشاريع الصهيونية ، التي تزعم انها تجد عمالاً للعمال اليهود الذين تطلب الوكالة اليهودية من الادارة الانتدابية ان تمنحهم شهادات هجرة للقدوم إلى فلسطين . وبعبارة اخرى إن مبدأ المقدرة الاقتصادية بدا للعرب أنه يعد اليهود بتيار لا ينقطع من الهجرة على مدى فترة طويلة من السنين . وقد سمح لليهود الذين يملكون (٥٠٠) جنيه فلسطيني فصاعداً بدخول فلسطين مع عائلاتهم ، وهذه الفئة تتضمن التجار الصغار واصحاب الحوانيت والحرفيين ، أما العمال ، فكان يسمح لهم بالدخول وفقاً للحصص السنوية المتفق عليها بين

ibid, p. 59

(١)

ibid, p. 84

(٢)

الادارة الانتدابية والوكالة اليهودية ، وهؤلاء 'مختارون بعناية من قبل فروع الوكالة في
في جميع انحاء اوربا ، ويكون معظمهم من الشبان الاقوياء البنية .

ولكن هذه التدابير كان يساء استعمالها دائماً ، كما تعترف الوثائق البريطانية نفسها .
ولنكتف بايراد مثلين اثنين فقط للتدليل على التحايل والتواطؤ . اولهما مهاجر عمره ٢٨ عاماً
حصل على سمة دخول إلى فلسطين لنفسه ولزوجته البالغة ١٨ عاماً ، ولولدهما البالغ ١٣ عاماً!
وثانيها مهاجر عمره ٢٣ عاماً ، وزوجته ١٠ اعوام ، وابنتها عمرها ٥ اعوام ! وليست هذه
بمخالات استثنائية فردية أبداً . إن عملية إلحاق الزوجات والأولاد بالأشخاص المهاجرين
- بحسب كشف العمل - كانت تتفاقم ، وبذلك أصبح الحكم على مقدرة البلاد الاقتصادية
على استيعاب المهاجرين منوطاً بمجاعة تهتم كل الاهتمام بتهجير أكبر عدد من المهاجرين بما
يفوق مقدرة البلاد على استيعابهم . وأشد من ذلك ايلاًماً وإجحافاً هو أنه لم يكن يؤخذ
بعين الاعتبار عدد العرب العاطلين عن العمل ، ولا حاجة العرب المتعاظمة للعمل ،
وهي الحاجة التي نجمت عن بيع الأراضي لليهود ، وطرد الفلاحين العرب من الأرض التي
كانوا يعملون عليها .

ولو تساؤلنا هل أجرت الادارة الانتدابية تقديراً لمعرفة مقدرة البلاد الاقتصادية كل
سنة شهور ، على أساس مذكرة الوكالة اليهودية التي تقدمها مرتين سنوياً الى الادارة ،
والمتضمنة تقديرها لمطلبات العمل الصهيوني في مدى ستة شهور ، مع الأسباب الموجبة
لذلك التقدير ؟!

فالجواب هو أن الادارة كانت تقوم بهذا التقدير ، ولكن دون أن يكون له أي
أثر على كبح جماح تيار الهجرة اليهودية المتعاظمة^(١) . ولعله من المضحك المبكي معاً أن

Abcarius, M. F. «Palestine through the Fog of Propaganda»(١)
London 1916., p. 113 .

نشير إلى أن من بين الهيئات التي يؤخذ رأيها في هذا التقدير الخطير ، هو اتحاد العمل اليهودي (المستدروت) الذي ما انفك دائماً يطالب الادارة الانتدائية بإصدار شهادات مهاجرة جديدة . ومن وجهة نظر اقتصادية فالعامل العربي هو أكثر فعالية وأقل كلفة ، ومع ذلك فإن كل ذلك لم يكن يؤثر على استقدام المهاجرين اليهود ، وتأمين معاشهم دونما اعتبار لحاجة العرب للعمل أو عدمها . إن هذا التقدير لمقدرة البلاد الاقتصادية هو متناقض مع الارتقاء بسكان البلاد ورفاههم ، الذي أخذت دولة الانتداب تنفيذه على عاتقها باعتبارهم « وديعة مقدسة في عتق المدينة » .

ان الوكالة اليهودية منذ البداية كانت تعتمز بناء اقتصاد يهودي صرف في فلسطين ؛ وهي لذلك لم تنظر أبداً الى تحسين العلاقات مع العرب ولم تحرص على أن يسودها الوثام . وبدا جلياً أن الوكالة تتجاهل تماماً جميع المسائل الناجمة عن التباعد بين العرب واليهود ، وكانت تنفذ خطط التنمية دون أن تلتفت الى العرب ، لأن ههما كان منصرفاً للعناية باليهود ، أما العرب فليذهبوا الى الجحيم^(١) ! لقد افترضت الوكالة اليهودية أن السلطة المنتدبة لا بد أن تقبل نظرتها الى الوطن القومي من حيث المدى والقصد ، وبذلك لم تتحقق أن البديل الوحيد للوفاق مع العرب هو محاربتهم واستعداؤهم . ان الوكالة كانت تسلك كما لو كانت تنفرد في دولة مستقلة بها وراء حدود محصنة ، وظلت تمعن في تجاهلها لقوة القومية العربية ووجودها .

أما (المستدروت) وهو أهم منظمة صهيونية فكان أعضاؤه يهود صهيانية أولاً وعمال ثانياً . ولم يكن العمال العرب في نظر المستدروت ، سوى مصدر من مصادر العمل الرخيص الذي يجب حماية العامل اليهودي من منافسته ، ضد من توسل له نفسه من بعض الرأسماليين

Marlowe, op. cit., p. 85

(١)

استخدامه لخص أجوره نسبة لارتفاع أجور اليهود . ولإقناع الرأسمالي اليهودي بذلك يجب حفز مشاعره « القومية » ، وهذا ما صبح المستدروت بصغة قومية متعصبة ، فأصبح عماد (القومية الصهيونية) ، وغدا أكثر إلحاحاً على طرد العرب تماماً من ميادين الحياة الاقتصادية اليهودية^(١) .

هذا إلى التنظيمات اليهودية الأخرى ذات الأهمية في انغلاق اليهود على أنفسهم ، وظهورهم بالجفوة والعجرفة تجاه العرب ، ومن أهمها (الفعاد لثومي) أي المجلس الملي اليهودي ، ويقتصر عمله على النواحي الاجتماعية أكثر من النواحي السياسية . ويوجه عنايته الى شؤون التعليم والاسعاف وادارة الصناديق الخيرية . وهو جهاز تنفيذي يتألف من ممثلي الجماعة اليهودية في فلسطين ، وواجههم الاشراف على علاقات اليهود بعضهم مع بعض ، في حين تعنى الوكالة اليهودية بعلاقاتهم مع الادارة الانتدابية ومع العرب .

وكان لا بدّ أن يقابل العرب هذا التنظيم الصهيوني في بلدهم بالسخط والتذمر والعداء . ولم يلبث عداؤهم للوطن القومي أن امتد أيضاً إلى البريطانيين . وهذا تطور منطقي تحتمه الظروف وتؤدي كل الطرق إليه ؛ ذلك أن مقاومة الوطن القومي كان جزءاً لا يتجزأ من نضالهم الأكبر من أجل الظفر بالاستقلال القومي .. لقد كان يستحيل على العرب مهاجمة الوطن القومي من دون الامبريالية البريطانية التي أوجدته على أرضهم ، خصوصاً عندما يرون بأم أعينهم الرعاية والعناية لليهود ، مقابل الجور والافتئات على حقوق العرب .

إن الادارة الانتدابية في تطبيقها للانتداب كانت متحيزة لليهود ، وتقصيرها في تنفيذ بنود هذا الانتداب الباطل شرعاً وقانوناً ، والذي تدّعي بأن سياستها قائمة عليه ، كان سبباً من أسباب الاضطراب والثورة .

ان المادة الثانية من الانتداب تحتوي على تعهدين . الاول وضع البلاد في ظروف خاصة لمصلحة القلة اليهودية المفضلة ، على أن لا تمس حقوق الكثرة الدينية والمدنية . وقد أعلنت حكومة لندن والادارة الانتدابية في فلسطين أن هذين التعهدين لهما قيمة متساوية لدى الحكومة . إلا أن البحث يظهر ان تنفيذ التعهد الأول متعلق بالتعهد الثاني ، لأن تأسيس وطن قومي يهودي يشترط فيه أن لا يلحق أضراراً بحقوق العرب الدينية والمدنية ، وكل سياسة تناقض التعهد الثاني هي سياسة مجحفة ومنتحيزة . لقد فهم العرب أن الحكومة البريطانية سوف تمنع عنهم مؤسسات الحكم الذاتي الى أن يصبح اليهود أكثرية والعرب أقلية ، وفقاً لما تجري به السنة الصهاينة وأقلامهم .

والمادة السادسة من صك الانتداب تحتوي كذلك على تعهدين . أولهما تسهيل الهجرة اليهودية وإسكان اليهود على الأراضي . وثانيها يقول ان واجب الحكومة هو أن لا يكون تنفيذ التعهد الأول سبباً في إلحاق أي ضرر بحقوق ومركز سكان البلاد ، وان يكون تنفيذ التعهد الأول طبق حالات مناسبة .

يتضح من هذا أن المحافظة على حقوق العرب هي الأصل في المادة ، وأن تعهد الحكومة لليهود هو فرع لها لأن تنفيذه مشروط . ولكن تمسك حكومة الانتداب بيداً مقدرة البلاد الاقتصادية المرن هبط بقيمة الضمانات الى الصفر . وبما أن العرب شعب مزارع في معظمهم فإن (وضعهم ومركزهم) و (حقوقهم) يوجب أن تكون أراضي البلاد لهم ، وأن يكون وضعهم الاجتماعي متميزاً عن وضع الأقليات .

ويبدو تحيز الادارة الانتدابية في سياستها المتعلقة بالأراضي والهجرة ؛ فهنا يتضح بجلاء فشلها التام في المحافظة على حقوق العرب ومركزهم . ذلك أن هذه السياسة قد ألحقت أضراراً جسيمة بحقوق العرب وبوضعهم ، وخلقت حالة تساعد على انشاء وتسمية الوطن القومي ، بصرف النظر عن أي اعتبار آخر .

فمن المعلوم أن أراضي فلسطين تقسم الى قسمين : الأراضي التي يفلحها أصحابها الملاك لها ، والأراضي التي يفلحها مستأجرون أو مراعون ، ويملكها ملاك أكثرهم من خارج فلسطين . ان الفلاح العربي في القسم الأول شديد التمسك بأرضه لأنها مورد رزقه، ولذا فلا خوف من تسربها الى اليهود إلا في أحوال نادرة . أما القسم الثاني فإن الائمان الباهظة التي كانت تدفع ثمناً لها كانت عاملاً قوياً في تسربها وانتقالها . ولذلك كان من واجب الادارة الانتدابية أن تحافظ على حقوق الفلاحين العرب وتصون وضعهم ومركزهم ، وأن تعاون على منع انتقال الأراضي الى الأجانب ، لا سيما أراضي القسم الأول ، وذلك بتحسين حالة الفلاح المالية خاصة ، وبسن تشريع صارم يحافظ على حقوق المزارعين في القسم الثاني^(١) .

ولكن ما جرى كان بعيداً عن الانصاف للفلاح العربي ؛ فالادارة لم تكتف بارهاقه لارغامه على دفع القروض التي كان استلقها أيام الحكم العسكري من بنك (النجلواجيشيان) فاضطرته لبيع مواشيه بربع المال الذي دفعه ثمناً لها ، وانما أخذت تطالبه بدفع قروض البنك العثماني الزراعي التي كان اقترضها قبل الاحتلال البريطاني . وهذا البنك كان جمع رأس ماله من زيادة ضريبة العشر على الفلاح اثناء الحكم العثماني بموافقة الفلاح . وقد طلب العرب من الحكومة أن تسامح الفلاح بديون البنك الزراعي ولكنها رفضت ، فاضطر الفلاح البائس لبيع قسم من أرضه ، وبهذا الشكل بدأت بيوع الأراضي عام ١٩٢٠^(٢) .

ويمكن القول بأن الملاك العربي الذي باع أرضه قد استفاد من المال الذي تلقاه ثمناً لها،

(١) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية - منشورات

مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٦ .

وان الشاري اليهودي استفاد من الأرض التي استولى عليها . ولكن العرب ككل لم يستفيدوا مطلقاً : انهم قد فقدوا الأرض التي كانوا يزعمونها لمعيشتهم . واليهود ككل اكتسبوا ما فقدته العرب . والزعم بأنه قد دُفِع مبلغ ضخم مقابل الأرض ، يمكن الرد عليه من جهة بأن السعر قد حددّ بالاتفاقية المبرمة بين البائع والشاري ، ومن جهة ثانية انه ليس ثمة سعر أعلى من جزء آخر رغيف لدى الانسان ، حين لا يتوفر الخبز من بعد ذلك !

ولكن المأساة لا تقف عند تسهيل الادارة الانتدابية لعمليات انتقال الأراضي العربية ، ومنح أراضي أملاك الدولة لليهود ، فهناك الهجرة المساة (غير المشروعة) ، التي دخل عشرات الألوف بواسطتها سوق العمل الصهيوني لمنافسة ميادين العمل الاقتصادي العربي في فلسطين .

كذلك فان جهود الادارة الانتدابية في ميادين التعليم كانت ضئيلة جداً ؛ فبينما نظم اليهود شؤون التعليم الخاصة بهم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية والفنية ، كانت شؤون التربية والتعليم لدى عرب فلسطين قاصرة عن تعليم الأولاد الذين هم في سن الدراسة . ومن الاولاد الذين هم في سن الدراسة لا يوجد في المدارس سوى خمسم ، ومن الف قرية عربية في فلسطين لا يوجد مدارس سوى في نحو ثلاثمائة . « ومن أولئك الذين تلقوا أي نوع من التعليم الابتدائي، فقط نسبة صغيرة جداً منهم يمكن أن تمتصها المدارس الثانوية الحكومية المتوفرة ^(١) » . وقل مثل ذلك على جهود الانتداب في ميدان الصحة والاسعاف والأشغال وما الى ذلك من شؤون الحياة العربية في فلسطين .

وبعد فلا عجب إن امتلأت صدور عرب فلسطين بالسخط والغضب من فعال الصهيونية وتحيز الادارة الانتدابية لها ، وتفجرت بالثورة على الظلم والاعتصاب .

Marlowe, op. cit., pp. 111 - 112

(١)

ثورة عام ١٩٢٩ :

تمسكت الادارة الانتدابية بفحوى كتاب تشرشل الابيض الذي ينص على أن الهجرة لا يجدها سوى مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، وقد ارتضى الصهاينة بهذا المبدأ لأنه غير التحديد والضبط ؛ وخاصة في ظروف النفوذ السياسي الصهيوني . والمبدأ مجد ذاته مطابق لمصالحهم ، لأن تدفق المهاجرين الى فلسطين وعجز الصهاينة عن إيجاد عمل لهم بما يسيء الى الهدف الصهيوني مادياً ومعنوياً .

وتدل الاحصاءات على أن ١٧ بالمائة من المهاجرين الوافدين ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٨ كانوا من احدى الفئتين التاليتين :

١ - من يملكون مالاً يمكنهم من العمل والمعيشة شرط أن لا يقل عن خمسمائة جنيه فلسطيني .

٢ - من يكون لهم أقارب في فلسطين يعتمدون عليهم في معيشتهم .

أما الفئة الثالثة التي لا تملك مالاً ولا تعتمد على أحد من الأقارب ، فكانوا حوالي ٨٣ بالمائة ، وهم من العمال .

وقد دخل فلسطين في السنوات العشر الأولى من الانتداب ٧٦,٧٠٠ مهاجر يهودي من بلدان أوروبا الشرقية : بولونيا ، روسيا ، رومانيا ، ليتوانيا . والنسبة المئوية لهؤلاء تبلغ ٧٦ بالمائة من مجموع المهاجرين . ونسبة البولونيين منهم ٤٠-٥٪ ، والروس ٢٧٪ . أما الباقون فأتوا من العراق (٣٪) وتركيا (١,٥٪) والولايات المتحدة (١٪) واليمن (١٪) وألمانيا (١٪) والامبراطورية البريطانية (٠,٥٪) وبلدان مختلفة (١٦٪) . ومعظم المهاجرين تريد أعمارهم على ١٦ عاماً (٦٩٪) ، ومن الذكور (٥٨٪) . أما منهم ومذاهبهم متنوعة . وعاش ٧٥٪ منهم في المدينة ، و ٢٥٪ في القرية (١) .

(١) صدقة ، المصدر السابق ص ١٠٦

وقد أحدث تدفق الهجرة في السنوات الثلاثة الأخيرة أزمة شديدة في البلاد ، وزاد تخوف العرب من مجيء مهاجرين جدد تضيق بهم موارد البلاد وسبل المعيشة . وان حافظ العرب في غضون هذه الفترة على ضبط النفس ولم يلجأوا الى مظاهر السخط العنيف كما حدث عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، والذي سيحدث مراراً ما بين ١٩٢٨ و ١٩٣٩ ، فلأنهم لاحظوا أن الهجرة اليهودية قد ضعفت الى حد كبير ، وأصبح عدد اليهود الذين يغادرون فلسطين يكاد يضاوي - ويفوق أحياناً - عدد الوافدين اليها . وما كادت الهجرة تنشط من جديد عام ١٩٢٩ فتبلغ ٥٢٤٩ يهودياً حتى أحس العرب بضرورة المقاومة ، بعد أن امتلأت صدورهم بالسخط والغضب من فعال الصهيونية وتحيز الادارة الانتدابية لها ، وتفجرت بالثورة على الظلم والاعتصاب^(١) . وكان السبب المباشر لثورة العرب هذه المرة هو محاولة اليهود استملاك حائط البراق .

كانت الثورة التي نشبت في ٢٣ آب ١٩٢٩ من أعظم الثورات التي شبت في فلسطين ، واتخذت صفة الشمول والاتساع بحيث امتدت الى معظم المدن والقرى والمستعمرات اليهودية . وقتل وجرح أثناءها المئات وانتهكت الحرمات وتبددت الثروات . ويجب أن نعود الى الاسبوع الأخير من شهر ايلول ١٩٢٨ لنفهم ثورة ١٩٢٩ ونتبع مجراها .

في هذا التاريخ الموافق لعيد الغفران توافدت جماعات من اليهود الى القدس لزيارة حائط المبكى وهو الحائط الغربي لساحة المسجد الأقصى وآخر أثر من آثار هيكل سليمان القديم ، يؤمه اليهود ويكلمهم الغابر ، وقد نصب عليه ستار يفصل بين الرجال والنساء ، فأثار هذا العمل المسلمين لأنه مخالف للمادة ٢٣ من صك الانتداب ، ومخالف لاتفاق قديم عقد مع المسلمين منذ عدة قرون . وتأني السلطة لتزج هذا الستار بالقوة محافظة على حقوق المسلمين ، وتبدأ معركة كلامية وصحفية وسياسية بين العرب واليهود والانكليز

(١) المصدر نفسه . ص ١٠٨

تستمر أحد عشر شهراً وتنتهي بثورة دامية . على أن القضية كان يمكن أن تغف عند حادث نزع الستار لولا أن اليهود أثاروا حولها ضجة لا تتناسب مع أهميتها محاولين استغلالها للظهور بمظهر المظلوم ، للتأثير على حكومة فلسطين وحكومة لندن وعلى عصبة الأمم . وغايتهم استملاك المسجد الأقصى تدريجياً بزعم أنه « الهيكل » مبتدئين بالجدار الغربي منه^(١) .

ورد المسلمون على هذه الحملة المركزة بعقد المؤتمر الاسلامي الكبير في تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ حيث تقرر تأليف « جمعية حراسة الأماكن الاسلامية المقدسة » ومطالبة الحكومة بأن تمنع اليهود حالاً ، منعاً باتاً مستمراً من وضع أدوات لهم في مكان البراق الشريف لئلا يضطر المسلمون الى أن يباشروا منعه ورفعهم بأنفسهم مهما كلفهم الأمر .

ونشر وزير المستعمرات في تشرين الثاني ١٩٢٨ الكتاب الابيض بشأن قضية البراق ونشرته الجريدة الرسمية ، واطلع المجلس الاسلامي الأعلى عليه ، وجاء ما فيه متفقاً مع حقوق المسلمين ، فقبل بمزيد من الارتياح .

وفي أوائل عام ١٩٢٩ طلبت حكومة فلسطين من المجلس الاسلامي الأعلى ومن رئاسة الحاخامين اليهود إبراز ما لديهم من الوثائق التي تؤيد وجهة نظرهما في دعوى حائط المبكى . أجاب المجلس الاسلامي على هذا الطلب بدون تأخير وقدم تأييداً لدعاه ووثائق من عهد الحكومة العثمانية ، بينما لم تجب رئاسة الحاخامين طلب الحكومة برغم المذكرات المتتابعة التي أرسلت اليها بهذا الشأن . ولما سئلت رئاسة الحاخامين عن ذلك قررت أن إبراز البيانات الكتابية « قد يضعف الحقيقة الناصحة » بأن للطائفة اليهودية حق السلوك الى الحائط وإقامة الصلاة فيه^(٢) .

(١) انظر تقرير لجنة شو س ٤٢ مذكرة المفتي للحكومة .

(٢) تقرير شو س ٤٨ .

وتثبيتاً لحق المسلمين في البراق منح الأذن لإدارة الاوقاف لتقوم ببعض الانشاءات والاصلاحات بجوار حائط البراق ، فاحتج اليهود بشدة ، ولكن السلطة أقرت عمل الاوقاف . حتى اليهود وشنوا حملة شعواء على قرار الحكومة ، ودعت صحفهم الى الثورة والعنف بما اضطر مستر ماز Mills و كيل السكرتير العام لحكومة فلسطين لأن يندرم بأن الحكومة يساورها القلق من جراء ما تنشره الصحف العبرية من المقالات المهيجة حول أعمال البناء^(١) .

وأبرقت اللجنة الصهيونية في القدس الى المؤتمر الصهيوني العالمي السادس عشر المنعقد يومئذ في زوريخ ليتوسط لدى الحكومة البريطانية والدول الكبرى لحل الدولة المنتدبة على تبديل قرارها بشأن البراق . وأذيع رسمياً أن المؤتمر قرر ايفاد الكولونيل Kisch (كيش) أحد أعضائه البارزين الى لندن ، لحل الحكومة على سحب اعترافها بحق المسلمين في البراق ، بدعوى أن هياج اليهود ناجم عن مباشرة البناء بجوار حائط المبكى . نشرت الصحف العربية هذا النبأ واعتبرته دلالة صريحة على محاولة المؤتمر الصهيوني للتأثير على حكومة لندن^(٢) ...

وبادر المجلس الاسلامي الأعلى الى العمل ، فأبرق الى وزارة المستعمرات طالباً سرعة تنفيذ مقررات الكتاب الابيض دفعاً للخطر ، كما بادرت لجنة الدفاع عن حائط المبكى اليهودية الى نشر بيانات « خارجة عن حد الاعتدال » ، وأذاعت في جريدة دوارهايوم (١٢ آب) : « أيها اليهود المنتشرون في جميع أقطار العالم ! أفيقوا واتحدوا ! لاتسكتوا

(١) تقرير شوس ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) تقرير شوس ٦٥ .

أو تتوانوا الى أن يعاد إلينا حائط المبكى بأجمعه .. تظاهروا أمام القنصليات البريطانية في جميع الاقطار باسم هذا الحائط ، قدموا إليها الاحتجاجات . استغيثوا بالسماء والارض لما حاق بنا من الظلم والاضطهاد اللذين لا يوصفان . فنحن اليهود الموجودين هنا لن نستريح الى أن يعاد إلينا هذا المقام المقدس الذي كان ملكنا ، والذي ختم بدم عشرات الألوف من أبنائنا في ألفي سنة والذي استنزف من اسرائيل العبرات زهاء ألفي سنة^(١) . X

وفي يوم ١٤ آب سارت حشود اشترك فيها ستة آلاف يهودي متظاهرة في تل أبيب ، وعلت أصواتهم : « الحائط حائطنا ، عار على الحكومة ، عار على كيث روتش (حاكم القدس الذي كان أمر برفع ستار اليهود من الرصيف أمام حائط المبكى عام ١٩٢٨) . ولا حاجة الى القول أن دولة الانتداب لم تكن لتتدخل لأول مرة كي توقف أطماع الصهيونية ، لو لم تكن المسألة ذات خطورة لمساسها شعور ملايين المسلمين من رعاياها في العالم أجمع .

حملة مر كزة مدروسة تبدأ بمجاذب بسيط تافه ، يثيرون حوله ضجة كبرى ، لم يخف على العرب ما ينطوي عليه من المآرب السياسية لبناء الوطن القومي اليهودي الذي تعتبر أول مرحلة في سبيله الاستيلاء على الاماكن المقدسة .

وفي يوم المظاهرة شددت الحكومة حراستها بجوار البرق ، وطلبت من اليهود أن لا يأتوا الى القدس في اليوم التالي وهو عيد الغفران ، جمعاً واحداً بل زرافات صغيرة تجنباً للحوادث .

وفي يوم ١٥ آب سارت حشود اليهود في موكب نحو البراق حيث رفعوا العلم اليهودي

(١) تقرير شو ص ٦٨ .

وهتفوا الحائظ حائطنا ، وأنشدوا النشيد الوطني اليهودي (هاتيكفا) ، واخترقوا بعض الاحياء العربية متحدثين شعورها . ويوم ١٦ وهو يوم الجمعة ويوم المولد النبوي ، خرج المسلمون من صلاة الجمعة من الحرم في مظاهرة نحو البراق ، حيث قلبوا منضدة للشاس اليهودي ، وأحرقوا الاسترحامات التي اعتاد المسلمون اليهود أن يدسوها في ثقب الحائظ ، وحدث أن طعن عربي يهودياً دخل حديثه فمات بعد ثلاثة أيام . ويوم الجمعة التالي ٢٣ آب قامت الجموع المهاجرة بهجوم على اليهود امتد الى ضواحي المدينة ، وقامت مظاهرة كبرى أطلق البوليس عليها النار ففرقها . وتحدثت مظاهرات ممانلة في نابلس والخليل . الميجر ساندرس يجند بعض اليهود في الفرق النظامية وبوزع السلاح والعصي على اليهود المدنيين^(١) . وفي ٢٤ آب تنفي الحكومة نأ توزيع السلاح على اليهود وتدعو لحم الفتنة وحقن الدماء ، وفي الصباح يشن العرب هجوماً في الخليل على الحي اليهودي يقتلون فيه ستين يهودياً ، ويشنون هجوماً آخر في نابلس وبيسان . وتستمر الاضطرابات ويهجم اليهود على يافا فيقتلون إمام جامع ويمتلون بأفراد أسرته الستة . وفي ٢٧ آب تنكشف قضية توزيع السلاح فتمسح القيادة البريطانية اليهود الداخلين فيها بأمر الميجر ساندرس^(٢) . وفي ٢٩ آب هجم عربي على الصابنة في صفد يسقط فيه ٤٥ بين قتل وجريح . وفي ٣٠ تتوقف أعمال العنف ويكون حصيلتها ١٣٣ قتيلاً و ٣٣٩ جريحاً من اليهود ، و ١١٦ قتيلاً و ٢٣٢ جريحاً من العرب ما عدا القتلى والجرحى العرب الذين لم يؤخذ قديم .

لجنة التحقيق البرلمانية (شو) :

وفي ١٣ ايلول عينت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برئاسة قاض كبير هو السير ولتر شو Shaw وعضوية ثلاثة نواب من البرلمان البريطاني يمثلون الاحزاب الثلاثة ، للتحقيق في أسباب الاضطرابات ورفع التراصي بشأن التدابير الواجب اتخاذها لمنع تكرارها . باشرت اللجنة عملها في أواخر تشرين الاول فعمدت ٤٧ جلسة علنية و ١١ جلسة

(١) تقرير شو ص ٨٨ .

(٢) تقرير شو ص ٩٠ .

سرية ، واستمعت الى ١١٠ شهود من موظفين وعرب ويهود ، ووضعت تقريرها في لندن
وقدمته الى وزير المستعمرات .

وتقرير اللجنة مطول لا يمكن ايراده هنا وإنما تقتطف أهم ما ورد فيه :

« اتفق أعضاء اللجنة على القول أنهم استنتجوا من تحقيقهم أن الاضطراب بدأ بهجوم
العرب على اليهود بغير مسوغ . وهجم اليهود على العرب بضع هجمات كانت في الغالب من
باب أخذ الثأر ولم تقم بينة ما على أن المفتي أو اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين تعمدت
هذه الاضطرابات أو نظمتها قبل وقوعها كما زعم البعض ، وما كان الاضطراب موجهاً ضد
السلطة البريطانية ولا قصد به أن يكون كذلك ... ولو كان علينا أن نختار حادثاً
واحداً من سلسلة الحوادث هذه (كسبب مباشر للاضطرابات) لما كان ذلك الحادث في
رأينا غير المظاهرة التي وقعت عند حائط المبكى في ١٥ أغسطس .

« إن السبب الأساسي الذي لولاه ، في رأينا ، لما كانت الاضطرابات قد وقعت ، أو
كانت عبارة عن فتنة محلية ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود شعوراً نشأ عن
خيبة أمانهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي .

والشعور السائد اليوم يستند على خوف العرب المزدوج بأنهم سيحرمون من وسائل
معيشتهم ؛ وسيطر عليهم اليهود سياسياً يوماً ما بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي .

« وأدى هذا التفاعل في التظلمات السياسية والاقتصادية إلى زيادة شعور الاستياء وأصبح
جميع الأهالي العرب ، خطوة فخطوة ، متحدين مع زعمائهم في مقاومة الوطن القرمي
اليهودي وفي طلب الحكم الذاتي . وأعيدت إلى ذاكرتهم العهود التي قطعت لهم أثناء الحرب
والمركز الدستوري الذي تتمتع به البلاد العربية الأخرى . ودفعوا إلى الاعتقاد بأنه ،

يانشاء الحكم الذاتي في البلاد ، تخفض الضرائب وتقيّد الهجرة ، إن لم توقف ، وتؤمن لكل فلاح ملكيته في أرضه^(١) .

« ونحن نعتقد أن شعور الاستياء الذي يسود الأهالي العرب ، والناشئ عن عجزهم المتواصل عن نيل أي قسط من الحكم الذاتي ، يزيد في خطورة مصاعب ومشاكل الإدارة المحلية ، وانه كان سيبا ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة ، وهو عامل لا يمكن تجاهله عند البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لاجتناب وقوع مثل هذه الاضطرابات في المستقبل ... لذلك تقتصر على القول انه من المؤكد تقريباً أن يُوجه طلب لاستئناف المباحثات (في موضوع الحكم الذاتي) ، وإن رفض مثل هذا الطلب يكون ظلامه داغمة الأثر^(٢) .

« وقد صرح جابوننسكي أمام اللجنة أن السياسة الصهيونية تعمل قبل كل شيء على أن يكون في البلاد أكثرية يهودية كي تسود وجهة نظر اليهود تحت حكم ديموقراطي^(٣) .
ورأت اللجنة أن مما أدى إلى الغموض والابهام بشأن السياسة المقبلة في فلسطين هو ميل بعض الدوائر للخوف من التعهد الذي قطعه الجمعية الصهيونية على نفسها سنة ١٩٢٢ بأن تسيّر سياستها طبقاً للبيان الذي أصدره المستر تشرشل . وانما أوردناه في بحث مسألة الهجرة من مقررات مؤتمر زورينج ومن الشهادات التي اديت امامنا، ومن تقرير السرجون كامل^(٤)»

(١) ص ١٩٨ من تقرير شو .

(٢) و (٣) تقرير شو ص ١٧٢ ، ١٤٤ .

(٤) يظهر من تقرير السرجون كامل عن ادارة المستعمرات اليهودية أن السياسة المنطرفة التي تتبعها نقابة العمال اليهودية هي سياسة جميع الصهيونيين أيضاً ، كتب كامل في تقريره يقول : « رأيت أن المذهب الفاسل بأن يدخل أقصى عدد مستطاع من اليهود الى فلسطين هو عقيدة راسخة لسكان المستعمرات اليهودية و كبار موظفي الحكومة الحاليين الذين لهم علاقة بالحركة الصهيونية على السواء .

ومما ظهر لي ان تدفق الهجرة اليهودية نحو فلسطين هو ما تراه بعض الأوساط اليهودية ذات النفوذ امراً لا يحصى عنه لنجاح الوطن القومي . ويظهر ان هؤلاء يرون أن الامور تعالج نفسها بنفسها بعد تدفق ذلك السيل من المهاجرين في فلسطين » .. (عن رد اللجنة التنفيذية ص ٦٣) .

في نظرنا بينة لانزاع فيها بأن المراجع اليهودية انحرفت ، فيما يتعلق بالمهاجرة انحرافاً خطيراً عن المبدأ الذي قبلت به المنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٢ القائل بوجود تنظيم المهاجرة حسب مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد .

فقد اتخذ المؤتمر الصهيوني السادس عشر الذي انعقد في زوريخ (آب) القرار التالي :
« يرى المؤتمر أن الوقت قد حان لمطالبة الدولة المنتدبة باتخاذ التدابير التي تضمن قيام الوكالة اليهودية بقسطها الحقيقي في ترقية البلاد عن طريق اشتراكها اشتراكاً تاماً في إدارة البلاد .

فإن صح تفسيرنا لهذا القرار فهو يناقض صريحة الفقرة التي وردت في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٢٢ بشأن عدم تخويل المنظمة الصهيونية حق الاشتراك لأية درجة كانت في الحكومة^(١) .

واوصت اللجنة بأن تصدر الحكومة البريطانية تفسيراً لسياستها اوضح من التفسير السابق الذي ادرج في الكتاب الأبيض ١٩٢٢ للمعنى الذي تعلقه على الشق الثاني من تصريح بلفور وأحكام صك الانتداب . وحضت الحكومة أيضاً على ان تفسر بصراحة وجلاء المعنى الذي تعلقه على تصريح بلفور برمته ، لأن بيان المستر تشرشل لم ينجح في إزالة الغموض الذي ساد البلاد في سنة ١٩٢٢ بشأن السياسة المقبلة في فلسطين^(٢) .

ولم تتعرض تواضي اللجنة الى القول بأن وعد بلفور مناف لحقوق العرب ، فهي لجنة بريطانية قبل كل شيء ، لانجروا على مناقشة السياسة البريطانية العليا ، غير انها لمحت مراراً عديدة الى طغيان الصهيونية وإلى هضم حقوق العرب .

(١) تقرير شو من ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) تقرير شو من ١٨٣ .

وأوصت اللجنة الحكومة البريطانية بأن تصدر تصريحاً جلياً حازماً عن السياسة التي ستبناها بخصوص تنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين ومراقبتها في المستقبل واعادة النظر في النظم الادارية المتبعة بغية منع الهجرة الزائدة التي حدثت في عامي ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ . ووجدت ان المهاجرة والمشاريع اليهودية أتت بفوائد جمة لفلسطين الا أن المنفعة المباشرة التي جناها افراد العرب ، والتي وحدها يمكن تقديرها كانت قليلة لدرجة أنها غير جديرة بالذكر^(١).

وترى اللجنة ان السرجون كامل كان محقاً بلاريب عند ذكره في تقريره أن أزمة سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ نشأت عن الواقع بأن المهاجرين الذين قدموا الى البلاد كانوا اكثر مما تستطيع البلاد استيعابه^(٢).

وعن مشكلة الأراضي التي ذكرت اللجنة أن مقدرة البلاد على الاستيعاب قد بلغت حددها الآن ، والحقيقة الناصعة كما قيل لنا هي انه لا توجد اراض اخرى ميسورة لاسكان المهاجرين الجدد فيها الا باحلالهم محل الأهالي الحاليين^(٣).

فلأسباب المذكورة آنفاً يتضح ان استمرار شراء اليهود للاراضي العربية يخلق طبقة من الفلاحين لأرض لهم ، وهذا امر خطر جداً من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية . ويحتمل أن يفضي الى الاضطرابات . فمن الواضح أنه لا مفر من إيجاد طريقة اخرى لحماية المزارعين الحاليين ووضع بعض القيود على انتقال الأراضي !

وتقترح اللجنة اجراء تحقيق علمي للبحث في تحسين وسائل الزراعة تحسیناً أساسياً ، وحينئذ يمكن وضع السياسة الخاصة بالاراضي على ضوء هذا التحقيق ، والى ان يتم هذا

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٣ .

يجب اتخاذ تدابير لمنع ما هو واقع من طرد الفلاحين من الاراضي التي اعتادوا زراعتها وفلاحتها ، وعلى الحكومة ان تبحث وسائل التسليف فتزود المزارعين بما يلزمهم من مال لتحسين الزراعة (١) .

وعن اهتمام الفلاح العربي بالسياسة ذكرت اللجنة : « فالادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصياً بالشؤون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين (رداً على الدعاية الصهيونية بأن الوعي السياسي الذي يبدو في القرى ، والمطالبة بتأسيس حكم وطني ما هما الا نتيجة دعابة مصطنعة يقوم بها الزعماء العرب الأفندية لأغراض شخصية) .

ويستطرد التقرير : « ولا يستطيع من تجول في البلاد كما تجولنا ، وسمع اصوات الهتاف التي قاطعت عبارات كثيرة وردت في الخطب التي القاها رؤساء القرى والشيوخ ، أن يرتاب بأن القرويين والفلاحين على حد سواء يهتمون اهتماماً حقيقاً وشخصياً بنتائج سياسة انشاء الوطن القومي ، وفي مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ... ولذا نرى أن الفلاحين العرب يهتمون في الأمور السياسية أكثر من كثيرين من اهالي اوربا (٢) .

وبشأن الحكم الدستوري وترقية الحكم الذاتي ذكرت اللجنة انها لا تود ان تبدي توصي حوله ، ولكنها ترى ان يؤخذ بعين الاعتبار شعور الاستياء الواسع النطاق لدى العرب من حرمانهم الحكم الذاتي ، مع انهم كان لهم بموجب الدستور العثماني ١٩٠٨ ستة مبعوثين في مجلس المبعوثان بالاستانة (٣) ...

وتوصي اللجنة بشأن السياسة الجديدة التي يجب ان تحفظ للعرب حقوقهم : « ونحن لا

-
- (١) المصدر نفسه ص ١٦٦ .
 - (٢) المصدر نفسه ص ١٧٠ .
 - (٣) المصدر نفسه ص ١٦٧ .

نرغب في الاعراب عن رأينا بشأن صيغة ذلك التفسير (تفسير وعد بلفور) غير أنه من المحتم علينا ان نبين مايسود العرب في فلسطين من شعور استياء شديد من الحالة الحاضرة ، وبالرغم من أنهم يؤلفون الاكثرية الكبرى من السكان ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، في حين ان اقلية من شعب آخر لها علاقات متينة ورميمة معها، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح تلك الاقلية من السكان فقط^(١).

إن الوكالة اليهودية بواسطة مركزها الرئيسي في لندن ، تستطيع تقديم مراجعاتها رأسا الى وزير المستعمرات دون عرضها في بادىء الأمر على المنذوب السامي، والمشهور عنها أنها تفعل ذلك غالبا . وبالرغم من ان ابداء الرأي بشأن القضايا الدستورية ليس من اختصاص اللجنة ، فانها ترى ان تجيب الحكومة البريطانية مطالب العرب في استئناف المباحثات بشأن وضع دستور جديد في فلسطين .

وبعد ، فان تقرير لجنة شو البرلمانية كان في مجمله فوزاً محققاً للقضية العربية ؛ ذلك أنه وان لم يلب مطالب العرب بأكملها من الغاء وعد بلفور الى منح الاستقلال السياسي وايقاف سيل الهجرة ويوسع الاراضي ، غير أنه نبه الرأي العام الى الغبن اللاحق بالشعب العربي في فلسطين . ولكن حقوق العرب الصريحة لا تكفي لا كإل الفوز ، فتضطّر الحكومة البريطانية ازاء حملة الصهيونية العالمية عليها الى العدول عن خطتها الجديدة الى البرنامج القديم الحاي للصهيانية .

ومهما يكن فقد قابل العرب التقرير بشيء من القبول ، وقرروا ايفاد وفد الى لندن للملاحقة القضية الفلسطينية عن كسب لعله ان يستفيد من الجو الذي احده تقرير لجنة شو ، لاسيا وان حكومة المحافظين التي كانت تضم امثال تشرشل واميري الاستعماريين المحايين

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧١ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٨٧ .

للإهود قد حلت محلها حكومة عمالية برئاسة رامسي مكدونالد .

وفي أيلول ١٩٢٩ سافر جمال الحسيني الى لندن منتدباً من اللجنة التنفيذية العربية للاتصال بأصدقاء العرب القلائل في لندن والسعي لإفهام الرأي العام البريطاني حقيقة الحالة في فلسطين . وفي آذار ١٩٣٠ تبعه وفد برئاسة موسى كاظم الحسيني وكان من أعضائه الحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي وألفرد روك وعوني عبد الهادي . وصلاحيته استعمال ما يراه من الوسائل لنيل العرب في فلسطين حقوقهم السياسية والقومية والاقتصادية ، على أن يرجع الى الأمة في البت نهائياً في الحلول التي تصل اليها مجهوراته . وقدم الوفد الى الوزارة البريطانية مذكرة رسمية بمطالب العرب جاء فيها :

١ - وجوب إيقاف الهجرة الى فلسطين . وأن تكون ملكية الاراضي التي في يد العرب غير قابلة للنقل .

٢ - وجوب تأليف حكومة ديموقراطية يشترك فيها أهل البلاد بنسبتهم العددية .
ولكن ألقى مكدونالد بياناً في مجلس العموم كان بمثابة رد على مطالب الوفد العربي ، ذكر فيه « الالتزام المزدوج » نحو الشعب اليهودي ، ونحو الجماعات غير اليهودية وقال : « إن حكومة جلالاته لن تتأثر بالضغط والتهديد ولن نجد عن الطريق المرسوم في صك الانتداب^(١) . وأوضحت الحكومة البريطانية للوفد بأنها ستوسل خيراً لبحث مسألتي الأراضي والمهاجرة . وأنها ستدخل تعديلات دستورية في نظام الحكم . أبلغ الوفد اللجنة التنفيذية العربية بريقاً أن الحكومة البريطانية لا ينتظر أن تحل قضية عرب فلسطين بالعدل والحق نظراً لتغلب نفوذ الصهيونية عليها ، وأن الوفد سيعود إلى وطنه .

وفي ٢٠ أيار ١٩٣٠ أذاعت حكومة فلسطين أن الدولة المنتدبة لم تقبل بمطالب العرب

Royal, com. Rep. p. 73. (١)

الدستورية لأنها منافية لما جاء في صك الانتداب ، غير أن الحكومة ستلجأ إلى « صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين .. وهي مصممة على عدم السماح باتباع سياسة في فلسطين من شأنها أن تعرض مستقبل تلك الطوائف للخطر . ولهذا السبب ووفقاً لاقتراح لجنة شو ، أوفد السرجون هوب سمبسون ليدرس مسائل الهجرة والإسكان والتنمية على الأرض الفلسطينية نفسها ، ويرفع تقريراً عنها .

كان السرجون تشانلر المندوب السامي يقضي إجازته في لندن أثناء ثورة سنة ١٩٢٩ ، وعاد الى فلسطين بعد الحوادث بأسبوع وأصدر فور وصوله بياناً يستهول فيه ما حدث . وتسرع فعمل فيه على العرب بعبارات بذينة واتهمهم بتجاوز القانون . فردت اللجنة التنفيذية العربية عليه بشدة وحملت الصهيونية مسؤولية الاضطرابات ، وفندت مزاعمه واتهمته بالتحيز والمحاباة . وكان الرد قوياً وعادلاً فاضطر المندوب لإصدار بيان آخر يختلف عن البيان الاول وقد اعتبر بمثابة اعتذار للعرب^(١) .

وبعد قدوم اللجنة البرلمانية ، ونشر تقريرها أوقفت الحكومة إصدار شهادات المهاجرة حتى ينشر تقرير الحخير سمبسون الذي كان وصل إلى فلسطين في شهر أيار ، وأمضى فيها أكثر من شهرين يطوف القرى العربية والمستعمرات الصهيونية . وقد نشر تقرير سمبسون في ٢٠ تشرين الاول مع الكتاب الابيض البريطاني الذي قام على أساس تقرير سمبسون .

(١) Palesline Esco, Vol. 2, P. 612

انظر منشور المندوب السامي ورد اللجنة التنفيذية عليه في طرين ، المصدر السابق ص ١٢٩ - ١٣١ وانظر نصوص احتجاجات الغاميين العرب والأطباء والصيدالة في (وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، المصدر السابق ، ١٤٤ - ١٥٠ .

الفصل السابع

قضايا المهاجرة والاراضي وذيولها السياسية

تقرير ممبسون عن مشكلتي المهاجرة والأراضي :

جاء تقرير ممبسون يؤيد صحة ظلامة العرب ويؤكد صدق مخاوفهم من المهاجرة وبيع الأراضي ، وفيما يلي أهم ما جاء في التقرير :

و إذا استثنيت منطقة بئر السبع فإن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين تبلغ ٦٠٠٠٤٤٤٠٠٠ دونم ، يملك منها اليهود مليون دونم أي أكثر من ١٤٪ ، وأن المساحة اللازمة للعائلة الواحدة تبلغ ١٣٠^(١) دونم مع أنه لو قسمت جميع الأراضي المزروعة التي لا تزال بيد العرب على فلاحها لما لحق العائلة أكثر من ٩٠ دونماً ، وقد غدا أكثر من ٢٩٠٥٤٪ من العائلات العربية القروية دون أرض^(٢) ، كما أن الأراضي الصالحة للزراعة لدى العرب لا تكفي في حال لضمان معيشة السكان والمحافظة على مستوى المعيشة . ونتيجة سياسة الحكومة في موضوع الأراضي اضطر قسم كبير من الفلاحين إلى أن يفقدوا عملهم وأرغموا على مغادرة أراضيهم . ثم أن دستور الوكالة اليهودية يحتم أن تبقى الأرض التي تسجل باسم صندوق رأس المال القومي اليهودي (الكيرين كايتم كيرن Kayemeth) إلى الأبد غير قابلة للانتقال^(٣) ، كما يحتم استخدام العمال اليهود فقط ، وعلى المستأجر أن يتعهد

(١) تقرير ممبسون ٩٠ .

(٢) تقرير ممبسون ص ٤٠ .

(٣) تقرير ممبسون ص ٧٨ .

بذلك في العقد ، وإن خالف الأمر واستخدم غير اليهود فلصندوق رأس المال أن يسترد الملك المؤجر من دون أن يدفع الى المستأجر تعويضاً ما ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الصندوق التأسيسي اليهودي (الكيرين هايسود Keren Hayesod) التي تشترط قصر الاستخدام على اليهود^(١) ، ومعنى هذا أن يغدو العربي محروماً من العمل في تلك الارض أبداً ، فيجب أن تلغى تلك الشروط والقيود في عقود مؤسسات الإستعمار اليهودي . وأشار سمبسون إلى حرمان المزارع العربي مما أتيح للمزارع اليهودي من رؤوس أموال واختبارات علمية ، وإلى أنه لم تقدم له المساعدة لتحسين زراعة ومستوى معيشته ، فهو يتزايد عدداً وبسرعة على حين تتناقص الأراضي التي يعيش منها ، وهو الآن يزرع تحت عبء الديون ، مثقل بالضرائب يتعذر عليه دفعها إلا إذا عمد للاستدانة بفائدة غير قابلة للتصديق^(٢) .

« وقد تناقصت مساحة الاراضي التي يملكها الافراد تناقصاً مطرداً حتى أنني سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول هذه النقطة ، وذلك أن بعض الأهالي اضطر إلى بيع أراضيهم إما لتسديد ديونهم أو لدفع ضرائب الحكومة أو للحصول على ما يسد رمق العائلة^(٣) .

وقد تدفق الفلاحون على المدن فتدنّت الأجور وأصبحت البطالة بين العرب تشكل خطراً على حياة البلاد الاقتصادية^(٤) ، وقال سمبسون : « إن واجب الإدارة الانتدابية أن تتأكد ألا يلحق ضرر بالعرب من جراء الهجرة اليهودية ، وعليها أن تشجع اليهود على التجمع في الاراضي شريطة الخضوع للشرط الاول ، ولا يمكن التوفيق بين الواجبين المتناقضين

(١) نفس المصدر ص ٨٠ .

(٢) تقرير سمبسون ص ٩٥ .

(٣) تقرير سمبسون ص ١٠٣ .

(٤) تقرير سمبسون ص ١٩٤ .

إلا بسلك جدي فعال ، وذلك لإيجاد نهضة زراعية تهدف الى استقرار العرب بالأراضي وتوسيع زراعتهم ، أما في الوقت الحاضر فالبلاد لا تتسع لإنسان جديد .

وما لم يتخذ العرب أساليب زراعية تفضل الاساليب الحاضرة فإن ممبسون يعارض السباح باستمرار تدفق الهجرة اليهودية ويوصي بأن تراعى حقوق الشعب العربي فلا تأذن في إدخال عمال جدد في الحين الذي لا يجد فيه العمال الموجودون أشغالا ، وعليها أن تشدد المراقبة على الحدود لمنع الهجرة غير المشروعة والحيولة دون التلاعب بتطبيق القوانين . وحين تضع الحكومة جدول العمال اليهود للهجرة الى فلسطين عليها أن تستند الى مدى البطالة بين العرب لا بطالة اليهود وحدهم . وإنه خطأ أن يسمح ليهودي من بولونيا أو لتوانيا أو اليمن أن يشغل مركزاً شاغراً ما دام يوجد في فلسطين عمال قادرين على شغل ذلك المركز ولا يتمكنون من إيجاد أي عمل لهم^(١) .

وأوصى تقرير ممبسون أن يراقب تنظيم الهجرة فلا يترك جلبها على الغارب بيد المراجع الصهيونية ، التي كانت تحتال فيما تسجله من أعمال لم يكن كل ما تذكره في جداولها عنها صحيحاً . واقترح ممبسون تعيين لجنة لتحسين الاراضي وعمرانها بنوع خاص في برنامجها بإسكان المزارعين العرب واليهود في الاراضي التي يتناولها التحسين .

وقد جاء في تقرير ممبسون أنه من الخطأ الاعتقاد بأن اليهود يطبقون الاساليب الفنية الحديثة في استنار جميع أراضيهم . فهذا مرج بني عامر مثلا وتبلغ مساحته ٤٠٠ ألف دونم قد تضاءل انتاجه وتأخرت أساليب استناره بعد أن انتقل من العرب الى اليهود : « يقطع المسافر فيه مسافات طويلة ملأى بالأشواك ، وقد قيل لي بصفة رسمية ان هذه الحالة سببت

quoted in Royal Commission Report. p. 72 (١)

ظهور فيران الحقل التي أتلفت المزروعات اليهودية والعربية في المرج ، وجعلت ٢٠ ألف دوغم من اراضي اليهود في حالة يرثى لها كأنها مرج من الاشواك . ومن الثابت ان العشر الذي يدفعه اليهود في عدد من القرى هو أقل من العشر الذي كان يدفعه العرب لما كانوا يفلحون هذه القرى . فمن الخطأ الاعتقاد أن مرج بنى عامر كان فقراً بلقياً قبل ان يحتله المستعمرون اليهود ، وأنه أصبح الآن جنة من الجنان . . وليس من العدل ان يقال ان الفلاح العربي الفقير الذي أجلي عن هذه الارض كان عالة على الارض ، وانه ليس يستتج منها شيئاً قط . فالفلاح العربي « ليس كسولاً ولا خاملاً ، بل هو مزارع قدير فطن ، ولو انه تدرب على أساليب أفضل من التي يتبعها وتيسر له رأس المال . لاستطاع ان يحسن وضعيته بسرعة » . يتبين من ذلك أن العرب كانوا يزرعون هذا السهل بصورة أوفى من اليهود .

الكتاب الابيض الثاني لعام ١٩٣٠ ونكول بريطانيا عنه

وفي ٢١ تشرين الاول ١٩٣٠ أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض تشرح فيه الحطة السياسية التي توي اتباعها في فلسطين على ضوء ماجاء في تقرير سمسون الذي نشر مع الكتاب الابيض ، وما جاء في تقرير شو . في تمهيد الكتاب تأكيد على أن بريطانيا لن تتخلي عن التزاماتها في صك الانتداب ولا عن تعهداتها بتسهيل بناء الوطن القومي ومحافظة على حقوق الطوائف غير اليهودية . وتكرر الحكومة أنها لا تجد أي تناقض بين هذين التعهدين . وتستشهد بفقرات كاملة كانت وردت في الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ ، وترى وجوب تنظيم الهجرة اليهودية على أساس مقدرة البلاد الاقتصادية ، على أن تؤخذ بعين الاعتبار حالة العمال العرب واليهود معاً . وتذكر ان الفقرات التسعة الأولى من الكتاب إنما توضح المبادئ التي تقوم عليها السياسة العامة في فلسطين وما يقيدها من شروط ، ثم يلي ذلك مسرد المشاكل العملية التي تواجهها الحكومة البريطانية في فلسطين ، ويمكن حصرها تحت ثلاثة عناوين :

١ - الأمن العام .

٢ - التطورات الدستورية .

٣ - التطورات الاقتصادية والاجتماعية^(١) .

بصدد الامن العام تؤكد الحكومة عزمها على أنها لن تحيد عن القيام بالتزاماتها بعامل الضغط والتهديد وتصميمها على توطيد النظام وتمع القوضى والاضطراب .

وبصدد التطورات الدستورية فالحكومة ترفض مناقشة المقترحات حول تعديل الدستور إذا كانت هذه المقترحات منافية لأحكام صك الانتداب ، وتبدي الحكومة أسفها لمقاطعة العرب انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٢٣ . وتذكر ان حكومة جلالة مسؤولة بموجب أحكام المادة الثانية من صك الانتداب عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي، وترقية أنظمة الحكم الذاتي ، وتعلن عن تصميم الحكومة على تشكيل مجلس تشريعي وتأمل ألا يقاطعه العرب وإلا فستجد نفسها مضطرة لإملاء الشواغر عن طريق التعيين .

ويلاحظ بصدد التطور الدستوري أن موقف حكومة لندن لم يطرأ عليه أي تبديل منذ إعلان سياستها عام ١٩٢٢ . وبصدد التطور الاقتصادي والاجتماعي يبدأ التقرير بذكر مشكلة الأراضي :

« في الاستطاعة الآن القول بكل جزم إنه لا يوجد في فلسطين حالياً ، نظراً للطرق الزراعية الحاضرة التي يتبعها العرب ، أية أراضي ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ، إذا استثنيت الأراضي التي تملكها الوكالات اليهودية المختلفة على سبيل الاحتياط ... إن الأراضي المحلولة التي تملكها الحكومة ، وملكيته مختلف فيها كثيراً ، فضلاً عن أنها

ليست مما يعتد به ، ليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها نظراً لوجودها في أيدي المزارعين العرب ولضرورة إيجاد أراضٍ إضافية أخرى لإسكان هؤلاء المزارعين الذين أصبحوا اليوم بلا أراضٍ . الفقرة ١٥ من الكتاب الأبيض .

وهذه حقائق ذكرها تقرير سمبسون قبلاً ، الذي يستمد الكتاب الأبيض منه أيضاً لوم السياسة الصهيونية التي لا تستخدم في مشاريعها العمرانية سوى العمال اليهود ، ويرى أن هذه السياسة مخالفة لمقررات المؤتمر الصهيوني المنعقد عام ١٩٢١ وللمادة (٦) من صك الانتداب . وإذا كان من واجبات الدولة المنتدبة أن تشجع استقرار اليهود في الأراضي فمن واجباتها أيضاً أن تكفل عدم إلحاق أي حيف أو ضرر بمركز العرب من جراء هذا الاستقرار . ولا يمكن مراعاة هذين الشرطين إلا « باجراء تحسين فعلي في أساليب الزراعة المتبعة الآن بقصد تأمين زيادة الاستفادة من الأرض . فاتباع هذه السياسة فقط يستطاع استقرار مزارعين آخرين من اليهود في الأراضي بصورة تتفق مع المادة (٦) من صك الانتداب . والنتيجة المتوخاة لا يمكن نيلها إلا بعد مرور سنوات من الجهد والعمل . ولذا فمن حسن الحظ أن يكون لدى الهيئات اليهودية أراضٍ واسعة احتياطية لم يستقر المستعمرون فيها بعد ولم تعمّر . وعلى ذلك يمكنهم الاستمرار في عملهم بدون توقف ربما اتخذتدابير عامة لتحسين الأراضي ليستطيع الاستفادة منها العرب واليهود على السواء . ومع ذلك فمن الواجب بحكم الضرورة أن تناط مراقبة التصرف بالأراضي بالمرجع القائم بهذا التحسين ، فلا يسمح بانتقال الأراضي إلا متى كان ذلك الانتقال لا يتعارض مع خطط ذلك المرجع ومشاريعه .

وأشار البيان الى ضرورة تحسين الري وامعان النظر في حماية المستأجرين للأراضٍ لضمان عدم إخراجهم منها ، كما أشار بتأليف جمعيات تعاونية بين الفلاحين .

فلسطين م ١٥ (١٩٦٨)

وبحث البيان في فقرات خاصة مسألة المهاجرة وقال انه من الضروري منع التهريب على الحدود وتشديد المراقبة على المهاجرين وإبعاد من كان منهم يحاول التلاعب بالقوانين ، والحد من تدخل منظمة العمال في تنظيم الهجرة اليهودية ، وذكر أن المادة (٦) من صك الانتداب تنص على عدم إلحاق أي حيف أو ضرر بحقوق ومركز ساثر طوائف الأهالي من جراء الهجرة اليهودية . فمن الواضح أنه اذا كانت مهاجرة اليهود تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم ، أو اذا كانت حالة البطالة بين اليهود تؤثر في مركز العمال على العموم ، تحتم على الدولة المنتدبة توفيقاً لأحكام صك الانتداب إما ان تخفض المهاجرة او توقفها ، اذا استدعت الضرورة ذلك ريثما يتسنى للعاطلين من (الطبقات الأخرى) إيجاد عمل لهم .

ويختتم الكتاب الأبيض بيانه بدعوة العرب الى بذل الجهد المستمر للوصول بالبلاد الى حالة من الرخاء واليسر تشمل فائدتها الجميع ، وتدعوا الزعماء اليهود ان يعترفوا بضرورة إجراء بعض التنازل عن التصورات الاستقلالية الانفصالية التي أخذت تنشأ في بعض الدوائر بصدد الوطن القومي اليهودي .

قابلت الأوساط العربية الكتاب الابيض بشيء غير قليل من الارتياح على الرغم من تمسكه بأسس السياسة البريطانية اليهودية وتأكيد لوعده بلفور وصك الانتداب . فالكتاب لم يعترف بحقوق أهل البلاد في الحكم الذاتي ، بل بعث فكرة المجلس التشريعي . ولم يوص بضرورة إيقاف سيل الهجرة وببوع الاراضي نهائياً ولم يشر الى مسألة الديون التي يروح تحتها المزارعون العرب . ولكنه سجل مع ذلك ما لحق بالعرب من أضرار نتيجة انتقال هذه الاراضي الى اليهود ، وأوصى بتقييد انتقال هذه الأراضي محافظة على حقوق الفلاحين وحرصاً على المصلحة العامة . على أن اللجنة التنفيذية العربية ردت على الكتاب الابيض

بإسهاب وفدت فقراته تفقيداً حقوقياً سليماً على ضوء أحكام صك الانتداب نفسه .

بخصوص تفسير الحكومة البريطانية لعبارة الوطن القومي ذكرت اللجنة « الالتزام المزدوج » . قالت انه ليس من المستطاع أن نقول ان ذينك الالتزامين بشأن تأسيس الوطن القومي اليهودي وحماية مصالح العرب في فلسطين هما من درجة متساوية . لأن الالتزام بتسهيل تأسيس الوطن القومي مشروط فيه عدم الاضرار والاجحاف بمصالح العرب ووضعيتهما . وبثبت هذا نص المادة (٦) من صك الانتداب ، فالالتزام بتأسيس الوطن القومي مقيد اذن بعدم إلحاق الضرر بالعرب ، بخلاف الالتزام بحماية مصالح العرب ووضعيتهما الذي هو مطلق وغير مقيد بأي شرط كان . فاذا ظهر أن تأسيس الوطن القومي اليهودي يعارض هذه المصالح والوضعية ، وجب أن يسقط حينئذ حتماً . وردت اللجنة على الكلمة التي كانت ترددها دوماً الحكومة البريطانية من ان هذين الالتزامين ليسا مما لا يمكن للتوفيق بينهما ، قالت : « ففضلا عن كون تأسيس الوطن القومي في فلسطين يحول دون تمتع العرب بالحقوق السياسية التي يتمتع بها اخوانهم في العراق وسورية وشرق الاردن ، فقد ثبت انه ضربة قاضية على حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية .

واذا كان « في الاستطاعة القول بكل حزم أنه لا يوجد في فلسطين أراض ميسورة للمزارعين من المهاجرين الجدد » ، كما قرر الكتاب الأبيض الاخير ، وكان « الوطن القومي اليهودي لا يؤسس بدون اراض ولا رجال » ، كما اشار الى ذلك الدكتور حاييم وايزمن (في كتابه المؤرخ في ٢ أيار للسندوب السامي لفلسطين) ، فلنا ان نقول اذن بصورة جازمة انه لا يمكن التوفيق بين الالتزامين المذكورين (١) .

(١) رد اللجنة التنفيذية العربية على الكتاب الأبيض الصادر في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ ،

وبخصوص حقوق العرب في تأسيس الحكومة الوطنية أنكرت اللجنة العربية على الحكومة البريطانية عدم البحث في المواد المتعلقة بحقوق العرب السياسية ، في حين انكرك الانتداب بحتم على الحكومة الانكليزية تأسيس حكومة وطنية في فلسطين حالاً ، لان كلمة الانتداب تفرض وجود دولة منتدبة وحكومة منتدب عليها . والمادة ٢٢ من عهد عصبة الامم تحتم وجود دولة مرشدة لدولة مرشدة . والفقرة الأخيرة من المادة الثانية من صك الانتداب ألزمت الدولة المنتدبة بوضع البلاد في حالات اقتصادية وادارية وسياسة يسهل معها ترقية الحكم الذاتي (١) . وذكرت اللجنة أنها اذا دقت وناقشت في بيانها مواد صك الانتداب فانما تفعل ذلك لتبرهن على أن الحكومة الانكليزية لم تترق العهود المشار اليها فقط ، بل تثبت أيضاً انها لم تنفذ إلى الآن من مواد صك الانتداب ، الا القسم المتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين (٢) .

وأكدت اللجنة في ردها ايمانها العميق بأن فلسطين لن يقيض لها أن تعيش بسعادة مادامت تحكم بواسطة ادارة انكليزية صرفة ، وان السياسة التي تقوم على الارهاب لن تكون عاقبتها الا الفشل .. وأنه لاسيبل لحل المشكلة الا اذا اعترف لفلسطين بالاستقلال التام فيتوطد فيها النظام وتتحسن أحوالها من الوجهة الاقتصادية (٣) .

وجاء في ختام رد اللجنة قولها : « واذا كنا نقول ان من شأن هذا الكتاب (الأبيض) أن يزيل بعض مخاوف العرب في تلك المسائل (الاراضي والمهاجرة والبطالة) فاننا لانستطيع ان نقول انه ازالها أو ازال قسماً منها ، ذلك لما نعرفه عن مقدرة اليهود في الدعايات الخادعة ، وعن ضعف الحكومة الانكليزية إزاء هذه الدعايات (٤) . نعم وعدت الحكومة الانكليزية أنها « لن تحمد عن تنفيذ سياستها بالضغط أو التهديد ، وأنها لن تنحرف

(١) ص ٢٥ من رد اللجنة .

(٢) ص ٤١ من رد اللجنة .

(٣) ص ٢٨ من رد اللجنة .

(٤) ص ٦٦ من رد اللجنة .

عن اتباع سياسة ملائمة لمصالح أهالي فلسطين . وقد اكدت في الكتاب الأبيض أنه لا سبيل لأحد ان يضطرها الى اتباع سياسة تكون لصالح جماعة دون أخرى ، وان كل سياسة من هذا القبيل قائمة على أمل فاسد .. ، الا ان اللجنة التنفيذية العربية تصرح هنا آسفة أن الحكومة الانكليزية قد نقضت هذا الميثاق قبل ان يحف مداده .

وختمت اللجنة ردها بهذه العبارة : « ليس في الكتاب الأبيض من جديد في حقوق العرب السياسيه ، وأن النصوص والمبادئ الواردة فيه عن حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية لاتضمن للعرب حقوقهم القومية ومصالحهم الاقتصادية . فالهم ليس بالنصوص والمبادئ ولكن بتفيدها (١) .

ويبدو أن زعماء الصهاينة كانوا على اتصال مع وزارة المستعمرات في لندن قبل صدور الكتاب الأبيض ، وقد عرضت الحكومة البريطانية عليهم مسودة الكتاب قبل نشره . وقبل ذلك حاول وايزمن رئيس الوكالة اليهودية أن يقابل باسفيدل وزير المستعمرات ولكنه افهم أن أمر تعديل بيان الحكومة المقبل بخصوص سياستها في فلسطين قد خرج من

(١) ص ٦٨ - ٦٩ من رد اللجنة .

صرح سماحة السيد محمد أمين الحسيني في الكتاب القيم « حقائق عن قضية فلسطين » ص ٨ ، أنه لما صدر الكتاب الأبيض « أقبل عليه العرب ولم يرفضوه وضج اليهود باستنكاره فقررت الحكومة البريطانية إرسال لجنة خاصة لدرس شؤون الأراضي برئاسة سيمسون ، وكنت مع الوفد الفلسطيني الذي كان في لندن حيثئذ فقلت لمستر مكدونالد رئيس الوزارة : « لقد دلت التجارب على أن كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريد اليهود لا ينفذ وإن لان التقرير في صالح اليهود نفذ فوراً ، وإنا لنخشى أن يكون مصير هذا التقرير كذلك ، والدليل على هذا إزماصكم إرسال لجنة سيمسون ولما يحف مداد تقرير لجنة شو . ونخشى أن يؤثر اليهود على اعضائها . فقال مكدونالد : « ان هذه اللجنة هي لجنة فنية لبحث شؤون الأراضي ومقدار استيعابها ، وزاد مازحاً : « لا يستطيع اليهود أن يؤثروا على السر سيمسون مطيفا فهو انكليزي أصيل مثلي ... » وأسقط الكتاب واستقال لورد باسفيدل الذي تبني هذا المشروع .

يديه فكتب له وايزمن كتاباً يتهم الحكومة بأنها تستهدف تجميد نمو الوطن القومي في حالته الحاضرة^(١).

وفي اليوم التالي انشر الكتاب الأبيض استقال وايزمن من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، واستقال معه عدد من كبار زعماء الصهيونية وسارعت الهيئات الصهيونية في أمريكا لمساعدة وايزمن . وقام اليهود في العالم بمجمة عنيفة ضد بيان الحكومة البريطانية في كتابها الأبيض وانضم إلى الحملة بعض كبار الاستعماريين الإنكليز من أمثال سمطس وتشمبرلن وبالديون وتشرشل وايمري ، فشجبوا كتاب باسفيد ، وضربوا على نغمة « الإلتزام المزدوج » وفي مجلس البرلمان البريطاني قامت ضجة حول الموضوع ، بل ان سيل البرقيات انحال من كل مكان على الحكومة البريطانية ودوائر عصبة الأمم ، وجاءت برقيات من ٤٨ دولة بما أدهش لجنة الإنتدابات الدائمة في جنيف ، وجعل أحد أعضائها يتساءل ما اذا كانت اللجنة أمام مؤامرة دعائية عالمية . وكل ذلك دل على أن الحركة الصهيونية حركة يهودية عالمية .

والواقع أن الحكومة البريطانية دعت وايزمن ونقرأ من الزعماء الصهيونيين للتفاوض مع لجنة وزارية خاصة ألفت لهذه الغاية برئاسة وزير الخارجية هندرسون ، وسكرتارية مالكولم مكدونالد الذي طالما أطرى وايزمن مواقفه المؤيدة للقضية الصهيونية . وانتهت المفاوضات بما يرضى الصهيونيين ، ولكن مكدونالد رفض أن يصدر كتاباً أبيض من جديد بل قبل أن ينشر نتائج المفاوضات في كتاب رسمي يرسله الى وايزمن .

وتكلم مكدونالد في مجلس العموم فنفى عزم الحكومة على تبديل سياسة الحكومات

New Judtea, oct., 1930 p. 33 quoted in Palestine (Esco) (١)

Vol 2, p. 648 .

السابقة ، وقال ان بنود الإنتداب سوف تؤخذ بعين الاعتبار^(١) . وفي ٦ تشرين الثاني نفى لورد باسفيلد في كتاب أرسله إلى جريدة التايمس ، إيقاف تيار الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وكون هجرة العمال اليهود ستأثر ببطالة العمال العرب .

ورسالة مكدونالد الى وايزمن في ١٣ شباط سنة ١٩٣١ نشرت على شكل جواب أدلى به مكدونالد في مجلس العموم بخصوص تفسير الكتاب الابيض^(٢) ، وهي « توضح » بعض النقاط الغامضة في الكتاب الابيض ، توضيحاً جاء تراجعاً ، بل نسخاً لاكثر ما ورد فيه دون اعتبار لتحقيقات لجنتي شو وسمبسون مما حلل العرب على تسميتها « بالكتاب الاسود » لانه وثيقة خزي وعار في تاريخ السياسة البريطانية .

كتاب مكدونالد الى وايزمن (الكتاب الاسود)

هب عرب فلسطين للاحتجاج على ماجاء في رسالة مكدونالد ، وقدمت اللجنة التنفيذية العربية بياناً الى المندوب السامي في ١٧ شباط اتهمت فيه الحكومة البريطانية بالنكول عن عهدتها للعرب ، وبالتراجع التام عن سياستها الميينة في الكتاب الابيض . والحق ان الفروق واضحة بين الكتابين في النص واللهجة .

فقد جاء في رسالة مكدونالد :

١ - ان الحكومة البريطانية عازمة عزماً أكيداً لا على التقيد بأحكام صك الانتداب « ذي الشقين » فحسب بل والتقيد بدباجة الانتداب ، من حيث صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع الطوائف في فلسطين .

Parliamentary Debates, Commons, 5th Series, Vol. 244 (١)
col. 24.

Parliamentary Debates, Commons 5th Series Vol. 244, (٢)
cols. 749 - 755.

٢ - إن عبارة « حقوق ووضع جميع فئات الاهالي الاخرى » الواردة في المادة (٦) من حك الانتداب تجعل من واجبات الحكومة المنتدبة السهر على ان لا يلحق ضرر بهذا الوضع وتلك الحقوق .

« ولا يمكن التغاضي عما لياسة المهجرة والاستيطان في الارض من التأثير في الوضع الاقتصادي الخاص بالفئات غير اليهودية ، غير أنه ليس من الجائر تفسير هذه العبارة بأنها تفيد أن الاحوال الاقتصادية الحاضرة في فلسطين يجب أن تبقى على حالها ، بل بالعكس إن الالتزام القائل بوجوب تسهيل المهجرة اليهودية وتشجيع حشد اليهود في أراضي البلاد يبقى إلزاماً إيجابياً من إلتزامات الانتداب ، وفي الإستطاعة تنفيذ هذا الإلتزام بدون إلحاق ضرر بحقوق ووضع الفئات الاخرى من سكان فلسطين . »

٣ - تود الحكومة أن تقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الاراضي الأميربة وغيرها الميسورة الآن ، والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة وإعدادها لاستيطان اليهود .

٤ - إن مراقبة انتقال الاراضي تهدف إلى « تنظيم معاملات التملك والفراغ لا منعها » وستطبق بمرونة مع احتياطات وافية للتدخل بأقل ما يمكن في حرية فراغ الاراضي ، فالكتاب الابيض « لا يعني منع اليهود من امتلاك أراض إضافية ولا يتضمن مثل هذا المنع وليس في النية وضعه . كل ما يقتضي البيان هو فرض رقابة مؤقتة على معاملات التصرف بالأراضي وفراغها على وجه يكفل عدم لإضرار بانتظام مشروع استعمار الاراضي الذي ينوي القيام به . »

٥ - إن مراقبة المهجرة التي نص عليها الكتاب الابيض « ليست بوجه من الوجوه انحرافاً عن المبادئ التي أدرجت في كتاب تشرشل الابيض بخصوص المهجرة . إن حكومة جلالة لم تقرر ولم تتصور إيقاف أو منع المهجرة اليهودية على تباين أنواعها ،

وستستمر العادة المتبعة الآن من حيث الموافقة على « جدول العمال » للمهاجرين الذين يدخلون البلاد للاكتساب بواسطة العمل ، وسيراعى في كل ظرف ما يتوقع أن تتطلبه الحاجة من العمال للأشغال التي لن يعتمد إليها أو يشرع فيها إلا إذا تسر لها عمال من اليهود باعتبار أنها تعتمد على رؤوس أموال يهودية بحتة أو على رؤوس أموال معظمها يهودية . أما فيما يتعلق بالأشغال العامة أو البلدية التي ينقل عليها من أموال الخزانة ، فيستظر بعين الاعتبار في ادعاء العمال اليهود بالحصول على نصيب من الاعمال الميسورة فيها على أساس ما يدفعه اليهود من الضرائب للخزانة^(١) ، أما أنواع الاشغال الأخرى فمن الضروري في كل حالة أن ينظر بعين الاعتبار إلى العوامل التي لها علاقة بالحاجة إلى العمال ومن ضمنها عامل البطالة بين اليهود والعرب . إلا أن المهاجرين الذين أمامهم مجال للاشتغال في غير الاشغال اليومية البحتة ، فلن يمنع دخولهم إلى البلاد لمجرد كون الاشغال المتيسرة لهم لا يمكن ضمانها لمدة غير محدودة ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في ألا تستخدم سوى العمال اليهود وتتعهد بأن تأخذ هذا الحق بعين الاعتبار عندما تحدد مقدار الهجرة وقوة استيعاب البلاد الاقتصادية .

وتأبى الحكومة البريطانية إلا أن تماري في الحقيقة ، فقد جاء في تقرير اللجنة الملكية (لجنة لوردبيل ١٩٣٧) أنه ليس ثمة فارق ملحوظين الكتاب الابيض ورسالة مكدونالد ، والفارق الحقيقي بينهما ليس في البيان والمحتوى بل في اللفظة^(٢) .

وجاء في كتاب المعهد الملكي للشؤون الدولية لعام ١٩٣٠ أن الفارق بين الكتاين « ليس في تقرير الحقيقة أو في التأكيد على السياسة الواجب اتباعها ولكن في التركيز على

Palestine (Esco) Vol 2, p. 658.

(١)

• Royal Com. Rep p. 75 •

(٢)

الحقائق والنقاط الخاصة للسياسة التي كانت توافق الصهيونيين ، وتبديل صيغة العبارات التي كانت تكدر اليهود بعبارات الاعتبار والمجاملة في لهجتها نحوهم لدرجة الاستواء تقريباً^(١) .

ولكن كتاب (فلسطين - دراسة في السياسات اليهودية والعربية والبريطانية) الذي نشرته مؤسسة إيسكو Esco اليهودية في الولايات المتحدة ، والذي كتب موضوعاته طائفة من الكتاب اليهود الصهيونيين ، هذا الكتاب يعترف أن الفرق الأساسي بين الكتابين الابيض و « الأسود » هو في عرقلة « تسهيل نمو الوطن القومي اليهودي » ؛ ذلك أن تقريري شو وميمبون اللذين بني عليها الكتاب الابيض تضعنا تقييداً شديداً لبيع الاراضي ، وتحكيم مرجع سياسي عالٍ في مسألة المهاجرة في حين أن كتاب مكدونالد قد منع تماماً تطبيق هذه النواصي^(٢) .

أما فان ريس عضو لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف فقد كشف في الدورة العشرين للجنة (تموز ١٩٣١) عن الخلافات الواضحة بين الكتابين بقوله :

١ - نص الكتاب الابيض صراحة على عدم وجود أراضٍ تتسع لمهاجرة يهودية جديدة ، ولكن جاء في رسالة مكدونالد أن الحكومة ستجري تحقيقاً دقيقاً في موضوع الأراضي التي يمكن استعمالها للمهاجرة والاستعمار الصهيونيين .

٢ - وجاء في الكتاب الابيض أن تحمين طرق الزراعة هو الشرط الوحيد الذي يضمن توسيع الاراضي اليهودية دون الإخلال بتحفظات المادة (٦) من الانتداب ، وأن انتقال الاراضي يجب أن يخضع لرقابة شديدة ربماتيم هذا التحمين - أي أن الادارة

• Survey of International Affairs, 1938, p. 302 • (١)

PalEstiue • Esco • Vol 2 p. 660 (٢)

الانتدابية ستمنع انتقال الاراضي الى اليهود . في حين أن الكتاب الأسود ينفي هذا المنع نفيًا باتًا ، ويرى أن تسهيل استيطان الصهيونيين واجب من واجبات دولة الانتداب .

٣ - وذكر الكتاب الابيض أن الحكومة لن تتردد في تحديد الهجرة وابقاها إن كان من شأنها أن تحرم السكان العرب من إيجاد عمل لهم ، أما كتاب مكدونالد فينفي أن تكون الحكومة قد فكرت بمثل هذه الإجراءات ، وأنها لن توقف مهاجرة أي جماعة من اليهود إلى فلسطين .

٤ - وأخيراً لا آخرأ جاء في الكتاب الابيض أن رفض اليهود استخدام العمال العرب يخالف المادة (٦) من صك الانتداب ، ولكن الكتاب الأسود جعل هذه المخالفة حقاً مشروعاً ، وزعم أنه عامل من عوامل زيادة طاقة البلاد الاقتصادية على قبول مهاجرين جدد .

وسلم (مكدونالد) بوجهة النظر القائلة بأن اليهود لهم الحق بطرد العمال العرب من المشاريع التي يمولها اليهود . بل انه قال ان الحكومة حين تنظر في مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب سوف تأخذ بعين الاعتبار ما يسهم به اليهود في الموارد ، وتخصّ العمل اليهودي بنصيب مناسب من الأعمال التي تقوم بها الحكومة والتي تمولها الادارة الانتدابية . وهكذا استعاد اليهود مكانتهم الممتازة التي بدا أن الكتاب الأبيض قضى عليها ، ومضى مكدونالد يطيب خاطر الرأي العام اليهودي ، حين تجاوز ذلك بإيجاد طريق آخر للهجرة لمصلحة الوطن القومي ، وذلك حين سمح بالهجرة اليهودية دون رقابة فعالة . فبينما وصل عدد المهاجرين (الشرعيين) عام ١٩٣٠ رقم (١٠٤٧٥٠) ، فإنه وصل خلال السنوات الست التالية إلى (٢٨٤٦٤٥) بزيادة (١٧٧٨٩٥) وهو ما يساوي ١٦٤٪ . وهذه الأرقام لا تتضمن الأعداد الأخرى التي دخلت البلاد بصورة (غير مشروعة) وتقدرها بعض الشهادات بـ ٤٠ - ٥٠ ألفاً^(١) .

لم يكتف مكدونالد بانقلابه على عقبيه بصدد سياسة بلاده في فلسطين ، ولما بدا تحيزه واضحاً عندما استشار وايزمن فيمن ينصبه مندوباً سامياً على فلسطين خلفاً للسيرجون تشانسور الذي « تجرأ » على إثارة مسألة المجلس التشريعي المنصوص عليه في الكتاب الابيض ، فسخط الصهيونيون عليه وضغطوا على وزارة المستعمرات لإقالته من منصبه ، وتم لهم ذلك . وعين مكانه السير آرثر واكهوب Weuchope في صيف عام ١٩٣١ ، ويزكيه وايزمن بقوله : « إنه ربما كان أفضل مندوب سام عرفته فلسطين وأنه كان مصداقاً لظن مكدونالد ، وبرهاناً على حسن اعتقاده به في تعطيل الضرر الناجم عن الكتاب الابيض (١) » .

وبصدور الكتاب الأسود ذهبت تحقيقات اللجان وتواصيا أدراج الرياح ، وصدق ظن واضعي الرد العربي على الكتاب الابيض من أن العبارة ليست بوضع النصوص بل بتنفيذها .

وقد توج نجاح وايزمن بتعيين السير آرثر واكهوب مندوباً سامياً في فلسطين ، وكان انقلاب سياسة مكدونالد لم يكن كافياً فقد تم التعيين الجديد باستشارة وايزمن ، وفي عهد واكهوب حققت الصهيونية مكاسب كبرى في فلسطين . واستلم واكهوب عمله في تشرين الثاني ١٩٣١ (٢) .

وفي أعقاب تراجع الحكومة البريطانية عن الكتاب الابيض (١٩٣٠) عبر وايزمن عن التفاعل والتلاحم بين الدبلوماسية والعمل ، ووصف موقف الصهيونية ازاء الكتاب الابيض بقوله : « ان الزعماء العرب قصدوا تخويف الصهاينة باضطرابات عام ١٩٢٩ ، لنسف ما شُيد من الوطن القومي . ولكنها جاءت متأخرة ، لقد كان بناؤنا في غاية التماسك والجودة (٣) . وبصدد ما زعم أنه محاولة مركزية من جانب بريطانيا للتراجع عن وعد بلفور ،

Weizmann, p. 426

(١)

Weizmann, op. cit. p. 415

(٢)

ibid .

(٣)

والتي استمرت حتى عام ١٩٣٩ ، يقول وايزمن : « ان البنية المتينة للوطن القومي ، وهو في طور التكوين ، كان يوازها دعم متين من الرأي العام البريطاني . وان هذه العلاقة العضوية ما بين الاثنين هي خلاصة فلسفتي السياسية » . ومضى يقول : « ولو أننا في السنوات الواقعة ما بين ١٩٢٢ - ١٩٢٩ ، ركزنا جهودنا للحصول على البيانات والتصريحات والبراءات والعود ، الى حدّ الاغضاء عن نمونا المادي ، لما كان في مقدورنا أن نصعد أمام الصدمة المادية الواضحة للاضطرابات ، وبالتالي لما جوبه الهجوم السياسي بالمقاومة من جانبنا أو من جانب الرأي العام . إن أحداث ١٩٢٩ المحزنة كانت امتحاناً قاسياً لنظامنا ونهجنا، الذي خرج منتصراً ^(١) .

وفي المؤتمر الصهيوني الذي انعقد برياسة وايزمن في تموز ١٩٣١ عقب نف الحكومة البريطانية للكتاب الأبيض ، أصيب الصهاينة (التصحيحيون) بنشوة النصر ، مع الجناح اليسني المتدين في الحركة الصهيونية (المزراحي) . وتحدث جابوتنسكي زعيم (التصحيحين) بازدرء عن رسالة وزير المستعمرات (باسفيلد) الى وايزمن والتي سف بها الكتاب الأبيض ، وطالب بمصادقة الحكومة البريطانية على منهاج (التصحيحين) وهو اقامة دولة يهودية على ضفتي نهر الاردن ، وأي قصور في مطالبة المؤتمر الصهيوني عن هذا الهدف يعتبر ضعفاً وخوراً وخيانة ^(٢) . وكما كان وايزمن معبراً وصريحاً في رده حين قال : « ان مركز الثقل في الحركة الصهيونية ليس هو البرنامج السياسي المتطرف ، ولكن هو العمل المنجز : الاستيطان ، التعليم ، الهجرة ، والحفاظ على علاقات لبقة مع دولة الانتداب (بريطانيا) . وإن التقدم بطالبات غير عملية سوف يستثير العرب ويستبق المتاعب التي تخرج دولة الانتداب » . ويسترجع وايزمن تلك الآونة في تدوينه لسيرته الذاتية ، وتخرج منها بعبارة

ibid, p. 416

(١)

ibid . p. 417

(٢)

نهجية كبرى وهي ان « الحقوق » التي تكتسبها الصهيونية دبلوماسياً بموجب البراءات والعهود والصكوك السياسية ، ليست بذات قيمة حقيقية الا اذا اقرنت بمتطلبات العمل الاستيطاني ، ويتضح ذلك من قوله : « كنت أشعر أن جميع هذه الصيغ السياسية حتى ولو منحتنا إياها السلطات المعنية بالأمر ، لن تكون ذات فائدة لنا ، وربما تطوي على ضرر بنا ، طالما لم تكن نتاج العمل الشاق على تراب فلسطين . إن مستعمرتي نأحلال وداغانيا والجامعة (العبرية) ، وأشغال روتنبرغ الكهربائية ، وامتياز البحار الميتة - هذه كانت تعني بالنسبة لي سياسياً أكثر من جميع الوعود الصادرة عن الحكومات العظمى والاحزاب السياسية الكبرى . وما ذاك لنقص مشاعر احترامي نحو الحكومات والأحزاب او لانتقاص من الاعتبار الواجب للترحيحات السياسية ، وإنما لأن التصريح - في اعتقادي - يكون حقيقياً فقط عندما يوازيه إنجازنا لعمل في فلسطين . إن التصريح يعتمد على الآخرين ، اما العمل المنجز فلا يعتمد إلا علينا نحن . هذا هو كنه حياتي الصهيونية ..

تقريراً فرنش المنصفان ومغالطات السياسة البريطانية

قبل أن نتكلم على ما ورد في تقرير فرنش من إنصاف للفلاح العربي نذكر أن المندوب السامي تشانسلور كان عين في مطلع شهر أيار عام ١٩٣٠ لجنة من الموظفين برئاسة المستر جونسون نائب مدير المالية ، وعضوية المستر كروسي مساعد حاكم اللواء الجنوبي لدرس حالة المزارعين المالية والاقتصادية وبمحت التدابير التي ينبغي أن تتخذها الحكومة بشأن الضرائب المترتبة على ذلك . ووصفت لجنة جونسون كروسي بإسهاب حالة الفلاح العربي المؤلمة والناجمة عن عدم حماية الحكومة لمصالحه ، وانتقدت الضرائب الفادحة التي يرضح تحتها ، وناشدت الحكومة بأن تعمل على إنقاذه منها فوراً لإزاحة البؤس الجاثم على صدره ، ولزيادة دخله . وشجب التقرير تملص الحكومة من مساعدة الفلاح الذي زاد شقاؤه

عندما « زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩٪ إلى ٣٢٪^(١) » .

وذكرت اللجنة أنه نتيجة لسياسة «حماية الانتاج بالنسبة لليهود ، وحرية التجارة بالنسبة للنتوجات العربية » ، هبطت أسعار المحصولات الزراعية إلى نصف قيمتها المعتادة - « فالسوق مكتظة بالمحصولات (الأجنبية) ، ولذا لم يعد في استطاعة المزارع أن يبيع الفائض من محصوله » .

وفي ٣ تموز كاف وزير المستعمرات البريطاني الحير ستركلند Strikland أحد موظفي حكومة الهند بالذهاب إلى فلسطين لدرس حالة الفلاحين الاقتصادية والعمل على تنمية الجمعيات التعاونية ، ووصل ستركلند في ١٠ تموز ، وزار القرى العربية والمستعمرات اليهودية ووضع تقريراً مؤيداً بمقترحات لم يؤخذ بها ولم يفد منها أحد .

ويبدو أن حكومة لندن رأت أن ارسال اللجان والدعابة لها ولتقاريرها خير وسيلة للتسويق والمحاظة ؛ فعهدت الى مدير التصيين والعمران الجديد المستر لويس فرنش بدراسة التدابير التي من شأنها وضع مشاريع التنمية الواردة في تقرير ممبسون موضع التنفيذ ، وذلك في نهاية شهر حزيران ١٩٣١ .

رصدت حكومة مكدونالد مبلغ ٢٥٥ مليون جنيه ليقوم فرنش بمهمة الإنشائية ، وقدم الحير المذكور في كانون الاول إلى فلسطين ، ونشر تقريرين في نيسان عام ١٩٣٢ . ولكن ما كادت حكومة العمال تقط حتى ألغت الحكومة الائتلافية الجديدة هذه المخصصات ، وظل تقريراً فرنش مهملين في مكاتب وزير المستعمرات المحافظ المستر ليستر الذي ذكرت الأوساط الصهيونية أنه كان يبدي تفهماً شديداً لمسألة الوطن القومي^(٢) .

جاء التقريران مؤيدين للحقوق العربية ولكن لم يطلع عليها إلا عدد ضئيل من القادة

(١) تقرير اللجنة الحكومية جونسون كروسي ٦٤ - ٦٥ .

Palestine « Esco » Vol 2, p. 739

(٢)

الانكليز، وبما جاء فيها: « لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيماً في سياستها في عدم المحافظة على حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم (Landless) »^(١).

« يجب على الحكومة المنتدبة أن تعمل مجد في الحال على إيقاف انتقال الأراض للصيونيين . ففي انكلترا نفسها سن قانون بمائل لحماية الفلاحين الانكليز^(٢) ، .

« وان القرار الذي اتخذته الحكومة لإعادة إسكان العرب الذين أخرجوا من الاراضي التي كانوا يزرعونها قبل أن يشتريها اليهود ، إنما هو بمثابة اعتراف بخطأ قضى على هؤلاء العرب بالخروج، وخطوة في سبيل الرجوع عن هذا الخطأ الذي سمح بانتقال الأراضي إلى الصيونيين، ولست في حاجة للقول بأن تكرار مثل هذا الخطأ لن يؤدي إلا إلى الوقوع في نفس الحالة الحاضرة^(٣) . »

وألح مستر فرنش على الحكومة من جديد أن تصدر قانوناً يمنع انتقال الأراضي لليهود بقوله: « اذا كنا نريد أن نحفظ ونحمي حقوق الأغنياء واصحاب النفوذ (أي اليهود) فمن باب أولي يجب علينا حفظ وحماية حقوق الضعفاء والفقراء . وبديهي أن خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي هو أن نحفظ له أرضه من الغاصبين^(٤) . »

واستطرد التقرير يقول: « إن احتياجات الفلاح الحيوية قليلة فهو يعيش عيشة بسيطة، وفقره بازدياد وأرضه قليلة الأرجاء ، وقيمة محصولاته زهيدة... ومادام الفلاح غير مطمئن على مصيره في الأرض فلن يجد في نفسه ما يدفعه إلى تحسين أراضيه بتكليف زراعتها ،

(١) تقرير فرنش الاضافي ١٩٣٢ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) ص ٢٤ ، ٤٠ من نفس التقرير .

(٣) ص ٣٣ من تقرير فرنش الاضافي ١٩٣٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ .

والفلاح لا تعوزه المهمة ولا النشاط ، بل على العكس من هذا لا يستطيع من يقوده عمله الى الاتصال بالفلاحين إلا أن يعجب بما يبدونه من النشاط بلا كل ولا ملل تحت ضغط زيادة السكان ، لتوسيع أراضيهم بإحياء الأقسام الجبلية وتعميرها^(١) .

وانتقد فرنش ما يقاسيه الفلاح من الديون المتراكمة عليه والمتزايدة ، وقال إن الحكومة لا تعمل شيئاً لتخفيفها عنه ، ولم تخلصه من المرابي الذي « يحصل لإيراده أو جميع ثروته بالأكثر من عرق جبين الفلاح فيتخلص من دفع الضريبة بالمرّة^(٢) . وقد عرض عليّ كثيرون من الفلاحين أراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربة الديون التي عليهم^(٣) .

وعن الأرض المسورة غير المزروعة صرح الحبير البريطاني فرنش : « ليس في البلاد في الوقت الحاضر (١٩٣٢) أراض مزروعة زائدة بمعنى أنها غير مزروعة أو مشغولة سواء من أصحابها أو من مستأجرين » .



لقد تضمنت تقارير فرنش حقائق راهنة ومعلومات قيمة ذات صبغة موضوعية ، ولكن بريطانيا لم تأخذ بتوصياته لأنها لم تكن جادة في معالجتها لجذور المشكلة الفلسطينية .

وان كانوا لمس نقطة الضعف الأساسية في خطط العرب ، وهي عجزهم عن اكتساب عطف واهتمام الرأي العام الدولي ، والوقوف جبهة متحدة متمسكة في وجه المطامع اليهودية والصهيونية العالمية .

ورأى بعض القادة العرب في فلسطين أن العاطفة الدينية الإسلامية من أقوى الاسلحة

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٧ و ٣٦ .

التي يمكن استخدامها للدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، وأن في مقدرتها خلق مشاكل سياسية خطيرة لانكلترا على وجه الخصوص ، عن طريق لفت نظر الملايين من المسلمين المنتشرين في أصقاع العالم إلى الخطر الذي يهدد الأماكن المقدسة الإسلامية في فلسطين .

وفكرة عقد المؤتمر الاسلامي نشأت في الأصل بمناسبة إرسال لجنة البراق الدولية من قبل عصبة الأمم الى القدس (أيار ١٩٣٠) للتحقيق في قضية حائط البراق ودعاوى كل من العرب واليهود في ملكيته . وقد أقر تقرير اللجنة ملكية المسلمين للحائط وحق تصرفهم فيه ، ولم يسمح لليهود إلا بزيارته دوناً أبواب وأصوات وأدوات ، تماماً كما كان وضعهم في بدء الاحتلال .

وقد اجتمع المؤتمر ليلة المراج ايلول ١٩٣١ ، على الرغم من المكائد والدعاية التي أثارها اليهود وبعض الموتورين ضده . ومُتَبَل في المؤتمر اثنان وعشرون بلداً إسلامية كما اشترك فيه نخبة من مفكري وقادة العالم العربي . وكان للمقررات التي اتخذها صدى بعيد وأثر بالغ في نفوس المسلمين في شتى أنحاء المعمورة ؛ فقد قرر المؤتمر مقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في الاقطار الاسلامية ، وتأسيس جامعة اسلامية في القدس ، وتأسيس شركة زراعة في فلسطين لإنقاذ أراضي المسلمين والحيولة دون انتقالها إلى حوزة اليهود . وأعلن المؤتمر استنكاره لاستمرار الهجرة اليهودية .

وفي أثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي انعقد مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني . ذلك أن نقرأ من أعضاء جمعية العربية الفتاة القدامى وغيرهم من العاملين في القضية العربية رأوا أثناء حضورهم في المؤتمر الاسلامي أن يبعثوا عهد الحركة العربية وأهدافها ، بعد أن شغل العرب كل سياسة بلده ومحنه المحلية ، فاتفقوا على عقد مؤتمر عربي يدعون إليه من حضر المؤتمر الاسلامي من رجال العرب . واجتمع المؤتمر في ٤ ايلول ١٩٣١ بحضور خمسين

شخصاً ، وبحث في مسائل هامة كالتعليم القومي ونشجيع الصناعة الوطنية ، ومشروع صندوق الأمة . وعني بالمنظمات الرياضية والكشفية ووضع ميثاق مؤتمر الشباب العربي ونصه :

المادة الأولى : إن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليهما من أنواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به .

المادة الثانية : توجه الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة وهي استقلالها التام ، كاملة موحدة ، ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية .

المادة الثالثة : لما كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية وغايتها العظمى ، فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها .

ورأى المجتمعون ضرورة عقد مؤتمر عربي عام في إحدى العواصم العربية للبحث في الوسائل المؤدبة إلى نشر الميثاق ورعايته والحطط التي ينبغي السير عليها لتحقيقه . واتفق على عقد المؤتمر في بغداد ولكن السفير الانكليزي هناك حذر فيصلاً من المؤتمر ومن احتمال إثارة مشاكل للعراق بسببه ، على ما صرح به ياسين الهاشمي رئيس الوزارة العراقية يومذاك إلى بعض أخصائه^(١) .

ولنعد إلى ما كنا بصدده كلام على أحوال فلسطين في هذه الغضون .

أصبح الجنرال آرثر واكبوب مندوباً سامياً في خريف سنة ١٩٣١ وكان قائد القوات الانكليزية في إيرلندا . صرح بأن سياسته تقوم على :

١ - حفظ الأمن العام .

(١) دروزة ، المصدر السابق ، ٣ ، ٧٤ .

٢ - مساعدة فئات السكان في ترقية أسباب حياتهم الاقتصادية وتشجيع حسن النية بين جميع الطوائف عن طريق التعاون في المجال الاقتصادي .

٣ - تقوية شعور الثقة والاطمئنان بين الشعب والحكومة^(١) .

وبنى واكهوب سياسته على القول بأن الانتداب يتضمن التزاماً مزدوجاً : تنمية الوطن القومي من جهة ، وترقية مؤسسات الحكم الذاتي من جهة ثانية . وكان يعتقد أن هذين الهدفين لا يتعارضان ، وأن سياسة التقارب بين العرب واليهود سوف تؤدي الى هذه الأهداف إذا تابعها باستمرار . وشيء أساسي في برنامجه هو برنامج تنمية اقتصادية مع العناية برفع مستوى معيشة الفلاحين . فالتعاون بين اليهود والعرب ، على حد زعمه ، يمكن أن يترقى على أحسن وجه بتوجيه نحو المشاركة في تحسين حياة البلاد الاقتصادية في أنواع النشاط الاقتصادي الذي ترسمه الحكومة والمجالس المختلطة البلدية ؛ وأول خطوة في ذلك هو إشراك اليهود والعرب في اللجان الحكومية ، كلجنة الزراعة ولجنة الطرق ولجنة التجارة والصناعة . ورأى أن ترقية الحكم الذاتي ينبغي أن تسير جنباً الى جنب مع هذا التعاون الاقتصادي .

وأمل واكهوب أن يسارع عرب فلسطين للاشتراك في مجلس تشريعي تمثيلي يتوج نأسيه أعمال الإدارة البريطانية . وواكهوب على مدى شهور يتكلم كثيراً كلام رجل لا يريد أن يخفي شيئاً ولو أنه لم يقل شيئاً . تمسك بأسس هامة من سياسة حكومته ، و « استعد » ليتخلى عن بعض الفوائد الثانوية التي لا تمس الجوهر ، وتمكن من اقناع بعض رجال العرب بالاشتراك في لجان استشارية مختلطة .

Permanent Mandates Commission, Minutes of the 22 nd (١)
Session, 1932, p. 80 ,

تجول واكهرب في المدن والأرياف وتحدث عن مشروعاته وإصلاحاته مع الفلاحين و (الأفندية) ، وألقى ضريبة العشر ، وأقام الولايم للأعيان والبدو والمزارعين ، ومعظم عرب فلسطين يتململون ، ويرون ما في ذلك من سياسة تخديرية تغلب العرض على الجوهر ، وتستهدف شطر وحدة الصف العربي وإلهاء ذوي النية الحسنة ببعض المكاسب القريبة تمثياً مع سياسة حكومته الضالعة مع البرنامج الصهيوني .

ولا تصدقن ما كان ينقله ضعاف الايمان والتفكير من أن الامبراطورية البريطانية هي « إمبراطورية اسلامية » ؛ فمن غير المعقول أن يحل اليهود محل المسلمين في بلد يشتمل على أولى القبليتين وثالث الحرمين ، لتثير على نفسها سخط مئات الملايين من المسلمين الذين تضمهم الامبراطورية ، وأن انكلترا بلد مسيحي ملكها هو حامي الأديان ، فمن غير المعقول كذلك أن تجعل بلد المسيح وأقدس بقعة في العالم النصراني وطناً يهودياً . فهذا حديث خرافة ، وان شاع فلم يكن إلا نوعاً من أنواع « البلف » الانكليزي ، أدى للأسف الى غرضه ، وحل بعض الزعماء العرب أنفسهم على الاعتقاد بهذا الحديث ، ورأوا في خطة التعاون مع الانكليز ، أو في « السياسة الايجابية » ما يكفل السلامة لبلدهم في النتيجة .

تفاقم المهاجرة اليهودية يؤدي الى سياسة اللاتعاون واضطرابات عام ١٩٣٣ :

جاء سحب الحكومة البريطانية لكتابتها الابيض دليلاً جديداً على مضار السياسة الايجابية السمحة التي سار عليها عرب فلسطين بحيث لم تزد الانكليز إلا إمعاناً في اضطهاد العرب وإيذائهم وحرمانهم من حقوقهم ، ولم يزد اليهود إلا صلفاً وعتواً .

تبين للناس في فلسطين أن لجان التحقيق والبحث إذا قدمت فلن يظفروا من تقاريرها بغير السراب ، ولم يكن بد بعد ، من تحول نضال الحركة الوطنية التي كانت تتجه بادية الأمر ضد الصهيونية ، الى نضال ضد حكومة الانتداب مباشرة ، بعد أن ثبت بالدليل

القاطع عدم جدوى سياسة التعاون التي كان ينادي بها بعض أقطاب الوطنيين .

ومن دلائل هذا التحول الجديد ما كان من قيام مؤتمر شعبي في مدينة نابلس (ايلول عام ١٩٣١) ، دعا الى عدم التفاهم مع الحكومة إلا على أساس المطالبة بالاستقلال ضمن الوحدة العربية « بعد أن تبث أن تعاون العرب مع الحكومة سياسة فاشلة في مدى الثلاثة عشر عاماً الماضية » (١) .

وقامت على أثر ذلك مظاهرات كبرى في نابلس سقط خلالها عدد من الجرحى .
والحق إن مخاوف عرب فلسطين من نمو الوطن القومي اليهودي لم تكن وهماً من الأوهام ، فقد شاهدوا بأعينهم قوافل المهاجرين تترى من بلدان ألمانيا وأوروبا الشرقية منذ أن استلم النازيون السلطة في لمانيا (٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣) .

وفي تقرير اللجنة الملكية التي قدمت الى فلسطين عقب الثورة الكبرى (١٩٣٦) ما يحلل أسباب تحول وجهة النضال العربي نحو سلطة الانتداب وما يشرح غلبة الشعب . قال التقرير إن ردة فعل عرب فلسطين (على تفاهم حركة الهجرة اليهودية) كانت طبيعية جداً ؛ شعورهم عام ١٩٢٩ كان نفسه عام ١٩٣٣ . كان يمكن للعرب أن يحافظوا على غالبية عربية في البلاد بفضل زيادة نسبة المواليد بينهم ، ولكن ماذا يحل بهذه النسبة اذا استمرت الهجرة اليهودية بهذا الشكل الكثيف الذي لا يستحيل معه على اليهود حينئذ أن يشكلوا الغالبية في وقت محدود ؟ وهذا السؤال أعطى معنى جديداً لفكرة الحكم الذاتي التي كان يرمقها القوميون العرب ؛ لقد نظر هؤلاء الى المستقبل فرأوا دولة يهودية ، ولا عجب فالسفن التي كانت نحمل أفواج المهاجرين اليهود كانت تتوارد أمام أعينهم ، وكانت

(١) انظر مقررات المؤتمر في ملاحق الكتاب .

الصحافة اليهودية تستقبل كل ذلك بعاصفة من الترحيب والحماس ، توقف عداوة العرب ونحمر كما حتى تنفجر^(١) .

واجتمع الزعماء على شكل مؤتمر وطني عام في بيت المقدس (٢٤ شباط ١٩٣٣) . رأى المؤتمرون أن لا علاج لحالة الملح التي يعيش في ظلها عرب فلسطين ، نتيجة فتح باب البلاد أمام المهاجرة الصهيونية ، إلا حماية العرب حماية قانونية ، وذلك بمنع انتقال الأرض العربية الى اليهود منعاً باتاً ، وبإغلاق باب البلاد دون المهاجرة اليهودية وقرروا ان يطلبوا ذلك من السلطة بكل اصرار وحزم ، وان يرفضوا سياسة التعاون مع الحكومة ، ويمتنعوا عن حضور اجتماعات المجامعة في المآذب والحفلات التي يحضرها رجال السلطة ، وتعبيراً عن السخط والاستنكار لسياسة السلطة وتأييداً لمطالب المؤتمر ، قرر الحاضرون إعلان الاضراب العام في البلاد يوم ٥ آذار ، فاذا لم تستجب مطالب البلاد في ظرف شهر ، عقد مؤتمر آخر يقرر فيه الطرق التي تدرأ الأخطار المحدقة بالعرب وتحافظ على كيانهم القومي على أساس اللاتعاون . وكان لحزب الاستقلال صوت قوي في المؤتمر ، ولا عجب فقد كان معظم مؤيديه ينتمون الى الجمعيات العربية القديمة كحزب العربية الفتاة وحزب الاستقلال ، عاودتهم رؤى الحرية من أيام الحكم العربي في دمشق فتواتقوا في حزب يمثل مذهباً سياسياً منظماً ، في حين كانت الأحزاب الأخرى تمثل ائتلافاً تنظيمياً فحسب^(٢) .

Lord Peel Report, op. cit. p. 82

(١)

(٢) تأسس حزب الاستقلال في القدس « ٤ آب ١٩٣٢ » وتنحصر غاياته في :

- ١ - استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً . ٢ - البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة .
 - ٣ - فلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سوريا . ٤ - إلغاء وعد بلفور واقامة حكم عربي برلماني في فلسطين . ٥ - العمل على تحقيق هذه المبادئ بما يستطيعه الحزب بنفسه وبالاتشارك مع الهيئات الاستقلالية في الأقطار العربية .
- =

ويبدو ان مقابلة الوفد الذي شكله المؤتمر برئاسة موسى كاظم الحسيني لمقابلة المندوب السامي لم تؤد إلى غرضها . وكاد أن يمضي الشهر دون ان تبدر من الحكومة بادرة ما ، فعقدت اللجنة التنفيذية العربية المؤتمر الموعود في مدينة يافا (٢٦ آذار) ، وحضره ما ينوف على الستائة شخص من مختلف البلاد ، وأكدوا مبدأ اللاتعاون مع الحكومة باعتبارها مسؤولة مباشرة عن نكبة البلاد ، بعد أن سمعوا من المندوب أقوالاً تدل على أنه مصمم على الإمعان في السياسة القائمة ، مناقضاً بذلك تواسي لجان التحقيق والخبراء البريطانيين . وفي مايلي نص المقررات التي اتخذها المجتمعون في يافا :

١ - تقرير مبدأ اللاتعاون والمباشرة بتنفيذ أول درجاته منذ الآن كمقاطعة الحفلات والمجاملات مع الحكومة ، ومقاطعة لجان الحكومة ، ومقاطعة البضائع الانكليزية والبضائع والمصنوعات والمتاجر الصهيونية .

٢ - تأليف لجنة من أعضاء مكتب الجمعية التنفيذية وعضو يمثل كل حزب من الاحزاب في البلاد لأجل اتخاذ الطرق الموصلة الى تنفيذ فترة اللاتعاون بصورة أوسع ، على أن يكون نصاب هذه اللجنة القانوني منها بلغ عدد أعضائها ثلاثة ، وأن تقدم تقريرها في ظرف شهرين الى اللجنة التنفيذية .

٣ - أن تطوف لجنة صندوق الأمة العليا برفقة عدد من التجار الموثوقين والوجهاء

= وكان رئيسه عوني عبدالمهدي من أعضاء جمعية الفتاة العاملين ومن أرائل مؤسسيها. وقد أصدر الحزب بياناً عن بواعث تشكيله ، فتناول ضعف وفتور الحركة الوطنية الاستقلالية بالنقد ، وشجب التقصير والسياسات اغلبية والشخصية والعائلية ، وهاجم -ياسة المآذب والحفلات التي كانت تبتكرها السلطة نجع العرب واليهود على موائد واحدة .

أنحاء فلسطين لحض الأهلين على شراء أسهم شركة إنقاذ الاراضي وبذل الجهود لإنجاح مشروع صندوق الأمة .

٤ - ان يكون سلاح الأهلين ضد المهجرة اليهودية المقاطعة التامة .

* * *

وفي الأشهر التي تلت ذلك هاجت الحواطر وزاد القلق ، وخاصة بعد أن تقافت حركة المهجرة المشروعة وغير المشروعة بشكل لم يسبق له نظير ؛ فقد دخل البلاد ٤٢٥٧ مهاجراً في اسبوع واحد عن طريق المهجرة « المشروعة » . واعترفت الحكومة أن عشرة آلاف دخلوا فلسطين بصورة غير مشروعة وما زالوا يقيمون فيها . فاضطرم الغضب في النفوس ونشطت حركة الاحزاب العربية وسنت الصحف العربية حملات جريئة على حكومة الانتداب ، وأصبحت لهجتها قاسية لم يخفف من حدتها إشهار سلاح التعطيل عليها، واتهمت الحكومة بإزاحة الشعب العربي وبإحلال شعب غريب محله .

ومما زاد في غضب عرب فلسطين انه انعقد في شهر آب المؤتمر الصهيوني الثامن عشر في براغ حيث طالب بوجود الاسراع في بناء الوطن القومي على اوسع نطاق بسبب ارتفاع مد الحركة اللاسامية في ألمانيا ، وانتقد المؤتمر نظام المهجرة الساري في فلسطين لأنه ، بزعمه ، مناقض لمبدأ طاقة البلاد على استيعاب مهاجرين جدد ، كما طالب بالغاء نظام تحديد المهجرة إلغاء تاماً^(١) .

وكل عرب فلسطين السياسة « الايجابية » التي درج عليها بعض القادة في تعاملهم مع حكومة فلسطين واجتروا الآلام في صمت رهيب وهم يرقبون سفن المهاجرين تتوارد

(١) انظر نص قرار المؤتمر في : Palestine • Esco • Vol. 2, PP. 769 - 70 :

خلال الأفق القريب . ولم نجد اللجنة التنفيذية العربية بدأ من الاجتماع في ٨ تشرين أول، بعد أن اتهم بعض رجالها علناً في الصحف بملابنة السلطة ، فدعت الى « الاضراب العام برأ وبجراً » في يوم الجمعة (١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٣) ، والى تنظيم مظاهرة كبرى في القدس يشترك فيها رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية بعد صلاة الجمعة ، على أن تعقد اللجنة جلسة أخرى لتقرير مواعيد المظاهرات الأخرى في مختلف أنحاء فلسطين ، وعلى ان يكون مفهوماً ان مظاهرة القدس وغيرها لا تخاطب الحكومة في شأن الترخيص بها ، وان المظاهرات ستقوم مها كلف الامر . « إن عرب فلسطين قد يتسوا ياساً تاماً من الحكومة فهم لا يخاطبونها في شيء ولا يطلبون منها شيئاً ، وسيعدلون عن سياسة الاحتجاجات والحط بغير المجدية . »

وجاء في بلاغ الحكومة أنها لا تسمح بالقيام بأية مظاهرة أو موكب . ولكن الناس تجمعوا في الحرم وخرجوا بموكب عظيم يتقدمهم موسى كاظم الحسيني ، وبدأ في المظاهرة اتحاد الكلمة بشكل منقطع النظير ، وانذرت قوى الامن المتظاهرين بالتفرق ، ولما أبوا استعملت القوة لتفريقهم بشدة أسفرت عن جرح ٣٥ من المتظاهرين و ٥ من رجال الأمن . وكانت مظاهرة سيدات القدس المشهورة في ذلك اليوم أيضاً ، وتعرض لهن جنود الامن بجنونة وغلظة .

وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعاً في مساء نفس اليوم ، ورأى الحاضرون إجماعاً الدعوة للقيام بمظاهرة ثانية في مدينة يافا يوم ٢٧ تشرين الاول ، مع الاستمرار في التظاهر في مختلف أنحاء البلاد حتى تستجيب الحكومة للمطالب الوطنية .

وطلبت السلطة من المسؤولين عن المظاهرة العدول عنها عبثاً ، فقد تقاطر الناس في اليوم المذكور الى الجامع الكبير ، وقدم من القدس وفد لجنة السيدات العربيات ،

وحضر وفد من الشباب الوطني في سورية وشرق الأردن للاشتراك في المظاهرة . واصطدمت قوى الأمن (خيالة ومشاة ومدركات) بالمظاهرين ، ولم تكف بد المنافذ في وجوهم ، بل أخذت تتعقبهم بقسوة وعنف ، وأزهقت أرواح بريئة طاهرة لثلاثين شهيداً وجرح أضعاف هذا العدد .

وبعد ظهر اليوم نفسه اجتمع أعضاء اللجنة التنفيذية مع رئيس واعضاء مكتب مؤتمر الشباب الفلسطيني ، وقرروا تنظيم مظاهرة ثالثة في نابلس يوم الجمعة في ١٠ تشرين الثاني ، ولكن رجال الأمن فاجأوا المجتمعين واعتقلوهم ، ومكث هؤلاء وغيرهم في السجن عشرة أيام حدثت اثناءها مصادمات بين الحكومة والأهليين في القدس وبافا ونابلس ، فاضطرت السلطة للافراج عن المعتقلين بعد أن اشتد الغليان في البلاد .

وعين وزير المستعمرات لجنة - على مألوف العادة - برئاسة القاضي موريسون للتحقيق في أسباب الاضطرابات القريية لا البعيدة . ولكن العرب كانوا فقدوا ثقتهم باللجان ، فقاطعوا اللجنة ، فقررت اعتبارهم مسؤولين عن الاضطرابات ، وبرأت الحكومة من كل مسؤولية . واستحق أبناء البلد الصابر المكافح النهضة التي وجهتها إليهم اللجنة التنفيذية في اليوم التالي للمظاهرة : « حياكم الله وأنالكم استقلالكم ورفع عنكم ظلم الظالمين وعدوان المعتدين » .

الفصل الثامن

الثورة العربية الكبرى (١٩٣٩) — الدور الاول

سياسة واكهوب التهويدية واضطرابات (١٩٣٥)

أصيب الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية بعدة كدمات أثناء اشتراكه بمظاهرة يافا وكانت سنة قد نافت على الثمانين . لزم فراشه للمعالجة ولكن المرض لم يمهله فانتقل إلى رحمة الله في ٢٦ آذار ١٩٣٤ ، وكان قطب الوطنية الذي ارتضه شتى الجماعات رئيساً وقائداً لها .

ظهرت عقب وفاته صدوع في وحدة الصف العربي ، ولم ير الزعماء في تلك الأيام شيئاً من الخطر الذي كان محيطاً بهم إلا ذلك الشر الذي كانوا يؤكدون أنه من فعل خصومهم ، ولو تنبهوا يومذاك إلى خطورة ما هو واقع بهم لحاولوا أن يتفهموا حقيقة خلافاتهم ، ولرأوا أن أعداءهم الحقيقيين قد هالهم ما كان يبدو من دلائل التضامن الوطني الرائع الذي بدا واضحاً في حركة المظاهرات القوية ، وأنهم يرومون إبعادهم عن وحدة الصف العربي عن طريق إفساح المجال لتنافسهم في سبيل الحصول على مغانم ومناصب قريبة تارة بإجراء إنتخابات المجلس الاسلامي وتارة بإجراء انتخابات بلدية القدس وغيرها لينشغلوا بها عن مواصلة حركة النضال الوطني .

ومرت على فلسطين فترة من الوقت انعدمت فيها القيادة الوطنية الحكيمة وركدت

حركتها ، وفسد الجو واختلت موازين الوطنية وبدأ شبح النكبة في الأفق القريب .
وبات الناس يرقبون اتفاق كلمة الزعماء على انتخاب رئيس جديد للجنة التنفيذية ، ليقود
الحركة الوطنية ويؤلف من حولها القلوب ويبعد النظام إلى تشكيلاتها . وفكرت اللجنة
التنفيذية في دعوة الأمة إلى عقد المؤتمر الثامن الفلسطيني ، ولكن قبل موعد انعقاد المؤتمر
عدلت عن ذلك نظراً لعدم ملاءمة الأوضاع الحاضرة . ويبدو أن فكرة الاستغناء عن
اللجنة التنفيذية قد تبلورت في أذهان بعض القادة فسارعوا إلى تشكيل أحزاب سياسية
خاصة بهم^(١) .

على أنه في أواخر عام ١٩٣٤ اتضح أن اليهود يتسلحون وأن حكومة فلسطين
(البريطانية) تغض الطرف عن تسلحهم ؛ فقد اكتشفت في تشرين الأول ١٩٣٤ شحنة

(١) لم يوجد في فلسطين أحزاب منظمة عصوية وإنما وجدت فيها زعامات وولايات شخصية
وعائلية ذات نفوذ شعبي ، واللجنة التنفيذية التي قادت الحركة الوطنية وواجهت لجان التحقيق كانت
منبثقة عن المؤتمر الفلسطيني السابع « ١٩٢٨ » وكان يرأسها موسى كاظم الحسيني .
تأسست في فلسطين الأحزاب التالية بالإضافة إلى حزب الاستقلال الذي سلف ذكره :

١ - حزب الدفاع الوطني « ٢ كانون الأول ١٩٣٤ » برئاسة راغب النشاشيبي وعرف بحزب
المعارضين ومركزه في القدس .

٢ - حزب الإصلاح « ١٨ حزيران ١٩٣٥ » برئاسة الدكتور حسين فخري الخالدي
ومركزه القدس .

٣ - حزب الكتلة الوطنية « ٤ تشرين أول ١٩٣٥ » برئاسة عبد اللطيف صلاح ومركزه
في نابلس .

٤ - مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني برئاسة يعقوب العضين .

٥ - الحزب العربي الفلسطيني « ٢٤ نيسان » برئاسة جمال الحسيني ومركزه في القدس .
كان أقوى هذه الأحزاب الحزب العربي وقد أصبح فيما بعد يمثل الوطنية المتصلبة ، كما أصبح
حزب الدفاع يمثل المعارضة وبالتالي النزعة « المعتدلة » ، ولم تلبث اللجنة التنفيذية العربية أن انفرط
عقدها وتفرقت أعضاؤها وانشغل كل منهم بنشاط حزبه .

كبيرة من الأسلحة والذخائر وردت من بلجيكا في براميل الأممنت ، ونقلت من يافا الى تل أبيب . ولم يكن هذا التسلح اليهودي الأول ، فالمنظمات اليهودية كانت تبذل ما وسعها منذ عهد مبكر لشراء السلاح من الخارج وإدخاله بأساليب مختلفة الى فلسطين . كشف السلاح مرة في صناديق خلايا النحل وبراميل الزيت . ووردت مرة سنة ١٩٢٧ إرسالية كبرى من السلاح باسم روزنبرغ أفرغت شحنها في حيفا وكشف أمرها بمعجزة . وعندما قدمت لجنة شو شكا إليها اليهود من تقصير الحكومة في حمايتهم ، فأوصت اللجنة بالاهتمام لهذا الأمر ، وبأدرت الحكومة إلى تسليم صناديق الذخيرة والبنادق إلى محتاير عدد من المستعمرات ، وكلفت بعض المدربين بالإشراف على تدريب شبان اليهود ، وأدى هذا إلى هياج عام ، ودعت نابلس الى عقد مؤتمر للنظر في المسألة (١٩٣١) . وطالب المؤتمر يومذاك بحجب السلاح والمدربين ، ودعا كل عربي الى التسلح في حالة رفض الحكومة لطلب المؤتمر ، وزعمت الحكومة في بيانها الذي أصدرته بأن الأخبار مبالغ فيها ، وقامت المظاهرات وحدث صدام مع قوى الأمن ، وتنبه العرب يومها الى تفاسم خطر الصهيونية بعد تسلح أنصارها وتحويلهم الى الهجوم .

إذن كان لثورة النفوس ما يبررها في تشرين الأول ١٩٣٤ بعد هذه السوابق في تسلح اليهود بمساعدة الحكومة ومعرفتها . وبدأت الصحف العربية تشن حملات شديدة اللهجة على الحكومة واليهود ، وقدمت الاحتجاجات والبيانات الى الحكومة من جانب الهيئات والأحزاب ، وأعلن الاضراب العام يوم ٢٦ تشرين الأول ، واقترون هذا الاضراب الشامل بشعور قوي كاد أن يجر الى صدام بين العرب واليهود بين يافا وتل أبيب . والمندوب السامي واكهبوب خلال ذلك يشير أمام لجنة الانتدابات الدائمة الى ارتياح العرب ورضام عن سياسته الجديدة ، وبأمل في مزيد من التعاون بين العرب والحكومة أولاً ، وبين اليهود ثانياً .

ولكن عبده سجل تمييزاً واضحاً لليهود ؛ فقد انتقل امتياز تخفيف أراضي الحولة الواسعة من العرب الى اليهود وهي من أخصب أراضي فلسطين ، ورسخت بذلك قدم اليهود فيما يدعى بالجليل الشرقي . وقصة منح هذا الامتياز ترجع الى ما بعد إعلان الدستور العثماني ، حين نال بعض رجال الحركة الإصلاحية البيروتية وأهمهم سليم بك علي سلام ، امتيازاً من الحكومة الاتحادية (١٩١٤) لتجفيف مستنقعات الحولة واستغلال الأراضي المجففة مدة معينة وتوزيعها ببدل معقول على المزارعين . وسعى اليهود لحل (سلام) على التنازل عن الامتياز لشركة صهيونية ، تارة بالاكراه وتارة بالاغراء ، حتى نجحوا في مسعاهم وأقرت السلطات صك البيع . ولو كان واكهبوب صادقاً فيما تظاهر به من اهتمام بأحوال الفلاحين العرب لما وافق على التنازل (٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٤) ولاستصلح أراضي المشروع على نفقة حكومة فلسطين ووزع الأراضي على مزارعي العرب المحرومين من الأرض والذين طالما أشارت إلى مشكلتهم تقارير اللجان المتعددة .

كذلك أقر واكهبوب انتقال وادي الحوارث الى اليهود وإجلاء البدو والمزارعين عن تلك الأراضي بحجة تنفيذ المزارد الذي رسا على اليهود ، فانزع المئات والألوف من ديارهم حيارى دامعي العين لا يملكون شروى نقيير ، سيقوا مع مواشيهم بالقوة ، وأبى بعضهم أن يترك أرضه ومرابعه فقط شهيداً برصاص السلطة . وكان بإمكان واكهبوب أن يفعل شيئاً لحماية هؤلاء . ويذكر سماحة المفتي في « حقائق عن قضية فلسطين »^(١) ، أن رسلاً من البريطانيين اتصلوا به وبآخرين عام ١٩٢٤ وعرضوا أن ينقل عرب فلسطين الى شرق الأردن على أن يعطوا ضعف مساحة الأراضي التي كانوا يملكونها ، وأن يقدم اليهود جميع الأموال

(١) ص ٣٠ من الكتاب .

المطلوبة لتنفيذ ذلك الاقتراح ، ولا حاجة الى القول بأن ذلك كله ما كان ليحدث لولا تأييد واكبوب ومسامحي حكومته .

وفي مطلع شهر كانون الأول ١٩٣٤ قدمت اللجنة التنفيذية العربية ، وكانت في أواخر أيامها ، مذكرة الى المندوب السامي لفتت فيها النظر الى الأخطار الناشئة عن بيع الأراضي والمهاجرة ، وذكرت أنه لم يبق في أيدي العرب أراض تزيد عن حاجتهم ، وأن كل دونم أرض يباع لليهود من شأنه أن يزيد الضرر اللاحق بالعرب من جراء ذلك . وأنه دخل البلاد عام ١٩٣٣ ثلاثة وثلاثون ألف مهاجر على ما جاء في التقرير الرسمي لحكومة فلسطين ، وأن عدد العمال الذين سمح لهم بدخول البلاد كان أحد عشر ألفاً ، وأن هذا العدد قد يزيد في سنة ١٩٣٤ فيصبح عدد المهاجرين ٤٠ - ٥٠ ألفاً .

وتتابع المذكرة قولها إن مستمر ملاز رئيس دائرة المهاجرة قدم مذكرة الى لجنة شو ادعى فيها أنه إذا دخل البلاد ٢٥ ألف مهاجر يهودي في العام ، يتساوى بذلك عدد اليهود مع العرب في فلسطين عام ١٩٤٨ أي بعد ١٣ سنة .

وجاء رد المندوب وفيه بيدي اغتباطه واستعداده دوماً لسهاع آراء عرب فلسطين بشأن مشاكل بلدهم ، وذكر أن الصحف تبالغ بخصوص المهاجرين اليهود وأن عدد المهاجرين لم يتجاوز طاقة البلاد على الاستيعاب ؛ فان تقدير الحكومة لمجموع اليهود الذين دخلوا فلسطين بتصاريح للإقامة فيها خلال سنة ١٩٣٤ المبني على سجلات المهاجرة للعشرة أشهر الأولى من السنة بلغ ٢٦ ألف مهاجر . واعترف المندوب ببساطة أن عدد المهاجرين الذين أقاموا في البلاد عام ١٩٣٣ بدون تصاريح كان كبيراً جداً . وقال إنه صرح منذ سنة بأنه يعتبر هذا الأمر خطيراً جداً . وأنه اتخذ بعض التدابير لمراقبة الحدود والشواطئ .

لا يقف هذه الهجرة ، وهو لا يعتبر أن الحالة مرضية ، ولكنها أفضل مما كانت عليه في العام الماضي .

وقال إنه يذكر مسألتين : الأولى مسألة امتياز الحولة ، وأشار الى عجز القائمين عليه عن إيجاد المال الكافي لتنفيذ مشروعاتهم ، والمسألة الثانية تتعلق بالمجلس التشريعي : « إنكم تذكرون التصريح الذي أصدرته حكومة جلالة سنة ١٩٣٠ حول إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين ، إن الحكومة لاتزال عند هذا التصريح . ولقد تحدثت مع جناب وزير المستعمرات في هذا الأمر ، فكان رأيه يتفق مع رأيي ، ولذلك فبعد مضي مدة معقولة حيث يتسنى لي في خلالها درس سير الأعمال في مجالس البلديات الجديدة ، سأسرع بمحاثة زعماء الأحزاب المختلفة ، لدرس اقتراحات الحكومة لإنشاء المجلس التشريعي ومبحث شكل المجلس المقترح إنشاؤه بالتفصيل . »

ورأى العرب يزاء إهمال الحكومة وتغافلها أن يقوم الشباب العربي و فرق الكشافة بجراسة السواحل^(١) والحدود بالمنابذة لمنع تهريب اليهود . وقام هؤلاء بعملهم خير قيام ، بعد أن تجاهلت الحكومة عن التحالفات والتهريب ، وتجاهلت أن المعارض اليهودية والحفلات الرياضية التي كانت تقام مرة كل سنتين إنما هي مناسبات لتهريب اليهود على هيئة تجار وسياح ورياضيين ومتفرجين .

ولم نجد الهيئات الوطنية بدأ من تبيه الرأي العام إلى الخطر المحدق به ، وكانت من ذلك عقد مؤتمر علماء فلسطين الأول برئاسة المفتي محمد أمين الحسيني (٢٥ كانون الثاني ١٩٣٥) للبحث فيما يجب عمله لحماية البلاد المقدسة من أخطار تسرب الأراضي العربية الى اليهود ، بواسطة السمسرة والحونة من الوسطاء . حضر الاجتماع أربعائة من القضاة والمفتين وأئمة المساجد والوعاظ والمدرسين وبقية رجال الدين من سائر بلدان فلسطين وأصدر المؤتمرين:

Great Britain & Palestine op. cit. , p. 85

(١)

فلسطين م ١٧ (١٩٦٨)

١ - فتوى بتحريم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود واعتبار البائع والسمسار والوسيط المستحل للبيع مارقين من الدين خارجين من زمرة المسلمين وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين ومقاطعهم في كل شيء والتشهير بهم .

٢ - مطالبة الحكومة باسم المؤتمر بوقف الهجرة ويويع الأراضي لليهود ، وسن قانون لحماية صغار المزارعين من جشع كبار الملاكين والأغنياء ، ومطالبة المندوب أن يجعل الأذن عاماً لمن يرغب في وقف أرض أميرية وفقاً ذرياً أو خيرياً ، وان تجري الحكومة التسهيلات لمهاجري العرب الراجئين في دخول فلسطين ، ولا سيما من أبناء فلسطين الذين منعوا من الدخول .

٣ -- أن يذيع المؤتمر نداء الى ملوك المسلمين والعرب وأمرائهم وزعمائهم عن حالة فلسطين وبيان ما يحيط بها وبأهلها المسلمين والعرب من أخطار وطلب مساعدتهم .

٤ - مساعدة المشاريع الاقتصادية وتأسيس الشركات الوطنية وحض الأهلين أن يقتصروا على شراء مضعاتها .

٥ - تأليف جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المركزية برئاسة الحاج أمين الحسيني لتتولى تنفيذ قرارات المؤتمر وتأليف فروع لها في جميع مدن فلسطين^(١) .

واستهل عام ١٩٣٥ في جو من النزاع المؤسف بين الأحزاب التي تأسست في العام الفائت ، ولكن الوعي النضالي الشعبي نهض في فورة من الحماس الشديد ، وحمل على الزعماء والقادة حملات شعواء ، وشجب نسيانهم الصالح العام القومي في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها البلاد ، وطالب بضرورة قيام كيان قومي بسمع كلمة العرب . وآتت هذه الحملة أكلها عندما استجاب رؤساء الأحزاب إلى صوت العقل ، واجتمع بمثلوث عنهم على شكل

(١) عيسى السفري ، «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية» ، بافا ١٩٣٧ ، ص ٢٢٩ .

ائتلاف حزبي ، وبذلك تشكل ما دعي بـ بلجنة الأحزاب الفلسطينية . تألفت من رؤساء الأحزاب أو من ينوب عنهم^(١) . وأخذت تعقد بعض الاجتماعات لبحث الأحوال الطارئة ، وكان أهم ماقامت به هذه اللجنة الاتصال بالحكومة عندما عادت إلى عرض مشروع المجلس التشريعي على العرب واليهود . وقبل أن تتقدم اللجنة بذكرتها الحاسمة إلى المندوب السامي اندلعت ثورة عز الدين القسام ، فكان لها دوي عظيم في أرجاء البلاد ، وأثر بالغ في تطور الأحداث المقبلة .

وحلقة القسام حلقة من حلقات الجهاد ، وجمعية من الجمعيات السرية التي أخذ الشعب العربي في فلسطين يتنادى إلى وجوب تأليفها بعد استفحال حركة المهاجرة وبيع الأراضي تحت سمع الحكومة وبصرها . وبينما كان القلق والسخط يستبدان بالنفوس ، كانت الدعوة إلى الحلقات الجهادية آخذة بأسباب الشيوع في المساجد والجماعات وفي بيوت الأسرة وفي حديث القوم . وكان حديث عز الدين القسام^(٢) ينفذ إلى أعماق سامعيه فيخلق من حوله منظمة سرية نذرت نفسها للجهاد ضد الإنكليز واليهود ، بعد أن أيقنت أن الوقت قد أوفى لمباشرة العمل الجدي . وقامت منظمة القسام بعدة أعمال رائعة ضد المستعمرين وأعدائهم ، ولم تلبث أن أعلنت عن نفسها ، وتحدثت السلطات بعدائها الصريح وبأهدافها الوطنية . غير أن قوى الاحتلال سارعت للقضاء على الحركة قبل تفاقمها ، فحاصرت عربين البطل المغوار واصطدمت معه قرب بلدة جنين في الثالث الأخير من شهر تشرين الثاني سنة

(١) يذكر دروزة أن حزب الاستقلال لم يشترك في لجنة الأحزاب إذ رأى أن التفاوض مع المندوب بشأن المجلس التشريعي متناقض مع منهج الحزب ص ١٠٤ ، ١١٤ .

(٢) عز الدين القسام مناضل عربي من جبهة سورية تلقى علومه في الجامع الأزهر واشترك في ثورة صالح العلي التي نشبت ضد الفرنسيين في شمال سورية ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، ثم التجأ إلى حيفا ١٩٢٢ واستوطنها وتولى التدريس في مسجدها ، وكان يحس بخطر الصهيونية ، ويدعو إلى توحيد الكلمة لمواجهة ، مندداً بالاختلاف ومنذراً من عواقب الشقاق والتمزق .

١٩٣٥ . قتل جندي بريطاني وجرح اثنان ، واستشهد الشيخ القسام مع أربعة من زملائه ، وقبض على الباقيين وحكم عليهم بالسجن لمدد متطاولة . وكان الاحتفال بتشييع جثمان الشهيد ورفاقه مهيباً اشتركت فيه وفود عربية كبيرة . ولم يلبث الموكب أن تحول إلى مظاهرة وطنية كبرى هاجمها جنود الاحتلال بالقوة لتفريقها فأصيب الكثيرون بجراح . إن ثورة القسام ستكون من أهم الحوافز القوية التي ستكهرب الجو في الاضطرابات الخطيرة التي ستعاقب على فلسطين بعد عدة أشهر ، عندما سيعلن الاضراب العام ويعقبه انفجار الثورة الكبرى .

منعطف خطر :

يبد أن الكفاح العربي السياسي والثوري كان قد حقق بعض أهدافه ، وكان له أثر لا يستهان به على الحركة اليهودية في السنوات الاثنتي عشرة ما بين الاحتلال وثورة البراق . فقد ظلت الهجرة اليهودية الى فلسطين متعثرة مترددة ، فلم يتجاوز معدلها العشرة آلاف ، وكان كثير من المهاجرين اليهود يضطرون للعودة الى مواطنهم الأصلية بدافع الخوف وضيق ميدان العمل ، بحيث كان عدد النازحين اليهود من فلسطين في بعض السنين يتجاوز عدد المهاجرين إليها . حتى اذا استلم هتلر والنازيون مقاليد الحكم في ألمانيا في مطلع عام ١٩٣٣ اتفقت خطط البريطانيين والصهاينة على العمل بموجب مبدأ جديد لم يرد ذكره في صك الانتداب ، وهو أن اليهود الفارين من الاضطهاد النازي في ألمانيا ، والذي انتقلت عدواه الى جاراتها ، يقبلون في فلسطين ، وان بلغ عددهم مبلغاً لم يسبق له مثيل ، وان ترتب عليه تعطيل الشق الثاني من وعد بلفور . إن زعماء الصهيونية السياسية رأوا في أوروبا نذر شر ضد اليهود - تلك النذر التي كانت أملمهم في انتعاش الحركة الصهيونية التي تردت في أزمة خلال السنوات مابين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ؛ فالأرض في فلسطين يملكها العرب ،

والهجرة اليهودية ضئيلة ثم تضاءلت أكثر، حتى جاءت سنة ١٩٢٧ أي بعد التأزم الاقتصادي بثلاث سنوات فزاد النزوح من فلسطين على الهجرة إليها^(١). جرى هذا بينما كان العرب يزدادون بحكم التكاثر الطبيعي زيادة مطردة، وأخذوا يطالبون بالوصول الى الحكم، وهنا رأى اليهود أن مستقبلهم لن يفضل كثيراً وضع الأقلية، كشأنهم في بقية أنحاء العالم التي يعيش فيها يهود. قلنا أن الزعماء الصهيونيين نظروا بعين الرجاء الى نذر اضطهاد اليهود في أوروبا وأدركوا أن موجة اضطهادات بني دينهم لا بد قادمة، وأن مثل هذه الاضطهادات اذا جرت يجب أن تستغل لمصلحة الصهيونية ولمصلحة تحقيق الدولة اليهودية في فلسطين.

كان ظهور هتلر وتولية الحكم في ألمانيا بشكل منعطفاً خطراً استغله الصهيونيون لمصلحتهم؛ فقد ثار مرجل غضب الألمان على الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم على يد الحلفاء أصدقاء اليهود في الحرب العالمية الأولى^(٢). وتكشفت النازية عن النوايا المعادية لليهود، فحرمت عليهم تقلد المناصب السياسية والادارية في الدولة والاستغال في المهن الحرة والتدريس، وفصلتهم من مجالس الادارة في الشركات المالية والصناعية والتجارية الكبرى، وأثارت نقمة الشعب الألماني عليهم، فأخذ اليهود يتأهبون للنزوح عن بلادهم، ونشطت

(١) دامت الأزمة الاقتصادية منذ نهاية عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٨، وقد رأت لجنة شو كا رأت حكومة فلسطين فيما بعد أن هذه الأزمة قد تحكمت في حجم الهجرة المتناقص في السنوات الماضية، وان سبب هذا التناقص في الهجرة يمكن ان يعزى جزئياً الى انهيار قبعة العملة البولندية (الزولوتي) عام ١٩٢٥، بحيث امسى كثيرون من المهاجرين اليهود البولنديين دونما موارد مالية كافية. Great Britain & Palestine, op. cit., pp. 42 - 43

(٢) كان اليهود قد أصبحوا قوة لها قدرها في الحياة السياسية ااغلبية لدول غرب أوروبا ووسطها. أما في الولايات المتحدة فقد بلغوا درجة أكبر من تلك بكثير. وكانت مشاعر اليهود الأمريكيين واضحة بحسب حسابها دعاء الحرب الأوربيون الذين أخذوا يدركون أن كلمة الولايات المتحدة لا بد وأن تكون هي الكلمة الأخيرة فيما ينشب من الصراع في اوربا. كما اخذوا يدركون أن تلك الكلمة الأخيرة لا يمكن الا أن تتأثر كثيراً بأراء ورغبات المواطنين الأمريكيين اليهود.

الحركة (الاسامية) في معظم بلدان أوروبا الشرقية، فعم الحرف بين اليهود وبدأت جماعات
غفيرة منهم تعبر الدعاية الصهيونية آذاناً صاغية .

وعلينا أن نلاحظ أنه ، حتى فيما يتعلق باليهود، يجب أن لانعمم الأحكام ، فنظن أن كل
من ذهب الى فلسطين فعل ذلك لايمانه بالصهيونية . وهنا يؤكد الأستاذ مكسيم رودنسون
أستاذ علم الاجتماع في جامعة السوربون أن عدداً كبيراً من اليهود الألمان ذهب الى فلسطين
عقب خروجه من المعتقلات النازية لأنه لم يكن يدري أين الذهاب ، كذلك فان عدداً
منهم أرسله هتلر الى فلسطين . حسب اتفاق عقد بين وزارة اقتصاد الرايخ الثالث والقادة
الصهيونيين عام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ وقد وجدت هذه الوثائق في أرشيف وزارة
الخارجية الألمانية^(١) .

وكان قصد الصهيونية أن تدفع باليهود الألمان للتوجه الى فلسطين بالذات وتذرعت
لذلك بشتى الأساليب اللاإنسانية واللاأخلاقية ، واعتذرت بأن فلسطين هي البلد الوحيد
الذي يكون دخول اليهود (بحق لاجئة) ! وأن الولايات المتحدة وبريطانيا لاتزال
تفرض القيود على الهجرة ؛ وكانت أرقام الهجرة اليهودية في عام ١٩٣١ قد اظهرت ميلاً
ملحوظاً للهبوط ، تماماً كالوضع الذي ساد منذ عام ١٩٢٩ ، ولكن هذه الأرقام مالبثت أن
ارتفعت في السنة التالية من ٤٠٧٥ في عام ١٩٣١ الى ٩٥٥٣ وارتفعت هذه الأرقام
ارتفاعاً هائلاً في عام ١٩٣٣ اذ بلغت ٣٠٣٢٧ . وتلقت الحكومة البريطانية ومندوبها
السامي في فلسطين عدة تحذيرات بأن هذه السياسة تنطوي على أخطار كثيرة ، ولكن
الحكومة ومندوبها أصراً على أن حاجات اليهود تتطلب الافادة الى أقصى حد من القوانين

(١) مجلة المعرفة عدد ٢٩٥ آذار ١٩٦٦ - من حديث مع رودنسون أجراه مندوب المجلة في باريس .

والنظم القائمة^(١) . ولم يطرأ أي تغيير على هذا النظام ، فعادت أرقام الهجرة الى الارتفاع في عام ١٩٣٤ ، وبلغت ٤٢٢٥٩ ، وفي عام ١٩٣٥ بلغت ٦١٨٥٤ مهاجراً يهودياً وفدوا الى فلسطين من جميع أرجاء أوروبا . وتبين أن مثل هذه الهجرة اذا حافظت على هذه النسبة العالية فسوف لا يمضي وقت طويل حتى تغطي الأقلية اليهودية على العرب . وقد دلت الاحصاءات الرسمية على أنه بحلول عام ١٩٣٥ أصبح عدد اليهود في فلسطين ضعفي ما كان عام ١٩٢٩ بحيث غدا اليهود يشكلون ربع جملة سكان البلاد . كما دل التقدير الاحصائي على أنه اذا سمح باستمرار الهجرة بمعدل ما جرت به في ثلاثة الاعوام الأخيرة فان عدد اليهود يصبح مساوياً لعدد العرب في فلسطين بحلول عام ١٩٥٢ .

ان تراجع الحكومة البريطانية المشين عن الكتاب الأبيض الذي أعقبه ثلاثة أعوام من الهجرة اليهودية المتزايدة ، أدى الى مزيد من انهيار ثقة العرب بالادارة البريطانية^(٢) ، إذ قابلوا تدفق تيار الهجرة اليهودية الى فلسطين بالفرع الشديد ، ولاحظوا أن ارتفاع أرقام المهاجرين لم يكن مرضياً للقيادة الصهيونية التي ما زالت تلح بوجود مضاعفة الجهود ولا نقاذ اللاجئين المشردين اليهود في أوروبا ، بل أنه باع من الصفاقة الصهيونية أنها لم تعترف بجميل بريطانيا التي مكنت لها ، وما زالت الصحف اليهودية تجار بالشكوى بما دعت به بعراقيل بريطانية في وجه الهجرة ، الأمر الذي دل بوضوح على أن الاضطهاد النازي لم يكن الا ستاراً لاختفاء هدف الصهيونية في اقامة دولة يهودية . وبلغ من مغالطة الصهيونية أن أوغزت بقيام مظاهرة تهتف ضد الانكليز ، وأوحت هذه التصرفات الملتوية للعرب بأن الصهيونية تستخدم اضطهاد النازية لليود ذريعة لاقامة الدولة اليهودية على حساب العرب ، وان الربط

(١) يروى صديق لوايزمن أن السير آرثر واكبوب طلب ال وايزمن ان يصر على الوكالة اليهودية بتابع سياسة اكثر اعتدالاً في موضوع الهجرة ، وأضاف إن البناء بتودة على أسس صلبة خير من التسرع ، فأجاب وايزمن : « أنا لا انكر ما في نصيحتك من حكمة ، وكان علينا ان نعمل بها لولا أن اوضاع أوروبا تضطرتنا للاحراع في الهجرة » .

Ch. Sykes, « Cross Roads to Israel », note , p. 166

Marlowe ,op. cit .,p. 132

(٢)

بين هذا الاضطهاد وبين عوامل الرحمة للاجئين اساءة فهم للحقيقة الواقعة^(١) .

لم تكن مخاوف العرب وشكوكهم دون مبرر ؛ فمن واقع الهجرة اليهودية كان الصهاينة أقل اهتماماً بالناحية الانسانية منهم بالناحية السياسية واقامة الدولة . وكان من المفروض أن يمثل اليهود الألمان غالبية هذه الموجات المتدفقة من المهاجرين بين عامي ٣٢ - ١٩٣٣ على اعتبار أنهم يفرون من الاضطهاد النازي . ولكن الأرقام والواقع أثبتا أن المهاجرين الألمان في

هذه الفترة ، لم يكونوا أكثر من $\frac{1}{8}$ المجموع ، بينما مثل المهاجرين من بولنده نسبة ٤٢٪^(٢)

(١) اعترف كثير من زعماء الصهيونية في الكتب التي وضعوها فيما بعد بأن الحركة الصهيونية كانت تفتعل دائماً الحركات الاسلامية في بعض بلاد العالم ، لاستثارة العطف على المشاريع الصهيونية ، ولدفع اليهود دفعاً الى الهجرة لفلسطين ، عن طريق اثاره فزعهم من الحركات الاسلامية .
(٢) ما بين عام ١٩١٩ و عام ١٩٣٧ كان نصف المهاجرين اليهود تقريباً يأتون من بولنده ، وكان الاتحاد السوفيتي يمثل المرتبة الثانية بعد بولنده في السنوات الأولى . ولكن حلت المانيا محل الاتحاد السوفياتي في السنوات الاخيرة . ويذكر كتاب معهد الشؤون الدولية نقلاً عن مصادر صهيونية أن هذا التغير يرجع جزئياً الى المصاعب التي واجهت اليهود الروس من حيث دفع ١٠٠ جنيه مقابل السباح لكل فرد منهم بمغادرة البلاد ، ولكن السبب الاكبر في نظر الكتاب المذكور يرجع الى اضطهاد اليهود في المانيا النازية .

وكانت نسبة المهاجرين اليهود الى فلسطين بحسب جنسيات بلدانهم الاصلية كما يلي :

الجنسية	العدد	النسبة المئوية
بولنده	١٣١,٢٤٩	٤٢
المانيا	٣٥,٣٤٦	١١
الاتحاد السوفيتي	٣٠,٧١٨	١٠
رومانيا	١٥,٥٢٨	٥
ليتوانيا	٩٦٤٢	٣
اليمن	٩١٨١	٣
الولايات المتحدة	٧٩٠٩	٣
بلدان اخرى	٧٣,٤٥٧	٢٣
المجموع	٣١٣,٠٣٠	١٠٠

Great Britain & Palestine, op. cit., pp. 65-66

وبينت الأرقام أنه لم يكن لإجراءات هتار أي أثر في تغيير الحطة الصهيونية . واتضح كذلك أن الهدف الصهيوني الرئيسي لم يكن معنياً بتبدل الأوضاع الجديدة في ألمانيا . ولا ريب في ان جلاء هذا الوضع المذهل يمس الوكالة اليهودية في الصميم ؛ فهناك حقيقة واقعة وهي ان معظم اليهود في فلسطين كانوا من السلافيين اي من اوربا الشرقية . ولما كانت الوكالة اليهودية هي التي تقرر توزيع شهادات الهجرة ، فقد كانت من الطبيعي بالنسبة الى الأغلبية السلافية فيها ، ان تحاول الحفاظ على التفوق السلافي في توزيع الشهادات لكي لا يتأثر الوضع السياسي داخل الوكالة اليهودية بسبب هذه التطورات التي احدثها العهد النازي . وهنا تبرز الحقيقة التاريخية ، وهي ان تقاعس الوكالة اليهودية ، كما يقول سايكس ، في موضوع المهاجرين من يهود المانيا ، ومحافظتها على التفوق السلافي في توزيع شهادات الهجرة ، يجعل المسؤولية فيما لحق بضحايا النازية من اليهود ، لانتقع على عاتق الطغيان الهتاري وحده ، وانما ايضاً على الأناية البشعة التي تجسدت في الوكالة اليهودية ، وذلك بصدد ما عن ايواء المضطهدين اليهود في البلدان الأخرى^(١) .

وفي كانون الاول ١٩٣٤ قال وفد عربي في مقابلة اجراها مع المندوب السامي ، ان بيوع الأراضي لليهود ، والهجرة اليهودية قد بلغا حداً يتناقض مع الوعود بالمحافظة على حقوق العرب التي تضمنها صك الانتداب . فأجاب واكهبوب ببيان قال فيه ان سياسة الحكومة كانت زيادة انتاج البلاد ، وأن الهجرة اليهودية ، وهي ست وثلاثون ألفاً في عشرة شهور ، ليست بزيادة مفرطة (!)^(٢) .

ان عرب فلسطين رأوا في الهجرة الجديدة أن اليهود لا يرضون بأقل من الاستيلاء على

Sykes, op. cit, p. 169 .

(١)

Great Britain & Palestine op. cit , p. 86

(٢)

فلسطين ، وقد أيد اعتقادهم هذا أن القيادة الصهيونية استغلت المأساة النازية ضد اليهود للحصول على مكاسب سياسية. وتقارب العرب في فلسطين إزاء هذه المحنة الخطيرة وتواجهوا في نوايا أعدائهم ، واشتد احساسهم بالأجحاف ، وتساءلوا عن مسؤوليتهم من واجب ازالة الآلام التي يعاني منها اليهود في أوروبا ، والتي كانت الصهيونية تستغلها للفت انتباه العالم الى أرت فلسطين هي الحل الأخير للمسألة اليهودية . شاهد عرب فلسطين والألم يعاصر قلوبهم قوافل المهاجرين اليهود تغزو بلادهم عام ١٩٣٣ ، ورأوا أن الحكومة البريطانية توزع عليهم شهادات الهجرة ، في حين أنها كانت أوفدت لجان التحقيق والخبراء ، وتقاريرهم تلح على ضرورة تخفيض الهجرة وتحديدتها ان لم يكن وقفها . وحينذاك تقطعت في صدور العرب عوامل الصبر والايان ، وتبدد أملهم بالتفاهم مع الخصم الحكم .

وعن الاجراء الدستوري الذي يرمي الى اقامة الحكم الذاتي ، فقد نص الكتاب الابيض لعام ١٩٣٠ على انشاء مجلس تشريعي بمائل للمجلس الذي اقترحه تشرشل عام ١٩٢٢ ، ولكن لم تجر أية محاولة لتحقيق ذلك . وفي مطلع عام ١٩٣٤ نظمت المجالس البلدية في كل مكان ، وفي نهاية العام نفسه أنهى المندوب السامي الى اللجنة التنفيذية العربية أنه يود أن يبحث معها مشروع مجلس تأسيسي بعد مضي زمن على انشاء المجالس البلدية للثبّت من جدواها. وفي أواخر تشرين الثاني ١٩٣٥ قام وفد يمثل جميع الأحزاب العربية بزعامة المفتي ، وقدم مذكرة مشتركة فهم منها أنها آخر محاولة من جانب العرب للتفاهم مع دولة الانتداب ، وطلب اليه ان ينقل فحوى المذكرة الى حكومته . وجاء فيها المطالب الأساسية الآتية :

١ - تشكيل حكومة ديموقراطية في فلسطين .

٢ - منع انتقال الأراضي لليهود ، وسن قانون شبيه بقانون الأقدنة الخمسة في مصر^(١).

٣ - أ : وقف الهجرة اليهودية وفقاً تالماً وفورياً ، وتشكيل لجنة مختصة لتعيين المقدرة الاستيعابية للبلاد ، ووضع مبدأ للهجرة .

ب : اصدار تشريع يطالب المقيمين الشرعيين في البلاد بالحصول على تذاكر هوية وحملها .

ج : البحث الفوري والفعال في الهجرة غير المشروعة^(٢) .

وفي مطلع شهر شباط ١٩٣٦ اوعزت وزارة المستعمرات الى المندوب السامي كي ينهي الى العرب جوابها على مطالبهم التي قدمت في تشرين الثاني المنصرم . ونص الجواب هو :

١ - إن عرض الحكومة في كانون الأول ١٩٣٥ لمشروع دستور جديد ، كان يمثل خطوة عملية نحو الحكم الديموقراطي حين اقترح مجلساً تشريعياً بغالبية غير رسمية كبيرة .

٢ - بخصوص بيع الأراضي ، عازمت الحكومة على سن قانون يمنع ذلك إلا إذا كان الملاك العربي قد احتفظ بقطعة من الارض تكفي للقيام بأوده وأمرته .

٣ - جرى قياس معدل الهجرة اليهودية بعناية وفقاً لمقدرة البلاد (الاستيعابية) ، وقد انشئ مكتب احصائي جديد لتقدير هذا المعدل^(٣) .

وكان المندوب السامي قد فوّض في نهاية كانون الأول ١٩٣٥ بأن يعلن عن مقترحات لتشكيل مجلس تشريعي ، وكان الزعماء العرب قد رفضوا ما يماثلها عام ١٩٢٢ فسقطت

(١) صدر عام ١٩١٢ في مصر لحماية المزارع الصغير من نزع ملكيته لأرضه سداداً للدين المستحق عليه .

Great Britain & Palestine, op. cit., p. 86 (٢)

ibid , p. 87 (٣)

آنذاك . وقد تبين من إحياء مشروع انشاء المجلس التشريعي من جديد ، أن نسبة الأعضاء غير الرسميين بالمجلس كانت كسابقتها في مشروع عام ١٩٢٢ ، تتضمن الاجحاف للعرب والمجاملة لليهود . وأنه ليس من اختصاص المجلس النظر في شرعية الانتداب ، ويكون للمندوب السامي حق نقض قرارات المجلس في ظروف معينة ويكون له عدم التقيد بأراء المجلس حول الهجرة ، ولم يكن من حق المجلس أن يدعي لنفسه الحق البرلماني في الحكم . والمجلس يتألف من ثمانية وعشرين عضواً منتخباً ، منهم خمسة من موظفي الادارة البريطانية ، ثلاثة من المسلمين وأربعة من اليهود ومسيحيان يختارهم جميعاً المندوب السامي ؛ عضوان يمثلان المصالح التجارية ، اثنا عشر عضواً منتخباً منهم ثمانية من المسلمين وثلاثة من اليهود ومسيحي واحد . أما رئيس المجلس فيعيه المندوب السامي من خارج فلسطين ، وهو محاييد لا يناقش ولا يصوت^(١) .

وعلى الرغم من هذه القيود الموضوعية على صلاحيات المجلس ، فان العرب لم يرفضوا البحث في المشروع ، وردت الأحزاب العربية على مذكرة المندوب السامي منتقدة تلك القيود ، الا أنها تركت المجال مفتوحاً أمام التفاهم ، وان يكن القبول به مباشرة يعني التخلي عن مبدأ عدم شرعية الانتداب وقبولهم بوعدهم بلفور ، على النحو الذي يفيدون فيه من شرطه الثاني . وقد يكون السبب في عدم رفض العرب للمشروع معارضة اليهود له بشدة ؛ فقد كان المؤتمر الصهيوني التاسع عشر الذي انعقد في لوسرن (سويسرا) في خريف ذلك العام قد رفض مشروع المجلس التشريعي ، على اعتبار أنه (يتناقض مع روح حك الانتداب) في هذا الدور من تقدم فلسطين ، أي ما دام اليهود أقلية بالبلاد .

(١) صدر ككتاب ابيض بتاريخ آذار ١٩٣٦ برقم (Cmd 5119)

ونقلت الوكالة اليهودية قرار الصهيونية العالمية الى المندوب السامي . وفي بريطانيا حشد الصهيونيون أنصارهم ولقيت محاولاتهم نجاحاً ملحوظاً ، بسبب مشاعر العطف على اليهود آنذاك نتيجة فعال النازية . وراح مؤيدو الصهيونية في مجلس العموم واللوردات يوجهون الأسئلة والاستجوابات الى وزير المستعمرات المستر توماس (شباط وآذار ١٩٣٦) ، وقيل في المناقشة التي جرت حول المشروع انها سجلت حالة من الحالات التي صدر فيها الحكم على العرب غيابياً . وتميزت المناقشة كلها بالتأكيدات المتكررة على عدم وجود أي خلاف فعلي بين العرب واليهود ، وبالاصرار على الوهم الطويل الخادع من ان كل ما يحتاج اليه الأمر ، لإذابة الخلافات بين العرب واليهود في روح فلسطينية وطنية مشتركة ، هو إيجاد ادارة حازمة مع المزيد من تشجيع الصهيونية (كذا) . وعجز توماس وزير المستعمرات عن الصمود في وجه معارضيه والدفاع عن سياسته ، وكان هناك عدد من الأعضاء دافعوا عن القضية العربية ، ولكن دفاعهم كان ضعيفاً وعاجزاً ، اذا قورن بالدفاع الذي حظيت به الصهيونية من عدد كبير من الخطباء ، كان أبرزهم سينكلر زعيم حزب الأحرار ، وثرشل ، ولم تلبث الحكومة ان تراجعت عن موقفها ، وقررت العدول عن مشروع المجلس التشريعي تماماً^(١) . وقابلت الصحافة الصهيونية موقف البرلمان بالابتهاج وسمته (انتصاراً يهودياً عظيماً) .

والواقع أن مناقشات البرلمان جاءت دليلاً قوياً على ما تتعرض له عدالة القضية العربية كلما انتقل ميدان مجتها الى العاصمة البريطانية ، حيث يسود النفوذ الصهيوني الذي يحرص على أن لا تضار مشاريع الوطن القومي و كأننا ادركت الحكومة البريطانية مدى الاستياء الذي ساد الجو العربي في فلسطين نتيجة المناقشات البرلمانية ، فوجهت دعوة الى الزعماء العرب في ٢ نيسان ١٩٣٦ للمباحثة في لندن حول القضايا الدستورية واعرض وجهة نظرهم

Great Britain & Palestine, op. cit, p. 88

(١)

اسوة بالزعماء اليهود الذين قابلوا وزير المستعمرات قبل أسابيع . وقبل الزعماء الدعوة في ١٨ نيسان ، ولكن الاضراب العام والثورة التي تلتها حالت دون سفرهم .

ولا ريب في ان المناقشات التي جرت في مجلس العموم ، وسحب الحكومة البرلمانية عرضها باقامة الحكم الدستوري - على وهنه - في البلاد كانا من الأسباب التي ساعدت على قيام الثورة^(١) . ولكن السبب الاكبر للثورة العربية يرجع دون شك إلى الهجرة اليهودية التي تزايدت الى حد هائل في السنوات الثلاث الاخيرة، الامر الذي ضاعف مخاوف العرب من اتساع الخطر الصهيوني، في حين لم تعمل السلطات مايساعد إلا على استفزاز مخاوف العرب وتغذيتها . ولكن فلسطين لن تبقى ابداً فلسطين التي عرفتها انكلترة، والعالم لن يبقى ابداً عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى . فلسطين التي عرفها الانكليز كانت وطناً عربياً جريحاً يلقي من تدخل السلطات ما جرحه في صميم عزته ، وما هوى بفقراؤه وفلاحيه وعماله الى حضيض الحرمان والتشريد والفاقة ، لمداد الديون وللحفاظ على الحياة . وفي سبيل الله مئات الشهداء العرب ضاعوا في لجة الدم التي فاضت على فلسطين . بيد ان البلد الشهيد لم يتروخ تحت هذه الضربات القاسية ، والشعب لم يغلب عليه قنوط ، فانصرف إلى مداواة جراحه، ولكن سم الاحتلال البريطاني المتحيز ابداً للصهيونية ، وتقادم المهجره اليهودية ، قد نفذ في اعصاب المجتمع وشرائنيه ، فأصبح عرب فلسطين لا تجتمع لهم كلمة الاعلى أمنية الثورة والاستقلال .

الاضراب العظيم والثورة :

والثورة انفجار غضب لكرامة ، قصتها قصة البطولة التي لا تزن ولا تحسب ، وجهها هو جمال التضحية النقية الصافية . يقدم عليها غير هيب الصبي والصبية ، والرجل والمرأة ، نوا جميعاً كل فوارق الطائفية والطبقات الاجتماعية ولم يعرفوا الا عروبة فلسطين، ولم يهتفوا الا بحرية العرب ووحدتهم واستقلالهم . ثمانية عشر عاماً والعرب يعانون فعال السلطات البريطانية التي صممت على تهويد فلسطين ، كما صمم (شيلوك) على رطل اللحم يقطعه

من جسم (انطونيو) . وهاجت خلالها خواطرم وهم يرون ان حكومة لندن بخلت عليهم حتى يجلس تشريعي عقيم ، ومن حولهم نجحت حركات الاستقلال العربي : في مصر والعراق والشام ، فزادت نفوسهم تطلعا الى تغيير الاسلوب بعد تعذر اقناع حكومة الانتداب بالعدالة والحق العربيين . بدا ذلك من نداء (الحرس الوطني) الذي تألف للسهر على حسن سير الاضراب ، وجاء فيه :

« لقد رأينا ان تغيير اساليب كفاحنا قبل ان نطلب الى الانكليز تغيير سياستهم . وسائنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الآن كفاح عملي شريف . هم الاصل في قضيتنا ، واليهود الفرع . هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء ابنائنا دفاعاً عن هذه الحركة الآثمة . بدنا مبسوطة للسلام والحضام . . . اننا لانهدد قواتكم الانكليزية العظيمة الهائلة ، لكننا اقمنا ، مع ذلك ، ان تظل فلسطين لنا ، أو نظوى شهداء ،^(١) .

بدأت الاضطرابات في منتصف شهر نيسان عندما اقدمت عصابة مسلحة على سلب ركاب قافلة من السيارات وجلبهم من العرب ، وأطلقت النار عليهم فأصيب يهوديان قتل اولهما وجرح الثاني ؛ اجاب اليهود في اليوم التالي باغتيال قرويين عربيين داخل كوخها في يبارة على طريق يافا . وفي اليوم التالي (١٧ نيسان) شيع اليهود جنازة القتل اليهودي واعتدوا على الباعة والمارة العرب في تل ابيب ، فاشتد حق العرب وأحسوا بحجمامة الخطب الرشيك ، وحينئذ جرت حوادث الصدام بين العرب واليهود في ضواحي تل ابيب قتل فيها سبعة من اليهود واثنان من العرب ، وجرح ثلاثون يهودياً وخمسة عشر عربياً ، وأحرقت خلالها اربعون داراً جلها عربية ، واشتد التوتر في شتى جهات فلسطين وخرجت مظاهرة صاحبة في يافا (٢٠ نيسان) فتصدى لها البوليس البريطاني وقتل فيها عربيين وجرح اثنين وثلاثين ، وقتل

(١) انظر نضه الكامل في ملاحق كتاب المؤلف « محاضرات في تاريخ قضية فلسطين » ص

العرب خمسة يهود وجرحوا ستة وعشرين . ثم تقرر الاضراب العام في بافا ه اعلانا لخطط العرب على الخطط الفاسدة التي يقصد منها اباده العربي في بلده العربي ، واحتجاجاً على السياسة الغاشمة التي اتبعتها الحكومة البريطانية منذ الاحتلال حتى الآن ، . ولم يلبث الاضراب ان عم جميع انحاء فلسطين ، وتوحدت الجهود ، ودخلت قضية الكفاح القومي مرحلة جديدة تعطلت خلالها مرافق الحياة في شتى وجوها ، وتكتل العرب في لجان قومية بحسب مناطقهم ومنهم . لقد ردد عرب فلسطين المثل الرائع الذي ضربته دمشق في اضرابها الذي استمر قرابة الشهرين قبل ذلك ، ولكنهم تجاوزوه وأوصلوه الى ذروة التضحية والفداء ، حتى دام ستة شهور . وبازاء هذا الاجماع الشعبي المؤثر ، اضطرت الاحزاب العربية السياسية الى تأليف جبهة قومية واحدة . فاجتمع ممثلوها في القدس (٢٥ نيسان) وقرروا تأليف (اللجنة العربية العليا) برئاسة مفتي القدس الحاج محمد امين الحسيني ، وعضوية : جمال الحسيني ، راغب النشاشيبي ، احمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين الخالدي ، يعقوب فراج ، ألفرد روك ، عوني عبد الهادي ، عبد اللطيف صلاح ، الحاج يعقوب الغصين . وصدر بيان اللجنة بالمطالب الوطنية وسط جو من الحماس القومي الرائع ، وتقرر فيه :

« الاستمرار على الاضراب العام الى ان تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلاً اساسياً تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية . » والمطالب هي :

- ١ - منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً .
- ٢ - منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود .
- ٣ - انشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي .

وعلى الرغم من ان الزعماء الوطنيين كان يفترض ان يوجهوا الحركات الوطنية ، غير ان جماهير الشعب الفلسطيني كانت اكثر اندفاعاً وحماساً من اللجنة العربية العليا ؛ ونحت ضغط الجماهير المباشر كانت اللجنة مسوقة اكثر مما كانت قائدة ، ومع ذلك فان اندماج رؤساء الاحزاب والزعماء في اللجنة العربية العليا جعلها المركز الذي يصدر عنه التوجيه القومي

العام في نظر الشعب والسلطات. وكان ذلك من أقوى عوامل نجاح الاضراب واستمراره ثم ماتطور اليه من حركات جهادية وثورية . وقد اتخذ الاضراب العام طابع الشمول ، فعم شتى نواحي الحياة التجارية والصناعية والزراعية والمدرسية والنقلية في جميع المدن والقرى . ورافق الاضراب منذ اعلانه مظاهرات ضخمة في المدن وكان أكثرها دأماً . اشترك فيها وفي الاضراب النساء والرجال والطلبة والمدرسون والمحامون والقضاة والعلماء والكهنة والأطباء وحتى السجناء والموظفين ، وقفوا كلهم صفاً واحداً وأكدوا تضامنهم مع المطالب القومية . وفي المؤتمر العام الذي انعقد بالقدس في ٧ أيار وحضره مندوبون عن سائر أنحاء فلسطين ويمثلو اللجان القومية فيها رفع شعار « لا ضرائب بلا تمثيل شعبي » . واتخذ قرار اجماعي بالامتناع عن دفع الضرائب ابتداء من ١٥ أيار « اذا لم تغير الحكومة البريطانية سياستها تغييراً أساسياً تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية^(١) . فكان هذا القرار نذيراً بالعصيان المدني وتقدماً محتوماً نحو الثورة المباشرة . واذ لم تبدر من حكومة الانتداب بادرة ايجابية أذاعت اللجنة العربية نداء طلبت فيه من الشعب التنفيذ فنفذ وعيده . وبسبب الشلل الاقتصادي الذي نجم عن الاضراب لم تجرؤ السلطات على إلزام الناس بدفع الضرائب فظل الامتناع نافذاً طوال فترة الاضراب . ولكن السلطات أعلنت تطبيق قانون الطوارئ القاضى بمعاينة من «محل» بالأمن ، وبفرض غرامة مشتركة على القرى التي « يعتقد » حاكم اللواء أن بعض أهلها ارتكبوا جرماً أو تسبوا على الفاعلين ، ويهدم منازلهم . وبعد أن أخفقت اجراءات الردع برغم قسوة الأحكام^(٢) ، أعلنت حكومة لندن عزمها على ايفاد لجنة ملكية لكي تقوم

(١) A Survey of Palestine , vol. 1 , P . 35

(٢) السجن ست سنوات لحيازة مسدس واثنى عشرة سنة لحيازة قنبلة ، وخمس سنوات مع الأشغال الشاقة لحيازة ١٢ رصاصة ، وستين حمل مدينة .

« بتقصي أسباب الاضطراب وتحرى شكاوى العرب واليهود المزعومة » .

رفض العرب القبول بلجنة تحقيق أخرى وتابعوا اضرابهم وتشددت السلطة في محاربة أعمال المقاومة العربية المتصاعدة ، عن طريق اعتقال الزعماء العرب وابعادهم ، ودعت المناشير الناس الى (الثورة العربية) ، وتشكلت عصابات المقاومة العربية في الجبال ، وتوافد المتطوعة العرب الى فلسطين من شرق الاردن وسورية ولبنان والعراق ، حيث تألفت لجان الدفاع عن فلسطين ، وجمعت لها التبرعات وتضامنت معها بالمظاهرات وبالجهادين ، يعبرون الحدود ويؤازرون الثوار .

والحق أن الاضراب قد تحول منذ مطلع الصيف الى ثورة علنية مسلحة اشتركت فيها مختلف طبقات الشعب العربي في فلسطين من فلاحين وعمال ونجار ومثقفين ، ورفدتها الأقطار العربية المجاورة رفقاً كريماً قوياً . وقامت الى جانب اللجنة العليا لجنة مركزية لجمع التبرعات والاعانات في فلسطين وتتلقى ما ترسله الأقطار العربية من معونات ، فساعدت على تفريج ضائفة الطبقة العاملة والكادحة التي كان للاضراب تأثير لا يستهان به على معاشها . كذلك عاونت في العناية بالجرحى وأسر الشهداء والمحكومين ، واهتمت بالشؤون الدعائية والعامية . وانخذت الثورة أشكالاً متنوعة مثل تخريب الجسور ونسف السكك الحديدية وقطع المواصلات الهاتفية ، وتدمير أنابيب البترول الناقلة له الى مصبه في حيفا . ومثل مهاجمة الثكنات العسكرية وقوافل الجيش البريطاني وضربها في مواقع جبلية تعرقل تحرك معدات الجيش وآلياته بسرعة وسهولة . وكثيراً ما تمتد رقعة المعارك فنتشرك فيها الطائرات والمدرعات والمدفعية على شكل معارك حربية واسعة النطاق ، وكان من أشهر هذه المعارك في الشهرين الأولين من الثورة معارك نور شمس^(١) وعين حارود

(١) بلاغ القائد العام للثورة العربية «٤ ايلول ١٩٣٦» حول معركة نور شمس وغبتا التي خسر فيها البريطانيون ٨٠ قتيلاً و ٣ طائرات . انظر خضر العلي محفوظ « تحت راية القاوقجي » ، دمشق

ووادي عزون (حزيان) وباب الواد (تموز) تاقط خلالها العشرات من الثوار العرب والجنود البريطانيين . واعترف كاتب مؤيد للصهيونية بأن « الثورة كانت أكبر حتى مما بدت فيه ، وكان العمل على سحقها في هذه المرحلة ، يعني القيام بجملة عسكرية رهيبة ضد جماهير السكان »^(١) .

لجأت حكومة الانتداب الى التدابير العسكرية والوحشية لقمع ثورة الشعب ، فلم تفلح وإنما زادت النار ضراماً ؛ فرض منع التجول من الغروب حتى الشروق ، وكان يمتد أحياناً حتى ٢٢ ساعة في اليوم ويسمح للناس بالتجول ساعتين لقضاء حاجياتهم . وأعلنت الأحكام العرفية وتشكلت المحاكم العسكرية ووضعت المواثيق تحت المراقبة مع طرق المواصلات ، وفرضت الغرامات المشتركة ، وأنشأت السلطة معتقلين في صرند لسجن ألوف العرب ، وعمدت الى تدابير انتقامية كقتل القرى ونسف منازلها وتشريد أهلها الآمنين واعتقال كثير من شبابها وشيوخها ، وزجهم في السجون بتهمة مساعدة الثوار . أو اطلاق النار على الأهلين وقتل مواشيهم وقطع أشجارهم ، الأمر الذي يزيد نعمة العرب فتتضم جماعاتهم الى فرق المقاومة الثورية في الجبال .

نسف يافا القديمة

ان نسف السلطة الانكليزية للحي العربي القديم في يافا يمثل ذروة فعال الوحشية والظلم والارهاق . فحين امتنع هذا الحي على سلطات البوليس والاحتلال ، قررت نسفه برمته بحجة « أن الحكومة على أهبة البدء في مشروع يرمي الى توسيع المدينة وتحسينها » !! وفي ١٦ حزيران أنذرت السلطة أهالي الحي بواسطة مناشير الطائرات لاختلائه بدعوى أنها

Sykes, op. cit, p. 184

(١)

على وشك عمار وتحسين مدينة يافا القديمة ببناء طريق لمنفعة أهالي المدينة بأكملهم،^(١) . وفي ٢٩ حزيران NSF الحمي بالمتفجرات فهدم فيه : ٢٢٠ داراً كانت تقطنها ٤٥٠ عائلة عربية . وهو يعتبر من أشد مراكز العرب ازدحاماً وانتعاشاً في مدينة يافا . وقد اعترف قاضي قضاة فلسطين السير ميخائيل مكدونل بحق العرب الذين هدمت بيوتهم ، حين رفع أحدهم دعوى على الحكومة ، واشتمل قرار المحكمة على تنديد بالحكومة وجاء فيه : « أن المدعي في هذه القضية قد قام بخدمة عامة بتقديده هذه الدعوى وإظهار ما يجب أن ندعوه « منتهى عدم الشجاعة الأدبية الفريدة في بابها » من جانب الإدارة الانتدابية في فلسطين بصدده هذه الحوادث .

« .. ولا شك في أنه كان بما يشرف الحكومة لو أنها صرحت ، بدلا من أن تذر الرماح في عيون الشعب ، بأن الموحى بعملية الهدم هو التحسين والتجميل والعمل لتنظيم المدينة والعناية بالصحة العامة ، وقالت بصدق وبساطة ان الهدم المنوي اجراؤه كانت مقاصده دفاعية ، ويقصد بذلك تسهيل دخول القوى العسكرية وقوى البوليس الى الأحياء الغاصة بالسكان في المدينة المذكورة » . وجاء أيضاً في حكم قاضي القضاة البريطاني : « توجد رواية شهيرة جداً تصف ادارة أية حكومة (كمكتب دولاب دوار) وتخصص تلك الدائرة لعمل الأمور خلافاً لجرأها الطبيعي . ويظهر أن شيئاً مشابهاً لذلك قد وجد طريقه الى فلسطين ، ولكن حقيقة ذلك العمل أخفيت بكل حرص .. »

وختم مكدونل بيانه بعد توضيح أسباب اتهامه للسلطات بنقص الشجاعة الأدبية :

(١) جاء في كتاب فرنسيس نيوتن انه دمر ٨٠٠ منزل يسكنها ٦٠٠٠ شخص كان عليهم ان يتزاحوا في المدارس والامكنة على الساحل ، وحتى الآن (تشرين الثاني) كل ما حصلوا عليه من الحكومة (للتعويض) هو منحة ه بنسات يومياً لكل شخص ولمدة اسبوع .

Newton, Frances, E. • Fifty Years in palestine • London & Brussels
1918 p. 287

« إنه نفي للعدالة ، في قضية مراوغة ساطعة كهذه ، إن لم تعبر هذه المحكمة العليا عما يجول في ذهنها مجرية » . وبعد ذلك بوقت قصير ، ظهر مقال في جريدة التايمس (٢٣ تموز) يعلق باستياء على نقص التعاون بين الادارة الانتدابية والسلطة القضائية في فلسطين ، وإثر إصدار مكدونل لحكمه ، استقال من منصبه . ومهما كانت استقالته طوعية أم موعزاً بها ، فلم يكن من انسان في فلسطين إلا ويعتقد أن وزير المستعمرات (اورمبسي غور) كان له دخل تام باستقالة مكدونل : « ولن يجرؤ اورمبسي غور أن يقول في وقت ما أنه لم يكن له دخل من أي شكل بذلك ، وهكذا يضحى بالمبادئ الديمقراطية لخدمة الصهيونية السياسية »^(١) .

ولكن مثل هذا الصوت التزيه الذي يؤكد استقلال السلطة القضائية عن جميع المؤثرات كان لا يعجب الصهيونية وأنصارها ، فدعوا بصاحبه حتى « استقال » من وظيفته في ٢٢ أيلول ١٩٣٦ ، وهو ثاني قاض قضاة بريطاني يقال من منصبه لأنه وقف بجانب الحق والتزمه .

ويرى (مارلو) أن « الادارة الانتدابية بدلاً من اعلان مسؤوليتها الكاملة عن الهدم ، اذا بها تحتفي وراء مزاعم مضحكة من الحفاظ على الصحة وتخطيط المدن ، ومن ثم تسلك كسلوك اولاد المدرسة الذين قبض عليهم بجنحة ، ورفضوا الاعتراف ! »^(٢) .

وحول فعال السلطات البريطانية التي أرسلت باستدعاء النجيدات العسكرية من خارج فلسطين ، كتبت فرنسيس نيوتن البريطانية وصفاً دقيقاً وأميناً تقول : « وفاضت المعتقلات بثبات الأبرياء دونما محاكمة ، أو اسناد تهمة ، ونظمت المهاجم العسكري ، وراحت تحمك بالاعدام ل مجرد حيازة سلاح ناري ، وبالسجون نحو ألفين . ومضت الفرق

Newton, op. cit., pp. 288-289

(١)

Marlowe, op. cit., p. 161

(٢)

العديدة المدربة من جنودنا ، بعددها وأسلحتها الكاملة من طائرات ودبابات ، تمنع فتكاً وتقتيلاً في عصابات الثوار في المرتفعات ، وما سلاحهم الا بنادق عتيقة (من مخلفات الحرب الاولى) ، وبضعة من المدافع الرشاشة . ولقاء ٨٠٠ قتيل عربي ضحاياهم شهداء في سبيل حقهم المهضوم ، ما كادت الحسارة من جانبنا تبلغ ٢٨ قتيلاً من جنود وبوليس^(١) . وما تنسى الغرامات المشتركة الباهظة تفرض على القرى من أجل أسلاك تلغراف أصبحت مقطوعة ، أو قطار انقلب عن سكوته ، من دون قيام أي دليل على الفاعل وما أتاه . وحيثما تأخرت الغرامة عن موعدها نسفت مئات المنازل بمحتوياتها نسفاً ، وهام أهلها من عجز ونساء وأطفال ، على وجوههم ، يتضورون جوعاً، وقد أتلقت مؤنهم المذخورة ، وضبطت مواشيهم وأغنامهم ،^(٢) .

تصاعد الثورة :

هذا الى أن حكومة الانتداب أصدرت قانوناً يحول الحكام الاداريين اجبار الناس على فتح محلاتهم ، فنقلوا سلعهم الى بيوتهم وقدم كثيرون منهم مفاتيح حوانيتهم الى اللجان القومية وأصبح القانون بلا جدوى . واعتباراً من منتصف أيار توالى المدد العسكري البريطاني الى فلسطين من مصر ومالطة حتى بلغ مجموعه خمسين ألفاً . وبعد نحو شهر ونصف من بدء الحركات الثورية التحق بها مئات من العرب المسلحين من الاقطار العربية المجاورة (الشام والعراق) وفيهم ثلاثة من أبطال الثورة السورية وهم الشيخ محمد الأشتر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص ، تمر كزكل منهم في منطقة وأبلى أحسن البلاء . الأشتر تمر كز في طولكرم ، والعاص تمر كز في قضاء الحليل حتى بيت لحم ، وكان البطل عبد القادر بن موسى

(١) وأبن هذا من كارثة فندق الملك داود ، من حوادث الارهاب الصهيوني المغتفر !!

Newton , op. cit., p.281

ibid

(٢)

كاظم الحسيني مساعداً له ؛ أما القاوقجي فقد ترأس حملة حسنة التجهيز والتنظيم وتمركز في مثلث نابلس وخاصة في منطقة جنين .

ويوم وصول الحملة وزع منشور بتوقيع (فوز الدين القاوقجي قائد الثورة العام) يدعو الناس فيه الى الالتفاف حوله والانضمام اليه ، ويقرر ميثاقاً له : «الاستمرار في النضال الى أن تتحرر فلسطين وتستقل وتلتحق بقافة البلاد العربية المتحررة»^(١) . ونظم القاوقجي قواته وفقاً للقواعد الحربية المستندة الى سلاح الاستخبارات لكشف حركات القوات البريطانية ومراكزها وخططها ، فيهاجم ، ويدافع أو ينسحب حسب مقتضى الفن الحربي . وكان يعقب كل معركة بلاغ حربي عنها ، وأهبت البلاغات الحربية الحماس في صدور العرب المجاورين ، فتوافد عديد من الشباب العربي الى فلسطين للالتحاق بالثورة . ولم تلبث المعارك أن تصاعدت في شدتها بين قوات الثورة العربية وقوات الاحتلال البريطاني في مناطق بلعا وبيت أمرين ودير شوف وجبع وعزون والجاعونة وحلحول والحضر وكفر صور وغيرها^(٢) . وكثيراً ما كانت تتسع ساحة العمليات الى ١٠ و ١٥ كيلو متراً : تبدأ المعركة عادة بمحكمة تطويق واسعة وتنتهي بعد قتال مرير بانسحاب القوات البريطانية - حالما يجيم الظلام . وقد خول المندوب السامي صلاحيات ضخمة لقمع الثورة وخنق الحريات وفرض الغرامات والعقوبات ، وأمر بأن تلقى الطائرات منشورات على الفلاحين لتقنعهم بضرورة فك الاضراب ومقاطعة الثورة ، وذلك كجزء من سياسة خيثة ترمي للايقاع بين الموسرين والفقراء : « الرجل الغني يعيش مرتاحاً في المدينة . هو لا يعرض أسباب معيشته للخطر ، ولكنه يطلب الى الرجل الفقير أن يفعل ذلك » . وبين التاجر

(١) محمد عزة دروزة « حول الحركة العربية الحديثة » ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) أسقط الثوار اكثر من سبع طائرات حربية بريطانية أثناء المعارك ، ولم تعترف الادارة البريطانية بها . تماماً كما كانت تنكر خسائرها وتبالغ في تقدير خسائر الثورة . انظر محفوظ ، المصدر السابق ، وطالع البلاغات حول عمليات الثورة ص ٥٨ - ٥٩ ، ٦٣ - ٦٤ ، ٨٢ - ٨٤ ، ١١١ - ١١٢ الخ

الكبير والتاجر الصغير : « ان الذي يخسر هو البائع الصغير الذي تلتف بضاعه اذا حاول بيعها » . وبين أبناء القرى وأبناء المدن : « ان الذي يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع بيع محصولاته في السوق »^(١) . ولكن أحداً لم يصغ الى هذه التويلات المغرزة ، واستمرت الثورة وشملت طبقات الشعب جميعها ، حتى أن الموظفين العرب في الادارة الانتدابية والقضاة خرجوا عن التحفظ في نهاية حزيران ، ووجه كبارهم عريضة الى المندوب السامي^(٢) انتقدوا فيها بصراحة وجرأة سياسة العنف التي تمارسها الحكومة ضد العرب ، وأشاروا الى موطن الداء بقولهم :

« ان السبب الحقيقي للتدمير الحاضر ، هو أن الشعب العربي بكامل طبقاته وطوائفه يشعر شعوراً عميقاً بأنه مظلوم ، وبأنه لم يُلتفت في الماضي الالتفات الكافي الى شكواه المشروعة ، رغم ما أجراه فيها من تحقيقات محققون ورميون نزهون من أصحاب الخبرة فأقروا بصحتها الى حد كبير . ونتج عن ذلك أن تولدت في العرب حالة أشبه باليأس ، وليست حالة القلق الحاضر في الواقع سوى تعبير عن ذلك اليأس .

« لاشك أن لدى الحكومة من الوسائل ما يمكنها اخماد حركة التمرد الحالي على مدار الأيام ، ولكن الشعور سيبقى ، ويظل دائماً مصدر اضطراب وافتراق ، وستفشل القوة حتماً في اخماده . وما من سبيل الى ازالته الا في ازالة الأسباب التي ولدته . ولكن لم يقم دليل واحد بعد على أن الحكومة قد أدركت هذا الاتجاه القويم .

« ولنا نتردد في القول بأن ايقاف الهجرة هو الحل الوحيد العادل الشريف للخروج

(١) صدقة - المصدر السابق من ١٨٦ .

(٢) Marlowe , op. cit., p. 162 , Survey of Palestine ,

op . cit . , p . 36

من المأزق الحاضر .. ان النظام والسلطان أساس الحكم ، ولكن السلطان يؤمن العدل للجميع ، واذا لم يؤمن العدل ، ينهار^(١) .

وقعت هذه العريضة ١٣٧ من القضاة والموظفين العرب الكبار في الادارة الانتدائية. وبرغم اعتدال لمجتهم فانها أعربت بصراحة عن اعتبار الاضطرابات نتيجة لليأس الناجم عن ضياع الثقة في الوعود والعهود الرسمية ، وعن عمارة الحكومة اذ تحاول أن تقمع الثورة بالقوة بدلا من العمل لإزالة أسبابها . وتلتها عريضة وقعتها ١٢٠٠ موظف عربي آخرون . ولكن الادارة الانتدائية ظلت سادرة في غيبها ، مخذولة ، مغلوطة على أمرها لنفاذ كلمة الصهيونية فيها ، وخاصة بعد أن أشغل ويليام أورمبسي غور المعروف بميوله الصهيونية ، منصب وزير المستعمرات ، مما أثار حفيظة العرب ، وأذكى نيران ثورتهم حدة .

ان سياسة الادارة البريطانية في الحفاظ على السلام عن طريق اصدار « بيانات مؤكدة » بحسن نواياها للعرب كانت تتحسّر بوضوح. وفي خلال الأسابيع القليلة القادمة أو على الأكثر الأشهر القادمة ، فالحكومة ستضطر إما للتخلي عن سياسة بموجها تتحول فلسطين تدريجياً الى كومنولث يهودي خلاف أمانى الشعب العربي ، أو اللجوء ثانية وبصراحة الى سياسة القهر والعنف العكري . هذا الى أن المسألة قد اتخذت أبعاداً جديدة الآن وفي ميدان أوسع ؛ فالمسألة الفلسطينية لم يعد بحثها من اختصاص الحكومة البريطانية والمنظمات الصهيونية ولجنة الانتدابات الدائمة ضد عرب فلسطين ، لأن هؤلاء الأخيرين أصبحت ظلّامتهم تستقطب اهتمام العرب في الوطن العربي كله علاوة على جميع المسلمين في العالم^(٢) . وبينما كانت الحركة اللاسامية في المانيا تهدم أحد مراكز القوة اليهودية في أوروبا ، كانت الثورة

(١) صدقة - المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

Marlowe, op. cit, p. 169

(٢)

العربية الناشئة في فلسطين تستحوذ على اهتمام الرأي العام البريطاني بالمسألة العربية ، ولم يعد يعرف على وجه التأكيد الى أي مدى يمكن للصهيونية أن تعتمد على الدعم البديهي المعتاد من البرلمان البريطاني ، ومن القوات المسلحة البريطانية . واستمر الاضراب دون أي ضعف ، وتساعدت اعمال الثوار في الهضاب والمرتفعات ، وبدا بوضوح ان الثورة أخطر بكثير من الاضراب . وفي بداية شهر ايلول اقترحت حكومة الانتداب على حكومة لندن أنه ينبغي وقف الهجرة مؤقتاً لاقناع العرب بإنهاء اضرابهم ، ثم بوشريارسال المزيد من التعزيزات العسكرية البريطانية بقيادة الجنرال (ديل Dill)^(١)

أن هدوء شهر تشرين الأول ١٩٣٦ لم يكن هدوء السلام ولكن هدوء الهدنة المسلحة؛ فقد أملت الحكومة البريطانية أنه بالتعامل اللين نوعاً مع الثوار، وباعدام بعضهم ، وبالحكم على آخرين أحكاماً خفيفة ، سوف تتجنب تأريث المرارة في قلوب العرب . ولكنها لم تتحقق أن ضياع حرية العرب وتهويد أقدس بلادهم كان بالنسبة لهم مرارة أعظم من مرارة الموت . ومهما يكن الأمر فثمة نيف وألف عربي قد استشهدوا على يد الجيش والبوليس البريطاني فهل يختلف الأمر اذا حكمت المحاكم المدنية والعسكرية بالاعدام شنقاً أو رمياً بالرصاص على بضعة عشرات أيضاً؟!^(٢) .

إزاء الصمود العربي لم يسع البريطانيين سوى الحيلولة دون تفاقم الحطاب مع الحرص على المراوغة والحداع ، شأنهم دائماً حين يواجهون عواصف الغضب الشعبية الشاملة . ففي بادئ الأمر استدعى المندوب السامي للجنة العربية العليا في محاولة لاقناعها بفك الاضراب ، وإيفاد ممثليها الى لندن لعرض مطالبهم فيها ، ولوح باستحالة رضوخه للعنف ومقدرته على قمع

Marlowe, op. cit, p. 163

(١)

Barbour, op. cit., p. 172

(٢)

بصرامة ، فأجابته اللجنة بأن العرب فقدوا الثقة بلجان التحقيق ، وإنما هم ينظرون بادرة عملية ايجابية كوقف الهجرة اليهودية فوراً . وفي حين صرحت حكومة لندن بأنها ستوفد لجنة ملكية لدرس بواعث الاضطرابات ومعالجتها في نطاق التزامات الانتداب ، مضت في توسط بغداد والرياض لاقتناع الثوار بوقف نشاطهم والاجتماع بلجنة التحقيق . وأذاعت اللجنة العربية العليا في ٣٠ آب ١٩٣٦ أنه نتج عن مداولتها مع نوري السعيد وزير خارجية العراق « التفاهم التام والموافقة على وساطة الحكومة العراقية وأصحاب الجلالة والسوملوك العرب وأمرائهم . . وستستمر الأمة على اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بها ، رافعة الرأس ، راسخة الايمان ، متريثة رزينة الى أن تصل هذه المفاوضات الى النتيجة المرغوبة » .

وكان الوزير العراقي قد ألمح في أحاديثه الى أن الوساطة ستكون بتضامن بغداد مع صنعاء والرياض وعمان ؛ وتذكر المصادر العربية أن نوري السعيد كان قد حضر الى فلسطين في أواخر شهر أيار ١٩٣٦ ووضع بالاتفاق مع اللجنة العربية شروطاً تجرى بموجبها الوساطة العراقية بين عرب فلسطين وبريطانيا لفك الاضراب . وأهم هذه الشروط أن توقف الهجرة اليهودية مؤقتاً ريثما تحضر لجنة التحقيق وتضع تقريرها^(١) . ولكن يبدو أن الحكومة البريطانية لم تقبل هذه الشروط ، لأن وزير المستعمرات كتب الى الدكتور وايزمن ينفي أن تكون الحكومة أو المندوب السامي قد فوضا نوري السعيد لكي يتوسط في

(١) يروي الكاتب الصهيوني (هبروتر) بصدد الوساطة أن نوري السعيد وصل الى القدس في ٢٠ آب واجتمع بموشه شرتوك الناطق السياسي باسم الوكالة في محاولة لاقتناعه بأن اليهود إذا وافقوا طوعاً على وقف الهجرة مؤقتاً « كبادرة شكلية » ، فانهم يقنعون العرب بأن اليهود مخلصون في رغبتهم بالتفاهم . وقد اعترض شرتوك على الاقتراح لأنه يمثل استسلاماً للعنف ولأنه يرى ان الهجرة الى فلسطين حرق مطلق لليهود . Hurewitz, op. cit., p. 70

حل مشكلة فلسطين . والوزير البريطاني جانب الحق في نفي معرفة حكومته بشيء عن حديث الوساطة العراقية ، فلا يعقل أن تحفى مداولات نوري السعيد مع اللجنة العربية على المدوب السامي أو أن تجرى بدون علمه وترخيصه وموافقته حيتا . وصدق حدس العرب هذه المرة أيضاً في أن بريطانيا غير جادة مطلقاً في انصافهم وأنها ما تزال تماليء ، عن رغبة أو رهبة ، المطامع الصهيونية .

ويعترف المتعاطفون مع الصهيونية أن بريطانيا كانت وراء مساعي الوساطة العربية لوقف الاضراب والثورة ؛ يقول (سايكس) « . . . ولم يمض وقت طويل حتى كان حكام العراق وشرق الأردن والعربية السعودية واليمن ، باغضاء مؤكدمن بريطانيا ، واقترح مرجع منها ، يوجهون نداء الى اللجنة العربية العليا في فلسطين ، يناشدونها فيه العدول عن الاضراب » والاعتماد على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة في تحقيق العدل .^(١) أما (مارلو) فيقول ان « محاولتي الوساطة قد تمتا بموافقة خفية من الادارة الانتدابية » .^(٢)

صدر هذا النداء بنص واحد تقريباً ، ورد من عاهل السعودية ابن سعود وعاهل العراق غازي والامام يحيى والامير عبد الله (٨ - ٩ تشرين الأول) : « حضرة رئيس اللجنة العربية العليا ، الى أبنائنا عرب فلسطين :

« لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ، ندعوكم للاخلاق الى الكينة حقناً للدماء ، معتمدين على حسن نوايا

Sykes , op. cit., p. 186

(١)

Marlowe, op. cit., p. 162

(٢)

صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم .

وأذاعت اللجنة العربية بياناً في تشرين الأول شكرت فيه الشعب على ما بذله من جهد، وأعلنت حل الاضراب والاضطراب ابتداء من صباح يوم ١٢ تشرين الأول الذي صادف ليلة الاسراء ، ودعت الشعب في اليوم التالي لاقامة الصلاة على أرواح الشهداء . وانتهى الاضراب العظيم ، وانتهت الثورة مؤقتاً بعد هذا البيان ، وقد أسفرت في هذه المرحلة عن استشهاد نيف وألف عربي ، وانسحب القاوقجي ومن معه من المجاهدين الى شرق الاردن والعراق . وعاد الأشتر الى سورية^(١) ، وأفسح المجال امام لجنة التحقيق للقيام بمهامها .

أما اليهود فكانت الثورة لطمعة شديدة لآمالهم ومشاريعهم نظراً لما سادها من مقاطعة وغلاء ولجوء كثير من سكان المستعمرات الى المدن ، وانقطاع المواصلات وانسحاب البواخر المحملة بالسلع اليهودية والمهاجرين اليهود من ميناء يافا بدون تفريغ . ثم بما كان من نزوح عدة آلاف من اليهود عن فلسطين في بعض الأشهر عائدتين الى مواطنهم الاولى . وقد خشي زعماء اليهود مغبة ذلك ، فلم يتوانوا عن الانتقام والعدوان ومطالبة السلطات بالعمل على وقف الاضراب ، والاحتجاج على ما سموه (بالتهاون) في قمع العرب ، وتلك صفاقة معروفة عن الصهيونيين في مجافاة الحقائق النافذة ، وتجاهل خطة الادارة في العسف والقمع العسكري . وأشار اليهود الى ما أصابهم من أضرار وطلبوا بتوسيع نطاق الهجرة - لأنها العلاج الوحيد - وحضوا على تخصيصهم بأكبر قسط من أعمال الادارة ، كما طالبوا بانشاء جيش يهودي لمحابتهم من تأزم الأمور .

كان وضع الجيش اليهودي السري المسمى بالهاغانا يكتنفه الغموض منذ بداية عشرينات

(١) استشهاد البطل سعيد العاص غيلة وغدرأ بتعريض من السلطات البريطانية ، كما ورد في بلاغ القيادة العامة للثورة بتاريخ ١٠/١٠/١٣٩٦ . محفوظ ، المصدر السابق ، ص ٨٢ - ٨٤ .

القرن الحادي ، وبما أن الإدارة البريطانية لم تكن تعترف رسمياً بوجود الهاغانا ، غير أنها كانت تغض نظرها عن وجوده ونشاطه ، بل أنها أبدته الى حد رسمي كبير كاجراء ضروري للدفاع اليهودي عن النفس . وحين كان اليهود قد شرعوا في عهد هيرت صموئيل يشكون جيشهم السري ، أصدر الدوق ديفونشاير وزير المستعمرات تعليقاته الى المندوب السامي بالسماح لليهود بالحصول على السلاح اللازم (تجنباً لقيام قوة عسكرية يهودية سرية) . ولكن الإدارة البريطانية لم تتابع هذه السياسة بعد خروج الدوق من وزارة المستعمرات ؛ وتآلف الجيش اليهودي السري الذي ظل غير مشروع من الناحية الرسمية ، وان كانت الإدارة تعترف لليهود بحق الدفاع الذاتي ، وهذا يعني تزويدهم بكميات من السلاح لهذا الغرض ، وغالبا ما كانت تغض عيونها عن تهريبه لهم كما أشرنا غير مرة . كذلك تظاهرت الوكالة اليهودية بأنها تتبع سياسة ضبط النفس تجاه العرب ، وتعتذر عن حوادث الانتقام اليهودي الموجه ضد العرب بأنها لا تمثل سياسة عامة موعزاً بها . وكان الهدف التكتيكي من هذه السياسة المعلنة ، كسب ثقة البريطانيين ، وتأمين انطباعات موالية للصهيونية في الرأي العام البريطاني والأمريكي ، في وقت كان العالم المتحضر لا يزال يسوده حب التطلع الى السلام . حتى اذا أدت الوساطة العربية الى وقف الاضراب والثورة ، أخذ اليهود يستمدون من قوتهم قوة فصفون الاضراب بأنه مهزلة ، ولكنهم كشفوا عن فزعهم حين رأوا اعلان الاضراب الذي طالما هزأوا بمجدواه ، ودبروا اعتداءات جديدة على العرب بقصد إثارتهن ثانية بغية احباط ما قد ينجم عن تحقيق اللجنة المتوجهة الى فلسطين .

يبد أن السياسة البريطانية لم تدع العرب يحتفلون بنشوة النصر التي خرجوا بها من الاضراب والثورة ؛ ذلك ان وزير المستعمرات ألقى بيانا في مجلس العموم (ه تشرين الثاني ١٩٣٦) يوم سفر اللجنة الملكية بجرأ الى فلسطين قال فيه : ان وقف الهجرة في أثناء تحقيق اللجنة الملكية لا تسوغه أسباب اقتصادية أو خلافا ، وانما يعرقل مهمة اللجنة ،

وفيه استباق لما ستقرره اللجنة التي ستهتم بمعالجة مشكلة الهجرة ، ولذلك وبناء على ما وصى به المنذوب السامي ، حدد جدول الهجرة للعامل للستة أشهر القادمة التي تبدأ بأول تشرين الاول بألف وستائة شهادة ، وذلك غير اصناف الهجرة الاولى التي ستستمر وفقا للقانون . وعلى الرغم من أن مقابلة اللجنة العربية العليا للندوب السامي كانت صاحبة ومنذرة ، ولكنهم لم تسفر عن رفع اللغم الذي دسه السياسة البريطانية في موقف العرب تجاه لجنة التحقيق القادمة .

ان وزير المستعمرات في بيانه الغامض جداً كان يعني في الظاهر أن الادارة الانتدابية سوف تعاود اتباع نهجها الاول في امتداح « مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب » ، وأنها لن تصدر جدولاً سخياً الى حد التطرف بالمهاجرين اليهود ، كما كانت تفعل من قبل . ان الشكل الذي صيغ فيه البيان ، بدا وكأنه يقصد ترك انطباع في نفوس العرب بأن نوعاً من الامتياز قد خصوا به . في حين أن واقع الحال لا ينطوي أبداً على شيء من ذلك . قد يجندع ذلك بعض الناس في بريطانيا ، ولكنه لن يجندع العرب . والنتيجة الحتمية للبيان كانت رفض العرب للتعاون مع اللجنة الملكية القادمة . وستباشر اللجنة أعمالها في ظروف دمر فيها وزير المستعمرات كل أمل بمصالحة الرأي العام العربي ، لأنه لم يكن ثمة سبب ظاهر لماذا لا يجب أن ينشر جدول بالمهاجرين اليهود بعد هذا التاريخ بشهر أو قبله بشهر . ان اذاعة البيان المتضمن لجدول المهاجرين في يوم ابحار اللجنة الملكية الى فلسطين لا يمكن أن يعتبره العرب إلا مواجهة مقصودة لهم .

وشجبت اللجنة العربية في بيانها الذي أعلنته في اليوم التالي (٦ تشرين الثاني) بيان وزير المستعمرات الذي يعتبر تحدياً شديداً لعواطف العرب ، وعدواناً صريحاً على حقوقهم ، ودليلاً واضحاً على فقدان حسن النية في حل قضية عرب فلسطين حلاً صحيحاً . . . فان اللجنة تستكر بكل شدة هذا الموقف ، وتقرر عدم التعاون مع اللجنة الملكية ، وتدعو

الأمة الكريمة أن تعمل بهذا القرار^(١)، ولم تكف بريطانيا بهذه اللطمة توجهها الى عواطف العرب وآمالهم بعد ما بذلوا من نضحيات غالية ، وانما توجهت بلطمتها الثانية الى من اصطنعهم لفك الاضراب ووقف الثورة ، من رؤساء العرب ، وذلك حين صرح وزير المستعمرات ان السلطة المنتدبة لم تكلف ملوك العرب ولا سواهم للتدخل في المسألة ، غير أن بعضهم دعوا من تلقاء أنفسهم أبناء دينهم الى الهدوء ، ولم تعارض الحكومة البريطانية ! ان هذا التصريح الذي صدر في اليوم التالي لبيانه الاول عن عدم وقف الهجرة ، لا يدل فقط على مدى اكثراث لندن بالملوك العرب الذي لا تحسب لهم أي حساب ، وانما يدل أيضا على اعتقادها الجازم بولاء الرؤساء العرب آنذاك لسياستها واستعدادهم لقبول معاذيرها مهما اتسمت بالمغالطة ومهما دمغت بالتحايل والغدر . ان السلطات البريطانية في فلسطين ولندن كانت تلعب لعبتها الحبيثة حين نجد أن الأنظمة العربية الحاكمة المحيطة بفلسطين تتهاون وتفترط بالحق العربي وتخرج عن خط النضال الوطني ، وحينئذ تبيع بريطانيا ذلك ولا تعترضه . أما فيما سوى ذلك ، فلا تبيحه ولا تسمح به . فالثورة العربية الكبرى حين تمكنت بصلابتها أن تقهر كبرياء بريطانيا ، عمل الدهاء البريطاني على رفع المسؤولية عن الزعامة الشعبية العربية للثورة ، ووضعها في أيدي بعض الملوك والأمراء العرب ممن لم يكونوا كلهم في مستوى صلابة النضال الشعبي . وقد توسل البريطانيون بذلك على أمل اجباض الثورة ، وهو ما حدث مؤقتا بالفعل ، أي الى أن استرجعت جماهير المناضلين العرب زمام المبادرة من الرؤساء . لقد استطاع البريطانيون أن يوحوا الى بعض الحكام العرب للدعوة الى المهادنة التي كانت تعني الاستسلام .

الفصل التاسع

اللجنة الملكية توصي بتقطيع أوصال فلسطين « ١٩٣٧ »

تألفت اللجنة من ستة رجال يعتبر أربعة منهم من البارزين في العمل فيما وراء البحار، والاثنتان الباقيان من رجال القانون^(١). وكان اللورد بيل رئيس اللجنة من حزب المحافظين قد بلغ السبعين من عمره وأشغل مناصب مهمة كوزير دولة لشؤون الهند. وكان نائبه في رئاسة اللجنة السير هوراس رامبولد يبلغ السابعة والستين، وكان سفيراً لبلاده في برلين ثم تقاعد، وقد رأس معظم جلسات اللجنة نظراً لتغيب رئيسها في معظم الاوقات. ومن أعضاء اللجنة السير لوري هاموند وله تجارب كثيرة في العمل بالهند، والسير ويليام كارتر والسير هارولد موريس من المحامين البارزين. أولها عمل طويلًا في أفريقيا في منصب قاض القضاة وعضوية عدة لجان للتحقيق فيها. وثانيها أشغل منصب كاتب العدل في فولكستون. وعضو اللجنة السادس هو ريدجينالد كوبلاند الأستاذ في جامعة أكسفورد لمادة التاريخ الاستعماري، كما كان عضواً في إحدى اللجان الملكية الى الهند. ويوصف الرجل بأنه يتعشق النظريات ويحاول ارغام الوقائع التي يراها على الانسجام مع نظرياته. وقد عرف بأنه أكثر أعضاء اللجنة نفوذاً وأثراً بفضل قدرته على الاقتناع وموهبته في فرض آرائه، برغم أنه لم تكن له تجربة تذكر في الحياة السياسية العامة.

طلب الى اللجنة أن « تتثبت من الاسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين في أواخر نيسان، وتحقق في كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود. وتثبت، بعد تفسير نصوص صك الانتداب تفسيراً صحيحاً، بما اذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلمات مشروعة ناجمة عن الطرق المتبعة فيما مضى أو المتبعة الآن في تنفيذ صك الانتداب. وتقوم، اذا

Marlowe, op. cit, p. 173

(١) انظر

فلسطين م ١٩ (١٩٦٨)

اقتنعت بأن هذه الظلامات تستند الى أساس صحيح ، برفع التواصي لإزالة تلك الظلامات
ومنع تكرارها .

والحق أن السياسة البريطانية درجت على إفاد لجان التحقيق لأن هذه اللجان هي
الطريقة المحببة لدى الحكومات لمعالجة المشكلات المعقدة أو التي تزعم أنها كذلك ، كقضية
فلسطين . ومزايا اللجان ظاهرة فهي - أولاً - تغني الحكومة عن ضرورة اتخاذ قرار في
الموضوع ولو لزم من . وهي - ثانياً - توجد شغلاً لكبار الرجال من موظفين وغير موظفين .
وهي - ثالثاً - تنتهي بتقرير ممتع للقارئ ، وأخيراً - وليس آخراً - قد توفى اللجنة لحل
ملائم للمشكلة التي أوفدت من أجلها . ولكن بريطانيا لم توفى لحل المشكلة التي كانت من
صنعها وهي تعلم حق العلم السبيل لذلك غير أنها تتجاهله ، وسنرى أنها لم تكن مخلصه في
ما قصدت إليه من إفاد اللجنة ، ليس بسبب تجاهلها للأسباب الحقيقية التي اندلعت نار الثورة
على أرضها فحسب ، وإنما أيضاً لأن بريطانيا تريد أن تعقد الوضع ليثقل نزاعاً بين قوميتين
على أرض وطن واحد . ومن هنا لا نستغرب أن لجنة بيل الملكية التي أرسلت في البداية
كمحاولة لترضية العرب في الظاهر ، كانت أكثر اللجان التي ذهبت الى فلسطين قبل الحرب
العالمية الثانية مشابحة للصهيونية .

وصلت اللجنة الملكية في ١١ تشرين الثاني فرحب بها الانكليز واليهود وحدهم ، ولم
تتلق من العرب سوى كتاب أرسلته اللجنة العربية العليا ، وفيه تؤكد أنه ليس لدى الشعب
العربي أي سبب يدعو للشك في نزاهة أعضاء اللجنة ، وأنه لا يتخذ مثل هذا الموقف السلبي
الإلا لاستنكاره بان وزير المستعمرات . وبدأت لجنة التحقيق أعمالها في ١٦ تشرين الثاني
فاستمعت الى ممثلي السلطات البريطانية في جلساتها الأولى وكانت سرية . ثم استمعت الى
شهادات اليهود . وقد استهل الدكتور وايز من رئيس المنظمة الصهيونية الشهادات اليهودية
بظهوره أمام اللجنة في جلستها الثامنة (٢٥ تشرين الثاني) . ولم تستمع اللجنة حتى جلستها

السادسة والحسين (١٢ كانون الثاني ١٩٣٧) الى اية شهادة عربية بسبب المقاطعة . فاذا علمنا بأن اللجنة الملكية قد عقدت ستاً وستين جلسة ، احدى وثلاثون منها جلسات علنية ، تبين لنا ان معظم الوقت انشغلت فيه اللجنة بالاغصاء الى الشهادات اليهودية . وظلت المقاطعة نافذة تماماً حتى ما قبل رحيل اللجنة بخمسة ايام حين دُفع العرب بفعل نصح ملوكهم لمقابلتها ، فاستمعت لوجهة نظرهم في مدى خمسة ايام ، في حين أنها أصغت لوجهة النظر اليهودية يوماً طوال ستة أسابيع ، كما يبدو ذلك من صفحات تقريرها وتواريخ جلساتها . ولنثبت موجزين أهم الاتجاهات التي سيطرت على شهادة العرب واليهود .

الشهادات اليهودية :

راح وايزمن يلقي بياناً عن أوضاع اليهود في العالم الحديث وقال ان مشكلتهم تتلخص في أنهم بلا وطن ومضى يعرب عن المخاوف التي يرددها زعماء الصهيونية من أنهم يخشون أن يفقد اليهود شخصيتهم . وعرض لتاريخ الحركة الصهيونية فقال انها البلورة النهائية لعملية تاريخية بدأت بمجنين اليهود منذ العهد الروماني الى البلاد التي كانوا فيها . ثم تحدث عن اصول وعد بلفور وأهدافه وآثاره المباشرة على يهود العالم . وقال ان رده المشهور عن سؤال وجه اليه أثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ عما يعنيه باقامة (الوطن القومي) من أن هذا الوطن يعني أن تصبح فلسطين يهودية كالكثرة الانكليزية ، لا يعني قيام نظام تُفرض فيه السيطرة على العرب !! واستمعت اللجنة بعد وايزمن الى نحو من اربعين شاهداً من اليهود في شتى نواحي الحياة الصهيونية . ولقد غالى بعضهم كل الغلو في عرضهم للقضية الصهيونية ، الى درجة مضحكة ؛ حتى أن احدهم ادعى أن عبارة (الطوائف غير اليهودية) التي وردت في وعد بلفور لم تكن تعني العرب ، وانما تعني الأقليات الدينية . وكانت جابوتسكي المبعد من فلسطين منذ عام ١٩٢٩ اثر ثورة حائط المبكى ، آخر الشهود اليهود ، وقد استمعت اللجنة الى شهادته في لندن حيث أكد أن اتباع سياسة مشايعة

لصهيونية كلية لضمان الأغلبية اليهودية في فلسطين ، سيؤدي الى نتيجة سلبية عن طريق
اذعان العرب للنتيجة (!!)

الشهادات العربية^(١) :

لم تبدل حكومة لندن موقفها برغم المقاطعة العربية ، ولكنها ظلت تلح على أمير عمان
وملك الرياض للضغط على اللجنة العربية كي تتصل بلجنة التحقيق . ويقول مصدر عربي
مطلع أنه « انضح من برقيات صاحب الرياض أنه غير واقف على جوهر قضية فلسطين ،
ويبدو أنه كان ينفذ رغبة ويدعو للاعتدال تارة ، وتارة يدعو لقول ما يُعطي والمطالبة
بالباقى بالتدريج . وتارة تالفة يقول إن من واجبنا أن ندلي ببياناتنا ومطالبنا ، فان نتج
عنها إيجاب فهو خير ، والا فتكون قد أدبنا واجبنا الخ .. وأخيراً انضم صاحب بغداد
الى عمان والرياض في الاحاح بعدم مقاطعة اللجنة البريطانية ، فأحدث كل ذلك بلبلة في
اللجنة العربية ، وطالب بعض أعضائها بمراجعة قرار المقاطعة حرصاً على مساندة الملوك
وخشية انعزال فلسطين وضياع فرصة شرح قضيتها ! والحق أنه تين لوفد اللجنة العربية
الذي حضر الى بغداد لمقابلة غازي وحكومته أنه لم يكن لديهم من وعود الانكليز
ما يركن اليه ، ولذا لم يلج الملك وحكومته بشيء على اللجنة العربية ، بل كان منهم النصح
بالتجربة والاستعداد لمواصلة المساعي . أما في الرياض فقد لمس وفد اللجنة العربية ثقة
بالانكليز ووجوب مسأرتهم وعدم احراجهم واغضابهم ؛ ولم نجد بيانات الوفد ومخاوفه
شيئاً للتخفيف من الاحاح الملك السعودي بل واندازه بوجود الاتصال باللجنة الملكية ، مع
تعهدته بمواصلة السعي مع حكومة لندن^(٢) . وهنا طلبت اللجنة منه أن يكتب لها كتاباً
بهذا المعنى على أن يكتب مثله الملك غازي ؛ واتجه الوفد في طريق عودته من الرياض

(١) محمد توفيق جلاء « الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين » ، دمشق ١٩٣٧ .

(٢) دروزة - نفس المصدر السابق ٣ : ١٤٩ .

وبغداد الى دمشق حيث اجتمع مع اركان الحكومة الوطنية التي قامت بعد ابرام معاهدة (١٩٣٦) مع فرنسا ، فكان من رأيهم كذلك الاتصال وعدم اضاءة الفرصة . وفي ٦ كانون الثاني ١٩٣٧ اذيع قرار اللجنة العربية بالاتصال مع اللجنة الملكية وشرح القضية العربية لها نزولاً على أمر الملكين السعودي والعراقي . وبعد ذلك قدمت اللجنة العربية الى اللجنة الملكية مذكرة مفصلة عن قضية فلسطين منذ بدايتها ، وطالبت بالعدول عن تجربة الوطن القومي الظالمة المنافية للحق ، واعادة النظر في كل ما نتج عنها ، ووقف الهجرة وبيع الأراضي ، وحل قضية فلسطين بإنهاء الانتداب وعقد معاهدة تقوم بموجبها حكومة تضمن العدل والحرية للجميع ، اسوة بما جرى في العراق و - وربة و لبنان . ومثل أمام اللجنة الحاج امين الحسيني رئيسها مع تسعة من أعضائها وسكرتيرها .

وكانت أمام العرب مهمة شاقة وهي أن يؤثروا على اللجنة تأثيراً أكبر مما تركه اليهود اليهود وعلى رأسهم وايزمن . ذكر المفتي أن العرب كانوا يمثلون جزءاً مهماً من كيان الامبراطورية العثمانية ، وقارن بين وضعهم الممتاز آنذاك ، ووضعهم المتردي الراهن الى الغرب من نهر الاردن . وعرض لحركة الاستقلال العربي منذ تلك الايام حتى أيام الثورة العربية والوعود البريطانية المنبثقة عنها ، وان فلسطين كانت تضاف جزءاً من المنطقة التي شملتها هذه الوعود ، والتي تعهدت بريطانيا باستقلالها . ثم قال إن نصوص الانتداب تتعارض مع ميثاق عصبة الأمم ، وعرض على مسامع اللجنة قصة لجنة كنج كرين التي أوفدها الرئيس ويلسون بمرافقة الحلفاء الآخرين لتقصي رغبات السكان في سورية وفلسطين . وحاولت اللجنة استبعاد تقرير لجنة كرين من الأداة ، ولكن المفتي رد بقوة ومقدرة فأجبت المحاولة . ولمس المفتي موضوعاً حساساً عندما راح يشرح للجنة كيف ان السياسة البريطانية يملون عندما يواجهون مطالب العرب الى تحميل عصبة الأمم المسؤولية ، بينما تصر العصبة على أن الحكومة البريطانية هي السلطة المسؤولة الوحيدة . وتحدث

جورج انطونوس في محابة الانكليز لليهود ، وقدم غيره مذكرات وتقارير تدعم هذا الموضوع وتشرح اعمال تواسي الخبراء ، والأضرار التي يتكبدها العرب من نفقات ميزانية ضخمة لحماية الصهيونية والتمكين لها ، وارتفاع نسبة ما يشغله اليهود من وظائف تفوق نسبتهم أضعافاً ، وقوانين حماية الصناعة اليهودية ، وإهمال الفلاحين العرب وتشريدهم ، وهبوط نسبة العرب من ٩٣٪ الى ٧٠٪ ، ونحيز الانكليز لليهود في ميدان التعليم بحيث لا يجد من هم في سن التعليم من أطفال العرب مقاعد في المدارس الا لربعم الخ^(١) . . .

التقسيم يطل من وراء الكواليس :

دارت محادثات بين زعماء الصهيونية وبين أفراد اللجنة الملكية في أوقات متعددة ، ذات فواصل كثيرة ، وقد جرت المناقشات على أشكال شتى . زد على ذلك أنه كثيراً ما كان الكلام يدور في الفترات التي تتخلل الجلسات الرسمية بين أفراد الفريقين . وبمنا على وجه الخصوص ما دار وراء الكواليس عن مشروع التقسيم الذي تضمنه تقرير اللجنة الملكية في نهاية أعمالها ، فهو يعود الى ما دار من المناقشة بين الاستاذ كوبرلاند وبين وايزمن حول استخلاص شيء يمكن الاتفاق عليه بينها ، وذلك قبل ظهور المفتي أمام اللجنة بيضة أيام . وقد وصف سايكس المشايخ للصهيونية ، تلك المناقشة وما أعقبها بقوله : «ظهر وايزمن أمام اللجنة في جلسة سرية في الثامن من كانون الثاني ، وكان هذا اللقاء نقطة التحول في سير اللجنة . وقد بدأ النقاش ببيان من وايزمن عن المحاولات المتعددة التي زعم أن القادة الصهيونيين قاموا بها مع الزعماء العرب للوصول معهم الى نوع من الاتفاق المبدئي في الطريق الى اتفاق أشتمل . وكانت الأنباء قد وصلت آنذاك بأن العرب على استعداد للأدلاء بشهادتهم أمام اللجنة . ولذا راح وايزمن يقترح على اللجنة بعد أن بين أهمية هذا

(١) دروزة - نفس المصدر السابق ٣ : ١٥١ . انظر نصوص الشهادات في كتاب جانا .

التبدل في موقف العرب - بأن تهتل الفرصة لتتحول الى هيئة مفاوضة بين العرب واليهود .
ومضى يقول ... وعليك ان لا تسمحوا للمفتي بأن يحول دون الوصول الى تفاهم ،
وأنة على استعداد لملاقة المفتي شخصياً ، اذا كان هذا اللقاء يؤدي الى
أية نتيجة .

وكان الأستاذ كوبلاند يعلم أن هناك عدداً من موظفي الادارة البريطانية في فلسطين
يؤيدون سياسة تقسيم فلسطين الى قطاعات أو (كانتونات) ، ولذا راح يسأل وايزمن :
« لنفرض يادكتور وايزمن ، ونحن ننظر الى المستقبل ، ومن أجل البحث والمناقشة ، أن
أملك المتغائل في قيام تفاؤل ، لن يتحقق في غضون السنوات الخمس أو العشر القادمة ،
فهل هناك من حل عملي بديل ؟ ولو فكرت في هذه القضية فهل لك أن تعلق على هذا
المشروع الذي يستحق أن يسمى أكثر من تقسيم الى قطاعات - اذ أنه تقسيم على أساس
اتحادى فدرالى- والذي يعنى في النهاية ، وفي ظل نظام من المعاهدات ، قيام دولتين مستقلتين
في فلسطين ك مصر والعراق ، ترتبطان بعلاقات تعاھدية مع بريطانيا العظمى ؟ هذه في
الواقع هي النقطة الأخيرة التي أود معرفة رأيك فيها . »

من المؤكد أن وايزمن تلقى هذا السؤال وهو لا يصدق أذنيه ، ونحن هنا لانستنج
أو نجهد وإنما نعتمد على ماتلا هذه المناقشة من وقائع سنصفها بعد قليل . أشار وايزمن ،
وهو الدبلوماسي المحنك ، الى أن الصعوبة الكبرى في هذا الحل تتمثل في أن اليهود
لا يؤلفون غالبية متساكة متلاحمة في أي جزء من فلسطين ، اذ أن مستعمراتهم متفرقة فيها .
وحاول كوبلاند في نهاية المناقشة أن يلخص اقتراحه ويجدده فقال : « اذا لم يكن ثمة
طريقة أخرى للسلام ، أفلا تكون التسوية السلمية النهائية في شكل انتهاء الانتداب عن
طريق الاتفاق ، وتقسيم فلسطين الى قسمين ، أحدهما الساحلي ليكون دولة يهودية مستقلة
كبلجيكا مثلاً ، ولها علاقاتها التعاھدية مع بريطانيا العظمى . ويكون الباقي من فلسطين مع

شرق الأردن دولة عربية مستقلة كالمملكة العربية السعودية ؟ هذه هي الفكرة التي أريد الوصول إليها . ورد وايزمن قائلًا . . « أرجو أن تسمح لي بأن لا أتقدم برد نهائي الآن ، فأنا أريد التفكير في هذا الاقتراح » .

ووصف سايكس ما تلا المناقشة بين الرجلين أمام اللجنة الملكية ، فيذكر أن وايزمن خرج من الاجتماع ليلقى سكرتيره الخاص حسييل ساخاروف ويقول له إنه يود شيئاً من صفاء الذهن عن طريق السير على جبل سكوبس ، ومضى الرجلان الى هناك ، وعندما أصبعا وحيدين ، خرج وايزمن عن تحفظه وراح يروي لسكرتيره الشاب بانفعال ظاهر ما سمعه من أعضاء اللجنة ، ثم مضى يقول ، ان ما كرس له حياته الطويلة قد بدأ يتحقق الآن ، وأن الدولة اليهودية أصبحت وشيكة الظهور .

ويرى ساخاروف الذي أصبح يدعى ساكر (Sacharoff - Sacher) كيف أنه لم يرئيه في مثل هذا الانفعال ، والموجة الغامرة من الفرح !!^(١) واجتمع وايزمن والأستاذ كوبلاند ثانية وهدما في عطلة نهاية الأسبوع في آخر شهر شباط ، وقبل سفر اللجنة من فلسطين ؛ اجتمعا في مستعمرة (نهلال) في الجليل ، وكان وايزمن قد مضى اليها في الصباح من منزله في (رحوبوت) بينما اصطحب كوبلاند اليها جوشوا غوردن ضابط الارتباط في الوكالة اليهودية ، والرجل الذي كرس جميع جهوده للدعاية لفكرة الوطن القومي ، وقد حوفظ على سرية اللقاء ؛ وقضى الرجلان سحابة النهار في كوخ مدرسة البنات الزراعية وأمامها الحرائط . وقد جاء الدور الآن الى وايزمن ليحول كوبلاند من مجرد مقترح لفكرة تقسيم فلسطين الى متحمس لها . ويروي وايزمن أن كوبلاند كان حتى تلك اللحظة مؤيداً للتقسيم ، وأنه كان على استعداد لتقبل أية أفكار جديدة . ولكن هذا اللقاء مثل نقطة التحول عند الرجل ، فلم يعد بعد ما سمعه من وايزمن متعدداً لقبول أية

أفكار جديدة ، وأما أصبح مؤمناً بأن التقسيم ضرورة ملحة ، وحزم أمره على أن يقنع رفاقه من أعضاء اللجنة بفكرته ، وأن يجعل منها التوصية الرئيسية في تقرير لجنة بيل الملكية . وفي نهاية مداولات وايزمن وكوبلاند خرجا من الكوخ ، فانتهز وايزمن الفرصة لتأكيد موافقة كوبلاند على مشروعه ، فراح يخاطب بعض المزارعين اليهود الذين تجمعوا حول المدرسة الزراعية ، بقوله : « وضعنا هنا اليوم ، وفي هذا المكان ، أسس الدولة اليهودية ! »^(١).

ان ابراز مشروع التقسيم على هذا النحو أمام اللجنة الملكية ، قبل الاستماع الى وجهة النظر العربية بأربعة أيام ، ثم المصادقة عليه وتأكيده بين كوبلاند ووايزمن في آخر شهر شباط وقبل سفر اللجنة من فلسطين ، لما يؤكد رأينا في أن هذه اللجنة المزعومة للحديث الوثيق عن احقاق الحق وه ترضية العرب ، كانت أكثر اللجان مشايعة وتحيزاً للصهيونية . فاللجنة لم تكثف بأنها عرضت على فريق مشروعاً للتقسيم موافقاً له ، حتى قبل الاستماع لشهادة الفريق الآخر - هذا على فرض أن الفريقين المتنازعين يقفان على قدم المساواة من حيث حقوق المتقاضين ، مع أن هذا الفرض لا يستقيم مطلقاً - وإنما أكدت هذا المشروع الموافقي للصهيونية حتى بعد أن استمعت للشهادة العربية . هذه الشهادة التي شرحت ظلامته العرب مؤيدة بالأدلة والأرقام ، والتي تمت بصورة علنية وسريعة ، في حين أن عديداً من الجلسات استمع خلالها للشهادة اليهودية بصورة وثيدة وسرية ، وقد سمعت اللجنة جزءاً هاماً من الشهادات العربية بطريق الترجمة التي لم تكن صحيحة تماماً . وقد نتج عن عدم مد اقامة اللجنة بفلسطين أن اعضاءها حُرِّموا الوقت الكافي لتدقيق الشهادات العربية بالصبر والانتقان اللذين عاجلوا بهما الشهادات البريطانية واليهودية . فضلا عن الجلسات الخاصة التي تنعقد بين بعض أعضاء اللجنة وبعض الزعماء الصهيونية في أماكن مختلفة من

المستعمرات اليهودية حيث يتم التحضير لها وتخرج أفضل اخراج . لقد تمثل عرض وجهة النظر اليهودية أولاً : بوصف المتاعب اليهودية في وسط أوروبا ، والظروف التي رافقت وعد بلفور ، وذلك بقصد التدليل على أن وعد بلفور كان يستهدف في النهاية خلق (كومنولث يهودي) في فلسطين وشرق الاردن ، وأن أوضاع الحياة اليهودية في وسط أوروبا آنذاك قد جعلت مثل هذا الهدف أمراً مرغوباً فيه جداً . وتمثل عرض وجهة النظر اليهودية ثانياً : في أنها وجهت للتدليل على أن بنود صك الانتداب كانت قد صيغت صراحة للوصول الى هذا الهدف ، وزعمت الصهيونية أن تطور الوطن القومي قد تمّ على أسس ثابتة ، وأنه كمنال على الاستيطان فقد تم بنجاح وثقة ، ولكن الادارة البريطانية عرقلت هذا التطور أكثر مما عاونته ..!! أرأيتم قلباً للاوضاع كهذا القلب؟! (١١)

تقرير لجنة بيل الملكية :

أنهت لجنة التحقيق أعمالها وسافرت الى لندن حيث استمعت الى شهادة جابتسكي ولويد جورج ، ولم يصدر تقريرها وينشر رسمياً الا في ٧ تموز ١٩٣٧ . ونحسّن سوف نبسط القول في تقرير اللجنة لا لأهميته في تطور القضية الفلسطينية في هذه المرحلة فحسب ، وإنما أيضاً لأن مشاريع التقسيم سوف تظهر دائماً في جو مداولات لجان التحقيق القادمة في الاربعينات، وقد أثبتت الأيام التالية أن التوصيات الخاصة بالتقسيم في تقرير لجنة بيل هي أكثر التوصيات أهمية وتمشياً مع مقتضيات السياسة الاستعمارية في الشرق العربي .

يبدأ التقرير بعرض أساس « المشكلة » بلمحة موجزة عن عهد اليهود القديم في فلسطين وعن الفتح والاحتلال العربي ، وتشتت اليهود ، ونشوء « المشكلة اليهودية » ، ونمو الصهيونية ومعناها .

Royal comission Minutes of Evidence (3786) , Quoted (١) in Barbour, op. cit., p. 173

والفصل الثاني عن الحرب العالمية الاولى والانتداب ؛ يذكر التقرير أن الحكومة البريطانية رغبة منها في نيل معاهدة العرب في الحرب الكبرى قطعت لشريف مكة عام ١٩١٥ وعداً مآله أن القسم الأكبر من الولايات العربية التي كانت حينئذ مشمولة ضمن السلطنة العثمانية سيصبح مستقلاً ، « ففهم العرب من هذا الوعد ان فلسطين ستكون داخلة في نطاق هذا الاستقلال » . (ص ٤ من التقرير) .

ويعترف التقرير ان بريطانيا كي تتمكن من نيل معاهدة اليهودية العالمية أصدرت تصريح بلفور عام ١٩١٧ « ففهم العرب من هذا التصريح أنه اذا قيص النجاح لتجربة انشاء الوطن القومي اليهودي وأمّ فلسطين عدد كاف من اليهود ، فقد يتطور الوطن القومي مع مرور الزمن وينقلب الى دولة يهودية » .

وتفسر الحكومة البريطانية صك الانتداب بأنه يتناول في الدرجة الأولى التزامات معينة متساوية في الاهمية « وهي التزامات ايجابية فيما يتعلق بانشاء الوطن القومي ، والالتزامات سلبية فيما يتعلق بحماية حقوق العرب » . (وقد أثبتنا تناقض هذين الالتزامين في موضعه من الكتاب) .

وهكذا لم تكن هذه الالتزامات المزدوجة وهي تعهدات متناقضة ، لتساعد اللجنة على اقتراح حل سليم عادل ، اذا توفر لديها حسن النية من جهة ، واذا سمح لها بالتعرض لمناقشة وعد بلفور وصك الانتداب من الأساس ، أي مناقشة حق بريطانيا والدول الكبرى التي وافقت على انشاء الوطن القومي ، في التدخل بشؤون بلد عامر بأهله دون استشارتهم طبقاً لمبادئ الحق الطبيعي .

ولذلك فاللجنة لم تهرب من ابداء رأيا في أساس المعضلة فحسب بل اقترحت حلاً ثبت استحالة وضعها موضع التنفيذ فيما بعد كما سنرى .

وبرر التقرير ان إشراك السياسة التي ينطوي عليها تصريح بلفور بنظام الانتداب

ينطوي على الاعتقاد بإمكان التغلب عاجلاً على موقف العرب العدائي من تصريح بلفور بسبب « الفوائد الاقتصادية » التي كان يتوقع أن تجلبها الهجرة اليهودية الى فلسطين بوجه الاجمال .

واعترفت اللجنة ان هذه الآمال ظهر فيها بعد أنها لم تكن مستندة الى اساس . وأن رغبة العرب في نيل استقلالهم القومي ومعارضتهم انشاء الوطن اليهودي بكل شدة كانتا من اول عهد الاحتلال البريطاني لفلسطين ، لم يطرأ عليها تبدل ، بل كلما اطرد الأمر وطالت به الايام ، اشتدتا وازدادتا قوة ونزوعاً الى الغاية .

وبصدد مهمة اللجنة الملكية في الكشف عن أسباب اضطرابات ١٩٣٦ أجاب التقرير :

كانت الاسباب الاساسية لاضطرابات سنة ١٩٣٦ كما يلي :

(١) - رغبة العرب في نيل الاستقلال القومي .

(٢) - كرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه .

وهذان السببان هما بذاتها السببان اللذان أدبا الى الاضطرابات السابقة ، ولقد كانا على الدوام متصلين معاً بصورة لا تنفصم عراها ، وهناك كثير من العوامل الثانوية الاخرى المساعدة وأهمها :

١ - انتشار الروح القومية العربية خارج فلسطين .

٢ - ازدياد هجرة اليهود منذ سنة ١٩٣٣ .

٣ - الفرصة المتاحة لليهود بالتأثير على الرأي العام في بريطانيا .

٤ - عدم ثقة العرب في اخلاص الحكومة البريطانية .

٥ - فزع العرب من استمرار شراء الاراضي من قبل اليهود .

٦ - عدم وضوح المقاصد النهائية التي ترمي اليها الدولة المنتدبة^(١).

وتقدمت اللجنة الملكية بمطالعتها عن السببين الاساسيين لاضطرابات ١٩٣٦ وهما :

١ - رغبة العرب في الاستقلال القومي .

٢ - كرههم لانشاء الوطن القومي وتخوفهم منه .

ولخصت اللجنة مطالعتها بما يلي :

١ - هذان السببان هما بذاتها اللذان أديا الى الاضطرابات التي وقعت في سنة ١٩٢٠

وسنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ .

٢ - إنها كانا في هذه المرة وغيرها من المرات مرتبطين معاً ارتباطاً كاملاً ، فتصريح

بلفور وصك الانتداب الذي يقضي بتنفيذ ذلك التصريح ، قد انطويا منذ البدء على انكار

الاستقلال القومي . وماتلا ذلك من اتساع في الوطن القومي خلق عائقاً عملياً في سبيل منح

الاستقلال القومي في المستقبل ، وهو العائق الوحيد الحطير الذي يحول دون ذلك . ولقد

ساد الاعتقاد بأن زيادة نمو الوطن القومي هذا قد تعني اخضاع العرب لليهود سياسياً

واقصادياً ، حتى اذا انقضى أجل الانتداب في النهاية وأصبحت فلسطين مستقلة لم يكن

هنالك استقلال قومي بالمعنى الذي يريده العرب ، بل حكومة ذاتية لأكثرية يهودية .

٣ - إنها كانا السببين « الاساسيين » الوحيدين . أما جميع العوامل الأخرى فقد

جاءت متممة لها أو ثانوية ، بحيث زادت شدة أو ساعدت على تحديد الوقت الذي نشبت

فيه الاضطرابات .

ولخص التقرير الحالة الحاضرة فوصف الروح السائدة في « الوطن القومي اليهودي »

بأنها ذات صفة قومية شديدة ، وبأنه ليس ثمة مجال للامتزاج أو الاندماج بين الثقافة اليهودية

والثقافة العربية .

(١) ص ٦ - ٧ من التقرير .

فالوطن القومي لا يمكن أن يكون شبه قومي ... والوطن القومي يمنح الى امراع
الحطى في تقدمه لا مجرد رغبة اليهود في الفرار من أوروبا ، بل بسبب القلق السائد حول
ما سيحل بفلسطين في المستقبل .

وبالمقابل وصف التقرير الروح القومية عند العرب بأنها شديدة القوة ، وقد ظل ما يطلبه
الزعماء العرب من تأسيس حكومة ذاتية وطنية وقفل باب الوطن القومي اليهودي ثابتاً لم
يطراً عليه تغيير منذ سنة ١٩٢٠ . ان شقة الخلاف بين العنصرين هي في حالتها الحاضرة
واسعة ، وستستمر على الاتساع فيما لو ظل الانتداب الحالي معمولاً به .

وتناول التقرير عرض وجهة نظر كل من زعماء العرب واليهود ، فأوضح المطالب
العربية الأساسية وأهمها تشكيل حكومة مستقلة في الحال ، على أسس ديمقراطية يُمثل فيها
السكان بنسبتهم العددية . ورأت اللجنة الملكية تعذر تسليم أمر الوطن القومي للحكم العربي
صاحب الأكتربة العددية في السكان ، على الرغم من أن اللجنة العربية العليا أكدت للجنة
الملكية أن خير الأقلية اليهودية سيكون مضموناً لا بما يوضع من نصوص خاصة في المعاهدة
التي ستعقب منح الاستقلال فحسب ، بل بروح التساهل الطبيعي الذي تتمتع به الأقليات
اليهودية في الاقطار العربية الاخرى .

وجاء في تقرير اللجنة أن تشكيل حكومة مستقلة ممثلة في فلسطين فوراً مناف
للالزام المترتب علينا في المادة (٢) من صك الانتداب ، ذلك الالتزام الذي يقضي (بوضع
البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي) . ولسنا
نظن أن الجدل يتسع للقول أنه ما دام الوطن القومي قد أنشئ ، ففي وسعنا أن نتخلى عن
الاهتمام بتأمينه تحليلاً لا يخرج عن حدود الشرف . ففي هذه الوجهة من المشكلة ، كما في
النواحي الاخرى ، يظهر أن الأحوال الحاضرة نفسها تقيّدنا بقدر ما تقيّدنا به جميع
التعهدات السابقة . ان في فلسطين ٤٠٠ ألف يهودي ، وهؤلاء لم يأتوا اليها باذن منا

فحسب بل بتشجيعنا ، فنحن مسؤولون عن رفاههم ضمن الحد المعقول ، ولا نستطيع في الظروف الحاضرة أن نهمل أمرهم لحسن نوايا حكومة عربية .

« ومن الوجهة الاخرى ، يجب أن نحسب حساباً للمقاومة اليهودية . فالرأي الساندهو أن اليهود قد سلحوا أنفسهم سرّاً الى حد ما . . ولما كانوا على ثقة من أن انشاء حكومة عربية يعني هدم جميع جهودهم والقضاء على أمانهم ، وان تلك الحكومة ستحول الوطن القومي وتجعل منه « غيتو » آخر ، فليس بمستبعد أن يفضوا القتال على أن يجبروا على الخضوع للحكم العربي . واتحاد ثورة يهودية تقوم ضد السياسة البريطانية سيكون واجبا غير مستحب ، كما كانت الحال في اتحاد الثورات العربية . »

وهذا كلام لا يحتاج الى تعليق ، وهو اعتراف تام بأن الوطن القومي اليهودي قضى على حق عرب فلسطين بتقرير مصيرهم ونيل استقلالهم ، وبأنه قام بمبادرة صريحة من بريطانيا التي تحرص على استرضاء اليهود لا خوفاً من نفوذهم السياسي فحسب ، بل خشية انتقاضهم على إدارتها في فلسطين .

ومن جهة أخرى يعرض التقرير لوجهة نظر اليهود ولطالبهم ويرد عليها بالتجرد والنزاهة في الظاهر .

« قال اليهود لنا أن السلام لا يستتب في فلسطين إلا إذا مطبق صك الانتداب على أساس تفسير كل نقطة من نقاطه حسب مطالب اليهود . فيجب أن لا يكون هنالك تحديد جديد للهجرة ، وأن يكون تقرير مقدارها ، كما هي الحالة الآن ، على أساس « مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب » وأن تتفق دائماً مع حدود تلك المقدرة . ويجب ألا تحدد بيوع الأراضي العربية لليهود ، وألا تتخذ أية اجراءات للحيلولة دون أن يصبح اليهود في المستقبل أكثرية في فلسطين . ومتى تم ذلك ، يجب ألا تمنع فلسطين من أن تصبح دولة يهودية ،

بمعنى أن يكون لليهود فيها النصيب الأكبر في الحكومة . ولم يبد تهازل إلا حول هذه النقطة ؛ فاليهود يقولون إنهم لا يرغبون في أن يسيطر عليهم العرب ، كما أنهم لا يرغبون في أن يسيطروا هم على العرب . واذن ، فهم مستعدون للتمسك بمبدأ المساواة . فلو أسس الآن مجلس تشريعي ، وأعطيت الأقلية اليهودية الحالية عدداً من المراكز مساوياً لعدد مراكز الاكثية العربية ، لما طلب اليهود أكثر من هذا مما أصبحت النسبة بينهم وبين العرب في المستقبل .

« ان وجهة النظر هذه ، لو كان في الامكان تأييدها بالحقائق ، لحفت حدة صعوبات المشكلة الى حد كبير . ولكننا قانعون بأن الحقائق لا تؤيدها ، اذ أنها مبنية في رأينا على تقديرين خاطئين . . فهي تنقص من قوة الروح القومية العربية في جميع أنحاء البلاد ، وعلى الأخص بين الشبيبة ، وتغالي في تقديم المساعدة التي يستطيع المعتدلون من العرب أن يؤدوها . . لن يرجى للسياسة التي اقترحتها الوكالة اليهودية ، والمجلس الملي اليهودي أن تعيد السلام الى فلسطين ، ولنا نشك في أن قوة الروح القومية ستجمع كلها على مقاومة تنفيذ هذه السياسة ، سواء أكان ذلك بثورة عامة أم باضطرابات متكررة » .

ويضيف التقرير أن اجابة مطالب اليهود تؤدي الى تحويل البلاد الى دولة يهودية ذات غالبية في فلسطين ، على حين أنه يتعذر جداً في الظروف الحاضرة تصور امكان تحويل فلسطين الى مملكة يهودية بطريقة سلمية . « نعم ان الهجرة اليهودية لا تقرها الاتفاقات الدولية فحسب ، بل تقضي بها وتطلبها ، واليهود يدخلون فلسطين بحق لا بمئة . غير أن العرب ، والحق يقال ، ينظرون الى دخولهم هذا ، وقد أيدته القوة أحيانا ، بينما كانوا يقاومونه هم ، كنوع من الغزو ، ويعتبرون ازدياد عدد اليهود واقترابهم التدريجي من حدود الاكثية ، ضرباً من الفتح الوئيد^(١) » .

وبحث لجنة التحقيق الملكية فيما يمكن عمله لتنفيذ الانتداب وشرحت ما يواجه مختلف فروع الادارة من مشاكل ، ووضعت توصيات بصدد تحسين الادارة والامن العام والشؤون المالية ، فماذا اقترحت اللجنة بصدد المشكلة الرئيسية وهي مشكلة الاراضي والهجرة بعد أن فندت مطالب العرب واليهود ، واعترفت باستحالة التوفيق بين الالتزامين الصادرين من بريطانيا الى العرب واليهود لتناقضها !! وبعد أن غدا ازدياد عدد اليهود وارتفاع نسبة الاراضي التي يملكونها عاملاً عظيماً في تعقّد المشكلة الفلسطينية وتعذر حلها !!

رأي اللجنة في مسألة بيع الأراضي :

افترضت اللجنة أن الانتداب سيستمر لعدة سنوات تالية فوضعت مخططاً عاماً اقترحتة لادارة الانتدابية يتناول موضوعي الاراضي والهجرة .

بصدد بيع الاراضي لفتت اللجنة النظر الى وجوب تعديل دستور فلسطين ، وتعديل صك الانتداب أيضاً إذا لزم الأمر ، بصورة تفسح المجال لسن قانون ينحوّل المندوب السامي سلطة منع انتقال الاراضي الى اليهود في أبة منطقة معينة وذلك كي يصبح في قيد الامكان تنفيذ التعهد الذي يقضي بحفظ حقوق العرب ومركزهم . وريثاً تم عمليات المساحة والنسوية ترحب اللجنة ببيع بيوع قِطَع الاراضي المنعزلة والصغيرة المساحة الى اليهود .

وأوصت اللجنة بوجود اتخاذ أقصى ما يمكن من الحيلة لتأمين حفظ حقوق المستأجرين والمزارعين العرب في حالة وقوع بيوع أراض أخرى . وعلى ذلك يجب أن لا يسمح بانتقال الاراضي (الى اليهود) إلا حيناً يمكن استبدال الزراعة الكثيفة بالزراعة الواسعة . وقالت اللجنة ان هدف أبة قوانين للأراضي يجب أن يكون تشجيع الزراعة الكثيفة لليهود ، بشرط حماية حقوق المستأجرين والمزارعين العرب ومركزهم . وعادت اللجنة فأكدت أن

فلسطين ٢٠ (١٩٦٨)

ليس ثمة أراضٍ موفورة لتجارب الزراعة الكثيفة والاسكان من جانب اليهود ، إلا في ضواحي مدينة القدس . ولذا حظرت اللجنة بيع الاراضي لليهود في مناطق معينة . واقتُرحت اللجنة أن تعمل الدولة على « حماية العربي من نفسه » أي أن تشترط على كل من يجري عملية انتقال أن يحتفظ لنفسه ولعائلته بقطعة لا تقل عن الحد الأدنى الذي يكفي لعائلته وأعالنها (Viable Minimum) ، ومساحة هذه القطعة تختلف بحسب أساليب الزراعة في المناطق ونوع التربة والزرع . وانتقدت اللجنة نظام المحاكم العقارية لبطنه في سير دعاوى الأراضي ، وطالبت باصلاحه .

رأي اللجنة في الهجرة :

وبصدد الهجرة رأت اللجنة المملكية أن مشكلتها ازدادت خطورة من جراء عوامل ثلاثة :

١ - القيود الشديدة التي فرضتها حكومة الولايات المتحدة على الهجرة الى بلادها .

٢ - استلام الحكومة الوطنية الاشتراكية لمقاليده الحكم في ألمانيا .

٣ - ازدياد الضغط الاقتصادي على اليهود في بولونيا .

ولم توافق اللجنة على مبدأ الاستيعاب الاقتصادي الذي مؤداه أن يتوقف مقدار الهجرة الى البلاد على أساس مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد ؛ ان هذا المبدأ غير ملائم (في الوقت الحاضر) وهو يضرب صفحا عن بعض العوامل التي تنطوي عليها الحالة بما لا يسع السياسة الحكيمه أن تتجاهله أو تهمله . فمن اللازم أن يحسب للعوامل السياسية والاجتماعية والنفسية حسابها في هذا الشأن ، وينبغي على حكومة جلالاته أن تضع « حدا سياسيا أعلى » للهجرة اليهودية ، وهذا الحد السياسي الأعلى يجب أن يحدد بـ ١٢ ألفاً في السنة للسنوات الخمس المقبلة ، على أن يعاد النظر في الوضع بعد انتهائها . ويجب أن يطلق للمندوب السامي الحيار في ادخال عدد من المهاجرين لا يتجاوز الرقم السابق كحد أعلى ،

على أن يكون ادخالهم خاضعا دوما لمقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب^(١) . ولم تقبل اللجنة أن تغلق باب « الوطن القومي » أمام مهاجري اليهود ، لأنها رأت أن الهجرة كانت العامل الأكبر الذي أوصل الوطن القومي الى حالته الحاضرة من التوسع ، وعلى الرغم من أن حكومة الانتداب قامت تماما بتنفيذ الالتزام المترتب عليها لتسهيل انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، كما يشهد بذلك وجود ٥٠٠ ألف من السكان اليهود فيها ، غير أن ذلك لا يعني أن الوطن القومي يجب أن يستقر على وضعه الحالي . فاللجنة لا يمكنها أن توافق على الرأي القائل بأن الدولة المنتدبة بعد أن سهلت انشاء وطن قومي لها ما يبررها في اغلاق أبوابه ، فالوطن القومي تعتمد حياته الاقتصادية الى حد بعيد ، على دوام المهاجرة ، وقد وظف فيه مقدار كبير من رؤوس الأموال بدافع افتراض دوام الهجرة .

ومن عجب أن اللجنة رأت أن تقييد الهجرة اليهودية لا يحل مشكلة فلسطين ، بزعم أن العرب أصبحوا يعتبرون الوطن القومي ، وهو في حالته الحاضرة ، أكبر مما يجب أن يكون ، ويرون فيه حاجزاً يحول دون تحقيق آمانيهم القومية في الاستقلال^(٢) .

ولكن التوصية الأساسية لحل مشكلة فلسطين كانت فكرة التقسيم .

إن التواصي سالفه الذكر يعدل بها في حالة عدم تعديل وضع فلسطين الحاضر ، وهو وضع لا يرضيه العرب ولا اليهود . والتواصي لازالة الظللمات ومنع تكررها لن يفلح تنفيذها ، لأنها أشبه بالمسكنات التي تستطيع اللجنة أن تضعها للداء الذي تعاني فلسطين آلامه . وهي لا تخرج عن كونها مسكنات ليس إلا ، « ولا يمكنها أن تتأصل شأفة هذا الداء ،

(١) التقرير ص ١٦ .

(٢) التقرير ص ١٨ .

فهو متأصل الى درجة حملت اللجنة على الجزم بأن الأمل الوحيد بشفاؤه لا يأتي إلا عن طريق اجراء « عملية جراحية »^(١) .

وقد سلمت اللجنة بأن عرب فلسطين يصاحون لحكم أنفسهم بأنفسهم كعرب العراق أو سورية ، والأمر نفسه ينطبق على يهود فلسطين ، غير أنه نظراً لحضوع هذين الشعبين لانتداب واحد فمنح الحكم الذاتي لكليهما معاً أمر غير عملي . واعترفت اللجنة اعترافاً صريحاً بأن الاعتقاد بأن التزامات بريطانيا نحو العرب واليهود هي قابلة للتوفيق ، هو اعتقاد لم يتحقق وليس ثمة أمل بتحقيقه في المستقبل . وأكد التقرير أن بريطانيا لاتود أن تجمد التزاماتها ، « غير أن موطن الصعوبة هو ثبوت عدم امكان التوفيق بين هذه الالتزامات »^(٢) . ولما كان متعذراً التوفيق بين أماني العرب واليهود القومية ، وادماج آمال الفريقين في خدمة دولة واحدة ، فانه لايمكن توطيد دعائم السلام في فلسطين تحت ظل الانتداب الا باللجوء الى القمع والقوة ، وهذا له محاذيره فضلاً عن أنه لن يحل المشكلة بل يؤدي الى تفاقم الشحنة والتوتر .

وفي نظر اللجنة أنه لو أخذ كل التزام من هذه الالتزامات المتضاربة على حدة ، لوجد أنه متفق مع ميول بريطانيا ومصالحها . « فارتقاء الحكم الذاتي في العالم العربي من الجهة الواحدة يتفق والمبادئ البريطانية »^(٣) ، والرأي العام البريطاني يعطف كل العطف على ما يمتني به العرب أنفسهم من إحياء عصر جديد من الوحدة والرفاهية في العالم العربي . . . ومن الجهة الأخرى أن صداقة بريطانيا للشعب اليهودي هي صداقة تقليدية قوية . . . اذن فدوام النظام الحالي سيؤدي تدريجياً الى اقضاء هذين الشعبين الذين يرتبطان مع بريطانيا برباط الصداقة التقليدية .

(١) ص ٢٥ من التقرير .

(٢) ص ٢٧ من التقرير .

(٣) ص ٢٧ من التقرير .

وأضافت اللجنة أن هذه المقترحات والتوصيات التي تقدمت بها هي أفضل المسكنات التي يمكن لها أن تقترحها ، وأنها لا تأمل منها أن تؤدي الى حل المشكلة ! ولهذا فقد اقترحت اللجنة وأوصت ، بسياسة جديدة تختلف اختلافاً جذرياً عن السياسة السابقة ، وهي التي يجب تطبيقها في حال عدم استمرار الانتداب . ولعل أبرز مظهر في هذه السياسة الجديدة إعادة تنظيم فلسطين . فقد اوصت اللجنة أولاً بالغاء الانتداب ، الغاؤه في شكله الحالي على الأقل . ومضى تقريرها يقول : « أصبح من الواضح أنه لا يمكن تنفيذ الانتداب تنفيذاً كاملاً أو صادقاً الا بطريقة أو أخرى تضمن تهدئة العداء القومي بين العرب واليهود . ولكن الانتداب نفسه هو الذي خلق هذا العداء وهو الذي يبقى عليه حياً ؛ وطالما ظل الانتداب قائماً ، لا يمكن تطوير أنظمة الحكم الذاتي ، كما لا يمكن إنهاء الانتداب دون التنكر لالتزاماته العامة والمحددة » . وهنا أوضحت اللجنة أنه لا مجال للخلاص من هذه الأوضاع المضطربة في فلسطين ، ولا حتى بتطبيق التوصيات التي تقدمت بها ، والتي تنسجم مع الالتزامات البريطانية ، فاقترحت أن يستبدل التقسيم بالانتداب . جاء في تقرير اللجنة : « لا يمكن في نظر اللجنة اعطاء العرب أو اليهود كل ما يصبون اليه ، بعد أن تبين لها أنه لا أمل في تعايش الشعبين في دولة واحدة .

« واذا سئل مَنْ من الشعبين سيعمك فلسطين في النهاية ، فجواب هذا السؤال يجب أن يكون « لا هذا ولا ذلك » فليس ثمة سياسي منصف يدعه أن يفكر في تسليم الأربعمائة ألف يهودي .. الى الحكم العربي ، أو في تسليم مليون من العرب الى الحكم اليهودي فيما لو أصبح اليهود الغالبية في البلاد .

« غير أنه وان كان ليس في امكان أي هذين العنصرين أن يتولى حكم فلسطين بأسرها بإنصاف ، فقد يكون في امكان كل عنصر منها أن يحسن الحكم في قسم منها »^(١) .

(١) ص ٢٨ من التقرير .

وقبل أن نورد اللجنة مشروعها بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية في المناطق التي يؤلف اليهود غالبية سكانها ، ودولة عربية في الأراضي الأخرى على أن تضم هذه الدولة العربية الى امارة شرقي الأردن . قبل ذلك بحثت اللجنة امكان تجزئة فلسطين تجزئة سياسية أقل شمولاً من التقسيم ، وذلك بتقسيمها على النحو المتبع في الحكومات التي تدير على نظام الاتحاد ، الى ولايات ومقاطعات تتمتع كل منها بالحكم الذاتي ، فيما يتعلق بالمسائل المانحة للهجرة وبيع الأراضي والخدمات الاجتماعية . وفي هذه الحالة تكون دولة الانتداب في مقام الحكومة المركزية أو حكومة الاتحاد ، وتهيمن على العلاقات الخارجية والدفاع والتجارة وما شابه .

ولكن اللجنة رأت مع ذلك أنه رغم كون نظام المقاطعات هذا جذاباً لأول وهلة ، لأنه يحل - بحسب الظاهر - المشاكل الكبرى الثلاث : وهي مشكلة الأراضي ومشكلة الهجرة ومشكلة الحكم الذاتي ، غير أن مواطن الضعف فيه ظاهرة جلية . والمصاعب التي تلازمه هي جل المصاعب التي تعترض مشروع التقسيم ، ان لم يكن كلها ، دون أن تتوفر فيه الفائدة الكبرى المتوفرة في التقسيم الا وهي احتمال الوصول الى سلم نهائي^(١) .

مشروع تقسيم فلسطين :

تعهدت الدولة المنتدبة الى مفاوضة حكومة شرقي الأردن وممثلي عرب فلسطين من جهة ، والجمعية الصهيونية من الجهة الأخرى ، لعقد معاهدة تحالف مع كل من الفريقين . وفي هاتين المعاهدتين يعلن عن تشكيل حكومتين مستقلتين ذواتي سيادة خلال أقصر مدة تسمح بها الأحوال ، احدهما دولة عربية تضم شرق الأردن مع ذلك القسم الشرقي والجنوبي من فلسطين ، والأخرى دولة يهودية تضم القسم الشمالي والغربي من فلسطين ، وتقع بينهما الأماكن المقدسة التي توضع تحت الانتداب البريطاني الدائم . وتعهدت دولة الانتداب أن تؤيد انضمام الدولتين العربية واليهودية الى عصبة الأمم .

(١) ص ٣٠ من التقرير .

وأهم خطوط مشروع التقسيم هي :

١ - تمتد الدولة اليهودية على الساحل من حدود لبنان الى جنوبي يافا ، وتشمل عكا وحيفا وصفد وطبريا والناصرية وتل أبيب ، وترتبط بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا .
٢ - تقع الأماكن المقدسة (منطقة القدس وبيت لحم) ويمر يصل هاتين البلديتين بيافا مشتملاً على اللد والرملة تحت الانتداب البريطاني الدائم . ودولة الانتداب أيضاً مكلفة بمجابهة الأماكن المقدسة الأخرى في الشمال حول بحيرة طبرية والناصرية ، وقد رغبت اللجنة أن تجعلها أرضاً محمية داخل أرض الدولة اليهودية المقترحة لولا أنها وجدت أن ذلك يأكل منها ويبريها .

٣ - تضم الأراضي الفلسطينية الأخرى بما فيها مدينة يافا الى شرق الاردن وترتبط بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا .

٤ - يجري تبادل السكان بين الدولتين العربية واليهودية فينقل العرب من الدولة اليهودية الى الدولة العربية (وعددهم يبلغ ٢٢٥ ألفاً) بشكل تدريجي ، وتهيأ لهم أراضي في منطقة بئر السبع بعد تحقيق مشاريع الري .

٥ - تدفع الدولة اليهودية مساعدة مالية للدولة العربية ، وتمنح بريطانيا مليوني جنيه للدولة العربية .

٦ - تعقد معاهدة جمركية بين الدولتين لتوحيد الضرائب بينها على أكبر كمية ممكنة من البضائع المستوردة .

قبلت بريطانيا التقسيم من حيث المبدأ في بيان رسمي (cmd 5513) أصدرته في ٧ تموز ١٩٣٧ ، وصفت فيه التقسيم بأنه أحسن وأنجح حل للخروج من مأزق تضارب آماني العرب واليهود ، وبأنها ستسعى لدى عصبة الأمم لتبني موافقتها على التقسيم لتنفيذه . والى ان

يتم التقسيم يمنع منعاً باتاً انتقال الأراضي من العرب الى اليهود ، وتحدد الهجرة بنائية آلاف مهاجر من جميع الأصناف ، في الأشهر الثمانية المقبلة أي ما بين آب ١٩٣٧ وآذار ١٩٣٨ ، بشرط عدم تجاوز المقدرة الاقتصادية على الاستيعاب^(١) .

استنكار العرب للتقسيم :

كان من الطبيعي أن يجمع العرب في فلسطين وفي سائر أقطار الوطن العربي مشرقاً ومغرباً ، على استنكار مشروع التقسيم وما تضمنه تقرير اللجنة من تحيز ضد كيان فلسطين العربي ، وكيان الأمة العربية بأكملها . وفي اليوم التالي لنشر التقرير أذاعت اللجنة العربية العليا بياناً جاء فيه : « أن المشروع المقترح تطبيقه يهدد اليهود أخصب أرض في فلسطين ويضع الأماكن المقدسة تحت الانتداب ، ولا يبقى للعرب الا الأماكن الجبلية ومدينة يافا .. ولما كانت هذه البلاد لانتخص عرب فلسطين فحسب ، بل العالمين العربي والاسلامي .. ولما كانت سياسة التقسيم تناقض مطالب العرب وحقوقهم ، فاللجنة ترى في هذا الموقف العصب الذي تواجهه البلاد ، أن تبادر حالاً للاتصال بأصحاب الجلانة والسمو ملوك العرب وأمراءهم وزعماء الحكومات الاسلامية وهيئاتها » .

واستجابت الجماهير العربية للنداء ، فانالت برفياتها وعرائضها تستنكر المؤامرة البريطانية الصهيونية وتبدي استعدادها التام لاستئناف الثورة والنضال . كذلك استجابت حكومة العراق لنداء اللجنة العربية ، فأبرق رئيسها - حكمت سليمان - تحت وطأة الضغط الشعبي ، « باستنكار فكرة التقسيم ، وبإشراك فلسطين أمنائها القومية والسعي بكل الطرق المألوفة لرفع الحيف .. وبصفتي رئيساً للحكومة احتججت على قرار اللجنة الملكية » . واحتشدت المظاهرات الصاخبة في بغداد تندد بالتقسيم وتصف من يرضى به بالمرقوق من العروبة والدين . واعلن الاضراب العام في مدن سورية وشاركت فيه بعض المدن

Survey of Palestine , op . cit , p . 40 (٧)

البنانية ، وصرحت الحكومة السورية بأن موقف سورية لا يختلف عن موقف بقية شقيقاتها وأنها لا ترضى بالتقسيم ، وقدمت مذكرة رسمية بتنفيذ التقسيم ووجوب استقلال فلسطين بسيادتها العربية . وقدمت مصر مع العراق مذكرة احتجاج مشتركة الى عصبة الامم ، اضافة الى مذكرات الاحتجاج التي قدمتها كل من الدولتين مباشرة الى بريطانيا . كذلك شجب الامام يحيى التقسيم وطلب من اللجنة العربية الثبات والمثابرة . وجاء جواب الملك عبد العزيز آل سعود في أنه لن يدخر وسعاً في مساعدة أهل فلسطين وحفظ حقوقهم . وطلب علماء نجد من ابن سعود العمل على صد الخطر اليهودي ، وقالوا ان ايجاد ولاية لليهود في بلاد الاسلام أمر باطل ومحرم ، لأنه يعود على الاسلام وأهله والحرمين الشريفين والبلاد المقدسة بأكبر الخطر وأعظم الضرر ، وكل من لديه غيره دينية وحمية وطنية عربية يأتي من ذلك ويأباه ، وهم بصفتهم علماء الشريعة لا يجيزون التقسيم ولا يقرونه . ومن المغرب العربي وردت بريات كثيرة بتأييد عرب فلسطين واستنكار التقسيم ، كما أن مسلمي الهند احتجوا عليه ، وطلبوا من الحاكم العام نقل احتجاجهم لحكومة لندن . ومن بريات التنديد بالتقسيم برقية مناطق الجليل الشرقي والغربي ، ذلك أن اللجنة الملكية لكي تبرر ادماج هذه المناطق بالدولة اليهودية ، زعمت باطلاً ، أن الأهلين هناك كانوا أقل من غيرهم انقياداً للتحريض السياسي ، وأكثر قابلية للتعاون مع اليهود ، بينما لا يتجاوز عدد اليهود في الجليلين نسبة الخمس ، ولا تتجاوز أراضيهم نسبة العشر فقط !

وبعد ، فلا شك في أن وحدة الشعور العربي بصدد استنكار التقسيم كانت واضحة بجلاء ؛ ويصح للمؤرخ أن يسجل أن اقتراح انشاء دولة يهودية بموجب التقسيم في قلب الوطن العربي ، صلح أساساً للعمل المشترك من أجل الحفاظ على عروبة فلسطين والسعي لتحريرها . وأفضى الى جعل الفكر العربي في فلسطين وأقطار العروبة ، يهتز لوطنه الجريح أكثر مما يهتز لأية قضية تحررية أخرى ، كما أفضى الى استقطاب الجماهير العربية حول عواقب التقسيم .

لقد أصبحت مسألة فلسطين هي المحرك الوجدان العربي ، والدافع لتوكيز جهوده وستكون
- كرة اخرى - كما كانت أيام الحروب الصليبية الجامعة للعرب .

نقد تقرير اللجنة الملكية وتحليله :

على الرغم من انه لا حاجة بنا الى التوسع في تحليل تقرير اللجنة الملكية ، لأنه لم
يوضع موضع التنفيذ بتاتاً ، غير أنه يجدر بنا ان نلقي ضوءاً على الأسلوب الذي اتبعه اعضاء
اللجنة الملكية في تقريرهم عن قضية فلسطين .

من الانصاف ان نسجل للتقرير بعض المزايا الهامة ، فهو :

١ - يتضمن معلومات لم تتضمنها اية نشرة رسمية سابقة ، كما انه يخدم الحقيقة بكشف
النقاب عن بعض المغالطات التي كانت الحكومات البريطانية المتعاقبة تستند اليها في اعمالها
واقوالها منذ تطبيق الانتداب .

٢ - وجه التقرير الى الحكومة البريطانية اتهاماً خطيراً وعادلاً ، برغم حرصه على
تجنب ما يزعج الأوساط الرسمية .

٣ - اثبت ان السياسة المتبعة في تنفيذ صك الانتداب غير قابلة للتطبيق ، وان
الانتداب كما اثبتت نتائجه كان تجربة فاشلة . وهاتان حقيقتان ظل العالم الخارجي يجهلها
لاختفائها وراء ضباب الحرافة والتضليل الصهيونيين . وهذا يثبت صحة وجهة نظر العرب
الذين لم يعترفوا يوماً بنظام الانتداب وقالوا انه نظام متحيز وغير عملي .

٤ - والتقرير - بناء على ذلك - يكشف عن عدم صحة ما تفوه به رؤساء الوزارة
والوزراء من تصريحات في مناسبات متعددة ما بين ١٩١٨ - ١٩٣٧ ، واكدوا فيها ان
سياسة بريطانيا في تأييد الوطن القومي لا تتعارض مع عهودها للعرب !

ومن جهة اخرى فثمة نقائص لا يستهان بها في تقرير اللجنة وابحاثها ؛ ففي حين عاجلت

- تفصيلاً - الاتزامات المترتبة على وعد بلفور ، تعمدت تجاهل العهد المقطوعة للعرب ؛ من ذلك انها بينما تذكر بعض نصوص مراسلات الحسين مكهاون ونجالها ، فهي لا تشير مطلقاً الى الرسالة التي حملها القائد هوغارث الى الحسين في كانون الثاني ١٩١٨ والتي تبحث في الضمانات المتصلة بوعد بلفور وفي مدها . وقد قطعت وعداً خاصاً بضمان الحرب السياسية والاقتصادية للعرب في فلسطين . كما ان اجحاث اللجنة لا تشير الى التعهد الذي نص عليه التصريح البريطاني الموجه الى السوريين السبعة ، وهو يشكل اعترافاً ملازماً بحقوق العرب السياسية . ولكنها تجعل اتفاق فيصل - وايزمن في مقام الصدارة ، دون أن تسجل التحفظات التي تمسك بها فيصل والتي تتعلق بحرية العرب السياسية والاقتصادية . وقد فسرت اللجنة عدم معالجتها للاصول التاريخية تفصيلاً ، بالتفسير التالي :

« لقد رأينا أن التعاليم التي حددت مهمتنا لا ترغنا على القيام ببحث مفصل وطويل في الوثائق التي كتبت قبل عشرين سنة ، والتي لا بد منها اذا أريد اعادة البحث في هذه القضية من أساسها . ونحن نعتقد اننا نحقق أغراض هذا التقرير ، اذا قلنا ان الحكومة البريطانية لم تقبل قط بوجهة نظر العرب » !!

انه لعمر الحق تفسير مريبك عجيب ؛ فاللجنة اساساً لم تكلف الا للتحقيق في الاضطرابات الناجمة عن اشاعة الحكومة البريطانية بوجهها عن وجهة نظر العرب . هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية فاننا نلمس تبايناً لا يمكن تعليقه بين حرص اللجنة على دراسة بعض الوثائق المكتوبة قبل عشرين سنة ، وبين اهماله المقصود لبقية الوثائق التي لا تقل عن صاحبها خاصة بالموضوع ؛ لا سيما وان اللجنة قالت في تقريرها في فقرة آتية : « .. يتحتم علينا الآن أن نبحث في ما ينطوي عليه وعد بلفور من معان . لقد سمح لنا باستعمال السجلات المتصلة بالموضوع .. » ، فلماذا يتعمد اعضاء اللجنة الملكية فحص السجلات المتصلة بوعد بلفور ، بينما هم يعتقدون في الوقت نفسه ان فحص الوثائق المتعلقة بالوعد البريطاني المقطوعة للعرب ،

يخرج بهم عن التعليقات التي حددت لمهمتهم! وربما يهون الأمر ، لو لم يترب على هذا التفاوت في عنابة اللجنة بالأصول التاريخية ان تناقصت قيمة الدراسة التي اعدتها اللجنة ، وفسد ما تضمنته من استنتاج وحكم. ان اعضاء اللجنة لم يستكملوا جميع اسباب الدرس والتحقيق ، وانما سارعوا لتبني الحجة القائلة بأن حقوق الصهيونيين والعرب متساوية ، ثم تنفسوا الصعداء . وبهذا عملوا على ترجيح ادعاء باطل من الناحية التاريخية ، وموهوم من وجهة نظر الحق الطبيعي . وبما يحز في النفس انهم بعد أن تبناوا هذا الادعاء واعتبروه حقيقة ، استندوا اليه في الحل الذي اقترحوه لتوطيد دعائم السلام بين العرب واليهود : التقسيم .

ثم انه من الغريب أن النتائج التي توصلت اليها اللجنة لم تكن متفقة مع المقدمات ؛ فقد ورد في تقرير اللجنة اعترافات واقارات صريحة تدعم المخاوف العربية تفسيراً وتبريراً ؛ وهي تتضمن نظرة تفصيلية للإدارة الانتدابية والنتائج المستخلصة منها . وبرغم أن هذه النظرة صيغت مع أعظم مراعاة للنزاع الصهيونية ، فهي مع ذلك كانت تبريراً رائعاً للمطالب العربية . فالتقرير لأول مرة - كما ذكرنا في مزاياه - يعترف بأن الانتداب يمكن ان يفسر على انه يقصد تهيئة السبل لإقامة دولة يهودية في فلسطين - في ظروف معينة ، أي بهدف الوصول الى « اخضاع العرب ولغتهم وثقافتهم » - وهذا ما رآه العرب دائماً وشددوا عليه . واعترف التقرير كذلك أنه في ظل الانتداب - كما هو مفسر يومذاك - لا يمكن إقامة مؤسسات الحكم الذاتي حتى يصبح اليهود غالبية السكان ؛ ويبيّن بجلاء أنه بينما شكوى العرب بصدد الهجرة وبيع الاراضي لا يمكن أن تعتبر مشروعة بحسب بنود الانتداب ، فأعضاء اللجنة للملكية ، كانوا يشعرون بأخلاص - كما يقول التقرير - ان الانتداب لا يمكن تنفيذه الا بوسائل القمع . كما اعترف التقرير ضمناً - أن مسألة فلسطين لا يمكن حلها دون الاعتبار الواجب للشعور العربي العام خارج فلسطين^(١) .

Barbour, op. cit, p 176
& Marlowe, op. cit, p. 169

(١)

ان الباحث المنصف في تقرير لجنة التحقيق الملكية يسجل ما فيه من انحراف عن جادة التحقيق والنزاهة في عرض مشكلة فلسطين ومعالجتها . لقد سجلت اللجنة الملكية صحة دعوى العرب بأنهم أهل فلسطين منذ العصور التاريخية ، وسجلت ان البلاد لم تعرف الا انها جزء من سورية، وانه لم يكن لليهود فيها كيان ذو شأن أو صلة وثيقة بعد شتاتهم الا العاطفة الدينية وذكرى صلة تاريخية قديمة وعلى الرغم من ان منطق الاستنتاجات الذي ذهب اليه اللجنة الملكية كان من شأنه ان يؤدي الى التوصية بالكف عن الاستمرار في سياسة تدعيم الوطن القومي اليهودي ، تلك السياسة التي كانت عاملا فديما وقع على العرب من حرمان وظلم رغم حقهم الصريح في بلادهم، و عاملا في نشوب الاضطرابات والثورات.. غير ان اللجنة عاجلت الامر للأسف على اساس التسوية بين مركزي العرب واليهود، فأتت باقتراحات تريد في تعقيد المعضلة، وتقطع الأمل في احقاق الحق و اقرار الطمأنينة والسلام.

ومصدر الخطأ الرئيسي هو أن الحكومة البريطانية تريد ان تعتبر ان العرب واليهود في فلسطين فريقان متنازعان لها حقوق متساوية . ومع أن العرب لم ينفكوا يرفضون هذا الرأي ويقيمون الحجة على ضلاله وفساده ، فاللجنة الملكية جاوزت هذا الرأي الى ما هو أبعد منه فاعتبرت قضية اليهود كأنها هي الأصل والمحور ، وقضية العرب أصحاب البلاد تدور معها كيفما دارت ؛ ولذا أمست السياسة التي اعلنتها الحكومة ترمي الى تحقيق التزاماتها لليهود في المقام الأول ، وبعدها ينظر في الوعود المقطوعة للعرب . وما فتئت الحكومة البريطانية ولجنة الانتداب الدائمة في جنيف تذكران وتؤكدان أن الالتزامات المترتبة على الانتداب هي التزامات مزدوجة متساوية في الوزن والقيمة . وناهيك عما في هذا الاعتبار لتساوي حقوق الفريقين من انتقاص كبير لحقوق العرب على غير مبرر معنوي أو تاريخي ، فإن اللجنة الملكية في تقريرها ، والحكومة البريطانية في بيان سياستها (تموز ١٩٣٧) ، قد اعترفتا باستحالة التوفيق بين الالتزامين الصادرين من حكومة لندن الى

العرب واليهود لتناقضها كما أسلفنا القول . وكان ينبغي على اللجنة الملكية والحكومة البريطانية بعد ان استبانن لها هذه الحقيقة ان تتراجع كل منها عن سياستها السابقة المبنيّة على اساس التوفيق بين الالتزامين ، وأن تصغي الى احتجاجات العرب يزجونها المرة تلو المرة منذ عام ١٩٢٠ ، محتملين في سبيل ذلك الضحايا الكثيرة في الأنفس والثمرات . ومن المؤسف ان لجنة الانتداب الدائمة لم تكلف نفسها عناء القيام بتحقيق نزيه ، رغم ان صيحات العرب كانت تصل اليها مدوية صارخة ، وها هي ذي الحوادث والبيانات تثبت أن لجنة الانتداب كانت مخدوعة طوال خمسة عشر عاماً بما كانت تدلي به أمامها الحكومة البريطانية وتؤكد به غير حق ، من أن التوفيق بين نوعي الالتزامات أمر ممكن ، فتصادق على كلامها ، غير مكترثة بوجهة نظر الحق العربي ، وهي ترى أن الحكومة البرلمانية نجابه الأمانى العربية بالانكار والقسوة ، وتقابل مظاهرات العرب السلمية بالنار والحراب من حيث كان يرجى أن تتلقى ذلك من العرب بروح انصاف المظلوم ورفع الحيف وعلاج القضية من أساسها . ولكن حكومة لندن لم تكن ترغب في رؤية الحق ، وانما افترضت أن هذه المشكلة الفلسطينية هي من لإعضال والاستعصاء بحيث نحتاج الى « عملية جراحية » تقطع أوصال البلاد وتؤدي الى قتلها بأسرها . وقد استلمت اللجنة الملكية نواصيها من نظرها في المطالب اليهودية دون الرجوع بالحق والنصف الى القضية العربية ، هذا أولاً . وثانياً من اختلاط القضية اليهودية في ذهنها بالقضية الفلسطينية واشتبك المسألة الانسانية في نظرها بمسألة الحق الذي تبجته ، فتأثرت بما اثاره الشهود اليهود أمامها من شعور العطف على اخوانهم يهود العالم ، فتغاضت عن الحقيقة المعروفة من أن قضايا اليهود العالمية المتفرقة ، لا تحل باعطاء اليهود فلسطين كلها أو جزء منها ، لأنها لا تستوعب الا جزءاً من مجموع يهود العالم .

وهكذا خرج تقرير اللجنة الملكية مشرباً بروح المحاباة لليهود والغمز بالعرب ، ولم

تأبه بما لحق العرب من تزلزل كيان وحرمان نتيجة غزو الوطن القومي ومحاربة الحكومة لهم .

نقد مشروع التقسيم :

ان مشروع التقسيم يعقد المشكلة بدلاً من تبسيطها وتحليلها ؛ فهو يهدف الى تحويل الوطن القومي الى دولة يهودية ، وتوسيع الرقعة الحالية للاستيطان اليهودي بحيث تصبح أضعاف مساحتها الأولى. وتضم سكاناً مقيمين من العرب يناهزون ٣٠٠ ألف عربي وتكون السلطة العليا فيها لليهود . وبعبارة أخرى فالمشروع يجب على اعتراض العرب على وعد بلفور بأن يمنح الصابنة أكثر بكثير مما تناوله ذلك الوعد بالفعل ، مهما بالغنا في تفسير مداه . كما أنه يجل المصاعب الناجمة عن طرد الفلاحين العرب من أراضيهم ، باقتراح طردهم على مقياس واسع !

لقد زعمت اللجنة في وصف مشروع التقسيم وتأييده أنه يرمي الى تحقيق ثلاثة أغراض؛ فهو : « يجب أن يكون قابلاً للتطبيق ؛ ويجب أن يكون متفقاً مع تعهداتنا ، ويجب أن ينصف العرب واليهود » . ويمكن البرهنة على أنه لم يحقق واحداً من هذه الأغراض ؛ فهو غير قابل للتطبيق ، ولا يتفق مع تعهدات بريطانيا ، ولا ينصف العرب واليهود على حد سواء ! ويبدو أن ضعف مشروع اللجنة ناشئ عن الأراجيح بين ما ترغّب في تحقيقه ، وبين ما هو عادل وقابل للتطبيق . ان الاضطهاد الذي كان يجابه اليهود في أوروبا يحتم على جميع الناس واجب تخفيف آلامهم . ولا شك في أن تقرير اللجنة يدل على شعور أعضائها الأكيد بهذا الواجب . ولكنها أساءت الى تقريرها باقتراح مشروع لا يمت للعدالة بصلة ، كما أن تطبيقه مستحيل .

ان مبدأ التقسيم يقوم على أساس أنه يتوقع نخلي العرب - طوعاً أو كرهاً - عن

حقوقهم الطبيعية والسياسية في أي جزء من بلادهم فلسطين . ويجعل من الممكن إقامة الحدود دون الالتفات الى طبيعة البلاد الواحدة أو عادات الناس المناصّة . ويتوقع ازدهار التجارة والادارة في بلاد صغيرة بعد تقطيعها وتمزيقها الى ست وحدات تقريباً مؤلفة من دول منفصلة ومقاطعات منعزلة وممرات . كما يتوقع نزوح ٣٠٠ ألف مستقرين على أرضهم متعلقين بوطنهم وثقافتهم ! إن المشروع - باختصار - يتعارض مع دروس التاريخ ومقتضيات الجغرافية ، والتفاعل الطبيعي للقوى الاقتصادية ، ونواميس السلوك المألوفة السائدة بين البشر ، ولا يحسب حساباً لمبدأ رضا الشعب و ارادته . ولعل اللجنة غاب عنها أنه لم يعد معقولاً ولا مقبولاً اخراج الفلاحين من أرضهم ، وفرض حكم أجنبي على شعب يكرهه الا باللجوء للقوة القاهرة باستمرار . وإخضاع شعب نضج وعيه القومي أمر متعذر إلاّ بقتل هذا الشعب بأكمله ! ومن الناحيتين الخلقية والسياسية لم يكن المشروع متفقاً مع عهود بريطانيا اذ انظرنا الى تلك العهود بمجموعها ، ودرنا جميع الوثائق المتصلة بفلسطين دراسة تامة ، ولم نتبع أسلوب « الفرز » الذي لجأت اليه اللجنة حين فرزت المواضيع لتختار منها ما تشاء . كذلك ادعي للزعم بأن المشروع ينصف العرب واليهود على السواء؛ فالمشروع في جوهره قد بالغ في منح اليهود أكثر مما يملكونه أو ما وعدوا به . كما بالغ في حرمان العرب مما يملكونه أو ما وعدوا به . وأما المطالبة بلزوم التفاهم والتراضي ، فعنها مناشدة العرب بمغادرة بلادهم لكي يفسحوا المجال لإقامة دولة يهودية . لقد كانت حجة اللجنة أقوى لو أنها استندت الى الرغبة الأكيدة في ايجاد التراضي الحقيقي ، أي طلب التضحية من الجهات الثلاث ذات العلاقة على قدم المساواة . ولكن ما فعلته اللجنة هو مطالبة كل جهة بشيء يختلف عن الأخرى : طالبت العرب بتضحية حقيقية ومادية ، وهي التنازل عن شيء يملكونه ويودون الاحتفاظ به . وطالبت الصهيونيين بتضحية اسمية وهي الحصول على شيء لا يملكونه ولكنهم راغبون في أخذه . أما دولة الانتداب فلم تطالب

بأية تضحية . يكفي أنها سوف تخذ احتلالها لفلسطين الشمالية والجنوبية ذات المركز الاستراتيجي والاقتصادي ، على حساب العرب .

هذا هو النقد العام للتقسيم فما هي التفاصيل :

أوصت اللجنة الملكية بانشاء دولة يهودية ذات سيادة تشمل حدودها أفضل الأقسام والنواحي وأخصب السهول بجملمتها تقريباً ، مع ساحل فلسطين والاقليم الزراعي الواسع في الشمال ، الى الحدود الشمالية الفاصلة بين فلسطين وسورية ولبنان .

يقطن أراضي هذه الدولة ٣٠٠ ألف يهودي و ٣٢٥ ألف عربي على أقل تقدير ، وفي الجهات الشمالية من هذه المنطقة أفضية عربية برمتها . يسكن قضاء عكا مثلاً ٤٠ ألف عربي ، ومقابل ٦٣ قرية عربية ليس لليهود سوى قرية واحدة يسكنها ٣٠٠ نسمة ، وفي أفضية طبريا وحيفا وصفد لا يبلغ عدد اليهود ربع مجموع السكان العرب فيها . وفي احصاء ١٩٣١ الذي أوردته اللجنة الملكية بلغ عدد العرب في هذه الأفضية الأربعة ١٧١ ألفاً وعدد اليهود ٣٥ ألفاً . وفي السهول والسواحل الواقعة في المنطقة اليهودية عدد كبير من القرى العربية ، ويملك العرب من الأراضي في جميع هذه المنطقة نحو أربعة أضعاف ما يملكه اليهود .

وتبلغ مساحة الاراضي المخصصة للدولة اليهودية نحو ٨ ملايين دوئم ، منها ٤ مليون

من الأراضي الصالحة للزراعة ، لا يملك اليهود منها سوى $\frac{1}{4}$ مليون دوئم . فتكون

اللجنة الملكية قد أهدتهم $\frac{1}{4}$ ٣ مليون دوئم من الأرض المزروعة . أما أراضي البرتقال فإن

$\frac{8}{7}$ مجموع ما يملكه العرب منها واقعة في منطقة الدولة اليهودية . ليس هذا فحسب بل أن

مئات المساجد والكنائس والمعابد والمقامات المباركة والمقابر والأوقاف الدينية ، تقع كلها في المنطقة اليهودية ! وهذا معناه تسيط الدولة اليهودية على فربق من العرب يؤلفون غالبية السكان والممتلكات والأراضي والمقامات الدينية . فكأنما اللجنة الملكية وهي تستنكر وضع أقلية يهودية تحت سيطرة أكثرية عربية لا تجد بأساً في قلب هذه القاعدة رأساً على عقب . فتصبح أكثرية عربية تحت حكم أقلية يهودية . أما أن يجري تبادل في السكان والأملاك والعقار بين الدولتين المقترحتين فهو أمر في غاية الغرابة ! كيف يجري ذلك وقد جاء في نفس تقرير اللجنة الملكية أنه يوجد في منطقة الدولة العربية (١٢٥٠) يهودياً يملكون جزءاً ضئيلاً جداً من الأراضي ، على حين يسكن منطقة الدولة اليهودية (بحسب تقرير اللجنة) نحو ٢٢٥ ألف عربي ، يضاف اليهم ١٠٠ ألف عربي آخريين يسكنون مدن حيفا وعكا وطبريا وصفد . ليس هناك في الواقع ما يصح ان يسمى « تبادل سكان » من ناحية اليهود ، بل كل ما في الأمر أن المراد هو إجلاء العرب بالقوة والقهر عن مواطنهم وبلداتهم والسيطرة على أملاكهم وأراضيهم ومرافقهم كما جاء في تواضي التقرير .

وعن حماية الدولة المنتدبة للأماكن الدينية والأوقاف غاب عن اللجنة أن قدسية جميع هذه المقامات لا تتحقق إلا إذا ظل أصحابها يمارسون واجباتهم الدينية فيها باستمرار ، ولا يسعنا إلا أن نذكر بالأسى المصير الذي آلت إليه المقامات الدينية التي كانت في القرى العربية التي استولى عليها اليهود . انها بحيث واندرثت صورتها وتلاشت معالمها كلية . وقد رأت اللجنة العربية العليا بحق ان الدولة اليهودية المقترحة ستكون سداً كبيراً يقطع الاتصال بين القسم العربي في فلسطين والبلاد السورية التي ترتبط معها بروابط القربى والدم والثقافة وجميع مقومات الأمة الواحدة ، ورأت في هذا الفصم لعروة البلدين الشقيقين ضربة موجهة الى الوحدة العربية المنشودة . هذا الى أن دروس الماضي تدل بوضوح أن انشاء دولة يهودية في فلسطين يحشد اليها المهاجرون اليهود حشداً كثيفاً ، من شأنه أن يزيد في

استثارة المطامع اليهودية استثارة تدفع بهم الى طلب التوسع كما صرح بهذا زعمائهم وقادتهم . وهذا يجعل حدود الاراضي العربية في الشرق والشمال والجنوب معرضة على الدوام للاعتداء عليها بقصد التوسع السياسي والاقتصادي . (١) .

لم تكن اللجنة الملكية بأن جردت العرب من غالبية الأراضي القابلة للزراعة ، وانما وضعت البقية الباقية من هذه الاراضي في منطقة الانتداب البريطاني الدائم التي تشمل القدس وبيت لحم والناصرة ، وروافقاً يمتد من القدس الى يافا .

ان معظم الأراضي الخصية في هذه المنطقة المنتدبة بأيدي العرب . وليس لليهود فيها ما عدا القدس ، أملاك تذكر . وستفصل القرى العديدة المجاورة للقدس عن العاصمة ويكون نصيبها العزلة فتخسر الروابط الحيوية التي تربطها بالقدس من اقتصادية واجتماعية وادارية . ومنطقة الانتداب هذه تشطر المنطقة العربية شطرين ونحول دون بلوغ الوحدة التي يتبناها العرب . فضلاً عما في خروج المقامات المباركة للسلام والمسيحية من يد العرب وسيطرتهم خروجاً دائماً ، وستصبح القدس مدينة خاضعة للنفوذ الصهيوني بفضل رجحان كفة اليهود فيها .

ان نظام الانتداب الدائم لهذه المنطقة سيصيب العربي الذي يبغى البقاء في مسقط رأسه بحية مريرة في ثقافته وحياته القومية ؛ فالانكليزية ستكون اللغة الرسمية ، والعربي الحر سيجد ما يحول بينه وبين التوظف في حكومة منطقة الانتداب بحجة أنه لا يحمل ولاء مخلصاً للانتداب . ولا مراه في أن اللجنة الملكية تحت ستار ادعائها بالمحافظة على ما وصفته بأنه أمانة مقدسة في عتق المدينة انما تضحى بمصالح العرب المسيحيين لاشباع مصالح اليهود ومصالحها الاستعمارية فحسب . ذلك أن حراسة الأماكن المقدسة كانت في حوز امين

(١) رد اللجنة العربية ، صفحة ١٣ .

تحت الحكم العربي الاسلامي ، واذا انتقص من هذه الحراسة فذلك لتقييدها بنظام انتدابي يكون لليهود فيه ولا ريب اليد العليا . وجدير بالملاحظة ان اللجنة الملكية صرحت بوضوح أن مسيحيي فلسطين يشاطرون اخوانهم المسلمين الاماني القومية الى أقصى حد . وبموجب مشروع اللجنة سيكون نحو نصف المسيحيين تحت سلطان الدولة اليهودية ، عرضة للإجلاء عن أوطانهم عنوة ، ومفارقة ممتلكاتهم وهجر مقدساتهم وبيعهم .

ليس هذا فصحب ، بل إن الاعتبار الاستعمارية العسكرية لا الدينية كانت في الحقيقة المحور الذي دارت عليه مقترحات انشاء منطقة انتداب دائم مع ما يتبعه من تدابير خاصة بمرفأَي يافا والعقبة . كشفت الهيئة العربية العليا عن هذا الأمر في مذكرتها ، وقالت إنه « من الصعب الاعتقاد أنه من قبل المصادفة المجردة أن يقع مطار اللد والرملة ، والمحطة الرئيسية لسكك الحديد ، حيث تلتقي خطوطها من مصر وحيفا والقدس ويافا ، في منطقة الانتداب الدائم . ثم أن الخطورة الحربية لموقع العقبة ، وماله من قابلية في المستقبل للاشراف منه على قناة السويس والبحر الأحمر ، كل ذلك واضح لذي عينين . ومع أن العلاقة بين منطقتي العقبة والأماكن المقدسة لم تتناول بوضوح وتحديد واف ، فيظن أن هذا التدبير سينطوي في الحقيقة على بسط رقابة انتدابية على جميع القسم الجنوبي من الدولة العربية المقترحة . فأين يكون الاستقلال مع هذا يا ترى (١) !

أما الدولة العربية المزمع انشاؤها من الأقسام العربية الباقية من فلسطين فتمضم الى شرقي الأردن . ذكرت اللجنة العربية العليا في ردها أنها تسجل على اللجنة الملكية اعترافها بكفاءة العرب لتولي أمورهم ، وبقوة الروح الوطنية النامية في صدورهم . غير أن العرب ما كانوا يوماً يرضون عن اقتطاع أخصب الأنحاء من بلادهم الى قوم يعتبرونهم دخلاء طامعين .

(١) رد اللجنة العربية ، ص ١٨

والجانب الذي ترك للعرب من فلسطين هو إقليم جبلي صحراوي أجرد قاحل قليل الانتاج، محصور ضمن حدود غير طبيعية من ثلاث جهات . أما ما يتعلق بعدد السكان « فاللجنة العليا مع رفضها نظرية التقسيم ليتولاها الدهش من الكيفية التي فرقته اللجنة الملكية حزمته العرب تفريقاً لا تعرف له قاعدة ولا نهج . إذ أن البلاد التي يقطنها (٩٥٠ ألف عربي) قد فكك بعضها عن بعض بحيث لم يبق من هذا العدد الا ما يقارب (٥٧٠ ألف) لينضموا الى الدولة العربية . أما ميناء يافا فأمره موضع عجب كبير .. إذ كيف تنشق الحياة لهذا الميناء المعتبر جزءاً من الدولة العربية وقد فصل عنها فصلاً تاماً ! ثم أن معظم ما يملكه أهل ميناء يافا من بساتين برنقال وأملاك مختلفة واقع في حدود الدولة اليهودية ، فالعزلة التي سيعانها هذا الميناء خانقة ولا جدال . وسيكره هذا الميناء العربي اسماً على تطبيق التعرّف الجمركية التي تسنها منطقة الانتداب .

وبما أن الدولة اليهودية المقترحة ستضم معظم الأراضي الحُصبة في فلسطين ، وستكون بالتالي أسعد حالاً من الناحية الاقتصادية ، فإن من الواجب - في نظر اللجنة الملكية - أن تلتزم بدفع اعانة سنوية الى الدولة العربية . ويمكن فهم هذه التوصية على أنها تعويض عن الأضرار التي تلحق بالعرب . ولكن ما فكر به أعضاء اللجنة وهم يضعون هذه التوصية ، يظهر في توصية أخرى ، وهي أنه لما كانت الدولة اليهودية ستضم (أقلية) عربية كبيرة (وقد رأينا أنها تقارب النصف) فلا بد من إعادة اسكانها في الأراضي العربية خارج الدولة اليهودية الجديدة اما بطريق الاقناع أو الاكراه^(١) . ولكن ألا تتولد من هذا النظام أسباب للدولة اليهودية تتدفع بها لتسيطر على الدولة العربية المزعومة الاستقلال !؟

(١) من المرجح أن هذه التوصية قد تأثرت بمثل اخراج اليونانيين من تركيا عام (١٩٢٣) . ولا ريب في ان ما تحقق لصاحب مشروع الترحيل « نانسين » من شهرة ومكانة قد انقلبتا الى عكسها فيما بعد ، من جراء اتباع اسلوبه في محاولات مماثلة ، لاضفاء صبغة الانسانية على اعمال متوحشة قاسية .

ثم ما هي ضمانات الاستقلال للعرب الذين سينتظمون في الدولة العربية ؟ كان الدكتور وايزمن في خلال الحرب العالمية الأولى قد واجه ذلك في محادثة مع اللورد روبرت-سبيل . وضح له بأن اليهود يمكن أن يضطروا لاقامة دولة في جزء واحد من فلسطين حتى يحين الوقت الذي يتمكنون فيه من الاستيلاء على الأجزاء الباقية ؛ ففي مقابلة جرت يوم ١٥ نيسان ١٩١٧ أشار وايزمن الى امكان استثناء مناطق الجليل من المنطقة المفروزة لليهود ، بسبب المطالب الفرنسية ، وقال : « برغم أن هذا التقسيم الذي سيجمل معه امكانية تحرير اليهود سيصعب على الصهيونيين احتماله ، وسينظرون اليه دائما على أنه غير عادل ، الا أنهم سيجدون فيه درجة معينة من الرضى اذا كانت أرض الميعاد بريطانية على الأقل . ان اليهود يمكن أن يعملوا لجليل أو جيلين تحت الحماية البريطانية ، محاولين تنمية الأرض بقدر الامكان ، ومعتمدين على الوقت الذي ستعطيهم فيه محكمة عادلة بقية فلسطين ، التي لهم فيها ادعاء تاريخي » ^(١) . وصرح جابوتنسكي الزعيم الارهابي الصهيوني أمام اللجنة الملكية : « زاوية من فلسطين - كانتون - كيف يمكن أن نعدكم بالرضى بها ؟ لن نستطيع ، لن نستطيع أبدا . واذا أقسمنا لكم بأننا نرضى بها ، فستكون كذبة ^(٢) » ! وثمة واحد على الأقل من أعضاء اللجنة الملكية كان غير مترواحين وضح طبيعة الاستقلال الذي قدمه وزملاؤه للعرب . فقد صرح السير لوري هاموند Laurie Hammond في مجتمع ضم اليهود . وبتاريخ ٥ ايار ١٩٣٨ : « سيجدون أن الوطن القومي في فلسطين - اذا تمكنتم في ذلك البلد بما يكفي لتلبية المطالب القومية كدولة ذات سيادة - سيكون خطوة أولى ،

Gelber, Hatsharat Balfur Vatoldotecha p. 83 (١)

Quoted in Barbour, p. 180

Barbour, op. cit, p. 181 (٢)

في رأبي ، نحو استرجاع بقية البلد (فلسطين) ؛ سوف يستغرق ذلك سنوات عديدة ، ولكنه سوف يأتي ! (١) .

ومهما يكن الأمر ، فقد استند العرب في رفضهم التام لمشروع التقسيم وطلبهم الاستقلال الناجز في فلسطين الى الحق الطبيعي الذي هو فوق كل شيء ، والى مبادئ عصبة الأمم والى عهد بريطانيا للحسين . وقالت اللجنة العربية العليا إن الحل الوحيد الذي يتفق مع العدل والرغبة الحقة في توطيد السلام ينبغي أن يقوم على الاعتراف بحق العرب في الاستقلال ، والعدول عن تجربة انشاء الوطن القومي اليهودي ، وانهاء الانتداب وتبديله بمعاهدة تنشأ بموجبها في فلسطين دولة ذات سيادة ، وأخيراً وقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي وقفاً تاماً ريثما يتم عقد المعاهدة (٢) .

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية التي اقترحت ، « أن تكون لها الحرية في تنفيذ مشروع التقسيم ، تأمل كل الأمل أن يكون في امكانها ضمان قدر من الموافقة عليه من جميع الطوائف المعنية » ، يبدو أنها لم تكن مقتنعة حقاً بمشروع التقسيم . إن ما جرى من خطب ومداولات في مجلس البرلمان البريطاني يدل على أن المشروع لم يثر أية حماسة في البرلمان ، كما أبلغها المندوب السامي والكهوب أن ادارة فلسطين أقل تأييداً للتقسيم ، وهذا ما حدا بالحكومة الى أن توفر كثيراً من جهودها في الدعاية له ، فقدمت المشروع الى البرلمان تقدماً ضعيفاً متردداً ، لأنها وجدته غير واف بالقصد الصهيوني ؛ وفيما يلي شيء من ذلك .

Quoted in the (Jewish chronicle) of May 13, 1938, (١)
Barbour p. 181 .

(٢) رد اللجنة ص ٢٣ .

مشروع التقسيم في البرلمان البريطاني :

حاول اللورد دفرين وكيل وزارة المستعمرات أن يساوي في المسؤولية عن أحداث فلسطين الأخيرة بين العرب واليهود ؛ كذلك حاول أورمبسي غور وزير المستعمرات تبرير عدم نقل مكهاون وخلفاؤه للتحفظات الصهيونية الى العرب في حينه . ولم يحاول الصهيونيون الكثيرون في البرلمان أن يزيدوا تقرير اللجنة الملكية تأييداً مطلقاً . حتى أن السير أرسبيالد سينكلير انتقد التقسيم وقال إنه يعارض بشدة « حصر القومية اليهودية أو محاولة حصرها في حدود تلك الدولة الصغيرة الضيقة التي أوصت بها لجنة بيل . ومن الواضح أن الدولة اليهودية ستكون ملتهبة حماسة في مثل هذه الظروف للوصول عن طريق القوة أو المكيدة الى هدفها في جبل صهيون ونهر الأردن ، !!

اما اللورد بيل فقد دافع عن مشروعه وقال إن اقتراحه قد يجد من حربة اليهود في العمل ولكنه يمنحهم بدلاً من ذلك وضعا أرفع وأسمى ، وهو وضع الدولة اليهودية . وكان يعنى طبعاً بهذه الحربة ، الحق في استعمار جميع الأراضي التي يستطيعون الحصول عليها الى الغرب من نهر الأردن (١) .

وقد رد عليه اللورد صموئيل (السير هربرت صموئيل سابقاً وهو أول مندوب سامي بريطاني يهودي في فلسطين) فبين نقاط الضعف في مشروع التقسيم من وجهة نظر الحبير الذي لا يرى في المشروع ما يطمئن الأعلام الصهيونية التوسعية . ونحن نشير الى بعض أقواله لدلائنها الهامة فيما تلا من أحداث على أرض فلسطين . وفي معرفتها نستعين بكتاب سايكس سالف الذكر حيث يقول إن تعداد سكان فلسطين آنذاك قد حصر النقب عن وضع رهيب ، وأن صموئيل ذكر أنه في حال قبول اليهود بالحدود التي رسمتها اللجنة ، فسيدأون باقامة دولة في منطقة يسكنها نحو ٢٥٨ ألفاً من اليهود و ٢٢٥ ألفاً من العرب ؛

أي أن اليهود فيها لن يكونوا أكثر من نصف السكان . ورفض فكرة تبادل السكان على غرار ما جرى بين تركيا واليونان، وقال إن الوضع بينها لا يشبه مجال الوضع القائم في فلسطين بين العرب واليهود . وقال صموئيل أن نانسين تمكن من تنظيم عملية نقل السكان لأن مفازع الحرب الرهيبة الشاملة وفظائعها كانت قد أقتعت اليونانيين بالفرار الى تركيا، بينما لم يكن هناك ما يماثل ذلك مطلقاً في فلسطين ، وليس ثمة ما يقنع العرب بالهزار من الجزء الحبيب من البلاد ، حتى ولو كان ثمة ما يقنع اليهود الذين يعيشون خارج حدود الدولة اليهودية بالمجيء اليها . ووصل صموئيل الى الاستنتاج بأن عملية نقل السكان لا يمكن أن تتحقق الا بأقصى الوسائل . ومن هنا يبرز التناقض الأكبر في تقرير اللجنة بين ما أوصت به من عمليات نقل السكان من ناحية ، وما أوصت به من ضمانات لحماية الأقليات من ناحية أخرى . وسخر صموئيل من تفاؤل اللجنة الملكية وهي تضع اقتراحها بالتقسيم ، وقال إن اللجنة تزعم أن اقامة دولتين « سيحرر اليهود من العداة المستحكم لهم في الدولة العربية المجاورة . ولكن ألا تكون هذه الدول مراقبة « مايقع الى جوارها ، من يوم لآخر ؟ » . والاقتراح البديل - في نظره - سير في طريق معاكس للتقسيم ، ويتمثل في شكل اتحاد عربي واسع « لايقام في يوم أو سنة ، بل بصورة متدرجة ، وبضم المملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن وسورية ولبنان وفلسطين أيضاً » . وفي وسع اليهود - بزعمه - في ظل هذا الاتحاد الائتلافي (الكونفدرالي) أن يهاجروا وأن يقيموا في شرق الأردن وفلسطين دون أن يثيروا فزع الوطنية العربية . كذلك رأى أن تصدر ضمانات من عصبة الأمم للأماكن المقدسة ، وأن يقوم تنظيمان طائفيان يهودي وعربي ، تعطى لهما صلاحيات واسعة بينها صلاحية تعطي للتنظيم العربي لمنع بيع الأراضي الى الصهيونيين ، واقترح صورة لمجلس اتحادي مركزي يعمل في شكل استشاري الى جانب الدولة المنتدبة . وأنهى خطابه قائلاً انه اذا لم يؤخذ بمثل اقتراحه فان التقسيم سيكون الحل البديل برغم

ما فيه من أخطار وعيوب^(١) . وهكذا لم يصل البرلمان الى قرار بشأن التقسيم ، فارجىء البت فيه ريثما تنظر فيه عصبة الأمم .

اجتمعت لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الامم في جنيف لدرس قضية فلسطين (٣٠ تموز) وحضر احدى عشرة جلسة من جلساتها وزير المستعمرات البريطاني بنفسه . واعربت في تقريرها الذي رفعته الى مجلس عصبة الامم في دورته الثانية والثلاثين غير الاعتيادية عن موافقتها بشكل غير حاسم على مبدأ التقسيم ، ولكنها أوصت بأن لا يمنح الاستقلال للدولتين العربية والصهيونية ، ولا يعمل به الا بعد مرور مدة تختبر خلالها مقدرة كل من الدولتين على ادارة شؤونها بنفسها ؛ واذا تعذر التقسيم ، فان بقاء الانتداب متعذر كما هو نافذ بشكله الحاضر ، ولذا يجب ادخال تعديلات جوهرية عليه . كما اشترطت لجنة الانتدابات في أي حل كما يكون مقبولاً أن لا يؤدي الى حرمان العرب الا من أقل عدد ممكن من الأمكنة التي يعلقون عليها أهمية خاصة اما لوجود منازلهم الحالية فيها ، أو لدواع دينية . وبشروط فيه ايضاً ان تكون المناطق المحصنة لليهود متسعة وخصبة وملائمة للمواصلات البحرية والبرية الى درجة يتسنى معها تحسين تلك المناطق تحسباً اقتصادياً واسع النطاق ، وجعلها بالتالي قابلة للاستيطان الكثيف السريع^(٢) .

وفي مقدور الباحث أن يؤكد في ضوء هذا الرأي الذي رفعته لجنة الانتدابات الدائمة أن أعضاءها قد سمحوا للبراعة وحسن الاخراج اللذين تفرس بها الصهاينة في عرض قضاياهم أن يؤثروا في الحكم الذي اصدروه ، وأنهم أهملوا - ربما عن غير قصد - واجههم الذي يلزمهم كـمحققين بأن يكون تقصيم لمطالب العرب أقرب الى الدقة والكمال ، نظراً لأن

Sykes, op. cit, pp. 209-210

(١)

Minutes of the 32 nd session, pp. 227 - 230

(٢)

العرب لا يملكون من وسائل العرض ما يباهون به وسائل الصهيونيين . والحق أن أعضاء اللجنة يفيدون من مكتب صهيوني في جنيف ، مجهز أحسن تجهيز ، يزودهم طوال السنة بالمعلومات بالشكل الذي يناسبهم وباللغة التي يفهمونها ^(١) .

وكان ينبغي على اللجنة أن تلتفت الى مصدر هام كالصحف العربية الصادرة في فلسطين ، في التربة الأصلية التي نبتت فيها جذور الشكاوى والقضايا ، والمتضمنة تعليقات قيمة على الاسلوب الذي يطبق فيه الانتداب وتأثيره في السكان العرب . ان عجز عرب فلسطين ، في الفترة ما بين الحربين خاصة عن عرض ظلامتهم بلغة اجنبية قد أدى الى ان المعلومات التي تصل لجنة الانتداب تصبح ذات طرف واحد ، حتى غدت رقابة اللجنة على سير الانتداب ، تظهر لدى قراءتها في المحاضر ، وكأنها غالباً رقابة دعاة الصهيونية ، أفنعب بعد ذلك ان صدر رأي لجنة الانتداب مجافياً للحق الصريح .

ومهما يكن الأمر ، فقد شجب المندوب الفرنسي في عصبة الامم الفكرة القائلة بأن فلسطين يمكن ان تستوعب هجرة يهودية غير محددة ، وقال ان هذه الفكرة سخيفة ؛ وقارن حال الذين قدموها بحال الطفل الذي ألقاه القديس أوغطين بمحاول افرار ماء المحيط في ثقب على الشاطئ ! وتحدث المندوب الأيرلندي عن قسوة وظلم حل يقول على تقسيم فلسطين ، وكذلك فعل مندوبا ألبانيا وأفغانستان ، ودافع مندوبو مصر والعراق ويران عن الحق العربي في فلسطين . وقد رفض مندوب مصر مشروع التقسيم باسم حكومته لأسباب عديدة منها أن التقسيم يناقض حقوق العرب الطبيعية ، اذ يستحيل ان يطلب اليهم أن يوافقوا على نزع سيادتهم عن قسم من بلادهم ، ولأن التقسيم ينقض العهود التي قطعها انكلترا بشأن استقلال العرب ، ولأنه لا يحل مسألة السلم في فلسطين ولا مسألة اليهود في العالم ، بل يقيم دولتين صغيرتين لا حيوية فيها ولا أمل لهما بالحياة . ولأن التقسيم

يؤدي الى بناء دولة على أساس ديني . وطلب مندوب مصر عقد معاهدة بين فلسطين وبريطانيا تضمن فيها حقوق الأقليات ومصالحها ، وتنظيم الهجرة على أساس عملي وبنسبة معقولة لائتمس حقوق العرب . ووافق المندوب العراقي على ما قاله زميله المصري وقال ان كل حادث يقع في فلسطين يحدث دويماً في العراق . أما المندوب البولوني فقد طالب بتشجيع الهجرة اليهودية . وفي ١٤ ايلول تولى المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية عرض سياسة حكومته أمام مجلس العصبة ، وأعلن باسمها أنها قبلت بمقترحات اللجنة الملكية ، وأنها مستعدة لارسال لجنة فنية خاصة الى فلسطين لوضع خطة مفصلة لمشروع التقسيم وتخطيط الحدود^(١) .

وطلب ايدن من مجلس العصبة الموافقة على ارسال هذه اللجنة الفنية برغم ان ارسالها كان يعتبر اجراء طبعياً ، الأمر الذي يشير الى ان الحكومة البريطانية تود المناورة كسباً للوقت قبل التوصل الى قرار نهائي حول التقسيم ، على أمل أن تطور الوضع في فلسطين سبيلها عليها السياسة المناسبة^(٢) .

وقد وافق المجلس على ارسال اللجنة الفنية في اجتماع ١٦ ايلول بعد مناقشة طويلة . ولو أن المنصفين من أعضاء لجنة الانتداب والعصبة تنهروا الى ما كان يجري في زوربخ على مقربة منهم ، حيث انعقد المؤتمر الصهيوني العشرون (٣ آ ب) وتبعه المؤتمر الخامس للوكالة اليهودية (١٨ آ ب) ، لسمعوا ما يكفي لتفسير وتبرير مخاوف العرب من الخطط الصهيونية الميطة ضد العرب ، والضالعة مرحلياً مع الاستعمار البريطاني .

Hurewitz, op. cit, pp. 90-91

(١)

Marlowe, op. cit, p. 184

(٢)

الصهاينة والتقسيم :

انعقد المؤتمر الصهيوني العشرون ما بين الثالث والسابع عشر من آب ١٩٣٧ في زوريخ . ودعا وايزمن بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية الى التزام الحكمة والتريث في رفض التقسيم ، وهاجم هربرت صموئيل لمعارضته التقسيم وتحديد الهجرة ، لأن اليهود لا يقنون أقلية تحت السيطرة العربية . وكان صاحب الرأي المعارض لوايزمن يدعى مناحيم أوبشكين ، وكان يتولى رئاسة السن في المؤتمر ويعتبر من أوائل الصهاينة ، ويجهر بأنه لا يقبل بأقل من دولة يهودية تضم جميع أراضي فلسطين ، ويعتبر الرجل رئيساً للفئة التي تسمي نفسها متطرفة مقابل فئة وايزمن التي تسمي نفسها معتدلة .

وقد اشتدت الحصومة بين الفئتين الأوليتين ، وبدأ عند اجتماع المؤتمر أن غالبية أعضائه تؤيد رأي (المتطرفين) القائل بأن القرة وحدها هي التي تحل القضية الفلسطينية ، وأن التخلي عن أي جزء من فلسطين يقضي على آمال الشعب اليهودي المضطهد والمهدد بالطرده في كل مكان . ولكن دبلوماسياً وايزمن البارعة نجحت في الحصول على قرار وسط ينطبق مع المرحلة الواقعية المرنة هو : يعلن المؤتمر ان مشروع التقسيم الذي عرضه اللجنة الملكية غير مقبول . وبحول المؤتمر اللجنة التنفيذية الدخول في مفاوضات مع حكومة جلالاته للتأكد من الشروط الدقيقة التي تقترحها لاقامة دولة يهودية^(١) ، ولن يكون في مقدور اللجنة التنفيذية أو المنظمة الصهيونية أن تلزم نفسها بشيء في مثل هذه المفاوضات ، ويتحتم عليها في حالة ظهور مشروع محدد لاقامة الدولة اليهودية أن تعرضا هذا المشروع على مؤتمر صهيوني جديد ، ينتخب لدراسة المشروع واتخاذ القرار بشأنه .

وانخذ المؤتمر أيضاً عدة قرارات أخرى بصدد تقرير لجنة بيل : فاستنكر وضع حد

للهجرة اليهودية ، وأكد ان الانتداب قابل للتطبيق ، خلاف ما رأيت اللجنة الملكية .
وبقية القرارات كانت مجرد وسائل دعائية صهيونية .

ومها يكن الأمر فقد ثبت ان المؤتمر كان أكثر ميلاً لقبول تقرير اللجنة من رفضه :

١ - نظراً لتردي وضع اليهود في المانيا يومذاك .

٢ - ولأن حلم الدولة اليهودية مها كان شكلها ، كان يكسف أي نقد يوجه إليه .

٣ - ولأن زعماء الصهيونية كانوا في قرارة نفوسهم يؤمنون بأن الحدود التي وضعها
لجنة بيل لا بد أن تكون مؤقتة . يؤيد ذلك ما قاله بن غوريون رئيس اللجنة التنفيذية في
حديث صحفي : « ان الخلاف لم يكن حول ما اذا كان يصح أو لا يصح تقسيم (أرض
اسرائيل) فانه ما من صهيوني يسمح بالنزول عن أي قدر مها صغر من أرض اسرائيل ،
واما كان البحث في المؤتمر يدور حول تقدير أي الطرفين هو الأقرب للوصول الى الهدف
المشترك » . كذلك عندما سئل وايزمن عن عدم اشتغال الدولة اليهودية المقترحة على صحراء
الجنوب والقب ، رد قائلاً بشيء من التعمية : « انها لن تهربا »^(١) ! ولتؤكد هنا مبدأ
المرحلة الصهيونية المسيطرة دائماً على البرنامج الصهيوني الاحتلالي ، ولتذكر أن وايزمن
وبن غوريون كانا يعتبران يومذاك من (المعتدلين) ، فنتأمل هذا التضليل الصهيوني
المقصود لكسب الموقف .

ولا حاجة الى القول استطراداً بأن وايزمن الذي كان منوطاً به ما يتطلبه قيام الدولة
الصهيونية من اتصالات سياسية ، لم يكن متوقعاً منه أن يجهر بالدعوة الى القوة والعنف
في نطاق مهمة من هذا النوع . ولم يكن يخفى على وايزمن ان تمسكه والصهاينة بفلسطين
يعني بالضرورة اختياره للسير عبر أنهار الدم . ان هذه النوايا العدوانية التي كان يخفيها

وايزمن قد كشف عنها الضابط البريطاني الصهيوني الكولونيل مينرتهاغن Meinrtzhagen الذي كان مسؤولاً عن الشؤون السياسية في فلسطين منذ بداية عهد الانتداب ، والذي قام بدور فعال لدعم الحركة الصهيونية واقناع كبار المسؤولين البريطانيين بتأييد أهدافها ؛ فقد كتب في يومياته يقول عن ايزمن : « ان ايزمن عدو عنيف بطبيعته للعرب . ان كلمة (يهودي) أو (صهيوني) تعني بالنسبة له التقدم وقلب النظام القائم في فلسطين . أما كلمة (عربي) فتعني الجمود واللا أخلاقية والحكومة المتعفنة والمجتمع الفاسد غير المأمون ،^(١) ، وقد أقر ايزمن للكولونيل مينرتهاغن أن الدولة اليهودية يجب ان تمتد عبر شرفي نهر الاردن، وإلا فان فلسطين لن تتسع للملايين اليهود الذين سيهاجرون إليها^(٢) . وقد اعترف مينرتهاغن كذلك ، بأن ايزمن يخفي فهمه الحقيقي للصهيونية ولأحلامه في فلسطين يهودية^(٣) . وحين أكد المندوب السامي هربرت صموئيل على وجوب كسب جانب العرب كما يتمكن الصهاينة من إحراز أي نجاح في فلسطين ، « نظر ايزمن الى غمز بعينه استخفافاً بالتعاون الذي سيقوم بين النسناس والأرنب^(٤) . إن هذه الأقوال تكشف عن شخصية ايزمن الذي تحاول الحركة الصهيونية أن تصوّره داعية للسلام مستنكراً للحرب والعنف ؛ فهو يطلق شعارات السلام ويقف الى يمين جابوتنسكي في « تطرفه ، الصريح ، بينما لا يختلف ايزمن في حقيقته مطلقاً عن جابوتنسكي وغيره من زعماء الصهاينة (المتطرفين) لا في المبدأ ولا في الغاية . ويصح هذا القول نفسه على بن غوريون وحزبه في تظاهرم ، بادىء ذي بدء ، بالاعتدال والسلام والاشتراكية والعمل

Meinrtzhagen, colonel N. « Middle East Diary », London (١)

1959, p. 12

ibid, p. 14 (٢)

ibid, p. 147 (٣)

ibid, p. 148 (٤)

لانعاش الأرض . . ولكن تصريحانهم ودعواتهم لم تلبث - فيما بعد - أن اسقطت الأفضة عن نواياهم فظهروا على حقيقتهم فاشين تصحيحين مثل جاوتسكي وحزبه ؛ فهم يرون مثله في العنف والقوة وسيلة لتحقيق أهدافهم ، كما يرون ان اتباع الحطط الأوربية التي نفذت في عمليات استعمار المناطق المختلفة في آسيا وأفريقية ، هو أفضل السبل أمام الحركة الصهيونية للاستحواذ على فلسطين .

ومها يكن الأمر ، فقد تطلب قبول تقرير اللجنة الملكية أو رفضه اقتراعاً من مجلس الوكالة اليهودية ، وعندما اجتمع هذا المجلس في زوريخ فور انتهاء المؤتمر الصهيوني العشرين كان الاتجاه السائد نحو القبول ، وان كانت هناك معارضة واضحة قاده ماكس فاربورغ ، يمثل يهود أمريكا ، ويهودا ماغنيس رئيس الجامعة العبرية في القدس . وكان هذا الأخير يدعو الى التفاهم مع العرب ، ومشاركتهم في الحكم على أساس المساواة العديدة والسياسية ، وابقاء فلسطين موحدة على أساس حكم ثنائي عربي يهودي . ان ماغنيس وثنه من يهود أمريكا غير الصهيونيين وغيرهم لم يكونوا يرفضون التقسيم بسبب اعتقادهم بأنه سيؤدي الى حرب بين العرب واليهود فحسب ، وإنما أيضاً بسبب ايمانهم بما يترتب على اقامة دولة يهودية مستقلة من أخطار حقد الدول الأخرى على اليهود لدواعي ولائهم المزدوج ، فتضطرم للرحيل عنها الى (اسرائيل) . وعندما نادى ماغنيس في اجتماع الوكالة اليهودية سائف الذكر بالسعي الى اجراء مفاوضات جديدة مع العرب ، هتف ضده جميع الاعضاء ، وأسكته رئيس الجلسة . وقال اليهود الامريكيون ان انشاء دولة يهودية هو هدف مخالف لأهداف الوكالة اليهودية كما فهموها يوم انتسبوا الى هذه الوكالة ؛ فقد تم الاتفاق يومذاك على ان الوكالة لن تسعى الى تحقيق اي غرض سياسي ، بل ستستهدف جعل فلسطين ملجأ لليهود المضطهدين ، واتفق أيضاً على ان يتخذ هذا الملجأ شكل (وطن قومي) لا شكل دولة يهودية . غير أن هذه المعارضة اليهودية الأمريكية لم تتجاوز حد النقد الكلامي ؛ وعندما

طلب من المؤتمرين التصويت على قبول مقررات المؤتمر الصهيوني أو رفضها ، تمنع الأمريكيون عن التصويت ، فوافق المؤتمر ارضاء لهم على اضافة فقرات جديدة على المقررات . مُطلب فيها من اللجنة التنفيذية الصهيونية أن تبذل جهودها لايجاد حل « سلمي » للمعضلة الفلسطينية قائم على أساس نمو الشعبين العربي واليهودي « نمواً حراً » ، وأن تقترح على الحكومة البريطانية جمع زعماء العرب واليهود في سبيل الوصول الى حل يرضى به الطرفان ، ويحافظ على وحدة فلسطين في نطاق تصريح بلفور وصك الانتداب^(١) . ولكن القيادة الصهيونية لم تخف ابتهاجها بمشروع التقسيم الذي يحقق حلم هرنسل القديم ، أما حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها فتفصيل له وقته ؛ وقد ردت على مقترحات لجنة بيل بقولها : « ان الشعب اليهودي لا يمكن إلا أن يجذب باتجاه جبل صهيون ووادي الاردن وأرت يصل اليها إما بالقوة او بالحداع^(٢) » . وقد اتصل وايزمن بوزير المستعمرات ، وأبلغه بأنه يقبل مشروع التقسيم وتقرير اللجنة مع بعض التعديلات الفرعية .

Hurewitz, op. cit p. 78

(١)

Sykes, op. cit, pp 207-208

(٢)

فلسطين م ٢٢ (١٩٦٨)

الفصل العاشر

الثورة العربية — الدور الثاني

تصاعد النضال العربي وسقوط التقسيم

مؤتمر بلودان (١٩٣٧) :

وكان من الطبيعي أن يجمع العرب في فلسطين على رد تقرير اللجنة ورفض مشروعها لعدوانه الصارخ على كياناتهم وكيان الأمة العربية في شتى أقطارها . شاركهم في هذا الاستنكار حكومات وهيئات سائر البلدان العربية كما ذكرنا ، وزاد في خطورة الأمر ما دار بين ممثلي اليهود والأترك على أن يساعد كل منها الآخر في التآمر على لواء الاسكندرونة ، وعلى ضم الجليل للدولة اليهودية التي ينبغي أن تكون لها مع لبنان حدود مشتركة . وبدلوا من أجل هذا المطلب الأخير جهوداً لاكتساب عطف البطريك الماروني ورئيس الجمهورية اللبنانية اميل اده . وتنادى العرب لعقد مؤتمر عام يعلنون فيه تضامنهم وعزمهم على انقاذ فلسطين . فعقد المؤتمر في بلودان (سورية) بين ٨ - ١٠ ايلول برئاسة توفيق السويدي شهده ٥٠ عضواً من فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان والعراق ومصر والحجاز وسجلوا فيه استنكارهم ورفضهم لمشروع التقسيم رفضاً باتاً ، وأوصوا بتأليف لجان سياسية اقتصادية دعائية . واتخذ المؤتمر أربعة قرارات :

١ - فلسطين جزء لا يتجزأ من الأقطار العربية .

٢ - رفض ومقاومة تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها .

٣ - الاصرار على الغاء الانتداب ووعده بلفور ، وابدالها بعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي في فلسطين استقلاله وسيادته ، وتأليف حكومة دستورية يكون للأقليات فيها ما للأكثرية من الحقوق والواجبات وفقاً للمبادئ الدستورية العامة .

٤ - تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلاً واصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود .

وفي الختام ، يعلن المؤتمر أن استمرار الصداقة بين الشعبين العربي والبريطاني يتوقف على تحقيق المطالب السابقة ، وأن اصرار انكلترا على سياستها في فلسطين يرغم العرب أجمعين على اتخاذ اتجاهات جديدة ، كما أن الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم إلا على هذه الأسس . وأقسام أعضاء المؤتمر وقولاً على الميثاق ، ونصه : « يعاهد المؤتمر أنفسهم أمام الله والتاريخ والأمة العربية والشعوب الاسلامية أن يستمروا في الكفاح والنضال في سبيل فلسطين الى أن يتم انقاذها وتحقق السيادة العربية عليها » .

وأرسلت وفود عربية من فلسطين الى لندن وجنيف والأقطار العربية للدفاع عن قضية فلسطين والاعتراض على مشروع التقسيم ، وأخذت عرب فلسطين يعيدون تنظيم صفوفهم لمقاومة الخطر الجديد ، بعد أن رأوا أن الحل الذي اقترحتة لجنة بيل كان شراً من الحالة التي سبقتها ، وبعد أن تكبدوا كثيراً من الغرم نتيجة شل الحركة الاقتصادية والثورة الشعبية الدامية . وعزمت حكومة بريطانيا على تنفيذ التقسيم ، فانخذت اجراءات قاسية ضد العرب لمحلمهم على قبوله ، زاد في خطورتها فعال اليهود وتعددهم غدراً على العرب واستفزازهم . وحاولت السلطة اعتقال المفتي الحاج أمين الحسيني فالتجأ الى المسجد الأقصى واحتفى فيه ، ثم غادر القدس سراً والتجأ الى لبنان (١٥ تشرين الأول) . وأعقب الاعتقالات والنفي وقوع حوادث فردية بين العرب واليهود لم تلبث الثورة العربية بعدها

أن تجددت ، لا سيما بعد أن قتل اليهود في نهاية آب تسعة من العرب . وبعد اغتيال حاكم الجليل اندروز (٢٦ ايلول) مع حرسه في الناصرة من قبل مجهولين ، وجدت السلطة ذريعة للبطش بعرب فلسطين وحل اللجان القومية واللجنة العربية العليا ، وأمر المندوب السامي الجديد السير هارولد مكمايكل باعتقال عدد من أعضائها ونفاهم الى جزر سيثل^(١) بقصد القضاء على مقاومة العرب للتقسيم ، وقد أدت حركة الاعتقالات الواسعة للوطنيين الى توتر شديد وقع أثناءه بعض الاضطراب .

ولكن هذه الاجراءات السياسية لم تؤد الى قمع الاضطراب ، ولم يلبث الاحتكاك بين العرب والسلطات البريطانية أن أخذ شكل ثورة لاهبة استمرت الى منتصف عام ١٩٣٩ ، ولم تتوقف إلا بسبب الحرب العالمية الثانية . أثبت العرب فيها أنهم في معظم الأوقات أسياد الموقف رغم الأساليب القمعية الوحشية والتدابير التعسفية الدنيئة التي اتخذها الانكليز ضد العرب وأحيانهم وقرامهم ، بحيث كانت دلالة كلب الأثر على بيت في قرية ما ، كافية لتدميرها وما حولها برمته . وتألفت محاكم عسكرية بريطانية خاصة في تشرين الثاني ١٩٣٧ ذات سلطات باعدام كل من يحوز السلاح ، ولو كانت رصاصة مخبوءة أو مدية^(٢) ، و باعدام كل متهم يشهد عليه شاهد واحد أنه ضالع في جريمة قتل . فبلغ عدد الذين أعدمتهم السلطات شنقاً (١٤٨) عربياً ، عدا الكثيرين الذين قتلهم رمياً بالرصاص من غير محاكمة ، والمئات الذين حكم عليهم بمدد طويلة في السجن ، وكان المعتقلون يعاملون بالاهانة والقهر والتعذيب .

(١) نفي خمسة م احم حلمي باشا ، الدكتور حسين الخالدي ، فؤاد سابع ، رشيد ابراهيم ويعقوب الفصين ، وفر جمال الحسيني الى سورية وتمكن المفق من الفرار بعده الى لبنان على قارب صيد .
Survey of Palestine, op. cit. pp. 12 - 13

Hurewitz, op. cit. p. 83 & Marlowe, op. cit. p. 191 (٢)
& Survey of Palestine , op. cit. p. 43

وكان من أولى أعمال المحاكم العسكرية أن حكمت باعدام شيخ مشرف على الثمانين ، هو الشيخ فرحان السعدي^(١) ، وأعدم وهو صائم يوم ٢٧ رمضان شتقاً . وقد نظم الثوار صفوفهم لحرب العصابات ، وأشهرها « أخوان فرحان » عملت في المثلث الواقع بين طبريا وعكا ونابلس ، وبدأ الثوار يعاقبون بالقتل كل من تمتع من الموسرين العرب المتذبذبين عن دفع ضريبة الدم أو ضريبة المال^(٢) .

وقد مرت الثورة العربية ما بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩ بثلاثة أدوار أولها الدور الذي واجهت فيه الصعوبات ، والثاني تغلبها على الصعوبات وبلغها ذروة القوة والسلطان ، والثالث هو دور الارهاق والضعف .

في الدور الأول الذي امتد ثلاثة شهور ظهرت العصابات المسلحة في أماكن مختلفة من البلاد ، وخاصة في لواء نابلس (مثلث الرعب) وفي المنطقة الشمالية مما يلي قضاء عكا وصفد بنوع خاص ، وفي جبل الخليل . وكانت العصابة الواحدة تتألف من حوالي خمسة عشر ثوراً يرأسها قائد من الفلسطينيين الذين برزوا في الثورة الأولى ؛ فقد لقيت العصابات كثيراً من العنت من بعض مخاتير ووجوه بعض القرى نتيجة انذار البريطانيين لهم بوجود سد أبواب قراهم في وجوه الثوار والتبليغ عنهم وحرمانهم من المعونة . فاضطر قواد الثوار الى الضغط على هؤلاء وتأديب بعضهم لزجر الباقين . وأخذوا يفرضون على القرى مقادير مناسبة من البنادق والعتاد أو الأنفاز للالتحاق بالثوار وحماية ظهرهم . ولم يكديهم ربيع عام ١٩٣٨ حتى اشتدت الثورة واتسعت فتسبقت القرى الى البذل والفداء ، وتقديم ما توجب عليها من مجاهدين وسلاح ومؤن . وبلغت الثورة ذروة القوة في دورها الثاني الذي امتد نحو

Survey of Palestine , op. cit, p . 43

(١)

Hurewitz, op. cit, p. 83

(٢)

تسعة شهور شمل نشاطها جميع بقاع فلسطين بعد أن كانت محصورة في المناطق الثلاث الأولى . وعلى الرغم من فقدان التكافؤ بين العرب وأعدائهم في العدد والعدة ، فقد أظهروا أروع صور البسالة والتضحية ، متخذين تكتيك حرب العصابات نجاه القوى الكبيرة البريطانية التي استحضرتها السلطات من مصر في تموز ١٩٣٨ ، والتي كان يصل حجم قواتها المشتركة في معركة ما الى ألفين أو ثلاثة آلاف ، مدعمة بالطائرات والمدفعات والمدفعية الثقيلة والخفيفة . وفي آب شدد الثوار قبضتهم على الأجزاء الجنوبية من فلسطين بالاستيلاء على الخليل وبئر السبع ، وفي مطلع تشرين الأول شلت الادارة المدنية خارج المدن الكبرى والمستعمرات اليهودية ، واحتل الثوار مدينة القدس القديمة ، وجوبت السلطات بمعضلة قتال الشوارع في الأماكن الضيقة من المدينة القديمة . وفي ١٩ تشرين الأول استعادت السلطات المدينة القديمة^(١) وبعدميثاق ميونيخ (آخر ايلول ١٩٣٨) استدعت السلطات تعزيزات عسكرية بريطانية أخرى من بريطانيا ومصر ، فبلغ حجم الحامية وحدها ١٦ ألفاً ، و ٧٠٠ من رجال سلاح الجو إضافة الى قوة حرس الحدود والبوليس التي كان يزداد حجمها باطراد بتجنيد البريطانيين واليهود . وتم توحيد القوات العسكرية والبوليس وأعيدتنظيمها على يد الجنرال (ويفل) الذي حل محل الجنرال (ديل)^(٢) ، حتى وصل مجموعها الى حوالي خمسين ألفاً مزودين بأحدث السلاح والعتاد . ولكن حركات المجاهدين ظلت مجلية في الميدان ، وشملت كذلك المستعمرات والممتلكات اليهودية ، والمرافق الحكومية العامة ومرآكز البريد وأنابيب البترول ومحطات السكك الحديدية ، حتى كان التخريب في السكك الحديدية يمتد أحيانا على طول ستين كيلو متراً مع المحطات المارة بها . لقد شارك في هذه الثورة الكبرى أبناء المدن وأبناء الريف ، وسائر قطاعات الشعب كانت مندجحة بالثورة

Hurewitz, op. cit, p. 94

(١)

Survey of Palestine, op. cit. P. 42

(٢)

عملاً وروحاً وعوناً . ويمكن تقدير عدد البنادق التي كانت في أيدي الثوار بعشرة آلاف عدا المسدسات التي كانت متوفرة جداً والقنابل اليدوية المحلية الصنع ، ولكن كثيراً من السلاح - من ناحية أخرى - لم يكن صالحاً ولم يكن له عتاد صالح أو كاف . ثم ان كثيرين ممن حملوه لم يكونوا مدربين على الرمي ولا على أصول الحركات العسكرية وفنونها. ولقد قابلت السلطات حركة الثورة بأشد القسوة والعنف ، بحيث بلغ عدد الشهداء العرب نحو ثلاثة آلاف ، وجرحا هم ضعف هذا العدد^(١) ، وأقيمت المعتقلات الواسعة التي ناف من حشد فيها على خمسين ألفاً من شتى الطبقات . وأباحث السلطات لنفسها تدمير البيوت ونسف المباني^(٢) والمخازن في القرى والمدن لأتفه الأسباب ، فزاد ما نسفته على ألفي مبنى. وعمدت السلطات كذلك الى اجراءات الارهاق والقهر ، كمنع التجول، وكان يتسع ويشد بنسبة اتساع الثورة واشتدادها ؛ فقد كان يعلن المنع في المدينة التي تقع فيها الأحداث ليلاً، ويمتد أياماً ، وكان أحياناً بطول حتى يشمل النهار والليل عدا ساعتين لشراء الحاجيات (كما جرى في فترة الثورة ١٩٣٦-١٩٣٧) . وقد حدث ان مُدّ منع التجول الى شهر أو شهرين وثلاثة دون انقطاع في بعض المدن ؛ بل لقد شهدته مدينة صفد طوال مائة وأربعين يوماً. وكان اسراف السلطات في اعتقال العرب وتدمير مساكنهم وفرض العقوبات المشتركة ، سبباً لسؤال في البرلمان البريطاني ، ردت عليه الحكومة بانكار وتكذيب ما نسب الى الجيش والبوليس في فلسطين « من تصرف غير قانوني واغراب في القساوة » . وفي كتاب نيوتن ، نجد نص رسالة كتبها صديق بريطاني لها بينها فيه عن القدوم الى فلسطين ، ويرسم لها

(١) دروزة - المصدر السابق ٣ : ١٨٨-٢١٥ يذكر أن عدد الشهداء ستة آلاف. وتذكر بعض المصادر البريطانية أن عدد الاصابات بلغ عام « ١٩٣٨ » وحده ، « ٣٧١٧ » اصابة ، منهم القتلى ٦٩ بريطانياً و ٩٢ يهودياً و ٤٨٦ عربياً مدنياً و ١١٣٨ عربياً من الثوار

Great Britain & Palestine (1915 - 39) R. I. L. A. P. 103
Hurewitz, op. cit, p. 84

(٢)

كشاهد عيان صورة قائمة عن العسف البريطاني بعرب فلسطين ، وفيما يلي جانب منها :
« تجدين ما لا يطاق ، إرهاباً بريطانياً أشد من الارهاب ، لا يصدقه بريطاني مدني مثلي لولا
أنه سامع بعينه . قُتل بوليس بريطاني ، فنسفوا بلدة جنين نسفاً ، وما بالغ البيان الرسمي
حيث أحصى ما هدم من المساكن بمائة وخمسين . وما قولك في أشخاص ركضوا هروباً
للنجاة ، فأطلقت عليهم النار فسقطوا ، وهذا عين الأسلوب النازي . أما التعذيب ابتزازاً
للاقرار فما تشمئز لو وصفه نفس الأبي ، وما أريد به إلا إلقاء الرعب في نفوس الناس ،
لاعقاب المذنب . وما وقفوا عند تدمير الدور والبيوت ، تنكياً ، ولكن يؤسفني القول
بأن كثيراً من الناس قد سُرقت نقودهم ومجوهراتهم الخ . . . ويستحيل علي أن أوقفك على
كل ما هو جار من مثل ذلك حوالي . أعرف حالات مدهشة : انشغل المستخدمون
الحكوميون العرب في اصلاح تخريب اسلاك التلفون ، وكانوا عرضة لرصاص الثوار في أي
وقت ، وحين عادوا الى قراهم مساء وجدوا ان الجيش البريطاني قد نسف منازلهم ، وان
نساءهم وأولادهم يجلسون دون مأوى على أنقاضها . تلك حوادث يستمد الثوار من مثلها
ليس فقط التدعيم وإنما أهم من ذلك تصاعداً في المعنويات .

«يوم السبت ، كان اطلاق النار هنا في يافا غريباً في بابه ، فكل من لاح هدف . وبينما
كان مساح حكومي عربي متقف ، يتحدث الانكليزية ، عائداً الى منزله بعد أن فرغ من
عمله ، أطلق عليه النار وقتل هنا في الشارع ، ولقيت بنت صغيرة نفس المصير في اليوم ذاته ،
وفي هذا الصباح لم يحمل لي الجريدة بائع الجرائد الصبي المبتسم ، ولدى السؤال عنه تبين أنه
أطلق عليه النار . منذ أيام الصليبيين هذه أول مرة فتحكم حكومة مسيحية الأرض المقدسة ،
اللهم اغفر لنا^(١) !

وفي هذه الآونة التي علا فيها مدّ الثورة قدمت لجنة ودهيد لاتمام درس مشروع التقسيم ووضع صيغته النهائية .

لجنة التحقيق الفنية (ودهيد) شمول الثورة (١٩٣٨)

وفي ٤ كانون الثاني ١٩٣٨ تلقى المندوب السامي كتاباً من وزارة المستعمرات يعلن عن قرار ارسال لجنة فنية الى فلسطين تكون مهمتها « محصورة في التأكد من الحقائق والنظر في تفاصيل امكانيات برنامج للتقسيم » . كما يعلن أن حكومة بريطانيا ليست ملازمة بالموافقة على خطة التقسيم التي اقترحتها لجنة بيل « وبوجه خاص انها لم تقبل مقترحات اللجنة لأنها تؤدي الى نقل السكان العرب من المنطقة اليهودية الى المنطقة العربية » . وختم الكتاب قوله بأن بحث اللجنة اذا نجح عنه برنامج عادل للتقسيم ، فسوف مجال الى مجلس عصبة الأمم للنظر فيه^(١) .

ويبدو أن اللجنة الفنية كان متوقفاً منها أن تزود الحكومة بأسباب موجبة معقولة للتخلي عن قبولها السريع بمشروع بيل ، بعد أن وضح للحكومة أن العرب يقاومون بضراوة أي مشروع لتقطيع أوصال بلادهم^(٢) .

تم في نهاية شهر شباط تعيين اللجنة الفنية برئاسة السير جون ودهيد ، وهو رجل أحرز شهرة أثناء عمله في الهند ، واشترك معه في عضوية اللجنة السير أليسون راسل والمستر بيرسي فال والمستر توماس ريد ، وكانوا جميعاً باستثناء راسل من موظفي حكومة الهند السابقين . وصلت اللجنة الى حيفا في ٢٧ نيسان والبلاد مضطربة بالثورة وعادت الى لندن في شهر آب لتنشر تقريرها في شهر تشرين الثاني . وكانت اللجنة العربية العليا قد أعلنت « أن الشعب

Survey of Palestine. op. cit, p. 41

(١)

Marlowe, op. cit, p. 192

(٢)

العربي لم يعد يثق بسياسة اللجان ، وهذه اللجنة هي التاسعة ولا يسعه الا أن يعرب عن أشد سخطه واستنكاره لأن يصبح منذ عشرين عاماً موضعاً لسلسلة من التجارب والاختبارات التي تسلبه دائماً أعز ما يملك من طمأنينة وراحة ، وتغضب في النتيجة بيته الموروث ووطنه المقدس . فقاطع العرب اللجنة الفنية مقاطعة تامة^(١) ، وبينما رحب بها بمثل السلطة واليهود ، استقبلها الثوار بزيادة نشاطهم العسكري ، وهجوم عام على صفد ، وقتل تسعة من أفراد البوليس العرب وستة من (وجهاء) طولكرم .

وفي غضون ذلك حل مالكونم مكدونالد محل اورمبسي غور في وزارة المستعمرات وكان هذا الأخير من أقوى أنصار التقسيم ومن أعنى مؤيدي الصهيونية ؛ وحصر وايزمن وجماعته الحديث عن التقسيم أمام اللجنة ، في حين تقدم متطرفون فطلبوا دولة يهودية في جميع فلسطين . ومنهم من طالب بشرق الاردن . وقدم حزب الدفاع مذكرة الى اللجنة فند فيها التقسيم ، ورأى أن حل المشكلة يتلخص في انشاء دولة واحدة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا ، يكون لليهود فيها نسبتهم الحاضرة كأقلية ذات حقوق دستورية مضمونة^(٢) .

وقدم الأمير عبد الله من عمان مشروعاً بدولة موحدة تضم شرق الاردن وفلسطين على أن يكون لليهود فيها استقلالهم الذاتي في مناطقهم مع حق التمثيل النسبي في ادارة البلاد . وأن يكون لهم الحق في هجرة محدودة بنسبة معقولة الى هذه المناطق . أما هجرة اليهود الى المناطق العربية فتكون منوطة برضاء العرب . ولكن اللجنة العربية نشرت بياناً رفضت فيه أي حل لا يتفق مع الميثاق الوطني ، وهو استقلال فلسطين ووقف الهجرة وبيع الأراضي ، كما رددت الصحف ومنابر الرأي العام في الشام والعراق ومصر تأييدها للميثاق .

Hurewitz, op. cit, p. 92

(١)

ibid

(٢)

وظلت إرادة الثورة العربية موحدة صلبة إلا في أوساط الحكومة المصرية ، فان صوتها كان خافتاً . غير أن مصر ستسلم المبادرة بعد قليل ، حين سينعقد فيها المؤتمر البرلماني العالمي للدول العربية والاسلامية ، وحين سيجلجل صوت مندوبها عالياً بالحق ، كما فعل في جنيف ، معلناً أصالتها العربية وصردها في الدفاع عن التراب العربي الأقدس .

اشند ساعد الثورة منذ تشرين الثاني ١٩٣٧ وتعاضمت قوتها ، وفي تشرين الاول من العام التالي (١٩٣٨) كان الثوار يسيطرون على جزء كبير من فلسطين سيطرة فعالة ، وكان يدعمهم جميع السكان العرب تقريباً^(١) ، وبذلك بلغت الثورة أوج سلطانها ، وصار الثوار يدخلون مدن فلسطين بالآلاف مهلبين مكبرين ، فيدمرون منشآت الادارة الانتدائية ويغنمون ما في مخافرها من سلاح ، ثم يغادرونها بمثل ما دخلوها .

واعترفت السلطات البريطانية بتساعد عمليات الثورة في المرتفعات خلال النصف الاول من عام ١٩٣٧ ، وقالت ان الثوار قاموا بـ ٤٣٨ هجوماً بالقنابل والاسلحة النارية على الجند والبوليس . وأن السلطات عمدت الى تجنيد ٩٧٨ يهودياً في البوليس النظامي ، مع ٣٨٨١ يهودياً كاحتياط لحماية المستعمرات اليهودية^(٢) .

وفي خلال الأسابيع الأخيرة من عام ١٩٣٧ ، كانت المعارك مستمرة بين الثوار في مناطق الجليل ونابلس ، وبين الجند البريطاني . وفي يوم عيد الميلاد ، نشبت معركة كبرى قرب طبريا ، واشتبك فيها (١٥٠٠) من الجند البريطاني مع الثوار ، ودامت ثلاثة أيام . ونشب قتال كبير آخر في نهاية شهر كانون الثاني ١٩٣٨ في هضاب الكرمل قرب جنين . وثبت للقادة للعسكريين البريطانيين أن الثوار العرب يقومون بحرب عصابات

Marlowe, op. cit, p. 190

(١)

Survey of Palestine, op. cit, p 43

(٢)

بارعة بحيث لا يمكن مطاردتهم أو تطويقهم ، وبذلك انحصر نطاق العمل العسكري البريطاني في مجال الدفاع الذي يستهدف منع الثوار من الاغارة على المستعمرات اليهودية أو وسائل المواصلات والطرق الحديدية . واعترف القادة ان هناك ربطاً محكماً بين مناطق الثوار ، وأن القادة الثوريين كان لدى كل منهم مركز قيادته في المرتفعات وهيئة أركانه، مع محاكم عسكرية وجهاز للمخابرات .^(١) وفي نهاية عام ١٩٣٨ قدر الخبراء العسكريون البريطانيون أن لدى الثوار حوالي (١٥) ألف رجل تحت السلاح ، مقابل (٥) آلاف عام ١٩٣٦.^(٢)

ولما قدم مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات الى القدس (آب ١٩٣٨) للتباحث مع المندوب السامي والقائد العام الجنرال هيننج Haining الذي خلف الجنرال ويفل^(٣) ، كان هدير الثورة يعلو ويشد في طول البلاد وعرضها ، وشاهد بنفسه روح الفداء والتضحية التي تجلت في الجماهير الثورية بفلسطين ، روي عنه قوله : « إن فلسطين أسوأ بلد في العالم ، وان مركز المندوب والقائد العسكري فيها ، أسوأ مركز رجلين في الامبراطورية ، وان قمع الثورة العربية ، ليس بالسهولة المظنونة . وصرح حاكم اللواء الشمالي في تقرير رسمي مؤرخ في ايلول ١٩٣٨ ، يصف ما شاهده بعينه فيقول : .. ان الظاهرة البارزة للوضع الحاضر هي مقاطعة العرب فعلياً لدوائر الحكومة ، وان العرب جميعهم ، الا بعض الموسرين والوجهاء الذين رحلوا الى سورية ولبنان تأثرون ، أو مستسلمون للثورة استسلاماً لا يميزهم عن الثوار ... والعرب يعتقدون أن قضيتهم رابحة ، ولذلك فهم يتحملون بجد رائع الحسائر الجسيمة في الارواح والأموال ، والمشقات الجسدية التي تجرّها عليهم

Marlowe, op. cit, p. 193

(١)

Marlowe, ibid, p. 191 & Survey of Palestine, op. cit, p. 44

(٢)

ibid

(٣)

الاضطرابات . . (١) وكان قادة الثورة العامون من الفلسطينيين يشرفون على ادارة المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ويتباحثون للفصل فيما يعرض عليهم من القضايا والأحوال المدنية والجزائية، وذلك بعد طرد رجال الادارة والبوليس البريطاني من المدن واحدة بعد الاخرى. ويعترف مصدر صهيوني أنه في نهاية ايلول ١٩٣٨ كانت الادارة المدنية في ضواحي القدس وجنوبي فلسطين قد انهارت . وان الثوار كانوا يعتقدون محكمهم الخاصة لمحاكمة المنحرفين من العرب (٢). وقد اشتهر من هؤلاء القادة خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير) ، توفيق الابراهيم (ابو ابراهيم الصغير) ، سليمان العبد القادر ، (أبو علي) ، والشيخ عطية احمد ، يوسف أبو درة ، محمد صالح العبد ، الشيخ عبد الفتاح العبد ، عبد الرحيم الحاج محمد ، عارف عبد الرزاق ، أحمد محمد الحسن ، عيسى البطاط ، الشيخ حسن سلامة ، عبد الحلیم الجيلاني ، وغيرهم. وقد وافاهم الأجل المحتوم، شهداء في ساحات الجهاد والشرف. (٣) وبما يجدر ذكره عن الاجماع الشعبي الرائع والمسؤول ما عاينه قواد الثورة من أن السلطات تختص بتفتيشها ومطاردتها في المدن لابسى العقال والكوفية بنوع خاص ، وكان هذا زي الثوار والفلاحين القرويين المجاهدين ، فأوحى القواد في اوائل آب ١٩٣٨ باتخاذ هذا الزي زياً عاماً ، فلم يمض شهر واحد حتى وضع الناس على رؤوسهم الكوفية والعقال بدلاً من الطربوش (٤). وأظهرت القوافل المتنقلة بين فلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان ، المنوط بها تجييز المجاهدين وامدادهم ، ما أعيا السلطات ؛ ولم يجدها فتيلاسد حدود هذه الاقطار في ربيع ١٩٣٨ بسور من الاسلاك الشائكة وسلطة من القلاع الحربية على

(١) دروزة - المصدر السابق - ٣ : ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) Hurewitz, op. cit p. 92

(٣) انظر في تفاصيل مناطقهم ومعاركهم دروزة - المصدر السابق .

(٤) دروزة - المصدر السابق ٣ : ٢٠٢ .

امتداده^(١) : طول السد ثمانون كم على حدود سورية ولبنان ، وأربعون على حدود الأردن ، وعرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه مثلها . وبث الألغام على طوله مع خمس عشرة قلعة سُخنتها بالحراس المجهزين بمعدات الكشف والقتال والمواصلات .

وكان السير سارلز تيغرت Tegart قد نصح به خلال زيارته الاستشارية لفلسطين بناء على طلب السلطات العسكرية فيها ، وقد عرف بسور (تيغرت) وهو تطبيق لمبدأ (عزل الثورة) الذي اقترحه . وكان المفروض أنه حالما تصل الامدادات العسكرية يصار الى تطويق الثوار وعزلهم عن بقية البلدان ، ولكن حين وصلت الامدادات كانت البلاد كلها في حالة ثورة .^(٢)

وأعلنت الحكومة البريطانية في تشرين اول ١٩٣٨ ان عدد الفرق العسكرية البريطانية في فلسطين وصل الى ١٧ فرقة^(٣) .

وقام بإنشاء السور مقاولون وعمال من اليهود تحت حراسة بريطانية وكلف نصف مليون جنيه . ولكن السد انهار أمام براعة الثوار وكثرت الثغرات فيه حتى غدا دون جدوى ، وغنم الثوار متفجرات الألغام ، ووصفت بعض الصحف الانكليزية السد بأنه خرافة ، في معرض تنويعها بقوة الثورة وروحها^(٤) .

وفي شهر آب ١٩٣٨ قتل مساعد حاكم منطقة جنين (موفات - Moffat) في مكتبه ، وفي ايلول اعترفت مصادر السلطات أن العمل الثوري قد بلغ الأوج ، إذ جرى تدمير

Hurewitz, op. cit, p. 81 (١)

Marlowe, ibid. p. 196 (٢)

ibid . p. 203 (٣)

(٤) دروزة - نفس المصدر السابق والصفحة

مدرّوس للبهائي الحكومية ، والاستيلاء على مستودعات السلاح . وفي خلال عام ١٩٣٨ يذكر المصدر الرسمي البريطاني أنه جرى (٥٧٠٨) حادث عنف ، منها ٩٨٦ هجوماً على البوليس والجيش البريطاني ، و ٦٥١ هجوماً على المستعمرات اليهودية . أما الاصابات فيقدرها المصدر نفسه بما يلي :

من البريطانيين ٧٧ قتيلاً و ١٢٦ جريحاً
من العرب ٥٠٣ » و ٥٩٨ »
من اليهود ٢٥٥ » و ٣٩٠ »

ويقدر عدد الثوار القتلى على يد الجيش والبوليس بما لا يقل عن ألف . وحاكت المحاكم العسكرية البريطانية ٣٨٢ شخصاً خلال العام نفسه ، وحكمت بـ ٥٤ حكماً بالموت صادق عليها القائد العام ، أما السجناء من العرب فعدد ٦٣٤٦^(١) .

وفي الاشهر الثماني الأولى من عام ١٩٣٩ ظلت الثورة العربية مشتعلة ولكن قوتها كانت تتناقص تدريجياً ، واستشهد في آذار المجاهد البطل عبد الرحيم الحاج محمد الذي اكتسب شهرة عظيمة في القتال . وبلغ عدد حوادث الصدام بين الثوار والسلطات البريطانية بحسب المصدر الرسمي البريطاني (٣٣١٥) حادثاً ، أما الاصابات فيقدرها المصدر نفسه بما يلي :

من البريطانيين ٣٧ قتيلاً و ٦٦ جريحاً
من العرب ٤١٤ » و ٣٧٣ »
من اليهود ٩٤ » و ١٥٩ »

وحكمت المحاكم العسكرية البريطانية على ٥٢٦ شخصاً منهم ٤٥٤ عربياً و ٧٢ يهودياً ، وحكمت بالموت على ٥٥ عربياً ، وبالسجن على ٥٩٣٣ منهم ٢٥٤ يهودياً والباقي عرب^(٢) .

Survey of Palestine, op cit, p. 46 (١)

Survey of Palestine, op cit, pp. 48 - 49 (٢)

غدر الصهاينة :

وفي اثناء الثورة لم يكن الصهاينة في معزل عن الجبهة المعادية للعرب . فانهم كانوا يتحينون جميع الفرص للغدر بالعرب وقتلهم بالقنابل الموقوتة ، تضعها عجايزهم وفتياتهم الصغيرات في اسواق الحضار العربية المزدهمة ، فتفتك بالعشرات من العرب : (في ٦ تموز انفجرت قنبلة في سوق الحضار بجيفا فقتل ٢٣ معظمهم من العرب ، وفي اليوم التالي قتل عربان بقنبلة في القدس^(١) . وفي ١٥ تموز ١٠ قتلى عرب في سوق الحضار في حيفا ، في ٢٤ تموز ، ٥٠ قتيلاً في القدس . في ٢٦ آب ٤٨ قتيلاً في يافا) . وفي ٦ و ٧ تموز حدث صدامان عنيفان في حيفا والقدس بين العرب واليهود اثر القاء قنبلة يهودية في أحد شوارع حيفا ، فقتل ٤٠ عربياً و ٢٧ يهودياً وجرح ٩٢ عربياً و ٣٢ يهودياً ؛ وكانت الوكالة اليهودية والمجلس الملي (فعاد لثومي) يتظاهران باصدار نشرات تدين «المتطرفين» اليهود ، بينما يعاونان سراً جميع أعمال الإرهاب والغدر ضد العرب العزل ، وهم في كل ذلك يتلقون الدعم المعنوي من السلطات البريطانية^(٢) . أما الدعم المادي فأدلته لانهى من تجاهل السلطات لتهريب السلاح الى اليهود من الخارج ، وإمدادهم به من الداخل ليوزع على خفراء المستعمرات اليهودية . وبلغ عدد البنادق المسلمة لليهود (٤٨٠٠) بندقية ، كما بلغ عدد خفراء مستعمراتهم (٧٨٠٠) تسلحوا بما حصلوا عليه من سلاح مهرب . ويعترف مصدر

Marlowe, op. cit, p. 200

(١)

Esco, Vol. 2, p. 878

(٢)

جاء ونفت وهو ضابط اسكوتلندي شاب الى فلسطين عام ١٩٣٦ ، وكان يعرف العربية معرفة كاملة . ولم يلبث أن أصبح نصيراً قوياً للصهيونية وتصادق مع وايزمن وزوجته . واقترح سنة ١٩٣٧ أن يطلب وايزمن في حال تنفيذ التقسيم اعارة ونفت الى جيش الدولة اليهودية . وقد تولى مع فرقة فوش التي كان يقودها حماية خط الأنابيب الممتد الى حيفا واقتفاء أثر الثاثرين وضربهم . (انظر عنه سايكس 220-222 pp .)

صهوني أن قوة البوليس اليهودي في المستعمرات قد تزايدت من ٣٥٠٠ في نهاية عام ١٩٣٦ الى ٥٠٠٠ بعد عام واحد فقط ، وقد طلبت الوكالة اليهودية بإلحاح المزيد من السلاح والتدريب لأكبر عدد ممكن من اليهود . وسمحت الحكومة المنتدبة بتجنيد ١٠٠٠ متطوع يهودي في الحرس بالقدس ، كما سمحت بإعادة تنظيم بوليس المستعمرات اليهودية للاشتراك مع قوات الهاغانا بمجاينتها ، ويبدو أن لإنشاء المستعمرات اليهودية لم يتوقف إبان الثورة . ويقول المصدر الصهيوني ان القرى اليهودية كانت تنشأ بمعدل واحدة في الشهر ، وكان يحدد موقعها في المناطق التي لا توجد فيها مستعمرات يهودية أو التي يكون عددها فيها قليلاً . وقد تسارع الاستيطان اليهودي في الريف خشية وضع القيود وشيكاً على شراء الاراضي العربية ، وفي الوقت نفسه رغبة في توسيع المطالب اليهودية الأرضية بموجب أي مشروع للتقسيم ، ومن ناحية اخرى للتأثير على العرب بأن اليهود لن تعاق مشاريعهم بالعنف^(١) .

وحين دخلت الثورة العربية دورها الثاني في خريف ١٩٣٧ قام جماعة من شبان حزب التصحيحين بأعمال انتقام وغدر ضد العرب ، وقد حكمت محكمة عسكرية بالاعدام على شاب منهم في نهاية حزيران ١٩٣٨ . وبعد هذا التاريخ نظم التصحيحيون أنفسهم بوحدات مسلحة أسمت نفسها الارغون ترفائي لثومي (المنظمة القومية العسكرية) وبدأت هجماتها على العرب . وكان أهم فعالها الغادرة في حيفا (تموز ١٩٣٨) حين وضع أفراد منها الغاماً ناسفة في سوق الفاكهة العربي مرتين ، فقتل ٧٤ عربياً وجرح ١٢٩ ، وحدث مثل ذلك في القدس^(٢) ، وكانت اذاعة الأروغون السرية تعان مسؤوليتها عن كل حادث ارهابي ، وتدعو اليهود للانخراط في صفوفها . ولجأت الحكومة المنتدبة نكابة بالعرب الى الاستعانة بأفراد

Hurewitz, op. cit, p. 84

(١)

Survey of Palestine, op. cit, p. 44

(٢)

البوليس اليهودي لحراسة المنشآت الحكومية ، كما بدأ الجيش البريطاني في دعوة الوكالة اليهودية الى تزويده بالمتطوعين من صفوف الهاغانا لأغراض هجومية على الثوار العرب . وقد وافق الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في فلسطين على انضمام أحد ضباط شعبة المخابرات البريطانية ويدعى الكابتن اورد شارلز ونغت الى قوات الهاغانا - فرقة فوش المنوط بها مهمة الدفاع عن بعض المستعمرات اليهودية النائية خلال الثورة ، وحماية انبوب النفط القادم إلى حيفا . ويعترف الكاتب اليهودي الصهيوني هيروتز أن مائتين من افراد الهاغانا قد التحقوا للخدمة مع الحاميات البريطانية في منطقة الجليل^(١) ، كما يعترف نصير الصهيونية سايكس بأن « الهاغانا اتخذت خطة الهجوم على العرب ، وكانت السلطات البريطانية تعرف حقيقة بعض ما تقوم به الهاغانا فلم توافق عليه ، ولكنها لاتكاد تتخذ إجراء لوقفه^(٢) » .

مؤتمر ايفيان :

وفي غضون ذلك بذلت الصهيونية العالمية جهوداً جبارة لتوجيه أنظار يهود العالم الى فلسطين دون سواها ، وأرادت أن تبرهن أنه لا يوجد أي بلد في العالم يقبل المهاجرين اليهود الفارين من مظالم الحكم النازي في ألمانيا .

وقد اتبعت لها هذه الفرصة في مؤتمر ايفيان الذي دعا اليه الرئيس الامريكى روزفلت في حزيران ١٩٣٨ ، ربما بتأثير دعايات ماغنيس وأنصاره ، لعقد اجتماع لممثلي جميع الدول الأمريكية والأوربية باستثناء ألمانيا . وبما أن روزفلت « لم يكن يعرف الكثير عن الصهيونية أو القومية العربية ، أو عن متاعب الانتداب في فلسطين ، وكان يتصرف في بداية الأمر وكأنه يواجه مشكلة بسيطة ، فقد صرح « ان مثل هذا المؤتمر سيظهر للعالم

Hurewitz, op. cit, p. 92

(١)

Sykes, op. cit, p. 219

(٢)

غير الأوربي أهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين،^(١)!! وفزعت الحكومة البريطانية من هذا الاقتراح - ولهب الثورة العربية مازال يشتد ضراماً فيها - فوضحت للرئيس الأمريكي خطورة اقتراحه ، وطلبت أن يقتصر المؤتمر على الحكومات المستعدة لقبول المهاجرين الجدد وأن لا يتعرض لبحث مشكلة فلسطين . ووافق روزفلت ، واجتمع ممثلو إحدى وثلاثين دولة في مدينة ايفيان (٦ تموز ١٩٣٨) وكان صدور الدعوة الى المؤتمر عن الولايات المتحدة - خلافاً لسياستها التقليدية في العزلة - مما بعث الأمل في نفوس اليهود . ولكن كلمات المندوب الأمريكي لم تعد حدود دعوة الرايخ الألماني الثالث لاصلاح أخطائه وأساليبه مع اليهود والألمان . وتبين أن الدول المشتركة^(٢) لم تكن على استعداد لازعاج نفسها من أجل اليهود وغيرهم ، وأن مندوبيها لم يكونوا مخلصين أكثر من القاء الحطب المؤيدة للتسامح . وأبرز الكونت كاليرجي المجري مشروعاً لحل المشكلة باقامة دولة يهودية في روديسيا الشمالية (أفريقيا) ، دون جدوى . وسمحت الدومنيكان بهجرة مائة ألف من يهود ألمانيا والنمسا الى بلادها . والولايات المتحدة رخصت بهجرة اليهود اليها ، ضمن الحطة المقررة للمهاجرين من ألمانيا والتي لا تزيد عن ٣٠ ألفاً ، كذلك آوت بريطانيا مثل هذا العدد ، وتعللت بأن الأوضاع الاقتصادية السيئة في بريطانيا تمنعها من قبول المزيد ، ولكنها ظلت تعمل لجبر اليهود سرأ^(٣) . وبهنا من كل ذلك أن الصهيونيين لم يبذلوا أي

(١) Sykes, op cit, p. 223

(٢) اشتركت الدول التالية في المؤتمر: الأرجنتين ، أستراليا ، بلجيكا ، بوليفيا ، البرازيل ، كندا ، شيلي ، كولومبيا ، كوستاريكا ، كونا ، الدانمرك ، الدومنيكان ، اكوادور ، ايرلانده ، فرنسا ، غواتيمالا ، هايتي ، هندوراس ، المكسيك ، هولانده ، نيوزيلانده ، النرويج ، نيكارغوا ، باناما ، بارغواي ، بيرو ، السويد ، سويسرة ، بريطانيا ، الولايات المتحدة ، أورغواي .

Sykes, op. cit, p. 226

(٣)

جهد في المؤتمر ، ولم ينزعجوا لفشله لأنهم لم يكونوا يتوقعون منه نتائج إيجابية . بل أنهم قصدوا أن لا ينجح المؤتمر ، و « لذا لم يعربوا عن أية مرارة عندما ظهرت نتائج السلبية ، وظلوا منذ بداية الأمر ، ينظرون الى المؤتمر نظرة العداء اللامكترث . ولم يشر الكتاب الصهيونيون فيما بعد الى المؤتمر في قليل أو كثير ، فالمحاولة التي جرت في ايفيان لم تكن منسجمة في الواقع مع روح الصهيونية »^(١) .

ما السبب ؟ يجب على ذلك سايكس بقوله : « لو أن الدول الاحدى والثلاثين التي اشتركت في المؤتمر قامت بواجبها وأظهرت استعدادها لاكرام وفادة المحتاجين من ضحايا النازية ، فان ضغط الصهيونية لاقامة الوطن القومي كان سيضعف ، كما أن حماسة اليهود في فلسطين نفسها ستخبو ، وكان هذا آخر ما ينشده الزعماء الصهيونيون »^(٢) . وهكذا ظل الوضع قائماً بالنسبة الى اليهود في العالم بعد مؤتمر ايفيان ، وظلت الدعاية الصهيونية تمثل لهم فلسطين على أنها الأمل الوحيد الراهن . ولا ريب في أن الصهيونيين كانوا يفضلون استمرار صمود البلاد عن استقبالهم ، وفشل أي محاولة لتوطينهم خارج فلسطين . انهم يريدون فلسطين وكفى ! ومعنى هذا أن الصهيونية اتخذت من اضطهاد اليهود أداة سياسية غير انسانية للضغط على الرأي العام العالمي ودفعه للتسليم لهم بفلسطين ، ومن جهة أخرى لمضاعفة حماس يهود فلسطين للبقاء فيها والتضحية في سبيل استعمارهم لها !! ولا ريب في أن مؤتمر ايفيان قد عزز موقف غير الصهيونيين من اليهود الذين لا يرغبون في اقامة دولة يهودية في فلسطين . وهنا لا بد للباحث ان يحدس بأن اصعب الصهيونية الخفية كانت من وراء فشل المؤتمر ، بعد أن تعرقلت جهودها المركزة على فلسطين لتهجير اليهود النازحين اليها . وقد تحدث اللورد ونوتون البريطاني عن فلسطين فوصفها ، بأنها مشكلة

ibid, p. 228

(١)

ibid

(٢)

دولية لا تحل الا بتعاون الدول وفتح أبوابها للنازحين لأن فلسطين لا تنسع لاستيعاب هجرة جديدة .

التساند العربي الاسلامي حول قضية فلسطين :

زاد نشاط الثوار ، واللجنة الفنية ما زالت في فلسطين تتقصى الحقائق لتضع تقريرها النهائي حول التقسيم ، وما زالت الثورة تشتد بعد أن غادرت اللجنة فلسطين في أوائل آب ، حتى أصبح العرب أسياد الموقف باعتراف صحيفة الديلي تلغراف اللندنية ، برغم غدر اليهود ، وبرغم النجيدات العسكرية القوية برأ وجوأ الى الجيش البريطاني . وقبل أن نعرض لما طرأ على السياسة البريطانية نتيجة اشتداد نشاط العرب في ميادين القتال ، ينبغي أن نسجل مظاهره سياسية عربية اسلامية لنصرة فلسطين ، عندما تشكلت لجنة برلمانية مصرية تضم عدداً من الشيوخ والنواب من مختلف الأحزاب ، واستنكرت المظالم الواقعة على عرب فلسطين ، وانتصرت لعروبة الديار المقدسة بذكره شديدة الهمجة ، ثم قررت عقد مؤتمر برلماني عربي . وقد التأم شمل هذا المؤتمر ما بين ٧ - ١١ تشرين الاول ١٩٣٨ في القاهرة^(١) ، وحضره مندوبون من فلسطين ومصر وسورية ولبنان والعراق وشرق الاردن ، واشترك فيه ممثلون عن الدول الاسلامية كالمغرب واليمن والمهند والصين والجايات الاسلامية في يوغوسلافيا وأمريكا . وكان لهذا المؤتمر البرلماني أثر أكبر من مؤتمر بلودان (١٩٣٧) لا لأن الدعوة كانت دينية وقومية في آن معاً فقط ، وإنما أيضاً لأن وفوده اختارتها الهيئات البرلمانية رسمياً ، وقد رأى الخبراء البريطانيون أن هذا المؤتمر كان أكثر تمثيلاً لمشاعر المسلمين وبالتالي أكثر خطورة من مؤتمر بلودان . وقد أعلن المؤتمر بطلان وعد بلفور ، وبطلان مشروع التقسيم ، ووقف الهجرة وبيع الأراضي ، وتأليف حكومة

(١) انظر كراس المؤتمر المطبوع في القاهرة ١٩٣٨ . وانظر :

Survey for 1938, I, p 442

دستورية ومجلس نيابي منتخب بالتمثيل النسبي ، وعقد معاهدة تحالف وصدقة مع بريطانيا ، وصون وحدة فلسطين كبلد عربي ، وعفو عام عن المعتقلين السياسيين . وتكرر التهديد الوارد في مقررات مؤتمر بلودان : في حالة عدم قبول هذه المطالب فان لشعوب العربية والاسلامية في العالم ستضطر لاعتبار موقف البريطانيين واليهود موقفاً عدائياً ، وهم من جانبهم سوف يضطرون لانتخاذ موقف مماثل ، مع كل ما يترتب عليه من عراقب على العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقد عين المؤتمر ثلاثة أعضاء للتوجه الى لندن بغية شرح المقررات المذكورة للحكومة البريطانية ثم السهر عليها وتنفيذها ، وهم : محمد علي علوبة عن مصر ، وفارس الحوري عن سورية ، وعضو عن الجمعية التشريعية في البنغال عن مسلمي الهند .

وتبع المؤتمر البرلماني ، المؤتمر النسائي العربي في القاهرة ، شاركت فيه مندوبات عن الجمعيات النسائية في مصر وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والعراق ويران ، وحذا حذو المؤتمر البرلماني في تأييد ميثاق فلسطين . كذلك ظهر التناهد العربي والاسلامي حول موضوع فلسطين خلال الشهور الأخيرة من عام ١٩٣٨ وتمثل في خطاب رئيس وزراء البنجاب الذي قال فيه انه يفضل أن يقتل رمية من أن يوافق على ارسال الفرق العسكرية الهندية الى فلسطين . وقررت عصبة جميع مسلمي الهند في عشائها السنوي (كانون الاول) أن تطالب بتمثيل مسلمي الهند في المؤتمر القادم المزمع عقده في لندن ، وأنذر القرار الحكومة البريطانية بأن العصبة مستعدة « اذا لم ينصف العرب » ، لانتخاذ أية سياسة توصي بها لجنة القاهرة^(١) .

Statement of India Moslem Views on Palestine, Arab Center,(١)
London 1939

نتيجة الصمود العربي - نخلي بريطانيا عن التقسيم :

ظهر الاجماع العربي في حقلي الحرب والسياسة ؛ فقد أفضى نجاح الثورة الباهر ، وطابعها العربي العام وأصداؤها في العالم الاسلامي ، الى اهتمام الدوائر السياسية البريطانية اهتماماً جدياً بقضية فلسطين . وسافر المندوب السامي الى لندن في مطلع تشرين الاول ١٩٣٨ حيث التقى بتوفيق السويدي وزير خارجية العراق ، وكان قد دعي الى لندن لبحث مسائل تتعلق بتعاون العراق مع انكلترا ، وسط تكهنات بنذر حرب أوربية ، جعلت الحكومة البريطانية مشوقة لتجنب اثاره العرب واغضابهم في الشرق الأوسط . ويبدو من المصادر البريطانية أن الوزير العراقي كان يحمل في جعبته خطة وضعها نوري السعيد تطابق في مجموعها الخطوط العامة المألوفة للبرنامج العربي المحدد الذي لحصته جريدتا التايمس والديلي تلغراف بما يلي : ١ - ايجاد دولة مستقلة تضع دستوراً جمعياً تأسيسية ٢ - تقوم بريطانيا بتسليم الادارة تدريجياً الى الحكومة الوطنية ضمن فترة محددة ، كما كان الحال في العراق . ٣ - تضمن حقوق سكان فلسطين السياسية والمدنية الكاملة ، بغض النظر عن العرق أو الدين ، وكل طائفة تتمتع بحقوقها المدنية ولا تعالو واحدة على الاخرى ٤ - تتمتع حقوق كاملة في الادارة المحلية الى جميع القرى العربية واليهودية في السلطة والاشراف على الادارة ، ودونما مساس بالحقوق المدنية . ٥ - لا يزيد عدد السكان اليهود عن المعدل الحالي . ٦ - تضمن الحكومة البريطانية جميع الحقوق ، وتراعي جميع المصالح البريطانية المشروعة . والهدف النهائي هو الوصول بفلسطين كدولة الى علاقات تعاهدية مع بريطانيا على منوال علاقات دولة العراق^(١) .

ذعرت الأوساط الصهيونية حين ترامي اليها أن وفداً عربياً - ربما برئاسة المفتي - سيسافر قريباً الى لندن للتفاوض مع الانكليز على أسس جديدة ، وأن هؤلاء يفكرون

جدياً بالتخلي عن التقسيم ، وأرسلت الصهيونية تستنجد بالولايات المتحدة - كعادتها في الأزمات العصية . وأجاب كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية بعد الاتصال بلندن أن الحكومة البريطانية لن تصدر تصريحاً جديداً قبل حلول شهر تشرين الثاني ، وأن حكومتها عطفت منذ البداية على الحركة الصهيونية وما زالت كذلك (١٢ - ١٧ تشرين الاول) . وتعتبر هذه البادرة من أمريكا في التدخل بشؤون فلسطين ، بادرة جديدة ، وهي الثانية بعد تمسك واشنطن بسياسة العزلة . والبادرة الاولى كانت في ٦ تموز ١٩٣٧ حين سأل السفير الأمريكي في لندن وزير خارجية بريطانيا ايدن عما اذا كانت بريطانيا في حالة تنفيذ التقسيم سوف تستشير أمريكا فيه ، وبومها أجاب ايدن أن حقوق الرعايا الأمريكيين ستبقى مصونة ، وعلى ذلك فلا حاجة لاستشارة أمريكا في أية تعديلات تدخل على الانتداب^(١) . عاد المندوب السامي الى فلسطين (١٦ تشرين الاول) واتضح أن حكومة لندن تنوي تبديل سياستها الفلسطينية بعد أن تهدأ الأحوال ويستتب الأمن . ولكن الثورة لم تتوقف إذ دخل الثوار مدينة القدس الجديدة حيث أضرموا النار في ادارة البوليس ثم انسحبوا الى المدينة القديمة . وقبل ذلك كانوا قد دخلوا مدن رام الله ، وبيت شعثا ، وأريحا ، وغزة ، الأمر الذي دعا مجلس الوزراء البريطاني الى عقد جلسة اتخذت خلالها مقررات هامة . وعرض فيها مكدونالد وزير المستعمرات خطورة الوضع في فلسطين ونتيجة محادثاته مع وايزمن والسويدي . وتناقلت بعض الصحف أبناء هذه المقررات ، وكان أهمها دعوة العرب واليهود الى التفاوض في لندن مع الحكومة البريطانية .

وبعد أن نشر تقرير لجنة ودهيد الفنية (٧ تشرين الثاني ١٩٣٨) بيومين، نشرت الحكومة البريطانية بيانها ، وسنجمه بعد تلخيص تقرير لجنة ودهيد .

Frank. E. Manuel, • The Realities of American - Palestine (١)
Relations • , Washington 1949, p. 305

تقرير لجنة ودهيد :

قامت اللجنة باستقصاءاتها في ظروف اشتداد الثورة العربية ، وقد وافق اللجنة حراسة مشددة في طوافها فلسطين وشرق الاردن . وعقدت في القدس خمساً وخمسين جلسة لسماع الشهادات ، وكان عدد الجلسات العلنية فيها اثنتين فقط ، أما الجلسات الأخرى فكانت سرية ، ولم يتقدم أي شاهد من العرب لتأدية الشهادة أمامها . أما في شرق الاردن فقد قضت اللجنة تسعة أيام تمكنت خلالها من تكوين فكرة عامة عن القسم الأكبر من المنطقة الزراعية الاردنية . وقد فوضت اللجنة اقتراح تعديلات لمشروع التقسيم الوارد في تقرير لجنة بيل ، بما في ذلك تغيير المناطق الانتدابية . ثم بعد الاستماع الى شهادة من يمثل أمامها في فلسطين وشرق الاردن يمكنها أن :

١ - توصي بحدود فاصلة بين المنطقتين العربية واليهودية المقترحتين وحدود المناطق الانتدابية ، على أن يكون من شأن تلك الحدود :

٢ - أن تتطوي على أمل معقول في أن تنشأ في النهاية دولة عربية ودولة يهودية تستطيع كل منها أن تسد نفقاتها بذاتها ، مع توفر أسباب الطمأنينة الوافية .

ب - أن لا يستوجب الا إدخال أقل عدد من العرب والمشاريع العربية ، في المنطقة اليهودية ، والعكس بالعكس .

ج - وأن تتمكن حكومة جلالة من تحمل تبعات الانتداب التي أوصت اللجنة الملكية في تقريرها بوجود اضطلاعها بها ، بما في ذلك الالتزامات نحو الأماكن المقدسة^(١) .

(١) الكتاب الأبيض البريطاني (cmd. 5631) بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٣٨ .

٢ - أن تبحث في المسائل الاقتصادية والمالية التي ينطوي عليها التقسيم ، مما يترتب اتخاذ قرارات بشأنها ، وأن تقدم تقريراً بذلك .

وعلى الرغم من أن أعضاء اللجنة لم يكن بمقدورهم أن يجدوا أية خطة عملية للتقسيم ، يجمع رأيهم عليها ، فانهم مع ذلك قدموا ثلاثة مشاريع للنظر فيها و اقرار أحدها ، واختصوا منها مشروع (ح) الذي اعتبر أقل المشاريع اعتراضاً عليه ، إذ أيده اثنان من أعضاء اللجنة أحدهما رئيسها .

أول المشاريع أشير اليه بحرف (م) ويسكاد يكون نفس مشروع لجنة بيل مع حدود أكثر دقة ومراعاة لشؤون الدفاع .

ومن دراسة المشروع (م) توصلت اللجنة الى أن عدد اليهود في الدولة العربية لن يتجاوز سبعة آلاف نسخة ، أي نحو واحد في المائة من عدد السكان ، مع ان عدد السكان العرب في الدولة اليهودية يسكاد يساوي عدد من فيها من اليهود . فضلاً عن أن ما يملكه اليهود من الأراضي في الدولة العربية ضئيل (قرابة ٩٢ الف دونم) ، بينما يملك العرب في الدولة اليهودية نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة وخمسة وخمسين ألف دونم . مع أن اليهود أنفسهم لا يملكون في دولتهم المقترحة أكثر من مليون ومائة واربعين ألف دونم ، أي أنه سيكون للعرب $\frac{4}{5}$ الاراضي في الدولة كلها ، ومن هنا يستحيل مطلقاً تبادل الأراضي والسكان ،

كما تستحيل موافقة العرب على النزوح عن اراضيهم ، وهي أخصب اراضي فلسطين وأحسنها رياً ، الى أراض قاحلة يندر فيها سقوط المطر . وعن مطالبة الصهاينة بضم جزء من مدينة القدس على الأقل الى الدولة اليهودية ، قالت اللجنة : « ونحن مقتنعون بأن المسالمين يستنكرون أشد الاستنكار اقامة دولة يهودية في جوار مدينة القدس القديمة مباشرة ،

ويعتبرون اقامتها مقدمة لغارة يشنها اليهود على المدينة القديمة نفسها ، وستنجم عن ذلك عواقب وخيمة جداً ، ويصبح أمر المحافظة على النظام بين العرب واليهود في القدس وجوارها من أشق الواجبات وأصعبها .

ووصفت اللجنة المنطقة الواقعة في أقصى جنوب الدولة اليهودية المقترحة بأن سوادها الأعظم من العرب ، فهم يبلغون تسعين بالمائة من مجموع السكان ، ويملكون أكثر من ٩٩٪ من أراضيها ، فلا يجوز ادخالها في الدولة اليهودية . ومثل ذلك يقال عن منطقة الجليل العربية . وإذا أمكن سحق مقاومة العرب بالقوة ، فالهدوء سيكون موقفاً ، وستظل هذه المنطقة بسبب عروبتها وصعوبة مسالكها قرحة دائمة في جسم الدولة اليهودية .

ومشروع (ب) وهو صورة مصغرة لمشروع (ب) مع استثنائين :

١ - ان منطقة الجليل استثنيت من الدولة اليهودية المقترحة وأدمجت في المنطقة الانتدابية .

٢ - المنطقة الواقعة في أقصى جنوب الدولة اليهودية استثنيت من الدولة اليهودية وأدمجت في الدولة العربية على أن تدخل حيفا ومينائها في الدولة اليهودية .

وقد أيد مشروع (ب) الذي اعتبر وسطاً ، عضو واحد من اللجنة ووصفه بأنه أفضل مشروع . وقد فندت اللجنة المشروع لأن « أي مشروع للتقسيم يقضي بوضع عدد كبير من العرب تحت سيطرة اليهود السياسية في منطقة ليس لليهود فيها أكثرية ، سيقاومه العرب بالقوة ، ولن يؤدي الى السلام ، وعليه فمشروع (ب) لا يمكن قبوله أيضاً » .

ومشروع (ج) وبموجبه تقلصت مساحة الدولة اليهودية المقترحة في تقرير بيل ،

فأصبحت حوالي $\frac{1}{4}$ مليون دونم ، وتمتد على المنطقة الساحلية ما بين زكرون يعقوب

ورحوبوت ، وتشتمل على مدينة تل أبيب . وبعبارة أخرى قسمت فلسطين بموجب مشروع (ح) الى أربعة أقسام هي :

١ - الدولة العربية - تشتمل على معظم داخلية البلاد ، اضافة الى الساحل ما بين يافا وغزة .

٢ - الدولة اليهودية - تشتمل على الساحل من شمال يافا الى جنوبي حيفا ، وميناؤها تل أبيب .

٣ - المنطقة الانتدابية - تشتمل على شمالي فلسطين (الجليل وجبل الكرمل وحيفا على سفحه) وجنوبي فلسطين (النقب حتى حدود مصر) .
٤ - القدس - وتقع ضمن المنطقة الانتدابية أيضاً .

ودرست اللجنة ماستكون عليه موازنة المناطق الثلاث-العربية واليهودية والانتدابية- وقررت عدم مقدرة الدولة العربية على موازنة ايرادها مع مصروفها ، وقالت ان هذا العجز يتزايد بضم شرقي الاردن اليها بحيث يبلغ ٧١٪ من ايرادها .

وكان لا بد أن تضم الدولة اليهودية من السكان العرب قرابة الخمسين ألفاً^(١) ، فقد

(١) ورد في تقرير لجنة ودهيد ان الحكومة البريطانية لم توافق على النقل الاجباري للسكان « كتاب وزير المستعمرات بتاريخ ٢٣ كانون اول ١٩٣٧ » وان لجنة ودهيد رأّت ان الموقف الحرج الناجم عن النقل الاجباري هو الذي حملها على رفض مشروع اللجنة الملكية « الذي يكاد يكون بموجبه عدد العرب الذين يقطنون اراضي الدولة اليهودية مساويا لعدد اليهود فيها » . وتابعت اللجنة قولها بالنسائل : « اذا كان من الخطأ من حيث المبدأ وضع نحو من ٣٠٠ الف عربي ضد ايرادهم تحت سيطرة اليهود السياسية ، حسب مشروع اللجنة الملكية ، فكيف يكون صوابا وضع خمسون الف عربي على هذه الصورة بمقتضى مشروع « ح » ؟ وخلصت اللجنة مع هذا التحفظ الى القول بأن النظر الجدي الى هذه المشكلة يقضي على اي مشروع للتقسيم ، ولكن بما ان حكومة جلالاته كانت قابلة بادخال عدد من العرب في الدولة اليهودية وبالعكس ، بشرط ان يكون هذا العدد اقل ما يمكن ، فليس ثمة داع لرفض مشروع « ح » لكونه يتحتم اشتغال الدولة اليهودية على ٥٠ الف عربي .

وجدت اللجنة أنه لا يمكن إيجاد دولة يهودية تضم فقط عدداً ضئيلاً من العرب ، وفي الوقت نفسه ، تكون متسعة بما يكفي للسماح بالهجرة الجديدة .

ويمكن أن يفهم من تعريف المنطقة الانتدابية أنه يسمح فيها بالهجرة اليهودية والاستيطان ؛ فقد ناقشت اللجنة امكان معارضة البدو للاستيطان اليهودي في النقب ، حتى ولو لوح لهم بالمنافع التي سيجنونها من جرائه . وقد لاحظت اللجنة أنه بينما يمكن تنظيم الدولة اليهودية التي ستعيل نفسها اقتصادياً ، فإنه يتعين على الدولة العربية لتعيل نفسها بنفسها أن تتلقى اعانة مالية بريطانية ، وحينئذ لا بد من فرض الرقابة المالية عليها ، الأمر الذي يتعذر معه اعتبارها مستقلة وقائمة بمصروفها بنفسها . وأخيراً فقد أشارت اللجنة الى أن الانعزال الاقتصادي ضمن حدود فلسطين يعني انهيار الزراعة في الدولة العربية ، ويضع أيضاً قيوداً صارمة على التنمية الصناعية والتجارية في الدولة اليهودية . ومما يكن الأمر ، فاللجنة لم تصرح في تقريرها بأنها أخفقت في الوصول الى اقتراح مشروع مرضي للتقسيم ، وانما اقترحت - على تردد واستحياء - تعديلاً لمشروع التقسيم . وقد اتفق رأي أعضائها على أن الدولتين العربية واليهودية يجب أن تنظما كحدثين سياسيتين منفصلتين ، وأيدت وجوب عدم السماح بنظام مالي مستقل لكل منهما . ورأت بأن الاتحاد الجمركي يجب أن يكون جزءاً لاغنى عنه في أي مشروع للتقسيم لأسباب اقتصادية . والاتحاد يشتمل على الدولتين وعلى المناطق الانتدابية ، بشرط أن يكون الاشراف عليه من صلاحية الادارة الانتدابية المسيطرة على القطاعين الشمالي والجنوبي من فلسطين . واعترفت اللجنة أن توصياتها قد تحرم الدولتين من صلاحيات السيادة ، ولكنها اعتقدت أن مشروعاً للتقسيم كالذي اقترحته ، يمكن أن يعمل به اذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة للقبول بالتزام جدير بالنظر والاعتبار . وبصدد موقف العرب من أي مشروع للتقسيم ، سجل تقرير لجنة ودهيد : « أننا موقنون أن المشروع الذي أوصت به اللجنة الملكية من شأنه أن يؤدي

الى نشوب ثورة عامة لا يمكن احمادها الا باجراءات عنيفة ، طويلة الأمد . ولكن لا ندرى ماذا يكون موقف العرب من المشروع (ح) ؛ فقد كان من رأي أحد الشهود الرسميين الذي استطلعنا آراءهم بشأن المشروع (ح) قبيل مغادرتنا فلسطين في أوائل شهر آب ، أن العرب سيقاومون بالعنف كل مشروع للتقسيم مها كان شكله ، ولم يكن في وسع أحد من هؤلاء أن يقول ان العرب سيقبلون بالمشروع بهدوء وطيبة خاطر ،^(١) . ويذكر التقرير ما يلزم لقمع ثورة العرب من نفقات ضخمة واجراءات عسكرية واسعة وما يلحق بالبلاد من خسائر في الأرواح والأموال ، وما ستخلفه هذه الأعمال من شعور الكراهية نحو البريطانيين واليهود بعد أن يعود الأمن الى نصابه . « أما أن يؤدي التقسيم على شكله هذا الى إقامة دعائم السلام في فلسطين ، فهو أمر لا نستطيع أن نعلق الآمال على امكان حدوثه !

وقد نشرت اللجنة مع تقريرها مذكرة تحفظية وضعا أحد اعضائها المستر ريد Reed ، استنكر فيها التقسيم على أشكاله وقال : « اذا طرحنا الآراء جانباً ، جابهتنا الحقيقة الواقعة التالية ؛ وهي أن إعلان سياسة التقسيم قد حوّل الاضطرابات في فلسطين الى ثورة عربية قومية أسهم فيها العرب المقيمون في بعض الأقطار العربية . » وقال أيضاً : « لقد أوفى الانتداب بوعده أعطي تحت ضغط ناجم عن الحرب ؛ أما اقتراح تقسيم البلاد فهو أمر آخر بالمرّة ، أي أنه انقلاب لا يجوز أن يجربه الأوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس بالساذج المفتر إلى الوصي ، ولا هو بالعاجز عن اتخاذ قرار بهذا الشأن . »

سقوط التقسيم :

بعد نشر تقرير اللجنة الفنية ، صدر بيان الحطة السياسية الجديدة^(٢) ، عن حكومة

(١) انظر خلاصة تقرير لجنة ودهيد في «الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين» ص(٢٤٢-٢٦٣) .

(cmd- 5893)

(٢)

بريطانيا في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، وقد جاء فيه « بعد انعام النظر والتدقيق في تقرير لجنة التقسيم ، إن هذا التحقيق الاضافي قد أظهر أن الصعاب السياسية والأدارية المالية التي ينطوي عليها الاقتراح القائل بإنشاء دولة عربية مستقلة وأخرى يهودية مستقلة ، هي عظيمة لدرجة يكون معها هذا الحل للمعضلة غير عملي ، ولذا فإن حكومة جلالة ستواصل الاضطلاع بمسؤولياتها في حكم فلسطين بأجمعها » (١) .

وبعد أن كانت الحكومة البريطانية قد اعترفت في كتابها الأبيض المؤرخ في ٣ تموز ١٩٣٧ بأن التفاهم بين العرب واليهود أمر مستحيل الوقوع ، اذا بها في بيانها السياسي الجديد الذي نحن بصدده ، تتقض رأيا السابق وتعود الى (الكليشة) المهترئة المعروفة وهي : « إن أثبت الأسس لاقامة دعائم السلام والتقدم في فلسطين انما هو في الوصول الى تفاهم بين العرب واليهود » ، وان حكومة جلالة مستعدة لدعم هذا التفاهم ! و« تحقيقاً لهذه الغاية ، تنوي أن توجه الدعوة في الحال الى ممثلين من عرب فلسطين والدول المجاورة من جهة ، وإلى الوكالة اليهودية من جهة أخرى ، للتداول معهم في أقرب فرصة ممكنة في لندن حول السياسة المقبلة ، بما فيها مسألة الهجرة الى فلسطين . أما فيما يتعلق بتمثيل عرب فلسطين في هذه المباحثات ، فإن حكومة جلالة يجب أن تحتفظ لنفسها بحق رفض قبول الزعماء الذين تعتبرهم مسؤولين عن حملة الاغتيال والعنف .

« فاذا لم تسفر مباحثات لندن عن الوصول الى اتفاق خلال مدة معقولة من الزمن ، فإن حكومة جلالة تتخذ قرارها الخاص ، على ضوء درسها للمعضلة ومباحثات لندن ، ثم تعلن السياسة التي تنوي اتباعها » .

ولا حاجة الى القول بأن رفض بريطانيا للتقسيم ، قد أكد الصعوبات العملية والفنية التي يشتمل عليها ، ولكن ثورة العرب ضد التقسيم كانت بدون شك هي التي أسقطت

(١) انظر نص البيان في المصدر السابق ص ٢٦٤ - ٢٦٦

التقسيم من حساب السياسة البريطانية يومذاك ، ولولاها لفرض التقسيم ، وأنتهت خيارات فلسطين وفتت وحدة أراضيها برغم جميع الحوائل الفنية والادارية والاقتصادية والانسانية التي أشار اليها الخبراء في لجان التحقيق .

وقد ردت اللجنة العربية العليا على بيان الحكومة البريطانية في ١٥ تشرين الثاني ، وسجلت عليه اعترافه بأن سياسة التقسيم سياسة « غير عملية » ، وبأن قضية فلسطين قضية عربية عامة ، ولذا توجب اشراك سورية ولبنان أيضاً في مؤتمر لندن القادم^(١) . وحذرت اللجنة العربية من أن التفاهم بين العرب واليهود لا يتم ما دام اليهود متمسكين بفكرة الوطن القومي ، ومن أن العرب لا يفاوضون الا على أساس الميثاق القومي وهو استقلال فلسطين ووقف الهجرة ويوسع الأراضي . والشعب العربي لا يوافق على اعتبار اليهود طرفاً في قضية فلسطين ، لأن دعواهم لا تقوم على غير الأوهام ولا تؤيدها غير الحراب البريطانية . وفندت اللجنة ما جاء في بيان حكومة لندن من أنها تحتفظ بحقها في رفض او قبول الزعماء الذين تعتبرهم مسؤولين عن الاضطرابات ؛ فالشعب العربي يرد هذا القول ، ويرى أن المسؤول الوحيد عن الاضطرابات هو حكومة بريطانيا « التي كانت في كل موقف من مواقف مطالبة الشعب العربي بحقوقه ، تعتدي عليه وتحاول سحقه وتصم آذانها عن سماع أبنيه وصراخه ، وتستفزه بتصرفاتها الهوجاء وسياستها العوجاء » . وأعلنت اللجنة العربية أخيراً في بيانها أن فشل مباحثات لندن في إيجاد تفاهم بين العرب واليهود لا يبرر اتخاذ لندن سياسة خاصة لنفسها ، وان الشعب العربي لا يمكن أن يقر أي حل يفرض عليه فوضاً .

(١) اعلن مكدونالد وزير المستعمرات في ١٠ تشرين الثاني ان المقي لن يدعى للاشتراك في مفاوضات لندن ، وانه وجهت الدعوة الى حكومات العراق ومصر والمملكة السعودية واليمن وشرق الاردن لحضوره ، وان فرنسا سوف تؤخذ مشورتها وكالة عن سورية ولبنان ، وان لندن ستتابع اتصالها بواشنطن لابلاغها نواياها .

الفصل الحادي عشر

مؤتمر لندن والسياسة البريطانية الجديدة (١٩٣٩)

التمهيد لمؤتمر لندن :

لم تتوقف الثورة في فلسطين غداة نشر بيان حكومة لندن لأن العرب وجدوا أنه لا يحقق مطالبهم الايجابية ، ولا ينطوي الا على نتيجة سلبية هي اسقاط مشروع التقسيم . واضطرت نفوس العرب في ديار الشام والعراق بالموجودة على بريطانيا وبحميها اليهود المهينة - وهما البلدان اللذان غنيا الثورة بالمال والرجال والسلاح - واضطرت قوى الأمن في بغداد لاطلاق النار على بعض المتظاهرين الذين حاولوا مهاجمة المتاجر اليهودية ، فقتل أربعة منهم . ورفع نبيه العظمة رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق شعار زحف عشرات الألوف من العرب نجدة لآخوانهم عرب فلسطين . وشجر خلاف مؤسف في صفوف العرب حول تمثيل فلسطين في المؤتمر . فالوطنيون الموالون للمفتي أيدوا تحفظات اللجنة العربية العليا الواردة في بيان ١٥ تشرين الثاني ، ونادوا بمتابعة الثورة تحقيقاً للميثاق القومي والمطالب العربية . و « المعتدلون » من أنصار فخري الناشيبي وحزب الدفاع ، راحوا يستنكرون متابعة أعمال العنف ، ووافقوا على التفاهم مع بريطانيا . وقدم زعيمهم مذكرة الى المندوب السامي في ١٦ تشرين الثاني أعلن فيها أن حزب الدفاع يقبل بمقتراحات

٢٤ فلسطين « ١٩٦٨ »

البيان البريطاني الأخير ، وبالتفاوض مع اليهود في لندن ؛ وقد ثبت أن فخري النشاشيبي زعيم هذه الفئة الضالة قدم المذكرة دون تفويض من حزب الدفاع ، الذي زعم أنه يمثل نصف عرب فلسطين على الأقل^(١) !! كما قام بدعاية مغرضة ضد المفتي والثوار ، واتهمهم بالارهاب ، واصطدمت شرادهم - تؤيدهم قوات السلطة - مع مظاهرة عربية كبرى في معركة دامية قتل فيها وجرح عشرات من المتظاهرين . ولكن هذا التصدع الجزئي في الصف العربي لم يكن ليوهنه أو يفت في عضد الوطنيين الذين بقيت جماهير عرب فلسطين الواسعة تؤيدهم تأييداً مطلقاً . وانكشف انحراف فخري حين اعلن راغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع أن من الوهم تقسيم عرب فلسطين الى « متطرفين ومعتدلين » ، وانغام جميعاً متطرفون في معارضة وعد بلفور والانتداب .

وإذ كانت الدوائر الرسمية البريطانية ترقب الموقف عن كثب - وكانت وعملاؤها على صلة بكل ما يجري - راحت تحاول طرد شكوك العرب لاسترضائهم وتطمينهم لضمان اشتراكهم في المفاوضات القادمة . من ذلك أن وزير المستعمرات مكدونالد ألقى بياناً هاماً في جلسة خاصة لمجلس العموم (٢٤ تشرين الثاني) شرح فيها الوضع القائم في فلسطين ، وقد دل البيان على عمق تفهم الانكليز - عند الحاجة - لموقف العرب ولعدالة قضيتهم ، ودل على أن شيئاً لا يخفى على السياسة البريطانية التي تخفي الحقائق لتبرز بعضها متى شامت ومتى كانت لها مصلحة في ذلك . ونجاوز الحق اذا لم نسجل أنه لولا اشتداد لهيب الثورة العربية ، وصلابة مقاومتها على الصعيدين العسكري والسياسي ، وعجز الانكليز عن تمعها واتخاذ روحها الكفاحية ، من جهة . واضطراب جو السياسة الدولية في اوروبا وتفاقم الخطر

(١) رحب اليهود بهذه المذكرة ، واضطرت السلطة أن تعين حرساً خاصاً لحماية فخري النشاشيبي من غضبة الثوار الذين حكمت عليه محاكمتهم بالاعدام ، وسينفذ هذا الحكم في بغداد .

النازي والفاشي من جهة ثانية . وأخيراً لولا خطورة آثار الثورة التي ظهرت بوضوح على اليهود بأشكال متنوعة ، من أزمة اقتصادية شديدة ، وبطالة متفاقمة ، وكساد في التجارة من جراء مقاطعة العرب^(١) . لولا ذلك كله لما اعترف الوزير البريطاني بصدق مخاوف العرب وبسلامة وجهة نظرم .

(١) تعطلت المشاريع الزراعية والعمراية حتى أن رئيس اتحاد المزارعين اليهود نشر سلسلة من المقالات صور فيها شدة الأزمة وخوف اليهود من الثورة ونتائجها ، وطالب ثلاثة أحزاب يهودية في فلسطين بوقف الهجرة بسبب البطالة التي بلغ من خطورتها ان احتل عمال اليهود بلدية تل ابيب وغيرها مطالبين بالحزب والعمل . وقد تعطل ما يتوف عن ٦٠٪ من مجموع العمال سنة ١٩٣٨ ، وبلغت نسبة البطالة بين عمال البناء وحدم ٩٥٪ . واطرد كساد البضائع نتيجة المقاطعة العربية ، وبلغ عدد أوامر الحجز والحبس المستحقة على المدنيين اليهود اكثر من ٥٠ ألفاً على ما جاء في نشرة نقابة الطبقة المتوسطة . وذكرت النشرة نفسها أن ثمة عشرة آلاف يهودي تلاحقهم سلطات البوليس لحبسهم لقاء عجزهم عن وفاء الدين المستحق عليهم ، بسبب الأزمة . ونزح عن فلسطين كثير من اليهود خشية القتل . وفي لندن قرر حزب الأغودات في مؤتمره رفض فكرة انشاء مملكة يهودية لأسباب دينية وسياسية ، ثم من أجل السلام والأمن وإثبات التفاهم مع العرب . كما أن اليهود غير الصهيونيين في امريكا ، عقدوا مؤتمراً في واشنطن قرروا فيه أن التقسيم غير عادل من الوجهتين الاقتصادية والسياسية ، وأن فكرة المملكة اليهودية هي السبب في الاضطراب والنزاع الناشب ، وأن اليهود غير الصهيونيين يفضلون قيام دولة واحدة فلسطينية بوطنية ثنائية . وسرت العدوى الى يهود انكيترا ، فنادت جماعة منهم باستنكار التقسيم ، وعددت أضراره ، ودعت الى حلول أفضل . أما الوكالة اليهودية فقد تظاهرت بأنها ترغب في الوفاق والتفاهم مع العرب على أساس اطلاق حرية الهجرة وعدم بقاء اليهود أقلية ، وهي تعلم أن مسألة الهجرة مسألة حيوية لا يتساهل العرب بشأنها قيد أنملة . وبذلت الصهيونية جهوداً ضخمة لتحريك ملايين اليهود الأمريكيين وذوي التأثير منهم على حكومة واشنطن للضغط على بريطانيا ، وفي الوقت نفسه لتسليح يهود فلسطين ، وتدعيم الهجرة غير المشروعة . وقد بدا للجنة الصهيونية أن توفد وايزمن الى لندن ليعمل على انقاذ سفينة اليهود من العواصف . وقبل رحيل وايزمن قال ان اليهود يقفون في اخطر ساعة من تاريخ حركتهم ، وأن من المستحيل أن لا توجد الاضطرابات وأعمال العنف والعصيان والاضراب في ذهن الانكليز مفهوماً بأن هناك أمة كاملة تثور برمتها ضد فرض ايواء شعب آخر . وان هذه الأمة مستعدة لكل مقاومة وتضحية ضد هذا الفرض ، وأن الانكليز اعتادوا حينما يواجهون ثورة أن يسعوا أولاً الى اخادها ، وان يجلسوا بعد ذلك مع الثوار لمنحهم امتيازات جديدة . وفي حالة ثورة العرب القائمة فان هذه الامتيازات انما تمنح على حساب اليهود ، وهنا الخطر العظيم الذي يتهدم .

وسنعمد الى عرض بعض فقرات بيان وزير المستعمرات لا لأهميتها في توضيح ما تفهمه بريطانيا من التزاماتها المزدوجة المتناقضة فحسب ، وانما أيضاً لأن نفس الحجج الموضوعات التي جرى بها لسان الوزير البريطاني ستظهر دائماً في أفق المباحثات التي تجري عن مسألة فلسطين . وأخيراً لتنفيذ دعاوى « الرخاء » المزعوم الذي « تمتع » به عرب فلسطين بفضل تطبيق سياسة وعد بلفور ، والوطن القومي . وهذه الدعاوي سنفرد لها فصلاً خاصاً فيما بعد ، نظراً لأهميتها الدعائية التي لا تزال الصهيونية تستغلها كنوع من الحُذاع السياسي لتضليل الأوساط العالمية المختلفة ، والبعيدة عن معرفة الحقيقة .

نستد الى نص البيان الرسمي الذي أذيع تحت عنوان (بلاغ رسمي رقم ٩ - ٣٨ بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٨) . وهو الخطاب الذي ألقاه مكدونالد في مجلس العموم (٢٤ تشرين الثاني) ، وضمته عبارة أشار فيها الى بيت لحم مهد رسول السلام ، وفيما يلي عرض للبيان : « ليست المشكلة في فلسطين مشكلة عسكرية بل هي مشكلة سياسية ؛ ان في استطاعة جيوشنا أن تعيد النظام الى نصابه ، ولكنها لن تستطيع أن توطن أركان السلام ... » . وبعد أن ذكر الوزير ما بذلت بلاده من تسهيل هجرة اليهود ($\frac{1}{4}$ مليون) قال

ان اليهود الذين أصبحوا عرضة للاضطهاد في أوروبا تضاءلت رغبتهم في العودة الى « موطنهم الأصلي » مائة مرة عن ذي قبل . ولكن الوزير حذر من أن بريطانيا عندما وعدت بتسهيل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لم تكن تتوقع أن يحدث هذا الاضطهاد الشديد في أوروبا : « أننا لم نقطع على انفسنا عهداً يجعل تلك البلاد موطناً لكل شخص يود أن ينجو من تلك الكارثة العظمى . ولو أن فلسطين كانت خالية من شعب آخر بالمرّة ، لما كان في استطاعة تربتها الفقيرة أن تعيس أكثر من جزء صغير من مجموع اليهود الذين يودون الفرار

من أوروبا . ان مسألة اللاجئين في أوروبا الوسطى لا يمكن تسويتها على حساب فلسطين ، بل يجب أن تحل في ميدان أوسع كثيراً من ذلك الميدان . . . » ثم يتحدث الوزير عن الشعب العربي الذي « عاش في تلك البلاد منذ قرون عديدة . ولم يؤخذ رأيه عندما صدر وعد بلفور ولا عندما وضعت صيغة صك الانتداب ، وقد كان العرب خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب يرقبون هذا الاجتياح السلمي الذي يقوم به شعب غريب ، ويرفعون عقيرتهم بالاحتجاج الصارخ بين الحين والآخر . . حتى أصبحوا يخشون أن يؤول مصيرهم في بلاد آباؤهم وأجدادهم الى الخضوع لسيطرة هذا الشعب الجديد النشيط من النواحي الاقتصادية والسياسية والتجارية . فلو كنت أنا عربياً لتولاني الذعر أيضاً (١) . »

واعترف الوزير أن الكثيرين من المشتغلين بالحركة الفلسطينية انما يشتغلون فيها بحافز من الشعور الوطني الصادق . . . » . وتحدث الوزير عن « منافع » الهجرة اليهودية فقال : « انني أسائل نفسي في عجب أحيانا هل قبض لجميع أولئك الذين وضعوا أسس ذلك العمل الانشائي العظيم أن يعلموا الحالة على حقيقتها في ذلك الزمن ، أي في سني ١٩١٧ و ١٩١٨ و ١٩١٩ . كما أتساءل أيضاً في عجب هل كان هؤلاء يدرون حينذاك أنه بين نهر الاردن والبحر المتوسط يقيم ما يزيد على ٦٠٠ ألف من العرب ؟

وزعم الوزير أن هجرة اليهود وما جاؤوا به من مال وأشغال العمران هي التي زادت في أسباب المعيشة والخدمات الصحية الحديثة . . ففسح المجال للناس حتى يعمرها طويلاً ويعيشوا في طمأنينة ، وقال إن ازدياد عرب فلسطين من ٦٠٠ ألفاً عام ١٩٢٢ الى ٩٩٠ ألفاً عام ١٩٣٨ تعزى كلها الى النمو الطبيعي : « وأعتقد أنه لو لم يدخل فلسطين يهودي واحد بعد عام ١٩١٨ لكان عدد السكان العرب لا يزال ٦٠٠ ألفاً . . . فبسبب مجيء اليهود وما جلبوه

(١) صفحة ٤ - ه من البيان .

من الخدمات الصحية الحديثة والفوائد الأخرى يعيش الآن فريق من الرجال والنساء لولاها
لكانوا في عداد الأموات ..»!

وذكر الوزير أن العرب سينكرون فوائد وعد بلفور ، لأنهم يفكرون في حريتهم
ويخشون أنه اذا استمرت الحال على هذا المتوال فانهم سيخضعون في النهاية سياسياً لسيطرة
أبناء الوطن القومي اليهودي المستمرين في الازدياد . « اننى أقول أن من الواجب علينا نحن
الشعب البريطاني أن نكون آخر شعب في العالم لا يدرك شعور العرب بهذا الشأن ، ذلك
أننا نحن أنفسنا لن نحجم عن التضحية بالفوائد المادية حين نرى حريتنا مهددة . إنه لا يسعنا
أن نضع اليهود تحت سيطرة العرب في فلسطين ، ولكننا ما لم نستطع أن نزيل المخاوف التي
تساور العرب من أن يصبحوا تحت سيطرة اليهود فيستحتم علينا أن نجابه شعباً مرتاباً معادياً
ينتشر في منطقة واسعة الأرجاء من الشرق الأدنى ، وأن نضطر الى ابقاء قسم كبير من
جيشنا في فلسطين الى أجل غير محدود»^(١) .

وتبع هذا البيان افراج عن المعتقلين في سيشل (٢٧ كانون الاول) لیتاح لهم
الاشتراك في مؤتمر لندن القادم ، ونحنت الحالة النفسية والسياسية في فلسطين نحسنا
ملموساً رغم استمرار الثورة وحدوث الصدمات العديدة بين الثوار والجند البريطاني .

وفي ٢٦ كانون الاول اجتمع ممثلو الدول العربية المدعوة الى المؤتمر في القاهرة ،
وتباحثوا مع ممثلي عرب فلسطين اعتباراً من ١٧ كانون الثاني^(٢) ، واتفقوا على الأسس
التالية لحل قضية فلسطين :

١ - تصبح فلسطين دولة مستقلة لغتها العربية ودينها الاسلام .

(١) ص ٧ نفس المصدر السابق .

Survey of Palestine, op cit, p. 49

(٢)

٢ - تعقد الحكومة الانكليزية مع حكومة فلسطين محالفة دفاع .

٣ - يمثل اليهود وزيران في حكومة فلسطين .

٤ - للحكومة الانكليزية الحق في وضع الجيوش الانكليزية اللازمة لتنفيذ ما يستقر عليه الاتفاق في المؤتمر ، وتعيين مستشار يرجع اليه في المسائل التي تقوم بين الفريقين .

٥ - وقف الهجرة اليهودية والغاء وعد بلفور .

٦ - تبقى الجيوش الانكليزية في فلسطين عشر سنوات قابلة للتجديد حتى يتكون لفلسطين جيش قادر على الدفاع .

مؤتمر لندن (٧ شباط - ١٧ آذار ١٩٣٩) :

اشترك من الوفود العربية في المؤتمر وفد عرب فلسطين ويتألف من جمال الحسيني رئيساً وعضوية عوني عبد الهادي ، حسين الخالدي ، الفرد روك ، أمين التميمي ، موسى العلمي ، جورج أنطونيوس ، يعقوب الغصين ، فؤاد سابا . والتحق بالوفد فيما بعد ممثلون عن المعتدلين ، ويطلق عليهم أيضاً اسم المعارضين وهم حزب الدفاع ، برغبة من حكومة لندن . فاسفر الى لندن فخري النشاشيبي وهو من أشد الضالعين مع اللطمة ، وسليمان طوقان ، وعادل الشوا . وترأس وفد مصر الأمير محمد عبد المنعم وعضوية علي ماهر باشا وحسن نشأت باشا وعبد الرحمن عزام بك . وترأس الأمير فيصل وفد السعودية وعضوية فؤاد بك حمزة وحافظ وهبة و ابراهيم سليمان . ووفد العراق من نوري باشا السعيد رئيساً ، ورؤوف جادرجي وتوفيق السويدي وسيد بكير والمستر لوبد ، ووفد اليمن برئاسة سيف الاسلام الحسين ، وعضوية القاضي محمد عبد الله الشامي وعلي بن حسين العمري وغيرهم . ووفد الاردن برئاسة توفيق أبو الهدى وعضوية نجيب علم الدين .

وتألف وفد بريطانيا من تشمبرلن رئيس الوزارة ، وهاليفاكس وزير الخارجية ومالكولم مكدونالد وزير المستعمرات ، وبتلر الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية . ورأس وايزمن الوفد اليهودي ، وكان معه بن غوريون ، برودوفسكي ، شرتوك وغولدبان السخ . ولجنة تمثل يهود بريطانيا والولايات المتحدة والبلدان الأخرى كفرنسا وألمانيا وبلجيكا وشرقي أوروبا وجنوب أفريقيا . ومثل اليهود غير الصهيونيين المر كيز ريدنغ .

واتضح منذ بداية المؤتمر ، بعد اجتماع الوفد العربي والوفد اليهودي كل منهما على انفراد مع الوفد البريطاني برئاسة مكدونالد ، أن ليس ثمة أساس مقبول للتوفيق بين مطالب العرب ودعاوى اليهود . فقد وضع وايزمن وجهة النظر اليهودية فقال أن اقتراحات لجنة بيل وان كانت غير كافية ، لكنها تمثل أقل ما يمكن للصهيونية إن تقبله . واستند وايزمن الى تفسير تشرشل في كتابه الابيض (١٩٢٢) لوعده بلفور والانتداب ، والى تفسيرهما كما ورد في رسالة رامسي مكدونالد اليه (شباط ١٩٣١) . وطلب فتح فلسطين للهجرة الواسعة اليهودية لاستيعاب اللاجئين (المنكودين) ، ولكنه وافق على اخضاعها لمبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب وأكد الحاجة الى تطوير موارد البلاد المادية في الزراعة والصناعة ، وأشار الى وجوب الحيلولة دون بقاء اليهود أقلية في فلسطين . وكرر رأي الوكالة اليهودية من أن الوطن القومي ونموه كان متطابقاً مع الحقوق العربية بفلسطين ومع (رفاه) السكان الحاليين (كذا) . واعترف بصعوبة مركز بريطانيا ، والمبررات العسكرية لرغبتها في مصالحة العرب ، ولكنه عبر عن الشك في ما اذا كانت مسايرة الأعداء واسقاط الأصدقاء سياسة مجدية لتقدم المصالح البريطانية في الشرق الأدنى أو لاستعادة السلام في فلسطين . وسلم بأنه من الضروري أساساً أن تكون بريطانيا على وفاق السلام مع العالم العربي . ولكنه أصر على أن فلسطين يهودية قوية يمكن أن تكون ذات قيمة كبيرة في الدفاع عن الامبراطورية البريطانية ، وفي ظروف معينة يمكن أن تكون لها أهمية

قاطعة . وناشد وايزمن البريطانيين أن لا يتخلوا عن اليهود « في أحلك ساعة من ساعات التاريخ اليهودي »^(١) .

وتقدم وايزمن أخيراً بالمطالب الصهيونية التالية :

١ - استعادة مبدأ مقدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي ، وكل مساعدة مشروعة ويمكنه تهدف لتسهيل الهجرة اليهودية الواسعة بما في ذلك امكانية الحصول على قرض دولي لتوطين اللاجئين اليهود في فلسطين .

٢ - وضع جميع الأراضي المصنفة حالياً تحت فئة (غير قابلة للزراعة) ، ومساعدة الاستيطان اليهودي .

٣ - تنظيم قوة يهودية مناسبة للدفاع في فلسطين ، لا تضمن فقط طمأنينة المستعمرات اليهودية ، إنما تخفف أيضاً من الأعباء الباهظة الملقاة حالياً على عاتق القوات البريطانية ، وتكون ذات نفع حقيقي لبريطانيا في أبة حالة طارئة ممكنة .

ان الباحث بلغت النظر الى فعوى هذه المطالب التي تشير بوضوح الى الربط بين الصهيونية والاستعمار ، لأن الصهيونية التي كانت تشعر بضعفها المادي يومذاك كانت تتطلع دائماً للسير في عجلة الامبريالية النافعة والحامية لها .

وفيما يلي سنعرض لمؤتمر لندن بشيء من التفصيل :

افتتح المؤتمر يوم ٧ شباط ١٩٣٩ حضره ممثلون عن الجانب العربي وعن الجانب البريطاني لأن العرب رفضوا أن يجتمعوا باليهود على مائدة واحدة ، فخصصت جلسة الصباح لاجتماع العرب بالانكليز ، وجلسة المساء لاجتماع اليهود بالانكليز . وأعلن تشمبرلن أن الجانب البريطاني لن يقترح أي أساس للمفاوضة قبل أن تتاح الفرصة التامة للعرب واليهود

لعرض قضيتهم بوضوح وصراحة وحرية . وأبدى تفاؤله وثقته بنتيجة المؤتمر رغم صعوبة المسألة التي تجابهه . وبعد أن ألقى رئيس وفد مصر ورئيس وفد اليمن كلمتين بالمناسبة ، تحدث السيد جمال الحسيني فاستعرض ظلامه بلاده منذ مطلعها وقال إن قضية العرب ضد السياسة المتبعة تأتي من ثلاثة أبواب :

١ - انكار الاستقلال الذي وعد به العرب مراراً .

٢ - ادخال عدد كبير من المهاجرين اليهود الغرباء في لغتهم وعاداتهم وآدابهم ومشاربهم بدون نظر الى نتائجها في تقاليد العرب وعاداتهم الاجتماعية .

٣ - سن القوانين الشاذة تحت الضغط الصهيوني بغية تسهيل استيلاء اليهود على الأراضي بدون تأمين حماية المزارعين حماية فعالة لوقايتهم من خطر تجريدكم من املاككم .

أما مطالب عرب فلسطين فيمكن تلخيصها فيما يلي :

أ - الاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في بلادهم

ب - ائناء تجربة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين

ج - الغاء الانتداب وجميع ما قد ترتب عليه من اجراءات غير مشروعة واستبداله بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة المعقودة فيما بين بريطانيا والعراق (١٩٣٠) .

د - وقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي في فلسطين وقفاً باتاً وسريعاً .

رد وزير المستعمرات على بيان الحسيني فحاول أن ينفي مسؤولية حكومته في عدم ايجاد قسط وافر من الحكم الذاتي لدى عرب فلسطين لرفضهم مشروع المجلس التشريعي (١٩٢٢) وغيره فيما بعد . وأشار الوزير الى التزامات حكومته نحو البلاد . ثم تحدث نوري السعيد في الجلسة الرابعة (١٣ شباط) فنوه بعودة بريطانيا الماضية في استقلال العالم العربي بما فيه فلسطين ، وتبعه الأمير فيصل بن عبد العزيز ففند دعوى بريطانيا من أن فلسطين لا تدخل

ضمن مكاتبات حسين مكماهون، وشرح بطلان وعد بلفور وصك الانتداب لمخالفتها ميثاق عصبة الأمم . ورد بتلر فوعد بنشر مكاتبات حسين مكماهون تلبية لطلب الوفود العربية، وقال إن رفض نشرها الى الآن لاعلاقة له بالخلاف القائم على دخول فلسطين أو عدم دخولها فيما تعهد به السير مكماهون للعرب . وأيد توفيق أبو الهدى دخول فلسطين في العهود المقطوعة للعرب ، وناقش قول مكماهون نفسه في صيف ١٩٣٧ بأن تحفظه كان يشمل فلسطين . فقال إنه اجتمع بمكماهون (٥ شباط ١٩٣٩) بحضور بعض الشخصيات الكبيرة ، فرأيت أنه قد نسي مضامينها (مخبراته) تماماً ، ولم يستطع المناقشة فيها حتى أنه نسي أموراً معروفة ، وقال إن قبر النبي في القدس ، ولم يتذكر أنه في المدينة ، وأخيراً اضطر أن يقول لندع الماضي وتوصل الى حل موفق . والحل الموفق في نظره هو الاعتراف بحقوق اليهود ، وبالفوائد التي حصلت من اليهود ، وعدم صحة التظلم من الهجرة ، لأنه دخل فلسطين اثنان من العرب مقابل كل واحد من اليهود . وعبثاً حاولنا اقتناعه بالاحصائيات والبيانات الرسمية . ولم يسكت الا عندما قلنا له أن أدعائه لو صح ما كانت نفوس فلسطين اليوم تزيد سبعة وستين ألفاً عما هي عليه .

وتكلم سيف الاسلام الحسين فأكد أن اخراج فلسطين من الوعود المقطوعة للعرب باطل ولا أساس له . ثم دار نقاش حول تعيين لجنة فرعية لدراسة مكاتبات حسين مكماهون .

ثم قدمت مقترحات الحكومة البريطانية للقبول بها أساساً للمناقشة :

١ - تقسيم فلسطين الى مناطق ادارية عربية وفلسطينية حسب توزيع السكان في الوقت الحاضر .

٢ - تحديد الهجرة سنوياً وتحديد الأراضي الزراعية التابعة للمناطق اليهودية .

٣ - منع الهجرة الى المناطق العربية .

٤ - تحديد الهجرة اليهودية الاجمالية الى فلسطين لا لأسباب اقتصادية فحسب ، بل لأسباب سياسية .

٥ - عدم انشاء دولة عربية في فلسطين .

٦ - انشاء مجلس تشريعي تكون أكثريته عربية .

لم يقبل أحد هذه المقترحات ، لأنها لا تحقق المطلب العربي الأول وهو انشاء دولة عربية في فلسطين .

وتحدث مكدونالد في الجلسة السابعة عن العوامل التي تعترض في رأيه قيام دولة عربية مستقلة فوراً في فلسطين . قال إن الحوادث الأخيرة قد زعزعت ثقة الحكومات المعنية بشؤون فلسطين بقدرة حكومة عربية على تقديم الكفالة الكافية للأقلية اليهودية في فلسطين . وانه ليكون خطأ لا يقتصر ضرره على بريطانيا بل يشمل العرب أنفسهم أيضاً أن يصل المؤتمر الى اتفاق ترفضه جنيف أو يحول ضغط الرأي العام الأمريكي دون تنفيذه . ورأى مكدونالد أن الأقلية اليهودية لاتشعر شعوراً كافياً بالأمن والأطمئنان ما لم تستمر ادارة الانتداب وقتاً آخر .

واستطرد الوزير يقول إن معنى « الوطن القومي » لم يحدد قط . على أن بعض المسؤولين عن وعد بلفور (مثل لويد جورج والرئيس ولسون) قد أعربوا عن الرأي القائل بأن مرماه هو اقامة دولة يهودية . وقال مكدونالد أن حكومته لاتفكر في قيام دولة يهودية في أي جزء من فلسطين ، وأعرب عن رأيه في « أن هذا التفسير الواضح لتصريح بلفور خليق بأن يعيد الاطمئنان الى عرب فلسطين » .

واعترف مكدونالد أن التبعة عن « حملة الارهاب » لا تقع على عواتق العرب ، فإن العرب واليهود والبريطانيين يجب أن يحمل كل منهم نصيبه من التبعة . فإن سياسة بريطانيا

القاضية بانشاء وطن قومي قد أثارت مخاوف بين العرب، سببت هذه الحالة المؤسسة ، وهو مستعد أن يعترف بنصيب بريطانيا من التبعة وأن يبحث هذا ، ويتخذ ما يزيل هذه المخاوف .

وتحدث علي ماهر باشا فطالب بأن يقوم السلام في فلسطين على قاعدة المساواة في الحقوق بين جميع سكان الدولة ، مع ضمانات للأقليات ولمصالح بريطانيا الجوهريّة تعطى عن رضا ، ومع ملاحظة الحاجة الى فترة انتقال لازمة للخروج من عهد الوصاية الى عهد الاستقلال التام المنشود . وحذّر ماهر من أن العالم يتطور سريعاً وأن الحل الأمثل للقضية هو الحل السريع الواضح الحاسم . ثم تناول تأثير قضية فلسطين على مصر خاصة والعالمين العربي والاسلامي ، وختم بيانه بالالحاح على اقامة دولة مستقلة في فلسطين ، وأبدى استعداد بلاده للالحاح كذلك على عرب فلسطين بوجود قبول كل الضمانات والمصالح المعقولة التي تطلب منهم .

ودارت مناقشة حول الهجرة فقال مكدونالد إنه لا يزال في فلسطين متع لها ، الهجرة اليهودية لم تلحق ضرراً بالعرب في معظم الحالات . وبصدد بيع الاراضي قال إن حكومته من رأيها أن قضية التحديد عادلة ، وان كانت معلوماتها لا تحملها على الذهاب الى التحريم التام في البلاد كلها .

ورد جمال الحسيني بأن المستر مكدونالد قد أغرق في حماسه للمزايا العظيمة التي جاءت بها الهجرة اليهودية لفلسطين ، حتى جعل العرب يبدون كأنما ينقصهم الفهم أو الإدراك لما هو خير لهم أو ليس بخير لهم . وقد قيل لهم أنه لولا الهجرة لما كانت لهم اليوم قدرة شرائية ، وكاد يقال لهم : إنه لولا الهجرة لما كان لهم ، أطفال ، .

وعلق الحسيني على ما ورد في بيان المستر ماكدونالد من أنه ما من عربي أكره على

بيع الأرض لليهود بقوله : صحيح أنه ليس ثمة إكراه بالمعنى القانوني ، ولكن إذا اعتبرنا كل العوامل الخاصة بهذا الموضوع ، فإنه يتضح أن العرب أكرهوا على بيع أراضيهم^(١) . وأبدى الحسيني استعداده للتوسع في البيان ، وقال : ولكن حتى على فرض أن العرب كانوا راغبين في البيع ، فقد جاء وقت كان يجب فيه على الحكومة أن تتدخل ، كما فعلت في مصر وفي كينيا وفي السودان ، لمنع بيع الأراضي . ويجب أن يقال في الحالات التي حصل فيها البيع لليهود من ملاك كبار ، لم يكن المستأجرون العرب مسؤولين عن البيع ، ولكن الحكومة كانت مسؤولة عن طردهم بصفتهم مستأجرين .

وإزاء اعتماد الجانب العربي على تعهدات مكهاون للعسين ، تقرر إحالة المراسلات على لجنة فرعية من المندوبين العرب والبريطانيين لنشر نصوصها العربية الكاملة وترجمتها . ومع ذلك ظل الجدل دائراً حول تفسير مضمونها^(٢) . أدعى البريطانيون أن فلسطين بموجب المراسلات كانت مستثناة من منطقة الاستقلال العربي الموعودة ، ولكنهم أقروا بأن اللغة التي صيغ بها هذا الاستثناء كانت غير واضحة وإنما قابلة للخطأ ، لا كما ذهب الظن يومذاك^(٣) . وكأنما أدرك البريطانيون ضعف موقفهم بهذا التفسير فأرادوا أن يدعموا رأيهم بشكوك وشبهات عن وضع فلسطين الخاص كأرض مقدسة لدى الأديان الثلاثة ، وعن اشتغالها على كثير من المباني والمؤسسات التابعة لغير العرب ، وأن البلاد ليست عربية محضة بحسب تشكيلها الاثنوغرافي (كذا) وان بريطانيا - وهنا يت القصد - كان لها مصالح عملية في فلسطين بسبب متاخمتها لمصر والقناة ، الأمر الذي جعل النظر الى مستقبلها مختلفاً عن النظر الى وضع البلدان العربية الأخرى (!) ولكن اللجنة الفرعية في دراستها لرسالة

(١) شهد أحد زعماء اليهود أمام اللجنة الملكية (١٩٣٧) بأن مجموع ما اشتراه اليهود من عرب فلسطين لا يجاوز نسبة ١٠٪ فقط من مجموع الأرض المشتراة .

(٢) Survey of Palestine, op. cit, p. 50

(٣) Royal commission Report, p. 10

هو غارث و وعد بلفور ، (برغم أن صلاحياتها لم تخولها التعبير عن رأيها بخصوص تفسير هاتن الوثيقتين) ، ذكرت بإجماع أعضائها أن رسالة هو غارث تضمنت « ان حكومة جلالتها لم تكن حرة التصرف بفلسطين دون النظر بعين الاعتبار الى أماني ومصالح السكان في فلسطين » (١) . وأهمية رسالة هو غارث ترجع الى أنها التفسير الرسمي لوعد بلفور ، وقد أصدرتها الحكومة نفسها التي أصدرت الوعد ، بعد أسابيع قليلة من نشر وعد بلفور . ان مقاطع الرسالة ذات دلالة خطيرة حين تذكر : « وبخصوص فلسطين فاننا عازمون على أن لا يتعرض شعب لسيطرة شعب آخر . » (٢) !

وبالنسبة لوعد بلفور ، رأيت أنه يجمي بجلاء الحقوق المدنية والدينية للعرب ، وأن هذه الصفة ذات أهمية عظمى ، ويجب أن يكون لها أثر بعيد على السياسة (٣) . أما الوكالة اليهودية ، فانها وجدت في تعليق رئيس وأعضاء اللجنة المكلفة بتفسير المراسلات ، ما ليس يرضيا .

وذكرت الوكالة أن المسؤولية عن مستقبل فلسطين بعد (فتح) البريطانيين لها ، قد انتقلت الى عصابة الأمم التي أوكلت الانتداب بعدئذ الى بريطانيا لتديره وفقاً لمبادئ محددة . وعلى ذلك ، فالانتداب يجب أن يعتبر - في نظر الوكالة اليهودية - لاغياً شرعية جميع التصريحات الأولى التي لا تتفق مع اجراءات الانتداب ! وجدير بالذكر أن المؤتمرات المنفصلة لم تقرّب وجهات النظر المختلفة ؛ فقد ظل العرب يتمسكون برفض الصلة التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين ، وبوقف الهجرة وبيع الأراضي ، مع السماح لليهود بالمشاركة في الحياة السياسية للبلد كأقلية مصنونة الحقوق .

Survey for 1938, I., p. 453

(١)

Barbour, op. cit. p. 201

(٢)

Survey for 1938, I, p. 453

(٣)

وقد هيأت الحكومة البريطانية اجتماعاً غير رسمي بين ممثلي الدول العربية والمندوبين اليهود (رفض عرب فلسطين حضوره) في محاولة لزعزعة العرب عن موقفهم (٢٣ شباط) . وفي مستهل الاجتماع قال مكدونالد أن حكومت ترى من المستحسن اتخاذ خطوتين : أولاً إصدار بيان رسمي بإنهاء الانتداب وإقامة دولة فلسطينية مستقلة مخالفة لبريطانيا . وثانيها اتخاذ اجراءات محددة عملية لتنفيذ هذا البيان ، حالما يستتب السلام في فلسطين . وقال إن مسألة إقامة دولة عربية يجب أن تكون مسألة تطور تدريجي ، وانه في الفترة الانتقالية ستكون الكلمة الأخيرة لبريطانيا . وخلال هذه الفترة يجب بحث شكل المؤسسات الواجب اقامتها في الطريق الى المجالس التنفيذية والتشريعية الخ . . . ويجب إيجاد ضمانات لتأمين :

١ - المصالح البريطانية الحيوية .

٢ - مصلحة فلسطين كأرض مقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود .

٣ - الحقوق الخاصة لليهود كأقلية في فلسطين .

ورد وايزمن بأن اليهود يصرحون بأنهم يريدون فلسطين مستقلة بشرط أن يتفق العرب واليهود مبدئياً على الحقوق المعينة لهما ، بحيث لا يسود أحدهما على الآخر بموجب الدستور المراد وضعه . وقال إن اليهود مع ذلك يطالبون بهجرة أخرى ، وبتنمية ناشطة للزراعة ، مع النظر بعين الاعتبار الى مصالح الفلاحين ، وإقامة مؤسسات الحكم الذاتي تدريجياً بحيث تنمو نمواً طبيعياً . وأجاب المندوبون العرب على ما طرح أمامهم بأن فلسطين لعرب فلسطين ، ولا يعترفون بأية صلة خاصة لليهود فيها ، وان بريطانيا لم يكن لها أبداً حق التصرف بفلسطين ، وليس لها حق الفتح ، طالما أن العرب كانوا يجارون بجانبها خلال الحرب العالمية . وبما أنه ليس لبريطانيا أي حق من حقوق التملك في فلسطين ، فليس بمقدورها أن تحول هذه الحقوق الى اليهود^(١) .

أما المندوبون الصهاينة فقال قائلهم (بن غوريون) إن أي إتفاق مع العرب يجب أن يقوم على التفاهم الجلي بأن اليهود يعتبرون أنفسهم في فلسطين كحق ، وكشعب يعود الى موطنه القومي . وان التحديد الوحيد على الهجرة الذي يقبلوه هو أنه لن يكون هناك طرد للسكان الحاليين . ثم ان اليهود لا يقبلون أبدا وضع الأقلية في فلسطين ، مهما كانت قوتهم العددية . وقال بن غوريون ان استقلال فلسطين لا يمكن انجازها ضد مشيئة كل من اليهود والعرب . وانتهى الاجتماع دون أن يصل الى نتيجة . وفي اليوم التالي ، عقد اجتماع مماثل ، وبرز البريطانيون مقترحاً معدلاً يهدف الى اقامة دولة واحدة ذات سيادة في فلسطين بعد فترة انتقالية ، والدولة تكون ذات اكثرية عددية عربية . ومهما كان شأن الضمانات التي تحصل عليها الأقلية اليهودية ، فانها لن تنفي سيطرة العرب وهيمنتهم على فلسطين . ويبدو أن المقترح البريطاني قصد استرضاء الجانب العربي احتراماً لكونه يمثل غالبية سكان فلسطين . ولكن المندوبين العرب وجدوا أن الفترة الانتقالية المقترحة للحكم الذاتي أطول مما يلزم ، وان مشاركة المندوبين البريطانيين في وضع مسودة الدستور الجديد غير جائزة^(١) .

وعرض الجانب البريطاني في الجلسة الحادية عشرة - ٢٥ شباط ، مقترحات على الوفد العربية تنطوي على وجوه ثلاثة :

- ١ - أت تعلن الحكومة البريطانية عن عزمها على انهاء الانتداب في الوقت المناسب ، وأن يقوم مقام هذا النظام دولة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة مع بريطانيا .
- ٢ - من الواضح أن التدابير الدستورية الخاصة بالدولة الفلسطينية المستقلة وشروط

ibid & Seq .

(١)

فلسطين ٢٥ (١٩٦٨)

المعاهدة وأحكامها تحتاج الى عمل كثير وجهد كبير ، فاذا أمكن الوصول الى اتفاق في هذا المؤتمر ، فالحكومة البريطانية يجب أن تشرع في هذا العمل بأسرع ما يمكن . ولكن لا بد من أمرين :

أ - يحتاج وضع النظام الدستوري وأحكام المعاهدة الى هيئة تؤلف لهذا الغرض خاصة .

ب - نحتاج الحكومة البريطانية الى مدة معقولة لتستعد للبحث التفصيلي في هذا الموضوع الصعب .

واقترح مكدونالد أن يُدعى الى مؤتمر مائدة مستديرة ينعقد في لندن في أخريات العام ، يوكل اليه وضع تفاصيل الدستور لدولة فلسطينية مستقلة وشروط معاهدتها مع بريطانيا . على أن يشترك فيه العرب واليهود ، ويمثلون عن حكومة بريطانيا ومعارضها ، بحيث يكون ما يقرره المؤتمر مقبولاً من جميع الحكومات البريطانية الحالية والقادمة .

قال مكدونالد انه يعرض هذه المقترحات باسمه لأن الوزارة لم تقرها بعد ، والمقترحات تمثل ثلث الصورة ، والصورة لا تتم الا بمقترحات خاصة بالهجرة وبيع الأراضي .

عن مسألة الهجرة ، اقترح مكدونالد أن نحدد - بالاتفاق اذا أمكن - النسبة التي لا يجوز ان يتجاوزها عدد اليهود في آخر السنوات الخمس . وبعد أن نحدد جملة عدد المهاجرين الذين يتطلبهم ابلاغ عدد اليهود الى هذه النسبة ، يقسم العدد على خمس سنوات وتعين لكل عام حصته والنسبة التي نحدد لعدد اليهود ستكون حداً أقصى وليست حداً أدنى ، وليس من المحتم أن يبلغها اليهود .

وعن الأراضي قال إن حكومته ترى أن الوقت قد حان لتقييد بيع الأراضي لليهود وذلك لمصلحة الزراع العرب ، على أن يحول المندوب السامي سلطته تحريم أو تقييد بيع الأراضي في فلسطين .

ورد جمال الحسيني في الجلسة التالية (١ آذار) على مقترحات مكدونالد . قال ان العرب جربوا التصريحات السياسية فرأوا أن مصيرها كمصير الفقافيع ، وفي خلال العشرين سنة الماضية كانت آمال العرب تحمي كل سنتين لتعود فتتطمح على صخور الحية ... وتقد الحسيني مشروع عقد المؤتمر القادم بقوله إن المؤتمر الحالي هيئة مختصة قادرة على وضع قواعد الاستقلال المنشود مع المبادئ الخاصة التي ينبغي أن يشتمل عليها الدستور ، والوفد الفلسطيني لا يستطيع أن يبعث الثقة في نفوس أهل فلسطين الا اذا ذهب اليهم بتأكيدات نهائية للاستقلال . إن مشروع عقد المؤتمر في الفقرة الثانية من المقترحات ، يحو الوعد بالاستقلال في الفترة الأولى .

ومن جهة أخرى لا يدري عرب فلسطين كيف أن حكومة مستقلة تضع لها دستورها هيئة مؤلفة من بريطانيين ويهود وعرب .

كذلك من العسير على عرب فلسطين أن يفهموا كيف يضع شروط معاهدة مع بريطانيا العظمى أناس تعينهم الحكومة البريطانية أو يعينهم عمالها في فلسطين .. ان هذا في نظر عرب فلسطين لا يعدو أن يكون مفاوضة تجري بين حكومة جلالة ، وحكومة جلالة . أما الدستور فأخلق به أن يعدّ نظاماً تفرضه حكومة جلالة على غير الوجه الذي يتفق مع التصريح بالاستقلال .

ولذلك فالحسيني يرى وزملاؤه أن الفقرتين الثانية والثالثة من خلاصة المقترحات غير مقبولتين من حيث المبدأ ومن الوجهة العملية أيضاً ، وهم يقدمون اقتراحات أخرى جدرة أن تعيد الثقة وتقرر السلم .

وقال الحسيني إن الوفد الفلسطيني يصر على وقف الهجرة ونقل ملكية الأراضي لليهود .

وهكذا بعد ستة أسابيع من الاجتماع والمداولة عرض مكدونالد في الجلسة الثالثة عشرة (١٥ آذار ١٩٣٩) مقترحات قال انها في جوهرها نهائية من حكومته ، ولكن صياغتها ليست نهائية . وقال إن الوفد البريطاني يشعر أنه من الضروري الوصول الى اتفاق سريع ، فاذا تعذر ذلك فالحكومة تنظر في السياسة الواجبة وتلقي عنها بياناً في البرلمان خلال الاسبوع التالي .

ونكتفي بالقول إن مثل هذه المقترحات كانت عرضت على الوفد الفلسطيني قبل عشرة أيام ، وقد رفضها يومئذ وعرض بديلاً منها ، ومع ذلك فقد وعد الحسيني باسم الوفد ان يدرس المقترحات ويقدم رده عليها ، فاذا حبط المؤتمر فهو يرجو أن يفترق الوفدان البريطاني والفلسطيني على ود وصفاء .

والمقترحات الجديدة يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً : عن المسألة الدستورية :

١ - تأسيس دولة فلسطينية مستقلة قد تكون ذات صبغة اتحادية ، مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تكفل للبلدين مصالحهما التجارية والحربية وهذا يستدعي انهاء الانتداب .

٢ - لن تصبح فلسطين دولة يهودية أو دولة عربية ، بل دولة يشترك العرب واليهود في حكومتها .

٣ - يوضع دستور للدولة بواسطة جمعية وطنية من اهالي فلسطين منتخبين أو معينين وتمثل فيها بريطانيا ، ويضمن الدستور خاصة سلامة الأماكن المقدسة وحماية الطوائف

المختلفة بحسب تعهدات بريطانيا للعرب واليهود ، والمركز الخاص للوطن القومي اليهودي في فلسطين والمصالح الدولية التي تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عنها .

٤ ؛ تسبق اقامة دولة مستقلة في فلسطين فترة انتقال تظل الدولة المنتدبة خلالها مسؤولة عن الحكم .

٥ - بمجرد استقرار الأمن والنظام ، تتخذ التدابير الأولى لمنح أهالي فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم . وتكون المرحلة الأولى تعيين عدد منهم (بنسبة عدد الفريقيين العربي واليهودي) إلى المجلس الاستشاري بحيث تصبح اكثريته منهم ، وعدد الى المجلس التنفيذي بحيث يصبح نصفه منهم . وتكون المرحلة الثانية قلب المجلس الاستشاري الى مجلس تشريعي وفيه عنصر فلسطيني منتخب ، ويحتفظ المندوب السامي بسلطات معينة ، ويضطلع بعض أعضاء المجلس التنفيذي من الفلسطينيين بأعباء بعض الادارات الحكومية .

٦ - ليس من الممكن تحديد مدة للتطور الدستوري من مرحلة الى أخرى خلال مدة الانتقال ، كما أنه ليس من الممكن تحديد تاريخ لنهاية هذه المدة وتأسيس الدولة المستقلة . غير أن الحكومة البريطانية تأمل أن يتم ذلك خلال عشر سنوات . ويتوقف هذا على نجاح التغييرات الدستورية المختلفة في فترة الانتقال واحتمالات تعاون أهل فلسطين . وليس في وسع الحكومة البريطانية أن تفكر في التخلي عن مسؤولياتها في الحكم الا اذا اطمانت بأن حسن اندماج طوائف فلسطين يسمح بإمكان قيام حكومة صالحة .

ثانياً : عن الهجرة :

تكون الهجرة في خلال السنوات الخمس التالية بنسبة ترفع عدد اليهود - اذا سمحت قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب - الى ثلث تعداد النفوس في فلسطين تقريباً . فاذا اعتبرنا الزيادة الطبيعية المنتظرة في عدد العرب واليهود ، وعدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا

بطريقة غير مشروعة (وقدروا بأربعين ألفاً) فانه يمكن السماح لحمّة وسبعين ألف مهاجر بالدخول في خلال السنوات الخمس التالية . ويحتفظ بالاداة الحالية لمعرفة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، ويكون المندوب السامي هو صاحب الكلمة العليا في تقرير ما تسمح به القدرة الاقتصادية . وقبل تقرير شيء ما ، يستشار بمشور العرب واليهود .

ثالثاً : عن بيع الأراضي :

وفي هذا الموضوع سيغول المندوب السامي السلطات العامة لمنع بيع الأراضي وتنظيمه ، وستصدر التعليقات الى المندوب السامي بأن يعين مناطق يسمح فيها بمجربة بيع الأراضي ونقل ملكيتها ، أو تنظيم ذلك وتقييده أو تحريمه ، مسترشداً في ذلك بتقاريرلجنتي (بيل) و (ودهيد) ، وتبقى للمندوب السامي هذه السلطة طوال فترة الانتقال .

وفيالجلسة الرابعة عشرة النهائية (١٧ آذار) تلاجمال الحسيني رد الوفد الفلسطيني على المقترحات ، وهذا الرد هو البيان الحتامي لوفد فلسطين ؛ قال إن ما سيلاحظه بشأنها كافيأ لاثبات تعذرالعمل بها عموماً . فالمقترحات تتناول ثلاث مسائل رئيسية : التغييرات الدستورية والهجرة والاراضي .

عن المسألة الاولى تقترح الحكومة البريطانية أن تكون هناك فترة انتقال منالانتداب الى فلسطين المستقلة غير محددة بمدة ، بل تركت رهن « نجاح » المراحل الدستورية وامكان التعاون الفعال بين أهالي فلسطين . والوفد العربي يقبل مبدأ فترة الانتقال ولكن على شرط تحديد مدتها . وقال الحسيني بحق ان عدم تحديد الفترة عقبه في سبيل ما تصرح به حكومة بريطانيا بأن غاية التحقيقه ، اذ أن ذلك يتيح لأية أقلية تبغي أن تؤخر أو تعرقل قيام دولة مستقلة في فلسطين ثغرة واسعة ، بل يغريها باتبباع سياسة العرقلة عمداً .

وعن الهجرة فالوفد العربي الفلسطيني يلاحظ بارتياح أن الحكومة البريطانية اعترفت أخيراً بأن من الواجب أن تنتهي هجرة اليهود الى فلسطين ، ولكنه يرى أن اقتراحاتها ليس من شأنها أن تحمل الوفد على تغيير ما يذهب اليه من أن عدد السكان الحالي أكثر مما تستطيع البلاد احتماله .

وعن الاراضي بأسف الوفد أن يجد أن المقترحات لا تدخل في حسابها ما نجم وينجم عن قلة كفاية الاراضي في فلسطين . ويؤخذ من أحدث تقرير وضعته هيئة رسمية وهي « لجنة ودهيد للتقسيم سنة ١٩٣٨ »، أن أدنى مساحة لازمة للأسرة هي (١١١) دونماً في المتوسط ، على حين أن الواقع لا يتجاوز ٥٤ دونماً للأسرة، أي أقل من نصف الحد الأدنى اللازم لحياة الكفاف . وهذا التقدير ينطبق على البلاد كلها على العموم ، وقد روعي فيه التفاوت بين الاراضي المختلفة في الجهات المتنوعة . ويرى الوفد الفلسطيني أن النهج القويم الوحيد يقضي بتحريم بيع الاراضي من العرب الى اليهود لتخفيف وطأة حالة عدم كفاية الاراضي ، وعند اليهود الآن مساحات كافية من أراض غير مستعملة ولا مستغلة لمواجهة الزيادة الطبيعية في عدد اليهود .

وقد أبدت الوفود العربية الأخرى اعتراض وفد فلسطين على المقترحات البريطانية وطلبت أن تولى ملاحظات الوفد العربي الفلسطيني العناية الثلاثية، لأنها معقولة تحدها روح المسالمة ، وتدلل على الرغبة في الوصول الى اتفاق مع بريطانيا ان أمكن على نحو ما .

وهكذا ختم مؤتمر لندن يوم ١٧ آذار فأعلن اليهود على أثر ارفضه الاضراب العام احتجاجاً على المقترحات البريطانية، وأضرب العرب أيضاً وتظاهروا .

وجرت الاغتيالات من الجانبين رافقتها أعمال العنف . وفي أثناء انعقاد المؤتمر قام اليهود بحملة ارهابية وألقوا القنابل على التجمعات العربية في شوارع حيفا وبأفا والقدس

وغيرها من المدن ، فقتلت خمسين عربياً وجرحت مائة ، ووقعت اعتداءات فردية عديدة من اليهود على العرب . كذلك احتجت الوكالة اليهودية لدى سماعها بأن حكومة لندن ميالة للقبول بدولة عربية مستقلة في فلسطين اذا وافق العرب على تحديد الهجرة وبيع الاراضي لا منعها . وقالت الوكالة إن اليهود يقاومون كل حل يؤدي الى استقلال فلسطين وجعل اليهود فيها اقلية ، وطالبت ببقاء الانتداب وتنفيذ « التزاماته » .

وبقي في لندن بعض رجالات العرب بعد فشل المؤتمر ، وتابعوا الاتصال مع الحكومة البريطانية بغية حملها على تعديل مقترحاتها الأخيرة . وأمكن التفاهم على التعديلات الآتية :

١ - حالما تبدأ الاضطرابات الحاضرة تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة بوزراء فلسطينيين .

٢ - يجب أن يوضع دستور فلسطين من قبل جمعية فلسطينية منتخبة .

٣ - تنتهي مسؤولية بريطانيا وتصبح فلسطين مستقلة استقلالاً تاماً في خلال عشر سنوات ، واذا لم يمكن ذلك لأسباب خارقة ، وانتهت السنوات المذكورة ، ينعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني عربي للنظر فيما يجب عمله .

٤ - الهجرة تستمر في معدلها الحالي وهو (١٢ ألفاً) في السنة لمدة خمس سنين ولا يكون بعد ذلك هجرة الا بموافقة ممثلي العرب .

عُرِضت هذه التعديلات على مجلس الوزراء البريطاني فأبدى عليها بعض الملاحظات ، وكثرت الاتصالات والمشاورات بين لندن حيث كان يقيم بعض رجال الوفود ، والقاهرة حيث وصل القسم الآخر ، وبيروت حيث يسهل الاتصال بالمفتي المقيم في الزوق قرب جونبة .

وكان من نتيجة هذه الاتصالات أن أدخلت الحكومة البريطانية بعض التعديل على اقتراحاتها السابقة ، وان لم تأخذ تماماً بكل ما اقترحه الوفد العربية المجتمعة في القاهرة أو آخر نيسان ، وأبلغ الى لندن بواسطة الحكومة المصرية أوائل أيار ، ويمكن اجمال خلاصة التعديلات المقترحة العربية بما يلي :

١ - الاعتراف باستقلال فلسطين ، وممارسته فعلا بعد انقضاء مدة لا تتجاوز عشر سنوات على الاكثر .

٢ - أثناء فترة الانتقال ، تتألف حكومة وطنية خلال ستة شهور ، يرأسها بريطاني ، من ثمانية وزراء فيهم يهوديان ، مع مستشار بريطاني لكل وزير عربي ويهودي .

٣ - يفتح باب الهجرة أمام ٧٥ ألف يهودي خلال خمس سنوات ثم يغلق باب الهجرة تماماً .

٤ - تفرض قيود شديدة على انتقال الاراضى العربية الى اليهود .

٥ - بعد انقضاء ثلاث سنوات من فترة الانتقال ينتخب مجلس تشريعي يمثل فيه السكان بنسبتهم العددية .

ولكن الحكومة البريطانية لم تأخذ بهذه التعديلات وانما أصدرت الكتاب الأبيض في ١٧ أيار ١٩٣٩ ، وكان محيياً لآمال بعض الساسة العرب الذين كانوا قد مهدوا لقبوله كحل مرض للقضية .

ولما ظهر ما فيه من تحفظ وقيود ، رفضته اللجنة العربية العليا . أما اليهود فقد رفضوا الكتاب الأبيض قبل نشره لأنهم توقعوا أنه سيكون محيياً لآمالهم ، وبدأوا يرسلون انذاراتهم الى الحكومة البريطانية بدعمهم عملاؤهم في جميع بلدان العالم ولا سيما في الولايات المتحدة .

الكتاب الأبيض (١٩٣٩) :

رفض العرب الحطة السياسية التي أعلنتها حكومة بريطانيا في كتابها الأبيض لا لأنها فقط لا تحقق مطالب العرب ، ولا تختلف عن المقترحات التي سبق وعرضت عليهم في مؤتمر لندن ، ورفضها وفد فلسطين بومذاك مع الوفود العربية الأخرى ، بل لأنها أيضاً تنقص عنها في بعض النقاط . وفيما يلي سنعرض لبعض بنود الكتاب الأبيض وسنرى مدى التقدم الذي أحرزته قضية فلسطين من خلالها .

أم أحكام الكتاب الأبيض هي :

١ - الدستور :

جاء في البند العاشر من الكتاب الأبيض : « أن الهدف الذي ترمي إليه حكومة جلالة هو أن تشكل خلال عشر سنوات ، حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة » . بيد أن هذا التصريح بالاستقلال الفلسطيني لا يكفل تحقيقه بالفعل لأن البند الثاني ينص على « ان الدولة المستقلة يجب أن تكون دولة يساهم العرب واليهود في حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الأساسية لكل من الفريقين » . فالاستقلال سيكون معلقاً على اشتراك اليهود في الدولة المستقلة . وجاء في نهاية البند الثامن من الكتاب الأبيض : « وينبغي أن تكون تلك الدولة دولة يساهم فيها الشعبان المقبان في فلسطين ، العرب واليهود ، بممارسة سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين » . وجاء في البند التاسع : « ان تشكيل دولة مستقلة في فلسطين ، والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها ، يتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود من شأنها أن تجعل حكم البلاد حكماً صالحاً في حيز الامكان » .

اذن يكفي أن يمتنع اليهود عن المساهمة في الدولة الفلسطينية المزعومة ليحولوا دون

الاستقلال ! ليس هذا فحسب فهناك فترة الانتقال التي يجب أن تسبق هذا الاستقلال ، ويمكن اعتبارها سلاحاً آخر بيد اليهود يلوحون به دائماً لنسف الاستقلال . نص الكتاب الأبيض على أن تكون فترة الانتقال مدة عشر سنوات ، وهي مدة طويلة ومع ذلك ليست نهائية : « فإذا ظهر لحكومة جلالاته لدى انقضاء عشر سنوات أن الظروف تتطلب إرجاء تشكيل الدولة المستقلة خلافاً لما تأمله ، فإنها ستستأور مع ممثلي أهالي فلسطين ، ومجلس عصبة الأمم والدول العربية المجاورة قبل اتخاذ قرار بشأن هذا الإرجاء . »

ان القرار النهائي في الموضوع بيد بريطانيا ، التي تستطيع دائماً أن تزعم أن « الظروف » غير مواتية لتحقيق الاستقلال يومذاك . ولعمري لقد كان الانتداب نفسه هبارة عن « فترة انتقال » ، ومع ذلك فقد عارضت بريطانيا استقلال فلسطين ما بقيت فيها ، في حين كان ميثاق العصبة يعترف لفلسطين بالاستقلال . وفي خلال فترة الانتقال تضطلع الدولة البريطانية بمسؤولية الحكم ، وكان يجب أن تبدأ فترة الانتقال بتشكيل حكومات وطنية نيابية تستلم فوراً أكثر الصلاحيات وسلطات الإدارة والتشريع . هذا عادة ما يحصل في البلاد كافة . أما البند التاسع من الكتاب الأبيض فقد جاء فيه عكس ذلك : « ان نمو مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين لا بد له أن يسير على قاعدة النشوء والارتقاء شأنه في البلاد الأخرى . أما في فلسطين فتحفظ الدولة المنتدبة بجميع مسؤولياتها في أثناء فترة الانتقال » بمساعدة مستشارين بريطانيين . ومعنى ذلك أيضاً أن بريطانيا يحق لها أن تتحكم بمقدرات فلسطين أياً كانت مشيئة أهل البلاد وآراء الدول العربية ، ومن ثم ففلسطين لن تكون دولة عربية ولا يهودية بل بريطانية .

وعن الساطة التشريعية في فلسطين ، جاء في الكتاب الأبيض بصدها ما يلي : « ان حكومة جلالاته لا تتقدم في هذه المرحلة بأية مقترحات حول تشكيل هيئة تشريعية

منتخبة . . . وإذا أعرب الرأي العام في فلسطين فيما بعد عن تحيذه لمثل هذا التطور ، تكون مستعدة لتشكيل الاداة اللازمة بشرط ان تسمح الأحوال المحلية بذلك ، .

ان عيب بل نقص هذا الموضوع الحيوي كامن في تعليقه على سماح الأحوال المحلية وتقدير الرأي العام ، والابهام المحيظ « بالأداة اللازمة » مما يعرقل قيام النظام النيابي أو يبتره وبشوهه .

وبصدد سن الدستور جاء في البند السادس من الكتاب الأبيض بأنه «تشكل لدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الأمن والنظام حياة ملائمة من ممثلي أهل فلسطين وحكومة جلالاته ، للنظر في كيفية سير الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال ، وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة ، وتقديم التواصي بذلك الشأن » .

كان ينبغي أن يكون حكم البلاد خلال فترة الانتقال مستمداً من دستور تضعه جمعية تأسيسية منتخبة ، فور تشكيل الحكومة الوطنية وفقاً لما ورد في البند السابع .

أما أن لا يكون لفلسطين دستور شعبي أثناء فترة الانتقال ، وإشراك ممثلين بريطانيين في وضع الدستور ، كل ذلك فيه إبهام وخروج عن الأصول المتبعة في وضع دساتير البلاد المستقلة .

وبدنيا لا يعترف العرب قاطبة بوعد بلفور وبالوطن القومي اليهودي ، الذي كان علة العلل في كل ما أصاب فلسطين من كوارث ونكبات وخراب وثورات .. اذا بالكتاب الأبيض ينص في بنده السابع على تثبيت الوطن القومي اليهودي بقوله : « وستطلب حكومة جلالاته أن تقتنع بأن المعاهدة المنظور عقدها في البند (١) أو الدستور المنظور وضعه في البند (٦) أعلاه قد ضمن النصوص الوافية .. لحماية الطوائف في فلسطين وفقاً ، للالتزامات المترتبة على حكومة جلالاته نحو العرب ونحو اليهود ، وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذي للوطن القومي اليهودي في فلسطين » .

ان الحاح الحكومة البريطانية على اعطاء الوطن القومي وضعاً خاصاً وتثيته في صلب الدستور ، هو أمر لا مبرر له ما دامت تطلب أن توضع في المعاهدة أو الدستور ضمانات وافية لحماية الطوائف التي سيؤلف اليهود احداها .

ان الكتاب الأبيض لن يحول فلسطين الى دولة يهودية أو الى دولة عربية بل الى دولة فلسطينية . فبريطانيا « تصرح الآن بعبارة لا لبس فيها ولا ابهام أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية . وهي تعتبر في الواقع أنه مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نجو العرب بموجب صك الانتداب ، والتأكيدات التي أعطيت للشعب العربي فيما مضى ، أن يجعل سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافاً لارادتهم » (١) .

ومن جهة أخرى فبريطانيا لم تعترف في مكاتبات الحسين مكماهون باستقلال دولة عربية تضم فلسطين ، ولذا فحكومة جلالاته « لا يسعها الا أن تتمسك بالرأي القائل ان جميع فلسطين الواقعة غربي الاردن كانت قد استثنيت من العهد الذي قطعه السير هنري مكماهون ، وهي لذلك لا تستطيع أن توافق على أن مراسلات مكماهون تشكل اساساً عادلاً للادعاء بوجود تحويل فلسطين الى دولة عربية مستقلة » (٢) .

ولا حاجة الى الرد هنا بأن العرب يصرون على أن فلسطين كانت داخلة ضمن منطقة الاستقلال العربي التي حددتها مكاتبات الحسين مكماهون ، وأن بريطانيا بمحاولاتها اخراج فلسطين الآن من هذه المنطقة العربية الموعودة الاستقلال ، إنما تتكلم عن عهد قطعه لهم صراحة ، فضلاً عن محاولاتها أمراً مخالفاً للحق الطبيعي الثابت .

إن اللورد تشانسلور رئيس لجنة مكاتبات مكماهون التي شكلت أثناء انعقاد مؤتمر

(١) ص ٤ من الكتاب الأبيض - بلاغ رسمي رقم ٢ - ٣٩ .

(٢) ص ٦ نفس المصدر ، البند السابع .

لندن ، أجب على مذكرة المندوبين العرب في اللجنة بصدد هذا الموضوع بقوله صفحة ٤٥ من النسخة الأنكليزية الرسمية : « لقد تأثر لورد تشانسلور من بعض البراهين التي قدمت بشأن الجملة المتعلقة باستثناء الأقسام الواقعة غربي مقاطعات دمشق وحمص وحماء وحلب من سورية . وهو يعتبر أن وجهة النظر العربية فيما يختص بهذه المسألة قد تبين أن لها قوة أكبر مما كان يظهر سابقاً » . وفي الصفحة (١١) من نفس التقرير وردت الفقرة التالية : « أنه يتراءى للجنة جلياً من هذه البيانات أن حكومة جلالته لم تكن حرة التصرف في فلسطين دون احترام رغبات أهلها ومصالحهم ، وأنه يجب أخذ هذه البيانات بعين الاهتمام في أي محاولة لتقدير المسؤوليات المترتبة على حكومة جلالته نحو هؤلاء ، كنتيجة لأي تفسير لهذه المراسلات . »

٢ - الهجرة :

جاء في الكتاب الأبيض عن الهجرة أنه حان الوقت للأخذ بالسياسة القائلة : « ان على حكومة جلالته أن تسمح بزيادة توسع الوطن القومي اليهودي عن طريق الهجرة اذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة ، ولكن ليس بدون ذلك » . ثم ينص على وقف الهجرة نهائياً بعد خمس سنوات « فلا يسمح بهجرة يهودية أخرى الا اذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها » (١) .

الحق ان عدم اقبال باب الهجرة بالمرة ، مع ترك مجال لفتحه عن طريق قبول العرب ، يدعو الى الريبة وعدم الارتياح . فلا يستغرب أن يدعي الانكليز زوراً في ظرف ما قبل

(١) نكلت بريطانيا عن هذا التعهد الصريح حين صرح وزير خارجيتها في كانون الثاني ١٩٤٦ بأنها سمحت بدخول ١٥٠٠ يهودي شهرياً ، بعد أن كان العدد المحدد في الكتاب الأبيض قد استكمل منذ وقت طويل .

العرب ، وطالما كانت السلطة في يدهم فهم لا يعدمون وسيلة لتحقيق مآربهم ومآرب اليهود .
وصرحت الحكومة البريطانية في الكتاب الأبيض أنه ليس في نصوص المعاهدات
الدولية ما يبلي عليها عدم تحديد الهجرة الا بقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب . وليس
في هذه النصوص ولا في بياناتها السياسية ما يؤيد الرأي القائل بأن انشاء وطن قومي
لل يهود في فلسطين لا يمكن تحقيقه الا اذا سمح للهجرة بالاستمرار الى ما لا نهاية .

فاذا كانت الهجرة تؤثر في وضع البلاد الاقتصادي تأثيراً سيئاً فمن الواضح أنه يجب
تقييدها ، وكذلك الحال اذا كان للهجرة أثر يضر ضرراً خطيراً بوضع البلاد السياسي ، فان
ذلك عامل يجب أن لا يغفل ،^(١) . وفي الكتاب الأبيض اعتراف صريح بأن العامل
الوحيد الذي اكروه الحكومة البريطانية على التنازل عن سياسة التقسيم والتقرب من العرب ،
هو نشوب ثورة فلسطين ، والخوف من امتداد هليها الى البلدان العربية الأخرى . وذلك
حين يقر البيان بأن تدفق الهجرة هو الذي سبب الاضطراب وبعث الثورة ، وأن من
الواجب وضع حد له لتوطيد الأمن في فلسطين .

وعلى الرغم من عدم السماح بهجرة يهودية أخرى الا بعد قبول عرب فلسطين بها ،
فان الكتاب الأبيض يقرر استمرار الهجرة ، وادخال عدد كبير آخر من المهاجرين اليهود ،
ويبرر خرق هذه القاعدة بثلاثة معاذير .

أولها ان وقف الهجرة في الحال من شأنه أن يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي
والاقتصادي وبصالح العرب واليهود . والواقع كما ذكرت اللجنة العربية العليا في ردها
على ذلك هو أن استمرار المهاجرة هو الذي يضر باقتصاديات بلاد صغيرة أنحمت بالمهاجرين ،

(١) ص ١٠ من الكتاب الأبيض .

وتفتت فيها البطالة وأصبح قسم كبير من أبنائها بدون عمل .. وساد فيها فوق ذلك عهد طويل من الثورة والاضطراب . والشعب العربي يعلن .. ان وقف الهجرة لا يؤثر في مصالحه تأثيراً سيئاً ، بل هو بالعكس يؤثر فيها أحسن الأثر وأنفعه .

وثاني المعاذير أنه ليس من الانصاف للوطن القومي وقف الهجرة وفقاً فجائياً . والعرب يعتبرون الوطن القومي هو الظلم بعينه فكيف ينبغي انصاف الظلم قبل انصاف الحق المهضوم ! .

وثالث المعاذير المساهمة في حل مشكلة اليهود العالمية ، وهي معذرة طالما ترددت على أفواه المغرضين الذين يريدون رفع ظلامه بايقاع ظلامه أدهى منها وأمرّ ، على شعب بريء لا شأن له بالأمر كله ، وهو بعيد عن كل ذلك .

تأتي بعد ذلك نسبة الثلث التي ينبغي أن يصل اليها اليهود في فلسطين .

تنص الفقرة الأولى من البند (١٤) أن الحكومة البريطانية تريد أن تحتفظ لليهود بنسبة تقرب من الثلث في مجموع سكان البلاد ، وعلى هذا الأساس عينت رقم (٧٥ ألفاً) للمهاجرين الذين يسمح باذخالمهم .

وهي تقول في البند (٦) من نفس الكتاب الأبيض: « ان عدد سكان الوطن القومي — أي اليهود — قد ارتفع حتى بلغ (٤٥٠.٠٠٠) نسمة ، أو ما يقرب من ثلث سكان البلاد برمتهم » ، فلماذا تغالط بريطانيا وتطالب ادخال ٧٥ ألفاً آخرين طالما أن اليهود استوفوا النسبة المطلوبة !!

هذا الى تمك الكتاب الأبيض ببدء قدرة الاستيعاب الاقتصادي، وهو المبدأ الذي نجم عنه تضخم الهجرة والأزمات الاقتصادية والبطالة المتسعة التي أشير اليها في تقارير الخبراء واللجان .

٣ - الأراضي :

يتبع الكتاب الأبيض السياسة التي كان اقترحها الوفد البريطاني في مؤتمر لندن ، وهي تقسم الأراضي الى فئات ثلاث على ما ذكرنا . في حين أن تقارير لجان الخبراء التي ينوه بها الكتاب الأبيض تثبت أن الأراضي الصالحة للزراعة التي يملكها العرب هي أقل بكثير من حاجتهم . وقد وضعت هذه التقارير قبل ثمان سنوات ، وفي خلال هذه المدة لم يصدر تشريع يحول دون انتقال الأراضي من العرب الى اليهود كما يعترف في البند (١٦) ، فاستمر انتقال الأراضي الى اليهود ، واستمر أيضاً نمو عدد السكان العرب الطبيعي ، واذن تكون حاجة العرب الى الأرض أشد مما كانت يوم وضعت تقارير الخبراء .

وعلى الرغم من أن البلاد تقسم بموجب البند (١٦) الى مناطق يُمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود في قسم منها ، ويُجدد في قسم ، ويُطلق في قسم ثالث^(١) ، نقول بالرغم من ذلك تسارع بريطانيا في البند الذي يليه (١٧) الى تطمين اليهود بأن هذه التدابير مؤقتة ، وبأن للمندوب السامي حق اعادة النظر فيها أو تعديلها ؛ فكلها أدخل تحيين في الأساليب الزراعية وازداد انتاج الأرض ، خففت قيود البيع أو ألغيت^(٢) . !

من عرض ما جاء في الكتاب الأبيض يتبين أن سياسته لا تحقق مطالب العرب، لأنها محوطة بكثير من الغموض والابهام في ما لا بد فيه من الوضوح والتحديد . وبما يؤسف أن الحكومة البريطانية تصرح بأنها بذلت لدى وضعها هذه المقترحات جهدها باخلاص للتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب .

(١) ص ١٤ من الكتاب الابيض .

Sykes, ibid

(٢)

فهذا التصريح لا يتفق مع آمال العرب ، لأن أساس ما يشكون منه هو صك الانتداب وما تضمنه من اجحاف شديد بحق العرب ، وهذا ما جعل خطة بريطانيا الجديدة (١٩٣٩) محيية لآمال العرب ، ومتمادية في التعنت والابتعاد عن الحل الجدي العاجل لأية مشكلة من المشاكل التي تعاني منها البلاد . وما زالت بريطانيا تحاول فرض سياستها التي تستمد أسسها من صك الانتداب بالقوة ، ظلت تتابع هذه السياسة منذ دخلت فلسطين ، ومهزلة أن يشجب الكتاب الأبيض حكم القوة ، بينما صاحبه تخوض فيه وتصر عليه .

جاء في البند (١٣) : « ان الحكم بالقوة بقطع النظر عن الاعتبارات الأخرى يخالف في رأي حكومة جلالاته روح المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الامم كل المخالفة ، كما أنها تناقض أيضاً الالتزامات الصريحة المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب^(١) . والى رحمة الله ألوف الضحايا الأبرياء ، وأمام الله والتاريخ والانسانية ستسأل بريطانيا عما تقلب على البلد الشهيد من صنوف البلاء والعذاب .

(١) ص ١١ - ١٢ من الكتاب الابيض .

تصويب الأخطاء المطبعية

يرجى تصويب الأخطاء قبل المباشرة بمطالعة الكتاب ، ومعذرة على الأخطاء الأخرى التي لا تخفى على فطنة القارئ :

<u>الصواب</u>	<u>الخطأ</u>	<u>السطر</u>	<u>الصفحة</u>
فلسطينا	فلسطينا	١	١٤
g	g	الحاشية	١٦
المجلد والصفحة	الجزء والصفحة	٢٧	٣٧
والتشريع	التشريع	١٧	٣٩
Bein	Ben	اول سطر في الحاشية الأجنبية	٥١
اثنتين	اثنين	خامس سطر في الحاشية ^(١)	٧٢
ادوارد	اداورد	١	١١٦
بوتقة	بوتفة	١٣	١٤١
Idea	Edea	اول سطر في الحاشية ^(١)	١٤٨
الحفاظ	الحفاط	٥	١٤٩
بنتوتيش	بنتوتبش	٢	١٥٥
background	backgroud	١٦	١٩٣
قيدهم	قيديهم	١٦	٢١١
مطلقاً فهو اسكتلندي	مطلقاً فهو انكليزي	٢٢ في الحاشية	٢٢٩

<u>الصواب</u>	<u>الخطأ</u>	<u>السطر</u>	<u>الصحيفة</u>
كان	لان	١٨ في الحاشية	٢٢٩
الخارجية	الحاجة	١٤	٢٣٠
Judea	Judtea	اول سطر في الحاشية ^(١)	٢٣٠
بدباجة	بدباجة	١٦	٢٣١
الإضرار	لإضرار	١٦	٢٣١
Palestine	Paistiue	حاشية ^(٢)	٢٣٤
ونخرج	ونخرج	١٩	٢٣٧
تعمل	تحمل	٤	٢٤٠
اسلامياً	اسلامية	١١	٢٤٢
ثبت	تبت	٤	٢٤٦
المانيا	لمانيا	٩	٢٤٦
تحمل	تمل	١٨	٢٤٦
وبدا	وبدا	١١	٢٥٠
التقرير	التقرير	١٤	٣٠٤
لتقيدها	لتقيدها	١	٣٢٤
الثورة العربية الكبرى (١٩٣٧-١٩٣٩)	الثورة العربية	عنوان الفصل	٣٣٨
ظلامه	ظلامه	٨	٤٠٠

فهرس المواد

الصفحة

٣

الاهداء

٥

بين يدي المحاضرات

الفصل الأول

١٣

فلسطين العربية بين الحقيقة والاسطورة

الفصل الثاني

٣٦

المسألة اليهودية والخطط الصهيونية قبل مؤتمر بال (١٨٩٧)

الفصل الثالث

٦٦

فشل معامي صهيونية هرتسل السياسية (١٨٩٧ - ١٩٠٤)

الفصل الرابع

١٠٢

الصهيونية العملية السياسية تشرع في استيطان فلسطين

وتتعاقد على وعد بلفور

الفصل الخامس

١٣١

فلسطين في المؤتمرات الدولية - الانتداب

الفصل السادس

١٨٧

تنظيم النشاط الصهيوني وتساعد السخط العربي (١٩٢٢ - ١٩٢٩)

الفصل السابع

٢٢٠

قضايا المهاجرة والأراضي وذبولها السياسية

الفصل الثامن

٢٥٢

الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦) - - الدور الأول

الفصل التاسع

٢٨٩

اللجنة الملكية توصي بتقطيع أوصال فلسطين (١٩٣٧)

الفصل العاشر

٣٣٨

الثورة العربية الكبرى (١٩٣٧ - - ١٩٣٩) - - الدور الثاني

تصاعد النضال العربي وسقوط التقسيم

الفصل الحادي عشر

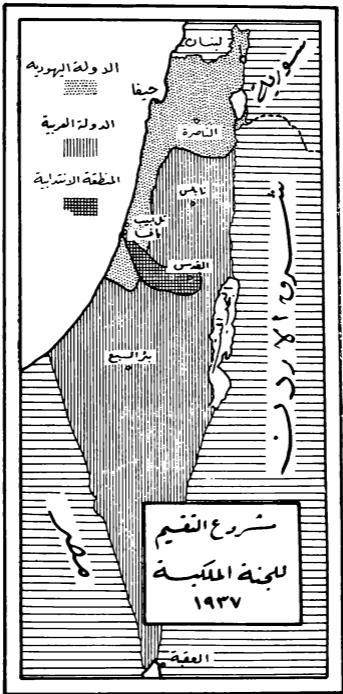
٣٦٩

مؤتمر لندن والسياسة البريطانية الجديدة (١٩٣٩)

٤٠٣

تصويب الأخطاء المطبعية

فهرس المواد



الدكتور أحمد طربين

الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق

قضية

فلسطين

(١٨٩٧ - ١٩٤٨)

محاضرات في التاريخ السيامي

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٦٨

الدكتور أحمد طربين
الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق

قضية

فلسطين

(١٨٩٧ - ١٩٤٨)

محاضرات في التاريخ السياسي

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٦٨

الفصل الثاني عشر

الصهيونية وسياسة الكتاب الابيض

كان رد الفعل الصهيوني ضد الكتاب الأبيض بالغ العنف ، فند نشر تقرير اللجنة الملكية ، كان الرأي العام الصهيوني الرسمي قد تقدم مسافة طويلة على طريق التعضيد المكشوف لهدف الصهاينة التصحيحين المتطرف بأن الهدف هو تأسيس دولة يهودية في كامل فلسطين وشرق الاردن ، يدعمها جيش يهودي . ولذا كانت صدمة قاسية للصهاينة حين طلعت عليهم حكومة تشامبرلن بوجوب العودة الى ايمان (ما قبل تقرير اللجنة الملكية) بالصهيونية وهدفها . أي كما كرره المؤتمر الصهيوني عام ١٩١١ في الكلمات التالية : « فقط أولئك الذين يقاسون من الجهل المطبق أو بحركهم الحبث ، يمكنهم أن يتهمونا بالرغبة في إقامة مملكة يهودية مستقلة » . كما أعاد سوكولوف رئيس المنظمة الصهيونية تأكيده في ١٩١٨ - ١٩١٩ ، أي بعد سنة ونحوها من إعطاء وعد بلفور ، حين قال : « إن الدولة اليهودية لم تكن أبداً جزءاً من البرنامج الصهيوني » . وفي عام ١٩٢١ صرح قرار المؤتمر الصهيوني : « ان الشعب اليهودي عازم على أن يعيش مع الشعب العربي في ظل الوفاق والاحترام المتبادل ، من أجل جعل الوطن المشترك مجتمعاً مزدهراً^(١) » . وقد نتج عن هذه التصريحات بعض الكتاب الغربيين ، فيرى نيفل باربر أن هذه التصريحات تجعل المرء يتصور اتحاداً أو مشاركة في المواطنة ، على نسق ما هو جار بين الكنديين الفرنسيين مع الغالبية

Barbour, op. cit., p. 204

(١)

الانكلو سكسونية في كندا ، أو للسكوتلنديين والولش مع الانكليز ، أو للطليان والفرنسيين والألمان في سويسرة ! ويغيب عن هؤلاء الكتاب أن الصهيونية منذ برنامج مؤتمر بال (١٨٩٧) حتى برنامج مؤتمر بيلتور (١٩٤٢) فضلت استخدام كلمة (الوطن) كناية بها عن لفظة (الدولة) نظراً لما تثيره الأخيرة من اعتراضات . فالصهيونية قصدت منذ البداية خلق دولة مستوطنين في فلسطين ، ولو أن زعماءها في العلق صرحوا بغير ذلك .

كان الوصف العام الذي صدر عن الصهيونية للكتاب الأبيض بأنه (خيانة) ، وشبّهه بتخلي بريطانيا عن الحبشة وعن تشيكوسلوفاكيا . وبعد صدور الكتاب بيوم واحد (١٨ أيار) أعلنت الوكالة اليهودية في بيانها : ان اليهود ان يقبلوا أن تغلق في وجوههم أبواب فلسطين ، ولن يسمحوا بأن يتحول وطنهم القومي إلى (غيتو) . وان أبطال اليهود ، الذين أعطوا دليلاً ساطعاً على قوتهم وصلابتهم في تأسيس الوطن القومي ، يعرفون كيف يدافعون عن الهجرة اليهودية والوطن اليهودي والحربة اليهودية . واتهم بيان الوكالة اليهودية بريطانيا بأنها خضعت (للإرهاب العربي) ، وهدد بأن اليهود سوف يقاتلون ولا يذعنون للحكم العربي . وتابع البيان مغالطته الصفيقة حين ذكر ان الشعب اليهودي ليس على نزاع مع الشعب العربي ، وان العمل اليهودي في فلسطين ليس له أثر معاكس على حياة الشعب العربي وتقدمه ، وان العرب ليسوا محرومين من الأرض أو من الوطن ، وهم في غير حاجة للهجرة ، كما هو حال اليهود . إن الاستعمار اليهودي قد « نفع » فلسطين وجميع سكانها . . وان الشعب اليهودي قد أظهر جنوحه للسلام حتى في سنوات الاضطراب^(١) !

(١) انظر مجموعة من المقالات عن رد الفعل اليهودي على الكتاب الابيض (١٩٣٩) في :

Jewish Frontier, vol. X oct. 1943 p. 13 & ff.

و كشف اليهود عن نزعة « الصلابة والسلام » في مظاهرة قاموا بها في اليوم التالي في تل أبيب والقدس . وهتفوا ضد بريطانيا ، وتفرقوا لدى اطلاق البوليس النار عليهم ؛ وحين قابل بن غوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، القائد البريطاني الذي أمره بالاخلاد للهدوء ، أجاب بن غوريون : ان اليهود لن يهابوا التهديد حتى لو كلفهم ذلك سفك دمايهم . ولكن اليهود آثروا العافية تبعاً للنصيحة البريطانية ، ثم بدأوا يطلقون النار على العرب العزل من نوافذ بيوتهم ثم يغلقونها ويتوارون .

ولم تتكسر حدة سخط اليهود على الكتاب الأبيض مطلقاً منذ يوم نشره . وفي اليوم نفسه الذي عرض فيه الكتاب الأبيض على مجلس العموم (٢٢ أيار) تناول وايزمن طعام الغداء مع تشرشل الذي أخبره بأنه سيشارك في حملة المعارضة ضد الكتاب الأبيض ، وكان من بين الحاضرين راندولف تشرشل ولورد شيرويل Cherwell^(١) . ومضى وايزمن يقول : « وقد قرأ تشرشل خطابه علينا ثم سألتني عما إذا كان لديّ ما اقترح تغييره ، فأجبت إن مخطط الخطاب كان من الكمال بحيث لا يوجد إلا نقطة أو نقطتين صغيرتين فقط أرغب في تغييرهما - ولكنها ليستا على قدر من الأهمية ولذا فلا حاجة بي لإزعاجه^(٢) . وكان وايزمن قبل حضوره الى لندن في هذه الآونة ، قد كتب من فلسطين إلى أصدقائه يجذرهم من مغبة صدور الكتاب الأبيض ، ويذكر من هؤلاء : ليوبولد اميري ، ارشيبالد سنكلير ، لورد لوثيان (الذي عين سفيراً لبريطانيا في الولايات المتحدة) السير وارن فيشر ، لورد هاليفاكس^(٣) وغيرهم . وفي مجلس العموم عرض وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد الكتاب ودافع عنه ، ووصفه بأنه خير وسيلة للوفاء بالتعهدات المقطوعة للعرب واليهود معاً ،

Weizmann, op. cit , p. 506

(١)

ibid,

(٢)

Weizmann, op. cit., p, 503

(٣)

والتوفيق بينها ، ولصون المصالح السياسية البريطانية الكبرى ، وهي المحافظة على صداقة العرب ، وتأمين خطوط المواصلات الامبراطورية . وتولى بعض النواب ، ومنهم المستر كروسبي الدفاع عن حقوق العرب . بينما هاجمه آخرون من حزب المعارضة العمالي من جهة ، ومن كبار الاستعماريين أمثال اميري وتشرشل . صرح اميري أن الكتاب « هو بمثابة نفي للمبادئ التي أقيمت عليها إدارتنا في فلسطين ، وفي نظري - على كل حال - رفض للعهود التي على قوتها عهد إلينا بكم فلسطين ^(١) » . واتهم هربرت موريسون - صديق وايزمن وأحد البارزين في حزب العمال ، اتهم الحكومة بالتهرب من مشكلة فلسطين ومحاولة حل وضع معقد بتفكير يقوم على الأمل .. » ان الكتاب هو خرق مضحك للعهود المعطاة لليهود وللعالَم ^(٢) » . كما أن تشرشل شجب الكتاب الابيض ، وناقطف بعض فقرات من خطابه لما لها من دلالة عند رجل ستسلم اليه مقدرات بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية . قال إنه يجذو جذو زميله اميري في عدم الموافقة عليه ، وقال انه منذ البداية مناصر لمخلص لوعده بلفور ، وقال ان رئيس الوزراء الحالي صادق عليه أيضاً في حينه ، وان وعد بلفور لم يوجهه الى يهود فلسطين فقط وانما الى يهود العالم ^(٣) . وتساءل أي نوع من الوطن القومي تقدم إلى اليهود في العالم حين نعلن أنه في مدى خمس سنوات سيغلق باب هذا الوطن في وجوههم ؟ وطلب - كما اميري - أن يؤخذ بعين الاعتبار رأي لجنة الانتداب الدائمة قبل ان يصوت البرلمان على الكتاب ، وأنكر أن تكون بريطانيا قد بلغت هذا الحد من الضعف وأفلس بحيث أصبحت غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها . وأكد ان الكتاب يعد تراجعاً من بريطانيا تحت تأثير (الارهاب) العربي ، وان مظهر الضعف هذا سيحدث تأثيراً سيئاً في نفوس أصدقاء بريطانيا وفي الولايات المتحدة ، وسيكون خير مشجع لأعداء بريطانيا على المضي في

Parliamentary Debates, Commons, Vol. 347, may 22, 1939 (١)

Parliamentary Debates, Commons, Vol. col. 2144, may (٢)

23 , 1939

إثارة الشعب عليها وإقامة العراقيل في طريقها . وختم تشرشل خطابه بقوله : لا أعتقد ان العمل الذي قمنا به خلال العشرين سنة الماضية في فلسطين يتجاوز قوتنا ويتعداها ، أو أن تلك المواظبة الأمانة لن تصل بذلك العمل إلى نجاح مجيد في النهاية (١) .

ولكن مجلس العموم وافق على الكتاب الابيض، برغم عنف الحملة التي شنها عليه تشرشل والاستعماريون والمعارضة العمالية ، بأكثرية ٢٦٨ صوتاً ضد ١٧٩ وامتناع ١٠٩ عن التصويت، نحرزاً من إحراج الحكومة في تلك الفترة العسيرة . كما أن مجلس اللوردات وافق على الكتاب (٢) برغم معارضة لورد سنل والفيكونت هربرت صونيل وكبير أساقفة كنزبري . وفي المؤتمر السنوي الذي عقده حزب العمال في (ساوثبورت) أيار ١٩٣٩) أيد المؤتمر موقفه في البرلمان ضد سياسة الحكومة . ودعا الى ان تتجاوز الحكومة عن سياسة الكتاب الابيض وتعيد فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية وفق قدرة البلاد على الاستيعاب الاقتصادي . وقال ان الكتاب يمثل استسلاماً آخر للعدوان ، ويقدم مكافأة للعنف والارهاب ، وهو نكسة للقوى التقدمية لدى العرب واليهود ، كما أنه يفرض قيوداً لا تحتمل على الهجرة اليهودية، في الوقت الذي يقسم الاضطهاد العنصري بلاد العالم الأخرى الى بلاد تحرم على اليهود دخولها ، وبلاد تستحيل عليهم الحياة فيها (٣) .

واجتمعت لجنة الانتدابات الدائمة في حزيران من العام نفسه ، ونظرت في الموضوع في جلسات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ حزيران وحضرها مكدونالد وزير المستعمرات شخصياً حيث دافع عن الكتاب الابيض، وبرهن أنه يتفق معكح الانتداب وسياسات الحكومات

ibid, col. 2175 (١)

Survey of Palestine, op. cit, p. 45 (٢)

(٣) انظر نس قرار مؤتمر الهيئة البرلمانية لحزب العمال في (الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين) المجموعة الأولى (١٩١٥ - ١٩٤٦) ، ص ٣٣٥ ، مطبوعات الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

البريطانية المتعاقبة . وأعدت اللجنة تقريرها ما بين ٢١ - ٢٩ حزيران ورفعتة الى مجلس عصبة الامم ؛ وقد قررت بأكثرية أربعة أصوات هي أصوات نمشلي بلجيكا وسويسرة وهولندا والبروج ، ضد ثلاثة أصوات ، هي أصوات بريطانيا وفرنسا والبرتغال ، أن الكتاب الأبيض مناف لصك الانتداب ، وان السياسة التي عبر عنها لم تكن متفقة مع تفسير نص صك الانتداب الذي اتفقت اللجنة عليه مع دولة الانتداب ومع مجلس العصبة^(١) . ورأى الأعضاء الثلاثة ان الظروف يمكن أن تبرر وتبجيز سياسة الكتاب بشرط أن لا يعارضها مجلس العصبة . وأجمع أعضاء اللجنة على أن الحجج والنصائح التي أوردها تقرير اللجنة الملكية (أي سياسة التقسيم) ، والملاحظات الواردة في تقرير لجنة الانتدابات في آب ١٩٣٧ (نظام الكانتونات - المقاطعات - وإرجاء الاستقلال) لم تفقد شيئاً من قوتها ، وتمتد اللجنة على الدولة المنتدبة ان تعيد النظر في هذه الحلول ، وتدرس من جديد إمكانية تنفيذها ؛ وقد أبرز تقرير اللجنة هذا برهاناً جديداً على ما تتمتع به الصهيونية من نفوذ في المحافل السياسية والدولية . وظلت الصهيونية تحارب الكتاب الأبيض بدعوى أن اعتراض احدى لجان الانتداب عليه قد جعله من تلقاء نفسه غير مشروع . زعمت الصهيونية ذلك مع أن اللجنة ليس لها حق (الفيتو) بالنسبة لمقترحات دولة من دول الانتداب ، وانما ينحصر اختصاصها في الاشارة على مجلس العصبة بما تراه . هذا إلى أنه لم يكن يعقل ان تقضي دولة الانتداب وقتها بدون سياسة ما لحين انتهاء الحرب التي كانت بوادر وقوعها وشيكة . والواقع ان الكتاب الأبيض (على حد قول الدكتور جيمس باركس James Parkes وهو الذي لا يمكن أن يقال إنه ينقصه العطف على الصهيونية) لم يكن خروجاً قطعياً على سياسات الحكومات البريطانية السابقة . . فانه منذ اللحظة التي نص فيها - في تصريح بلفور - على

Permanent Mandates Commission, Minutes of the 36 th (١)
Session p. 275

أنه ستصان مصالح السكان الحاليين ، كان من البديهي أنه لن يكون في المستطاع إيجاد حل نهائي للمشكلة ما دامت هذه المصالح ، بالمعنى الذي فهمه السكان ، غير مكترث بها . كما أن « عرب فلسطين » أعربوا عن معارضتهم لذلك التصريح علناً في أول فرصة أتاحت لهم ، ولم يتحولوا بعد ذلك قط عن هذا الموقف... وما دام الأمر كذلك ، فإن المجرى الوحيد لتعاقب الأحداث إزاء تثبت العرب ، كان حتماً في سبيل الانتقاص المطرد من التشجيع الذي لقيه اليهود في أول الأمر^(١) .

وفي المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين الذي انعقد في جنيف (١٦ آب ١٩٣٩) تباينت وجهات نظر المعارضة الصهيونية للكتاب الأبيض ؛ فقد نادى حزب الدولة اليهودية بوجود عدم التعاون قطعاً مع البريطانيين وإعلان العصيان المدني . والحزب يتألف من جماعة قليلة برئاسة ماير كروسمان . وغالبية المندوبين في المؤتمر انقسمت الى ثلاث جماعات: واحدة شعرت ان الوقت قد حان لتترك أو تعديل سياسة وإيزمن المناهضة بالتعاون مع دولة الانتداب . وواحدة ترى الرأي المعاكس ، وتؤيد التعاون مع بريطانيا لأنه أمر لا يحصى عنه ومرغوب فيه . والثالثة تحاول ان تجد لها سبباً بين الرأيين السابقين ، ونجحت هذه في فرض موقفها على مقررات المؤتمر . قاد بن غوريون الجماعة الاولى ، وقال : « إن الكتاب الأبيض أوجد فراغاً يجب أن يملأه اليهود أنفسهم . يجب على اليهود أن يتصرفوا كما لو كانوا هم الحكومة في فلسطين ، ويبقوا كذلك إلى أن توجد دولة يهودية هناك ؛ ففي الحالات التي ترتكب فيها الحكومات مخالفات كهذه ، يجب على اليهود أن يعملوا كما لو كانوا هم الحكومة^(٢) » .

(١) انظر Kirk, G. « A Short History of the Middle East » ,
Third Edition, London, 1955, p. 189
Survey for 1938, I, p. 470

(٢)

أما الجماعة المعارضة لهذا الرأي فتقيم حجتها على أساس ان الصهيونية بحاجة الى دولة كبرى للارتقاء بها ، وأنه مهما كان الدعم البريطاني للصهيونية ضعيفاً ، فإنه لا يزال محسوساً أكثر من أي دعم آخر لأية دولة كبرى . وفوق ذلك بما أن اليهود التزموا جانب بريطانيا في الحرب الاوربية الوشيكة ، فليس من الممكن أن تساعد بريطانيا الكومونولث ضد ألمانيا ، وفي حين نربكها في الشؤون المحلية بفلسطين . ودافع الحاخام آباهيل سيلفر من الوفد الأمريكي بجرارة عن موقف وايزمن ، ورأى أن الحركة الصهيونية ودولة الانتداب لم تصلا بعد الى نقطة الاتفاق . وعقد الأمل على نقد لجنة الانتدابات للكتاب الأبيض . وناشد المؤتمر أن لا يستلم للعاطفة وقال ان الكتاب وثيقة موقعة فقط ؛ فبدنا نتحتم معارضته بقوة ، فهناك آمال طيبة لإلغائه ، ولذا فلا يتوجب اتخاذ اجراءات منطرفة . . « إنه من الخطر أن نعمل كما لو لم يكن هناك حكومة ، فلا يجب على اليهود في ساعة اليأس أن يضعوا السلاح في يد أعدائهم » . والجماعة الثالثة « المعتدلة » فكان على رأسها بيرل كاتزنسون Berl Katznelson - وهو من مثقفي زعماء حزب العمال ، وقد أيد الهجرة غير المشروعة ، وحمل اليهود السلاح إذا لم يتوفر حل آخر . واستنكر الثورة ، وقال ان اليهود يجب أن يتذكروا في مقاومتهم للسياسة البريطانية أنهم يعارضون قراراً لحكومة خاصة ، وأنه ليس لديهم ما يكرهونه من الشعب البريطاني .

وأعلنت مقررات المؤتمر أخيراً عداها لسياسة الكتاب الأبيض ، وفي الوقت نفسه تأييدها الثابت لبريطانيا في دفاعها عن ديموقراطية العالم الغربي . وصرحت بأن اليهود لن يسلموا بانتقاص وضعهم في فلسطين الى حالة الأقلية ، ولا بإخضاع الوطن القومي اليهودي للحكم العربي . وأعلن المؤتمر أن معارضته للسياسة البريطانية ليست موجبة ضد الشعب العربي ، لأن هدفه ترسيخ علاقات حسن النية المتبادلة والتعاون مع عرب فلسطين والبلاد العربية المجاورة . وكرر المؤتمر (الكليشة) المهترئة بأنه يمكن إيجاد سبل تؤلف بين الأمانى

العربية واليهودية - رغم مرور سنوات أربع من اراقة الدم والحراب - وكلف اللجنة التنفيذية بدراسة العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب واليهود ، وإمكان التعاون في هذه الميادين . وفي ٢٤ آب نالت هذه المقررات غالبية أصوات المؤتمر .

لا حاجة بنا الى القول بأن الجماعات الثلاث في المؤتمر (متطرف ، معتدل ، وسط) ليس الوصف الصحيح ، لا لأن زعماء الجماعات الثلاث هذه متفقون في نهاية الأمر على انشاء الدولة اليهودية وطرد العرب من فلسطين فحسب ، وإنما أيضاً لأن بعض هؤلاء الزعماء يدلون مواقفهم حسب مقتضى الحال . ومن الضلال العظيم ان يعتقد المرء بأن الحلاف بين الصهاينة (المعتدلين) والصهاينة (المتطرفين) هو حلاف من حيث المبدأ ؛ إن وايزمن وماغنيس وبن غوريون كلهم على اتفاق كامل حول الهدف وهو تأسيس دولة يهودية في فلسطين . وفي هذا الهدف يتوي ماغنيس تماماً بالمتطرف مع عضو عصاة شتيرن ، وما يختلفون به هو في التكتيك . فوايزمن يرى من الخطأ طلب تأسيس دولة يهودية حالاً ، ولكن جميعهم يريدون أن يروا من اليهود في فلسطين بقدر ما في أمريكا من الأمريكيين . و (المعتدلون) يرون أنه باستطاعتهم الوصول الى ذلك خطوة خطوة بالتعاون مع بريطانيا . و (المتطرفون) يعتقدون ان المصالح البريطانية تتناقض مع اهدافهم^(١) . إن بن غوريون مثلاً كان يعتبر قبل صدور الكتاب الابيض من أنصار وايزمن أي الفئة « المعتدلة » ؛ ومعلوم أن الجميع سواء في الهدف النهائي وإن تباننت وجهات نظرهم على الوسائل الأكثر جدوى .

ففي خطاب ألقاه بن غوريون بتاريخ ٣ آب ١٩٣٨ وعنوانه (على ثلاث جبهات) صرح بأن نضال الصهيونية السياسي مع البريطانيين هو نضال خطير جداً ، ودافع عن

Crossman, R. « Palestine Mission »

(١) انظر

الحكومة البريطانية التي زعم أنها اختصت العرب أثناء نورتهم بالامتيازات السيادية (اللجنة الملكية ، وقمع حركة الهجرة اليهودية ، والاعلان بأن الانتداب غير قابل التطبيق . .) بقوله : « البعض يقول هذه حكومة مخادعة ، ولكنني أتحدى أي شخص ان يدلني على أحسن منها . حكومة هتلر ربما ، أو بولندا ، أو رومانيا ؟ ما الفائدة من الرد على العرب (أثناء الثورة) إلا في توحيد صفهم ضدنا والمزيد من سفك دماننا ؟ » .

ونظراً لضلوع اليهود في مجابهة الثورة العربية الناشئة آنذاك ، الى جانب الانكليز ، فقد حضّ بن غوريون على وجوب ضبط النفس ضمناً لتامة الأهداف الصهيونية . ثم استطرد يقول في نفس خطابه سالف الذكر : « حين نسال بغضب : لماذا لا تنهي الحكومة (الارهاب) العربي ، ننسى أحياناً أنها تستطيع - وييسر تام - دوئنا جيش ودوئنا إطلاق رصاصة واحدة . تستطيع ذلك فقط بوقف الهجرة . إن (الارهاب) ليس إلا وسيلة من وسائل العرب لمحاربة الهجرة . لقد اوقفت الهجرة بعد اضطرابات ١٩٢١ و ١٩٢٩ . والاضطرابات الحاضرة التي دامت حتى الآن ثلاثون شهراً ، لم توقف الهجرة ؛ ولكن ما لم يفعله (الارهاب) العربي ، قد يفعله اليهود^(١) . وبعد أن شرح مرارة اليهود من الثورة العربية الناشئة بوهذا ، وضّح ما يعنيه (بضبط النفس) فقال : إن ضبط النفس لا يصف السلوك الذي اخترناه والواجب علينا التزامه ؛ إننا لا نقيّد أيدينا أبداً . إننا ندافع عن أنفسنا تحت السلاح ، ونحن بنشاط نكشف حركات عصابات الارهابيين ونفتك بهم . إنه سلوك مستقل وغير مشروط بما تقوم به الحكومة . إن كرهنا للنار ليس لإدخال الهجة على الحكومة ، وإنما لأنه مطلب أخلاقي وسياسي لمصلحتنا الذاتية . « إن الحرب العربية ضدنا ستكون طويلة : العرب ليس لديهم ما يخسرونه فيها ؛ انهم يريدون . انهم لا يعتمدون

David Ben Gurion . Rebirth & Destiny of Israel , N.Y. 1951 , (١)

pp. 89, 91, 93

على بريطانيا. انهم ليسوا بحاجة إلى شراء الأرض وجلب العرب الى فلسطين من الخارج . كل شيء ملكهم إلا الحكومة، ومن أجل الحكومة هم يقاتلون . أما نحن فكثير مانفقده ؛ قوتنا الأهلية ، آمالنا ، علاقتنا ببريطانيا ، فرصة الوصول الى تقام مع العرب . إننا نحتاج الى هجرة ، ومن أجل هذه الهجرة ، نحتاج لمعونة بريطانيا . هل يحتمل أن ننجز الهجرة بمحاولتنا إخافة البريطانيين ؟ وهل نستطيع شراء الأرض بالإرهاب ؟ كلا ! إن الارهاب يمكن أن يمنع عنا الارض فقط ، ولا يكسبنا إياها . وان أبة حكومة ليست من الحماقة بحيث تسمح بهجرة الذين نخشاهم إلى حوزتها . إن العرب يملكون الارض مسبقاً ، انهم لا يحتاجون الى قوانين أو إدارة لقلها ؛ نحن فقط نحتاج . ان العرب لا يهتمون بشاعر البريطانيين نحوهم ، لأنهم يرغبون في التخلص منهم . إن قصدم الرئيسي هو طرد البريطانيين وإنهاء سلطتهم هنا . إذن فإذا يهتمون ؟ ولكن اليهود لا يمكنهم أن يكونوا غير مكترئين . إن بريطانيا تحميننا وتفكر فينا . ولكن يجب أن لا نبقى في الصفوف الخلفية ؛ يجب أن نشكل مليشيا يهودية للدفاع عن أنفسنا ، والخروج أيضاً لتدمير الارهابيين العرب . وهذا ليس بالأمر السهل دون الاتفاق مع بريطانيا ودون معونتها . ويختم بن غوريون خطابه بالإشارة الى تضحيات البريطانيين إزاء مخاطر الثورة العربية ، وما يقدمونه من الضحايا لحماية اليهود و « موطنهم وحقوقهم » ، ويجب باليهود أن يتقدموا أيضاً لمشاركتهم الأخطار ، كما يجب بهم أن يتمسكوا بصداقة بريطانيا وبدعوها ^(١) .

أنا بهذا الشرح لتأرجح وصف (المتطرف والمعتدل والوسط) الذي ساد مؤتمر جنيف سالف الذكر ، قصدنا أن نؤكد ما ذهبنا اليه من قبل ، وهو ان جميع الصهاينة سواء في الهدف وان اختلفوا حول وسائل تحقيقه بأسلم الطرق وأوفرها نتاجاً وأجداها . وهم في

دعاويهم المعلنة بصراحون ، في غضون مجثمهم عن أحسن هذه الطرق ، بأنهم يدعون الى التفاهم مع العرب والدول العربية المجاورة ، ولا يسمحون بالنار إلا بقدر ومقدار ، ولا يصارحون دولة الانتداب او الحكومة البريطانية بالعداء أو الغيظ إذا ما بدا لهم أنها غير قادرة على تدمير الثورة العربية وقمعها ، وانما يتظاهرون بالتريث وضبط النفس حتى لا يقع الشؤم في صدور البريطانيين ضدهم ، وهم أخرج ما يكونون اليهم في هذه المرحلة التاريخية من مراحل تنفيذ برنامج بال . وقد سعت الصهيونية الى أن لا يعرف أحد عن حقيقة زعيمها هيرتل ، وعن مذكراته ويومياته شيئاً لئلا يكشف مخططاتها الحقيقي في تنفيذه على مراحل وإخفاء مقاصدها لئلا يجمع الأعداء على ضربها قبل استوائها وقيامها بالفعل .

ان خطاب بن غوريون ، وهو مهندس الدولة اليهودية القائمة اليوم في فلسطين المحتلة ، معبر وصريح ، وفيه ما يغني الباحث عن مزيد من التحليل والوصف . وجدير بالملاحظة هنا أن زعماء الصهيونية أبدوا دائماً مرونة عظمى في رسمهم للسياسة العملية الأنفع لهم . فما هو عملي له المقام الاول ، وكل ما يخدم الهدف النهائي كان مقبولاً لديهم . ان هذه المرونة نفسها هي التي تفسر لنا إعادة النظر في التوجيه السياسي الصهيوني الذي أجروه إثر نكسة الكتاب الابيض ؛ إذ أنها بصدوره فصل التركيز الصهيوني على بريطانيا ، وانجزوا خلاله تطوير جهاز تنظيمي قادر على تحقيق برنامج بال ، وكان يمكن ان يؤدي استمراره الى خلق غالبية يهودية في فلسطين . قضت سياسة الكتاب الابيض على سياسة (التدرج) التي تابعتها دبلوماسية وايزمن الماهرة ، وبدلاً من ذلك ظهر الانتداب البريطاني-الذي حرص الصهاينة طوال ثمانية عشر عاماً على بقاءه-حجر عثرة في سبيل إقامة أكثرية يهودية في فلسطين . وهذه نقطة تحول بارزة يجدر الاهتمام بها في عرضنا للعلاقات البريطانية الصهيونية في الفصل التالي من تاريخ الصهيونية السياسية ، ودعت خلاله الى تبني موقف جديد من الانتداب . لقد

أيدت الصهيونية الادارة الانتدائية البريطانية ، ما دامت متجاوبة مع أهدافها . ولكن حين ارتأت بريطانيا التظاهر بتفهم موقف العرب في ظروف الحرب الرشيكة ، وخففت قليلاً من تحيزها السافر للصهيونية ، انقلبت الصهيونية على هذه الدولة التي طالما أحسنت اليها وأحاطتها بالرعاية والحماية ، باعتراف بن غوريون ووايزمن وبقية الزعماء .

دعت المرونة اذن لا إلى تخوير الاهداف السياسية الصهيونية التي ظلت منسجمة منذ مؤتمر بال ، وإنما الى تغيير في السياسة تجاه الانتداب ، والى رسم مخطط الصهيونية السياسية من جديد في ضوء التطورات الجديدة في العالم . وهذا يعني ضرورة التخلي عن شعارات المرحلة السابقة ، مرحلة التعاون البريطاني الصهيوني وشعار الوطن القومي اليهودي ، لتحل محلها شعارات التعاون مع « الأمم الاخرى » وأمريكا في طليعتها ، وشعار الدولة اليهودية ، ولكن مع الحرص على إبقاء صلات واشجة مع بريطانيا لأنها لا تزال الدولة المنتدبة . لقد استطاعت مرونة الصهيونية السياسية أن تدرك بسرعة فشل ماعها المستتمة مع بريطانيا ، فلماذا لا تطرق أرضاً بكرأ يسود فيها النفوذ الصهيوني بعض المحافل السياسية والمالية ، ويمكن ان يتطور حتى يتسع فيكون المتحدث باسم اليهودية الامريكية بأكملها ، وحينذاك يكون في مقدور الصهيونية ان تدعي بأن ملايين اليهود الأمريكيين يطالبون الحكومة الامريكية بدعم هدف البرنامج الصهيوني ؟ ولماذا لا تعدّ الصهيونية مخططاً فعالاً بقصد تكوين فئة يهودية قوية ذات نشاط صهيوني هائل ، وذات صوت مرتفع ، تحسن استخدام الاجهزة السياسية الامريكية على جميع المستويات الشعبية والرسمية ، ليصار الى تبني مخططها ليصبح أحد أعمدة السياسة الخارجية الامريكية ؟

كان لا بد من تحول النشاط السياسي والدبلوماسي الصهيوني الى امريكا إذ افترض أنها في خلال الحرب وما بعده ستعطي ارادتها كيف تشاء . وهي الوحيدة التي بقدرها توقيع

الضغط على بريطانيا ، ولكن تنفيذ ذلك يتطلب دعوة هيئة تمثيلية للاجتماع تعلن مطامح ما بعد الحرب وتعمل لها ، وفي الوقت نفسه كان على صهاينة امريكا القيام بدور رئيسي إذا ما طلب منهم اكتساب الامريكيين الى جانبهم .

والوسيلة الى ذلك محددة : استغلال الدعاية اللاسامية واضطهاد اليهود على يد النازيين والفاشين ، أولاً . وربط حل القضية اليهودية في أوروبا ، بفتح أبواب فلسطين أمام النازحين المنكودون من اليهود ، ثانياً . وتنظيم المنظمات اليهودية الامريكية والبريطانية والتسرب الى مراكز الادارة فيها ، والحصول على دعمها وتأييدها لمطامح ما بعد الحرب ، ودعوى النطق باسمها للضغط على الحكومة الامريكية والبريطانية ، ثالثاً . والسعي الحثيث لتدريب وحدات عسكرية يهودية تشارك في المجهود الحربي الحالي ، ويكون لها شأن بعد ذلك في المواجهة المحتممة مع العرب في فلسطين ، رابعاً . ومناوئة الانتداب والضغط على الحكومة البريطانية وبالارهاب ، بغية حملها على تبديل سياسة الكتاب الابيض ، أخيراً لا آخرأ . وغرض الباحث ان يتتبع تطور الاستراتيجية الصهيونية ، ويكشف النقاب عن حلقات الاتصال المباشر بين النشاط الصهيوني وتطور الدبلوماسية البريطانية والامريكية ، وما رافق كل ذلك من بواعث واغراض وسياسات تحتتم الفصل التالي لصدور الكتاب الابيض ، ويتم خلاله ضمان الدعم الامريكي للصهيونية بحيث اصبح يمثل ركناً من اركان السياسة الامريكية الخارجية ، لا في اصطناع اسرائيل فصب ، وانما في ما تلا ذلك من أحداث ما تزال آثارها طرية في عيون الأمة العربية مشرقاً ومغرباً .

هذا هو المخطط ، وسنسى فيما يلي الى تحليل وسائله وإبراز وقائعه بحسب المسرح المكافي الذي جرت فيه ، وبحسب تسلسلها الزمني ، بادئين بالمسرح البريطاني في انكلترة وفلسطين .

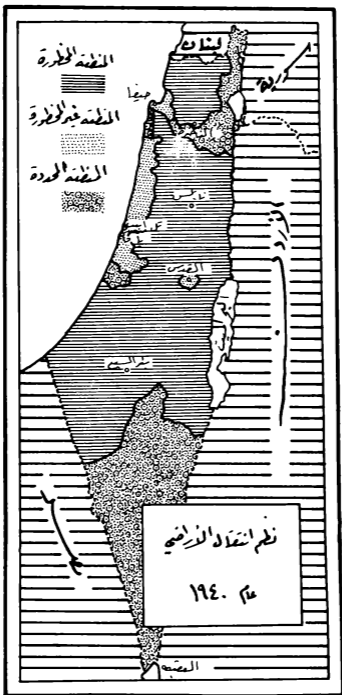
بريطانيا وتنفيذ الكتاب الابيض :

سجلت الحكومة البريطانية على نفسها في الكتاب الأبيض أنها ستشرع في تنفيذ مضمونه حالما يعود الأمن الى نصابه في فلسطين ، والثورة العربية في غضون ذلك كانت تمر في دورها الأخير ، دور التعب والمصاعب والدسائس . فقد أخذ الارهاق من الثوار وقادتهم كل مأخذ بعد ان ظلوا سنة ونصفاً في حركة دائمة وكفاح مرير . كما أخذت امكانيات تزويد الثوار بالسلح والعتاد تضيق كثيراً عن ذي قبل نظراً لظروف الحرب الوشيكة ، ولانقطاع المدد من جانب بعض المصادر العربية التي كانت وعدت بالمساعدة . وانعكس التضامن بين فرنسا وبريطانيا على موقف السلطات الفرنسية في سورية ولبنان من الثورة ورجالاتها ، فاشتدت في مراقبة قوافل المجاهدين وفي مطاردتهم . وقد اضطر نشوب الحرب العالمية الثانية رجالات الثورة والمجاهدين الباقين في سورية ولبنان الى مغادرتها أو التواري دون ان تحمد في نفوسهم جذوة النضال والقداء . وغادر المفتي لبنان الى بغداد . اذن فقد هدأت الأحوال بعد نشوب الحرب ، ولكن بريطانيا لم تباشر تنفيذ ما نصت عليه المراحل الدستورية ، ولم تتم أية خطوة عملية أساسية بهذا الشأن . والحق أنه لم يطرأ تبديل يذكر على الأوضاع السياسية في الاقطار العربية خلال السنتين الأوليين من الحرب ولا أثرت القضية الفلسطينية أثناءهما . وقد حرصت بريطانيا على استرضاء العرب والحصول على المزيد من ولائهم في أحلك ساعة تمر بها مقدراتها . رفضت أكثر من مرة السماح لبعض النازحين اليهود من اوربا الشرقية والوسطى بدخول فلسطين ، واوفدت الكولونيل نيوكومب إلى بغداد في تموز ١٩٤٠ ليجت مع زعماء فلسطين والعراق المسألة الفلسطينية التي كانت أكبر عائق أمام التضامن العربي - فليباً - مع بريطانيا ، وحالتها الحربية على

فلسطين م ٢٧ (١٩٦٨)

أشدها حرجاً وبأساً . وكانت المطالب العربية معتدلة فهي تريد تنفيذ الكتاب الأبيض في الحال بوضع فلسطين العربية ذات غالبية الثلثين على طريق الاستقلال ، مقابل اعلان العراق الحرب على ايطاليا ، واستعداده للاشتراك فعلياً في الحرب بإرسال كتائب عراقية إلى الجبهة الليبية . بيد أن وصول تشرشل إلى رئاسة الوزارة البريطانية آنذاك عرقل مسعى نيوكومب . فقد ارتأى تشرشل أنه بالامكان سحب الحاميات البريطانية من فلسطين لتخدم في الجبهات الأخرى ، إذا ما زُود يهود فلسطين بالسلح للدفاع عن أنفسهم تجاه الغزو النازي . وعلى ذلك فقد رفضت الحكومة البريطانية في ٢٩ آب المقترحات العراقية ، الأمر الذي أدى الى إضعاف المنادين بصداقة بريطانيا ، وبروز المناوئين لها إلى الصف الأول بعد ما كان من نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني (ايار ١٩٤١) .

ولو أردنا أن نلخص الموقف العربي في فلسطين ، لقلنا بأنه يتسم بالتقرب لما يمكن ان نتجلى عنه الحرب ، وإن كان الكثيرون من العرب كتبوا في الصحف العربية مؤيدين غير معادين لبريطانيا^(١) ، ولم ينجح العرب عموماً إلى إحداث المتاعب والعراقيل في وجه دولة الانتداب . ولا أساس مطلقاً في وصف الصهيونية للعرب بالمبول المحذورة ، بسبب موقفهم المعادي للصهيونية مثل ألمانيا النازية ، لأن العرب أعلنوا عداهم للصهيونية طالما هي فكرة قومية تقوم على التمييز العنصري بين اليهود وغيرهم ، ولأنها تريد أن تقيم كيانها على اغتصاب أرض آهلة بسكانها العرب . فالعرب لا يعادون اليهود كأبناء عرق وجنس ، كما فعل النازيون ، خاصة اذا علمنا أن مفهوم كلمة يهودي في غرب اوربا تعني الجنس اليهودي لا الدين اليهودي . ولذا فقد امتد التمييز العنصري الى من اعتنق المسيحية من اليهود في الأجيال الماضية .



المنطقة الحضرية



المنطقة غير الحضرية



المنطقة الحدودية



لبنان

حيفا

البحر

نابلس

تولكرم

القدس

رام الله

نظم انتقال الأراضي

ع. ١٩٤٨

المقياس

وبينما كان عرب فلسطين يتربصون بتنفيذ بريطانيا لسياستها المعلنة في الكتاب الأبيض من حيث الاشراف على الهجرة وبيع الأراضي ، كان بن غوريون يعلن في خطاب ألقاه في تشرين الاول ١٩٣٩ أن أول نقطتين في البرنامج الصهيوني هما : الاستمرار في الهجرة اليهودية وزيادتها ، وتوسيع رقعة الأراضي اليهودية . وفي مطلع عام ١٩٤٠ . أعلن وايزمن في اجتماع عقده الصهاينة بنيويورك أنه متأكد من أن الكتاب الأبيض ليس الكلمة الأخيرة في السياسة البريطانية ، وأضاف أن من واجب الصهيونية أن تهتم نفسها للاستفادة من أي تغيير في الظروف يؤدي إلى إلغائه . على أن الحكومة البريطانية لم تلبث أن أصدرت مجموعة تشريعات لتنظيم انتقال الأراضي ، على شكل كتاب أبيض رقم (Cmd. 6180) بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٤٠ ، على أن يكون له مفعول رجعي من تاريخ نشر الكتاب الأبيض (١٧ أيار ١٩٣٩) . وبموجب هذه التشريعات قسمت فلسطين الى ثلاث مناطق : المنطقة (أ) ومنع فيها انتقال الأرض إلا لعربي فلسطيني . وتشمل هذه المنطقة القسم الجبلي الداخلي من فلسطين والجليل الغربي ، وأجزاء من منطقة غزة وبئر السبع حيث لا تكفي موارد الأرض للقيام بأود سكانها الحاضرين . المنطقة (ب) وقد منع فيها انتقال الأرض التي يملكها عرب فلسطينيون إلى غير العرب الفلسطينيين . ولكن للمندوب السامي في بعض الأحوال أن يسمح بانتقال الأرض الى غير العربي حينما يتلقى المشتري موافقة البائع الحطية على ذلك . وهذه المنطقة تشمل نواحي الحولة وسهل بيسان ومرج ابن عامر والجزء الجنوبي لبئر السبع . ويلاحظ هنا أن قيد المنع محصور بما يملكه العربي الفلسطيني ، وهذا يعني أن أراضي العرب غير الفلسطينيين كالسوريين واللبنانيين يمكن ان تنتقل لليهود دون موافقة المندوب السامي . المنطقة (ج) وتشمل ما بقي من أراضي فلسطين ، وقد أبيع أراضي فيها لغير العرب . وهي عبارة عن السهل الساحلي بين حيفا ويافا وبين حيفا وعكا وجزء من السهل الساحلي بين يافا وغزة .

إن نظرة متفحصة على هذه التقسيمات ، توضح أن الغرض من وضعها هو أن تكون في خدمة التقسيم المقبل لفلسطين . وقد تنبه الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كيمت) الى العوامل السياسية في مشوراته للأراضي . فقد جاء في تقريره المقدم الى المؤتمر الصهيوني (١٩٣٩) أن الأفضلية أعطيت للأراضي التي قد تكون لها أهمية حاسمة حين يكون تخطيط الحدود موضع النظر . فمثلاً حينما اقترح تقسيم فلسطين ، سارع الصندوق لشراء الأراضي في الشمال ، خاصة في الجليل الأعلى ، واشترى أرضاً أكثر في مناطق الحدود . . واشترت بقاع أيضاً في الأجزاء الأخرى من البلاد بقصد تكبير المراكز الحاضرة للاستيطان اليهودي ، وتقوية النقاط اليهودية المنعزلة ، وتوسيع الحدود ، كما تصورها ، مثلاً ، مشروع لجنة بيل^(١) . إن رئيس الصندوق في الولايات المتحدة أعلن في مؤتمر واشنطن باكر عام ١٩٤٠ ه ان سياسة الصندوق هي ان يبتاع سلفاً ويقدر الامكان الاساس الجغرافي لتقسيم ممكن أو اتحاد مقاطعات Cantonization بشراء الاراضي على الحدود .^(٢) وبعد ذلك بعام واحد أنهى^(٣) برنارد جوزيف المشاور الحقوقي للوكالة اليهودية ، إلى المؤتمر الكندي الصهيوني

(١) Quoted in Kirk - the Middle East in the war - 1939 - 46 ,

third impression, p. 233, from - Zionist Review, 4 may , 1951, p. 11

يذكر التقرير أيضاً أن الصندوق كان يلجأ أحياناً الى رشوة البريطانيين ، وبعض غمابر القرى العربية والفلاحين للاستحواذ على الاراضي .

New Palestine, 12 January 1940, Quoted in Kirk, ibid . (٢)

Canadian Zionist, 12 feb . 1941, Quoted in Kirk, ibid . (٣)

أشار المتحدث السياسي للوكالة اليهودية فيما بعد إلى أنه بينما لم يشتمل مشروع الدولة اليهودية المقترح في تقرير لجنة بيل ، على منطقة بيسان ومنطقة شمان غزة ، بسبب نقص الاستيطان اليهود فيها ، فان اقامة ١٢ مستعمرة في المنطقة الاولى وبعض المستعمرات في المنطقة الثانية بحلول عام ١٩٤٧ ، قد جعل اللجنة الخاصة للامم المتحدة تضع انصفتين داخل حدود اسرائيل :

Walter Eytan - Mapping the Jewish State, - Joint Palestine Appeal News (Supplement to Zionist Review) 27 feb. 1948, p. 2. Quoted in Kirk, ibid .

أنه « أقيمت ثنائي مستعمرات جديدة في اولى سنوات الحرب ، لقد أقيمتها في الاماكن التي تقع على أطراف البلاد حتى نطمئن ذات يوم الى صيرورة فلسطين يهودية بأكملها ، وليس جزءاً منها . ولا شك في ان الحكومة البريطانية كانت متيقظة لكل هذه الاشكالات عندما وضعت تقسيم الاراضي .

فقد أباحت نقل الأراضي في المنطقة التي ستقترح للدولة اليهودية ، ومنعت في المناطق التي ستقترح للدولة العربية . ورغم ذلك كله فقد اعترفت المصادر المؤيدة للصهيونية أن اليهود عمدوا الى التحايل على نظم انتقال الأراضي في الأقسام المحظورة للاستيلاء على مساحات واسعة من أراضي العرب ، فضلاً عن المنطقة التي نيط انتقال الارض العربية الفلسطينية فيها بموافقة المندوب السامي . وقد ساعدتهم الادارة الانتدابية ومحاكم التسوية ودوائر الاجراء على بلوغ قصد^(١) .

احتجت الوكالة اليهودية على نظم انتقال الأراضي ، وقام اليهود في ٢٩ شباط ١٩٤٠ بتنظيم مظاهرات في القدس وحيفا وبتاح تكفا دامت اسبوعاً ، وفرض منع التجول في اماكن الاضطراب ورشق المتظاهرون البوليس بالحجارة ، وأسفرت الصدامات عن مقتل يهوديين وجرح آخرين فيهم بعض رجال البوليس والجيش .

وهنا قامت قائمة الصهاينة في بريطانيا فحشدوا صفوف مؤيديهم داخل البرلمان البريطاني ، ووجهوا نقداً لاذعاً للحكومة ، واشترك في حملة الاستنكار جماعات من أحزاب المحافظين والعمال والاحرار . وقد عبر المستر كليمنت أتلي عن موقف حزب العمال وانهم وزير

(١) دروزة - المصدر السابق ٣ : (٢٤٤-٢٤٥) . كشف العرب هذا التحايل الصهيوني بصوره مختلفة وضجوا بالشكوى ، مما حل السلطات على تعيين لجنة تحقيق ثبت لها صحة دعوى العرب ، ولكنها لم تفعل شيئاً لازالة آثار هذه الظلمات .

المستعمرات وحكومته ، بأنهم بدلاً من العمل على تنفيذ بنود الانتداب ، فإنهم يهزأون
بسلطة عصبة الأمم والقانون الدولي^(١) . واتهم أنصار الصهيونية الحكومة بأنها أصدرت
نظماً لا تتفق مع بنود الانتداب وتقتصر إلى مصادقة مجلس عصبة الأمم ؛ ولا يجوز تنفيذ
الكتاب الأبيض دون موافقة المجلس المذكور . واشتكى هؤلاء من أن المنطقة (ح)
لا تشمل الا على ٥٪ فقط من مساحة فلسطين ، وأن اليهود كانوا يملكون ٥١٪ من مجموعها
سابقاً ، في حين ان ٦٣٪ من فلسطين يقع في المنطقة المحظورة (أ) . وفي ٦ آذار اقترح
النائب العمالي نوبل بيكر Noel - Baker توجيه لوم الى الحكومة نيابة عن حزب العمال
لأن الحكومة تجاهلت الرأي الذي عبرت عنه لجنة الانتدابات الدائمة ، وأصدرت
نظم انتقال الأراضي المحجفة بقطاع من السكان ، وأشار الى ما ينجيه العرب من منافع
خطط التنمية اليهودية^(٢) !

وأجاب مكدونالد وزير المستعمرات على الاعتراضات فيبين أن البند السادس من
صك الانتداب ينطوي على مسؤولية مزدوجة ، كما هو الحال في جميع بنود الصك :
فالادارة الانتدابية تشجع استيطان اليهود في الأرض ، بينما تتأكد من عدم الافتتاح على
حقوق ووضع السكان الآخرين . وفي الظروف الاستثنائية للحرب ليس عملياً أن ننتظر
قرار مجلس العصبة دون النظر إلى الحالة في فلسطين . ان المنطقة (ب) التي يجري فيها

Parliamentary Debates, Commons, Vol. 357, cols. 2057-60, (١)
feb. 28, 1940 .

(٢) إن تأضعف الدعاية الصهيونية أنها زعمت ان في وسع لجنة الانتدابات ان تعمل وتتصرف نيابة
عن العصبة ، بينما لا تملك اللجنة بموجب ميثاق العصبة حق الفيتو على مقترحات دولة الانتداب ،
ولكنها مسؤولة عن تقديم النصح الى مجلس العصبة . ولم ينعقد مجلس العصبة منذ نشوب الحرب ،
ولذا لم يكن في الامكان التثبت من رأي العصبة . وكان في وسع الحكومة البريطانية والحالة هذه ان
تدعي ان الكتاب الأبيض مشروع على اساس الأمر الواقع . ibid, Vol. 358, col. 425 .

الإشراف على انتقال الأراضي إلى اليهود لا منعها ، تشمل على ٣٢٪ من مجموع مساحة فلسطين ، وللمندوب السامي أن يعدل حدود المناطق .

وقال مكدونالد ان المندوب السامي نصحه أن السلطات اليهودية تتابع المفاوضات بأعظم قدر من الفعالية ، من أجل شراء المزيد من الأراضي . وليس صحيحاً ما زعمته الوكالة اليهودية أن نظم الأراضي هي امتياز للمطالب السياسية العربية ، وليست إجراءً لحماية الفلاحين العرب . وقال انه وان لم يستطع الحصول على احصاء بعدد العرب المطرودين من أرضهم ، ولكنه أكد وجود طبقة من العاملين العرب دونأرض ، وبمساعدة هؤلاء صمدت الثورة العربية مدة أطول مما لو كان الامر خلاف ذلك . وحذر مكدونالد من وجود استياء في القرى العربية ، وشك متصاعداً بأن الحكومة البريطانية غير مخلصه في ما تدعيه من حماية مصالح الفلاحين والمزارعين العرب ، وبذلك يغدو السكان مرة أخرى معادين لدولة الانتداب^(١) . وقال مكدونالد ان حكومته سارعت لإصدار نظم انتقال الأراضي لسببين :

- ١ - الاحتفاظ بحكومة غير منحازة في فلسطين ، تضمن العدل للعرب واليهود معاً .
 - ٢ - لتجعل قواتنا قادرة على الحركة لبلوغ نهاية مظفرة في الحرب ضد ألمانيا النازية .
- وبالنسبة للسبب الاول ، استند مكدونالد في رده على تقارير اللجان السابقة التي انتهت إلى الحكومة بأنه إذا لم تصدر تشريعاً بخصوص انتقال الأراضي ، فإن حقوق ووضع السكان العرب سوف يفتأت عليه . ثم دار جدل حول الضرورة السياسية التي تحتم النظر بين الاعتبار لرد فعل العالم الإسلامي ، والحيولة دون اتساع خطر الاضطراب في الشرق الأدنى . وقال السير هنري كروف مدافعاً عن سياسة الحكومة : « ان المعلومات التي

Parliamentary Debates, Commons, Vol . 358, col . 411-5 (١)

لدي في الوقت الحاضر هي ، سواء في الحجاز والعربية السعودية وشرق الاردن ومصر وسورية وتركيا أو الهند المسلمة ، ان جميع هذه الاقطار تنظر الى فلسطين ويليق الاعضاء المحترمون نظرة على الحارطة قبل التصويت ضد حكومة جلالتة الليلة^(١) . وبذلك فشل مشروع لوم الحكومة ، وبقيت النظم انتقال الأرض سارية المفعول ، ولكن الصهاينة لم يعدوا وسيلة يتحايلون بها على هذه النظم فيضاعفون رقعة الاراضي التي يملكونها خلال سبع سنوات^(٢) من تاريخ صدور تشريع نظم الأراضي المذكور ، ولا شك أن ذلك قد تمّ بمعونة الحكومة البريطانية وأنصارهم فيها كثيرون . وثبت من تتبع مجرى الجدل البرلماني الذي عرضنا له أن الحكومة البريطانية تستطيع أن تدحض بسهولة مغالطات الصهيونية التي لا تستند إلى أساس صحيح ، أو تستند إلى نقطة ضعيفة قابلة للجدل ، فتضخمها وتغرق في التحويل حولها والايهام بها حتى تبدو وكأنها الأساس وما عداها لغو وضلال . إن عدم صمود معارضي الحكومة أمام الحقائق هو دليل على براعة الدبلوماسية الصهيونية وتغلغها في الاوساط البرلمانية والسياسية العليا . وهذه المناسبة المناسبات القليلة التي لم يلعب فيها الاعلام الصهيوني التضليلي دوره المنتظر بسبب حاجة الحكومة إلى التظاهر بحسن نواياها نحو العرب سكان أهم منطقة في تقديرها الاستراتيجي ، أكثر منه بسبب قوة الحاق العربي الذي تؤمن به الحكومات المتعاقبة في قرارة نفسها ،

Parliamentary Debates, Commons, Vol. 358 col . 480 (١)

(٢) كان من دواعي فخر الصهاينة أنهم ضاعفوا ما كان بمجوزتهم من الاراضي خلال سبع سنوات من تاريخ إقرار نظم الاراضي . وتباهى الكبيرين كيمت بأن اكتسب ٣٦٢ ألفاً من الدونمات ثلاثة ارباعها على الاقل يقع في المناطق المحظورة ، باعتراف الصهاينة أنفسهم :

Joint Palestine Appeal News, 18 April 1917, p. 2. Quoted in Kirk, op. cit. p. 235, Note 2.

كذلك جاء في تقرير مشتربات الكبيرين كيمت لنهاية سنة ١٩٤١ بأن « ٦٣٧٣ » دونما قد اشتربت حول غزة أي في المنطقة المحظورة . Esco , Vol. II, p. 950.

ولكنها تخفيه تبعاً لمصالحها القريبة والبعيدة . ولولا أن الوقت وقت حرب ، لطوي قانون نظم انتقال الاراضي ، ولطوي الكتاب الابيض معه قبل ان يمضي وقت طويل على صدوره ، وسواء أنفذت بنوده بشرف وأمانة أم لا . وسنرى فيما يلي مدى جدية بريطانيا في الأخذ بسياسة الكتاب الابيض التي نصت على تحديد الهجرة ، بعد أن تحدثنا عن فشلها في السير بالمرحل الدستورية الواردة فيه ، وعن تغاضيها عن بيع الاراضي .

السياسة الصهيونية في مواجهة الهجرة اليهودية :

حدد الكتاب الابيض حجم المهاجرة اليهودية بـ ٧٥ ألفاً ، وألحق به إجراء خاص بالمهجرة غير المشروعة : « ان حكومة جلالة في تصميمها على وقف الهجرة غير المشروعة قد اتخذت اجراءات رادعة أخرى . إن عدد المهاجرين اليهود بصورة غير مشروعة ، الذين ينجحون في دخول البلاد برغم هذه الاجراءات ولا يمكن نقلهم منها ، سوف يُنقص من الحصص السنوية »^(١) . وقد أخذ اليهود في فلسطين على عاتقهم مساعدة المهاجرين « غير الشرعيين » بكل وسيلة ، سواء بانزالهم تحت جنح الظلام أو بتزويدهم بعيدها عن أعين السلطات ، أو التمويه والحداع وما الى ذلك . ويتفطن اليهود الصهيونيون في وصف ما يلقونه من عسف النازي الطارد لهم من جهة ، وظلم الادارة الانتدابية البريطانية في فلسطين التي تحول دون عودتهم الى (أرضهم التاريخية) من جهة ثانية . وفي ١٨ نيسان خطب بن غوريون في المجلس الصهيوني العام بالقدس ، وأشار الى نجاح الصهيونية في العمل الانشائي وفي المحيط السياسي ، وتساءل لماذا لا تتجبح في محاربة قانون الأراضي والكتاب الابيض ، وقال ان الصهيونية هي أعظم مغامرة في التاريخ اليهودي منذ خراب الهيكل ، وان الهجرة الغير مشروعة أيضاً هي مغامرة عظيمة ، « أما آخر مغامراتنا وأعظم مجازفاتنا فهي أن نسير

(١) Parliamentary Debates, Commons, Vol. 350 cols . 808-12

قدماً الى الامام لنسقط سياسة الكتاب الابيض^(١) . ودعا الى معارضة بريطانيا ، وامتدح نضال فنلندة ضد روسيا وقال : « ان فنلندة وروسيا ليست فلسطين وبريطانيا العظمى الروس يريدون فيبورغ Viborg لا لفريق ثالث ولكن لأنفسهم . ان الحثة وعشرين مليون دوغم الممنوعة عنا لا نحتاجها الحكومة البريطانية كمنطقة استيطان بريطاني . كل تلميذ مدرسة يعلم ان انكلترة هي الأقوى ، وانه في صراعنا معها على أبة مصاحبة من مصالحها الحيوية – حتى الأشد ابداء لنا – سوف نخسر ؛ ولكن النقب والجليل الجليلي ووديان جرزيل والاردن والسامرة وهضاب القدس .. كلها مناطق ممنوع انتقال الاراضي فيها الينا ، وهي ليست ضرورية للبريطانيين كمناطق استيطان أو كقواعد عسكرية أو بحرية ، كما هي فيبورغ لروسيا . بالعكس إن الأرض البور هي مسؤولة عسكرية ، لأنه حينما تقوم مستعمرة يهودية ، يزداد شعور البريطانيين بالأمان ، لعلمهم بأننا حلفاء وأمناء . ولكن قانون الاراضي قد أقرّ لانهم رغبوا في استرضاء المقتي وعصابته ، كما حاولوا مرة استرضاء هتلر ، (!)^(٢)

لقد حرصنا على ايراد هذه العبارات من خطاب بن غوريون ، مهندس الدولة اليهودية ، رئيس وزراء لاسرائيل عند اصطناعها ، انرى الطريقة التي يفكر فيها زعيم صهيوني يعتبر نموذجاً لغيره من زعماء الصهيونية . عبارات فيها الشدة وفيها الجذب ، فيها الوعيد وفيها الترغيب ، وفيها قبل كل شيء مجافاة تامة لمنطق الأمور وطبيعة الأشياء ، وحقافة في المطالبة لا يجيدها إلا الصهاينة .

لماذا (مثلاً) لا تعطيم بريطانيا – فوق كل ما أعطتهم ومنحتهم من غير ما تملك –

Ben Gurion, op. cit., pp. 108, 112.

(١)

Ben Gurion, op. cit., pp. 109 - 111

(٢)

المناطق المنوعة ؟ خاصة وبريطانيا لا نحتاجها كما هو حال روسيامع فيبورغ ؟ ولو جادلتم في ماهية حقهم ومنحى تفكيرهم ، لانهموك بالاسامية ، وهو انفعال صهوني متميز تجاه أي شيء مناوى لمصالح الصهيونية . والحديث عن الصهيونية ودعاؤها، ووسائلها وأجهزتها، هو حديث يخرج بنا عن القصد ، وحسبنا فيه قولنا إنه حديث مأساة العقل والضمير .

امتدح بن غوربون الهجرة غير المشروعة وعدّها مغامرة عظي ، وسرى في حديثنا التالي عنها وعن حملة الدعاية العالمية التي صجبتها (بهدف الربط بين حل مسألة المظطهدين اليهود في اوربا وبين فتح ابواب فلسطين لهم) طرفاً مبتكرة بارعة لتحريرك الرأي العام نحو دعم الصهيونية .

· تعرضت حكومة تشامبرلن صاحبة الكتاب الابيض لنقد صهوني مرير طوال مدة حكمها ، وإذ لم يحصل الصهاينة منها على طائل ، عمدوا إلى خطة التريث والانتظار ، تماماً كما فعلوا عام ١٩١٥ مع حكومة اسكويت التي لم ينالوا منها شيئاً . وحاولوا ترويض من يتوقع استيزاره في المستقبل ، ليسهلوا بذلك العمليات الأكثر حساسية في الجهات العليا . زار وايزمن مثلاصديقه ونستون تشرشل في الاميرالية (١٧ كانون الاول ١٩٤٠) وكان لقاء الرجلين ودياً ، وقد شكر وايزمن محدثه على اهتمامه الدائب بالشؤون الصهيونية وقال له : « انك وقفت في مهد المشروع ، وأنا آمل أن تراه قائماً » ؛ وأضاف وايزمن : « بعد الحرب نود أن نقيم دولة تضم من ٣ - ٤ ملايين يهودى في فلسطين » ، وكان جواب تشرشل : « حقاً ، انني موافق على ذلك »^(١) . وفي أيار ١٩٤٠ تحقق حلم الصهيونية وشكل تشرشل الوزارة الائتلافية، وسنحت الفرصة لنقد سياسة الكتاب الابيض، والعمل باحتراس على قبول الاقتراح باقامة دولة يهودية بعد الحرب . واستغل الصهاينة ما لهم من اللحظة

Weizmann, op. cit., p. 514

(١)

لدى تشرشل ولدى عدد من زملائه في الوزارة لأكثر من الاقتصاص من معارضة وزارة المستعمرات والادارة الانتدابية في فلسطين . ففي غضون اشتدادحدة الهجرة غير المشروعة الى فلسطين في خريف عام ١٩٤٠ ، تجاوز الصهاينة معارضة الادارة الانتدابية ووزارة المستعمرات ، ولم يكتفوا بذلك وإنما اتهموا تلك السلطات باحراج حكومة تشرشل وذلك بالعمل ضد الرغائب الحقيقية للشعب البريطاني وزعمائه المنتخبين ، في فرصة انشغالهم بمواجهة الحرب الدائرة^(١) . وقبل أن نضرب أمثلة للحالات التي حققت فيها الصهيونية مآربها ، برغم النظم المرعية وموقف السلطات الطبيعي والمسؤول عن تطبيق تلك النظم ، لا بد لنا من شرح أصول الهجرة غير المشروعة وتحليل ظروفها وملابساتها .

من المعلوم ان سيل اللاجئين اليهود تدفق الى فلسطين منذ عام ١٩٣٣ من المانيا وأوربا الشرقية . أما في الاربعينات فكانت نوع آخر من الهجرة اليهودية يتم تنظيمه وحشده في موانئ حوض البحر المتوسط الشرقي منذ عام ١٩٣٩ . وبكلمات بريطاني مناصر للصهيونية ، وهو ينقل عن مارك ويشنتر Wischnitzer أكبر حجة لديه في هذا الموضوع^(٢) : « كانت هذه الحركة تلقائية إلى حد ما ، ولكنها كانت منظمة من يهود فلسطين الى حد أكبر . وقد أشرف على تنظيمها الى حد كبير عملاء الغستابو الذين صمموا على إخلاء أواسط اوربا من اليهود^(٣) » . وكانت عملية ترحيل اليهود مجزية الأرباح لأنه كان على كل راكب ان يدفع

(١) Alan R. Taylor • Prelude to Israel • , N.Y. 1959 , p. 60

(٢) Sykes op. cit., p. 264 ولكن السلوك الرسمي النازي ما بين ١٩٣٣ - ١٩٤٢ يدل على أن معاداة اليهود كانت تعبر عن الافكار المتطرفة للحزب النازي لا عن سياسة مرسومة التزامها ، ولكن الصهاينة يزعمون العكس .

(٣) مؤلف كتاب: To Dwell in Safety • the Story of Jewish Migration Since 1800 (Philadelphia 1918)

لأصحاب السفن مبالغ معينة من المال . وقبل صدور الكتاب الابيض ، وصلت الى سواحل فلسطين في شهري آذار ونيسان ثلاث سفن دانونية تحمل حشداً من المهاجرين اليهود دون تأشيرات صالحة لدخولهم فلسطين . وهنا اضطرت الادارة الانتدابية للايعاز اليهم بالعودة من حيث أتوا . وعلى الرغم من أن وزير المستعمرات رد على نقد بعض النواب المؤيدين للصهيونية في مجلس العموم ، بقوله ان المسؤولية في هذه القضية تقع على عاتق أولئك المسؤولين عن تلك التجارة في الهجرة غير المشروعة ، فان الصهيونية استغلت هذه الحادثة للتشهير بحكومة تشامبرلين .

وللمره أن يتساءل عن مدى صحة النقد الصهيوني « للطريقة اللانسانية » التي توجب بها اعادة اليهود من حيث أتوا ، حين يسمع صوتاً لا ينقصه العطف على الصهيونية يقر بصراحة بأنه على الرغم من مزاعم الدعاة الصهاينة في الماضي والحاضر القائلة ان «سفن الموت» قد أرغمت على العودة الى اوربا النازية ، الا أنهم لم يعطوا اسم سفينة واحدة أعيدت بالفعل بعد نيسان ١٩٣٩^(١).

ويتضح من هذا ان ليس ثمة ما يدعونا الى الافتراض بأن تكون حكاية الاعادة قد تكررت . ويعترف مصدر رسمي نشرته حكومة فلسطين ، ان مسألة الهجرة غير المشروعة قد غدت أكثر خطورة ابتداء من شباط ١٩٣٩ ؛ ففي الخامس من هذا الشهر وصلت الى فلسطين السفينة (ارتيميا) وعليها شحنة من المهاجرين اليهود . وخلال الاسابيع الخمسة التي تلت ١٥ آذار ١٩٣٩ ، وصل الى شواطئ فلسطين اكثر من ١٧٠٠ مهاجر يهودي^(٢) . ويبدو أن وزارة المستعمرات وحكومة فلسطين توصلتا الى سياسة معينة في موضوع

Sykes, op. cit., P . 266

(١)

Survey of Palestine. op. cit, p. 51

(٢)

المهاجرين بعد صدور الكتاب الابيض ، وانها راجعتا هذه السياسة في عام ١٩٤٠^(١) ، .
وفي خريف عام ١٩٤٠ حين نشطت الهجرة غير المشروعة ، قررت الحكومة البريطانية أن
لا تسمح للمهاجرين غير الشرعيين بالبقاء في فلسطين ، بل تزودهم بمكان يلبأون اليه في
امبراطوريتها الاستعمارية . وقد اتخذ هذا القرار لأسباب تتعلق بالأمن :

١ - لأن أزمة اقتصادية قد هددت البلاد في تلك الآونة ، ووصلت أرقام البطالة عند
اليهود والعرب حداً غير مسبوق . وخشيت الادارة الانتدابية أن يؤدي تفاقم الوضع الى
حدوث كارثة اقتصادية تتعذر معالجتها .

٢ - وكإجراء حربي لمواجهة تغلغل الاشخاص الذين قد يعيقون الجهود الحربي للحلفاء في
الشرق الأدنى . وقد تحدث وزير المستعمرات في مجلس العموم (٢٠ آذار ١٩٤٠) فقال
انه برغم ان الاستقصاء المحلي لم ينجم عنه برهان نهائي ، غير أن المندوب السامي لديه
أسباب قوية تدعوه للشك في أن ركاب السفينتين اللتين انزلنا على اليابسة مهاجرين غير شرعيين
كانوا يضمون فيما بينهم عملاء ألمان^(٢) .

ولكن الصهانية لم يقنعوا بتغاضي السلطات البريطانية في فلسطين عن كثير من حوادث
الهجرة غير المشروعة ، وانما مضوا وراء بن غوريون يرددون شعاره الذي أطلقه في مستهل
الحرب كمنهاج للعمل الصهيوني وهو : « ان اليهود سينخوضون الحرب الى جانب بريطانيا
العظمى كما لو لم يوجد الكتاب الابيض ، وسيجاربون في الوقت نفسه الكتاب الابيض كما
لو لم توجد الحرب » . وراحوا يصورون منع السلطات للمهاجرين غير الشرعيين من النزول
الى فلسطين ، على أنه عدوان وشر مستطير .

Sykes, op. cit., p. 266

(١)

Parliamentary Debates, Commons, Vol. 358, cols. 1961 - 2

(٢)

وحدث في تشرين الثاني ١٩٤٠ حادث السفينة باتريا الذي استغلته الدعاية الصهيونية أسوأ استغلال لإثارة المشاعر ضد قيود الهجرة ضد الكتاب الابيض . وهذه السفينة هي واحدة من ساسةفن الهجرة غير المشروعة التي أحكم الصهاينة تنظيم حركتها من اوربالنازية بمعونة بعض النازيين وبتشجيعهم ، لما رأوا في ذلك من وسيلة للإيقاع بين العرب والبريطانيين . وتلخص الحادثة في أن ساطات ميناء حيفا رفضت نزول ركاب الباخرتين (باسيفيك) و (ميلوس) ويقدر عددهم بألف وسبعمائة ، وذهبت مساعي الوكالة اليهودية واحتجاجاتها ادراج الرياح . فقد أعلن المندوب السامي أنه لا يسمح بحرق القوانين علناً ، كما أعلن أن الهجرة غير المشروعة تسيء الى الاوضاع المحلية ، وتهدد المصالح البريطانية ، ولذا تقرر عدم السماح للركاب بالنزول الى فلسطين ، ونقلهم الى مستعمرة بريطانية أخرى ، حيث يظنون محتجزين حتى نهاية الحرب . وبينما كانت تجري عملية نقل المهاجرين من الباخرتين الى الباخرة (لاباتريا) وهي سفينة فرنسية صادرتها سلطات الميناء لترحيل المهاجرين الى جزيرة موريشوس ، قادت وحدات الاسطول البريطاني مركباً آخر يدعى (الاطلانتيك) محملاً بالمهاجرين اليهود إلى ميناء حيفا ، وتقرر نقل ركابه أيضاً إلى (الباتريا) . وقبل الشروع في عملية النقل الجديدة انطلقت اجراس الخطر في (الباتريا) وطُلب من المهاجرين على ظهرها ان يقفوا الى الماء نجاةً بأنفسهم . وحدث انفجار قوي فيها بعد خمس دقائق ففرقت بعد نحو من ساعة وثلاثة أرباع الساعة ، وقتل أو غرق في هذا الحادث نحو من ٢٤٠ مهاجراً وعشرة من رجال بوليس الميناء .

وأعلنت الوكالة اليهودية أن غرق الباخرة كان عملاً من أعمال الاحتجاج الجماهيري على القرار (اللاإنساني) الذي أصدره المندوب السامي ، بل عملاً من أعمال الانتحار الجماعي ! وقد أثبتت الأدلة التي ساقها لجنة التحقيق المكلفة بالتحري عن الحادث في شهر كانون الثاني

التالي ، بصورة لا تقبل الشك ، « إن إغراق الباخرة كان عملاً مقصوداً ومتعمداً قامت به جماعة من الصهيونيين المرابطين على الشاطئ ، دون استشارة أي من ركاب الباخرة باستثناء ثلاثة أو أربعة أشخاص ، وتم تنفيذ الخطة المرسومة بدقة . وقد اتفقت جميع المصادر الموثوقة فيما بعد على أن تدمير الباخرة (باتريا) وإغراقها كان من عمل طغمة من السفاكين^(١) . وقد ثبت أن التخطيط لهذا الحادث المؤلم لم يكن من صنع هؤلاء ، وإنما من صنع عقول رجال الوكالة اليهودية ، عن طريق الهاغانا . ولو فرض بأنه لم يكن يقصد في البدء إلا تعطيل آلات الباخرة ومحركاتها ، للابقاء عليها وعلى ركابها في حيفا ، والضغط على سلطات الميناء لتسمح لهم بالنزول ، ولو فرض بأن الفئتين المكلفين بالتخريب قد أخطأوا ، وأحدثوا ثقباً في الباخرة أدى الى غرقها بدلاً من تعطيل محركاتها ، فما هو السبب في مسارعة الوكالة اليهودية الى إخفاء جريمتها باختلاق قصة الانتحار الجماعي ، إلا أن يكون تركيز جميع السخط والحقق على الادارة الانتدابية والكتاب الابيض ؟ !

وقد تعرض بعض الذين تجرأوا على نفي رواية (الانتحار الجماعي) من اليهود إلى اضطهاد الوكالة اليهودية ، بل والاعتداء على حياتهم ، ويبدو أن أهل الضحايا أنفسهم قد أقنعوا بتقبل الأساليب القاسية التي اتبعتها الوكالة اليهودية^(٢) .

ذكرنا أن حالة الباخرة (باتريا) هي مثل واضح على تحقيق الصهابة لمآربهم برغم النظم المرعية الممانعة للهجرة غير المشروعة ، وهنا بيت القصيد : إن الذين نجوا من الحادثة قد سمح لهم بدخول فلسطين ، مخالفين بذلك النظم المرعية آنذاك التي أكدتها المندوب السامي ، ومرتكبين مخالفة علنية لنظم كان الهدف من (لا إنسانيتها) أنها وضعت لحماية

Sykes, op. cit., p. 269

(١)

ibid, p. 276

(٢)

الطوائف غير اليهودية ، ولم توضع لاضطهاد اليهود . وقصة الطريقة التي دار بها الصهاينة حول قانون منع الهجرة غير المشروعة ، قد رواها وايزمن في ترجمة حياته ، بقوله : « إن واحدة من أسوأ الحالات - حالة الباتريا - جرت في أثناء الحرب حين كان اللورد لويد وزيراً للمستعمرات ، وحين سمعت بها ذهبت اليه واليأس بلائي أكثر من الأمل ، في محاولة لاقتناعه في ان يسمح للركاب بالنزول إلى اليابسة ، ولكنني قوبلت بالجدل المعتاد عن ان القانون هو القانون ، فأجبت ان القانون لا بد أن يكون له أساس أدبي لكي يوفر قوة داخلية تجبر كل مواطن على إطاعته . ولكن اذا كانت غالبية المواطنين مقتنعة بأن القانون ما هو إلا توقيع العقوبات ، فلا سبيل إلى فرضه إلا برؤوس الحراب ضد ارادة المجتمع . وذهب نقاشي ادراج الرياح فلم يستطع اللورد لويد ان يتفق معي ، فقد قال ذلك وأضاف : عليّ أن أخبرك أنني سددت في وجهك كل المنافذ ، وأنا أعلم أنك ستذهب الى تشرشل في محاولة لاقتناعه بنقض قرارى ، فحذرت لذلك رئيس الوزراء بأنني لن أوافق . لذلك أرجوك لانحاول مقابلته . ولكن يبدو أن اللورد لويد لم يسد الطريق الى وزارة الخارجية ، ولذا ذهبت لمقابلة اللورد هاليفاكس . وهنا أيضاً كان علي أن أعيد تلاوة كل المناقشة حول القانون والأخلاق . . ورأيت أنني لم أترك أثراً على عزيمة اللورد هاليفاكس . وأخيراً قلت : انظر إلي بالورد هاليفاكس أنا اعتقد ان الفارق بين اليهود والمسيحيين هو أنه يفترض بنا نحن اليهود ان نتمسك بحرفية القانون ، بينما أنتم معشر المسيحيين يفترض فيكم ان تلتطفوا بحرفية القانون بشعور الرحمة ، ولسعته هذه الكلمات ، فهض وقال لي : حسناً يادكتور وايزمن ، خير لك أن لا تكمل هذه المحادثة ، سوف تسمع مني الخبر . ولشدة ارتياحي وسروري سمعت في اليوم التالي أنه بعث برقية الى فلسطين بالسماح للركاب ان ينزلوا»^(١).

Weizmann, op. cit., pp. 495-6

(١)

لقد قصدنا ايراد معظم مدار بين وايزمن ولويد من جهة ، ثم هاليفاكس من جهة ثانية ، وذلك لوصف الدالة الكبرى التي كان يتمتع بها وايزمن في أعلى مستويات الحكم البريطاني . ان لهجته في مخاطبة الوزيرين ذات دلالة هنا ، والطريقة التي استعملها في حوارها مع هاليفاكس معبّرة ومدروسة ، ومع ذلك فأياً كانت قوة المناشدة العقلية أو الوجدانية الرومانسية التي بادر بها الوزير البريطاني ، فلا شك ان نيتها يجب أن لا تشكل خرقاً لقانون جرى التصويت عليه وإقراره في البرلمان ، مها كان رأي رئيس الوزراء تشرشل في قيمته القانونية والمعنوية . إن التزام الحكومة البريطانية كان يجب أن يظل بعيداً عن جميع المؤثرات . ولكن وصول تشرشل الى الحكم يسجل نقطة تحول في المزيد من الانعطاف البريطاني الرسمي نحو الصهيونية . وعلى الرغم من أن حالة الباخرة (باتريا) تعتبر حالة صغرى من حيث الحكم ، فقد سجلت نقطة هامة في الغض من مستوى ترابط النظم البريطانية المعلنة ، وفي المساعدة على سقوط الكتاب الأبيض في النهاية .

ومها يكن من أمر فإن حركة تهريب المهاجرين اليهود ظلت ناشطة طوال عام ١٩٤١ ، والسلطات البريطانية كانت تضطر لابعاد الذين « تكتشف » بواخراهم ويصلون الى فلسطين . والدعاية الصهيونية في غضون ذلك تستغل هذه الظروف أبرع استغلال في معاها الدائب لاسقاط الكتاب الابيض .

وفي شباط ١٩٤٢ حدث حادث آخر ، كان بمثابة لحادث الباخرة باتريا . ذلك أن باخرة صغيرة تسمى (ستروما Struma) وصلت الى استامبول وعلى ظهرها ٧٦٩ مهاجراً يهودياً لا يحملون تأشيرة لدخول أي بلد ، قادمة من ميناء كونستانتزا بإذن من السلطات الموالية للمحور في رومانيا . ورفضت السلطات التركية السماح للركاب بالنزول في اراضيها جريباً على انظمتها ، كما وضحت حكومة فلسطين انها ترفض نزولهم . وصممت الوكالة اليهودية

على أن تمنع تكرار حادث المركب (سلفادور) (١١) ، دون أن تحيد عن وجهتها في ضمان تدفق سيل اليهود الى فلسطين ، لا إلى أي مكان آخر ، ولو كلفهم ذلك حياة كثيرين من المهاجرين . وظلت الوكالة اليهودية تتحاور حكومة فلسطين زهاء الشهرين . ومازالت بها حتى وافقت على ان تمنح تأشيرات للاولاد الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١١ - ١٦ ، ثم وافقت على منحها لمن تقل اعمارهم عن الحادية عشرة . وقبل ان تستكمل الاجراءات الخاصة بالسماح ، اصدرت السلطات التركية اوامرها الى الباخرة بالعودة الى أحد ثغور البحر الأسود ، وعندما سحبت الباخرة بهذا الاتجاه ، حدث انفجار فيها وغرقت بين يديها إلا واحداً ، ولم يعرف سبب الانفجار (١٢) .

وهرعت الوكالة اليهودية إلى استغلال الحادث ، فأعلنت أن غرق السفينة كان عملاً من أعمال الاتجار الجماعي ، والاحتجاج الجماهيري اليائس . وحملت حكومة فلسطين المسؤولية . وارتفعت الالفتات باللغتين العبرية والانكليزية في الأماكن اليهودية من فلسطين وقد كتب عليها السير هارولد ماكمابيل متهم بالقتل ، وناقمت النقمة اليهودية على سياسة الكتاب الابيض بعد حادث الباخرة (ستروما) وتحولت الى كراهية . والوكالة اليهودية في كل ذلك لاتبتم إلا بالنواحي السياسة والدعائية ، أما النواحي الانسانية فلا تشغل جزءاً من

(١) قبل أربعة عشر شهراً وصل الى البوسفور مركب يدعى « سلفادور » قادماً من بلغاريا ، ومنع ركابه من النزول الى البر التركي دون تأشيرات صالحة ، وتابع المركب سفره الى فلسطين فحطته عاصفة في الطريق وغرق ٢٣١ راكباً من مجموع ركابه (٣٥٠) ، ونقل الناجون من الحادث الى استامبول حيث تم ترحيل ٥٩ منهم الى بلغاريا ، والسبعة الباقون وصلوا الى فلسطين وسمح لهم بالاقامة فيها .

(٢) ويقال ان المركب انقلب - لاصطدامه بلغم أو من جراء عاصفة :

Barbour, op. cit., p. 216

تفكيرها الذي اتخذ شكل التصلب والعناد ، مع الحرص دائماً على استقطاب الرأي العام العالمي بالعطف على الشعب المشرود المنكود !

لم نجد الصهيونية حرجاً في رعاية الهجرة غير المشروعة ، وإغراء اليهود بها . وقد عملت الدعاية الصهيونية على رسم صورة مشرقة للدولة اليهودية المقبلة في فلسطين . وعزت بحنة اليهود الاوربيين الى غياب مثل الدولة اليهودية . ووضع المجلس المني اليهودي (الفعاد لثومي) بفلسطين خططاً منسقة تكاد تكون موجهة بأكملها لرعاية الهجرة اليهودية غير الشرعية . هذا الى أن الوكالة اليهودية شكلت « لجنة انقاذ متحدة » ونجحت في إسكان عشرة آلاف يهودي في فلسطين بالتعاون مع المنظمات اليهودية السرية في اوربا^(١) .

وكان ههما منصرفاً إلى ضمان تدفق اليهود ذوي الكفاية والامتياز خاصة إلى فلسطين ضد قيود الكتاب الأبيض . وعلى الرغم من غرق بواخر تحمل اليهود في مناسبتين أشرنا إليها ، فان موقف الصهاينة الذين عملوا كل ما بوسعهم لاستمرار تيار الهجرة غير المشروعة ، وهم يعلمون ما يجتق بأبناء جلدتهم من الأخطار ، يمكن فهمه في ضوء تعليق وايزمن على موقف اليهود الامريكيين ومشاعر المروءة لديهم ، بازاء اليهود الاوربيين في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها :

« إن إيمانهم - أي الحثرين من اليهود الامريكيين - باستقرار نهائي ليهود اوربا ، بالنسبة لمن يؤمن بأن الوطن اليهودي يوفر الحل المادي الثابت الوحيد للمعضلة اليهودية ،

(١) للاطلاع على نشاط العصابات الصهيونية السرية ووسائل عملها ومخططاتها وطرق سير قوافلها عبر بلاد اوروا أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، بغية الوصول الى فلسطين ودخولها خلسة ، انظر كتاب الأخوين كيمشي : • the John & David kimeche : Secret Road • , London, 1954

كان مأساة . وإنه لما يصدع القلب ان نراهم يصبون الملايين في غور لاقرار له ، في الوقت الذي يمكن فيه لهذا المال أن يوجه صوب الوطن اليهودي . ،^(١) ويبدو أن هذا هو سبب عدم اهتمام الصهاينة دائماً في الحرب العالمية الثانية بوضع يهود أوروبا المهدد ، الذين ارتاحوا لنصيحة الصهاينة واتجهوا إلى فلسطين ، تراوهم رؤى الترغيب المضلل بحياة أفضل في أرض الميعاد .

* * *

الفصل الثالث عشر

فلسطين والحرب العالمية الثانية (١)

الخطط الصهيونية لفرض الدولة اليهودية (١٩٣٩ — ١٩٤٢)

دولة يهودية لا وطن قومي :

أشرنا من قبل إلى أن الاهداف والسياسات الأساسية الصهيونية بقيت مترابطة ومتحدة منذ مؤتمر بال ، وإن أبدى الزعماء الصهاينة دائماً مرونة مفهومة في رسمهم للسياسة العملية المثلى . ومع ان بن غوريون قد صرح في آذار ١٩٤٠ بأنه ليست لديه نية في اتخاذ خطوات فعالة لإنهاء القلاقل التي نجمت عن نشر نظم انتقال الأراضي ، ولكن الصهاينة عموماً تظاهروا بدعم المجهود الحربي البريطاني ضد النازيين - ولم يكن لهم خيار في ذلك. أي أنهم عملوا على تنفيذ شعار بن غوريون في محاربة هتلر ومحاربة الكتاب الابيض على حد سواء ، رغم تناقض مضمون هذا الشعار ؛ وحتى حزب التصحيحين المتطرف تظاهر بالرضى عن هذه السياسة ، ولم ينشق عنه سوى جماعة صغيرة يتزعمها ابراهيم شتين Stern ، الذي ظل مع جماعته متمسكين بعدايمهم الارهابي نحو الدولة المنتدبة . ولكن بعد معارضة الادارة الانتدابية لعمليات الهجرة غير المشروعة ، وما صاحبها من الاستغلال الدعائي الصهيوني ، زادت عمليات الارهاب ، وكان شتين قد قتل في معركة مع البوليس (شباط ١٩٤٢) واعتقل عشرون من أتباعه . وعلى الرغم من أن الصهاينة كانوا يتهمون شتين في البداية بالخيانة ولم يتعاونوا معه ، نظراً لاتصاله بالباطالين الفاشيين ، فان هذا العداء لم يلبث أن تبدل عام ١٩٤٣ بسبب اعادة توجيه الصهيونية السياسية وما طرأ على الرأي العام الصهيوني بوجهها من تغير .

وناس بدايات هذا التغيير في سلسلة من التصريحات والحطب والمقالات لبعض الزعماء الصهاينة البارزين لا في فلسطين فحسب وإنما في الغرب ، وخاصة أمريكا ، وذلك في نطاق المجهود الصهيوني لاعادة تنظيم الصهيونيين في (الشتات او المنفى) ، وضمان تأييد (الأمم الأخرى) غير اليهودية للسياسة الصهيونية الجديدة . فقد نشرت المجلة الصهيونية الأمريكية مقالاً رئيسياً بمناسبة العيد العشرين لتأسيس الصندوق القومي اليهودي (١١ تشرين الاول ١٩٤٠) بعنوان « دولة في طريق التكوين » . وفي العدد نفسه كتب سليغ برودتركي ، عضو تنفيذية الوكالة اليهودية : « يجب ان نهي سياسة .. يكون لـ (اليسوف) وللشعب اليهودي بموجبها صفة الأمة والدولة في فلسطين »^(١) . وفي ٦ كانون الاول كتب يهودي فلسطيني يدعى زفي فاردي مقالاً في المجلة الصهيونية نفسها وكان أكثر وضوحاً ، فقال : « إن فلسطين يجب ان تعود إلينا ، وهي تصلح لماوى جميع ملايين اليهود الذين يضطرم شوقهم لحياة حرة في أرض حرة . وماذا عن مئآت الألوف من العرب الذين يعيشون في فلسطين خارج البقاع الواسعة القليلة السكان في الدول العربية المستقلة ؟ لا نستطيع ، ولا يتوقع منا ان نعطي الجواب ، لأن المسألة لا تعنيننا نحن فقط .. واذا بقي الانتداب ، فيجب أن يُطلب من بريطانيا العظمى أن تجعله خارج نطاق الادارة الاستعمارية . وحينذاك ، فان المسألة العربية التي اصطنع تضخيمها ، تبدو تأهبة ، إذا نُظر اليها ، ليس في ضوء المصالح الاستعمارية المحدودة ، وإنما في سياق المسألة العالمية العظمى »^(٢) .

Zionist Review, 11 oct. 1940, p. 5. Quoted in kirk, (١)

op. cit, p. 212 Note. (اليسوف) كلمة عبرية للدلالة على الجماعة اليهودية في فلسطين.

ibid (٢)

وفي كانون الثاني ١٩٤١ عُقد مؤتمر الجباية الموحدة لفلسطين^(١) في واشنطن وضم ٢٠٠٠ من ممثلي اليهودية الأمريكية ، وتقرر فيه ان يقام في فلسطين كومنولث يهودي . وقد مر بنا أن رئيس الصندوق القومي اليهودي صرح بأن سياسته هي إعاقه أي تقسيم فلسطين ، وذلك بابتداع مناطق الحدود ، ملجأ الى أن الوقت قد حان للبدء في إقامة دولة يهودية في فلسطين بأكملها . وازمن نفسه أعلن في شيكاغو (٢٩ آذار) أنه بعد انتصار الديمقراطيات ، ينبغي أن يبرز اتحاد عربي يضم البلدان العربية الكبيرة ويمتد من الفرات حتى ليبيا ، ومن الممكن ان يقوم كومنولث يهودي جنباً الى جنب مع الاتحاد العربي^(٢) . أما الدوافع التي تكمن وراء المطالبة بالدولة اليهودية فقد حُصها برل كاتزنلسون الزعيم الصهيوني العالمي بقوله :

« الدولة ليست أهم عنصر في برنامجنا . لو كان يمكن إيجاد نظام يضمن الهجرة الكثيفة والاستيطان في فلسطين ، فإن وجود دولة يهودية كهذه يصبح ذا أهمية ثانوية . ولكن تجاربنا في الأعوام القريبة قد علمتنا أنه في الفترة الحاضرة من تاريخ العالم لا يوجد سوى نظام واحد فقط يستطيع ان يضمن هذه الأحوال ، وهو دولة يهودية .. وإذا كنا لم نشجع طلبات إقامة الدولة اليهودية فوراً في الماضي ، فذلك يرجع الى أننا كنا نشعر أن منجزاتنا حتى ذلك التاريخ لم تكن لتبررها . وكنا نخشى أن طلباً قبل أوانه لإقامة الدولة ، يمكن أن ينجم عنه أذى عظيم .. وحينذاك جاء بعض الساسة البريطانيين في لجنة بيل

(١) تأسست الجباية الموحدة لفلسطين ويرمز اليها بـ U.P.A. عام ١٩٢٧ وتغير اسمها عام ١٩٥٣ الى الجباية الموحدة لاسرائيل ومركزها نيويورك ، ومهمتها الاساسية تقوية الهجرة اليهودية الى فلسطين وتنفيذ مشاريع الاسكان فيها .

(٢) لاحظ ان وايزمن قال « جنباً إلى جنب » لا « ضمن وداخل » الاتحاد العربي المقترح .

واقترحوا إقامة دولة يهودية . بل انهم اقترحوا شيئاً كنا نتردد في ذكره هو نقل السكان . .
وكثيرون ممن عارضوا مقترحات لجنة بيل فعلوا ذلك ليس لأنهم يحتاجون على إقامة الدولة
اليهودية ، وإنما لأن التوصيات لم يكن من شأنها أن تخلق الاحوال المؤدية الى قيام الدولة
بعملها . . يجب ان نقول للشعوب العربية : نحن ننوي مساعدة جهودكم نحو الوحدة
والاستقلال اذا توقفت عن ازعاجنا واعترفت بـ فلسطين كدولة يهودية . على مثل هذا الأساس
يمكن انجاز التفاهم المتبادل والتعاون . أنا لا أرغب في أن أدلل على أن مثل هذا الموقف
سوف يلقى التأييد الفوري من جانب العرب . انهم قد يرفضون مثل هذا الاقتراح مرات
عديدة ، ولكن في النهاية يمكن أن يقبلوا به^(١) .

وفي الوقت نفسه كان ناحوم غولدمان رئيس اللجنة الادارية للمؤتمر اليهودي العالمي ،
يعترف بالحدود المقترحة للدولة أو للكومنولث بأنها تشمل على فلسطين بأكملها ، وعليهم
أن يطالبوا بمدّ نشاطهم إلى شرق الاردن ، حتى ولو كان وضع ذلك البلد مختلفاً عن وضع
فلسطين^(٢) . أما وايزمن فقد كتب في كانون الثاني ١٩٤٢ مقالاً في مجلة الشؤون الخارجية
(الأمريكية) بعنوان « دور فلسطين في حل المسألة اليهودية » ، قال فيه : يجب أن يعلم

Zionist Review, 14 Nov. 1941, p. 7. Quoted in kirk, op. cit, (١)
p. 243

يلاحظ أن مثل هذا المقترح بالتفاهم المتبادل والتعاون مع العرب ، قد كرره بن غوريون
أمام اللجنة الخاصة في الامم المتحدة (٧ غوز ١٩٤٧) بقوله: « نحن نؤيد أن نجلس معكم ونسوي
المسألة بمودة . إذا كان جوابكم هو كلا ، حينئذ سوف نستعمل القوة ضدكم » .

Quoted in kirk, ibid, Note .

Der Tog (New york) 14 Nov. 1941 , Quoted in kirk, ibid. (٢)
وقد قررت المنظمة الصهيونية في أمريكا اجماً (٧ ايلول) أن تطالب بإعادة بناء فلسطين
ضمن حدودها التاريخية ، ككومنولث يهودي . Zionist Review, 12 Sept. 1941 .
Kirk. ibid .

العرب بوضوح أن اليهود سوف يشجعون على استيطان فلسطين ، وسوف يتحكمون بهم هجرتهم الخاصة ؛ وان اليهود الذين يرغبون بذلك هنا ، سيكون في مقدورهم الحصول على حريتهم وحكم أنفسهم بإقامة دولة خاصة بهم . وفي تلك الدولة ستسود المساواة المدنية والسياسية التامة في الحقوق لجميع المواطنين ، دونما تمييز بالعرق او الدين ؛ وبالإضافة الى ذلك فالعرب سينعمون باستقلال داخلي كامل في تصريف شؤونهم الداخلية الخاصة . ولكن اذا وجد عرب لا يرغبون في البقاء ضمن دولة يهودية ، فستوفر لهم كل التسهيلات للانتقال الى واحدة من البلدان العربية الكثيرة والمتنعة (١) .

المطالبة بجيش يهودي :

وبعد أن عرضنا لتصريحات الزعماء الصهيونيين بخصوص ما يرتأونه حول مستقبل الحركة الصهيونية في فلسطين بعد الحرب ، لا بدّ أن نلمس فيها دلائل تغير واضحة في التوجيه السياسي للصهيونية . لقد أشار بعض الزعماء غير مرة الى مسألة خطيرة لن يقبلها العرب ، هي مسألة نقل السكان وتهجيرهم الى البلدان العربية « العديدة والمتنعة » ، ولا يمكن أن يخفى وقع مثل هذا المخطط الصهيوني على العرب : إقامة دولة يهودية في فلسطين برمتها . لقد عاب زعماء الصهيونية المقاومة العربية الضاربة لتهويد جزء من فلسطين . ولكن يبدو أنهم كانوا يعدّون لكل أمر عدته . فقد نوه بعضهم أنه ليس بدّ للعرب في النهاية أن يقبلوا بذلك . قالها كاتزنسون على استحياء أواخر عام ١٩٤١ ، وكررها بن غوريون صراحة عام ١٩٤٧ أمام هيئة الامم المتحدة ، وهدّد بأن اليهود سوف يواجهون رفض العرب لمقترحاتهم بقوة السلاح . وإذن فلا بدّ من يوم تتم فيه المجاهرة مع العرب ، وبومذاك سيكون للقوة والنظام والتدريب والسلاح دورها الفعال في فرض الأمر الواقع الذي يتطلع اليه الغالب .

وعليه ، فإن إعادة التوجيه السياسي الصهيوني لا بد من أن يشتمل على وضع الخطط لتشكيل قوة يهودية محاربة ومدربة ، إذا كان له أن يتطلع الى إقامة دولة يهودية في نهاية الحرب العالمية الدائرة . إن التوجيه الجديد للصهيونية يهدف الى إقامة الدولة اليهودية التي يوسعها أن تحتضن النازحين اليهود أمام طغيان النازي ، دون اكتراث بالكتاب الابيض الذي يعتبر سمة من سمات المرحلة البائدة ، بعد أن استنفدت أغراضها بتريسيخ دعائم الوطن القومي . فمذ ابتداء الحرب العالمية الأولى ، حققت الصهيونية السياسية تأييد (الأمم الأخرى) . ولفظة الأمم الأخرى في المصطلح اليهودي تدل على الامم غير اليهودية ، أو على (الكفار - Gentiles) . وتأييد الامم الأخرى للصهيونية بشكل مرحلة في برنامج هرتزل ، وقد تم بالحصول على مساعدة الحكومة البريطانية من خلال استقطاب الوزراء والزعماء والسياسيين البريطانيين والأمريكيين . غير أن اصرار الحكومة البريطانية ، وبالذات وزارة المستعمرات ، على الحلولة دون تدفق سيل المهاجرة اليهودية غير المشروعة والكثيفة الى فلسطين ، لأسباب استراتيجية معروفة تتعلق باسترضاء العرب في الحرب الدائرة ، قد هزّ الوفاق البريطاني الصهيوني بعنف ، وخاصة قبل جلوس تشرشل على كرسي رئاسة الوزارة البريطانية ، مما أدى الى تحول الصهيونية الى الولايات المتحدة كمصدر رئيسي لدعم (الامم الأخرى) للصهيونية . وإنه لمن المثير ان نشير بصدد هذا التحول ، الى أن المنظمة الصهيونية نفسها التي عقد عليها كثير من الزعماء البريطانيين آمالهم في دعم استراتيجي وسياسي له صالح البريطانية في الشرق الاوسط ، تحولت الآن دون تردد عن تلك الدولة التي لولا معونتها وحفاظها على وعددها مع الصهيونية ، لأصبحت هذه خبراً من أخبار التاريخ الماضي . وسنرى أن الصهيونية سوف تستغل الجهل العام لدى (الامم الأخرى) بدقائق المسألة الفلسطينية ، وستقترح تبني برنامج يهدف لاقامة دولة يهودية .

وفي بحث الصهانية الدائب عن موافقة الحكومة البريطانية والامم الأخرى ، على

مشروع الدولة اليهودية المقبل استعملوا خطة مجازفة ، خدمت قضية الصهيونية السياسية والقومية اليهودية خدمة جلي . تلك الخطة هي المطالبة بتشكيل وحدات يهودية مستقلة تخدم في جيوش الحلفاء ضد قوى المحور . ولننسط القول في هذه المطالبة بشيء من التفصيل لأهميته في تحقيق الهدف الصهيوني :

واجه الصهيونيون حقيقة بسيطة مجد ذاتها ، وهي أنه من المتعذر تطبيق السياستين اللتين أعلنها بن غوريون ، بنفس النجاح : محرارة هتلر ، و محرارة الكتاب الابيض . إذ لا يمكن للعرب التي تشنها الصهيونية على الكتاب الابيض إلا أن تثير شكوك البريطانيين في الهدف الذي ستسعى اليه الوكالة اليهودية من وراء تشكيل القوة اليهودية المحاربة ، التي كان إيجادها مستحيلاً دون موافقة الحكومة البريطانية . ثم أن موقف العرب الصلب في مواجهة الاهداف الصهيونية لن يكون من السهل تجاهله . ومن بدري فقد ينجح النازيون في اختراق الجبهة اللبية و يحتلون مصر والفتنة ، وينسحب البريطانيون من فلسطين ، تاركين اليهود في مواجهة أعدائهم ! إذن فالمطالبة بقوة يهودية محاربة ترفد مجهود الحلفاء الحربي ضرورة يهودية قبل كل شيء . والحق أن رجال الادارة الانتدابية الذين يعيشون في فلسطين مع العرب ويعرفون - على الطبيعة - وضع الطرفين ، كانوا يرون أن هدف الوكالة اليهودية من اقامة الجيش اليهودي ذو شقين :

أولها محرارة النازيين في ميادين الحرب الدائرة ، كما أكد الصهاينة . وثانيها : فرض الحل الصهيوني على مشكلة فلسطين بقوة السلاح ، والتهديد ، بل ومحاولة اكتساح البلاد ، حتى ولو أدى ذلك الى احتمال نشوب حرب أهلية مع عرب فلسطين . ونجرح الحق إذا لم نسجل أن الكتاب الصهيونيين الذين وضعوا مؤلفاتهم عن فلسطين بعد هذا التاريخ ، وحتى قيام اسرائيل ، لم يتوكوا أدنى شك في أن سياسة من طراز سياسة

الزعيم الصهيوني التصحيحي جابوتنسكي ، هي التي وجهت الوكالة اليهودية ، منذ اللحظة الاولى التي طالبت فيها بانشاء الجيش اليهودي^(١) .

ولكن ثمة أسباب أخرى أهم - في نظرنا - وهي أسباب لا يستطيع الصهاينة أن يبوحوا بها . صحيح أن تجنيد اليهود في فلسطين (اليشوف) في وحدات عسكرية سياعد على تكوين نواة جيش يهودي يمكن أن يجابه المقاومة العربية عندما ينادى بالدولة اليهودية . ولكن الأهم من ذلك من الوجهة السياسية ، أن تقوم الوحدات العسكرية اليهودية بتمثيل الشعب اليهودي رسمياً ، وأن تحارب في ظل راية يهودية^(٢) . لأن ذلك سيضمن اعترافاً هاماً يبدأ الدولة اليهودية ، ويكون خطوة في الطريق نحو الاعتراف بها على أساس الأمر الواقع . كما أن ذلك سيوجه ضربة شديدة الى اليهود غير الصهيونيين ، في دلالته الواهمة بأن اليهود يشاركون في الحرب كأمة يهودية لا كمواطنين في الامم الاخرى (الكافرة) ، وهو وضعهم الحقيقي في الواقع . ونظراً للقيمة المعنوية التي ستكسبها الصهيونية من تشكيل قوة يهودية محاربة ، عمل وايزمن بدأب طوال سني الحرب للحصول على موافقة الحكومة البريطانية على هذا المشروع .

بدأ الحوار بين الحكومة البريطانية وبين الصهيونية حول تشكيل قوة محاربة يهودية ، على أعلى المستويات السياسية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر ، ولم ينته الى نتيجة ايجابية إلا قبل سبعة أشهر من نهاية الحرب . فقبل خمسة أيام من إعلان بريطانيا الحرب في ٣ كانون الاول ١٩٣٩ كتب وايزمن الى رئيس الوزارة البريطانية تشمبرلن

Sykes, op. cit, p. 258

(١)

Cohen, Israel •A Short History of Zionism •, London

(٢)

1951. pp. 156-7

يعرض عليه استعداد الوكالة اليهودية لإجراء ترتيبات فورية بغية الاستفادة من القوة البشرية اليهودية ، وقدراتها التقنية ومواردها في سير الحرب . ورد تشمبرلن بكياسة وبغير التزام ، مؤكداً ان في وسع حكومته ان تعتمد على التعاون الصادق من الوكالة اليهودية . ووضح أن ما قصده وايزمن وزعماء الصهيونية من عبارة (الاستفادة من القوة البشرية اليهودية) يعني من (تشكيل جيش يهودي) . ولكن تشمبرلن آثر أن يفهم العرض بأنه يعني التعاون الصادق من جانب الوكالة اليهودية وعدم الرغبة في خلق المتاعب لبريطانيا . ولكن سياسة الكتاب الأبيض لم تكن مدار بحث طالما كان تشمبرلن رئيساً للوزراء ومكدونالد وزيراً للمستعمرات .

وبعد تولى تشرشل رئاسة الوزارة (أيار ١٩٤٠) استبشرت الدوائر الصهيونية وأشرق الأمل أمامها من جديد . فالمعروف ان تشرشل ، باعترافه ، كان صهيونياً دائماً ، وكان على النقيض من أنصار الصهيونية في البرلمان يظل على صهيونيته سواء أكان في الحكم أم في المعارضة . ولم يكن يخشى من المتاعب الهائلة التي تثيرها الصهيونية في الميدان السياسي . وكانت زعامته للبلاد في هذه الآونة لا تضامى ، ولذا كان تدخله في أي نزاع سياسي كافياً لفرض الحل الذي يراه ولو مؤقتاً . بذل وايزمن كل براعته الدبلوماسية للتأثير الفعال على الجنرال روبرت هينينغ نائب رئيس أركان حرب الامبراطورية الذي وعده بأن يبعث بتعليماته الى الجنرال ارشيبالدويفل القائد العام في الشرق الأوسط ، ليسمح بتدريب وحدات عسكرية يهودية . ولكن لم يجر تنفيذ شيء . وفي آب ١٩٤٠ كتب وايزمن الى تشرشل يطلب مقابله ، ويضيف أن يهود فلسطين سيتعرضون لمذبحة جماعية على أيدي العرب (!) بتشجيع وتوجيه من النازيين والفاشيين - في حالة انسحاب البريطانيين مؤقتاً من فلسطين لا سمح الله . « إن إمكان حدوث ذلك بدعم المطالبة بحقنا الانساني الأوّلي في حمل

السلاح الذي لا يجب إنكاره أديباً على المواطنين المحلصين في بلد ما أثناء الحرب . إن اليهود في فلسطين بمقدورهم أن يحشدوا ٥٠ ألفاً من الرجال المقاتلين ، كلهم في ذروة القوة ، وهذه قوة لا يستهان بها إذا أحسن تدريبها وتسليحها وقيادتها^(١) . وفي ايلول ١٩٤٠ ناقش وايزمن - ثانية - الموضوع أثناء طعام الغداء مع تشرشل وبعض أصدقائه الذين أظهروا اهتماماً بالموضوع . وكان تشرشل ودياً ومهماً بتفاصيل مشروع انشاء الجيش اليهودي . فعملوا جميعاً على وضع برنامج من خمس نقاط ، حمل وايزمن خلاصته ليقدمه فوراً الى الجنرال جون ديل رئيس اركان الامبراطورية . النقطة الأولى تدعو الى « تجنيد أكبر عدد ممكن من يهود فلسطين للخدمات الحربية لينظموا في كتائب يهودية أو تشكيلات أكبر » . النقطة الثالثة تدعو أن يختار ضباط الفرقة اليهودية فوراً من يهود فلسطين ، ويدربوا في مصر . النقطة الرابعة تتعلق بوحدة يهودية صحراوية ، والنقطة الخامسة بتجنيد اليهود الأجانب في انكلترة . أما النقطة الثانية التي وصفها وايزمن بأنها مشؤومة فقد أضيفت نزولاً عند إصرار وزارة الخارجية على وجوب مراعاة مبدأ المساواة العددية بين المجندين العرب واليهود . وبما أن عدد اليهود سيكون أكبر ، فإن الزيادة منهم يجب ارسالها الى مصر للتدريب أو في أي مكان آخر من الشرق الأوسط . وتشرشل - كما يقول وايزمن - كان متعاوناً جداً . وكان وايزمن راضياً عن هذه النتيجة ، وبدا تشرشل والجميع في حالة انشراح وسرور^(٢) .

وقد اعتبرت الصهيونية تشكيل وحدات يهودية تماماً « انتصاراً لمبدأ طال النضال من أجله .. وحدات محاربة يهودية صميمة ، ستأخذ مكانها الى جانب البريطانيين وحلفائهم ...

Weizmann, op. cit. p 521

(١)

ibid . p. 522

(٢)

وسيحاربون كيهود وسيمثلون الشعب اليهودي نواته السياسية الحية في فلسطين ، وكذلك جماهير اليهود الغفيرة في أنحاء العالم^(١) .

وفي ٢ تشرين الاول علم وايزمن أن تشرشل أبلغ مجلس الوزراء البريطاني رغبته في إلغاء الكتاب الأبيض . وهذا التبليغ وان لم يؤد إلى شيء نظراً لمعارضة الدوائر السياسية والعسكرية ، فانه يدل على شدة تأييد تشرشل للمطالب الصهيونية التي لم تغادر ذهنه في خضم معركة بريطانيا . وأحيط وايزمن علماً بأن مجلس الوزراء البريطاني أقر مشروع انشاء الجيش اليهودي بصورة نهائية . وكان قد تم انشاء القوة الفلسطينية في ايلول ١٩٤٠ عن طريق إضافة فوج فلسطيني الى كتيبة (إيست كنت) اطلق عليه اسم (بافس - Buffs) ، وكان مشروع هذه القوة الفلسطينية يقضي باديء ذي بدء بأن تتألف سرايا الفوج على أساس المناصفة بين العرب واليهود . ويبدو أن مبدأ المناصفة وضع لأنه لم يكن منه بد . ولكن عملياً فالدوائر البريطانية تعلم حق العلم بأن العرب لن يقبلوا على التطوع في الفوج إقبال اليهود .

وبينا كان يتعاضم خطر التهديد الألماني في الصحراء الغربية ، زاد تطوع اليهود في الجيش البريطاني والدفاع المحلي . وقد صرح وكيل وزارة المستعمرات في مطلع تموز ١٩٤٢ ان المنظمات الدفاعية اليهودية المحلية تعتبر بمثابة ومعادلة للحرس الوطني في بريطانيا وقد سُلِّح بوليس المستعمرات اليهودية ، وسلحت الأجهزة اليهودية الأخرى ، ودربت أحسن تدريب . وقد جرى التوصل الى اتفاق بين الهاغانا المرتبطة بفرع خاص في الوكالة اليهودية ، وبين فرع خاص في قيادة منطقة الشرق الأوسط يعرف

New Judea. XVI Sept. 1940, p. 192, Quoted in kirk, op. cit. (٧)
p. 239 .

ب (G. S. I. J.) تعاون بموجه الهاغانا في العمليات السرية في حالة غزو ألماني لفلسطين . وعلى ذلك جرى « تسليح جماعات الهاغانا وتدريبها على حرب العصابات »^(١) ، وانشأت الادارة البريطانية مدرسة سرية خاصة لتدريب « عصابات الهاغانا في المنطقة الجردية الى الجنوب الشرقي من حيفا »^(٢) ، والقيام بغارات وراء خطوط العدو . وتغاضت السلطات البريطانية عن تهريب السلاح ، وفي بعض الحالات أقدمت على « توزيع السلاح على الهاغانا »^(٣) ، ومنحت الادارة البريطانية صفة شرعية الى (١٥) ألف يهودي كانوا يشكلون قوة البوليس للمستعمرات اليهودية . وقد زود كل واحد من هؤلاء بيندقية بريطانية . وكان جميع أعضاء هذه القوة البوليسية اليهودية « يعملون في خدمة الهاغانا بصورة فعلية أيضاً »^(٤) . وكان قد تم قبل العمليات الحربية الفاشلة في اليونان وجزيرة كريت ، تدريب عدد كاف من رجال الهاغانا للاشتراك في هذه العمليات . وقامت مجموعة مؤلفة من (٢٣) نقرأ يقودهم ضابط بريطاني في شهر ايار ١٩٤١ ، أي بعد هزيمة بريطانيا في اليونان ، وأثناء معركة كريت ، بغارة على ميناء طرابلس في لبنان لتدمير مصفاة الزيت فيها . ولكن الفشل كان نصيب هذه العملية ، وقتل جميع المشتركين فيها عن بكرة أبيهم . وكانت هذه العملية بداية تشكيل (سرايا الصاعقة) التابعة للهاغانا ، والمسماة بالملاح . وقامت نفس السلطات السرية البريطانية في الشهر نفسه بعملية اخرى هدفها القاء القبض على المفتي الحاج امين الحسيني في بغداد وخطفه ، أثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني ، ولم يجمع أفراد العملية

Koestler, A. « Promise & fulfilment », London; 1949, p. 85 (١)

ibid p. 86 (٢)

ibid . p. 70 (٣)

ibid. p. 74 (٤)

من الهاغانا هذه المرة ، وانما جمعوا من أفراد عصابة الأرغون ترفائي التومي . كما قام رجال الهاغانا المدربون في عام ١٩٤١ بأعمال التجسس ونشر الدعايات السرية في سورية ولبنان بتوجيه مباشر من بريطانيا أحيانا ، وبتوجيه من مكتب الهاغانا في حيفا بالتعاون مع البريطانيين أحيانا أخرى . وكان استاذان يهوديان في مدرسة حيفا الصناعية يديران مكتب الهاغانا في حيفا . واشترك فصل من الهاغانا بغزو سورية ولبنان في شهر تموز من عام ١٩٤١ وقام بأعمال الاستطلاع والتخريب في مقدمة الجيش الزاحف . وقد حوفظ على سرية هذا التعاون الذي تم بين السلطات البريطانية ومنظمي الهاغانا والأرغون ، في وقت تهدد مصير الطرفين بالغزو الألماني الوشيك . ولنسجل هنا أن نطاق التعاون لم يكن متسعا ، خشية الدوائر الصهيونية أن تؤدي (الشراكة) العسكرية البريطانية اليهودية في ظل الاشراف البريطاني الراهن ، إلى تقليص هبة الهاغانا وانتقاص سلطاتها ، وهي من سلطة الوكالة اليهودية أخيراً . هذا من جهة .

ومن جهة ثانية فإن الصهيونية برغم ثقتها الشديدة الى جعل هذا التعاون نقطة البداية لقيام الجيش اليهودي المرتقب ، غير أنها لاتزال تشعر بالمرارة لإصرار الادارة الانتدابية البريطانية ووزارة المستعمرات على تطبيق كامل لبند الكتاب الابيض . هذا الى ان حملات الدعاية العنيفة التي شنتها الوكالة اليهودية ضد بريطانيا قد أدى بدوره الى ظهور مشاعر العداوة المكبوتة حيناً والصريح حيناً آخر ضد بريطانيا ، الأمر الذي أدى الى توجس السلطات الانتدابية وتزايد حذرهما وشكوكهما . وهو بدوره جعل الصهاينة أقل كفاية على التثبت من مدى مقدرتهم الاعتماد على بريطانيا . ولكن تغلب رأي من يسمون أنفسهم بالجناح اليميني والمعتدلين ، والقائل بأن تحقيق الجيش اليهودي انما يكون عن طريق التدرج والتطور السياسي . وكان يرى وجوب تطوع اليهود في القوات البريطانية ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لخلق أكبر عدد ممكن من الوحدات اليهودية المحاربة ، وبومذاك

يصبح الجيش اليهودي حقيقة واقعة سواء برضى بريطانيا أو بعنونه . وكان هذا الرأي الصهيوني كذلك مصيباً في تشجيع نوع من الخدمة العسكرية الفردية وغير المشروطة ، خارج فلسطين ، وعدم اصراره على قيام الجيش اليهودي . إذ أن قيام هذا الجيش كان يتطلب مفاوضات طويلة تعرقل انخراط الشبان اليهود في الجيش ، في وقت تشعر فيه القيادة الصهيونية أنها بأمس الحاجة الى أن يكون لديها عدد كبير من الرجال المدربين عسكرياً . وكان من أثر ذلك أن التحقت أعداد كبيرة من اليهود بالجيش البريطاني ، فبلغ عددهم ١٠ آلاف عام ١٩٤١ ، ثم ارتفع هذا الرقم في نهاية الحرب الى ١٤ ألفاً ، موزعين على أسلحة الجيش المختلفة في الوحدات البرية والبحرية والجوية . وعلى الرغم من أن خدمتهم العسكرية لم تكن ذات صفة رسمية بالصهيونية ، إلا أن كثيرين منهم ظلوا على اتصال وثيق وخفي بالقيادة الصهيونية ، ولم يظهر هذا الاتصال ولم يعرف الا فيما بعد^(١) .

وهذا الجناح الذي يسمي نفسه باليميني والمعتدل يرجع في أصوله الى الهاغانا (الدفاع) والى الصراع الذي كان مستمراً بين أجنحتها ؛ ذلك أن الجناح اليميني في الهاغانا كان يرى أنها لا تعدو أن تكون منظمة مسلحة تضع نفسها في خدمة اليهود وتمتلكهم في أيام الأزمات ، كالثورة العربية والاضطرابات . وتكون مكتملة في عملها لدور القوات البريطانية العسكرية والبوليسية . أما الجناح الذي يسمي نفسه باليساري والمتطرف ، فكان يتألف من جماعات يسارية أحسن تنظيماً ، تمثل التفكير السياسي لمنظمة المستدروت العالية الصهيونية ، وكان ينادي بسياسة جاححة تعطي للهاغانا دوراً أكبر ، وهو أن تكون جيش الصهيونية ، بحيث يتمكن اليهود سياسياً من الدفاع عن أنفسهم ضد جميع الفرقاء ، وبجيت

Sykes, op. cit, pp. 253 - 4

(١)

تطوع ميكائيل ابن وايزمن في القوات الجوية البريطانية ، وفقد أثناء عملية جوية في عام ١٩٤٢ .

Weizmann, p. 525

تكون الهاغانا منظمة قومية لا محلية ، كأداة فعالة في يد السياسة الصهيونية ، لا مجرد منظمة لسد حاجات محدودة ومسؤوليات معينة . أو بكلمات أحد أنصار هذا الجناح : « نحن نخشى ، أن لا يأخذنا أولئك الذين سنضع الهاغانا - التي تؤلف الجزء الرئيسي من قواتنا الدفاعية - تحت تصرفهم ، بعين الاعتبار ، عندما يصل الأمر الى الدفاع عن هذه البلاد ، وستقوم حساباتهم المطلقة التي تشمل وحدتنا ، على اعتبار أن فلسطين لا تؤلف سوى نقطة واحدة في خط قتال ضخم وهائل . لكن هذه النقطة تمثل لنا الشيء الأساسي في الحرب . ولو قامت هناك قوة يهودية ، لاختلفت خططها الاستراتيجية تماماً ؛ فهي لن تقوم بأية عملية لتحليل أهمية خطوط التموين الطويلة أو القصيرة ، إذ أن مهمتها ستتحصر في الدفاع عن فلسطين » . وقد قيلت هذه العبارات في ربيع عام ١٩٤٣ ، عندما كان رومل على رأس فيلقه الأفريقي ، يواجه الجيش البريطاني الثامن .

وعلى الرغم من قوة هذا الاتجاه ، فإنه لم يستطع ان يفرض نفسه علناً الا في ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين ضلعت الوكالة اليهودية بفعال الارهاب الصهيوني ضد البريطانيين والعرب على السواء ، كما سيرد ذلك في حينه .

وحسبنا الآن ان نصف هذا التيار بأنه كان ذا أثر في هذه الظروف الحرجة - ظروف احتمال تراجع بريطاني عام عن حوض البحر المتوسط الشرقي بكامله . فاذا أضفنا الى ذلك ما تنشره الدعاية الصهيونية المنظمة حول حادثة الباخرة (ستروما) ، من التشهير والتحريض ، وبث بذور الشك في الأذهان حول نوايا بريطانيا ومدى اخلاصها لحلفائها اليهود ، تتضح لنا أسباب الظنون التي سيطرت على اليهود في فلسطين بأن بريطانيا لن تدافع راضية عن الوطن القومي اليهودي ، ضد القوى النازية المتقدمة . كما تتضح أسباب موجة المطالبات الصهيونية الملاحية بوجود قيام الجيش اليهودي ، ليس في فلسطين وبريطانيا

فحسب ، وإنما أيضاً في الأوساط السياسية الأمريكية . فقد طلب شروتوك رئيس القسم السياسي في الوكالة اليهودية من الجنرال او كينلك القائد العام الجديد في الشرق الأوسط ، بسأله فيه مضاعفة التدريب لأفراد القوة البوليسية الفلسطينية ، وتحويل سراياها الى أفواج وتوسيع (الهاغانا الشرعية) من أجل الدفاع عن فلسطين (نيسان ١٩٤٢) ، بينما قام ايزمن و بن غوريون وكانا في الولايات المتحدة آنذاك ، بتدعيم جهوده في الخارج .

وكانت نتيجة هذا النشاط الصهيوني أن أعلن وكيل وزارة الحرب البريطانية - بعد نقاش في مجلس العموم حول تشكيل القوة اليهودية الدفاعية - عن تحويل سرايا الفوج الفلسطيني الى اللواء الفلسطيني الذي يتألف من كتيبة مشاة يهودية وعربية منفصلة ، للخدمة العسكرية في الشرق الأوسط ، على أن تندمج فيها سرايا (البافس) الفلسطينية ، وقد أمل بتجنيد ١٠ آلاف جندي اضافي ، دون الاصرار على مراعاة المساواة العرقية بين الطائفتين العربية واليهودية^(١) . وبينما رحب الصهونيون بذلك على أنه خطوة نحو هدفهم ، أعلنوا أنهم سيستمرون في الضغط من أجل الوصول الى تشكيل قوة محاربة يهودية تحت علمها الخاص^(٢) . وأعلن شروتوك أن هذه القوة اليهودية في اللواء الفلسطيني ليست إلا ظلًا لما كان اليهود يريدونه . وبذلك لم يضع اليهود الفرصة المتاحة لهم ، بفضل تأييد تشرشل الذي استمد قوة جديدة لدعم المشروع الصهيوني من تأييد أمريكا له عن طريق الرئيس روزفلت و سمنويلز و الجنرال مارشال . وقد اضطرت الادارة الانتدابية وقيادة الشرق لاوسط البريطانية الى القبول بذلك ، رغبة في ترضية تشرشل ، مع أنها كانت تتوجس خيفة من رد الفعل العربي ، ومن ترزعع ولاء القوات اليهودية ودوام اتصالها بقيادة الهاغانا ، بدلاً من القيادة البريطانية العليا ، كما سنرى في حينه .

Parliamentary Debates, 5th Ser. Vol. 382.col. 1271 (١)

Quoted in Trevor, "Under the White Paper" .p. 71 (٢)

أما في الولايات المتحدة فقد قامت لجنة صهيونية تصحيحية تناصر تشكيل الجيش اليهودي ، ونشرت بياناً وقعه ١٥٢١ من وجوه المجتمع . وفيهم ثلث أعضاء مجلس الشيوخ ، وكان بينهم الشيخ هاري ترومان من ولاية ميسوري^(١) . ومهما يكن من أمر فان التجنيد بقدر ما يخص الادارة الانتدابية كان طوعياً . وقد انضم ٢٣ ألفاً من اليهود و ٩ آلاف من العرب الى مختلف فروع الخدمة العسكرية ، ولكن النسبة المثوية المرفوضين من بين العرب ، لأسباب « طيبة » كانت أعلى منها لدى المتطوعين اليهود ! فضلاً عن أن الوكالة اليهودية استعملت سلطاتها الشبيهة بالحكومية ، بجرية ، لحض اليهود على الانضمام للقوات المحاربة ، بحيث ان الادارة الانتدابية شعرت بوجوب التدخل لمصلحة الحفاظ على مبدأ التجنيد الطوعي . وعلى ذلك فان ارادة الأفراد بين الطائفتين للتطوع في الخدمة العسكرية مع الجيش البريطاني ، لم تكن تعبيراً دقيقاً عن الوضع السائد ، ولم تكن تمثل الدقة في هذه الأرقام^(٢) . وزادت أرقام المتطوعين اليهود مع تزايد الخطر أو ظهوره بظهور التزايد ، إذ تطوع بين شهري حزيران وتشرين الاول ١٩٤٢ نحو من ٥١٩٦ من اليهود .

وكان شرتوك يضغط من مقره في الوكالة اليهودية على الادارة الانتدابية وعلى حكومة لندن ، ويقول ان التقاعس البريطاني عن تشكيل الجيش اليهودي ، يبطئ عزائم اليهود ، ويجول بينهم وبين تقديم أقصى ما يستطيعون . ولكن سلوك الوكالة اليهودية في الضغط على أفراد طائفتها وحشهم على التطوع وجباة الأموال منهم في سبيل ذلك ، كان يناقض تمام المناقضة ما قاله شرتوك . وبإخص الدكتور يهودا بورما حدث نتيجة ذلك : « .. لم يكن البريطانيون في الأوقات العادية ، أي عندما كانت دبابات الألمان بعيدة عن أبواب الاسكندرية ، في حاجة الى عدد كبير من المتطوعين من يهود فلسطين ، أما في أوقات

Chicago Daily News, 16 Dec. 1912

(١)

Barbour. op. cit, p.217

(٢)

الشدّة ، فانهم في حاجة الى هؤلاء المتطوعين الذين يقدون دون وجود جيش يهودي ، فالجيش حاجة يهودية لا بريطانية^(١) ، . وعند اقتراب عام ١٩٤٣ من نهايته خشي الصهيونيون أن يؤدي تأجيل تشكيل الجيش اليهودي الى ضياع فرصة اشتراكه في غزو أوروبا واحتلال ألمانيا . وطلبت الوكالة اليهودية (تشرين الثاني ١٩٤٣) من حكومة لندن ، وحكومة واشنطن ، القيام بعمل فوري . وأوعزت الوكالة الى أنصارها في البرلمان البريطاني فتقدم ثلاثة وخمسون منهم في نيسان ١٩٤٤ باقتراح بهذا المعنى .

وفي ايلول ١٩٤٤ نجح نهائياً الاحلاح الصهيوني المتواصل لتكوين جيش يهودي - سواء في الولايات المتحدة أو في بريطانيا . ففي العشرين من هذا الشهر أذاعت وزارة الحرب البريطانية أنها قررت أن تساعد في تشكيل لواء يهودي^(٢) ، على أن يتشكل فقط من يهود فلسطين ، ويتم التجنيد بواسطة الوكالة اليهودية . وعنى الرغم من أن قرار الحكومة البريطانية لم يتضمن تشكيل جيش أو فرقة وإنما لواء ، فقد اعتبر الصهاينة ذلك نصراً كبيراً لمبدأ وحدات محاربة يهودية صميمة ، ستحارب كيهود ، وستمثل الشعب اليهودي . . . ، ونظروا الى هذا اللواء اليهودي الصرف على أنه بمثابة إعلان للدولة اليهودية ، لا سيما وأن هذا اللواء حمل أعلامه الخاصة التي رفعت شعار نجمة داود . تم تجهيز اللواء اليهودي بسرعة إذ كان عليه أن يضم السرايا المدربة التي كانت تؤلف الكتيبة الفلسطينية ، وبذلك أصبح مستعداً للعمل في ايطاليا ، تحت علمه الخاص^(٣) ، مع ما يترب على ذلك من التأكيد على الجنسية اليهودية ، ومع افساح المجال أمامه ليربط بها حقيقة كونه يهودياً بتلك الجنسية . وبما له دلالة خطيرة أن علم هذا اللواء كان هو نفسه علم اسرائيل اليوم .

Sykes op. cit p. 278

(١)

kirk. op. cit. p. 321

(٢)

Esco II, p. 1032

(٣)

ولقد حقق الصهاينة حاسمهم بأن يقاوتوا النازيين تحت علمهم الخاص ، ولكن المهمة الأكثر خطراً التي اختطها الصهاينة لهذا اللواء ، لم تكن غايتها المراقبة تتوقف عند هذا الحد ، وإنما تنتظر نتيجة الصراع الحفي نارة والظاهر نارة أخرى مع العرب الذين لم يكن بدء من الاصطدام بهم يوماً ما . وسنرى ما أعدت الصهاينة من تدريب اليهود ورصد الاموال لتزويدهم بأحدث السلاح ، بالإضافة إلى إغراء كثيرين من الضباط والجنود البولنديين على الفرار من الجيش البولندي بأسلحتهم للاستفادة منهم ومن سلاحهم في عمليات التدريب والتسليح . ومن جهة أخرى كان الكثيرون من يهود فلسطين الملتحقين بقوات الشرق الأوسط ، قد أوعزت الوكالة اليهودية إليهم ان يعملوا مع الجماعات المختصة بالتسوية ومخازن الاسلحة على خطوط المواصلات ومناطق القواعد الحربية ، فكانت هذه فرصتهم لتهرب الاسلحة الى فلسطين ، واستغلالها على أوسع نطاق بإرشاد الهاغانا . كذلك أغري كثير من جنود الحلفاء والبريطانيين بالاشتراك في هذا العمل المربح الذي يدرّ الأموال الطائلة . هذا الى أن صعوبة تموين قوات الشرق الاوسط عن طريق الدوران حول أفريقيا ، قد جعل السلطات البريطانية تكلف بعض المؤسسات الصناعية اليهودية في فلسطين ، بصنع الأسلحة الصغيرة ، ومنها مدافع الهاون ، مما كانوا يتقنون صنعه ؛ ولكن بعض هذه الأسلحة أخذت طريقها - بالطبع - الى مخازن الهاغانا ، في المستعمرات اليهودية . وقد أوضح زعماء الصهيونية ان الغرض من اقتناء السلاح هو حماية اليهود لأنفسهم من اعتداء العرب عليهم . هذا هو الغرض الظاهري « المشروع » ، ولكن دفاع اليهود عن أنفسهم فهمته سلطات الادارة الانتدابية على أنه يعني مقاومة القيود الموضوعة على الهجرة ، وشراء الاراضي ، وبعبارة أخرى ، مقاومة الكتاب الابيض البغيض . وقد كثر تردد الانباء عن تكديس الاسلحة المهربة في المخاييم ، مما أفدى في اواخر عام ١٩٤٣ إلى اقتحام بعض رجال الجيش والبوليس مستعمرتين يهوديتين لتفتيشها . ولكن قوبلت حملة التفتيش

هذه بمقاومة عنيفة . وسنرى تفصيل ذلك عند الكلام على الارهاب الصهيوني وما أدى اليه .

× خطط المرحلة الصهيونية الجديدة : برنامج بيلتمور (أيار ١٩٤٢) :

يفترض بعض الكتاب أن التغيير في السياسة الصهيونية إنما كان يمثل موقفاً وسطاً بين سياسة وايزمن التقليدية القائمة على الدبلوماسية الماهرة بالتعاون مع البريطانيين ، وبين نظرة التصحيحين القائمة على العداء للبريطانيين اصحاب الكتاب الايض . وهذا التغيير ، هو نتيجة عفوية حثية أمل الصهيونيين في « سياسة التوفيق التي كانت رائد القيادة الصهيونية في تعاملها مع بريطانيا »^(١) . على أنه يتعذر تصديق هذا الرأي في ضوء الوقائع التاريخية القائلة بأن الانتداب البريطاني خدم مصالح الصهيونية أكثر بكثير مما فعله لإعاقة تلك المصالح^(٢) . بالإضافة الى ان وايزمن نفسه كان واحداً من أول الذين اقترحوا هذه السياسة الجديدة ، وهو موقف أعاد تأكيده بشكل أوضح في وقت مبكر من عام ١٩٤٢ ، كما مرّ بنا^(٣) . والحقيقة أن هذا التحول في السياسة الصهيونية من التعاون الوثيق إلى ما يشبه العداء ، وخاصة منذ مطلع عام ١٩٤٣ ، أملاه بشكل رئيسي تغيير في الظروف ، بدابوجه هذا التغيير أكثر فائدة من أي شيء آخر لتحقيق أهداف الصهيونية .

ولعل أهم عناصر هذا التغيير في الظروف القائمة يومذاك كانت مفتعلة اصطعنتها

(١) Esco, op. cit. II, p. 1080

(٢) انظر دلائل ذلك في خطاب بن غوريون أمام المجلس الصهيوني العام بالقدس في ٧ آب ١٩٣٨ : Ben Gurion. op. cit., pp. 89-98

(٣) Weizmann • Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem, Foreign Affairs, Jan. 1942, pp. 324-38

السياسة الصهيونية في اثناء سعيها الخيث لإسقاط الكتاب الايض . فمن المعلوم ان التردد كان مسيطراً على تصرف الموظفين البريطانيين في الادارة الانتدابية بحيث أن بعضهم كان مزمقاً بين نزعة ايواء اليهود النازحين من أوروبا النازية ، والذين كانت الصهيونية تطلب ظهورهم بالسياط للتوجه بالهجرة غير المشروعة نحو فلسطين ، دون أي اعتبار إنساني حقيقي . وبين حرصهم على دوام هدوء الوضع الداخلي العربي القائم أساساً على حسن تصرف العرب ، وعلى التوازن الدقيق المعرض للاختلال بسبب أية هجرة يهودية الى فلسطين . وحين قررت الحكومة البريطانية (تشرين الثاني ١٩٤٠) عدم قبول أي مهاجرة غير مشروعة الى فلسطين ، كان عليها ان تختار بين إغلاق فلسطين في وجوه النازحين اليهود من اضطهاد النازي ، وبين المقامرة بارتقاء الشرق الأوسط في أحضان النازي . ويبدو أن هذا الخيار كان محتوماً في ضوء خطورة الأحداث التي رافقت ثورة رشيد عالي الكيلاني (أيار ١٩٤١) المناوئة لبريطانيا ، والتي هددت بتحرير البلدان العربية وأولها فلسطين ، في أشد الساعات شؤماً على مقدرات الحرب البريطانية آنذاك . لقد استنكر الزعماء الصهاينة بشدة منع الهجرة الى فلسطين ، وراحوا يوغرون صدور اليهود ضد بريطانيا ، وهؤلاء الزعماء الذين ، لسنوات خلت ، كانوا يستعجلون فتح أبواب فلسطين أمام تدفق المهاجرة اليهودية ، لم يكونوا يرتفعون فوق استغلال حاجة اليهود الاوربيين إلى الانقاذ والاسعاف ، وذلك بقصد إنجاح سياستهم الكناية ؛ وهكذا فإنهم عارضوا بجرارة ارسال اللاجئين اليهود إلى بلاد أخرى غير فلسطين ، إذا ما افتتحت على قبولهم النهائي فيها . وفي سبيل هذه السياسة الخبيثة المفتعلة ، أغرق الصهاينة باخرة أو باخرتين من سفن اللاجئين عمداً^(١) ودون علم هؤلاء المنكودين ، وبولغ في تصوير ذلك بأبشع الصور ، وبولغ فيه أشد المبالغة لاستدراار العطف

(١) انظر A. M. Haymsom, • Palestine under the Mandate • , London 1950, p. 150

العالمي ولفت نظره الى خطورة المسألة اليهودية ، والضغط على الحكومة البريطانية كي تتخلى عن قيود الكتاب الأبيض .

وقد اعترف باستغلال هذه المسألة الانسانية من أجل غايات سياسية ، بعض الكتاب اليهود^(١) . ولم يتفكر الموقلون في العماية من الصهاينة في أن الولايات المتحدة نفسها ، الضخمة برقتها ، والضخمة ببياديتها ومواردها ، والملاطفة الملاينة للحل الصهيوني ، لم تقبل في أراضيها سوى عدد ضئيل جداً من اليهود منذ عام ١٩٣٣ وما بعدها^(٢) . وكان بما يتفق مع الخطط الصهيونية أن تشيع الخوف من تنكر عملاء النازي في صورة لاجئين ، بما فيهم اليهود ، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الى تشديد القيود المفروضة على السماح بدخول أراضيها .

والحق أن يهود أمريكا أنفسهم كانوا يعارضون بشدة هجرة إخوانهم بدوافع الأنانية المحضة . وكانوا يرفضون ويجازبون كل اجراء من شأنه ان يزيد من عدد اليهود الموجودين في الولايات المتحدة ، وكانوا يومذاك خمسة ملايين ، حيث كان هؤلاء متمركزين في المدن الكبرى ومطمئنين الى استثمارهم بقدر وفير من الرخاء المالي والتجاري مع النفوذ السياسي . وهم من ناحية أخرى يرفضون أن يشاركهم اخوانهم اليهود المهاجرون هذا الرخاء وذلك النفوذ ، ويخشون كذلك من اثاره روح التعصب ضد اليهود في كثير من

(١) احتجت صحيفة « ها آرتز » اليهودية في ٣٠ آذار ١٩٤٧ بأن « انفاذ ضحايا هتلر قد تحول الى موضوع سياسي بالكلام الكثير على إيجاد غالبية وعلى هجرة الملايين » .

(٢) يقدر اليهود الامريكيون هذا العدد بـ « ١٦٠ » ألفاً أي بزيادة ١٠/١ بالمائة الى ٣١٦ بالمائة وهي نسبة اليهود الى مجموع السكان . في حين سجل « ٢١٤ » ألفاً من مهاجري اليهود الى فلسطين في الفترة نفسها ، فزادت نسبة اليهود في فلسطين من ١٧ - ٣٠ بالمائة من مجموع السكان .

Adler & Margalith « With Firmness in the Right », pp. 441-3,
& Wischnitzer, « to Dwell in Safety », p. 247

الأوساط الأمريكية التي كان بعض الذين أوتوا العلم منها يساورهم القلق من تفاقم النفوذ المالي والسياسي اليهودي في كثير الميادين ، واساءتهم استعمال هذا النفوذ ، وتغلغلهم بشتى ألوان الدعاية الماكرة ، في الأوساط الرسمية والشعبية للتأثير عليها ، وحملها على تأييد البرنامج الصهيوني السياسي . لقد كان لدى المترارنست بيفن ، وزير الخارجية البريطانية - فيما بعد الحرب مباشرة - من الشجاعة الأذية والجرأة ، ما جعله يقول بصراحة : « ان حكومة الولايات المتحدة تمارس سياسة الضغط لتحقيق هجرة اليهود الى فلسطين ، وذلك لأن الأمريكيين يرفضون قبولهم في نيويورك^(١) . بل ان معظم أعضاء الكونغرس الأمريكي الذين أيدوا بحماسة الحل الصهيوني للسألة - وهو فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية المطلقة - كانوا في الوقت نفسه من أشد المعارضين لإسهام الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما في تفريغ أزمة اليهود في اوربا ، عن طريق استيعاب جانب منهم في كل بلد .

وسيكون لموقف الرفض الذي وقفته الولايات المتحدة وبريطانيا من قبول أي عدد من اللاجئين اليهود ، ما بعده في تحميل فلسطين هذا الوزر المبهظ لكاهلها والمهدد لعروبتها . وسرى ذلك فيما يلي من حديث حول تعضيد الدولتين لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين ، بعد إقرار الصهيونية العالمية لبرنامج بيلتمور الذي تضمن الخطوط الرئيسية للصهيونية السياسية في مرحلتها الجديدة .

سقوط القناع الصهيوني في مؤتمر بيلتمور (ايار ١٩٤٢) :

في أخرج مرحلة من مراحل الحرب العالمية الثانية وفي شتى جبهات القتال على اختلافها

(١) خطابه في مؤتمر حزب العمال (١٢ حزيران ١٩٤٦)

من الشرق الأقصى والشرق الاوسط إلى الجبهة الروسية ، انعقد مؤتمر صهيوني استثنائي في فندق بلتيمور Billmore بنيويورك ، وسط تهاويل الدعاية الصهيونية عن نكبة يهود أوروبا على يد النازي ، وغرق مئات اللاجئين اليهود بعد سف الباخرة (ستروما) ، ووسط دلائل الفشل الذي واجهته الصهيونية السياسية في حوارها المتطاوّل مع الحكومة البريطانية ، حول تشكيل الجيش اليهودي المحارب تحت علمه الخاص . وقد حضر المؤتمر ٦٠٠ من الصهيونيين الامريكيين ، و٦٧٠ صهيونياً من البلدان الأخرى ومنافلسطين ، مع عدد من اليهود غير الصهيونيين . ودام المؤتمر من ٩ - ١١ أيار ١٩٤٢ ، وكان تنظيمه والدعوة اليه بإشراف ما كان يسمى بـ (لجنة طوارئء للشؤون الصهيونية - Emergency Committee) ، وهي تمثل مختلف التجمعات الصهيونية الامريكية . وقد مُطرح مشروع تشكيل هذه اللجنة في وقت انعقاد المؤتمر الصهيوني بجنيف (آب ١٩٣٩) قبل الحرب العالمية الثانية بقليل ، والهدف منها تنسيق العمل الصهيوني في الولايات المتحدة ، ومتابعة الاتصال مع مختلف فروع الحركة الصهيونية في الخارج^(١) ، التي قد تجد نفسها منعزلة وعلى غير صلة مع مكاتب الهيئة التنفيذية في لندن أو القدس . وقد نُظمت هذه اللجنة فيما بعد تحت اسم المجلس الصهيوني الامريكي للطوارئء . وتشكل هذا المجلس من الدكتور وايزمن عن تنفيذية الوكالة اليهودية ، ومن ممثلي أربعة منظمات صهيونية رئيسية هي : المنظمة الصهيونية العالمية في امريكا ، الهاداسا (المنظمة الصهيونية النسائية) ، والبعول زيون (حزب العمال الصهيوني) ، والجماعات الصهيونية المتحدة للعمال ، والمزراحي (الجماعة الصهيونية المتدبنة) وقد مُثلت هذه الجماعات الصهيونية ، بالإضافة الى الوكالة اليهودية ، في تنفيذية مجلس الطوارئء . وقد عمل مجلس الطوارئء على صعيد وطني ، فسيطر على ٧٦ فرعاً في الولايات والأقاليم الامريكية كانت تنقسم بدورها الى حوالي ٣٨٠ لجنة محلية . وجرى توجيه هذه الأجهزة نحو « توعية الرأي

Esco, op. cit, II, p. 1078

(١)

العام الامريكى ، وإثارة حفيظته لصالح إقامة كومونولث يهودي على أرض فلسطين « (١) .
وقد وصفت منجزات المجلس في المادتين التالية :

١ - « سعى للحصول على تعاون الدوائر السياسية والصحفية والعمالية والمهنية » (٢) .

٢ - استمال الأفراد « للانضمام إلى اللجنة الامريكية لفلسطين ، التي بلغت عضويتها عند نهاية الحرب (٦٥٠٠) من الشخصيات العامة » (٣) .

٣ - أخذ زمام المبادرة في إقامة المجلس المسيحي لفلسطين في أواخر ١٩٤٧ « لكي يجتد مساعدة الكهنوت المسيحي من جميع الطوائف والكنائس . وقد قارب عدد أعضاء هذه الجماعة يوم النصر (٢٤٠٠) عضو » (٤) .

دعا مجلس الطوارىء الى مؤتمر بلمتور، لأن الصهيونيين أدركوا في أثناء الحرب الدائرة بأن الولايات المتحدة قد أصبحت الدولة الأكثر نفوذاً وقوة في السياسة العالمية . في الماضي كانت الولايات المتحدة تبدو مصدراً قيماً لمساعدة الحركة الصهيونية مالياً ، ولكنها برزت خلال الحرب أيضاً كأقوى مركز جديد تستمد منه الصهيونية العون السياسي . ولذا بدأت الصهيونية السياسية تتجه بثقلها من لندن إلى واشنطن ونيويورك ، وراحت الأجهزة تنفذ برنامجاً مكثراً لضمان التأييد الرسمي والشعبي لقضيتها . ومجلس الطوارىء الصهيوني الامريكى ، شعوراً منه بالحاجة إلى صياغة سياسة صهيونية جديدة ، وجه الدعوة لهذا المؤتمر الاستثنائي الصهيوني في نيويورك . وكان بين الزعماء الصهيونيين البارزين الذين تحدثوا في المؤتمر :

Hurewitz, Jacob., C. « the Struggle for Palestine » N. Y. (١)

1950, p. 201

ibid, p. 210 (٢)

ibid (٣)

ibid (٤)

الدكتور وايزمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ورئيس الوكالة اليهودية كذلك ، ودافيد بن غوريون رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية (في الوكالة اليهودية أيضاً) ، وناحوم غولدمان رئيس اللجنة الادارية للمؤتمر اليهودي العالمي .

وعلى الرغم من ان المؤتمر كانت تنقصه سلطة المؤتمر الصهيوني الدستورية ، غير أنه تمتل فيه الآراء الصهيونية كلها على اختلاف مشاربها ، وظهر المؤتمر أقل إحلاحاً على صداقة بريطانيا ، وأكثر مناشدة للضمير العالمي ولمقررات الأمم المتحالفة . وكانت مواقف زعماء الصهيونية العالمية تدل على أنها أحرزت تقدماً نحو الاتفاق على نظرة موحدة وثابتة .

عرف وايزمن المسألة اليهودية بأنها « جزء من عمل ساسة الغد » ، وحث على العمل لاسترعاء نظر الشعب الأمريكي والبريطاني والروسي إلى « العناصر الحاسمة في مسألتنا وتشابكها مع استقرار العالم » .^(١) وأشار كذلك إلى مبدأ التعاون بين العرب واليهود ، ولكنه أصر على أن مثل هذا التعاون يجب ان يكون أساسه اعتراف العرب « بالصلة التاريخية للشعب اليهودي مع فلسطين » . وأكد ناحوم غولدمان على وجوب بذل المسعى الدائب لإعادة اليهودية الروسية ثانية إلى ميدان المجهود الصهيوني . وكانت خطبة بن غوريون وتصريحاته ذات أهمية خاصة ؛ فقد طلب أن تمنح الوكالة اليهودية سيطرة كاملة على الهجرة إلى فلسطين ، وان تطرح جانباً فكرة الوطنية الثنائية إذا استلزمت إعطاء عرب فلسطين تمثيلاً متساوياً مع اليهود في دوائر الحكومة . وكان خطاب بن غوريون بمثابة عرض أساسي للياسة الصهيونية الجديدة ، لأن تحقيق مطالبه لن يؤدي إلا الى نتيجة واحدة فحسب - هي إقامة دولة يهودية . ولقد مضى المؤتمر إلى حيث قاده بن غوريون ، وعبر الحاضرون عن رغبتهم في التمسك بتطبيق كامل لبرنامج بال ، وهكذا سقط القناع الآن عن الهدف

Esco op. cit., II, p. 1080

(١)

الحفي الذي رافق السياسة الصهيونية دائماً ، وبدا واضحاً عارياً لا يستتره شيء . ولم يبتق سوى مهمة صياغة سياسة الارهاب والاعتصاب الجديدة الموضوعة والمخططة أصلاً ، والشروع في الاستعداد لتحقيق الهدف الأول في برنامج هرتسل .

لا شك في أن هذا المؤتمر يعتبر أهم عمل سياسي صهوني خلال فترة الحرب العالمية الثانية . ولذلك فإن عرضنا لما دار به يعتبر عنصراً هاماً من إحاطتنا بأهداف الصهيونية ووسائلها في هذه المرحلة التاريخية . وقد كشفت جلسات المؤتمر عن صراع مريب بين بن غوريون و وايزمن . ان التصريح العلني عن أهداف الصهيونية السياسية وتجيلها في برنامج صوتت عليه فئات المؤتمر ، يعتبر نصراً على سياسة وايزمن التي كانت تتسم بالحيطه والحذر والتدرج . ومن المعلوم أن القوة الدافعة لالحركة الصهيونية منذ نشوئها كانت تتركز في التصميم على تحقيق هدف الدولة اليهودية أو الكومنولث اليهودي في فلسطين بأكملها ، مع شرق الاردن وجنوب لبنان ، فيما بعد .

وكان يوجد دائماً مدرستان للفكر السياسي حول أفضل الوسائل للوصول إلى هذا الهدف . الأولى عبر عنها وشرحها جابوتنسكي خلال فترة الانتداب برمنها ؛ وقد رأت الصهيونية السياسية الجديدة أن الأمل الوحيد يرتكز على الجهر بمطلب الصهيونية صراحة كاملاً ، وإظهار محاسن مشروع الدولة اليهودية للعالم كحل نهائي للمسألة اللاسامية ، مع الزعم بأن الدولة اليهودية العتيقة قادرة على استيعاب جميع اليهود غير القادرين أو غير الراغبين في البقاء في المواطن الأصلية التي كانوا استقروا فيها وأقاموا^(١) . والثانية كانت الرأي الرسمي الذي ظلماً عبرت عنه المنظمة الصهيونية حتى نشر تقرير اللجنة الملكية ، وكانت بزعامه وايزمن . وقد رأت أن الجهود الصهيونية يجب أن تنصب في الوقت الحاضر

على الميدان العملي ، أي على تعاضم مدّة الهجرة ، وتوسيع يسوع الأراضي ، حتى يتطور الاستيطان اليهودي إلى حد يسمح بظهور الكومنولث أو الدولة اليهودية بصورة تلقائية . وفي غضون ذلك يجب أن لا يُجهر بالهدف النهائي المنشود أو يُعلن عنه صراحة ، أو في الحقيقة يجب إنكاره والتصل منه .

ولكن من الجلي أنه إذا كان الرأي العام البريطاني يأخذ إنكار الصهيونية لهدفها النهائي (بالدولة اليهودية) جدياً ، فإن العرب كانوا يدركون مغزى التصريحات الدبلوماسية المتتوية التي كان بدلي هاوايزمن والمنظمة الصهيونية لتهدئة خواطر العرب وطمأنتهم مرحلياً . ثم إن البيانات الرسمية المؤكدة الصادرة عن حكومة لندن للعرب (مثل رسالة هوغارث لشريف مكة الحسين ، وتفسير وعد بلفور كما ورد في الكتاب الابيض لعام ١٩٢٢ من أن الهدف ليس إيجاد دولة يهودية ..) كانت من وجهة النظر الصهيونية وثائق مربكة محرجة . ثم إن نجاح خطط الهدف النهائي لا تتوقف فقط على اطراد الاستيطان الصهيوني فحسب ، وإنما تتوقف أيضاً على تصاعد مقاومة العرب له . هذا إلى أن العرب في فلسطين وفي الدول العربية المجاورة قد زاد عددهم ونمت ثقافتهم ، وتعاضم تصميمهم ، كما أن الشعور بالتقارب العربي والوحدة العربية يتقوى من يوم لآخر . ولم يعد يمكن محو الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦) عن طريق نعتها بأنها انفجار طارئة حفزه الميهجون المحترفون ذوو المشاعر المريضة ؛ إن آخر ضربة لسياسة وايزمن قد سددها تقرير اللجنة الملكية . ومعلوم أن التقرير صرح بأن استمرار الانتداب ، كما كان في الماضي ، أصبح غير عملي ، وبدلاً عنه اقترح تقسيم فلسطين الى دولة يهودية في جزء من البلاد ، مع منطقة انتدابية ، ودولة عربية . وسقط التقسيم لأنه بينا رفضه العرب رفضاً باتاً ، كان الصهاينة مستعدين فقط لاعتباره خطوة نحو تأسيس الدولة اليهودية في سائر أنحاء فلسطين . ثم أعلنت اللجنة الفنية عدم

م ٣٠ (فلسطين ١٩٦٨)

صلاحيته . ومع ذلك فإن الأوساط الصهيونية باركت رسمياً شعار الدولة اليهودية كهدف مشروع محترم ؛ وبدت سياسة وايزمن المتأينة والحذرة للكثيرين انها لا تؤدي إلى الغاية المتوخاة ، وثبت أنه يوجد حركة متميزة نحو سياسة تدافع عنها المنظمة الصهيونية الجديدة ، ومن هنا أتىح للزعيم الصهيوني بن غوريون أن يفرض رأيه على مؤتمر بلنتور . وهذا يجعلنا نفصل شيئاً ما في تحليل خطاب بن غوريون ، لا لأن مقررات المؤتمر إنما تعتبر خلاصة لأرائه التي تضمنها خطابه فحسب ، وإنما أيضاً لأن ما ورد في الخطاب واضح ومعبر صريح ، وسيرد دائماً على السنة المدافعين عن الباطل الصهيوني ويكاد يتضمن جميع حججه . وفيما يلي أهم فقرات الخطاب وعنوانه : « اختبار المقدرة على التنفيذ » :^(١)

بن غوريون يرسم السياسة الجديدة :

بدأ بن غوريون خطابه بمقدمة قال فيها: دعونا نختبر مقدرة الصهيونية على تنفيذ هدفها . هذه الحرب العالمية التي اشتبك فيها كل الجنس البشري ، تضع جميع الشعوب والحضارات ، وجميع المؤسسات السياسية والمقاصد أمام تجربة قاسية للحياة . إن شعبنا تفرّد بالابادة النازية ، ولكن نعتقد بأننا سنخرج مظفرين ، وسنجيا كشعب ، وحينذاك سوف تواجه الصهيونية أقصى محنها : محنة التنفيذ .

وكرر بن غوريون نغمة امتلاك العرب لرقعة واسعة من الأرض ، فليس ثمة من مسألة عربية ، إذ لا يوجد شعب عربي بدون وطن ، وليس ثمة من هجرة عربية ، على عكس المسألة اليهودية . والعرب اذا كان لهم أن يشتكوا ، فانهم يشتكون من قلة سكان بلادهم أكثر مما يشتكون من الفاض^(٢) .

D Ben Gurion, op. cit., p. 113

(١)

(٢) استشهد بجعفر باشا العسكري الذي ذكر في بحث كتبه للجمعية الملكية لآسيا الوسطى - وكان رئيساً للوزارة العراقية يومذاك - ١٩٢٦ « أن مساحة البلد هي ١٥٠ ألف ميل مربع ، =

وزعم أن الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي في فلسطين لم يكونا على حساب العرب. وتابع مغالطاته فقال إنه لا يوجد عملياً أية صناعة عربية في ميادين التنمية الصناعية والبحرية. وحتى في الزراعة ؛ فنحن إما أشغلنا الأرض غير المزروعة ، أو ضاعفنا المحصول في الارض المزروعة بحيث ان نفس المساحة لا تنتج فقط لأجل المستوطنين الجدد ، وإنما تجعل في مقدور المستوطنين القدامى ان يعيشوا في مستوى أعلى من الحياة .

وانتقل بن غوريون الى نقطة مهمة فقال : « ان الهجرة الكثيفة والاستيطان على اوسع مدى مستطاع ، يمكن ان يتم دون أدنى حاجة لطرد السكان الحاليين ، . وأكد على نقطتين هامتين حول العلاقات بين العرب واليهود ؛ فقد أنكر بوضوح أن تكون السياسة الصهيونية قد تصورت نقل عرب فلسطين إلى الأراضي الأخرى. وقال: «في حين أنه من الصحيح أن العراق وسورية وبقاع واسعة من الأرض تعاني من نقص سكان ، وأنه بعد الحرب قد ترجو هذه البلدان العربية أن تقوي مركزها الاقتصادي والعسكري بتشجيع المستوطنين من عرب فلسطين ، فإن مثل هذه الهجرة الطوعية إنما هي مسألة عربية داخلية بحتة ، نحن نساعدنا إذا طلب منا العرب ذلك ، ولكن ليس بوسعنا ، ولا ينبغي لنا أن نتخذ أية مبادرة بشأنها . إنها ليست مطلب مسبق للاستيطان اليهودي الواسع المدى ، وتقتضي الضرورة والحكمة أن نضع خطط مستقبلنا لإعادة بناء فلسطين على افتراض أننا يجب أن نحسب ونقدر وجود حوالي المليون عربي ، مع حقوقهم ومطالبهم »^(١) . وقال بن غوريون ان الهجرة الواسعة والاستيطان على اوسع مدى، يمكن ان يتما دون أية حاجة

= أي حوالي ٣ مرات مساحة انكثرة وويلز ، في حين أن سكان البلد ثلاثة ملايين .. ان ما يريدته العراق قبل كل شيء آخر هو مزيد من السكان » . وقال بن غوريون معلقاً ان هذا المثل ينطبق أيضاً على سورية وشرق الاردن . وقال ان نقص السكان لا يشكل فقط عائقاً اقتصادياً ، وإنما يشكل أيضاً خطراً سياسياً جدياً ، كما تبرهن حالة الاسكندرون . ibid. p. 119

Ben Gurion, ibid, p. 120

(١)

ولو طفيغة إلى إزاحة السكان الحاليين . ومن جهة أخرى أكد على ضرورة مواجهة الحقيقة بأن العرب لن يوافقوا على برنامج الهجرة الواسعة . واستشهد بشهادة المفتي الحاج امين الحسيني أمام لجنة التحقيق الملكية (١٩٣٦) والتي صرح فيها بأنه لن يسمح بأية هجرة يهودية أخرى إلى فلسطين إذا استلم العرب زمام الأمر في البلاد . وحين سئل المفتي ما اذا كانت فلسطين تقوى على إدماج وهضم الاربعمائة ألف يهودي الذين كانوا سابقاً في البلاد^(١)، وأجاب كلا ! فسأله رئيس اللجنة : إذن لا بد من إخراج البعض منهم ، إما بلطف أو بعنف ، أجاب المفتي : لتترك ذلك للمستقبل . ويقتبس بن غوريون من تقرير اللجنة الملكية حول ذلك فيقول : يجب ان نتذكر التجربة المريرة للأشوريين في العراق ، برغم ضمانات حمايتهم في المعاهدة الانكليزية العراقية ، وعصبة الأمم^(٢) . وقال بن غوريون ان المسألة العربية تعني المعارضة السياسية العربية للهجرة اليهودية . وقال إنه لا يعتقد بأن الاستنارة أو المنافع العملية للشعب العربي سوف تخفف من معارضة للصهيونية . كذلك فإن الوطنية الثنائية bi - nationalism أو مبدأ المساواة parity بين جميع السكان يحل المشكلة . ولكن « اذا كان وجود دولة ذات وطنية ثنائية يعني ان جميع السكان في فلسطين ، يهوداً وعرباً على السواء ، يجب ان يتمتعوا بالمساواة التامة في الحقوق ، ليس فقط كأفراد ، ولكن أيضاً كقنات قومية ، وهي تعني حق النمو الحر للغتهم وثقافتهم ودينهم وما إلى ذلك ، فحينئذ من المؤكد أن لا يوجد واحد من اليهود ، بله الصهيونيين ، سيتردد في دعمها . ولكنني لست مقتنعاً تماماً بأن جميع العرب يوافقون على تلك المساواة ، إذا توفرت لهم

(١) العبارة التي وردت في سؤال رئيس لجنة التحقيق الملكية للمفتي هي : « الدين م فيما الآن »

لا « الذين كانوا سابقاً في البلاد » ، هنا تحريف من جانب بن غوريون .

Ben Gurion, *ibid.*, p. 121

(٢)

سلطة وضع الدستور^(١) . واستطرد بن غوريون يقول : « وآخرون يتقدمون (كحل) بالمساواة Parity ، أو يفسرون الدولة ذات الوطنية الثنائية لتعني المساواة ، بحيث أنه بغض النظر عن قوة اليهود أو العرب العددية ، فيجب أن يُمتثلوا على أساس المناصفة في جميع دوائر الحكومة الرئيسية التشريعية والتنفيذية » . وقال بن غوريون إنه كان واحداً ممن دافع عن مبدأ المساواة في ظل الانتداب البريطاني ، ولكنه يشك في كون نظام المساواة دوغما انتداب هو أمر عملي . ومرة أخرى فلا يوجد زعيم عربي يوافق على المبدأ سواء بالانتداب أو بدونه . « ولكن لنفرض أن المساواة في دولة ثنائية يمكن الأخذ بها ، ولنفرض أنه ليس فقط اليهود وإنما العرب أيضاً سيوافقون عليها ، فان ذلك لا يحل على الأقل المسألة الوحيدة ذات الأهمية : الهجرة اليهودية . إن مثل سويسرة حيث حلّ بشكل مرضي اختلاف قوميات متعددة ، ليس قابلاً للتطبيق في فلسطين . لأن الموضوع الأساسي ، وهو أصل جميع الاحتكاك ، ليس هو مسألة اليهود أو العرب الموجودين سابقاً في فلسطين ، وإنما هو مسألة القادمين اليهود الجدد . أوجب أن يكون ثمة هجرة يهودية أم لا ؟ هذا هو السؤال . ولا يعني حل جميع مشاكل فلسطين الأخرى شيئاً ، إذا لم يعط جواباً واضحاً وبسيطاً على هذا السؤال الكبير الحيوي .

« يجب مواجهة الحقائق : ليس من عربي يقبل بهجرة يهودية . إن موقفنا واضح . إن الهجرة اليهودية لفلسطين لا نحتاج الى موافقة . نحن نعود اليها كحق . ان التاريخ والقانون الدولي ، والحاجة التي لا تقاوم للحياة ، لا يمكن أن تدمر ، وهذه كلها جعلت من فلسطين الموطن الحق للشعب اليهودي . ان اليهودي ليس غريباً ، ليس دخيلاً ، ليس مهاجراً لفلسطين ؛ إنه في وطنه . التاريخ ، وعلائق التاريخ صلة لا تتحطم لآلاف السنين ، برغم

جميع التبدلات ، وبرغم الطرد أو الطرد ، قد جعلنا من فلسطين وطننا القريب .

ان وجود مليون من العرب في فلسطين ، يعتبرون أنفسهم أبناءها ، هي حقيقة تاريخية ، وسواء أحببنا ذلك أم لا . كذلك ثمة حقيقة تاريخية لا يجتهد العرب ، وهي أن فلسطين لأكثر من ثلاثة آلاف عام كانت وبقيت أرض اسرائيل بالنسبة لنا . وهذا ما صادق عليه القانون الدولي ، لأن الانتداب اعترف بوضوح بالصلة التاريخية ، بالعلاقة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين ، وبالأسس لإعادة تشكيل وطنه القومي . ولكن ثمة شيء أقوى ، حتى من القانون الدولي . وهو المعيشة ، الرغبة اليانسة لقوم ، العودة الى فلسطين بالنسبة لهم هي الطريق الوحيد لخلاصهم وحياتهم . ولن يمنع اليهود شيء من العودة الى أرض اسرائيل^(١) ... ولكل من لا يزال يشك في ذلك ، ينبغي أن تكون حكاية (باتريا وستروما) وكثير من السفن اخواتها ، برهاناً نهائياً له . إن معناه الواضح : إما فلسطين أو الموت . وحالما تنتهي هذه الحرب ، مئات من السفن مثلها سوف تبحر الى فلسطين .. ان العرب سوف يذعنون للهجرة اليهودية ، ويلائمون أنفسهم مع الحقيقة الجديدة حينما تصبح حقيقة قائمة . وأنتم تذكرون أنه بعد الحرب الأخيرة ، وافق بمشور العرب في مؤتمر الصلح عليها ، وقبلوا قرار الدول بتنفيذ (فلسطين اليهودية) جزءاً من برنامجهم عن مستقبل البلاد العربية^(٢) .

ibid, pp. 122 , 123

(١)

(٢) أشار بن غوريون الى اتفاقية فيصل مع وايزمن ، دون أن يلاحظ تغفطات فيصل وتعليقه كل ذلك على شرط حصول العرب على الاستقلال التام . وإلا فيجب أن لا يكون عندها مقيداً بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها .

ثم يتساءل بن غوريون ، بعد أن زعم أنه لم يكن ثمة معارضة عربية لوعده بل فور
ولفلسطين يهودية ، متى جرت هذه المعارضة إذن ولماذا؟! وهنا يتم الادارة البريطانية
الانتدائية ذات التقاليد الاستعمارية ، وأجهزتها « التي لم تكن تمتلك لا الفهم ولا الرؤيا
والعاطفة ، ولا المقدرة لتنفيذ ما اعترف بأنه عمل معقد وصعب من أعمال إعادة التجميع
والتوطين » . ولا يستثنى الزعماء العرب من الاتهام ، فيقول ان بعضهم لم يبسطوا في ادراك
التردد الشبه متعاطف معهم في التنفيذ من جانب الادارة الانتدائية البريطانية ، معتقدين أن
القرار ربما لم يكن جدياً ، ويمكن إسقاطه بسهولة . واستند بن غوريون إلى قول اللجنة
الملكية بعدم قابلية العمل بالانتداب ، فيذكر ان فشل الانتداب لا يعزى الى كونه
بريطانياً ، وإنما لأن الادارة الانتدائية كانت مشكلة من أجهزة مدربة على ادارة الشعوب
المختلفة ، ومعتمدة على التعامل مع القبائل البدائية ، حيث كان واجبها الرئيسي هو الحفاظ
على النظام القائم ما أمكن » . وبعد لفتة الناكر لجيل بريطانيا العريض عليه وعلى الصهيونية
في فلسطين ، يضي بن غوريون ليمتدح طبيعة الجماعة اليهودية في فلسطين بأسلوب حالم ألفناه
فما سبق من خطابه : « أما في فلسطين فقد ألفت مجتمعاً يهودياً راقياً وتقدمياً ، وحالة
متحركة تتطلب المبادرة الدائمة والجد الدائب والفعالية الخلاقة » . ويغمز من قناة العرب :
« وانها فقط لطبيعة بشرية ان يشعر الموظفون في الادارة ببسر أكثر أثناء تعاملهم
مع العرب^(١) » .

وهنا يصل بن غوريون الى بيت القصيد من حيث ضرورة استلام اليهود لشؤونهم ضمن
دولة أو كومنولث يهودي ، فيقول : « ان الاستيطان الكثيف على مستوى واسع ، سيكون
ضرورياً لحد حاجات الهجرة اليهودية ما بعد الحرب . ويتطلب طرحاً ضخماً لرأس المال

من مصادر حكومية . ان القوانين الأساسية في البلاد ، ونظم الأراضي والمياه ، واصلاح
أوضاع العمال ، والقوانين التجارية والمالية ، يجب أن تغتير لتتلاءم مع الاستيطان السريع ،
والسرعة في بناء الصناعات ، ونمو المدينة والقرية . ويجب أن توجه ، لا القوانين فقط ، وإنما
ادارتها اليومية بموجب هذا الهدف الآتي .

« إن ادارة يهودية فقط هي القادرة على ذلك ؛ ادارة تعرف حاجات وأغراض
المستوطنين اليهود ، وهي مجتدة قليلاً لبناء البلد . ان الهجرة بحجم كبير سينجم عنها ، في
المستقبل غير البعيد ، غالبية يهودية متعاظمة ، وقيام كومونولث يهودي مستقل .

« ان نظرة على أحداث السنوات السابقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار مطالبنا في الفترة التي
تلي هذه الحرب مباشرة ، تثبت استنتاجنا الأول ، وهو أن الانتداب يجب ان يُعهد به الى
الشعب اليهودي ، لا الى غيره . ولا أعني الانتداب الشكلي لعام ١٩٢٢ ان نظام
الانتدابات بأكمله يمكن أن يمضي ؛ أنا أعني مسؤولية السلطة الحكومية وضرورتها لإعادة
بناء البلد وضمنان إعادة اليهود اليه . وللبداء : ستكون شؤون الهجرة والتوطين من مسؤولية
الوكالة اليهودية ، عن الشعب اليهودي بكامله . ومن المبكر التخطيط تفصيلاً لتكوين
فلسطين ما بعد الحرب . ومع ذلك فمن الممكن وضع المبادئ الأساسية لتوجيهنا الخاص ،
وللعمل السياسي الحالي للصهيونية ، أن نربي اليهود ، وأن نوجه الرأي العام عموماً ، نحو حل
صهوني للمسألة اليهودية ولمسألة فلسطين .

وهذه المبادئ ثلاثة ، هي :

١ - تأكيد الغرض الأصلي من وعد بلفور والانتداب ، باعادة فلسطين ككومونولث
يهودي ، كما أوضح ذلك رئيس الولايات المتحدة في ٣ آذار ١٩١٩ .

٢ - الوكالة اليهودية كوصية على المهاجرين والمستوطنين ، بحيث يجب أن يكون لها

الإشراف الكامل على الهجرة ، مع سلطة ليس أقلها التنمية والبناء في الأراضي الشاغرة وغير المزروعة .

٣ - مساواة تامة ، مدنية وسياسية ودينية لجميع سكان فلسطين . وحكم ذاتي في جميع الشؤون البلدية ، واستقلال ذاتي للمجتمعات اليهودية والعربية في تصريف شؤونها الداخلية والثقافية والدينية وما إليها .

وطرق بن غوريون أخيراً موضوع علاقات فلسطين « اليهودية » بوحدة سياسية أكثر شمولاً ، فقال ان بقاء فلسطين منفصلة ، أو متحدة مع وحدة سياسية أكبر - اتحاد الشرق الأوسط ، جزءاً من الكومنولث البريطاني ، جزءاً من اتحاد انكلو - امريكي ، أو جزءاً من جامعة دولية أوسع ، سوف يتوقف على الأشكال السياسية للعالم فيما بعد الحرب^(١) .

وصرح بن غوريون خلال خطابه أن اليهود قد جنّدوا (حتى أيار ١٩٤٢) ١٢٥٠٠ رجل وامرأة في الخدمات العسكرية^(٢) ، واكتب الصندوق القومي اليهودي ١٣٣ ألف دوغم من الأرض خلال فترة الحرب . وأقيمت ثلثي عشرة مستعمرة . واعترف أنه برغم مآسي الحرب فقد دخل عشرات الألوف من اللاجئين اليهود فلسطين منذ ابول ١٩٣٩ .

وايزمن وبين غوريون - وسائل متباينة وغايات واحدة :

وقع خلاف بين وايزمن وبين غوريون حول الخطط الواجب اتباعها لبلوغ الهدف . ولم يكن الرجلان دائماً على وفاق في سياستها ؛ فبينما كان وايزمن ينادي بسياسة مواصلة المفاوضات المتأنية مع الحكومة البريطانية لملمها على تشكيل الجيش اليهودي ، ومع زعماء

(١) ibid., pp. 127-128

(٢) قال بن غوريون ان عددم سيصل في نهاية الحرب إلى ٣٣ ألفاً . ibid p. 130

بريطانيا والولايات المتحدة لمعلمهم على العدول عن الكتاب الابيض ، كان بن غوريون يريد إثارة الرأي العام الأمريكي لمخه على تأييد تبديل سريع ونوري في السياسة الفلسطينية ، يرغم بريطانيا على الخضوع والاذعان . وبينما كان وايزمن لا يزال يفكر بمجدوى البناء التدريجي الصهيوني البطيء ، ويرى أن من الحق المجازفة بمقاطعة بريطانيا في الوقت الذي يفاوضها على انشاء الجيش اليهودي ، كان بن غوريون يرى ان الطريقة الوحيدة لكسب تأييد الولايات المتحدة تكون في طرح المشاريع الضخمة المتميزة بالبسطة والإثارة .

ويبدو من نتائج المؤتمر وسياقه أن بن غوريون قرر أن يستغل المؤتمر لتحديد مثل هذا البرنامج الانقلابي الذي يراه ضروريا لتحقيق أهدافه . واستخدم لذلك مقالا لوايزمن نشر في نيويورك قبل اربعة شهور بعنوان « دور فلسطين في حل المسألة اليهودية » . وردد فيه وايزمن يومذاك البيانات المألوفة الصادرة عن زعماء الصهيونية ، والداعية الى اقامة الدولة اليهودية . وذكر أن من الواجب اعلان السياسة الجديدة على العرب من حيث ان اليهود سيسيطرون على مقدرات هجرتهم بأنفسهم وسيقيمون دولتهم الخاصة بهم .

واستخدم بن غوريون مقال وايزمن في وضعه لمشروع قرار بلمتور ، وإن صاغه بعبارة أكثر تطرفاً . وطالب بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وان تخول الوكالة اليهودية السيطرة على الهجرة وعلى تطوير البلاد ، التي ستصبح كومنولث يهودي كجزء من نظام العالم الديمقراطي الجديد . وقد أقر هذا القرار دون معارضة تذكر ، وان لم يمثل نصراً واضحاً . فقد رفضت اللجنة اليهودية الأمريكية ذات النفوذ ، الاشتراك في المؤتمر (١) ،

(١) يذكر سايكس في كتابه « مفارقات الطرق إلى اسرائيل » . النسخة الانكليزية ص ٢٨٢ ان هذا الموقف كان نتيجة قطيعة متوقعة بين بروسكور وبن غوريون في السنة الماضية ، حين استاء بروسكور من إلحاف بن غوريون عليه لاستخدام نفوذ اللجنة (A.I.C.) في حل امريكا على الخروج عن حيادها ودخول الحرب .

فضلاً عن أن وفد حزب الماباي الفلسطيني امتنع عن الاقتراع . وقد استاء وايزمن من استغلال مقاله واستخدامه أساساً في قرار المؤتمر . وقال فيما بعد ، انه لم يقصد من المقال حين نشره أن يمثل حركة سياسية فعلية ، وانما كتعبير عن الأهداف الصهيونية النهائية التي يجب ترديدها بين آونة وأخرى لتظل حية في عقول أتباعه . وأعرب عن اعتقاده في أن خطوة بن غوريون المنهورة قد تحقق استثارة صهيوني نيويورك ، ولكنها ستحطم حتماً المفاوضات الدقيقة التي كان يتابعها مع الحكومة البريطانية^(١) .

وقد وصف كيرك في كتابه الخلاف بين الرجلين ، فنت بن غوريون بأنه (لويد جورج اليسوف)^(٢) وأنه المؤيد للديمقراطية الصهيونية ، أما وايزمن فكان بعيداً عن الديمقراطية . وكان بن غوريون ينادي بدرجة كبيرة وفعالة عن المسؤولية الجماعية في جميع مراحل المفاوضات خلافاً لأسلوب وايزمن الذي كان يحاول ان يفرض نفوذه في أحاديته الشخصية مع زعماء بريطانيا السياسيين الذين يشاركونهم في الثقافة والذوق والتقاليد الأرستوقراطية . في حين بن غوريون كان يميل الى الزعامة الجماهيرية ، ويكون في أحسن أوضاعه عندما يستخدم قدرته الخطابية في التحدث الى الجماهير ، وهو ما كان يأنف منه وايزمن ويزدربه . وقد وصل حدّ الخلاف بينها لدرجة تبادل الرسائل العنيفة بعد المؤتمر .

ولم يكن ليهود فلسطين ، خارج نطاق الوكالة اليهودية والمجلس الملي ، أن يعرفوا حقيقة ما دار في بليمور ، سوى أن هذا المؤتمر حدّد هدف اليهود في قيام الدولة . ولم يكن لهم حاجة للافتراض بأن وايزمن لم يبادر إلى تحقيق هذا الهدف مع بن غوريون وغيره .

Sykes, op. cit., p. 238

(١)

Kirk op. cit., p. 246(٢) نعي باليشوف yishuv دائماً الجماعة اليهودية في فلسطين .

وبينا عاد بن غوريون الى فلسطين بعد المؤتمر لضمان مصادقة الجماعات اليهودية على مقرراته ،
انجه وايزمن إلى لندن .

ولنعد إلى مؤتمر بلتيمور بعد هذا الاستطراد عن سياسة زعيمى الصهيونية ، ولنكرر
أنه ساد شعور بين زعماء الصهيونية الأمريكيين بأن ثمة عصراً جديداً قد استهل ، وأنه يتوجب
بهذا الاعتبار ، إعادة رسم خطط الصهيونية السياسية . وكان المتكلمون مجتمعين على زيادة دعم
الهدف الصهيوني ، ووجوب تعريفه بوضوح وصراحة . وكان الاتجاه في المؤتمر نحو التخلي
عن جميع الخطط للتسوية وأنصاف الحلول ، أي التقسيم في ظل الانتداب أو الدولة ثنائية
الوطنية ؛ وبدلاً من ذلك توجه الحضور نحو تنفيذ كامل لبرنامج بال . وقد ترجم ذلك أنه
يعني وجوب إقامة فلسطين ككومنولث يهودي لا ينفصل عن العالم الديمقراطي الجديد .
وقد وجد الاختلاف في وجهات النظر سيئه الى بعض النقط : ما اذا كان يجب إقامة
الكومنولث بشكل انتقالي حالما تضع الحرب أوزارها . أو أنه سينمو حسب تطوره وفي
الوقت المناسب ، وما هي السلطة الواجب تحويلها للوكالة اليهودية . وما هي درجة وشكل
الاشراف الدولي الذي يمكن القبول به . ولكن كان ثمة إجماع على أهداف أساسية : ان
الهجرة الواسعة الى فلسطين يجب الالاحاح عليها حتى يصبح اليهود أكثرية في فلسطين في
أقرب وقت ممكن . وهذا يتطلب إعطاء الوكالة اليهودية اشرافاً على الهجرة ، مع ما يلزم من
السلطات من أجل التنمية الاقتصادية للبلاد . وان مبادئ الديموقراطية ينبغي أن تكون
الأساس . وذلك يتضمن ان يعترف الكومنولث اليهودي بالسلطة الدولية من ناحية ، ومن
ناحية أخرى أن يعترف بالمساواة الكاملة لجميع الناس في فلسطين بغض النظر عن الجنس أو
الدين وما إليها . إن وجهات نظر المؤتمر الصهيوني الاستثنائي قد صيغت في عدد من المقررات
اتفق عليها في ١١ أيار ١٩٤٣ وأصبحت تعرف باسم برنامج بلتيمور ، وهي تنطوي على الحطة
الأساسية للسياسة الصهيونية الجديدة ، وهي :

١ - إن الصهيونيين الامريكين المجتمعين في هذا المؤتمر الاستثنائي ، يؤكدون من جديد ولاهم لقضة الحرية والعدالة الدولية . وشعب الولايات المتحدة ، متحالفاً مع بقية الأمم المتحدة ، قد نذر نفسه وعبر عن إيمانه في نصر الانسانية والعدالة نهائياً على الباطل والقوة الغاشمة .

٢ - إن هذا المؤتمر يقدم رسالة الأمل والتشجيع لإخوانه اليهود في الغيتو وفي معسكرات التجميع القائمة في اوربا التي يسيطر عليها هتلر ، ويرجون أن لا تكون ساعة تحريرهم بعيدة .

٣ - إن المؤتمر يبعث بأحر نحياته إلى تنفيذة الوكالة اليهودية في القدس ، وإلى المجلس الملي اليهودي ، وإلى جميع (اليشوف) في فلسطين ، ويعبر عن إعجابهم العميق بشيائهم ومنجزاتهم في وجه الموت والمصاعب العظيمة . ان الرجال اليهود والنساء في الحقل والمعمل ، وآلاف الجنود اليهود من فلسطين والشرق الأدنى ، الذين أوفوا بعهدهم بشرف وامتياز في اليونان واثيوبيا وسورية وليبيا ، وساحات المعارك الاخرى ، قد برهنوا أنهم جديرون بشعبهم ومستعدون لأخذ حقوق ومسؤوليات الأمة على عاتقهم .

٤ - في جيلنا ، وخاصة في خلال السنوات العشرين الأخيرة ، صفا الشعب اليهودي ، وحوّل موطنه القديم (!) من بلد يسكنه خمسون ألفاً في نهاية الحرب الأخيرة ، إلى بلد يضم الآن أكثر من خمسمائة ألفاً^(١) . وقد جعلوا مستوطناتهم المهمة تحمل النار وأحالوا الصهارى إلى أزهار . إن منجزاتهم الرائدة في الزراعة والصناعة تجسد الناذج الجديدة والمسامي المتعاونة ، وقد كتبت صفحة نبيلة في تاريخ الاستيطان .

(١) من الأمور ذات الدلالة هنا أن عدد الشعب العربي قد أهل ذكره تماماً . فكأن فلسطين كان لا يسكنها سوى خمسين ألفاً من اليهود ، فأصبحت خمسمائة ألف ، تماماً كما يفعل دعاة التفرقة العنصرية البيض في جنوب افريقيا .

٥ - وقد شارك جيرانهم العرب في فلسطين في هذه القيم الجديدة التي أوجدها اليهود، وان الشعب اليهودي في مسعاه الخاص لـخلاصه القومي، يرحب بتطور الشعوب العربية وحكوماتها في الميادين الاقتصادية والزراعية والقومية. ان المؤتمر يعيد تأكيد موقفه الذي تبنته سابقاً مؤتمرات منظمة الصهيونية العالمية، ويعبر عن استعداده ورغبة الشعب اليهودي للتعاون التام مع الجيران العرب.

٦ - إن المؤتمر يدعو لتحقيق المقصد الأصلي من تصريح بلفور وصك الانتداب الذي «يعترف بالصلة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين»، والذي بهيئته له الفرصة، كما وضحه الرئيس ويلسون، لتأسيس كومنولث يهودي هناك.

ان المؤتمر يؤكد رفضه الثابت للكتاب الابيض الصادر في أيار ١٩٣٩، كما ينكر شرعيته الأخلاقية والقانونية. ان الكتاب الأبيض يهدف الى تحديد، وفي الواقع الى الغاء، الحقوق اليهودية في الهجرة والاستيطان بفلسطين. وكما بين المستر ونستون تشرشل في مجلس العموم (أيار ١٩٣٩)، «بشكل خرقاً ورفضاً لتصريح بلفور». ان سياسة الكتاب الابيض هي سياسة قاسية، ولا يمكن الدفاع عنها في انكارها ايواء اليهود الفارين من الاضطهاد النازي. وفي حين أصبحت فلسطين نقطة مركزية في جبهة الحرب للأمم المتحالفة، وفي وقت ينبغي على اليهودية في فلسطين ان تقدم جميع الطاقات البشرية المتوفرة من أجل المزرعة والمصنع والمعسكر، تشبكت اليهودية في صراع مباشر مع مصالح المجهود الحربي الحليف.

٧ - وفي الكفاح ضد قوى العدوان والطغيان التي كان اليهود أول ضحاياها، والتي تهدد حالياً الوطن القومي اليهودي، يجب الآن ان يُعترف بحق يهود فلسطين في القيام بدورهم الكامل في المجهود الحربي وفي الدفاع عن بلدهم، بواسطة قوة يهودية، تحارب تحت علمها الخاص، وتحت القيادة العليا للأمم المتحالفة.

٨ - يعلن المؤتمر أن نظام العالم الجديد الذي سوف يبلي النصر ، لا يمكن انشاؤه على أسس السلام والعدالة والمساواة ما لم تحلّ نهائياً مسألة التشرّد اليهودي . (هنا تلميح الى أن الحل الصهيوني هو الحل الوحيد) .

ان المؤتمر بحث على فتح أبواب فلسطين ، وأن نخوّل الوكالة اليهودية سلطة الاشراف على الهجرة إلى فلسطين ، والسلطة اللازمة للنهوض بالبلاد ، بما في ذلك تنمية الأراضي غير المأهولة وغير المزروعة ، (معطياً تلك الوكالة ، بذلك ، سلطة أساسية من سلطات الحكومة ذات السيادة) ، وأن تصبح فلسطين كومنولث يهودي ، داخل ضمن اطار العالم الديمقراطي الجديد ، وعندئذ فقط يُصحّح الخطأ القديم المرتكب بحق الشعب اليهودي^(١) .

(١) انظر مقررات بلمتور في المجلة الصهيونية

Zionist Review, 22 May, 1912. quoted in Esco, op. cit., II, pp 1084 - 1085

وقد صرح ناحوم غولدمان ، العضو الامريكى في تنفيذية الوكالة اليهودية ، بعد أربع سنوات ، أن برنامج بلمتور قد رتب على اساس الافتراض بأن ملايين اليهود سوف ينقلون الى فلسطين بعد الحرب مباشرة .
Zionist Review, 20 Dec . 1916 . p. 6

الفصل الرابع عشر

فلسطين والحرب العالمية الثانية (٢)

المساعي الصهيونية الهادفة في امريكا

الجهود المستمينة لربط اليهودية الامريكية بالصهيونية :

تمهيد: كان لا بدّ لنجاح السياسة الصهيونية الجديدة من حشد قوى الجماعات اليهودية وراء برنامج بلتيمور ، في كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفلسطين . وفيما يلي سنعرض للجهود الصهيونية في الولايات المتحدة :

لما كانت السياسة الصهيونية الجديدة التي تمتأت ببرنامج بلتيمور أكثر تطرفاً من السياسة المتدرجة المناهية بالحفاظ على الوطن القومي ، فإنه كان يتوجب على هذه السياسة الارهابية الجديدة أن تكون على حذر في تعاملها مع الجماعات اليهودية غير الصهيونية المشتركة في الوكالة اليهودية . ذلك أنه حين أعلنت سياسة بلتيمور ، علت بالاحتجاج أصوات كثيرة من الجماعات اليهودية في بلاد الغرب . وعلى الرغم من أن تحويل الوكالة اليهودية الى الحطط الصهيونية لم يكن ذا مغزى ، لأن المنظمة الصهيونية ظلت متحكمة بالوكالة ، فإنه يبقى محرجاً ان يسود الشقاق في هيئة يستعملها الصهاينة لاجتذاب يهود العالم واكتساب دعمهم للبرنامج الصهيوني الجديد . ومن هنا حرص الصهيونية على تأكيد وضعها بأنها تتحدث باسم يهود العالم ، وترفض أي تمييز بين الصهيونية واليهودية . وفي الوقت الذي اندججت فيه

الوكالة اليهودية بالمنظمة الصهيونية ، لان مجلس الطوارئ، الامريكى الصهيونى، وهو آنذاك يمثل الأحزاب الصهيونية الأربعة (المنظمة الصهيونية لأمريكا، وهاداسا ، وجناحي العمال الصهيونيين ، ومزراحي) ، يدعو لبلورة السياسة الجديدة في مؤتمر بلمتور ، ثم يسعى جاهداً لتركيز القيادة الصهيونية على الولايات المتحدة ، بعد أن يهد الطريق لنقل مركز الصهيونية من بريطانيا الى أمريكا ، كما يكون في مقدور الصهيونية أن تحقق أهدافها في انشاء الدولة اليهودية .

تطلع الصهاينة الى الولايات المتحدة مدفوعين بعاملين اثنين : اولهما تحقيقهم من ان سياستهم مع بريطانيا ترتطم بصخرة الكتاب الأبيض ، وان استمالة الولايات المتحدة مفيدة للضغط على بريطانيا ، لا سيما وان الولايات المتحدة في المرحلة الأولى من الحرب كانت لا تزال مجرد حليف منتظر ، وكانت لندن تحرص أشد الحرص على دوام الانسجام التام في علاقاتها مع واشنطن . والعامل الثاني في التطلع الصهيونى نحو الولايات المتحدة هو الرغبة في احلالها محل بريطانيا في نطاق المسعى الدائب للبحث عن مساندة (الأمم الأخرى) . فضلاً عن أنه ليس بدّ من صدام الصهيونية مع بريطانيا ، فإن دولة وشبكة القيام في فلسطين بعد الحرب ، يعني صراعاً مع البريطانيين ، لأن قيام الدولة اليهودية لا يعني سوى نهاية الانتداب ، وبديهي أن يتركز الجهود الصهيونى الضخم حول هدف (صهيئة) اليهودية الأمريكية أولاً وقبل كل شيء . فمن المعلوم أن اليهود الامريكىين دعاة (اندماج وتمثل) بالوراثة^(١) ؛ وحتى في عام ١٩٤٣ ، فإن نسبة اليهود الصهيونيين في الولايات المتحدة الى مجموع اليهود الامريكىين كان أقل من خمسة بالمائة^(٢) . وقد أوجد هذا الوضع المخرج مشكلة

Alfred, M. Lilienthal . What Price Israel . Chicago, 1953, (١)
p. 18, from American Jewish Year Book 1943.

(٢) ibid. في عام ١٩٤٣ كان ثمة ٥٩ ألفاً مسجلين كصهاينة في الولايات المتحدة .

خطيرة لدى الصهاينة ، فنودي بتحقيق النقطة الثالثة من برنامج هرتسل - ايجاد مساندة يهودية . وإزاء هذا التحدي سارعت تنفيذية فلسطين الى ارسال موظفي دعاية عرفوا بامم (شيليجيم) الى الأوساط اليهودية في الولايات المتحدة بغية اقناعها بأن التوجيه الجديد للصهيونية السياسية يشمل على الحل الوحيد للأزمة التي تواجه اليهودية العالمية . وسنرى أن المحور العقائدي الذي تدور عليه حجج الصهاينة هو حاجة يهود أوروبا المظلومين الى ملجأ . والحقيقة أن هذا الملجأ المطلوب لم يكن أكبر مهمتهم ، وإنما استغلوا ما أساعوه من الحاجة القصوى اليه ، لتفسير مطالبهم بإنشاء الدولة اليهودية ، عن طريق الربط المغرض بين أزمة يهود أوروبا، و ايجاد ملجأ لهم في صورة دولة يهودية تقوم في فلسطين . وقد رأينا سابقاً ، وسنرى لاحقاً في فترة ما بعد الحرب ، أن الصهاينة سيرفضون دعم خطط تزويد اللاجئين اليهود بملجأ في (الشتات والمنفى) .

لقد اتبعت الصهيونية السياسية أساليب شيطانية في سبيل (صهيئة) الجماعات اليهودية الامريكية بغية السيطرة عليها وربطها بعجلتها والكلام باسمها . ولنكرر هنا أن اجتماع النباهة الصهيونية ، وبراعة التكنيك السرطاني الذي مارسته ، مقرونأ بالجهل العام لحفايا سياستها لدى المسيحيين الأمريكيين ، أفضى الى خلق دعم خطير الشائت لدى (الأمم الأخرى) للصهيونية . وفي التركيز الذي وضعه الصهاينة على الولايات المتحدة ، ساروا في مساري ثلاثة بوقت واحد لضمان نجاح خططهم : اتجهوا لاكتساب الرأي العام الأمريكي الشعبي ، ولاكتساب الكونغرس ، ولاكتساب الحكومة .

وكانت طبيعة الأمور ومنطقها يقضيان قبل كل شيء بأن نحشد الصهيونية يهود أمريكا وراء برنامج بلتيمور ، حتى اذا اطمانت الى « وحدة » الجبهة اليهودية الأمريكية ، تطلعت بعد ذلك الى كسب الجمهور الأمريكي غير اليهودي ، ممثلاً في الشعب والكونغرس

والحكومة ، فماذا أعدت وكيف نجحت في حشد مختلف الاجنحة اليهودية الامريكية تحت رايتها ؟

سعت الصهيونية لعقد مؤتمر يهودي أمريكي لتوحيد المنظمات اليهودية الأمريكية في صف واحد وراء برنامج بليتمور . وقد بدأت مساعيا منذ مطلع عام ١٩٣٣ بدعوة وجهها هنري مونسكي رئيس منظمة بني ييرث^(١) Bnai Brith ، إلى ٣٤ جماعة يهودية لانتخاب مندوبها وحضور المؤتمر اليهودي المزمع عقده، بغية التداول بشأن وضع اليهود بعد الحرب وبناء فلسطين يهودية . ونشرت جريدة (فلسطين الجديدة - New Palestine) لسان حال الصهيونية الامريكية تعليقات صريحة إلى قرائها حول أفضل الوسائل لضمان النصر في الاقتراع . وأندر الحاخام اسرائيل غولدشتين Goldstein بأنه لايجوز تقدير المرشحين إلا على أساس سجلهم الصهيوني . وبفضل التنظيم والاعداد الصهيونيين نجحت الانتخابات عن نصر باهر لأعضاء المنظمة الصهيونية الأمريكية ، إذ فازوا بـ ٢٤٠ منتخبا من أصل ٣٧٩ . وظهر من تشكيل الجهاز التنظيمي للمؤتمر أن تعيين اللجان وتحديد أوقات الكلام كان بيد الصهيونيين ؛ وقد أدى هذا الجهاز خدمات جلي لهم ، إذ لم يعترف بالأعضاء (المستقلين) إلا على أساس انتمائهم الى (كتلة) ، وبذلك لم يبق سوى كتلة واحدة غير صهيونية ، وسيطرت الاحزاب الصهيونية الرسمية وحلقاؤها ، من صفوف الفئات المحافظة والدينية المتعصبة ، مع جماعة بني ييرث المنقادة للصهيونية ، والمؤتمر اليهودي الامريكي على أربعة أخماس عدد المقترعين^(٢) . وانعقد المؤتمر في نيويورك ما بين ٢٩ ايلول - ٢ تشرين

(١) أي أبناء الميثاق بالعبرية ، من مسعاهم لعقد ميثاق مع العرب بقصد المعيشة معاً في دولة ثنائية الوطنية - هكذا كانوا يزعمون . ورئيس المنظمة اسمه هنري مونسكي Monsky من يهود اوربا الشرقية ، وكان هواه وتفكيره مع الصهيونية .

(٢) Stevens, R.B. •American Zionism & U. S. Foreign Policy• (٢)
(19١2 - 47) N. Y. 1962 p. 10

الاول ١٩٤٣ بحضور الأعضاء المنتخبين لـ ٦٥ منظمة يهودية ، بما فيها اللجنة اليهودية الامريكية ذات النفوذ . ورفض عدد من الجماعات اليهودية حضور المؤتمر ومنهم المنظمة الاصلاحية الصهيونية الجديدة ، والأغودات اسرائيل ، واتحاد الحاخامين اليهود . وقد أيد رئيس اللجنة اليهودية الامريكية القاضي جوزيف بروسكاور Proskauer قراراً باستمرار الهجرة الى فلسطين ولكن دون المطالبة بدولة يهودية . وعندما قرر المؤتمر تبني برنامج بلمتور بما فيه اطلاق حرية الهجرة ، حذر بروسكاور المؤتمر من أن طريقة المطالبة بكل شيء من أجل الحصول على بعض الشيء هي طريقة خطيرة جداً^(١) . وقال ان جميع اعداء اليهودية يرتقبون تأكيد هذه المطالب القصوى ، كما تشتد معارضتهم لبناء فلسطين نفسها بناءً شرعياً . ثم جرى التصويت على برنامج بلمتور ففاز بأغلبية ٧٤٨ صوتاً ضد ٤ أصوات وامتناع ١٩ .

وتعتبر نتيجة هذا المؤتمر نصراً مهماً للصهيونية في مسعاها لربط اليهودية الامريكية بعجلتها ، وصار بوسع الصهيونية ان تزعم أنها تمثل الأغلبية الساحقة من اليهودية الامريكية ، وعلى الرغم من نقد الطريقة التي تم بها تشكيل المؤتمر ، والتي لا تبرر دعوى الصهيونية بأن الغالية تؤيد إنشاء الدولة اليهودية ، فان المؤتمر ظل يتمسك بالقول بأنه يمثل رغبة الأكتورية . وتذكر الدراسة الجادة ان عدداً كبيراً من اليهود الامريكيين لم يفلحوا باتخاذ موقف من فلسطين ، ولم يستطع المؤتمر ان يتحدث بالنيابة عنهم . وطريقة اعطاء الكلام للمتحدثين في المؤتمر نظمت بدقة بحيث لم يستمع إلا لصوت الكتل والجماعات المنظمة . وبدافع الحاخام يهوشوع تراكتنبرغ Joshua Tractenberg عن هذه الطريقة التي اتبعت لسماح كلمات

Samuel Halperin « the Political World of American (١)
Zionism », Detroit 1961. p. 238

المندوبين في المؤتمر بقوله « إن المؤتمر لم يُعقد منه قط ان يكون ممثلاً للطائفة اليهودية الامريكية ، إذ أن المندوبين لم يكونوا مسؤولين أمام أمة طائفة ، بل كانوا مضطرين لتمثيل مصالح المنظمات » وقال أيضاً : « إن أولئك المندوبين المنتخبين على أساس الطائفة بأسرها كانوا كالأغنام الضالة ، إذ لم يكن لهم أي صوت إلا بواسطة كتل المنظمات^(١) . »

وينبغي للباحث أن لا تفوته الإشارة - في هذا الصدد - إلى ضغط الظروف القائمة في العالم يومذاك ، والتي كان أهمها بالنسبة لليهودية الامريكية أزمة يهود أوروبا فقد تركزت أثراً خطيراً على توجيه سياسة المنظمات اليهودية الامريكية ، بحيث انتقاد معظمها إلى الحل الصهيوني الذي أشار الى فلسطين كملجأ لا يحصى عنه لإبواء يهود أوروبا . ومن هنا لم يكن في مقدور أية جماعة يهودية ترغب في الاحتفاظ بمكانتها أن تخرج عن نطاق هذا الربط الدعائي المهادف بين أزمة اللاجئين اليهود وفلسطين ، خشية أن تتم بعدم الحرص على استنقاذ اللاجئين . ولولا سيف ديموقليس هذا الذي شهره التكنيك الصهيوني البارع ، لما أمكن التغلب على المعارضة اليهودية^(٢) .

وكمثال على استغلال الجهل العام بالقضية الفلسطينية ، ما تضمنه بيان المؤتمر عن فلسطين ، حين دعا « لتنفيذ تصريح بلفور وحك الانتداب الذي نهض المقصد منه على الصلة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين ، ولإعادة انشاء فلسطين ككومنولث يهودي^(٣) » .

وبطبيعة الحال كانت الخطط الصهيونية تشير دائماً إلى أن هذا « المقصد » من وعد بلفور

Stevens, op. cit, p. 11 (١)

Halperin, op. cit, p. 250 (٢)

Esco, op. cit., II, pp. 1088-89 (٣)

وصك الانتداب إنما يعني ايجاد دولة يهودية . مع أن ذلك في الحقيقة (مقصد) الصهيونية لا (مقصد) تصريح بلفور ، الذي حمى الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحمى كذلك مركز اليهود في البلدان الاخرى بفضل مساعي اليهود غير الصهيونيين في أوروبا وأمريكا آنذاك ، وبفضل هؤلاء أيضاً سميت الوكالة اليهودية لا الصهيونية ، وقد رضخ الصهاينة يومذاك بغية استالة اليهود في بريطانيا وامريكا تدريجياً إلى الحل الصهيوني النهائي . وبقية المقاطع الأساسية في بيان المؤتمر عن فلسطين لا تخرج عن خطوط برنامج بلتنور مطلقاً ، وهو البرنامج الذي جرى التصويت عليه وإقراره قبل اصدار بيان المؤتمر .

أما المنظمات التي امتنعت عن التصويت فاعتذرت بتباين آراء أعضائها حول مسألة فلسطين . فهناك مثلاً (هاشومير هاتساير) أي الحارس الشاب ، وضجت انشقاقها عن مشروع الكومنولث في ضوء وضعها العام الذي يؤيد الهجرة الواسعة ، ويدافع عن مبدأ الدولة ذات القومية الثنائية . أما المجلس القومي للنساء اليهوديات فقد أعلن أن برنامجه لا يتضمن موضوع الصهيونية ، وان اعضاءه يختلفون كثيراً حول هذا الموضوع ، ولكن المجلس حض على إلغاء الكتاب الأبيض ، وأيد الهجرة غير المحدودة ومتابعة تعمير الأراضي ، بحسب روح تصريح بلفور . واللجنة اليهودية للعمل ذكرت أن عدم وجود اجماع بين أعضائها يجعلها لا تتخذ موقفاً من الحالة الدستورية النهائية لفلسطين ، ولكنها حذت حذو سابقتها بصدد الكتاب الابيض والهجرة والاعمار . وقد اتخذت الجماعات اليهودية المنشقة عن المؤتمر قرار مهاجمة الكتاب الأبيض بقصد إزالة سمة عداة الصهيونية عنها ، والتي ألصقها بها الصهاينة . وأظهرت البيانات التي أعلنها بروسكاور رئيس اللجنة اليهودية الامريكية فيما بعد ، رغبة متزايدة في اجتناب ما هو واقع من نزاع مع الصهيونية .

ويبدو أن أهم نقد لبيان المؤتمر اليهودي الامريكي ، صدر عن هذه اللجنة اليهودية الأمريكية ، التي صوتت ممثلوها ضد بيان فلسطين في المؤتمر ، فقد كان لها نشاط واسع في

الميدان الاسعافي والاجتماعي اليهودي برغم قلة أعضائها،^(١) وقدمت في الماضي جزءاً كبيراً من عضوية اللاصهيونيين في الوكالة اليهودية . وقد صرحت اللجنة عن موقفها في اجتماعها السنوي (١ شباط ١٩٤٣) إذ اعترفت في بيانها بأن « فلسطين تشكل بناءً متماسكاً اقتصادياً ، وحياة ثقافية وروحية مرضية . وعلى الرغم من أن فلسطين لا تستطيع أن تقدم الحل لمسألة إعادة الاعتبار لليهود فيما بعد الحرب ، فيمكن الاعتراف بأنها عامل مهم » . وأكدت اللجنة رغبتها في التعاون مع اليهود الذين يريدون استيطان فلسطين ، واقترحت اللجنة أن يشجع إنشاء كومونولث مستقل استقلالاً ذاتياً ، ينمو في فلسطين في الوقت المناسب ؛ ولكن بيان اللجنة حذف صفة (اليهودي) عن الكومونولث ، لأمر له دلالة ؛ وأقرّ بيان اللجنة سياسة التعاون بين اليهود والعرب ، وحض على اتخاذ كل ما يقيم التعاون المبني على النية الحسنة بين الطرفين . وكان الجزء المحدد من بيان اللجنة هو المطالبة بوصاية دولية على فلسطين ، مسؤولة أمام الأمم المتحدة . ومهمتها هي :

أ - ضمان الاستيطان اليهودي والهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وضمان المدى المناسب للنمو والتقدم في المستقبل إلى أقصى حد مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب .

(١) أنشئت اللجنة في عام ١٩٠٦ بقصد الحيلولة دون المساس بحقوق اليهود المدنية والدينية في أي جزء من العالم ، ولضمان مساواة اليهود في الفرص الاقتصادية والاجتماعية والتربية . وأيدت اللجنة سابقاً تصريح بلفور وعملت مع المؤتمر اليهودي الأمريكي في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩ ، كما أنها صادقت على مبدأ بقاء فلسطين مفتوحة للمهاجرين اليهود الى حد مقدرتها على الاستيعاب ، مع الحيلولة دون اتخاذ خطوات تمنع استمرار نمو الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وبرغم ان غالبية الاعضاء كانوا مناهضين لفكرة الدولة الصهيونية ، فان اللجنة ككل كانت معيّدة لإقامة الحياة اليهودية في فلسطين في وجوها الاقتصادية والثقافية . ودعمت أيضاً المبادئ الأساسية التي ينطوي عليها تصريح بلفور وصك الانتداب . Esco, op. cit., II, p. 1091

ب ضمان وحماية الحقوق الأساسية لجميع السكان .

ح - ضمان وحماية الأماكن المقدسة لكل الأديان .

د - نهضة البلاد لتصبح - ضمن فترة زمنية معقولة - كومنولث ذات حكم ذاتي ، له دستور ولائحة حقوق تكفل ونحمي هذه الأغراض ، وكافة الحقوق الأساسية للجميع .

وقد وصف القاضي بروسكاور بيان اللجنة بأنه كان (تسوية عظيمة (Great Compromise) وأنه قد هيا المسرح لجميع اليهود : متدينين ، واصلاحيين ، وراديكاليين ومحافظين ، صهيونيين ولا صهيونيين ، ومعادين للصهيونية وغيرهم للتعاون معاً في بناء فلسطين . والقاضي في إقراره للبيان في المؤتمر الأمريكي اليهودي ، نيابة عن اللجنة اليهودية الأمريكية ، رأى أن قرار المؤتمر غير حكيم ، وأنه قد يربك الحكومة الأمريكية ، ويضر بحالة اليهود ، وربما يسيء الى النمو الممكن والواسع للاستيطان اليهودي في فلسطين . ولم تكتف اللجنة برفض قرار المؤتمر ، وإنما انسحبت منه بحجة أن قرار فلسطين يطلب تأسيس كومنولث يهودي في النهاية ، ويقوم على إخضاع الموضوعات اليهودية الأخرى لمسألة البناء السياسي الفلسطيني ، وهذا ما يناهض مبادئ اللجنة . وقد اتهم الكاهن وايز الرئيس المساعد لمجلس الطوارئ ، ومونسكي رئيس (بني بريث) اللجنة اليهودية بمحاولة شق اليهود الأمريكيين ، بينما وصفها صهيانية آخرون بأنها تعمل ضد المصالح المشتركة لليهودية الأمريكية ^(١) . وقد اتبعت هذه الاتهامات باستقالة جميع الصهيانية من اللجنة ، في محاولة لعزلها واضعافها ، وهذا تكتيك سيتبعه الصهيانية كذلك مع اللاصهيونيين في بريطانيا ، وفي غضون ذلك طمعت مبادئ الوكالة اليهودية التي ارتفع صوتها يوماً ما ، ونُسي تماماً

Esco., ibid, ll. pp. 1089-91

(١)

مبدأ صوت الأقلية والمعارضة المفتوحة ، في جلبه الانتصار الصهيوني الحاسم الذي استقطب اليهودية الأمريكية على كل حال .

وصدر هجوم حاد آخر على برنامج بلمتور والكومنولث اليهودي عن الحاخاميين الإصلاحيين Reformers. ففي مؤتمر عقد في اتلانتيك سيتي (١ حزيران ١٩٤٢) أصدر ثمانون من الحاخاميين الإصلاحيين بياناً صاغوا فيه ما أسماه برنامج اليهودية الليبرالية ، وفيه أعلنوا إيمانهم « بالمبادئ الخالدة للعدالة والاستقامة » ، واعتقادهم بأن الحل الأخير لمشاكل الشعب اليهودي إنما يكمن في « حل المشاكل الكونية للإنسان » . وقد عرفوا اليهودية في مدلولات دينية كونية ، مع النص ضمناً على أن العالمية الدينية هي متناقضة مع القومية . وقد رفضوا « كشيء خطير وانتحاري » المحاولة المزعومة من جانب الصهاينة ، لحُذاع الشعب اليهودي وجرحه للاعتقاد بأن فلسطين وحدها تمثل الدواء الشافي لكل الأمراض اليهودية . وقد أصدر الحاخام وليسي - Wolsey من فيلادلفيا ، بياناً حمل توقيع ٨٧ حاخاماً إصلاحياً مناهضاً للصهيونية ، ويصادق على البيان الذي صدر عن اتلانتيك سيتي ، وتقرأ الفقرة المتصلة بفلسطين كما يلي :

« نحققاً من أهمية رد الاعتبار الفلسطيني لأجل خلاص شعبنا البائس من المشاكل الضاغطة عليه ، فنحن نقف على استعداد لمدّ اخوتنا بالمعونة غير المحدودة في معام الاقتصادي والثقافي والروحي في تلك البلاد . ولكن في ضوء تفسيرنا العالمي للتاريخ والمصير اليهودي ، وأيضاً بسبب اهتمامنا برفاه وأوضاع الشعب اليهودي الذي يعيش في البقاع الأخرى من العالم ، نحن لا يمكننا ان ندعم أو نشترك في الاحاح السياسي الظاهر الآن في البرنامج اليهودي . ولا يسعنا الا أن نعتقد بأن القومية اليهودية تميل الى تضليل اخواننا حول مكاننا و عملنا في المجتمع . وهي أيضاً تنحرف بجرصنا الخاص على دورنا التاريخي في

العيش كطائفة دينية. إن مثل هذا الدور الروحي هو ما جهرت به اليهودية الإصلاحية بوجه خاص ، في تمكها بالمبادئ التنبؤية الخالدة للحياة والفكر ، (١)

وتابع الحاخامون الاصلاحيون جهودهم للرد على مزاعم الصهيونية وأنصارها ، فنظموا (المجلس الامريكى لليهودية) لإذاعة آرائهم ونشرها . ونجحوا في الحصول على تعضيد جماعة الأثرياء اليهود المناوئين للصهيونية ، وبعضهم كان على صلة باللجنة الامريكية لليهودية (٢) . وأعلن الحاخام لويس ولسي من فيلادلفيا ان الغرض من تشكيل هذا المجلس هو معارضة إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وترويج الفكرة القائلة بأن اليهود جماعة من طائفة دينية . وقال إننا قطعاً ناهضون للدولة اليهودية وللعلم اليهودي أو للجيش اليهودي . نحن نهم بتطور فلسطين كلياً لليهود المضطهدين . ولكننا نعارض فكرة الدولة السياسية تحت النفوذ اليهودي في فلسطين أو في أي مكان آخر (٣) وترأس ليسنج روزنوالد المجلس الامريكى لليهودية ، وأقيمت مراكز المجلس في فيلادلفيا حيث كان له نشاط واسع ودعاية قوية ، وبلغ عدد أعضائه خمسة آلاف في نهاية ١٩٤٤ . ومع ذلك فقد وافق رئيسه على « اتخاذ الاجراءات اللازمة لفتح ابواب فلسطين أمام اليهود ، يدخلونها بحرية » ، بحجة أن ذلك يتفق مع الأسس الانسانية ، ومع مبدأ عدم التمييز ضد اليهود .

هؤلاء المعارضون لفكرة الكومنولث اليهودي ، وأوسعهم نفوذاً : اللجنة اليهودية الامريكية والمجلس الامريكى لليهودية . كانوا من الذين يرون أن الهدف السياسي

Esco, ibid, II, p. 1095 (١)

(٢) منهم آرثر هيز سلزبرغر Hays Sulzberger ناشر صحيفة النيويورك تايمس ، ومستتر ليسنج روزنوالد Lessing Rosenwald ابن جولوس روزنوالد .

Esco, ibid, II, p. 1097 (٣)

للصهيونية قد بولغ به وتطرف به المتطرفون. ولكن في الجانب الآخر كان هناك متطرفون في الجماعة الصهيونية نفسها ، وفيها من يقول بأن الموقف الرسمي الصهيوني لا يذهب بعيداً بما يكفي لتعزيز المطالبة بالدولة اليهودية . ومن هؤلاء الأكثر تطرفاً : المنظمة الصهيونية الجديدة ، وحزب الدولة ، وهو متحد مع المجلس الامريكى الصهيوني للطوارئ . وهناك جماعة الأغودات اسرائيل المناوئة للصهيونية العالمية، والمتطلعة نحو استعادة الدولة اليهودية التيقراطية ، وغيرها .

ومهما يكن من أمر الخلاف في وجهات النظر ما بين اليهود الامريكين على المسألة الصهيونية ، فثمة اتفاق مشترك على برنامج أدنى يتلخص في ان جميع الهيئات اليهودية ، بما فيها الهيئات المناوئة للصهيونية كانت آنذاك إجماعاً معارضة للكتاب الأبيض الذي لم ينظر اليه كمنقذ لوعد بلفور والانتداب، وانما كخرق للبادئ الديمقراطية في المساواة. وكثرة اليهود، صهيانة وغير صهيانة، اتفقوا على: ١ - دخول اليهود الحرّاً الى فلسطين بشكل لا تحدده اعتبارات سياسية ، مع عدم التمييز بين العرب واليهود في شراء الأراضي . ٢ - إتاحة الفرصة لبناء الوطن القومي واليهودية بجرية من الوجهة الاقتصادية والثقافية . ٣ - ضمان الاستقلال الذاتي الطائفي والثقافي والديني لليهود والعرب في فلسطين .

وأخيراً فإن المؤتمر اليهودي الأمريكي ، بوضعه قرار فلسطين ، يكون قد أبلغ الصهيونية إلى مبتغاها . ولم يبق في الأفق اليهودي الامريكى ما يجرح وما يربك خطوات الصهيونية في سيرها الحثيث نحو حشد اليهودية الامريكية وراءها. ففي غضون اسبوعين من ختام المؤتمر ، أعلن الحاخام اسرائيل غولدشتين الرئيس الجديد للمنظمة الصهيونية الامريكية بأن مهمة الصهيونية في الأيام التالية ، تنصب على « . . . اكتساب الموافقة الصادقة من الحكومة والشعب الامريكين على البرنامج الصهيوني بالنسبة لفلسطين ؛ وهو البرنامج الذي

أصبح الآن برنامج جميع يهود أمريكا المثلين بأعضاء المؤتمر اليهودي الأمريكي المنتخبين
انتخاباً ديمقراطياً^(١) ، ..

ونظمت حملات توعية لمختلف جماعات اليهودية الأمريكية تمهيداً لإشراكها في العمل
السياسي ، وبدأت المنظمة الصهيونية أعمالها بجماعة ثمانية دولار من ٢٥٠٠ شخص تكون
حصيلتها نواة (لصدوق الطوارئ) ، وتستعمل في الأغراض غير العادية المتصلة بالعمل
السياسي^(٢) ، كما أحيت العضوية الدائمة على الصعيد القومي ، وبذلك استعدت لتركيز نشاطها
على الشعب الأمريكي غير اليهودي بما فيه الكونغرس ، وعلى الحكومة .

المساعي الصهيونية لدى الرأي العام الأمريكي - التكنيك الصهيوني الدعائي :

نقصد بالتكنيك، الجهد المنصرف إلى غاية معينة ، والمنضبط بقواعد حققها بالاختبار،
تكفل بلوغه تلك الغاية عن أسلم الطرق وأضمنها وأوفرها نتائجاً. وقد استخدم الصهاينة أنواعاً
متعددة من التكنيك الدعائي ، وتفننوا في عرض الموضوعات وتصميم الأساليب لاجتذاب
عواطف الأمريكيان غير المباليين ، سواء من اليهود أو المسيحيين. والبحث التزبه المجردي يستطيع
أن يثبت دون كبير عناء ، أن المقدمات في الدعاية الصهيونية غير كريمة وغير سليمة ،
والنتائج التي توصل إليها غير شريفة وغير حسيقة . فهي مليئة بالفروض الملتوية والدعاوى
المشوهة التي تتمثلها الصهيونية فتخرجها حقائق ومسامات ، وتبني عليها استنتاجاتها الفجة
المريبة. وكل حججها حجج داخضة ، وافتئات على الحق والمنطق ، وترتيف جلي لحقيقة الوضع
في فلسطين ، وطبيعة الصراع بين العرب والصهاينة . والصهاينة وعملاؤهم يعرفون حقاً كيف

New Palestine, Sept. 24, 1913, Quoted in Stevens, op. cit., (١)
pp. 15-16 .

Halperin, op. cit. p. 246

(٢)

يمزجون الترهيب بالتريغيب ، وكيف يكشفون مواطن الضعف في النفوس ، وكيف يشترون العقول والضمائر ، وينفقون المال على استغلال مشاعر المواطن الأمريكي وعواطفه ، أبعث استغلال . عشرات الألوف من العملاء الصهانية ، ينشطون ليل نهار ، لتضليل الرأي العام ، وامتطائه إلى أغراضهم وأهدافهم ، مستغلين جهله وبعده عن مسرح الأحداث ، ومستخدمين الضغط والارهاب الفكري الذي كان ، وما زال ، يعطل الضمير الأمريكي ، وبلغي عقله وفكره . ورغم إحاطة المسؤولين الامريكين بالكثير عن سلوك الدعاة والعملاء الصهانية وفعالهم ، ولكنهم يسكتون عنها ويتجاوزون . والسبب سياسي بالدرجة الأولى ، ويمكن في طبيعة الانتخابات الامريكية ودور الصهيونية الخطير فيها . وتأثير الصهيونية في الانتخابات كان ، وما زال ، يعزى إلى أسباب ثلاثة :

١ - المال الصهيوني وهو عصب الانتخابات وعمودها الفقري

٢ - وسائل الدعاية والاعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أو تشرف عليه

٣ - تنافس الحزبين على اكتساب أصوات الأقليات .

فمن المعلوم أن أصوات الحزب الديموقراطي ، رغم تفوقها على أصوات الحزب الجمهوري في الأحوال العادية ، إلا أن أصوات الحزبين يلغي بعضها بعضاً ، وهنا يبرز دور الأقليات المرجح . وبما أن الصهيونية تسيطر تماماً على الأقلية السوداء وهي معها في حدود خمسة وعشرين مليون نسمة^(١) ، فهي تشكل قوة مرجحة كبيرة لا يستهان بها ، ومن هنا أهميتها وقوتها

(١) من أمثلة الدعاية الصهيونية الناجحة ، ما اعترف به بن غوريون في كتابه الأخير الذي صدر عام ١٩٦٣ ، بأن اسرائيل ما كان بوسعها القيام بعدوانها المبيت على سيناء (١٩٥٦) لو لم تهدد ذلك بعدد الرأي العام العالمي . وكانت حجتها في الاقناع تتركز في أن نشاط الفدائيين المصريين المتزايد عبر غزة وبئر السبع ، يهدد أمنها مباشرة وسلامتها ، بل بقامعها فلا بد من الدفاع عن النفس بواسطة التدابير الرادعة الوقائية . واستطاعت اسرائيل بتضليلها ، خداع الرأي العام العالمي واجتذابه للعطف على قضيتها التي صورتها الدعايات الصهيونية جنة وارفة ظليلة من النور والحضارة والعرفان . واحة صغيرة مستضعفة تحط بها كتل مهيبة متوحشة اسمها الدول العربية لا تتوقف عن تهديدها وتشحذ سلاحها لتزرد اسرائيل وتشرب دم ابنائها . انظر :

D. Ben Gurion « Israel : Years of Challenge » Tel - Aviv - Jerusalem
1963 pp. 151 - 152

ونفوذها ، وخاصة في غياب الدعاية العربية وتقصيرها وفجائها . إن الصهيونية تكسب معظم معاركها بواسطة الاعلام التضليلي وأساليبه المخططة المدروسة .

ولا حاجة الى القول بأن أحداً من الصهاينة وعمالئهم ، لا يعقل ان يعترف بما نشط لترويجه من ضروب الدعاية الهادفة، ولكن يكفي ملاحظة ما يطرأ من تغيير على اتجاهات الرأي العام ، بين فترة واخرى ، بفعل عناصر دعائية مثل النداءات ، والحملة الصحفية ، والاجتماعات العلنية ، وتأييد الحاخامين اليهود لها ، لنضع يدنا على آثار وبصمات التكنيك الدعائي الصهيوني في ميادين العلاقات العامة . ومن دراسة نصوص النداءات والحطبات والمقالات الصهيونية ، وتتبع المحور الذي تدور عليه والغرض الذي تهدف إليه ، يمكن كشف النقاب عن ملامح الشعارات الصهيونية والموضوعات التي استخدمتها الدعاية ببراعة لاجتذاب تأييد الجماهير وكسب عطفها وحشده في الوقت المناسب ، للحصول على التأثير المطلوب . أما المطلعون الناهيون المنصفون ، الذين لم يخل منهم المجتمع الأمريكي ، والذين أعياى الصهيونية اختلاس مروءاتهم ، فذهبت صيحاتهم القليلة في هدير المدّ الدعائي الهائل الذي أشبعه الصهاينة بحناً واختباراً ، وأعدّوا له عدته .

وفي دراسة قام بها الأستاذ اينيس ل . كلارد عن الصهيونية حصر مضمون النداءات الصهيونية التي وُجّهت للمجتمع الامريكى ، فوجد أنها تندرج تحت عشر مسائل أو جواذب^(١) :

١ - الصهيونية هي شارة الشرف اليهودي ، وإن ما تحقق من أعمال على أيدي الرواد اليهود في فلسطين ، هو نجاح عظيم ومثال للجنس البشري بأسره . وهذه الأعمال التي تحققت في فلسطين من شأنها ان تقوي عزة النفس اليهودية وكرامتها .

(١) Inis L. Claude, « National Minorities : An International Problem », Cambridge, Harvard University Press, 1955 , pp. 106-9, Quoted in Halperin, pp. 255-6

٢ - يشكل اليهود أينا وجدوا شعباً واحداً (!) فمهما يحدث لليهود في بلد ما يؤثر على وضعهم في البلد الآخر . واللاجئون الاوربيون المنكودون يجب ان يتلقوا المعونة من اخوانهم الأكثر حظاً في أمريكا . واليهودي الذي يهتم بشعبه هو صهيوني ، لأن فلسطين تعتمد عليه .

٣ - تعني الصهيونية عملاً متعاً ذا مغزى من الناحية الاجتماعية ، كما أنها عمل لقضية لها أهميتها . والصهيونية تعني الانسجام مع تاريخ الشعب اليهودي ومصيره ؛ فالصهيونية ضرب من ضروب الدراما لأنها تنازل أعداء الشعب اليهودي ، بينما هي تعيد إنشاء الدولة والأمة اليهودية .

٤ - الصهيونية وسيلة بناءة لحل القضية اليهودية لأن تقرير المصير خير من الإحسان المتواصل . فينبغي ان يعتمد اليهود على أنفسهم لا على ضمير العالم وسفقتهم . وليس ثمة من بلد يريد اللاجئين اليهود سوى فلسطين (!)

٥ - الصهيونية تجعل اليهودية مستمرة وتجعل بقاء اليهود على قيد الحياة كجماعة متميزة عن غيرها . وستكون فلسطين مركزاً ثقافياً يضيء الرخاء على حياة اليهود الامريكين . والصهيونية تقوي معنويات اليهود . واليهودي قادر على التعبير عن نفسه بطريقته الفريدة من نوعها ، وهذا لمنفعة الثقافة العالمية في آخر الأمر .

٦ - وستساعد الصهيونية في وضع حد للاسامية ، بوضع حد لانعدام وجود وطن قومي يهودي ، وهو أمر غير طبيعي . فعندما تبرز للاسامية إلى حيز الوجود ، يمكن أن يعوض عنها بشعور اليهود بانتمائهم ، وتقوي الصهيونية هذا الشعور .

٧ - الدولة اليهودية أمر لا بد منه . فنبؤات التوراة ، وحاجة العالم الصارخة والأعمال التي حققتها اليهودية الفلسطينية ، تطلب جميعها الحل بإنشاء دولة يهودية .

٨ - المعرنة لفلستين معناها الولاء للولايات المتحدة . فلستين هي في الحط الأمامي من جهة الحرب ضد النازية . وفلسطين هي حصن الديمقراطية في قلب الاقطاع - ان الصهيونية تجلب التجديد والتقدم والديمقراطية الى الشرق الأوسط المتخلف .

٩ -- والحل الصهيوني يطالب بالعدالة التاريخية . وما الدولة اليهودية المطلوبة سوى تعويض عن المذابح التي لا تحصى (١) .

ولا حاجة بنا ، في هذا المقام ، الى تفنيد ما جاء في هذه الجواذب من بهتان وتضليل ، وانما سنشرح فيما يلي وسائل ومساوي الدعاية الصهيونية . وسنرى أن أهم ما مكن للصهيونية بين ظهرائي الرأي العام الأمريكي هو قوتها الدعاوية وبلوغها المستوى الفني والعلمي ، واستخدامها خير الأساليب النفسية وخير نتاج العلم الحديث . والصهيونية مضطرة الى أن تولي هذا الجانب الدعاوي حظاً كبيراً من عنايتها ، لأنها ملازمة بتغطية الزيف ، وتعميق الحرافة ، وتثبيت الاسطورة . وهي تطبق استراتيجيات سرطانية ذات ألف ذراع وذراع وألف أسلوب وأسلوب ، دون أن يفوتها تشويه أغراض العرب ، ورميم بالتخلف والوحشية . ومثل واحد نورده بجملاً عن براعة أسلوبها ، فالصهيونية مثلاً تذهب في ملق الملونين إلى أبعد الحدود . إنها تعتقد ملامح الشبه بين اليهود الملونين زلفى وقربى ، أليس لكل من الشعبين تاريخ طويل عريق من الاضطهاد والنبت الانساني والمقاومة ؟ ألم يشرب العبيد واليهود من الكأس الدهاق خلال قرون وقرون ؟ « اسرائيل تكسب عطفنا لأنها مثلنا كانت ضحية الاضطهاد » . كذلك تعلم أن يقول (كينتولا) رئيس وزراء نيجيريا الشرقية (!) و كذلك تعلم غيره ، من ملونى الولايات المتحدة .

(١) انظر دراسة الاستاذ البرت حوراني التي كتبتها عام ١٩٤٦ وفند فيها مزاعم الصهيونية في انها غل القضية اليهودية . (مجلة المعرفة عدد ٤٩ آذار ١٩٦٦ ص ١٥٤ - ١٦٧) .

وبعد، فما هي وسائل الدعاة الصهيونيين وعمالهم لكسب تأييد الرأي العام الأمريكي؟
 ١ - أول هذه الوسائل - الصحافة والمطبوعات^(١) : إضافة الى الصحف الصادرة باللغة
 العبرية الحديثة التي بلغ عدد مشتركها حوالي (٤٢٥) ألف أسرة يهودية امريكية عام
 ١٩٤٤ ، أي ثلث عدد اليهود الأمريكيين ، فتمة عشرون من أصل ٢٤ مجلة أمريكية
 معروفة بتجيزها الى الصهيونية . هذا الى أن المنظمات الصهيونية نفسها كانت توزع (٢٧)
 نشرة بالانكليزية^(٢) . وجميع الصحف الأمريكية تقريباً ، باستثناء النيويورك تايمس^(٣) ،

(١) اشار اسراييل كوهين في كتابه « الحركة الصهيونية » المطبوع عام ١٩١٢ ، إلى أهمية
 الصحافة بين اليهود يومذاك (١٩١٢) بقوله : « . . . لكن هذا الكتاب (تطور فلسطين الاقتصادي
 والفكري) ، يمثل ناحية واحدة من نواحي النشاط الصهيوني . اما الناحية الأخرى فتتألف من الدعاوة
 الحادة المستمرة التي تقوم بها جمعيات لا تحصى في كافة أنحاء العالم ، على الرغم من السنوات الخمس
 عشرة التي مضت على التأسك ، إلا من قبل اقلية ضئيلة من الشعب اليهودي . وقد اعطيت عملية التمثيل
 وقتاً طويلاً للبدء ، الا ان نتائج الاخلال للتححرر الاجتماعي الذي دام مئة عام ، لا يمكن توقعها بين
 لية وضاعها . لكن الفكرة القومية قد حققت انتصارات كبيرة في معاقل التمثيل (الاندماج)
 الغربية ، وبات تقدمها مهماً بنوع خاص بين صفوف الطلبة اليهود الجامعيين .. وان عمل الدعاوة
 بواسطة الاجتماعات والكتابة والنشر والصحافة العالمية .. تشكل السبيل الوحيد الذي سينفذ الشعب
 اليهودي من الاندماج » .

Israel Cohen • The Zionist Movement • Berline, 1912, p. 31 & ff.

Quoted in Stevens, op. cit, p. 20

(٢) انظر اسماها في : Halperin, op. cit, p. 257

(٣) أعلن آرثر هيز سلازبرغر صاحب جريدة نيويورك تايمس : « انني امقت مقتناً شديداً
 وسائل الصهيونية في لجم الأفواه المعارضة لأهدافها وخططها ، تلك الوسائل التي لا تتورع عن
 استغلال الأسلحة الاقتصادية ، وحتى الاغتيال ، في سبيل اغراضها الاجرامية المشبوهة » . اعلن ذلك
 عندما نقت الصهيونية عليه ، وشنت حرباً لا هوادة فيها على جريدته لأنها تجرأت
 فعارضت مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٦ . ويقصد برغر باستغلال الصهيونية الأسلحة الاقتصادية،
 طبعاً ، حرمان الصحف من اجور الاعلانات ، وهي تشكل مورداً رئيسياً لأية صحيفة . ومن هنا
 نفوذ الصهاينة ورفض اصحاب الصحف نشر وجهة النظر العربية .

فلسطين م ٣٢ (١٩٦٨)

كانت تعيد نشر البيانات الصحفية الصهيونية ، نظراً لصلات الصهيونيين الوثيقة مع محوري هذه الصحف وكبار مراسليها . وقد صرحت المنظمة الصهيونية الامريكية في عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ أنه تم توزيع اكثر من مليون نشرة وكتيب وكراس صهيوني الهوى ، على المكتبات العامة ورعاة الكنائس والمربين والكتاب والمراكز الاجتماعية وغيرهم من ذوي النشاط الاجتماعي والثقافي والديني ، كي يتفهموا وجهة النظر الصهيونية ويعملوا على نشرها ، ومن هذه الكتب ، كتاب : فلسطين - أرض الميعاد ، تأليف والتر لودرملك ، وهدف نشره هو تبييد مبدأ طاقة الاستيعاب المحدودة لفلسطين ، هذا المبدأ الذي يبق على الكتاب الابيض وينسف الهجرة الى فلسطين .

٢ - وثاني هذه الوسائل الدعاوية - الاجتاعات الحاشدة وتجمعات الاحتجاج : برز استعمال هذا التكنيك الدعاوي منذ استلام الدكتور سلفر للزعامة الصهيونية (آب ١٩٤٣) ، وكان يرى خلق جو من الضغط الذي « يسفر عن نتائج في أرفع الأوساط داخل امريكا وخارجها » . وقد ثبت أن التجمعات الحاشدة والنداءات العامة هي وسائل ناجعة بلوغ الضغط المطلوب . وفي آب ١٩٤٥ دعت الصهيونية الى اجتماع حاشد في ماديسون سكوير بنيويورك حضره ٢٠٠ ألف شخص احتجاجاً على السياسة البريطانية في فلسطين . وقد نظم هذا النوع من التجمعات مجلس الطوارئ الصهيوني الأمريكي ، وكان يبلغ عددها أحياناً المائة ، يجري تنظيمها وعقدها في المدن الامريكية الكبرى في وقت واحد ، ويكتب عنها مطولاً في الصحف ، ويكون لها مغزاها المهم في واشنطن بمناسبة كل أزمة جديدة : الاضطرابات العربية ، المجاهبة البريطانية ، اضطهاد هتلر .. كذلك بنى الصهاينة جناحاً لفلسطين في معرض نيويورك العالمي ١٩٣٩ - ١٩٤٠ عرضوا فيه منجزاتهم وبرامجهم .

وشهد افتتاحه مائة ألف ، خطب فيهم انشائين وغيره من الصهيونيين ، وانقلبت المناسبة لمظاهرة سياسية شجبت سياسة انكلترة^(١) .

٣ - وثالث هذه الوسائل - ربط المدارس اليهودية ورجال الدين اليهود بالافكار الصهيونية والفلسطينية ، عن طريق تسرب الدعاة والعلاء الى هذه المدارس والمؤسسات التعليمية . والمدرسة اليهودية مما يتصل بكل كنيس ومعبد يهودي وبكل تنظيم مدني ؛ وهدفها المرسوم هو تخليد بقاء الجماعة اليهودية بتدريس اللغة العبرية ، وقصص التوراة والطقوس الدينية وعديد من الموضوعات الأخرى ؛ وكانت الشؤون الصهيونية والفلسطينية تحتل مركزاً أساسياً في المناهج التعليمية والتربوية . وكان يرأس هذه المؤسسات التعليمية اليهودية في المدارس الأمريكية الرئيسية مربون « جميعهم دون استثناء صهيونيون وعبرانيون . ومثل ذلك مع تأكيد أكثر يمكن أن يقال عن مدرء وأساتذة التعليم العبري في أمريكا^(٢) . وذلك بقصد نشر اللغة العبرية بين اليهود ، والايحاء للطلبة بحب صهيون ، وتعميق التراث اليهودي في برامج التدريس . وكان الزعماء الصهيونيون يحرصون على عقد مؤتمرات تربوية، ونادراً ما تفرّج مناصبتها دون الاحاح على ضرورة التربية اليهودية، سواء في المدارس أو تجمعات الشباب أو ما يتصل بها من نشاطات مماثلة . ويعلن دائماً ان مستقبل الصهيونية متوقف على رغبة الصهاينة الامريكين في « رعاية صهينة الشباب اليهودي الأمريكي^(٣) » .

وجدير بالذكر أن الدعاوة الصهيونية في امريكا قد أحرزت تقدماً سريعاً بفضل حماس بعض رجال الدين اليهود . بل ان معظم الزعامة الصهيونية الامريكية كانت تتألف من

Halperin, op. cit., p. 261 (١)

Halperin, op. cit., p. 262 (٢)

ibid, p. 263 (٣)

رجال دين يهود مثل : ستيفن وايز وآباهيل سلفر ، واسرائيل غولدستين ، وجيمس هيلر .
وكان لهم نفوذ واسع على الأوساط اليهودية وغيرها في المجتمع الامريكى .

وتظهر أهمية دعم الحاخامين للصهيونية في نجاح وفعالية الدعاوة الصهيونية التي يقومون بها نظراً للمكانة التي يتمتعون بها في مجتمعهم . ويمارس الحاخامون نفوذاً لا يستهان به على الجماعة اليهودية وطرق تفكيرها ، بحيث نادراً ما يجري أي نشاط في الحياة اليهودية دون مشاركتهم ونوحيهم ، لا لأنهم يحددون المعرفة اليهودية الأصلية فحسب ، وإنما أيضاً لأنهم يعتبرون كممثلين وسفراء للجماعة اليهودية في المجتمع غير اليهودي ، وكرجال الصف الأول في علاقات بني دينهم ومختلف ضروب نشاطهم . « إن الحاخامين هم بمثابة المحرك الذي يستقطب حوله معظم أشكال القيم اليهودية الايجابية ، والذي تستمد منه معظم النشاطات اليهودية دافعها واتجاهها^(١) » . والحاخامون يحشرون في مواعظهم وصلواتهم وتعليمهم وبرامج مدارسهم ، نبدأ عن التاريخ اليهودي والعقيدة اليهودية ومآثلها ، ويوقعون على العرائض والاحتجاجات وخلافها ، مثل عريضة بعنوان : « دعوة لضمير أمريكا » وقعها ١٠٢٧ حاخاماً^(٢) . وبكلمة ، فإن الحاخامين كان لهم صوت مسموع في الأوساط الشعبية . ولذا فإن تأثيرهم كان لا يقل عن تأثير الصحافة والتعليم ، واستطاعوا بالتالي ان يفرضوا آراءهم على جماعتهم وفق خطوط البرنامج الصهيوني .

٤ - ورابع هذه الوسائل - الحصول على التأييد المسيحي : فقد عملت الصهيونية على تشكيل لجنة فلسطين الامريكية ، ونجحت في تنصيب الشيخ روبرت فاغنر رئيساً لهذه

Halperin, op. cit., p. 265

(١)

ibid.

(٢)

اللجنة ، وهو الذي كان يظهر اهتماماً بمجاعات الأقليات ، لا سيما اليهود والكاثوليك^(١) .
والواقع ان مقر قيادة الحزب الديموقراطي في نيويورك اتكل على هاتين الجماعتين . إن
أسلوب حشد الشخصيات البارزة لخدمة قضية (انسانية) قد برهن أنه ناجح جداً وفعال ،
وخاصة بفضل غياب أية مادة دعاوية تنشر لصالح القضية العربية . وقيل نهاية الحرب
تضاعف عدد أعضاء لجنة فلسطين الامريكية ، فبلغ (٦٥٠٠) من وجوه المجتمع ، وفيهم
أعضاء في مجلس الشيوخ والنواب ، ووزراء ، وحكام ولايات ، وكبار الموظفين ، وقضاة ،
ورجال دين ، وأساتذة وكتاب واصحاب دور نشر ورجال صناعة .^(٢)

وقد ثبت أن بيان لجنة فلسطين الأمريكية حول « النكبة المفجعة التي حلت باللاجئين
المهاجرين من الاضطهاد ، ولم يجدوا لهم موطناً » ، الذي حظي بتعصيد سبعين من أعضاء
مجلس الشيوخ الأمريكي ، كان محاولة صهيونية خبيثة ، لربط مشكلة اللاجئين اليهود
بفلسطين ، على أساس أنه الحل الوحيد . وكان سبب ذلك جلياً للغاية : فالكثيرون من
الامريكيين قد لا يؤيدون فكرة إنشاء دولة يهودية ، لأول وهلة ودونما أسباب موجبة
تبررها وتفسرها ؛ ولكن الامر يختلف لو أمكن استغلال المشاعر الانسانية الطبيعية في
نفوسهم نحو اللاجئين لمصلحة الحل الصهيوني . وقد ترتب على هذا الربط المغرض ان تبقى
مشكلة اللاجئين اليهود بدون حل ، على تصميم من الصهيونيين ، اضمان خلق دولة يهودية في
فلسطين ، وسد أبواب جميع البلدان في وجوههم .

(١) عرف فاغتر بأنه خطيب المآذب اليهودية . وهو مسيحي بروتستانتي ولكن مساعده جميعاً
كانوا من اليهود ، وربما عاونوه على تفهم مشكلاتهم من زوايتهم . وقد لاحظ كاتب سيرة فاغتر ان
تماطفه الشديد مع الصهيونية إنما يرجع - جزئياً - ال شعوره بعقدة الذنب المتولدة عن
اصله الألماني .

Hurewitz, op. cit., p. 210

(٢)

كذلك عمل الصهاينة على إنشاء المجلس المسيحي لفلسطين أواخر عام ١٩٤٢ حتى بلغ عدد أعضائه نحو (٢٤٠٠) في منتصف عام ١٩٤٥ . وقد تلقت هذه المنظمة دعم الكثيرين من زعماء البروتستانت الذين رأوا في مشروع إعادة دولة اسرائيل تحقيقاً لنبووة التوراة .

بيد أن النشاط الصهيوني الدعاوي لم يظهر أثره الملموس والفعال إلا بعد إعادة النظر في وضع مجلس الطوارئ، من حيث ما كان يسوده من الانقسام الناجم عن الخلافات الشخصية ، والتأرجح في سياسته وعمله ، والافتقار الى لجنة ادارية مركزية تقرّ منهاجاً محدداً للعمل ، وترصد موازنة كافية لتحقيق الواجب الضخم . وبعد تدخل وايزمن ، تسلم الحاخامان سلفر ووايز الرئاسة الثنائية لمجلس الطوارئ ، مع رئاسة لجنته التنفيذية . وتوجه خطة سلفر نحو خلق جو من الهيجان القومي الصاحب ، عن طريق إثارة الرأي العام على أوسع مدى . فالرأي العام - عنده - هو الذي يقرر مواقف الحكومات وأعمالها في المجتمع الديموقراطي . ولذا كان سلفر يبحث دعائه وعملاءه على عدم الركون الى الأفراد : « لا تضعوا ثقتكم بالأمرء ، مها كانوا أصدقاء وعظاء » . وإنما « يجب أن تتوجهوا الى جماعات شعوب العالم ، وتحدثوا الى امريكا بأسرها ، وتبنوا صداقات في كل مكان ، وتقوموا بدعاوة فعالة في محيطكم ضمن إطار نفوذكم وبين أصدقائكم . فهذا ما سيقبهم معنا عندما يجين الوقت لاتخاذ القرارات المهمة التي قد تنطوي على مساهمة امريكا في الحل النهائي لمشكلة فلسطين^(١) » .

وفي رسالة بعث بها الحاخام سلفر الى وايزمن (٣ آذار ١٩٤٤) قال : « ليس رأينا بالتحديد أن الدبلوماسية الهادئة هي التي سوف تؤدي الى النتائج المرجوة . أو أننا يجب

Abba H. Silver, « A Year's Advance, » Oct. 15, 1944, N. Y. (١)

A.Z.E.C. 1944, p. 13, Quoted in Halperin, op. cit, p. 272

أن نعلق آمالنا كلية على حسن نية شعب أو شعبيين . . إن أصدقاءنا الطيبين هنا الذين نعتمد عليهم كثيراً (يشير الى الرئيس روزفلت خاصة) لن يتحركوا من تلقاء أنفسهم ، مدفوعين بعدالة قضيتنا . ولن ينجم عن وساطة بعض أصحاب النفوذ النتائج المرجوة . ان أصدقاءنا يمكن أن يتصرفوا ويتخذوا اجراءاً محدداً كنتيجة لضغط خمسة ملايين يهودي في سنة انتخابية حرجة^(١) . وقد حذر سلفر أنصاره أن لا يتظاهروا بتأييد حزب سياسي معين ضد الحزب الآخر : « لقد نجحنا في الحصول على إصغاء ودي من جميع فئات الحياة العامة الأمريكية بسبب طابع حركتنا اللاحزبي المطلق . ان الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة لا تلتزم بأي حزب سياسي . وهذه سلعة سياسية ينبغي أن نحافظ عليها بحجاسة^(٢) » .

وقد تأتى للصهيونية أن تنفذ هذه الوصايا فرصت موازنة كافية ، ووجدت زعامة قوية تشرف على المقر الرئيسي لمجلس الطوارئ ، وتوجه نشاط أكثر من ٤٠٠ لجنة طوارئ صهيونية محلية ، يتكون أعضاؤها من نخبة مختارة ، تعمل على إثراك جماعات اليهودية الأمريكية في كل مكان بالاهداف الصهيونية .

وكأنما أراد مجلس الطوارئ الصهيوني أن يختبر قوته ، ويمتحن مهارة الصهاينة الأمريكيين في القيام بحملة ضد الكتاب الأبيض ، الذي أوصى بوقف الهجرة اليهودية بعد نهاية آذار ١٩٤٤ ، وهو التاريخ الذي تنتهي به فترة السنوات الخمس لهجرة ٧٥ ألف يهودي الى فلسطين . وصدرت التوجيهات أولاً الى لجان الطوارئ المحلية لتوطد صلاتها مع أعضاء الكونغرس في مناطقها بطرق مختلفة . وأوحي الى الجماعات المحلية للاتصال بغير الرسميين ، وتوجيه كلا الحزبين السياسيين . فقد كان من رأي مجلس الطوارئ ان الكونغرس

Quoted in Halperin, p. 271

(١)

ibid, footnote .

(٢)

سيضطر للقيام بالعمل المطلوب ، فقط اذا كان هناك « رأي عام كبير جداً ، مؤيد للموضوع في جميع أنحاء البلاد ؛ فزعماء الامة السياسيون ، انما ينقادون بأراء ناخبهم المحليين »^(١) . وكان مصداق هذا الاسلوب الدعاوي الفعال ، أن أربعين حاكماً من حكومات الولايات رفعوا عريضة الى روزفلت بتأييد إقامة دولة يهودية .

وصدرت تعليقات معينة لاتباع تكنيك يهدف الى التأثير على الحكومة في الوقت المناسب : « ففي بعض المناسبات ، سيصبح من الضروري إجراء تظاهرة مسرحية من الرأي العام الامريكى . وذلك بإغراق الرجال الرسميين ، وأعضاء مجلس الكونغرس والشيوخ بسيل من الرسائل والبرقيات . وعليكم أن تكونوا مستعدين عند أول إنذار لأن تبدأوا العمل في تنظيم حملات من كتابة الرسائل والبرقيات ، لهذا السبب من المهم كثيراً ان تكونوا على اتصال وثيق بمنظمتكم اليهودية المحلية ، عاملين معها لإعطاء النتائج المرجوة . فالمسؤولون عن رسم السياسة الخارجية الامريكية ينبغي أن يجمعوا على الشعور بأن يهود امريكا مناهضون لقضية الكتاب الابيض ، وانهم يريدون إلغاء مفعوله . وان هذا هو شعور ملايين اليهود في مختلف أنحاء الولايات المتحدة »^(٢) . وضمن مجلس الطوارئ قرارات معارضة للكتاب الابيض في الولايات المتحدة ، من الجمعيات اليهودية ، والنوادي ،

A.Z.E.C. . An Outline of Activities for Local Zionist (١)

Emergency Committees » p. 3

أمرت لجان الطوارئ أن تستحوذ على ثقة الزعيم السياسي المحلي الذي هو غالباً صديق لعضو مجلس الكونغرس . ويمكن التحدث الى ذلك الشخص واقناعه بأن يلقي بثقله السياسي الى جانب الصهيونية . واذا صدف ان كان الزعيم منتزحاً الى حزب ما ، فالحزب الآخر لا يجب إهماله . فاذا كان عضو الكونغرس جمهورياً او بالعكس ، فيمكن معارضته في الانتخاب القادم بعضو ديموقراطي ، وهنا يجب الحصول على ثقة هذا الاخير المتوقع فوزه .

A.Z.E.C., ibid, pp. 4-5, Quoted in Halperin, p. 274 (٢)

والنقابات وجمعيات الكنائس وغيرها . أما الجماعات التي رفضت معارضة الكتاب الايض فقد زيت مجلس الطوارئ، إرادتها ، وحسبها في جملة المعارضين للكتاب^(١) ، زوراً وبهتاناً. والواقع أنه تم ارسال مئات الألوف من الرسائل الشخصية والبطاقات والبرقيات الى واشنطن اثناء الحملة على الكتاب الايض . واشترى مجلس الطوارئ، بالتعاون مع المنظمة الصهيونية وقتاً اذاعياً من ١٨٢ محطة اذاعة امريكية ومن ٥٠ محطة في كندا . وسمع الامريكيون في ٤٦ ولاية أصوات كبار النجوم في ادوار مسرحية من برنامج (فلسطين تتكلم)^(٢) . والنجاح الذي صادفته الصهيونية في امتحانها لنفوذها الدعاوي وتأثيره على المجتمع الامريكي ، هو الذي أفضى الى مرحلة أخرى من مراحل العمل السياسي - على صعيد الكونغرس لازامه بقرار ملائم عن فلسطين .

المساعي الصهيونية لكسب الكونغرس :

بينما كانت الصهيونية تمارس استعمال التكنيك الدعاوي الدقيق لكسب الجمهور الامريكي على اختلاف طوائفه ، نحو مبدأ اقامة دولة يهودية ، كانت الجهود الصهيونية تستميت لاجتذاب مجلسي الكونغرس الى القضية الصهيونية . ولقد مرت بنا أن الخطوة الأولى الناجحة في هذا السبيل ، تمت حين انضم ٦٧ من أعضاء مجلس الشيوخ و ١٤٣ من أعضاء مجلس النواب ، إلى عضوية لجنة فلسطين الامريكية . وفي شهر كانون الاول ١٩٤٢ استجاب ما يقرب من ثلث اعضاء مجلس الشيوخ الى ١٥٠٠ من الشخصيات المعروفة في المجتمع الامريكي ، للتوقيع على عريضة تطالب بتشكيل جيش يهودي .

A.Z.E.C., ibid . Confidential Bulletins » Jan. to July 1944 (١)

ZOA, Forty Seven & Forty Eight Annual Reports, pp. 50-51 (٢)
& 18 respectively , Quoted in Halperin p. 278 & Stevens ,
pp. 35-36

وقد شجع هذا النجاح الأولي الذي أحرزته الصهيونية على الاتجاه بثقة نحو الكونغرس للحصول على تأييده لبرنامج بلمتور. والفضل الأول في دفع المساعي في هذا السيل يرجع الى القيادة الناشطة الجديدة المجلس الطوارئ، فقد حض أنصاره من أعضاء الكونغرس على تقديم مشاريع قرارات بمصادقة المجلسين على برنامج بلمتور. وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٤ قُدم مشروعاً قرارين متشابهين الى الكونغرس : قدم النائب الجمهوري كومبتون من ولاية كونيكيتكت مشروع قرار إلى مجلس النواب ، كما قدم النائب الديموقراطي رايت من ولاية بانسلفينيا مشروع قرار مماثل الى نفس المجلس. وتقدم كل من الشيخ فاغنر الديموقراطي من ولاية نيويورك، والشيخ نافث الجمهوري من ولاية أوهايو بقرار مشترك إلى مجلس الشيوخ؛ ودفع بمشروع قرار كومبتون ورايت الى لجنة الشؤون الحارجية في مجلس النواب ، التي بدأت تدرس القرار برئاسة سول بلوم Bloom وهو يهودي من ولاية نيويورك وصيهوني. وقد أمل بلوم في باديء الأمر أن يحظى مشروع القرار بالموافقة عليه دونما حاجة لسماعه ، غير أن المجلس الأمريكي لليهودية المناوىء للصهيونية أصرّ على سماع القرار ومناقشته^(١). وفي مقابلة صحفية صرح بلوم وهو يخرج من جيبه كتاب الصلوات اليهودي (آغادا - Agada) : « لقد رددت مع والديّ خلال السنوات الأربعين الأخيرة القول القديم : (لشونوهاو بيورا شالاييم) أي السنة القادمة في القدس ، وهذا يعني أن القدس كانت أملاً دائماً ، ولماذا لا تكون هكذا الآن ؟ »^(٢).

(١) تماماً كما فعل اليهود البريطانيون غير الصهيونيين قبل نشر تصريح بلفور ، حين أعيد النظر بمسودة الصهيونية التي وضعتها للتصريح ، بناء على طلبهم الملح ، بحيث أصبح يتضمن اعترافاً بحقوق الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحقوق اليهود في (الشتات والمنفى) .

United States Congress House Committee on Foreign Affairs, (٢) Hearings ... (Washington Government Printing Office , 1944, pp. 30-101), Quoted in Stevens, p. 40

أما النص الحرفي لمشروع القرارين المتتاليين فيشير في مقدمته الى قرار الكونغرس (حزيران ١٩٢٢) بالموافقة على اقامة « وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، مع العلم أنه لن يجري ما من شأنه الافتئات على حقوق المسيحيين المدنية والدينية وجميع الطوائف الأخرى غير اليهودية في فلسطين... » ، ثم يشير إلى أن اضطهاد الشعب اليهودي في اوربا قد أبرز الحاجة إلى وطن يهودي يكون ملجأ لعدد كبير من اليهود المرشدين الفارين من الاضطهاد. أما مشروع القرار فينص على أنه « قد تقرر ان تستعمل الولايات المتحدة وساطتها ، وتتخذ الاجراءات المناسبة بقصد فتح أبواب فلسطين لدخول اليهود بحرية إليها ، وإتاحة الفرصة الكاملة لاستيطانهم ، حتى يتمكن الشعب اليهودي في النهاية من إعادة انشاء فلسطين كدولة (كومونولث) يهودية ديمقراطية حرة »^(١) . وكان نص مشروع القرار متطابقاً تقريباً مع برنامج بلتيمور باستثناء تغيير مهم له دلالاته السياسية والنفسية . فقد أضيفت الى كلمة (إنشاء) كلمة (إعادة) لتصبح (إعادة إنشاء) ، بغية خلق الاعتقاد بأن الدولة اليهودية كانت قائمة يوماً ، وان اعادتها الى الوجود أمر تقتضيه طبيعة الظروف القاسية التي يمرّ بها الشعب اليهودي آنئذ في أوربا، كما أن إعادة إنشاء هذه الدولة اليهودية، أمر مشروع أيضاً لأنه يحقق نبوءة التوراة ، وهو لا يوجد هذه الدولة من العدم !

إن قصة معالجة القرار المقترح في مجلس النواب ، نجعلنا نتفهم الظروف والعوامل المساعدة لنجاح الصهيونية في أوساط الكونغرس . وحين استمع المجلس للقرار ، قدم سول بلول إلى أعضاء لجنة الشؤون الخارجية التي كان يرأسها ، كتيباً كان اعده لتوجيههم نحو النقاط الضرورية المتصلة بالقرار . بيد أن هذا الكتيب مُخصّص لإجمال الموقف الصهيوني من فلسطين، واختتم بمذكرة من الوكالة اليهودية تقدح في الكتاب الأبيض^(٢) . ولم يشمل

Congressional Record, 1 feb., 1914, p. 963 (١)

Frank Charles Sakran, • Palestine Dilemma, Arab Rights (٢)

Versus Zionist Aspirations • Washington, 1948, p. 170

الكتيب حتى على تقرير من الخارجية الامريكية ، وهو أمر عجيب ، لما يترتب على القرار المقترح من تطور خطير في السياسة الخارجية الامريكية ، تلك التي أناط رئيس الجمهورية أمرها بوزارة الخارجية بوجه خاص . ولا بدّ للباحث أن يشير إلى استغلال بلوم لمنصبه في توجيه النقاش ، بحيث يجنب احراج الصهيونية (١) ، وإرباك أنصارها أمام معارضهم . ومن مطالعة محاضر جلسات لجنة الشؤون الخارجية يتضح تطلع بلوم بشوق إلى نجاح القرار؛ كما تتضح الحقيقة بأن مجمل الشهادات بما في ذلك الاسئلة والوثائق المؤيدة التي تقدم بها معارضو الصهيونية ملأت ١٠٨ صفحات، أما الصفحات الباقية وعددها ٢٨٠ صفحة من الشهادات والاسئلة والوثائق ، فقد كانت مؤيدة للصهيونية . وعلى الرغم من التكنيك الاستعاعي البارع الذي مارسه بلوم في التظاهر بحسن إصغائه للمعارضين ، فإنه كان يسارع دائماً الى التهورين من معارضتهم عن طريق الاستشهاد ببيّنات (تاريخية) لدعم الادعاء القائل بأن الولايات المتحدة طالما سبق لها وأيدت انشاء دولة يهودية . إذ أورد بلوم التصريح المنسوب الى الرئيس ويلسون القائل بأن الولايات المتحدة أبدت موافقتها التامة على الفكرة القائلة بأنه من الواجب وضع أسس الدولة اليهودية في فلسطين - وهو التصريح الذي ثبت أنه غير دقيق وغير محدد (٢) .

وفي حين كان الكونغرس يبحث مشروع القرار المؤيد للصهيونية ، كان مجلس الطوارئ يقوم بنشاط محموم تجلّت خلاله فعالية اللجان المحلية للطوارئ؛ فقد أغرق الكونغرس

(١) جاء في مجلة The National Jewish Ledger (١٠ آذار ١٩٤٤) أن بلوم « لم يؤيد القرارين فحسب ، بل انه في مناسبات عديدة استطاع ان يستعمل سلطته كرئيس للجنة في تسهيل كل موقف حرج ، أو في تذكير شاهد من مؤيدي فكرة الكومنولث (اليهودي) بوثيقة تساعد بوجه خاص ، أو في توجيه البحث او السؤال الى الاتجاه الملائم المتعلق مباشرة بالقرار .

(٢) انظر مناقشة ليلينثال حول هذه النقطة في كتابه :

A.M. Lilienthal • What Price Israel • , Chicago, 1953, p. 89

بأولف البرقيات والرسائل والبطاقات من سائر مدن الولايات المتحدة، واجريت اتصالات متعددة مع كل عضو في لجنة الشؤون الخارجية، من دائرته الانتخابية. وقد كان هذا الاهتمام الشديد بمشروع القرار المطروح، ملفتاً للنظر إلى حدّ أجمع أعضاء مجلس النواب على إبداء استغرابهم، وأنهم قلبها شاهدوا من قبل مثل ذلك الاهتمام العام المدهش بتشريع ما^(١).

ولو وافق المجلسان على القرار المقترح لربط الكونغرس نفسه ببرنامج بلمتور. ولكن تدخل المستر هنري ستمسون Stimson وزير الخارجية الامريكى أوقف النقاش في مشروع القرار، لان الحكومة الامريكية نظرت بشيء من القلق الى تسابق الحزبين الديموقراطي والجمهوري على نيل الحظوة لدى الصهيونية وعلى تأييد مقترحاتها. وقد تخوف روزفلت من موافاة الظروف للصهيونية، خاصة بعد أن تلقى تحذيراً من وزارة الخارجية الامريكية تنذر فيه الرئيس من الأثر السيء الذي قد ينتظر أن يجده انخاذ الكونغرس قراراً بشأن فلسطين في الموقف بالشرق الأوسط.

واستدعي الجنرال جورج مارشال رئيس الاركان الامريكى للدلاء بشهادة مرية أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ (٢٣ شباط). وقد أشار وزير الخارجية الامريكية كوردل هل في مذكراته إلى القلق الذي عكسته المساعي الصهيونية في دوائر الحكومة الامريكية بقوله: « وقد شعرنا في وزارة الخارجية بأنه وإن لم يكن ذاك القرارات ملازمين للسلطة التنفيذية عند إقرارها، فمن شأنها أن يولدا النزاع في فلسطين وباقي أجزاء العالم العربي، فتتعرض الجيوش الامريكية للخطر، ويصبح من الضروري تحويل القوات

Stevens, op. cit., p. 42

(١)

من مناطق القتال الاوربية وغيرها ؛ وقد تؤذي أو تقضي على المفاوضات المنتظرة مع ابن سعود لإنشاء خط أنابيب عبر أراضي العربية السعودية ، وهو الخط الذي رآه قادتنا العسكريون ذا أهمية قصوى لأننا . ومن شأنه إثارة مصالح خاصة أخرى للعث على إدخال قرارات ،أثثة بشأن قضايا اقليمية مختلف عليها ، تتعلق ببعض البقاع كبولنفة واطاليا مثلاً^(١) . إذن فالمحرك الأول للسياسة هو المصالح الذاتية والاستراتيجية فحسب .

كتمت الصهيونية غيظها لبطوط مساعيا في حمل الكونغرس على تصديق قرار فلسطين ، ووجهت اللوم إلى مقتضيات الموقف العسكري ، وفي الوقت نفسه انعقد المؤتمر القومي لفلسطين برعاية لجنة فلسطين الامريكية ومعونة سبع منظمات أخرى . ويظهر أن المؤتمر كان واقفاً على تحفظ الحكومة بيازاء قرار فلسطين . ولذا جاء في بيان المؤرخ في ٩ آذار ١٩٤٤ : « بينا نحن مدركون تماماً للمشاكل والمسؤوليات الملقاة على عاتق زعمائنا العسكريين والدبلوماسيين ، فاننا مقتنعون تماماً بأن تكتيك التهدة والترضية ، لا يمكن ان يكون أساساً لحل دائم للمشكلة الفلسطينية » .^(٢)

ولتعويض الصهيونية عن خيبة أملها الموقت ، استقبل الرئيس روزفلت رئيسي مجلس الطوارئء سلفر و وايز ، في البيت الابيض ، ولتهدة خواطر الصهيونية ، خولهما نشر البيان التالي باسمه : « لقد رخص لنا رئيس الجمهورية أن نقول بأن الحكومة الامريكية لم توافق قط على الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ . ومن دواعي سرور الرئيس ان أبواب فلسطين مفتوحة اليوم أمام اللاجئين اليهود ، وأنه عندما يتم التوصل الى قرارات في المستقبل

(١) Cordell Hull, « Memoirs, » II, pp. 1531-5 (N.Y. 1948)

(٢) Stevens, op. cit., p. 49 footnote.

ستطبق العدالة من أجل أولئك الذين يندشون الوطن القومي اليهودي الذي كانت توليه حكومتنا دائماً مع الشعب الأمريكي كل العطف ، واليوم أكثر من أي وقت مضى ، نظراً للمأزق المفجع الذي وقع فيه مئات الألوف من اللاجئين اليهود المشردين^(١) . وكانت الإشارة الى الكتاب الأبيض لها ما يبررها ، إذ مُحدّد فيه يوم ٣١ آذار ١٩٤٤ كآخر موعد لقبول المهاجرين اليهود ، على الرغم من أن وزير المستعمرات صرح يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ بأنه لم يدخل فلسطين سوى ٤٤ ألفاً من أصل ٧٥ ألفاً بسبب ظروف الحرب القائمة ، ولذا فالحكومة البريطانية قررت عدم التقيد بالتاريخ المذكور^(٢) .

وحين احتجت الحكومات العربية على القرارات المطروحة على الكونغرس ، ثم على تصريح الرئيس روزفلت الى الزعيمين الصهيونيين ، أوعزت وزارة الخارجية الأمريكية الى ممثليها الدبلوماسيين في الشرق الاوسط كي تلفت النظر الى أن بيان الرئيس كان ورد فيه ذكر للوطن القومي اليهودي ، لا الكومنولث اليهودي المنصوص عليه في القرارات المطروحة على الكونغرس . وأنه على الرغم من أن الحكومة الأمريكية ، وهذا أمر صحيح ، ما وافقت أبداً على الكتاب الأبيض ، فان حكومتنا ، وهذا أمر صحيح أيضاً ، ما اتخذت أبداً موقفاً بصدده . وإن من رأي الحكومة أن لا يجري تغيير أساسي في وضع فلسطين دون التشاور الكامل مع اليهود والعرب كليهما^(٣) . على أن الصهانية ، بفضل مساعيهم الحثيثة والناشطة في أوساط الرأي العام وفي دوائر الكونغرس ، قد نجحوا في التعويض

New York Times, 10 March 1944, Quoted in Kirk op. cit. (١)

p. 316

H.C. Debates, 5 th Ser , Vol. 393 cols. 1151-2, Quoted in (٢)

Kirk p. 316, footnote

Hull, op. cit.,II, p. 1534 (٣)

عن هذه النكسة الموقته ، باستقطابها واستئانها وبالتالي استغلالها الى أقصى حدود الاستغلال ، بحيث بات الامريكويون في معظمهم ، لا يفكرون في موضوع فلسطين إلا على الأسس الصهيونية ، ولا ينظرون الى فلسطين إلا من منظار الصهيونية . وتبع هذا الكسب الصهيوني للرأي العام وللكونغرس نتيجة حتمية وهي تبني الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي لبرامج مؤيدة للصهيونية. وفي هذا الوقت أتمّ الصهاينة بنجاح كبير ، ربط اليهودية الأمريكية بالقضية الصهيونية ، في أذهان الرأي العام الأمريكي عموماً ، وفي أذهان كثير من الجماعات اليهودية . حتى لم يعد هناك مجال للشك في أن بمقدور أحد الحزبين الرئيسيين اكتساب تأييد الناخبين اليهود دون أن يؤيد الصهيونية وبرامجها . ومها يكن الأمر ، فمن العجيب أن الولايات المتحدة أوشكت أن تلزم نفسها رسمياً - لو صادق الكونغرس على قرار فلسطين - بحركة ذات أثر عالمي ، وذات تاريخ وحفابا لا تكاد تعرف أو تفهم . والأعجب من ذلك أن هذه النتيجة ، وهي ايجابية جداً برغم النكسة الطارئة ، كانت حصيلة ثلاث سنوات فقط من التركيز الصهيوني على الولايات المتحدة ، في محاولة لضمان تأييد (الأمم الاخرى) . ذلك أنه على الرغم من أن صنع الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، مدين بالكثير للرئيس ويلسون ولعدد من الشخصيات الأمريكية اليهودية والصهيونية ، فان سياسة الولايات المتحدة ظلت غير مهتمة بفلسطين حتى الحرب العالمية الثانية ، حفاظاً على مبدأ العزلة الذي التزمته في الفترة ما بين الحربين . أما بعد نشوب الحرب الثانية ، فقد أصبحت العزلة شأنًا من شؤون الماضي ، وشهدت السنوات الاخيرة من الحرب ضغطاً مستمراً وقويًا على الحكومة من الكونغرس والرأي العام ، بقصد التوصل الى حلّ أمريكي لمشكلة فلسطين يكون مؤيداً للألماني الصهيونية . ومنذ عام ١٩٤٤ تبنّى بجلاء أن الكونغرس الأمريكي قد تم اجتذابه ، ولم يعد بالامكان التراجع .

واعتقد الصهاينة بحق أنه ليس بدّ من الزام الكونغرس أولاً ثم الحكومة ثانياً ، بتبني الاهداف الصهيونية عاجلاً أم آجلاً .

والحق أنه بعد أن تحقق المخطط الصهيوني ، من حيث ربط اليهودية الامريكية ذات النفوذ المالي والإعلامي، بالأهداف الصهيونية ، ورستخت ذلك في أذهان أعضاء الكونغرس والرأي العام ، سارعت لاستغلال هذه البوادر المواتية كي تضمن تأييد الحزبين لبرنامج فلسطين ، في برامجها السياسية . وفي أثناء موسم الانتخابات حرص كل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري على استرضاء الصهاينة ، عن طريق تضمين البرامج السياسية ما يدعو لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة يهودية غير محدودة ، وأمام الاستيطان اليهودي . فقد دعا برنامج الحزب الجمهوري إلى « أن تصبح فلسطين دولة (كومنولث) ديموقراطية حرة وفقاً لمقصد وغرض تصريح بلفور الصادر عام ١٩١٧ ، وقرار مؤتمر الحزب الجمهوري عام ١٩٢٢ . وإنا ندين الرئيس لتقصيره في الالحاح على الدولة المنتدبة في فلسطين لتنفيذ أحكام تصريح بلفور وأحكام الانتداب^(١) . . . » . والحزب الديمقراطي نسج على هذا المنوال خشية أن يسبقه الحزب الجمهوري في الفوز بأصوات اليهود . وتلقى الصهاينة بالترحيب البرنامج الديمقراطي لأنه كرّر فعلاً نص برنامج بلفور : « . إنا نؤيد فتح أبواب فلسطين للهجرة والاستيطان اليهوديين ، ونؤيد السياسة التي ينجم عنها إنشاء كومنولث حرّ ديموقراطي هناك^(٢) » .

Teh Times, 30 June, 1914, Esco, op. cit. II p, 1116 (١)

The Times, 22 July, 1914, Esco, ibid. (٢)

الفصل الخامس عشر

الصهيونية وحكومة روزفلت

المساعي الصهيونية في عهد روزفلت :

لم يكن تفكير وزارة الخارجية الامريكية التي توجه سياسة البيت الأبيض ، بمائلاً لتفكير الكونغرس بشأن فلسطين في أي عهد من العهود ، لأنها كانا يدوران في فلكين مختلفين. والتصريحات التي أدلى بها رؤساء الجمهورية: ويلسون، هاردينغ، كولدج، وهوفر، كانت جميعها تعطف على اليهود اليهودية في فلسطين ، ولكنها لم تؤيد مجال هدف الصهيونية السياسية . ولكن بعد أيار ١٩٤٢ نشهد تبديلاً في السياسة التي درجت عليها السلطة التنفيذية العليا في معالجة الأمور من البيت الأبيض فقد مال روزفلت عن السياسة التقليدية لأسلافه، أو على الأقل ظهر كذلك، على الرغم من أن اتجاه الحكومة الامريكية نحو تأييد الهدف الصهيوني ، يناقض تماماً المصالح القومية الامريكية في الشرق الاوسط من الوجهتين الاستراتيجية والاقتصادية وهذه هي قيمة النصر الذي أحرزته الصهيونية، وهذا هو مداه ولا شك في أن من عوامل نجاح الصهاينة في الضغط على السياسة الخارجية الامريكية وتكييفها طبق أهوائهم ومآربهم أنهم كانوا يدعون التعبير عن آراء الأقلية اليهودية وينطقون بما في ضميرها . وبومذاك - أي في الأربعينات- كان هذا الادعاء افتراء صريحاً ثبت بطلانه . ومن هذه العوامل ايضاً ما كان يحلم به زعماء الحزبين الرئيسيين من

كسب الأصوات اليهودية في الانتخابات، وأهم من ذلك استمالة التمويل اليهودي لحملات الدعاية الانتخابية ، وتكليفها مهظة لكاهل المرشح الرئاسة والمرشح لعضوية الكونغرس على السواء فإذا أضفنا إلى ذلك أن الدعاوة الصهيونية كانت تلهب الرأي العام الأمريكي ، مستغلة جهله بحقيقة وضع فلسطين من جهة ، ومستغلة المشاعر الانسانية بعرضها صورة مشوهة ومضخمة لمحنة اليهود المشردين في اوربا ، وارهاق السلطات البريطانية لهم في فلسطين ، فهنا التأثير الفعال الذي مارسه مجموعة هذه العوامل على الافكار البريئة التي أصبحت تؤمن أنه من واجب الحكومة أن تتخذ خطوات ايجابية لانقاذ ضحايا النازية من الجحيم الذي سقطوا فيه . وليس للعرب إلا أن يلوموا أنفسهم بسبب غياب وجهة نظرم عن أوساط الرأي العام ، وترك الميدان واسعاً لتصول فيه الدعاية الصهيونية وتجول ، بغض النظر عما إذا كان ما تردده هو الباطل والزييف ، وأن مقابله هو الصواب والحق ، لأن مقياس نجاح الفكرة ليس دائماً في أنها صائبة مستقيمة فقط ، وإنما أيضاً في أنها منتشرة ذاتعة بين أناس قد لا يشعرون بالحاجة الماسة لبحثها واستقصائها .

ومها يكن الأمر فإن روزفلت ظل يعترف بأن فلسطين هي من الشؤون البريطانية ، ويبدو جلياً أنه لم يكن لديه فكرة صحيحة عن قضية فلسطين. وتتضح هذه البلبلة في ذهنه من تصوره أن صك الانتداب كان قصد « تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود » ، ومن ملاحظته بأن « الهجرة العربية الى فلسطين منذ عام ١٩٢١ قد فاقت كثيراً الهجرة اليهودية » . ولا شك في أن هذه الملاحظة المغلوطة قد نقضتها ودحضتها الأرقام الرسمية لزيادة السكان خلال هذه الفترة (٣٨٨ ألفاً من العرب و ٣٦٢ ألفاً من اليهود^(١)) .

Elliot Roosevelt (ed.) • the Roosevelt Letters, • London (١)

1949 - 52, III, p. 264, Quoted in Kirk, p. 312, footnote .

والواقع أن روزفلت خلط بين شيئين مختلفين تمام الاختلاف ؛ خلط تزايد السكان الطبيعي بواسطة الهجرة ، وتزايد السكان الطبيعي بجميع عوامله ، بما في ذلك ارتفاع ملحوظ في نسبة الزيادة الطبيعية بين العرب عنها بين اليهود .

ومها قيل في تفسير اختلاط الأمر على روزفلت في مثل هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة الخطورة ، من أنه كسياسي كبير لم يكن ليتسع وقته ، وخاصة خلال الحرب ، لتثقيف نفسه بتفاصيل مسألة فلسطين ، فإن ذلك التفسير لا يعفيه من المسؤولية عن النتائج التي ترتبت على ذلك . لأن الصهيونية وجدت ضالتها في شخصه وشخص من سليله على كرسي الرئاسة ، لتنفيذ أغراضها . فقد وجد الدكتور وايزمن أنه أسهل عليه كثيراً أن يقنع « رجل سياسة من الطبقة الأولى » ، من إقناعه « رجال المستوى الأدنى » الذين كانت واجبهم هو تفحص مشاريعه بالتفصيل^(١) . وكانت الصهيونية من قبل استغلالها لجهل الرأي العام الأمريكي ، وحتى لجهل الرئيس الأمريكي نفسه ، تلقي العنت والصدود من الموظفين الرسميين في وزارة الخارجية الأمريكية (رجال المستوى الأدنى) الذين كانوا ضد ما اعتبروه تدخلاً لا مبرر له من قبل الصهاينة الأمريكيتين في إدارة السياسة الخارجية . ويكشف وايزمن عن هذه المعارضة التي وصفها بأنها « شاذة وسرية » بقوله :

« لكن صعوباتنا لم تتعلق بكبار رجال السياسة ، هؤلاء كانوا قد تفهموا جيداً ودائماً أمانينا .. إنما كنا دائماً نلقى المعارضة عنيدة شاذة وخفية من خلف الستار من قبل الصغار ، وهي المعارضة التي جعلت التصريحات العلنية للسانة الأمريكيين لا قيمة لها وفي جهودنا الرامية إلى تعطيل تأثير تلك القوى العاملة من وراء الستار، كنا مغلوبين الأيدي

Weizmann, op. cit., p. 530

(١)

إلى أقصى حدّ ، لأنه لم يكن لنا في أوساطها موطن . قدم .. وكان الأمريكيون الذين يعملون في الشرق الأوسط ، باستثناءات قليلة إما مرتبطين بشركات النفط أو ملحقين بالرساليات في بيروت والقاهرة . ولأمر أو لآخر ، كانوا يتحيزون ضدنا .. وكل المعلومات الواردة من الشرق الأوسط إلى السلطات في واشنطن كان مفعولها ضدنا^(١) .

ومها قيل في وصف براعة سياسة روزفلت تجاه الصهاينة ، فإن هؤلاء أحرزوا نصراً لا يستهان به في عهده ، حين أدت تدخلاتهم المستمرة وضغوطهم الدائمة على أعضاء الكونغرس وعلى الرئيس ، إلى تركيز رسم السياسة المتبعة حيال فلسطين في البيت الأبيض بصورة متزايدة . واستمر الصهاينة في اتصالاتهم مع المستويات العليا . وبذلك لم تعد نضائح وآراء المختصين في وزارتي الخارجية والحربية تلعب دورها الاختصاصي السابق ، وتضاءلت أهميتها تدريجياً ، برغم أن آراءها كانت تقوم على أساس المعرفة الكاملة للقضية الفلسطينية ومضاعفاتها ، وارتباط ذلك كله بالمصلحة القومية الأمريكية .

وقد أخذ وايزمن على عاتقه ، مع زعماء الصهيونية الأمريكيين ، مهمة كسب مساندة المستويات العليا في الحكومة الأمريكية . وارتحل وايزمن في سبيل ذلك ثلاث مرات إلى الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية . وقد حاول في مقابله الأولى للرئيس روزفلت (أوائل شباط ١٩٤٠) أن يتحسس رأيه حول إمكانية معارضة الولايات المتحدة للكتاب الأبيض ، ولكن وأظهر الرئيس نفسه مجرد صديق ، وبقي البحث في نطاق النظريات^(٢) . وفي المرة الثانية ارتحل وايزمن تلبية لطلب الحكومة البريطانية لينظر في المدى الذي بلغته

Weizmann, ibid, pp. 530-31

(١)

ibid, p. 516

(٢)

الدعاية المعادية لبريطانيا في الولايات المتحدة ، دون أن يهمل طبعاً القضايا الصهيونية. (١)
ولعل هذا الموقف يقابله موقف الصهاينة المماثل في الحرب العالمية الاولى حين تطوعوا
لمساندة الجهود الحربية البريطانية عن طريق اجتذاب الولايات المتحدة الى الحرب ،
بواسطة يهود العالم ويهود أمريكا بالذات . ولم ينجم شيء يذكر عن هذه الزيارة ، لإلتويبه
وايزمن بيول سمير ويلز وكيل الخارجية الامريكية واستعداده لخدمة الصهيونية .

وفي وقت مبكر من عام ١٩٤٢ قام وايزمن برحلته الثالثة الى الولايات المتحدة ،
تلبية لطلب روزفلت ، لیساعد في تطوير صناعة المطاط كيمياوياً ، بعد ان انقطع مدده من
مصادره الاصلية . ودامت هذه الرحلة من نيسان ١٩٤٢ حتى تموز ١٩٤٣ . وفي غضون
ذلك عمل وايزمن في ميدان الكيمياء ، كما اتصل بالزعماء الامريكيين لمعرفة مايمكن ان
يتوقع على أيديهم من الخير الى الصهيونية . وقبل رحيله عائداً إلى لندن أجرى مقابلة مع
روزفلت بحضور سمير ويلز ، وصفها وايزمن بأنها ايجابية ، وقال ان روزفلت كان واقفاً
على المسألة العربية ، « وقد تحدث خاصة عن ابن سعود الذي يعتبره متعصباً وصعب المراس . »
وقال وايزمن أن القضية الصهيونية لا يمكن أن تتوقف على موافقة العرب : « طالما طلبتم
موافقة العرب على قضيتنا ، فمن الطبيعي أنهم سيرفضونها . ولكن حالما يعرفون ان
تشرشل وروزفلت كليهما يساند الوطن القومي اليهودي (في سائر فلسطين) ، فسوف
يدعنون . وفي الوقت الذي يشعر فيه العرب بصدع في هذه المساندة ، فإن موقفهم يصبح
سليماً ومستكبراً وهداماً . وقد أكد لي روزفلت ثانية عواطفه ورغبته في تسوية
المسألة (٢) ، وقد حاول سمير ويلز أن يثير لدى الرئيس استجابة أكثر تعاطفاً ، بتلميحه إلى

ibid, p. 522

(١)

Weizmann, ibid, p. 534

(٢)

فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي ، مقترحاً دعماً مالياً أمريكياً لانشائه^(١) . ولكن لم يطرأ على موقف الحكومة الامريكية أي تبادل ، وكانت نخشى ان يستغل النازيون أية تصريحات مؤيدة للصهيونية اثناء زحفهم عبر شمال افريقيا في اوائل عام ١٩٤٣ ، للاخلال بالتوازن الحساس في منطقة الشرق الاوسط .

وبينا كان روزفلت يولي عنايته قضية الاستقرار السياسي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. إذا بمشكلة اللاجئين اليهود تبرز يالحاح ، إذ أفلحت الدعاية الصهيونية في تضخيم ما أسمته بحملات (الابادة النازية) ضد اليهود في أوروبا ، وظهر (التهويش) واضحاً في عناوين الصحف وبرامج الاذاعة والتلفزيون ، بهدف التأثير على الرأي العام وخاصة الساسة ، والبريطانيين منهم بوجه خاص كي يعملوا على فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة غير المشروعة . وفي غضون ذلك تقدم اللورد هاليفاكس سفير بريطانيا في واشنطن ، يطلب من الحكومة الامريكية التعاون مع بريطانيا للتخفيف من نكبة المضطهدين في أوروبا عموماً (كانون الثاني ١٩٤٣) .

وانعقد مؤتمر في برمودا للنظر في مسألة اللاجئين (نيسان ١٩٤٣) . وتبين أن بريطانيا والولايات المتحدة غير راغبتين في قبول أي عدد من اللاجئين اليهود في بلديهما ، وكان موقف ممثليها ازاء جميع المقترحات ، موقفاً سلبياً دائماً . وبالنسبة لفلسطين ، صرح ممثلو بريطانيا أن تنفيذ الكتاب الابيض هو أمر ضروري من وجهة نظر استقرار الشرق الاوسط . أما كوردل هل وزير الخارجية الامريكية ، فقد أحاط المؤتمر علماً بأنه لاحيلة

ibid, p. 535

(١)

في يده طالما أن الكونغرس هو الذي يتخذ اجراء تحديد سياسة البلد بالنسبة لقبول المهاجرين الجدد^(١) .

وقرر المؤتمر توسيع اللجنة المشتركة للاجئين ورصد الأموال اللازمة لها ، ومطالبة لجنة فرنسا الحرة في الجزائر بإسكان اللاجئين في جزيرة مدغشقر . ولكن الصهيونية شنت حملة شعواء على إسكان اللاجئين في مدغشقر ، والسبب هو ما أقرّ به متعاطف مع الصهيونية بقوله : « ولعل الحقيقة في هذه القضية واضحة كل الوضوح ؛ فقد ناقش مؤتمر برومدا الموضوع من الناحية الانسانية دون الرجوع الى مطالب الصهيونية السياسية ، ولذا فإن الصهاينة لم يكتروا به ، ولم يأسفوا على عدم تنفيذ الاقتراح الخاص بإسكان اللاجئين في مدغشقر^(٢) » .

واعترف وزير الخارجية الامريكية (هل) ان خطة الحكومة الرامية الى معالجة مشكلة اللاجئين بعزل عن القضية الفلسطينية ، لقيت النقد الشديد من اليهود، وبعضهم يحتل مراكز رفيعة مثل وزير الحزب ايمورغانترالذي « اكتشف خطأ يؤسف له في وزارة الخارجية ، ولا سببا عند كل موظف يعالج مشكلة اللاجئين .^(٣) » ! ولا يمكن لرجل مثل روزفلت ان يفوته مغزى النقد الصهيوني الشديد لحل مشكلة اللاجئين اليهود بعيداً عن فلسطين . فقد شعر روزفلت أن من واجب جميع الأمم تخفيض حواجز الهجرة لقبول جميع اللاجئين من اضهاد النازي في أوروبا ، بغض النظر عن العرق واللون والدين . ولكن عندما تولى

Eseo, op. cit. II, p. 951

(١)

Sykes, op. cit., p. 289

(٢)

Hull op. cit., p. 1539

(٣)

روزفلت تنفيذ هذا البرنامج ، اكتشف بأن الصهاينة كانوا ضده^(١) .

وقد أشار موريس ارنت مبعوث روزفلت الى تشرشل في كتابه الى فشل خطة روزفلت ، بقوله : « .. ولكنها لم تنجح ، ولا أقصد أن أنقل عن روزفلت أو حتى ألتح بأن تقديري لمدى الفشل يتفق بتفاصيله مع تقديره . لكن بدا لي أن عدم تأييد جماعات اليهود الرئيسية لبرنامج الهجرة هذا بجاس ، حدا بالرئيس أن لا يمضي في تنفيذه آنذاك . وقد تحدثت الى الكثيرين من أرباب الفعالية في المنظمات اليهودية ، وأنا اقترحت الخطة ، ووضحت أنه لا يمكن إرغام اليهود أو غيرهم في أوربا على الرحيل الى أي مكان ، وبصورة أكيدة الى أمة محددة . . . ولقد دُهِشت ، بل شعرت انني أهنت عندما صاح بي زعماء اليهود من أرباب الفعالية ، وهزأوا بي ، وسنوا هجومهم عليّ كأنني خائن ، وفي إحدى

(١) ارسل روزفلت مبعوثه موريس ارنت الى لندن للتأكد من أن حكومتها مستعدة لقبول مائة أو مائتي ألف لاجيء في بلادها . وعاد ارنت بجواب مشجع من تشرشل ونقله الى روزفلت الذي كان يجري محادثته الاستطلاعية حول الموضوع ، فتأكد أن الصهاينة كانوا معارضين لخطته . ويروي الفرد ليلينثال في كتابه « ثمن اسرائيل » رواية اخرى اقتبسها من خطاب ألقاه ارنت في مدينة سنسناي بعد نشر كتابه . وهي تذكر أن روزفلت خاطب ارنت بقوله : لا يمكن عمل شيء في الخطة ، لأن الزعامة اليهودية الامريكية لن تسانده . وقال روزفلت انهم على صواب من وجهة نظرم . فالحركة الصهيونية تعرف ان فلسطين يجب ان تصبح عاجلاً أو آجلاً الملجأ الأمين لجماعتهم . وعن هذا الطريق يستطيعون جمع الاموال الطائلة من أغنياء امريكا اليهود وغير اليهود في سبيل تحقيق هذا الهدف .. قائلين لأولئك المتبرعين بسخاء : « ليس هناك من مكان آخر يمكن لليهودي أن يلبأ اليه سوى فلسطين . ولكن في حالة وجود برنامج عالمي لايواء مشردي العالم في ملجأ سياسي، أو في عدة ملاجئ مختلفة، فلن يتمكن زعماء الصهيونية من استدرار عطف المتبرعين. »

Lilienthal op. cit., p. 32

الولايات المتحدة أعلنت بأنني أساند هذه الحطة الرامية الى المزيد من التسامح في الهجرة ، بغية القضاء على الصهيونية السياسية .. وتلك الجماعات اليهودية التي أيدت فتح أبوابنا لم يجاوز عملها حد القول في تأييد برنامج الرئيس روزفلت ، وأصدقائي الصهاينة كانوا من معارضي البرنامج . وسنرى أن هذه المعارضة المريرة سوف تستمر حتى عهد ترومان ، ولن تقبل أبداً مبدأ الفصل في معالجة قضية اللاجئين اليهود بينها وبين قضية فلسطين .

سياسة الحكومة الأمريكية تجاه العرب :

تعرضت الحكومة الأمريكية للضغط الصهيوني داخل الولايات المتحدة ومن ناحية ثانية تعرضت لضغط بعض الجهات الاستعمارية للحصول على امتيازات أخرى للتنقيب عن النفط في السعودية ، وحقوق هبوط الطائرات الأمريكية في المطارات السعودية . ومن ناحية ثالثة ، تلقت الحكومة الأمريكية تقارير من ممثليها الدبلوماسيين في الشرق الاوسط عن ردود الفعل العنيفة التي نجمت عن تصاعد النشاط الصهيوني في أمريكا ورضوخ بعض الدوائر الرسمية الأمريكية أمامه ، وانعكاسها المتزايد على الدول العربية . من ذلك تقارير الكولونل هالفورد هوسكنز أحد الخبراء الامريكين الذي أرسلته الأركان المشتركة الى منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٤٢ . فقد كتب عن مخاوفه في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ محذراً من أنه ما لم تبادر الحكومة الأمريكية الى تخفيض حدة التوتر ، فان النزاع يمكن أن ينشب في فلسطين بين العرب واليهود ، قبل نهاية الحرب القائمة ، ويمتد الى سائر أنحاء الشرق العربي^(١) .

وقد أرسل الملك عبد العزيز آل سعود الى الرئيس الأمريكي روزفلت بعلمه (نيسان

Kirk, op. cit., p. 312

(١)

— أيار ١٩٤٣) أنه أحجم طويلاً عن الاتصال بحكومة الولايات المتحدة بغية لفت نظرها الى مغبة تبنيها سياسة مواتية للصهيونية . وبرغم الاحاح عليه للقيام بهذا الاتصال ، فانه رغب في أن لا يربك المجهود الحربي للولايات المتحدة أو الأمم المتحالفة آنذاك . وطلب ابن سعود تأكيدات من الحكومة الامريكية بأنها لن تتخذ أية خطوات توكيدية بالنسبة لفلسطين قبل أطلاعه عليها سلفاً^(١) . وصرح كوردل هل وزير الخارجية الامريكية في مذكراته أن الرئيس روزفلت كان يومذاك « منجذباً الى شخصية الملك ابن سعود القوية ، ويتطلع بشوق للتعرف عليه شخصياً » . وفي ٢٦ أيار نقل (هل) جواب روزفلت الى ابن سعود « معرباً عن تقديره لتعاون الملك وتعاطفه معه ، ومعبراً عن الأمل في أن يصل اليهود والعرب المعنيين الى تقام ودي حول فلسطين قبل نهاية الحرب » ، وأضاف روزفلت انه على أية حال ، فمن رأي حكومة الولايات المتحدة أنه « لا يجب ان يتم التوصل الى أي قرار من شأنه تبديل الوضع الأساسي في فلسطين دون استشارة اليهود والعرب استشارة تامة^(٢) » .

ولعل أمل روزفلت في التوصل الى اتفاق بين العرب واليهود قبل نهاية الحرب ، كان له علاقة بمقابلة أجراها وايزمن مع روزفلت بحضور سمنويلز وبمحت فيها مخططاً أنشأه جون فيليبي وحاز على موافقة تشرشل . وبموجبه يتولى ابن سعود زعامة البلدان العربية ، بينما تعلن فلسطين برمتها وطناً قومياً لليهود ، بعد ترحيل العرب عنها ووضع عشرين مليون جنيه استرليني تحت تصرف ابن سعود لإعادة توطينهم^(٣) . ولكن هذا الاقتراح الذي أبرزه

Hall, op. cit, II, p. 1532

(١)

ibid.

(٢)

St. John Filby, «Arabian Jubilee» (London 1952),p.216

(٣)

الكولونل هوسكنز لابن سعود جعله يستشيط غضباً ويصب نقمته وازدراءه على وايزمن واتهمه برشوته ، وعلى فيليبي لأنه صاحب الاقتراح . ويبدو أن اللورد موين كان في كانون الأول قد جرب أن يسبر غور ابن سعود بصدد الموضوع بايعاز من الحكومة البريطانية^(١) .

ويظهر أن هذه المحاولة الصهيونية الاستعمارية كانت جزءاً من مجهود الصهاينة للحصول على اتفاق بشأن فلسطين عن طريق أقل ما يمكن من المعارضة . وهذا هو التكتيك البارع الذي اشتهر عن وايزمن وسمي بدبلوماسية الباب الخلفي .

ويروي وايزمن أنه قابل جون فيليبي « الرحالة المشهور في الجزيرة العربية وموضع ثقة ابن سعود » ، وتحدث معه عن فلسطين والعلاقات العربية . وقال فيليبي إنه يعتقد أن ثمة مطلبين فقط ، هما ضروريان لحل المشكلة الصهيونية . « أول المطلبين أن يحيط المستر تشرشل والرئيس روزفلت ابن سعود علماً بأنها يرغبان في رؤية برنامجكم قيد التنفيذ . . والمطلب الثاني أنها يجب أن يساندا نصبه سيداً على البلدان العربية ، ويعطيانه قرصاً لتمكينه من تطوير بلاده^(٢) » .

وبعد بضعة شهور أمضى وايزمن عدة دقائق مع تشرشل قبل ساعات من سفر وايزمن الى الولايات المتحدة ، تلبية لطلب روزفلت للمساهمة في انتاج مطاط صناعي . ويروي وايزمن ان تشرشل في هذه البرهة القصيرة بادره بقوله : « أريدك أن تعلم أن لدي مخططاً لا يمكن أن ينفذ بالطبع إلا بعد الحرب ؛ أريد أن أرى ابن-سعود وقد نُصب سيداً على الشرق الاوسط - سلطاناً للسلطين ، شريطة أن يتفق معك . ومساءلة الحصول على أفضل

ibid, pp. 215 , 216

(١)

Weizmann, op. cit., p. 526

(٢)

الشروط الممكنة متروكة لك. ونحن طبعاً سوف نساعدك ؛ عليك أن تحتفظ بالأمر سراً ، ولكن يمكنك نقله الى روزفلت حين وصولك الى أمريكا ، فليس ثمة شيء لا يمكن عمله ، اذا استقر رأيه ورأيي ، كلينا عليه^(١) . ويتذكر وايزمن محادثته مع فيلي حول الموضوع فيقول : « والآن قد وفتت بين (عرض) فيلي و (مخطط) تشرشل أحدهما بالآخر . »

و حين بحث وايزمن هذا المخطط الذي أنشأه فيلي ، وحاز على رضى تشرشل ، مع روزفلت ، أو عز هذا الى الكولونل هوسكنز ليقترح على ابن سعود الدخول في مباحثات بصدده مع وايزمن أو مع ممثل آخر عن الوكالة اليهودية . وفي الوقت نفسه يدعو الملك أو أحد أفراد أسرته لزيارة الولايات المتحدة في المستقبل القريب . وعلى كل حال فقد رفض ابن سعود رفضاً باتاً أن يقابل وايزمن ، وصرح أنه لا يستطيع التحدث عن فلسطين دون مشورة بقية الممثلين العرب الآخرين ، فكيف « بسلم » البلد الى اليهود ، حتى ولو أراد أن ينظر في الاقتراح ولو لبرهة^(٢) ! ومن الطبيعي أن يحاول وايزمن التملص من الضلوع في هذه المحاولة الفاشلة بعد الصفعة التي وجهت إليه بالواسطة ؛ فقد روي أن هوسكنز قابل وايزمن بعد عودته من الشرق الأوسط ، وقال « إنه زار ابن سعود الذي تحدث عني بأشد حالات الغضب والازدراء ، مؤكداً أنني حاولت أن أرشوه ببلغ ٢٠ مليون جنيه لبيع فلسطين وبسماها الى اليهود^(٣) . »

ويزعم وايزمن أنه دهش من هذا الخبر . . « وقد صعقت تماماً من هذا التفسير القائم على اقتراح لم أضعه أبداً ، ولكن شكلاً منه كان قدمه إلي ممثل ابن سعود - فيلي . »

ibid., pp. 525-526 (١)

Kirk, op. cit., p. 314 (٢)

Weizmann, op. cit., p. 531 (٣)

وأضاف هوسكنز أن ابن سعود ذكر له إنه لن يسمح أبداً للستر فيليبي أن يعبر حدود مملكته ثانية . وبعد فترة وجيزة يجتمع وايزمن مع فيليبي وينقل له حديث هوسكنز ، فينفيه فيليبي بقوله إنه « هراء وضيع » ، والحقيقة ان العلاقات بين فيليبي وابن سعود لم تتحسن مطلقاً^(١) . وبذلك يسدل الستار على هذه المحاولة المشوهة المرية التي ضلعت فيها الصهيونية مع قوى الاستعمار البريطاني والأمريكي ، والتي بدأت منذ عام ١٩٣٩ ، حتى أواسط عام ١٩٤٣^(٢) .

والجدير بالملاحظة في سياق الحديث عن موقف السياسة الأمريكية تجاه العرب ، هو أن بذل روزفلت وعوداً مهما كانت قوتها الى الصهيونية ، من جهة ، ووعدده العرب بممثلين في ابن سعود بأنه لن يتم الوصول الى أي قرار بشأن فلسطين دون مشورة العرب واليهود كليهما ، من جهة ثانية ، انما يسجل بداية التدخل الامريكى الرسمي في قضية فلسطين ؛

ibid .

(١)

(٢) يروي فيليبي في كتابه « اليوبيل العربي Arabian Jubilee » ص ٢١١ - ٢١٤ أن مخططه يرمي الى تعميم منافع تسوية قضية فلسطين على كل جزء من العالم العربي . ويرغم فيليبي أن تأييد ابن سعود للمخطط أفضى الى اعتقاد قلمي ان العرب سيتقبلونه قبولاً حسناً . وفي الوقت نفسه يعزز مركز فيليبي مستشاره . ويتضمن الحل أربعة أجزاء :

١ - ترك فلسطين بأسرها لليهود .

٢ - توطين عرب فلسطين النازحين عنها في أماكن أخرى على نفقة اليهود الذين يضعون مبلغ عشرين مليون جنيه استرليني لهذا الغرض تحت تصرف الملك .

٣ - الاعتراف باستقلال جميع البلدان العربية الأخرى في آسيا باستثناء بحرية عدن .

٤ - تقترح كل من بريطانيا والولايات المتحدة هذه الترتيبات على ابن سعود مسع الضمانات في حال قبول العرب بها .

ويقال ان فيليبي نقل مخططه الى ميدان الدبلوماسية بعد أن وافق عليه وايزمن وشركوه موافقة مخصصة في تشرين الاول ١٩٣٩ اثناء وليمة في لندن . ويذكر فيليبي ان الرجلين « وافقوا على ان يبذلا ==

فقد تحمل الرئيس الامريكى هذين التعهدين ، للصهيونية وللعرب ، مسؤولية المساهمة في ايجاد حل لقضية فلسطين باسم الحكومة الامريكية بعد أن طال تمسكها بالعزلة . ولكن يبدو أن روزفلت هو الذي خرج عن المألوف في السياسة الامريكية ، وظلت وزارة الخارجية ترى أن امريكا لا شأن لها بفلسطين . فقد كتب كوردل هل في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٤ الى الشيخ ماينك عضو مجلس الشيوخ ، ردأ على احتجاج له بقوله : « جواباً على استقامك فيني أعلن لك بخصوص فلسطين ووضعها إزاء اليهود المضطهدين في أوروبا ، أن الحكومة الامريكية تعتبر فلسطين هذه أمانة في عنق بريطانيا ، وأنه ليس لنا نحن أن نتدخل فيها^(١) . » . وكان (هل) نفسه قد أكد أيضاً في التاريخ نفسه أن حكومة بلاده لا دخل لها في شؤون فلسطين ، وانها لا تبيع لنفسها أكثر من إظهار القلق على اليهود المضطهدين في أوروبا . وينعكس تبين الموقفين : موقف روزفلت وموقف الخارجية الامريكية في قول وايزمن : « لقد كان هناك خلاف قائم بين البيت الابيض في عهد روزفلت وبين سمرويلز (وكيل الخارجية) ، ثم بينها وبين الخارجية بسبب قضية فلسطين ،

كل نفوذها لدى الحكومتين البريطانية والامريكية بغية القبول بهذا الاتفاق وتنفيذه . وخولني الرجلان ان اطالع ابن سعود على أحكام الاتفاق واحاول الحصول على موافقته قبل اتخاذ اي خطوة في الوقت المناسب من قبل الحكومتين المعنيتين . » . ويقال ان وايزمن تحدث عن المخطط مع تشرشل في الامبرالية (١٧ كانون اول ١٩٣٩) ، وتحدث مع روزفلت (شباط ١٩٤٠) ، في حين نقل فيليبي المخطط الى ابن سعود بنفسه في كانون الثاني ١٩٤٠ . ولم تشر المحادثات عن شيء . الا ان وايزمن كتب الى فيليبي يسأله عن انباء تقدم المخطط ويؤكد له الثقة في الحصول على القبول به (ايار ١٩٤٠) . ولم يتم تشرشل بالمخطط إلا في تشرين الثاني ١٩٤١ ، وفي ١١ آذار ١٩٤٣ طلب من وايزمن ان يبحث الاقتراح مع روزفلت اثناء زيارته القادمة لامريكا .

Manuel, op. cit., p. 310

(١)

وهذا خلاف لم نجد نحن اليهود شيئاً منه في بريطانيا ، فلقد كان الجميع فيها معنا^(١) .
 وعلى الرغم من أن مضمون ردّ روزفلت الى ابن سعود لم ينشر ، وأن المحادثات الاستطلاعية التي أجراها الكولونل هوسكنز لم تكن مشررة ، فان اقتراحه بأن تؤجل الولايات المتحدة وبريطانيا كل محادثات بشأن فلسطين الى ما بعد الحرب ، وبالتشاور التام مع العرب واليهود كان موضع نظر الحكومتين . حتى اذا تسربت بعض انباء هذه المقترحات ، وأصبح معروفاً ان روزفلت مضى بخطته لتشمل العرب في التسوية النهائية لمسألة فلسطين ، وأنه يقصد الى تعاون ابن سعود في هذا الأمر ، اتخذ الصهاينة الامريكويون موقف العداء . وفي ١٨ آب ١٩٤٣ هدد ايمانويل سيلر - Celler وهو عضو صهيوني في الكونغرس ، رئيس الجمهورية بتحقيق مجريه الكونغرس ، اذا لم تتخذ الاجراءات لوقف إمعان وزارة الخارجية في مناهضة الصهيونية^(٢) ، وكانت هذه طريقة غير مباشرة في تهديد الرئيس نفسه . غير أن الصهاينة لم يجرزوا أي تقدم إلا بعد مضي بعض الوقت .

وقد أثار الصهاينة أعضاء الكونغرس عدة مرات ضد ما أسموه بمؤامرة وزارة الخارجية الامريكية التي تحول بين اليهود وبين فلسطين . ووجه سيلر التهمة الى هوسكنز وموظفين آخرين بأنهم « ساهموا في تسليم فلسطين » ، وناشد الرئيس « كإجراء بئس أخير » بأن يتوسط لدى تشرشل في مؤتمر كوبيك (١٧ - ٢٤ آب ١٩٤٣) لجعل فلسطين وطناً لليهود . ولكن معارضة وزارة الحرب الامريكية^(٣) تأجيل صدور البيان الانكلو امريكي المشترك الذي اقترحه هوسكنز ، وقرار روزفلت وتشرشل في ٢٢ آب أن تناقش

Manuel, op. cit., p. 317

(١)

Kirk, op. cit., p. 314

(٢)

Hull, op. cit., p. 1533

(٣)

حكومتها المسألة فيما بعد . وفي ٢٧ ايلول ذكر روزفلت للكونغرس هوسكنز انه فكر بوضع فلسطين تحت وصاية مشتركة مؤلفة من يهودي ومسيحي ومسلم ، بحيث تغدو بالفعل الأرض المقدسة للأديان الثلاثة . وقامت الخارجية الامريكية بدراسة الفكرة دراسة جدية . ولكن تعذر جمع اليهود والعرب معاً على أساس ودي مشترك .. وخطر إثارة عواصف الرمال في الشرق الادنى بمحاولة غير ناجحة لحل مسألة فلسطين ، جعل من العقل تأجيل العمل بها حتى يجين وقت أكثر ملائمة^(١) . وكما حالت وزارة الخارجية الامريكية دون اصدار بيان تتكرر فيه الوعود التي قطعها روزفلت لابن سعود ، كذلك عارضت في الوقت نفسه كل بيان يمكن ان يظهر مؤيداً لليهود ، وفي الواقع استمر روزفلت في اتباع سياسة التسوية والتأجيل وفقاً لوعده المقطوع لابن سعود .

وصف (هل) هذا التسوية بقوله : « تحدث الرئيس ، بوجه عام في بعض الأحيان ، في الاتجاهين الى الصهاينة والعرب ، إذ كان محاصراً من قبل الفريقين . واعتقد الحاخامان وايز و سلفر ان الرئيس سبق أن قطع عهداً لهما . أما وزارة الخارجية الامريكية فلم تقطع على نفسها أية وعود^(٢) » . ولم تغلح نضائح (هل) للرئيس روزفلت بوجوب التنبيه على الزعماء الحزبيين بأن يجمعوا عن الادلاء بأية تصريحات أثناء الحملة الانتخابية ، من شأنها إثارة العرب ، أو الاخلال بتوازن القوى المقلقل في فلسطين نفسها (تموز ١٩٤٤)^(٣) . ومع ذلك ففي ١٢ تشرين الاول قابل حاكم نيويورك ديوي - وهو المرشح الجمهوري

ibid, p. 1531 (١)

Hull, op. cit., II, p. 1536 (٢)

(٣) جرى ذلك بعد ان ابدت الحكومة العراقية قلقها الشديد من تصريحات الحزبين .

New York Times, 13 oct., 1944

للرئاسة في انتخابات تشرين الثاني القادم ، الزعيم الصهيوني سلفر ، وصرح ديوي بعد المقابلة انه يؤيد تأييداً قليلاً بيان حزبه حول فلسطين ، وكرر أنه مناصر لاعادة انشاء دولة حرة ديمقراطية يهودية في فلسطين ، طبقاً لوعده بلفور^(١) . واضطر روزفلت بدوره الى الحديث عن فلسطين ، نظراً لأهمية أصوات اليهود ، وبذل الصهاينة جهدهم ليثبتوا ان هذه الأصوات تشكل العنصر المرجح الذي سيحسم نتيجة انتخابات الرئاسة القادمة^(٢) . فهل بمقدور المرشحين للرئاسة الامريكية أن يقاوموا هذا الاغراء ، ويضخوا بالمصلحة الانتخابية مقابل الحفاظ على الصالح العام ؟ في وقت تجهل فيه الجماهير الناجبة الامريكية حقائق قضية فلسطين ، بحيث يمكن للمرشح ان يتجاهل الصالح العام دون خشية من التعرض لتقمة الرأي العام ؟ هذه هي عقدة العقد في الموقف الرسمي الامريكي من قضية فلسطين .

(١) كتب (هل) « إن سياستنا نحو فلسطين هي سياسة اليقظة لمنع تلك المنطقة المتفجرة من ملامسة قطار البارود للشرق الأدنى .. ان الشرق الادنى الاستراتيجي ظل يزود البريطانيين ويزودنا بنفط الذي نحتاجه كثيراً . وظل بوابة جنوبية لتموين روسيا دون ان يتطلب ذلك نقل ابقوات الى تلك المنطقة من مناطق الحرب المصرية في اوربا وافريقيا . ومن اليسير رؤية النتائج الخطيرة على قضية الحلفاء من جراء تحويل القوات المتحالفة الى الشرق الادنى بسبب فلسطين في وقت انكفأ فيه البريطانيون إلى ما وراء العلين ، أو حين كنا والبريطانيون نقاتل الألمان في شمال إفريقيا . إن أثر هذه التحركات الالمانية ، بينا أدى الى ثورة العراق ، وغزو البريطانيين والفرنسيين الاحرار لسورية ، سوف يتضاعف فيما لو نشب القتال بين اليهود والعرب » .
Hull. op. cit. II. p. 1537

(٤) لكل ولاية من الاحدى وخمسين ولاية عدد من الاصوات الناخبة الثانوية ، يفوز بها المرشح الذي تنتخبه الاكثرية الشعبية في الولاية . ويتنلف عدد هذه الاصوات الناخبة الثانوية من ولاية لأخرى . ويتطلب الفوز برئاسة الجمهورية ٢٦٩ صوتاً من أصل ٥٣٧ هو مجموع الأصوات الناخبة الثانوية في الولايات المتحدة كلها . ومن هذه الولايات ، ولايات حساسة سبع أهمها نيويورك التي لها وحدها ٤ صوتاً من أصل ٢٦٩ صوتاً المطلوبة للرئاسة . وللبيود جاليات ضخمة في اكثر هذه =

وقد أثبتت الوقائع التالية مراعاة المرشحين للرئاسة للمصلحة الانتخابية وتواطؤهم على الصالح العام عن علم وتصميم . ومن هنا لم يجد روزفلت ، مرشح الحزب الديمقراطي ، بدأً من الخروج عن تحفظه بالنسبة لدعم المخطط الصهيوني ، والانسجام مع البرنامج السياسي الذي أعلنه حزبه الديمقراطي ، والمتضمن الموافقة على برنامج بلمتور . وقد بعث روزفلت برسالة

= الولايات الحساسة السبع التي تجمع فيما بينها ٢٠٥ أصوات . وقد ينجح المرشح للرئاسة بواسطة الاصوات الثانوية إذا اكتسح الولايات الحساسة ، دون ان تكون له اكثرية مطلقة في مجموع الولايات ، أو حتى اكثرية نسبية تجاه خصمه . هذه هي الحقائق التي لا يسع الطامح للرئاسة الامريكية ان يتجاهلها ؛ فالذي يضمن ولاية نيويورك يضمن في ولاية واحدة حوالي ٢٠ بالمائة من الحد الأدنى المطلوب للفوز بالرئاسة . وبدل تاريخ الانتخابات في الولايات المتحدة ان جميع رؤساء الجمهورية ، في هذا القرن ، باستثناء اثنين وصلوا الى الحكم بمعونة اصوات نيويورك .

وبكلمات القاضي برنارد روزنبلات عن أهمية أصوات اليهود الامريكيين : « يحق لنيويورك ٧ ؛ صوتاً انتخابياً ، بينما يلزم ٢٦٦ صوتاً انتخابياً فقط لانتخاب رئيس الجمهورية . وسواء مال صوت نيويورك إلى هذا الحزب أو ذاك (وقد يكون ذلك بنسبة بضعة أصوات من سكان يزيد عددهم على ١٣ مليوناً) فإنه سيحدث فرقاً قدره ٩٤ صوتاً في مجموع عدد الاصوات ، بحيث أنه يفهم بسهولة كيف ان السباق على الرئاسة قد يتوقف على الكفاح السياسي في ولاية نيويورك ، والى درجة أقل في الولايات الكبيرة - بنسلفانيا (٣٦ صوتاً انتخابياً) وإيلينوي (٢٧) وأوهايو (٢٣) . ومررة واحدة في ثلاثة ارباع القرن الاخيرة انتخب رئيس للجمهورية دون الاعتماد على اصوات نيويورك . ان ولايات نيويورك والنوريز وأوهايو والولايات المزدهرة مساتشوستس ونيوجرسي ، هي ولايات يشك فيها ، بمعنى أنها قد تتأرجح بين حزب وآخر بفارق بضعة آلاف من الاصوات فقط .. وربما كان ٩٠ بالمائة من اليهود الامريكيين متركزين في هذه الولايات المشكوك فيها ، الى جانب ميتشيفن وبنسلفانيا التي يحوم الشك سياسياً حولها بدرجة اقل » .

Zionist Review, Nov.29, 1946 , by Bernard. A. Rosenblatt

في منتصف تشرين الاول ، بواسطة الشيخ فاغنز الى مؤتمر المنظمة الصهيونية الامريكية المنعقد في اتلانتيك سيتي خلال شهر تشرين الاول ، وعبر فيها عن تأييده الشخصي لسياسة انشاء الكومنولث اليهودي . وذلك بتضمن رسالته ما جاء عن فلسطين في برنامج الحزب الديمقراطي ، ثم أضاف بأنه : « سوف ينصرف الجهد لإيجاد السبل والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة حالما يمكن تحقيق ذلك عملياً . فاني أعلم كم مضى من الوقت على الشعب اليهودي ، وكم جاهد وصلى طويلاً وبجراحة من أجل قيام كومنولث حروديمقراطي يهودي في فلسطين . واني مقتنع بأن الشعب الامريكي يمنح تأييده لهذا الهدف ، وإذا أعيد انتخابي سوف أعاون على تحقيقه^(١) . »

وفي غضون ذلك كان الشيخ نافث الجمهوري المالئ للصهيونية وصديق سلفر قد وجه كتاباً الى ستمسن وزير الحربية الامريكية يسأله فيه ما اذا كانت الاسباب الموجبة التي استندت اليها وزارته في معارضتها لقرار يتخذه الكونغرس بشأن فلسطين ، لا تزال راهنة ، فأجابه ستمسن في اليوم التالي إن هذه الأسباب الآن لم تعد قوية كما كانت يومذاك (شباط ١٩٤٤) ، وان الاعتبارات السياسية تفوق الآن في أهميتها الاعتبارات العسكرية ، « وان الموضوع يجب ان يتقرر على أساس سياسي أكثر منه على أساس عسكري^(٢) . »

وبعد انتهاء الانتخابات التي ربح فيها روزفلت للمرة الرابعة ، عاد الصهاينة فأرسلوا وفداً لمقابلته ، مطالبين بالتعويض عما لاقاه الشعب اليهودي من الاضطهاد على يد أوروبا المسيحية . وكان التعويض المطلوب هو اعطائهم فلسطين . غير أن روزفلت عاد مرة أخرى

Esco., op. cit., II, p. 1118

(١)

New York Herald Tribune, 14 oct 1947, Quoted in Kirk,

(٢)

p. 319.

فاتبع سياسة الحذر والتحفظ ازاء المطالب الصهيونية . وحذا حذو وزارة الخارجية التي تصدرت للاعتراض بمفردها الآن ، بعد أن سجت وزارة الحربية اعتراضاتها لتصن الأحوال الحربية . وقد اعتزمت وزارة الخارجية ان ترفع يد الكونغرس عن اصدار (قرار فلسطين) وان تستعيز عن حجة الضرورات الحربية بحجة أخرى سياسية ؛ فأصدرت بيانها في ١١ كانون الاول وقالت إنها تعتبر انه ليس من الحكمة الأخذ بقرار الكونغرس وإقراره بسبب الموقف الدولي الحاضر . فقد تدخل وزير الخارجية ادوارد ستيتينيوس - Stettinius شخصياً لدى لجنة مجلس الشيوخ للحيلولة دون تصديقه ، واستجابت اللجنة بأكثرية ١٢ صوتاً الى ٨ أصوات وتأجل القرار من جديد^(١) . وقد فسرت معارضة الخارجية الامريكية على اعتبار أنها متصلة ببنابن آراء الحلفاء حول الموضوعات السياسية الراهنة (المسألة البولندية ، والسياسة البريطانية في اليونان ، ومشاكل الادارة الحليفة في ايطاليا) ، وحول الوضع المتوتر الذي تفاقم نتيجة استمرار الارهاب الصهيوني في فلسطين ، والذي هداً باغتيال اللورد موبن . وعلى الرغم من ان رسالة روزفلت في تشرين الاول لم تكن مجرد تعبير عن عطف وتأييد فحسب - كما كانت رسائله السابقة الى الصهاينة ، وانما تضمنت وعداً بايجاد الوسائل والسبل التي تفضي الى تحقيق ما ورد في البرنامج السياسي للحزب الديمقراطي الذي ينتمي اليه الرئيس ، فان روزفلت بعد الانتخابات رأى التزام خطة وزارة الخارجية المتحفظة بصدد قضية فلسطين . وقد كتب الى الشيخ فاغر معارضاً (قرار فلسطين) الذي أرجأ الكونغرس المصادقة عليه ، بقوله : « . . ففي تلك البلاد الآن (فلسطين) نحو نصف مليون يهودي ، ويحتفل أن مليوناً آخر يريدون الذهاب اليها ، وهم من جميع القنات - منهم الطيبون والأشرار ، ومنهم من لا يهمهم الأمر . ومن الناحية

Kirk, op. cit., p 327

(١)

الآخري من الصورة ، يوجد نحو سبعين مليون مسلم يريدون ذبح هؤلاء اليهود يوم نزولهم على البر ، والأمر الوحيد الذي اريد اجتنابه هو المذبحة أو نشوء موقف لا يمكن امتحانه بمجرد الاقوال . وكل ما يقال أو يعمل هنا الآن من شأنه ان يضيف الوقود للنار المشتعلة ، وأرجو أن لا يقوم في هذا الوقت أي فرع من فروع الحكومة بأي عمل ، فكل إنسان يعلم ما هي الآمال الأمريكية ، فاذا أكثرنا الكلام عنها سببنا الضرر في التحقيق^(١) .

أحدث تدخل الخارجية لدى الكونغرس أزمة خطيرة بين الصهيونيين ، فاستقال الحاخام سلفر لأنه كان يريد تنفيذ قرار الكونغرس برغم ارادة وزارة الخارجية ، وبدا أن الحاخام وايز أكثر اعتدالاً منه^(٢) . وكان الصهاينة يعلقون آمالهم على مؤتمر بالطة^(٣) ، فلقد كانت الحرب وشيكة الانتهاء ، فعقدوا الأمل على أن يفوزوا من المؤتمر بالتأمين الدولي العام في مسألة فلسطين ، وبأن الثلاثة الكبار في بالطة سوف يصرون بياناً سياسياً عن مستقبل الوطن القومي اليهودي ، ولكن المؤتمر لم يعرض للمسألة إلا عرضاً طارئاً جداً . وتبع ذلك اجتماع روزفلت بالملك ابن سعود على ظهر بارجة حربية أمريكية في مياه قناة السويس ، ويقال إن الرئيس الأمريكي كان لا يزال يأمل أن يقنع الملك في عدالة

Quoted by Stevens, op. cit., p. 86

(١)

(٢) يقدر عدد أعضاء الجماعات اليهودية التي شكلت مجلس الطوارئ بـ ٣٠٠ الف في نهاية عام ١٩٤٤ . وقد أعيد انتخاب سلفر مع وايز فيما بعد رئاسة المجلس المذكور .

(٣) بالطة: ميناء سوفيتي على البحر الأسود ، جرت فيه محادثات بين روزفلت وتشرشل وستالين من ٤ - ١١ شباط ١٩٤٥ لتنظيم حركات القتال في ألمانيا ، وتوزيع مناطق النفوذ ، وبقيت مقرراته سرية حتى ١٩٤٧ .

إقرار اليهود الاوربيين النازحين في فلسطين . ولكن يبدو أن هذا الأمل سرعان ما غادره بعد أن تحقق ان الملك العربي لم يتأثر مطلقاً بالمنافع الاقتصادية والاجتماعية المعروضة . وتذكر المصادر الامريكية أن ابن سعود احتج بشدة على المزيد من الهجرة اليهودية الى فلسطين، وانه صرح بوضوح بأن العرب يفضون الموت على تسليم أراضيهم لليهود^(١). وصرح عبد الرحمن عزام ، أمين عام جامعة الدول العربية في القاهرة ، بأن ابن سعود لم يهدد باشغال نار الحرب إذا سمحت فلسطين الى اليهود فحسب ، بل ان روزفلت : « قطع عهداً لابن سعود عاهل المملكة العربية السعودية بأنه لن يؤيد أية حركة من شأنها تسليم فلسطين لليهود .. » . وقال عزام ان الملك ابن سعود أخبره شخصياً عن الاجتماع الذي تم فيه هذا التعهد^(٢) ويذكر ولم إدي Eddy المترجم الرسمي في الاجتماع ان روزفلت « أعطى ابن سعود تأكيداً مزدوجاً ، كرّره ثانية قبل وفاته بأسبوع واحد ، وذلك في كتابه المؤرخ ٥ نيسان ١٩٤٥ الى ابن سعود : (١) فهو شخصياً كرئيس للجمهورية لن يفعل شيئاً يكون معادياً للعرب . (٢) وحكومة الولايات المتحدة لن تغير سياستها الأساسية في فلسطين دون التشاور التام سلفاً مع اليهود والعرب . وكانت هذه التأكيدات الشفهية بمثابة حلف في نظر العاهل السعودي^(٣) . » . ومذكرات وزير الخارجية ستيتينيوس تؤكد بشكل قاطع أن الرئيس تأثر بموقف الملك العربي المعادي للصهيونية ، وأنه كما

(١) Frances Perkins • The Roosevelt I Knew •, N. Y. 1946

وغيره من المصادر الامريكية pp. 87-89

See Stevens, op. cit., p.88 footnote.

(٢) New York Times, Quoted in Stevens, p. 88

(٣) Eddy, W. A. « Franklin, D. Roosevelt Meets Ibn Saud,»

N. Y. 1954, p. 35, Quoted in Stevens, p. 89 .

تقول مراجع امريكية موثوقة أخرى ، وعده بأن تكون أعماله متطابقة مع روح الصداقة العربية الا- مريكية^(١). حتى إذا خاب رجاء روزفلت بالتعامل مع ابن سعود لحل قضية فلسطين، تبين أنه يجب إعادة النظر في السياسة الامريكية بكاملها إزاء فلسطين ، عن طريق التداول مع زعماء الكونغرس بهذا الخصوص . هذا ما أنهاه روزفلت لوزير خارجيته ستيتينيوس لدى عودته الى بلاده ، وأضاف قائلاً : إنه مقتنع الآن جيداً بأنه اذا سارت الأمور سيرها الطبيعي ، سوف يراق الدم بين العرب واليهود .. وينبغي أن تحول طريقة ما لم تُكشف بعد ، دون حرب كهذه^(٢) . بيد أن الصهاينة الذين أهاجمهم اجتماع روزفلت بابن سعود أصيبوا بخيبة عنيفة إثر اشارته عرضاً إلى قضية فلسطين أثناء خطابه في الكونغرس (١ آذار ١٩٤٥) حين قال : « من بين مشاكل الجزيرة العربية فإني قد تعلمت عن تلك المشكلة برمها ، وعن المشكلة الاسلامية والمشكلة اليهودية ، بمحدثي خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كان بمستطاعي ان أتعلمه من تبادل دزيبتين او ثلاث دزيبات من الرسائل معه^(٣) . وسكنت خواطر الصهاينة قليلاً عندما قابل الحاخام وايز الرئيس روزفلت (١٦ آذار) ، وصدر بعده بيان رسمي تضمن قول الرئيس : « لقد وضحت موقعي من الصهيونية في تشرين الاول ، ولم أغير هذا الموقف ، وسوف استمر بالسعي لتحقيقه في أقرب وقت ممكن^(٤) » . ومها يكن الأمر ، فيبدو أن موقف روزفلت من قضية فلسطين .. « سيظل سنين طويلة تاريخاً غامضاً يصعب الكشف عن حقائقه^(٥) » . وصلت ردود فعل عنيفة من

Stettinius, E. R. • Roosevelt & the Russians, the Yalta (١)

Conference • , London, 1950, pp. 245-6

New York Times, Quoted in Stevens, p. 90 (٢)

ibid, p. 91 (٣)

Manuel, op. cit . 317 (٤)

العالم العربي على ملاحظات روزفلت ؛ وقبل اسبوع من وفاته ، كرّر روزفلت في ردّه على كتاب ابن سعود تأكيدات السابقة له : « تذكرون جلالتم أنّه في المناسبات السالفة، نقلت لكم موقف الحكومة الامريكية من فلسطين ووضّحت رغبتنا في أن لا يتخذ أى قرار يتصل بالحالة الأساسية لذلك البلد دون التشاور الكامل مع العرب واليهود . ولا شك في أن جلالتم تذكرون انني في محادثتنا الأخيرة أكدت لكم انني لن أقوم بأي عمل ، بموجب صلاحيتي كرئيس للفرع التنفيذي في هذه الحكومة ، قد يبرهن أنه معاد للشعب العربي . ويسرني أن أجدّد لجلالتم الوعود التي تلقيتوها مني سابقاً بخصوص موقف حكومتي وموقفي كرئيس تنفيذي ، ازاء موضوع فلسطين ، وأن أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة بهذا الخصوص لم تتغيّر^(١) . » . وأرسلت ردود بمائة الى بعض الزعماء العرب الآخرين .

يظهر مما سبق أنه حتى وفاة روزفلت في ١٢ نيسان ١٩٤٥ ، وجدلدى كل من العرب والصهاينة ما يفسر اعتقادهم بأن الرئيس الامريكي يحرص على مصالح الطرفين . وقد ادعى صمنر ويلز الوكيل السابق لوزير الخارجية الامريكية بأن روزفلت كان مؤيداً باستمرار للقضية الصهيونية ، وزعم أن اعتراف روزفلت للوزير ستيتينيوس حول وجوب اعادة النظر في السياسة الامريكية تجاه فلسطين ، بعد اجتماعه بابن سعود ، لم يزحزح روزفلت قيد أنملة عن آرائه السابقة ، وان رسالته الأخيرة لابن سعود ما هي إلا « إجراء شكلي بحث^(٢) » . ووصف ويلز الرسالة بأنها « كانت دسيسة من وزارة الخارجية ، فهي التي دبرتها ، إذ وُضعت الرسالة في أواخر أيام روزفلت ، حين كان ضعيفاً ولا يقوى على عمل من التفكير العميق والدراسة الصحيحة . فوقع الرسالة وليس فيها على كل حال ما يتعارض مع ما سبق لروزفلت

New York Times, 19 oct. 1945

(١)

Sumner Welles : « We Need Not Fail », Boston, 1948, p. 30 (٢)

أن أعلنه لليهود^(١) . ولكن ليس ثمة ما يثبت أن هذه السياسة المؤيدة للصهيونية في زعم ويلز ، هي السياسة المقررة لروزفلت ، بل يبدو أنها تناقض اعتراف الرئيس لوزير خارجيته ستينينيوس . فضلاً عن أن روزفلت لم يكن يجهل الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية المتزايدة للشرق الأوسط ، ولا يمكن فهم مجازفته بالمصالح الأمريكية الحيوية آنذاك ، مع أن الصهاينة يعترفون بأن جميع هذه العوامل محسوبة في مقررات الرئيس الأمريكي وأفعاله^(٢) . والباحث أخيراً يرى بأن سياسة روزفلت كانت بدأت تفهم الموقف العربي من فلسطين^(٣) ؛ وهو إلى حرصه الشديد على الفوز بالأصوات اليهودية الانتخابية ، بدا بعد رئاسته الرابعة وكأنه بطل قومي أوصل شعبه للنصر . ولم يكن بمقدور الصهيونية أن تنال من روزفلت برغم « شكه العميق في تحقيق فلسطين يهودية وبرغم لا مبالاته » ، وخير للصهيونية أن تتخذة صديقاً ونصيراً وحامياً ، أو تتظاهر بذلك ، إذ لا يسعها ان تفعل خلافاً ؛ وحتى لو عارض الرئيس روزفلت الأمامي الصهيونية أو تجاهلها ، فلم يكن بدّ للصهاينة من استبعاد سوء الظن به أو تجريجه واتهامه ، ولذلك لم تجرؤ الزعامة الصهيونية على التادي في معارضته ، فقد « انتخب للمرة الرابعة ، وسيكون في مقدوره

(١) ibid

(٢) Hurewitz, op. cit., p. 176

(٣) كتب الجنرال باتريك ج. هارلي المبعوث الشخصي للرئيس روزفلت الى الشرق الأوسط :

« لقد أظهرت المنظمة الصهيونية في فلسطين التزامها ببرامج موسع من أجل :

١ - دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وربما فيما بعد شرقي الاردن .

٢ - نقل السكان العرب فيما بعد من فلسطين الى العراق .

٣ - تحقيق الزعامة اليهودية للشرق الأوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة .

United States : Foreign Relations of U. S. : Near East & Africa.

(Washington D. C. 1916) Vol. IV. pp. 776 - 7

وحده أن يصوغ التسوية ما بعد الحرب . فاذا أغضب أو أسيء إليه أو أنكر حبه ، كان معنى ذلك التقرب من الكارثة التي تحل بالقضية الصهيونية (١) . هذا إلى أن المصالح الأمريكية في نفض السعودية كانت على الأرجح مما يجول دون دعم صريح للدعوى الصهيونية من جانب الرئيس روزفلت .

غير أن الصهاينة وأن لم ينجحوا في تعاملهم مع روزفلت النجاح الكامل ، فانهم في عهده ، ابتدأوا تقليداً يرمي إلى التأثير على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط من خلال نفوذهم على البيت الأبيض . وقد جنى الصهاينة ثمار هذا التقليد الخطير في عهد رئاسة هاري ترومان . لأن حماس ترومان للصهيونية وتأييده لها نقل الحكومة الى صف الكونغرس والجماهير الأمريكية التي لا تعرف شيئاً عن القضية الفلسطينية ، لتسجل للصهيونية نصراً جديداً على طريق صنع دولة يهودية .

وبعد ، فقد شرحنا بشيء من التفصيل المساعي الصهيونية لكسب الرأي العام الأمريكي ، ولكسب الكونغرس ، ولكسب الحكومة في عهد الرئيس روزفلت ، ورأينا أن الصهيونية استغلت ظروف الحرب العالمية الثانية لتحقيق النقطة الثانية من برنامج هرتسل ، وهي اكتساب (الأمم الأخرى) . وأصابت الصهيونية بتركيزها على الولايات المتحدة ، فنقلت مشكلة فلسطين إلى مستوى البرامج السياسية للحزبين الرئيسيين في أمريكا ، وبذلك اقتربت من تحقيق هدفها الذي يشكل النقطة الثالثة في برنامج هرتسل : الدولة اليهودية – وستحققها في عهد ترومان كما سنرى .

ويتوجب علينا قبل تحليل الأوضاع السياسية التي عملت فيها الصهيونية أيام ترومان ،

American Zionist, Feb 5, 1953, Quoted in Stevens, p. 94 (١)

أن نلتفت الى المسرحين الهامين الآخرين : في فلسطين وفي بريطانيا ، لنرى مدى النجاح الذي أصابته الصهيونية هناك ، ونحلل السياسات التي اصطنعتها لمواجهة الظروف المتغيرة فيها ، ونعرض للموقف العربي في هذه الحقبة أيضاً من تاريخ فلسطين ، لتتعرف على الأهواء والبواعث والأغراض التي اصطرعت على أديم الارض المقدسة ، ولنخلص من ذلك كله إلى تسجيل أهم الوقائع المتصلة في السياسة العربية والسياسة البريطانية ، لكي نعود فنضعها في صعيد تاريخي واحد مع السياسة الامريكية التي غدت أهم عامل يتوق لحسم الأمور وتحقيق النصر للصهيونية .

الفصل السادس عشر

الضغوط والمساعي الصهيونية في فلسطين وبريطانيا وقت الحرب

المساعي الصهيونية في فلسطين :

لا بدّ من الحديث عن المسرح السياسي الفلسطيني والبريطاني لمتابعة الضغوط الصهيونية المختلفة على الصعيدين الرسمي والشعبي بقصد العثور على احتمالات نفس الكتاب الابيض ، واطلاق الهجرة غير المحدودة الى فلسطين ، واكتساب المزيد من الأراضي فيها ، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية التي كانت تشكل الهدف النهائي غير المعلن للصهيونية قبل مؤتمر بلمتور (أيار ١٩٤٢) . وعلى الرغم من أن الصهيونية ، كانت تدرك بحق أنه وإن كانت الولايات المتحدة هي مصدر الدعم الأساسي للصهيونية ، وان بريطانيا لا يمكنها أن تتجاهل الضغط من واشنطن ، فإن بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة كانت لا تزال مركزاً هاماً للنشاط الصهيوني ، وميداناً متسعاً لتحويل مراكز القوة السياسية البريطانية نحو الصهيونية وأهدافها .

وكانت الحملات الدعائية الصهيونية تلح على أنها موجبة ضد حكومة تشمبرلن وليس ضد الشعب البريطاني . ورغم تظاهر القوى الصهيونية بالولاء لبريطانيا أثناء صراعها الجبار مع النازي ، فإن الشكوك كانت تساورها من أخذ السلطات البريطانية بالحدّ من الهجرة غير الشرعية الى فلسطين . والصهيونية لم تستبعد مطلقاً استخدام القوة للاستيلاء على فلسطين ؛ ففي أوائل الحرب أي في ٥ تشرين الاول ١٩٣٩ اعتقلت السلطات ٤٣ يهودياً

بألبة عسكرية بينما كانوا يقومون بمناورات عسكرية ويحملون البنادق والقنابل . وفي ١٨ تشرين الثاني من العام نفسه اعتقل ثمانية وثلاثون من الصهاينة التصحيحيين بينما كانوا يقومون بمناورات ويحملون أسلحة وقنابل ومتفجرات . وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٠ أسفرت عملية التفتيش في مستعمرة بن شيمون اليهودية عن اكتشاف مستودع للأسلحة والذخيرة^(١) . وعثر على عدة مستودعات بمائة في السنوات التالية ، وتفاقم تهريب السلاح كما سنرى .

وبعد مصادقة البرلمان البريطاني على قانون انتقال الأراضي في فلسطين ، أعلن اليهود إضراباً عاماً في ٢٩ شباط ١٩٤٠ ، وأعقبه أسبوع من المظاهرات والمسيرات الصاخبة في المناطق اليهودية . وقد أشرف (المستدروت) على إعدادها وتنظيمها ، بتعريض من جميع الفئات اليهودية باستثناء (التصحيحيين) . وفي جميع هذه المظاهرات التي اتخذت طابع التحدي والاستفزاز للسلطات البريطانية ، فإن البوليس والقوات المسلحة لم تطلق النار أبداً على المتظاهرين . وعاودت الأذاعات العبرية المحظورة بثها - بعد أن سكنت منذ إعلان الحرب - وحملت بشدة على سياسة الحكومة عموماً وعلى البوليس خصوصاً . وإثر ذلك ألح الزعماء الصهيونيون على طلبهم بتشكيل الجيش اليهودي^(٢) .

وسعت الحكومة البريطانية الى تهدئة خواطر اليهود بأن أوقفت الاصلاحات الدستورية التي كانت ترغب في البدء بها وفقاً لترتيبات الكتاب الابيض ، مراعاة لاستياء (اليسوف) ولتردّي الحالة العسكرية عموماً . ولعل حكومة لندن وجدت أن نجاح هذه الاجراءات الدستورية يتوقف على رضى العرب واليهود عنها ، وأنها في الظروف القائمة ربما لا يكتب لها النجاح . هذا الى أن حكومة تشرشل الائتلافية التي استلمت الحكم في أيار

A Survey of Palestine, I, p. 58

(١)

ibid, p. 59

(٢)

١٩٤٠ كانت تضم كثيراً من المعارضين للكتاب الابيض ، غير أن هؤلاء لم يصرحوا بما يخالف سياسة الكتاب الابيض النافذة^(١) ، ولكن الاجراءات الدستورية الموعودة لم يعمل بها في عهد حكومة تشرشل وظلت قائمة في ملفات وزارة المستعمرات .

والإيمان بتشرشل لم يغادر زعماء الصهيونية طوال فترة الحرب ، مع الاعتماد على كثير من أعضاء البرلمان الموالين للصهيونية . وقد تهيأت لهم الفرصة لاستنكار الكتاب الابيض وتهيئة الاذهان لقبول فكرة انشاء الدولة اليهودية بعد الحرب . كذلك تهيأت الفرصة للطعن في سلطات الانتداب البريطاني ووزارة المستعمرات ، وللمحط من شأنها واتهامها بإحراج حكومة تشرشل ، والعمل ضد الرغبات الحقيقية للشعب البريطاني وزعمائه المنتخبين الذين كانوا مشغولين بمتطلبات الحرب . وقد مرّ بنا أن الناجين من حادثة غرق الباخرة (باتريا) قد أذن لهم بدخول فلسطين ، خلافاً للنظم المرعية آنذاك ، والتي لم تكن مجردة عن النزاع الانسانية - كما يحلو للصهيونية ان تتهمها - حين يفهم أن هذه النظم إنما وضعت في الأساس لتحمي الطائفة غير اليهودية ، لا لتضطهد اليهود . وقد سجل السماح لهؤلاء بدخول فلسطين بداية التفكك الذي طرأ على النظم البريطانية ، وقد ساعدت هذه المخالفة المعلنة برغم بساطتها على سقوط الكتاب الابيض فيما بعد .

وقد أعادت الصهيونية السياسية توجيه عملياتها الضاغطة على أعلى مستويات الحكومة البريطانية عن طريق استغلال المؤيدين للصهيونية من أعضاء البرلمان ، وتشجيع إعلان برامج الأحزاب الموالية للسياسة الصهيونية الجديدة في دولة وشيك قيامها . وكان مكتب الوكالة اليهودية في لندن على أوثق اتصال بأعضاء البرلمان المؤيدين للصهيونية ، بواسطة منظمة

تعرف بـ لجنة فلسطين البرلمانية ، وكانت قد أنشئت قبل الحرب . وقد أكد هؤلاء لتنفيذ الوكالة اليهودية أنهم سيدافعون عن القضية الصهيونية في مجلسي البرلمان . وفي غضون ذلك كان وايزمن وزعماء آخرون يعملون للحصول على تدعيم زعماء حزب العمال بشكل ثابت . وكان الحزب قد أعلن في عدة مناسبات ماضية عن عطفه على الصهيونية . وفي أيار ١٩٤٢ أقرّ الحزب في مؤتمره السنوي قراراً عن الحالة الدولية ، وسجل فيه أيضاً « كرهه للاضطهاد النازل على الشعب اليهودي » ، وكرر تصميمه على أنه في النظام الدولي الجديد بعد الحرب ، سيتمتع اليهود بالمساواة المدنية والدينية والاقتصادية وجميع المواطنين الآخرين ، مع منحهم معونة دولية للارتقاء بالوطن القومي اليهودي في فلسطين عن طريق الهجرة والاستيطان^(١) .

وفي كانون الاول ١٩٤١ بذلت جهود لتوسيع قسم الاستعلامات في مكتب لندن للوكالة اليهودية ، و اقيمت لجان محلية في سنى المدن البريطانية بغية نشر المعلومات بين الجماعات غير اليهودية . وكانت الاخبار الصهيونية تصل بانتظام للصحف والمجلات البريطانية ، وتعدد المؤتمرات الصحفية عند الضرورة ، وتظهر الصحف بابل من الرسائل حول الموضوعات الصهيونية واليهودية ، وتتضاعف المطبوعات والنشرات ، وتقام الندوات والمحاضرات ، وتوجه الدعوة لحضور أفلام عن الوطن القومي اليهودي يشهدها البريطانيون غير اليهود . وقد امتدت هذه الحملة الدعاوية الصهيونية الى دوائر حكومات المنفى في لندن للبلاد التي اجتاحتها الغزو النازي ، بقصد تنويرها في نطاق المساعي الدائبة للحصول على دعم (الأمم الاخرى) ، وبلغ النشاط الصهيوني أقطار الدومنيون ، وخاصة في جنوب أفريقيا حيث

Hurewitz, op. cit., p. 144

(١)

أحرزت الصهيونية نجاحاً بفضل رئيس الوزراء الجنرال جان كريستيان سمطس الذي كان من أوائل المؤيدين للوطن القرمي^(١) .

وبعد أن دخلت روسيا الحرب الى جانب الحلفاء في حزيران ١٩٤١ ، سحقت الفرصة للدعاية الصهيونية ؛ فقد خفقت السلطات السوفيتية من وطأة حظرها التقليدي على اتصال رعاياها مع العالم الخارجي ، إثر التقدم النازي السريع ، بغية الحصول على أكبر قسط من المعونة الخارجية . وتشكلت في موسكو اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية (آب ١٩٤١) ، وقد أصدرت اللجنة نداءها الأول بطلب المعونة بوصف أعضائها يهوداً سوفيتيين . كذلك خصص (المستدروت) اسبوعاً لمعونة روسيا في تشرين الاول . وفي مطلع عام ١٩٤٢ تشكلت لجنة دائمة لجمع الطعام والكساء والتجهيزات الطبية والأموال ، لصالح روسيا . ولم تتمكن الوكالة اليهودية من الحصول على إذن بإنشاء مكتب لها في الاتحاد السوفيتي ، ولكنها نجحت في انشاء مكتب في طهران (نيسان ١٩٤٢) وبواسطته كان يتم ارسال نشرات عن الحركة الصهيونية الى الصحف السوفيتية والمؤسسات والمكاتب . وقد تباحت الزعماء الصهاينة مع السفير السوفيتي في لندن (ايفان مايسكي) حول قضيتهم ، ولكن الاتحاد السوفيتي ظل غير ملتزم بشيء^(٢) .

شعر الزعماء الصهاينة بضرورة إعادة تحديد هدفهم وتعريفه بوضوح تمهيداً لعرض

(١) صرح سمطس في ذكرى وعد بلفور (٢ تشرين اثناني ١٩٤١) بأن وضع وعد بلفور قد أصبح أقوى بكثير مما كان ؛ « فموضاً عن الخوف من أحياء الفيتو الجديدة في القرن العشرين ، دعونا ننفذ الوعد ونفتح الوطن القومي على مصراعيه » .

Survey of Palestine , op. cit., I, p. 62

Hurewitz, op. cit , p 115

(٢)

فلسطين ٣٥ (١٩٦٨)

مطالبهم على الحلفاء بعد الحرب ، على الرغم من أن مقدرات الحرب لم تكن ايجابية يومذاك .
ووجدوا ضرورة لنشر هدفهم وإذاعته بين يهود فلسطين والعالم من ناحية ، وبين غير اليهود
من أبناء (الأمم الأخرى) من ناحية ثانية . ان هدف الصهيونية الاول بإنشاء الدولة
اليهودية لم يعلن عنه منذ صدور وعد بلفور ، إلا من بعض التصحيحين اتباع جابوتنسكي ،
وقد ساد الاعتقاد بين زعماء الصهاينة أن نصر الحلفاء لن يحلّ تلقائياً (المسألة اليهودية) ،
ولذا يجب التمهيد لنجاح هذا الهدف بنهضة الأذهان له ونشره في الاوساط السياسية الحليفة
والتخلي عن هدف المرحلة السابقة وهو الارتقاء بوطن قومي يهودي في فلسطين . وكان
لا بدّ لأيّ تغيير أساسي في البرنامج الصهيوني الرسمي من مصادقة الصهيونية الامريكية ذات
النفوذ في الاوساط اليهودية الامريكية . وقد تابحت تنفيذية الوكالة اليهودية مع المجلس
الداخلي العام^(١) حول هذا الموضوع لأكثر من عام كامل . وعينت لجنة في نهاية عام
١٩٤١ لوضع بيان جديد عن الأهداف الواجب تبنيها من جانب الوكالة اليهودية . وقد
تقرر أن تُطلب الموافقة الصهيونية الامريكية قبل عرض البرنامج على المجلس الداخلي العام
في القدس . وأمام هذه الضرورة ، بادرت لجنة الطوارئ الامريكية للشؤون الصهيونية
بالدعوة الى مؤتمر سياسي استثنائي في فندق بلتيمور في نيويورك (أيار ١٩٤٢) ، كإرأبنا في
مكان آخر من هذا البحث .

دعا بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية بعد عودته من الولايات المتحدة في صيف

(١) انتخب المجلس الصهيوني العام في اجتماعه المنعقد في ١٦ آب ١٩٣٧ « من بين أعضائه
والنائبين عنهم ، المقيمين في فلسطين بصورة دائمة ، مجلساً صهيونياً داخلياً عاماً .. أنيطت به مسؤولية
النظر في جميع التوصيات الصادرة عن اللجنة التنفيذية بصدد جميع مشاكل الساعة السياسية » .
أسعد عبد الرحمن : « المنظمة الصهيونية العالمية » المصدر السابق ص ١٢٦ .

١٩٤٢ الأحزاب اليهودية في فلسطين الى الموافقة على برنامج بلمتور ، وحصل على مؤازرة حزبي الصهيونيين العاملين ، والمزراحي ، وعمال المزارحي . وكان لا بدّ من عرض البرنامج على المجلس الصهيوني الداخلي العام وهو المجلس الذي انتخبه المجلس الصهيوني العام^(١) من بين أعضائه والنائبين عنهم ، والقيمين في فلسطين بصورة دائمة ، وأنبطت به مسؤولية النظر في جميع التوصيات الصادرة عن اللجنة التنفيذية بصدد مشا كل الساعة السياسية . وقد تألف المجلس الداخلي من رئيس المجلس الصهيوني العام، وممثلين عن الفعّاد ليثومي (المجلس الملي أو القومي) و ٢٨ ممثلاً عن جميع الأحزاب الصهيونية ، كل بالنسبة إلى قوته . وبعد قيام الحرب (١٩٣٩) انتقلت الحقوق الممنوحة للمجلس الصهيوني العام الى المجلس الداخلي الذي أصبح أم هيئة صهيونية خلال سنوات الحرب ، ترسم سياسات الصهيونية وتعين ممثليها وتوافق على موازنتها .

(١) يتألف الجهاز المركزي للمنظمة الصهيونية العالمية من عدة هيئات ، منها المؤتمر الصهيوني وهو السلطة العليا في الحركة الصهيونية يجتمع مرة كل عام ثم أصبح كل عامين ، وعدد أعضائه يتوقف على دفع رسم العضوية (الشبقل - Shekel) ويعادل المارك الألماني آنذاك . ينتخب المؤتمر من بين أعضائه رئيساً للمنظمة ونائباً للرئيس ، واللجنة التنفيذية ، والمجلس العام .

والمجلس العام هو السلطة العليا في غياب المؤتمر ، ويتألف من ٢٣ ممثلاً للمنظمات الفرعية القومية المتعددة ، وخسة من بين أعضائه يشكون الاداء التنفيذي الحقيقية . والمجلس العام يجتمع كل ثلاثة شهور لبحث ويقرر في المسائل المتعلقة بالمبادئ الصهيونية . ويتألف المجلس من اعضاء اللجنة التنفيذية ، وممثل عن صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار ، وممثل عن الصندوق التأسيسي، وممثل عن الصندوق القومي اليهودي . وبعد عام ١٩٢٧ أصبح من مسؤوليات المجلس العام الذي يجتمع كل ستة شهور تحديد ميزانية المنظمة في السنوات التي لا يتعقد فيها المؤتمر الصهيوني .

وصدرت المعارضة لبرنامج بلمتور من عدة جهات : فاليهود المهاجرون الألمان والنمسويون اندمجوا في السياسة المحلية بفلسطين ، وألفوا حزباً أطلقوا عليه اسم (الهجرة الجديدة) ، ويدعو برنامجهم الى الارتباط بيهود بريطانيا الحربي ، وبالتالي ، إرجاء محاربة الكتاب الابيض الى ما بعد النصر على النازية . وقد رفض هذا الحزب برنامج بلمتور ، لاعتقاده بضرورة مصادقة دولة الانتداب مسبقاً على طلب الصهيونية بإقامة الدولة اليهودية ، وإلا فهذا الطلب سابق لأوانه . وقد أيد الحزب السيادة اليهودية في فلسطين واستنكر الدولة الثنائية^(١) . . وتبدو أهمية مؤازرته لبرنامج بلمتور من نسبة عدد اليهود الناطقين بالألمانية ، والتي تجاوز العشرة بالمائة من يهود فلسطين .

وأكثر من هذا الحزب أهمية هم دعاة الوطنية الثنائية أو الدولة الثنائية ، ويدعون الى إقامة دولة عربية يهودية موحدة وذات سيادة ، يتقاسم ادارة حكومتها الطرفان بالتساوي . وقد اشتملت برامج أحزاب العمال اليسارية على مبادئ الوطنية الثنائية ، كما فعلت الجماعات غير الصهيونية في بياناتها عن فلسطين . ومنذ آب ١٩٣٩ اتهم حايم كالفاريسكي - وهو أحد أوائل المنادين بالوطنية الثنائية - الزعماء الصهاينة بإساءة توجيه اليهود وعدم الاهتمام بالمعارضة العربية ، وبأن حل مسألة فلسطين يتوقف على انكسار . وقد اشترك الجناح اليساري المسمى بحزب الحارس الشاب (هاشومير هاتساير) في ائتلاف مع جماعة كالفاريسكي (صيف ١٩٤٢) وشكلوا عصبة التقارب والتعاون العربي - اليهودي ، وذلك تنفيذاً لمبادئه الماركسية ، إذ كان ينادي بالوطنية الثنائية كجزء من عقيدته في توحيد عمال العالم ، وقد تعرضت العصبة لهجمات قاسية من الصحافة اليهودية الداعية الى الدولة

Hurewitz, op. cit., p. 159

(١)

اليهودية . ولكن جماعة أخرى اطلق عليها اسم حزب الاتحاد (ايجود) كانت أقوى من العصابة في معارضة برنامج بلمتور . وقد تألفت في ايلول ١٩٤٢ برئاسة يهودا ماغنيس رئيس الجامعة العبرية . وبعد تصريح ايدن في ايار ١٩٤١ حول تعضيد بريطانيا للاتحاد العربي ، والوعد بمنح الاستقلال الى سورية ولبنان في حزيران ، عتبر ماغنيس عن رأيه بأنه إذا انحدت فلسطين مع جيرانها باتحاد فالمسألة الفلسطينية سوف ترتفع الى مستوى آخر من وجهتين على الأقل : اولاهما ان خوف العرب من سيطرة الوطن القومي اليهودي سيتناقص بسبب الأمن السياسي الذي يوفره الاتحاد العربي الأوسع والأقوى . وثانيها ان توطين اللاجئين المارين من الاضطهاد يمكن أن يلبس بسخاء أكثر . وناشد ماغنيس البريطانيين والعرب واليهود ، كي يتباحثوا في الأمر حالياً ، وحذرهم من عواقب التسوية . وقد انضمت اليه هنريتا زولد Zsold مؤسسة الهاداسا (المنظمة الصهيونية النسوبة الامريكية) ، والامريكية المولد . وكان دعاة برنامج بلمتور ينجشون من حزب (ايجود) أكثر مما ينجشون أي حزب لحصومهم ، ولذا طالبت اللجنة التنفيذية بطرد أعضاء هذا الحزب من المنظمة الصهيونية ، خشية أن تفضي علاقات ماغنيس وزولد الواسعة في امريكا بين أوساط اللاصهيونيين وغير اليهود الى صدود الامريكيين عن تأييد برنامج بلمتور ؛ وخشية أن تؤدي مكانة زولد في الهاداسا الى حبس تأييدها لبرنامج بلمتور ، الأمر الذي ينقص كثيراً من قوة الداعين الى الدولة اليهودية^(١) . وبما أنه كان على كل منظمة في لجنة الطوارئ الامريكية للشؤون الصهيونية أن تصادق على برنامج بلمتور ، فقد أرجيء عرض البرنامج على المجلس الصهيوني الداخلي العام في القدس ؛ وكان ينبغي أن تصادق الهاداسا والمنظمة الصهيونية الامريكية ، وهما الهيئتان الصهيونيتان الأكبر في الولايات المتحدة ، على طلب انشاء الدولة اليهودية ،

وعلى الانفصال رسمياً عن (الایهود) . ولذلك عقد اجتماع مشترك للهاداسا والمنظمة الصهيونية الامريكية في نيويورك (١٧ تشرين الاول ١٩٤٢) ، وقرر المجتمعون أن أي برنامج ينكر المبادئ الأساسية (في برنامج بلمتور) مثل ما تقدم به الایهود أو أبة جماعة أخرى ، هو غير مقبول لدى المنظمة الصهيونية الامريكية والهاداسا^(١) .

إن موافقة غالبية الصهاينة الامريكيين على برنامج بلمتور ، في تشرين الاول أدى إلى موافقة المجلس الصهيوني الداخلي العام عليه ، في تشرين الثاني ، بأكثرية ٢١ صوتاً مقابل ٤ أصوات . كذلك وافقت الوكالة اليهودية عليه ومعظم الاحزاب السياسية اليهودية بما في ذلك التصحيحيين . وفي شهر كانون الاول سنت الصهيونية حملة دعائية مع الاحصاح على اضهاد اليهود في اوربا النازية ، والزعم بأن فلسطين هي الملجأ الممكن الوحيد لهم . وقد صحبت هذه الحملة مظاهرات سببت قتل جميع السكان العرب في فلسطين^(٢) ، لأن العرب لم يخف عليهم أن المخطط الصهيوني يستغل محنة يهود أوربا ليحصر النزعة الانسانية العامة تجاههم في مجرى واحد فقط هو : انشاء دولة يهودية في فلسطين . وها هو ذا محرر صحيفة النيويورك تايمس يستنكر هذا الاستغلال البشع ويصحح : « لماذا ، بحق الله ، ينبغي ان يتوقف مصير هؤلاء الناس التعساء على المناداة فقط بإنشاء الدولة اليهودية » ؟!^(٣) وها هو ذا ريتشارد كروسمان عضو اللجنة الانكلو امريكية (١٩٤٦) وهو معروف بميله الصهيونية ، يكتب في يومياته (١٩٤٦) : « ان الصهاينة يخيفون . إن مهمهم الرئيسي ليس إنقاذ اليهود

ibid. (١)

A Survey of Palestine, op. cit, I, p. 65 (٢)

The Spectator Magazine, 22 July 1960, Quoted in (٣)

Hadawi op. cit., p. 53

الأحياء من أوروبا ، وانما ابصالمهم الى فلسطين واقامة دولة يهودية ،^(١) . ان المطلعين على
بواطن الامور يعلمون أن حوافز الهجرة اليهودية الى فلسطين لم يكن مبعثها النزعة
الاسامية التي بولغ كثيراً في وصف شرورها ، وانما النشاط الصهيوني المحموم الذي ضلع مع
النازيين لترحيل اليهود الى فلسطين فقط دون أي بلد آخر . وعلى ذلك يعلق الكاتب
ارسكين تشيلدرز - Childers بقوله : « ان واحدة من أكثر السمات أهمية في الصراع
الفلسطيني بأكمله ، هو أن الصهيونية هيأت عن عمد ليكون مأزق البائسين الأحياء من المتلربة
حجة أخلاقية ينبغي على الغرب ان يتقبلها . وقد جرى ذلك مع ملاحظة أن البلدان الغربية
لم تفتح أبوابها على اتساعها وفوراً لتزلاء معسكرات النازحين . إنه أمر لا يصدق أن حملة
خطيرة ومخيفة كهذه لم تلق إلا اهتماماً ضئيلاً في اعتبارات الصراع الفلسطيني . انها كانت
حملة تشكلت بها حرفياً كل التاريخ التالي . فقد جرت بواسطة مخططات غريبة تخريرية
مخصوصة لإدخال اليهود النازحين^(٢) » (الى فلسطين) .

هذا عن جهود الصهيونية لإقرار برنامج بلمتور في الأوساط اليهودية بفلسطين ، أما في
بريطانيا فقد ظلت معارضة اليهود غير الصهيونيين نقض مضجع الصهيونية السياسية ، لا سيما
حين تذكر هذه أن مساوي اليهود البريطانيين بالذات هي التي أفضت الى تضمين تصريح
بلفور شروطاً تحمي حقوق الطائفة غير اليهودية في فلسطين ، وحقوق اليهود خارج
فلسطين . ولكن الصهيونية السياسية شعرت أنها بعد ربع قرن ، أصبحت أقوى مراساً
وأقصى عزيمة من ذي قبل . فإن المعارضة اليهودية في بريطانيا لا يمكن تسويغها ولا احتمالها
في وقت راجت فيه فكرة دولة يهودية في فلسطين . وللقضاء على هذه المعارضة لجأت

Richard Crossman, •Palestine Mission,• N. Y. 1947,p. 47(١)

The Spectator, vrbid

(٢)

الصهيونية الى خطتين : اولهما لتوسيع قواعد الصهيونية في بريطانيا ، وثانيها لتلافي معارضة اليهود البريطانيين غير الصهيونيين ونسف تأثيرهم على الحكومة والرأي العام .
وعباً (الاتحاد البريطاني الصهيوني) صفوفه في حملة لمضاعفة أعضائه ، فنجح ، وأصبح عدده خمسة أضعاف ، من ٥٤٠٠ في مطلع ١٩٤٣ الى ٢٦ ألفاً بعد سنتين^(١) . وتعرض اليهود غير الصهيونيين لحملة الوكالة اليهودية الدعاوية لإحلال برنامج بلتيمور بدلاً من الكتاب الابيض .

ولحسن حظ الصهاينة فان (مجلس النواب لليهود البريطانيين) وهو أقدم هيئة تمثيلية يهودية في بريطانيا ، أصبح يضم غالبية صهيونية عام ١٩٤٣ إثر الانتخابات لعضوية المجلس ، ومضى ينطق بلسان الصهيونية السياسية في الحال . ولم يكثر بأعضائه الذين اختاروا ان يحتفظوا بموقف غير صهيوني . وفي تموز ١٩٤٣ حل ارتباط المجلس بالرابطة الانكليزية اليهودية التي كانت تنسق نشاطها في الخارج منذ ١٨٧٨ ، وفي تشرين الثاني ١٩٤٤ صادق المجلس نهائياً على مبادئ بلتيمور . وشكلت جماعة غير صهيونية انشقت عن المجلس ، ما يسمى (بالزمالة اليهودية) وتمسكت برأيها في أن اليهود يشكلون جماعة دينية لا جماعة سياسية قومية ، ولذا فقد استنكرت بشدة طلب انشاء دولة يهودية . كذلك رفضت الرابطة الانكليزية اليهودية الأكثر نفوذاً ، برنامج الدولة اليهودية وأصبحت بعد ١٩٤٣ الناطقة باسم الموقف اللاصهيوني . ولكن المجلس والزمالة اليهودية والرابطة ، سالفه الذكر ، كانت متعددة في الاحتجاج على سياسة الكتاب الأبيض ، وفي الأمل بأن تمنح فلسطين وضعاً مماثلاً لوضع الدومينيون ضمن الكومنولث البريطاني^(٢) . وربما كان الخلاف بين الصهيونيين

Hurewitz, op. cit, p. 208

(١)

Hurewitz, ibid , p. 209

(٢)

وغير الصهيونيين من الناحية العقائدية هو مماثل للخلاف بين أنصار الوطنية الثنائية وأنصار الدولة اليهودية في فلسطين . وعلى الرغم من أن الجدل حول برنامج بلمتور قد نجم عنه تبلور المعارضة ضد الصهيونية ، غير أن هذه المعارضة لم تكن قوية بما يكفي لإحراز التأثير المطلوب . واستطاعت الحطط السياسية الصهيونية أن تنجح في الترويج لدعاية واسعة كانت الغاية من ورائها تحريك مطالبة عامة بنسخ الكتاب الأبيض .

ومن المهم هنا أن نؤكد استغلال الصهاينة للجهل العام لدى (الأمم الأخرى) بمخافتة القضية الفلسطينية ، وذلك حين اقترحوا تبني برنامج بلمتور كوسيلة منطقية لنسخ الكتاب الأبيض ، ملازمين بذلك من يصغي إليهم بتعظيم انشاء دولة يهودية ، كنتيجة لقراراتهم في معارضة الكتاب الأبيض . وحقائق الأمر ، أن برنامج بلمتور والكتاب الأبيض بقيتا نشرتين منفصلتين ، ولكن معظم الناس من غير اليهود ، لم تتضح في اذهانهم حقيقة الموقف ، كي يميزوا بينها . فظلوا متأثرين بتضليل أجهزة الاعلام الموسعة للوكالة اليهودية في لندن ، تمطرهم بوابل من مطبوعاتها ونشراتها ومن الزاوية الصهيونية البحتة ، دون أن يكون ثمة جهاز إعلام عربي يرد على دعاوى الصهيونية ، ويفند مغالطاتها باللغة والاسلوب اللذين يفهمهما البريطاني العادي ، حتى استطاعت الصهيونية أن تحمل حزب العمال البريطاني على اتخاذ قرار مايو ١٩٤٤ ، ويدعو العرب للخروج من فلسطين ، في الوقت الذي يشجع اليهود على دخولها .

الضغط والارهاب الصهيوني في فلسطين :

بعد أن اطمأن الصهاينة إلى تعظيم برنامجهم في الولايات المتحدة وبريطانيا وفي أوساط اليهود بفلسطين ، انصرفوا إلى تقوية أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة ، وبدلوا جهوداً ضخمة لتدريب يهود فلسطين وتسليحهم تمهيداً لاستئناف ثورتهم الدامية على السلطات الانكليزية ، بقصد حملها على تغيير سياسة الكتاب الأبيض ، والسماح بالهجرة اليهودية غير الشرعية تحت

شعار انقاذ اليهود المبعدين من أوروبا النازية « الذين لا يشعرون بالأمان إلا في فلسطين » . ويتضح التضليل الصهيوني من وصف العرب بيمول محورية نازية لاشيء سوى وقوفهم موقفاً عدائياً من الصهيونية السياسية . ولا حاجة إلى تمييز موقف العرب من موقف الألمان النازيين ؛ فالعرب معادون للصهيونية السياسية كفكرة ، دون ان تكون لديهم دوافع عنصرية ضد اليهود كأبناء جنس أو دين . في حين أن النازية اضطهدت اليهود على أساس نزعة عنصرية بحتة .^(١) واستطاع الصهاينة ان يخادعوا الرأى العام الدولي في استغلالهم المعرض لقضية اليهود النازحين من اوربا ، من أجل خدمة أغراض سياسية لا إنسانية تهدف إلى احلالهم محل شعب آخر . كما ظلوا يتخذون من اضطهاد النازيين لليهود حجة مفضلة لكسب الأنصار وارغام البريطانيين على الرضوخ ، وفتح أبواب فلسطين . وفي الوقت نفسه مضوا يصورون الكتاب الأبيض وكأنه يحقق أماني العرب ، بينما تثبت مطالعته بأنه لا يردّ الحقوق العربية المغتصبة ، وإنما هو يخفف قليلاً من تحيز الانتداب نحو الصهيونية على كره منه . فهو لم يزل غموض فكرة الوطن القومي ، وإنما تضمن المغالطة التقليدية وهي اعتبار اليهود أحد عنصري السكان الأصليين ، وتحدث عن احتفاظ كل منها بكيانه عما يشعر بأنه لم يتخل نهائياً عن فكرة التقسيم .

وربما كان الكسب الوحيد للعرب من تنفيذ بريطانيا للكتاب الأبيض هو تحديد الهجرة ، وهو ما كانت بريطانيا ترفض بحته والنظر فيه باستمرار . وربما كان العرب محقين في رفض الكتاب الابيض ، لأنهم كانوا يشعرون ان بريطانيا غير جادة في تنفيذ التزاماتها بموجبه ،

(١) في أقطار غربي اوربا عامة يتركز مفهوم كلمة يهودي على أنه يعني الجنس لا الدين ، بدليل ان الاضطهاد النازي تناول أيضاً أولئك الذين يتحدرون من اسر يهودية تنصرت في الاجيال التالية ونحلت إلى الكاثوليكية او البروتستانتية .

ولم يخف على بعض المطلعين ان لندن ربما وضعته لإيجاد فرقة بين الوطنيين وبين من تسميم بالمعتدين . وقد شرحنا موقف الانتداب من قضيتي الأراضي والهجرة منذ مطلع الحرب الثانية ، وتظاهره بالتزام سياسة الكتاب الأبيض في شأنها ؛ كما الخنا إلى ان الانتداب لم يخط خطوة واحدة لتحقيق التغييرات الدستورية المقترحة في الكتاب على تفاهتها ، فقد ظل الانتداب يمارس الحكم مباشرة كما يفعل في أقل مستعمراته شأناً . ولم تنتقل رئاسة الادارات الى الفلسطينيين ، وظل أعضاء المجلسين التنفيذي والاستشاري من الموظفين البريطانيين . والعرب في غضون الحرب كانوا أقرب إلى المهادنة منهم الى التمرد والثورة ، برغم ما يشهدونه من تسويق الانتداب ومطله في تنفيذ الكتاب الأبيض ، وكانوا يأملون أن تحقق بريطانيا تأكيداتها المتوالية بأنها ستمضي في وضعه موضع الاجراء والتنفيذ ، غير آبهة بالتهديد الصهيوني ودعاوته العريضة . ومن أدري من بريطانيا بصراحة الحق العربي وتهافت الباطل الصهيوني الذي مكنت له في الأرض المقدسة ، مع أنها تعهدت بعدم الافتئات على الحق العربي أثناء عطفها على الوطن القومي اليهودي .

وأدرك الصهاينة أنه ليس بدّ من إرهاب وزارة المستعمرات وسلطات الانتداب عن طريق القيام باعمال العنف والتخريب ، وفي الوقت نفسه إعداد اليهود في فلسطين وتدريبهم وتسليحهم ليوم الفصل القسام ؛ وإذا أريد نفس الكتاب الأبيض فلا يحصى من سلوك مسلك العرب الذين أدت ثورتهم إلى نفس التقسيم ، ووضع الكتاب الابيض ، ولكن العرب لم يطعنوا حلفاءهم في اخرج الاوقات وأعصب الظروف كما فعل الصهاينة . وهكذا عاودت المنظمات الارهابية الصهيونية نشاطها الذي كان قد توقف بوقوع الحرب العالمية الثانية ، متسلحة بروح الملاينة التي ظهرت من الانتداب دائماً تجاه الارهابيين اليهود^(١) ، ومستهدفة

الضغط على السلطات البريطانية المحلية بغية حملها على التخلي عما تتظاهر به من الأخذ بالكتاب الأبيض . والمنظمات الارهابية تعلم حتى العلم ان رئيس الوزارة البريطانية تشرشل أعلن في البرلمان (٢٧ أيار) إثر توليه رئاسة الحكومة أنه من العيب ابقاء عشرين ألف جندي للمحافظة على الأمن في فلسطين ، بينما تحتاج بريطانيا الى كل فرد للدفاع عن نفسها ، كما دهش تشرشل من انشغال عدة سفن بمراقبة سواحل فلسطين لمنع تسلل المهاجرين اليهود غير الشرعيين !! ولا شك في أن ماضعاف ايمان الصهاينة بالعمل الارهابي هو ما يروونه من وقف العمل بالكتاب الأبيض ، ومن تغاضي القادة العسكريين البريطانيين عن أوامر وزارة الخارجية البريطانية ، واشراك الكتاب اليهودية في غزو سورية ولبنان (حزيران ١٩٤١) وتركها تنهب مخازن الاسلحة الفرنسية لتسليح العصابات الصهيونية .^(١)

ولكن تميز سلطات الانتداب للصهاينة وعصاباتهم لم يلزم هؤلاء هؤلاء مبدأ التعاون التام مع البريطانيين في فلسطين طوال فترة الحرب ، برغم أن البريطانيين كانوا يخوضون حرباً ضارية ضد عدو قوي توالت انتصاراته يومذاك . والباحث ميال إلى القول بأن خلافات المنظمات الصهيونية الارهابية مع سلطات الانتداب كانت مفتعلةً ومنسقةً بواسطة القيادة الصهيونية . فمن المعلوم أن الهدف الأول للوكالة اليهودية كان تحقيق برنامج بلمنور الذي نال موافقة غالبية يهود فلسطين ، ولذا فهي ترى أن الضغط على سلطات الانتداب أمر مشروع ولو بوسائل ارهابية تجافي منطق العطف البريطاني عليها وتأييده العريق لها ؛ ولكنها لا تستطيع أن تجهر لا بتأييد الارهاب ولا بشجبه علناً ؛ واذا وجدت نفسها مضطرة لاستنكار فعال الارهابيين ، حرصت كل الحرص على أن اللوم يجب أن يوجه إلى سلطات الانتداب التي حفزت كوامن الحقد اليائس في نفوس شبان أبعدهتم فظائع النازية

Wilson, op. cit., p. 172

(١)

التي حلت بأخوانهم عن الاعتدال ، حتى أصبحوا يؤمنون أن السبيل الوحيد لتحقيق الاهداف هو سبيل القسوة والعنف والارهاب . وقد ساهمت الوكالة اليهودية بأقرارها لفعال الإرهاب والحرس على لوم البريطانيين ، في تقاعّم شروره والقضاء تدريجياً على (الهدنة السياسية) التي أعلنتها ، تعاوناً مع الانتداب في مطلع الحرب ؛ والواقع أنها لم تكف لحظة عن الضلوع في الارهاب وتنشيط عملياته ومعونة أفرادهِ سرّاً . وستوضح فيما بعد العلاقة الواشجة بين الوكالة اليهودية وجيشها السري المسمى بالهاغانا ، وبين المنظمين الارهابيين الارغون وشتيرن .

والحق ان الصحف اليهودية في فلسطين لم تحضّ على وقف موجة الارهاب إلا عندما لاح الخطر المحوري في الأفق القريب ، من قبل انتصار الحلفاء في معركة العلمين وتحسن مقدراتهم العسكرية (تشرين الاول ١٩٤٢) . وقد تراجع الخطر عن فلسطين إثر قيام الحلفاء الانكلو امريكين بطرد القوات المحورية من شمال أفريقيا ، في أقل من سبعة شهور اعتباراً من نهاية عام ١٩٤٢ . وحينئذ برزت فلسطين الى المسرح السياسي من جديد ، وعاود الارهاب الصهيوني نشاطه .

ذلك أن زوال الخطر المحوري عن مصر وفلسطين قد تبعه هبوط أرقام التطوع عند اليهود ، وفزع عملاء الصهيونية من هذه الظاهرة التي تهدد خططهم ، فراحوا يضطهدون المتخلفين عن التطوع ويعاقبونهم حتى يقتلونهم ، تماماً كما كان يفعل أفراد العصابات الفاشية وأفراد القمصان البنية النازيون^(١) . وكثيراً ما نسفت البيوت بالقنابل والالغام ، وكثيراً ما اتبعت أساليب التعذيب التقليدية الأخرى مع المتهمين بالانحراف ، فيجري اختطافهم واحتجازهم ومقاطعتهم وارهابهم^(٢) . وهنا أصدرت سلطات فلسطين تشريعاً للدفاع حظرت

Sykes, op. cit., p. 291

(١)

Kirk, op. cit., p. 306

(٢)

بوجهه في كانون الثاني ١٩٤٣ وسائل العنف والارهاب في إجبار اليهود على التطوع . وقد قاومت الوكالة اليهودية هذا التشريع ، وزعمت بأنه يبط حركة التطوع اليهودي . وابتكرت الحجج التي توجه اللوم على هذه الفعال لا إلى الارهابيين بل الى حكومة فلسطين التي كانت تحاول وقفهم عند حدم . هذا الى أن رفض الوكالة اليهودية معاونة سلطات الانتداب في وقف اعمال الارهاب التي أخذت بأسباب الانتشار آنذاك ، قد عززت الرأي القائل بأن الوكالة كانت تقرّ الارهاب وكانت على صلة بمنظّماته^(١) . وقد انتشر هذا الاعتقاد بشكل ملحوظ إثر سلسلة المحاكمات التي انعقدت لمحاكمة المتهمين الصهيونيين بهتريب السلاح، وإثر حملات التفتيش التي قامت بها سلطات الانتداب بحثاً عن الارهابيين اليهود ، ما بين شهري آب وتشرين الثاني ١٩٤٢ . فقد لوحظ في شهر آذار ١٩٤٣ تزايد ملحوظ في عدد وحجم حوادث سرقة السلاح والمتفجرات من المنشآت العسكرية البريطانية في فلسطين . وبعد ذلك كشف النقاب عن وجود عصابة لسرقة السلاح وتهريبه على مقياس واسع ، مرتبطة بالهاغانا ولها فروع في شتى أنحاء الشرق الأوسط^(٢) .

وفي ١١ آب حكم على جنديين بريطانيين هارين هما (هاريس و سترنر) بالسجن خمس عشرة سنة لاشتراكهما بالسرقة، وقد وجد في حوزتها ٣٠٠ بندقية مع ١٢٥ ألف رصاصة . وقد اعترفا في البيانات التي أدليا بها أمام المحكمة العسكرية، أن زعيم عصابة السلاح اليهودية قد قدم لها رشوة من أجل الحصول على السلاح والذخيرة من مستودعات الجيش البريطاني، وانها كانا يعملان مع يهوديين من حيفا، هما وسيطان بينها وبين يهودا تانبوم ، وهو

Sykes, op. cit., p. 295 (١)

Survey of Palestine I, p. 67 (٢)

مفتش سابق في البوليس الفلسطيني . وقد ورد اسم بن غوريون وزعماء المستدروت
والهابوعيل (منظمة العمال الرياضية) بين من يرجح ضلوعهم في شبكة التهريب
الصهيونية التأميرية^(١) .

وقد أشار محامي الدفاع الميجر فيردن Verdin الى الجنديين ، وقال إنها كانا قد وقعا في
شرك « منظمة هي من القوة والفظاظة بحيث لم يكن لها أي مهرب حين أبطقت أنيابها
عليها » . وتابع محامي الدفاع مرافعته بانها الوكالة اليهودية وقال : « هل يعني هذا أنه إذا
تراجعت الحرب عن حدودهم ولم يعد يجابه يهود فلسطين تهديد معسكرات التجميع ، أن
يقع بعض جنودهم تحت سيطرة هذه المنظمة وأن لا يعملوا بعد الآن لمصلحة الأمم المتحالفة؟
إذا كان الأمر كذلك فهذه حالة ينبغي اذاعتها على الأمم المتحالفة . ولا يمكن تصديق أن
هذه الوكالة اليهودية ، وهي مصدر السياسة اليهودية ، التي تنشد الأمم المتحالفة لإنقاذ وإغاثة
شعبها الذي داسته بالاقدام ، وإشاعة السلام بين جنسها المضطهد ، هي الآن وراء الستار
تعمل ضد مصالح الأمم المتحالفة و ضد مستقبل الشرق الاوسط^(٢) » .

وبدا واضحاً أن الوكالة اليهودية بينما كانت تتعاون في الظاهر مع سلطات الانتداب ،
فانها في الوقت نفسه كانت تنفذ مخططاً بارعاً للحصول المحرم على الاسلحة بالسرقة من
الامدادات البريطانية . وقد أثار كشف هذا النشاط التخريبي الصهيوني ، موجة من
الانهايات باللاسامية ، تزعمها بن غوريون الذي ورد اسمه بين الممكن انهامهم بالضلوع في
هذا النشاط الخطير ، فأكد في حملته على المحكمة بأنها في تصرفها كانت تعمل بتوجيهات
لاسامية . واستهل بن غوريون بها مرحلة جديدة في الدعاية الصهيونية التي لا تزال مستمرة

Kirk, op. cit , pp. 307,308

(١)

ibid, p. 308

(٢)

حتى يومنا ، وهي نعت كل من لا يشايح الصهيونية ولا يوافق على مخططاتها العدوانية بالاسامية ، وكل من لا يقر المطالب الاقليية اليهودية بالنازية^(١) . وهو انفعال صهيوني متميز تجاه أي شيء مناوئ لمصالح الحركة الصهيونية .

كذلك حوكم اثنان من اليهود لاشتراكها في مرقه السلاح وحكم عليهما بالسجن ١٠ سنوات لأحدهما و ٧ سنوات للآخر . وصرح رئيس المحكمة إن التحقيق أثبت أنه يوجد في فلسطين مؤامرة خطيرة للحصول على السلاح والذخيرة من قوات جلالة الملك . وقال إن المنظمة التي تكمن وراء نشاط المتهمين اليهوديين « يبدو أنها تملك مبالغ ضخمة من المال تحت تصرفها ، وتمتع بمعرفة مستفيضة في الشؤون العسكرية بما في ذلك التنظيم العسكري » . وقد اغتاز الصهاينة من قمع البريطانيين لنشاط تهريب السلاح ، وزعموا أن لهم الحق الأدبي في التسلح ، وزاد في مراتبهم أن المحاكمة جرت عنية ، وتناولت الأجهزة اليهودية بشبهات الاتهام أثناء المحاكمة .

وفي ٤ تشرين الاول قررت الجمعية اليهودية المنتخبة أن المحاكمة هي محاولة للتشهير بالشعب اليهودي ، وأنذرت الحكومة بإمكان حدوث عواقب جديدة ، وأعدت تأكيد عزم يهود فلسطين على « الدفاع عن أنفسهم بالقوة^(٢) » ، عند الضرورة . وقد ذكر ضابط مخبرات امريكي ان حكومة فلسطين كانت تركز في هذه الآونة على عمليات سرقة البنادق ، ولكن لو أن هذا التركيز كان كاملاً ، لامتألت السجون البريطانية بالمتهمين ، ولم يكن هناك أي يهودي يتقاعس عن محاولة الحصول على السلاح بأي ثمن^(٣) . وكعداب الدعاية

Sykes, op. cit., p 295

(١)

Survey of Palestine, op, cit., p. 68

(٢)

Sykes, op, cit., pp, 295-6

(٣)

الصهيونية دائماً في صبغ فعالها بصبغة شرعية ، فانها فسرت دوافع شراء السلاح وتخزينه بأنها ناجمة عن الخوف من بقاء السلاح بيد العرب . واعترف بعض كتابها أن الهاغانا في إقبالها مع الصهاينة على شراء السلاح من عملائه العرب والبدو ، فانها كانت تستعد لصدام ممكن وقوعه مع العرب والبريطانيين ؛ وقد التقط البدو كميات كبيرة من السلاح التي تركتها قوات الحلفاء والمحور في صحراء مصر الغربية حيث باعوها بمرايح كبيرة ، كما أن سوق السلاح السوداء قد زوّدت بتجهيزات حربية مسروقة من معسكرات الحلفاء ومستودعاتهم^(١) .

وكانت الهاغانا قد أغرت كثيراً من الضباط والجنود البولنديين اليهود بالفرار من الجيش بأسلحتهم ، والاستفادة منهم ومن سلاحهم في تدريب اليهود والاتحاق بقواتهم . بل ان الوكالة اليهودية أقامت دائرة للتجنيد تابعة لها ، فرضت التدريب العسكري وجعلت مدة الخدمة سنة للفتيات والفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ١٨ سنة ، وذلك ببيانات واعلانات نشرت في الصحف على مسمع ومشهد من سلطات الانتداب - وهي نفس السلطات التي كانت تحكم بالاعدام شنقاً على أي عربي ، إذا وجدت لديه رصاصة واحدة في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ . وكانت الوكالة اليهودية تخفي هؤلاء الفارين الذين تأثروا بدعايتها ، وتستفيد منهم ومن سلاحهم .

وفي ١٦ تشرين الثاني قامت قوات من الجيش والبوليس البريطاني بتفتيش مستعمرة (رامات هاكوفيتش) الواقعة في وسط السهل الساحلي ، بحثاً عن الضباط والجنود البولنديين الفارين من وحداتهم ، والذين كانوا يقومون فيها بتدريب منظمة يهودية محظورة

Hurewitz, op, cit., p, 197

(١)

فلسطين م ٣٦ (١٩٦٨)

على مختلف أنواع السلاح ، ولكن السلطات لقيت مقاومة عنيفة من سكان المستعمرة وما حولها رجالاً ونساء ، وقد اضطر أحد رجال البوليس أن يطلق رصاصة واحدة من مدسه فجرح يهودي جرحاً مميتاً^(١) . ويبدو أن سكان المستعمرة استطاعوا تهريب السلاح الموجود في حوزتهم إذ عثرت السلطات على مخابئه مخفوة تحت قطعة من الأرض أقيم عليها مخيم للشبان اليهود . وفي مواضع أخرى اكتشفت الأسلحة دون العثور على الفارين البولنديين^(٢) . وسنت الصحف اليهودية حملة شعواء نالت فيها من السلطة واستثارت مشاعر اليهود في تل أبيب ، فقاموا بمظاهرة صاحبة وأحرقوا مكاتب الحكومة فيها . وقد خطب (موشه شرتوك) رئيس القسم السياسي في الوكالة اليهودية ، وكذلك فعل (الياهو غولب) قائد الهاغانا في الشهر التالي ، وهددا بالمقاومة المنظمة إذا استمرت حملات التفتيش في المستعمرات ، وقد اذعنت السلطات لهذا التهديد واضطرت الى التراجع والاعضاء ، وألغت الحظر الذي فرضته على بعض الصحف اليهودية^(٣) .

وثبت أن تراجع الحظر الحوري عن الشرق الاوسط قد قلب ولاء اليهود للسلطات البريطانية خلال ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، الى ولاء لأهدافهم الخاصة فحسب . وقد وصف القائد العام البريطاني في الشرق الاوسط هذا الوضع الجديد الذي حفزته محاكمات السلاح وحملات تفتيش المستعمرات بقوله : « عندما استهل شهر كانون الثاني ١٩٤٤ كان موقف الوكالة اليهودية من الحكومة قد تصلب الى الحد الذي دفعها الى معارضة ومقاومة أي عمل مناويء لبرنامج بلمتور أو مؤيد للكتاب الابيض . وكانت الوكالة اليهودية من بعض الاعتبارات تتجهل لنفسها صلاحيات ووضع حكومة يهودية مستقلة . ولم تعد تحاول إنكار وجود

Survey of Palestine, op, cit., 69

(١)

Hurewitz, op cit., p. 197

(٢)

مخايء السلاح ، ولكنها كانت تدعي لنفسها الحق لا في حيازة الاسلحة بقصد الدفاع عن النفس فحسب ، وانما لمقاومة أية محاولة من جانب السلطات القانونية للكشف عنها ^(١) ، ولم تفلح اجراءات السلطة لمكافحة سرقة الاسلحة ، ولا حالت المحاكم العسكرية دون وقوع سرقات أخرى ، ومنها سرقة جرت من مستودع للتدريب في رحوبوت ، حصل الصهباينة فيها على ٢١٨ بندقية و ١٥ مدفعاً رشاشاً ومخزن كبير للذخيرة . ولم تستطع السلطة أن تكشف جميع مخايء السلاح اليهودي ، وإن لم يخف عليها مدى القوة والاستعداد اللذين تحول بهما اليهود من حالة الى حالة ، والذي ظهرت آثاره الخطيرة في تفاسم أعمال الارهاب عام ١٩٤٤ . لقد كانت الصهيونية عازمة على أن لا تترك فرصة واحدة الا استغلتها ، في تديير خططها حتى لا تلحق بها هزيمة في أية ناحية . كما قررت أن لا تترك باباً إلا طرقته : من ارهاب منطرف وتحدّ سافر ، إلى استجداء وبكاء وعبول واستعطاف ، الى التلويح بالتهديد أو التظاهر بالاعتدال والتبرؤ من الارهاب والارهابيين .

وعلى الرغم من أن بريطانيا التي مكنت لهم واحتضنتهم على حساب الشعب العربي في فلسطين ، كانت تخوض غمار حرب مصيرية ضد النازيين الذين كانوا أعداء اليهود الألداء ، فلم يتردد الصهباينة في ضرب البريطانيين وطعنهم من الخلف في ثورة استمرت ثلاث سنين ونصفاً منذ ١٩٤٤ الى خريف ١٩٤٧ ، كانت تقف وقفات ترقب واستجمام ، وكانت عنيفة محكمة التنظيم ، ولكنها لم تكن ثورة دائمة ذات عصابات مسلحة مستمرة النشاط كما كانت ثورة العرب ، بل كانت وقائع وكائن ترتب وتنفذ ثم تتوقف لتستعد لميلاتها ، أو لتسرحي من الظروف والأحداث ؛ وكان الذين يقومون بها من اليهود يعودون الى اعمالهم العادية ويحتفون في أندية التدريب والمعسكرات المنتشرة في المستعمرات .

Kirk, op. cit., pp. 310-11

(١)

وفي هذا الجو الذي اتجهت فيه الجهود الصهيونية ضد سلطات الانتداب ، عاودت المنظمات الارهابية نشاطها وبدأت العمل إثر بيان منظمة الأرغون الذي أعلنت فيه وقف الهدنة مع سلطات الانتداب ، لأن « الحكم البريطاني أكد خيانه المعيبة للشعب اليهودي ، وليس ثمة أي أساس خلقي لوجوده في أرض اسرائيل .. فليس من هدنة بعد الآن بين الشعب اليهودي والادارة البريطانية التي تقوم بتسليم اخواننا الى هتار .. ونحن الآن في حالة حرب مع هذا الحكم ، حرب الى النهاية . ومطلبنا نقل الحكم فوراً الى أيدينا ، فيجب ان تكون هناك حكومة عبرية مؤقتة .. لن نتراجع ، فإما الحرية أو الموت » .

أما عصابة شتيرن فقد مُبعثت من جديد باسم (المقاتلون من أجل حرية اسرائيل) في أوائل صيف ١٩٤٣ . وهي منظمة في خلايا أعضاؤها العشرة لا يعرفون من سواهم ، واهتمت بتجنيد الشبان الذين لا يجاوز سنهم ٢٥ في صفوفها من بين التصحيحين ، واليهود الشرقيين (السفارديم) ، والقادمين الجدد من المهاجرين غير الشرعيين . واهتمت شتيرن في نشرتها السرية (هي - هازيت = الجبهة) ، التصحيحين والوكالة اليهودية بالاعتماد على ديمقراطية العالم وبريطانيا . واهتمت اليساريين الصهيونيين بالاتجاه نحو دعم البروليتاريا العالمية وروسيا السوفيتية ، واقترحت شتيرن أنها ستستعمل أية وسيلة للوصول الى اهدافها المحددة ، بدلاً من استعمال المضابط والمعارض والمحاضرات والاجتماعات والتصريحات والاتلافات التي اتبعتها السياسة الصهيونية دون جدوى . وأعلنت شتيرن أنها طليعة الجيش اليهودي السري ، وأشهرت الحرب ضد البريطانيين « المحتلين » ، من أجل تحرير فلسطين وشرق الاردن « اللتين يملكهما اليهود وحدهم » . وقالت انها « سوف تنشُد معونة أية قوة هي في نزاع مع عدونا السياسي » . واعتقد أعضاء شتيرن ان الارهاب يقوم بمنجزات عظيمة طالما أنه

يستقطب انتباه العالم لقضيته ، وهدفهم طرد البريطانيين من فلسطين باغتيال كبار موظفيهم في الادارة الانتدابية . وقد تدعمت العصاةة في خريف ١٩٤٣ بفرار عشرين من أعضائها القدامى من معتقل اللطرون ، ومنهم ناتان فريدمان يالبن Yallin وهو بولندي أصبح زعيم العصاةة ، وربما كان عدد أفرادها في أوائل عام ١٩٤٤ ما بين ٣٥٠ - ٣٠٠^(١) .

أما الأروغون ترفاي لثومي (المنظمة العسكرية القومية) فكانت أكبر حجماً من شتيرن بجمسة أضعاف على الأقل ، وكان زعيمها رازيل Raziel قد قتل في أيار ١٩٤١ أثناء عملية تخريب قام بها لمصلحة الجيش البريطاني في ضاحية بغداد . وكلتا المنظمين ترجع في أصولها الى بولندا حيث برزتا من الجناح المتطرف للصهيونيين التصحيحيين . وقد تأثرت هذه العناصر المتطرفة ، وخاصة الشباب منهم بالنموذج الفاشستي الديكتاتوري ، فحملوا معهم نزعة التعصب والسخط على كل نظام قائم ، والاعتقاد بأن العنف هو الأداة السياسية الواجب ممارستها ضد بريطانيا ، التي لا تسمح بالهجرة اليهودية الواسعة ، أو يخلق غالبية يهودية في فلسطين إلا تحت القوة القاهرة . ويقول مناحيم بيغن قائد الأروغون انه استوحى أفكاره من جابوتنسكي اليهودي البولندي المتطرف الذي طالب بتوحيد ضفتي الاردن وإقامة دولة يهودية فيها تتسع للملايين المهاجرين اليهود ، دون حاجة لإخراج العرب . وادعى أن العرب سوف يعيشون في مستوى أعلى من متواعم الأول ، في ظل الدولة اليهودية !!

وزعم أفراد شتيرن والأروغون أن تطرفهم موجه ضد البريطانيين لا ضد العرب الذين كان يمكن تسوية الخلافات معهم لو لم تضعها بريطانيا الواحد في مواجهة الآخر . والحقان مثل هذه الدعاوى والحيل لا تنطلي على أحد من العرب . فاذا كان أعضاء المنظمات الارهابية

Hurewitz, op, cit., p 198

(١)

الصهيونية شتيرن والأرغون وبعد ذلك الهاغانا يعتدون على البريطانيين ، فلأن هؤلاء البريطانيين - في زعم الصهاينة - لا يقدمون لهم مساعدة كافية لهضم حقوق العرب واغتصاب بلادهم ، أي يتظاهرون بالحدّ من الهجرة اليهودية غير الشرعية خشية انتقاص العرب عليهم في زمن الحرب . فالارهاب اليهودي موجّه ضد العرب في الأصل والمبدأ والنهاية .

وبعد تأزم العلاقات بين الارغون والتصحيحين في أيار ١٩٤٣ انفصلت عنهم الارغون واقتربت من شتيرن في اعتناقها لجدوى الارهاب . ودعت الارغون شبان اليهود للتطوع في صفوفها ، وبثت دعايتها في نشراتها السرية وصحيفتها الشهرية (حيروت) ومن إذاعتها السرية . وقد ملأت الارغون خزائنها بما تنهيه وتسرقه وتسطو عليه ، وبما تتلقاه من المعونات من الوحدات العسكرية البولندية التي كانت تدين بالولاء لحكومة بولندا في المنفى (لندن) ، والتي كانت شديدة المناوئة لروسيا ، ثم أصبحت تدريجياً مناهضة لبريطانيا المتحالفة مع روسيا^(١) . وكان الضباط البولنديون يسمحون للجنود الفارين من اليهود البولنديين بالانضمام الى صفوف الارغون ، والتدرب على الارهاب والتخريب . كما يسمحون لهم بنقل السلاح والذخيرة في العربات العسكرية البولندية ، ويقدمون الملبأ في معسكراتهم لأعضاء منظمة الارغون الفارين من قوى الأمن . وقد سمح لواحد من الجنود اليهود البولنديين ، وهو مناحيم بيغن ، بالتغيب عن وحدته في أيار ١٩٤٤ لاستلام قيادة الارغون العليا ، وهو محام

(١) تصور مناحيم بيغن ، الذي كان يتجه بالولاء نحو حكومة بولندا في المنفى المقيمة في لندن ، أن بريطانيا نخلت عن تأييد هذه الحكومة البولندية ، وإن الجيوش السوفينية ستدخل بولندا وتقيم فيها نظاماً آخر ، فقرر ان يقاتل البريطانيين ، واستفاد كثيراً من وجود الفرقة البولندية في الاردن فأمدته سراً بالسلاح .

في الثلاثين من عمره^(١) . وتذكر المصادر الصهيونية أنه بينما كانت شتيرن تؤيد سياسة العنف الذي لا تميز فيه ضد أي شخص بريطاني أو مؤسسة أو مصلحة بريطانية ، كانت الارغون تختلف عنها – فيما تُزعم – بدرجة العنف الواجب استعماله ، فهي والحالة هذه تتبنى سياسة تنظر إليها على أنها شكل من أشكال ضبط النفس . وترغم المصادر الصهيونية أن الارغون امتنعت عن ضرب أية منشآت عسكرية طالما كانت الحرب دائرة ، وإنما كان نشاطها التخريبي موجهاً ضد المؤسسات المدنية اللازمة لاستمرار الادارة الانتدابية . ويرى قادة الارغون أنهم بذلك يحققون هدفاً مزدوجاً : وهو مواصلة الكفاح ضد الكتاب الابيض دون الاضرار بالمجهود الحربي للحلفاء .

وقد جرت اتصالات بين عصابة شتيرن وعصابة الارغون في مطلع عام ١٩٤٤ ، واتفقتا على استئناف الارهاب ضد السكان العرب والمنشآت البريطانية على السواء . وتذكر المصادر الرسمية البريطانية أن هاتين العصاباتين كانتا مسؤولتين عن فعال الارهاب والاعتداء عام ١٩٤٤ ، وعن سيل لا ينقطع من المنشورات المضلّة التخريبية . وترى أن رفض اليهود التعاون مع السلطات بما يؤدي الى توقيف الجناة والارهابيين ، كان يعزى جزئياً الى الخوف منهم ، وخاصة الى مشاعر التساند القومي والتأييد للأهداف الاساسية الصهيونية . كما ترى أن الهيئات اليهودية الرسمية كان شجها لأعمال الارهاب يرجع الى سوء توقيته الذي قد يؤدي القضية الصهيونية في ذلك الوقت العصيب ؛ ولكنها علناً تصرح بأن هذه الاعمال كانت نتيجة محتومة لاستئارة حق اليهود من قبل الادارة الانتدابية^(٢) .

بدأت حملة الارهاب الصهيوني مجدداً في نهاية شهر كانون الثاني ١٩٤٤ بوضع متفجرات

ibid, p. 199

(١)

Survey of Palestine, op. cit p. 71

(٢)

في حظيرة السيارات التابعة لمصلحة النقل الحكومي في يافا . وأثناء تبادل إطلاق النار قتل حارس عربي واثنان من رجال البوليس وعربي ويهودي ، وجرح اثنان من البوليس البريطاني^(١) . وفي يوم الاحد ٣ شباط فوجيء يهوديان وهما مجاولان وضع آلة تدمير على مدخل كاتدرائية سان جورج الذي سيمر منه المندوب السامي في طريقه للصلاة . كما وضعت في ١٢ شباط قنابل مجهزة بالساعات في دوائر الهجرة في القدس وتل اييب وحيفا ، وأصابها بأضرار فادحة . وبعد يومين قتل ضابط بوليس وكونستابل بريطانيان رمياً بالرصاص في شوارع حيفا . وفي ٢٤ شباط انفجرت قنابل في مباني البوليس في حيفا وسببت اصابات بين أفراد البوليس . وفي ٢٦ شباط دُمرت دوائر ضريبة الدخل في القدس وحيفا وتل اييب . وخلال شهر آذار جرت حوادث اغتيال لأفراد من البوليس البريطاني ، وفي ٢٣ آذار اغتيل ثمانية أفراد من البوليس البريطاني بالرصاص والقنابل ، ولحق الأضرار الفادحة بمباني البوليس في المدن الأربعة الرئيسية في فلسطين . وقد أعقب ذلك فرض منع التجول وعقوبة الموت لمن يحمل السلاح ..

وفي ١٧ أيار جرت محاولة لاقتحام محطة الاذاعة في رام الله بغية مباشرة البث الاذاعي الصهيوني . ويوم ١٤ تموز هوجمت دوائر البوليس ودوائر تسجيل الأراضي في القدس وتضررت بأضرار جسيمة بالمتفجرات والنار ، كما أصيب عدد من رجال البوليس وأتلفت سجلات الأراضي . وجرت في ١٨ آب محاولة مدبرة لاغتيال المندوب السامي مكهايكل بينما كان مع زوجته ومرافقه في طريقهم الى يافا لحضور حفلة وداعية أقامتها له بلديتها بمناسبة انتهاء فترة ولايته ، فأطلقت عليه نيران الرشاشات ، وأصيب مرافقه وسائق سيارته البريطانيان بجروح بالغة ، وكان أقصى ما فرضته السلطات من عقوبة هو غرامة ٥٠٠ جنيه ، فرضت على

Esco, op. cit. II, p. 1011

(١)

مستعمرة جيفات شاول التي آوت الارهابيين ، ولم يبذل سكانها أية مهونة أثناء المطاردة والتفتيش^(١) . وفي ٢٢ آب هوجت ثلاث مباني للبوليس في يافا وتل أبيب ووقع فيها عدد من البوليس قتلى . وفي ٢٧ ايلول هاجم الارهابيون أربعة مراكز للبوليس ، وقعت خلالها اصابات بين أفراد البوليس الفلسطيني . وفي ٢٩ ايلول اغتيل ضابط كبير للبوليس أثناء توجهه نحو مقر عمله . وفي ٥ تشرين الاول هوجت مخازن دوائر الصناعات الخفيفة في تل أبيب من قبل عصابة الارغون التي سرقت من النسيج ما قيمته ١٠٠ ألف جنيه فلسطيني حسب تقديرات السلطات .

وفي ١٠ تشرين الثاني أصدرت حكومة الانتداب وقائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط بياناً رسمياً مشتركاً جاء فيه ان فلسطين نجت في السنوات الخمس الماضية من أهوال الحرب بفضل الجهود والتضحيات التي قدمتها القوات البريطانية والمتحالفة . ولكن منذ أوائل عام ١٩٤٤ أصبحت فلسطين مسرحاً لسلسلة من الاعتداءات وجرائم العنف التي يقوم بها الارهابيون اليهود بقصد اجراء تغييرات بالقوة تهدف الى تحقيق أهدافهم السياسية . وهذه الأحداث تجري جنباً الى جنب مع أقصى مرحلة للقتال المصري الناشب بين الامم المتحالفة وألمانيا النازبة .. ان المجرمين في فلسطين مع مؤيديهم الناشطين والسليين ، يعيقون الجهود الحربي لبريطانيا إعاقة مباشرة ، بينما تخوض كفاحها الحيوي ضد هتلر . انهم يعاونون العدو ، وهذه الحقائق لا يمكن للرأي العام في العالم المتمدن أن يتجاوز عنها . وقد ناشد البيان الجماعة اليهودية بأكملها أن تبذل ما بوسعها لمعاونة قوات القانون والنظام في استئصال سافة الشر من وسطها .. عن طريق اعطاء المعلومات التي تقضي الى وقف القتل والضالعين معهم .

وطلب البيان من الجماعة اليهودية في فلسطين وزعمائها وهيئاتها التمثيلية أن تعترف بمسؤولياتها تجاه الارهاب والارهابيين ، حرصاً على حسن سمعة اليهود^(١) .

ولا حاجة الى القول أن البيان يشير باصبع الاتهام الى الهيئات اليهودية الرسمية والى الجماعة اليهودية عموماً ، ويطلب منها أن تتخذ موقفاً ثابتاً من الارهابيين . وكعادة الصهاينة في مثل هذا الموقف ، فقد احتج المجلس الداخلي الصهيوني العام على البيان الذي يمثل « الشعب اليهودي » المسؤولية المشتركة عن أعمال الارهاب ، ويتجاهل المساهمة الملموسة التي قدمها يهود فلسطين الى المجهود الحربي^(٢) !! وبلغ الارهاب اليهودي نتهاه عام ١٩٤٤ باغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط (٦ تشرين الثاني) ، وذلك حين أرسلت عصابة شتيرن اثنين من رجالها الى القاهرة حيث اغتالا الوزير وسائق سيارته ، وقد قبضت السلطات المصرية لحسن الحظ على القاتلين متلبسين وهما يحاولان الفرار، وحوكيا امام محكمة مصرية قضت باعدامها شنقاً . والباحث يسجل على الادارة الانتدابية البريطانية في فلسطين أنها لم تتخذ من الاجراءات القمعية بحق اليهود ما سبق أن اتخذته بحق العرب حين اغتيل الكولونيل اندروز حاكم الناصرة قبل سنوات ، واتجهت الشبهة نحو العرب دون أن يكون من دليل قاطع على اتهامهم . ومع ذلك قامت السلطات الانتدابية بتشريد المواطنين العرب، وحل الهيئة العربية العليا ، ونفي وسجن زعمائها مع المثات من العرب ، ونسف المنازل وفرض الغرامات ، الأمر الذي يشكل اتهاماً صارخاً للانكليز ، ودليلاً صادقاً على مبلغ تحيزهم .

إن الانكليز يعلمون جيداً ان اليهود في فلسطين مسؤولون عن جرائم الارهاب :

ibid, p. 73

(١)

New York Times, Quoted in Kirk, p. 323

(٢)

أحزابهم وهيئاتهم ومنظماتهم ، من حزب التصحيحيين الى المجلس القومي (الملي) الى الوكالة اليهودية .. بدليل أنها عندما عازمت على وقف الارهاب مؤقتاً كان لها ما أرادت ، لأنها خشيت من تغير نصيرها تشرشل ايها ، ومن إخراجها أمام مجلس العموم حين يعرض مشروعاً موافياً للأهداف الصهيونية ، وخاصة بعد خطابه الذي القاه في المجلس المذكور (١٧ تشرين الثاني) وقسا فيه على السفاكين والارهابيين عن قصد ، ليس فقط بغية انذار الصهاينة من عواقب تطرفهم فحسب ، وإنما أيضاً دفعاً لحجج المعارضة التي تنهه بالتأييد المطلق للصهيونية . ويبدو من خطابه مدى ضلوعه في المؤامرة الصهيونية على فلسطين : « إن هذه الجريمة المحجلة قد هزت العالم ، ولم يتأثر بها شخص أكثر مني ، لأنني كنت في الماضي صديقاً وفاقاً من أصدقاء اليهود ، ومن المخططين الدائمين لمستقبلهم . وإذا كان لأحلامنا الصهيونية ان تتبدد مع دخان مسدسات القنلة ، وإذا كان لمساعدنا من أجل مستقبلها أن تنجب مجموعة جديدة من الأشقياء الذين تصلح لهم ألمانيا النازية ، فان الكثيرين مثلي سوف يتعبن عليهم ان يعيدوا النظر في الموقف الذي التزمناه باستمرار ، ولوقت طويل في الماضي . ولئن كان هناك أمل بالسلام وبمستقبل ناجح للصهيونية ، فلا بد لهذه الاعمال الشريرة من أن تتوقف ومن أن يقضى على المسؤولين عنها ، أصلاً وفرعاً^(١) . » وأعلن تشرشل ان لحكومته الحق في أن تطلب وتتلقى العون الكامل من الجماعة اليهودية لنبذ أفراد هذه العصابة الخربة وإنهاء الارهاب بسرعة^(٢) . وكان تشرشل قبل عشرة ايام قد استنكر اغتيال موين ، ووصفه بأنه « صديق شخصي وخدام أمين للدولة » ، وقال إن هذا الاغتيال يجب شجبه نظراً للحقيقة الواضحة بأن اللورد موين قد نذر نفسه طوال العام لايجاد حل للسألة الصهيونية ، وان اليهود في فلسطين لم يفقدوا صديقاً أفضل ولا أكثر دراية منه إلا نادراً .

Survey of Palestine, op. cit., p. 73 (١)

ibid. & New York Times, Nov. 18, 1941. Quoted in Esco. (٢)

op. cit., II, pp. 1047-48

وكان يسهل على الهيئات اليهودية الرسمية في فلسطين أن تتدد بالارهابيين ، وكانوا يزينون وغيره من « المعتدلين » قد « استهجنوا » في عدة مناسبات عمليات الارغون وشتين . على أنه من الضروري أن نشير هنا إلى أن بن غوريون ، وهو الذي أصبح أكثر الزعماء الصهاينة نفوذاً في فلسطين ، قد رفض بشدة أن يقوم بأي عمل معاد لمحركي الفتن اليهود في الفترة الأولى من الحرب كما رأينا . وسنرى فيما بعد أن الوكالة اليهودية ستضلع علناً مع الارهابيين الذين تظاهرت باستنكار فعالمهم ، وستشارك منظمته العسكرية (الهاغانا) في عملياتهم ، وكانت محاكمات السلاح التي أشرنا إليها سابقاً قد كشفت عن نوايا الهاغانا وزعماء الوكالة اليهودية في الحصول على المحرم من الأسلحة المسروقة من المعسكرات البريطانية . ومن جهة أخرى فتمد خطب بن غوريون في قسم الشباب بحزب الماباي (ايلول ١٩٤٤) حول ضرورات الثورة اليهودية ، وطلب من الشبان اليهود ولاءً فورياً للثورة اليهودية ؛ ولاءً بالمشاعر والارادة ، بالفكر والعمل .. وبالحياء . وأشار إلى بطولة بار كوكبا اليهودي الذي كانت ثورته ضد الرومان آخر جهد شجاع لاسترداد الحرية بالسيف ، كما نوه باضطهاد اليهود في كثير من البلدان الاوربية بسبب يهوديتهم وبسبب اختلافهم عن بقية الشعوب الأخرى ، « وبرغم كل تلك الفواجع احتفظوا بتميزهم »^(١) . أليس هذا التمييز الذي يختص باليهود أنفسهم به هو الذي جرّ تلك الفواجع عليهم ؟ ! أليس يغري هذا الخطاب بانتزاع السيادة على فلسطين مجدّ السيف ، ومتابعة الارهاب حتى تضطر بريطانيا للسماح بالهجرة واطلاق يد اليهود بأكثر مما فعلت ، في فلسطين .

ان موافقة الهيئات الرسمية اليهودية على فعال الارهاب الصهيوني تبدو أيضاً من خلال وصف كاتب لا ينقصه التعاطف مع الصهيونية ، لما جرى بعد اغتيال موبن ، وذلك في

Ben Gurion, op. cit., pp. 133,136

(١)

ساعة تجلسى فيها سخطه كبريطاني على هذه الجريمة النكراء . يقول سايكس :

« وراحت الوكالة اليهودية تخرج على سياستها السابقة فتعرض الآن تعاوث الهاغانا الكامل مع بوليس الدولة المنتدبة في تعقبها للارهابيين . وتم في غضون الشهر الستة التالية اعتقال ٢٧٩ من أعضاء شتيرن والارغون وابعادهم عن البلاد (إلى أرتيرة ثم الى السودان) . وطلبت الوكالة من يهود فلسطين أن يبتغوا عن أعضاء العصابتين إلى الهاغانا ، وأن يرفضوا إيواءهم ، ولكن لم يكن في وسع اليهود ، حتى من البعيدين عن اتجاه شتيرن والارغون إطاعة هذا الأمر ، فقد كان التبليغ عنهم يعني اعتقالهم ، وهو يعني بدوره تسليم (يهود) الى عقاب (الأغيار) ، ما يتعارض مع الروح العنصرية المتأصلة في نفوس اليهود ، ومع طريقهم في الحياة . وأدى هذا الموقف الذي تمثل في رفض تقديم المعونة الفعلية الى البوليس في حملتهم ضد الارغون وشتيرن ، إلى إقناع السلطات المنتدبة على جميع المستويات ، باتساع العنصر الاجرامي بين اليهود ، وأن هذا العنصر يلقي عوناً أوسع من « الشعب اليهودي كله »^(١) . ولم يلبث الارهاب أن هدأ موقناً نتيجة تصميم الموجهين الحقيقيين له على وقفه ، وهم زعماء الصهانية ، لما أثاره من سخط تشرشل وحكومته ، ولما أثارته فعال الارهاب من الاشتراز ، أكثر منه نتيجة التدابير التي تظاهرت بانحاذها الهيئات الرسمية اليهودية في فلسطين .

ومهما يكن من أمر دوافع اغتيال موين ، فربما كان واحداً منها ما وُصف بأنه بيان صريح مناهض للصهيونية في مجلس اللوردات ، وذلك حين صرح بأن فلسطين قد استوعبت أكثر من طاقتها ، وان .مثل إحصار مزيد من اليهود اليها كمثل محاولة وضع ثلاثة قذور في قدر واحد تماماً . وقال موين في خطابه : « إذا أمكن التغلب على المخاوف من السيطرة

Sykes, op. cit., p. 307

(١)

اليهودية ، فإن سورية ولبنان وشرق الأردن يمكن أن تقدم بعض الامكانيات لاستيعاب الهجرة اليهودية ؛ ولكنه استدرك فقال: « إن هذه البلدان قد وصلت إلى حدّ الاشباع في سكانها أيضاً^(١) » .

وقد اتهم كاتب صهيوني اللورد موين بأنه كان مشغولاً بإعداد (الجامعة العربية) كقوة مناهضة للصهيونية . وبأنه عندما كانت وزيراً للمستعمرات عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ عارض بشدة الهجرة اليهودية ، وأعلن في مجلس اللوردات (٩ حزيران ١٩٤٢) أن اليهود ليسوا من نسل العبرانيين القدامى ، وليس لهم أية دعوى مشروعة في الأرض المقدسة ، وان موين كان العدو الحاقد على الاستقلال العبراني^(٢) .

وقد جاء في نشرة وزعتها عصابة شتيرن في تل أبيب يوم ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٤ أنها اتهم اللورد موين بأنه عدو لألماني الشعب اليهودي في الحرية داخل « بلاده » . وصرحت النشرة ان موين « كان يحاول - كوزير دولة بريطاني مقيم في القاهرة - أن يحرض السكان العرب على مهاجمة الشعب اليهودي ، وذلك لتسوية وتبوير السياسة البريطانية المعادية لليهود . وان عملاء موين قد بدأوا يوزعون السلاح على العرب حتى يتمكنوا من القيام بهجوم على اليهود^(٣) . وهذا زعم لا يستحق الردّ المفصل ؛ فلو كان موين عدواً للصهيونية لما عينه تشرشل الضالع مع الصهيونية دائماً ، والمتفاخر بخدماته لها ، وحرصه على تأييدها ، وزيراً للدولة في الشرق الاوسط ، إثر تقاعد ريتشارد كيزي في شهر نيسان ١٩٤٤ ، وهو منصب أوجده تشرشل نفسه .

(١) Parliamentary Debates, Lords, cols. 196-200, Esco, ibid. (١)
pp. 1030 - 31

(٢) Zaar, Isaac, « Rescue & Liberation » : America's Part in
the Birth of Israel, (N.Y. 1954) p. 115

Kirk, op. cit., footnote, p. 324 (٣)

وزعم صهيوني آخر يرى أن مكتب وزارة الشرق الاوسط في القاهرة كان يضم عدداً من الموظفين المعادين للصهيونية والقادرين على توجيه السياسة البريطانية . وان ايلتيد كلايتون المعروف باطلاعه على الشؤون العربية ، وبميله للعرب ، كان صلة الوصل بين هؤلاء الموظفين البريطانيين ، وبين الساسة العرب المجتمعين يومذاك للمداولة في الوحدة العربية . وان عهد موين قد شهد مؤتمر الاسكندرية الذي عقده الزعماء العرب في شهر تشرين الاول ١٩٤٤ ، والذي صدر عنه بروتوكول يدعو الحكومة البريطانية للتعاون على أساس الكتاب الأبيض ، ويحدد بعدم التعاون معها في حالة تخلّيها عن هذا الكتاب . كما أشار البروتوكول الى عود الحكومة البريطانية المتعلقة بوقف الهجرة اليهودية^(١) . ولكن هذا الزعم يتنافى بما ثبت من أن مؤتمر الاسكندرية - برغم أن الدعوة لتحقيق خطواته الأولى على طريق الاتحاد العربي كانت بوحى بريطانيا وتوجيهها - إلا أن بريطانيا لم تتول إدارته وتوجيهه . وسنرى أن بريطانيا لم تستطع ان تفرض مخططاتها للمنطقة العربية لفترة ما بعد الحرب ، على الزعماء العرب ، وذلك حين سنشير الى علاقة موضوع فلسطين بتلك المخططات . وليس من دليل واحد على انحياز المورد موين او كلايتون للعرب ، إلا إذا كانت الصهيونية تعتبر أن قيامها بأعباء وظيفتها ومقتضياتها يدمغها بهذا التحيز . بالعكس ، فهناك ما يثبت أن موين كان منحازاً لليهود مؤخراً ، ليس فقط لما شهد به تشرشل عن تغييره وتطوره - مع أن ما قاله بصدد اليهود ودعواهم في فلسطين لو صحّ لكان أمراً يدل على منطلقه السليم وعدم تأثره بالدعاية الصهيونية المضلّة - وإنما أيضاً بما هو معلوم عن اجتماعه بأحد قادة عصابة الارغون البارزين اجتماعاً ودياً ، اطلع موين خلاله الارهابي الصهيوني على نوايا

Sykes, op. cit., p. 304

(١)

بريطانيا الطبية تجاه اليهود^(١) ومن ناحية أخرى رفض موين أن يدعو كلايتون أحد موظفيه المرموقين في مكتب وزارته بالقاهرة ، الى حفلة العشاء التي أقامها موين للورد غورت Gortl المندوب السامي الجديد في فلسطين ، الذي مرّ بالقاهرة وهو في طريقه الى مقرّ عمله الجديد في فلسطين ، وقد خشي موين أن يوحى كلايتون للمندوب السامي الجديد بأرائه فيتحيّز ضد اليهود^(٢) .

* * *

Sykes, op. cit., p. 305

(١)

ibid .

(٢)

الفصل السابع عشر

خطط ما بعد الحرب لحل مسألة فلسطين

فلسطين بين السياسات المتناقضة :

وصف تشرشل اللورد موبن لوايزمن بأنه « تغيّر وتطور خلال السنتين الماضيتين » ، وحضه على مقابلة موبن في القاهرة أثناء رحلة وايزمن الوشبكة الى فلسطين . وقد جرى هذا الحديث في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٤ أي قبل يومين من اغتيال اللورد موبن ، وذلك أثناء طعام الغداء الذي تناوله وايزمن في منزل تشرشل الصيفي في تشيكرز ، وحضره أيضاً شقيق تشرشل المستر جون ، والسير جون مارتن ، وسكرتير تشرشل الميجر طومسون . وفيه أكد تشرشل لوايزمن من جديد تأييد الحكومة البريطانية لمشروع سيادة اليهود الكاملة على جزء مستقل من فلسطين ، ويذكر وايزمن أن تشرشل قال له آنذاك إنه مؤيد أيضاً لإدخال (النقب) في الدولة اليهودية المقترحة ^(١) . وقد سجل وايزمن كذلك أن تشرشل كان قد أبلغه في مطلع شهر ايلول ١٩٤٣ قرار اللجنة الوزارية الخاصة ، بشأن سيادة اليهود على جزء من فلسطين . ويذكر ساكر الصهيوني الذي شهدناه سكرتيراً خاصاً لوايزمن أثناء اتصال هذا بلجنة بيل في فلسطين ، أن تشرشل كان قد شكل لجنة وزارية لتضع خطة لتقسيم فلسطين ، تكون على نسق خطة بيل ^(٢) (١٩٣٧) . وبعد ذلك صرح اوليفر ستانلي

Weizmann, op. cit., p. 536 , Hurewitz, op. cit., p. 204 (١)

Sacher, Harry . Israel, the Establishment of a State . (٢)

London 1952, p. 26

فلسطين ٣٧ (١٩٦٨)

وزير المستعمرات في مجلس العموم أنه تقرر تقسيم فلسطين إلى منطقتين عربية ويهودية ، على أن تكون المنطقة العربية منها (إذا شاء سكانها) جزءاً من بلاد عربية أخرى ، وعلى أن تحتفظ بريطانيا بإدارة (جيب) في القدس . ويظهر أن المشروع الذي لم تنشر تفاصيله رسمياً ، يشابه مشروع بيل مع ميل أكثر لتلبية المطالب اليهودية .

ولكن مكتب الوكالة اليهودية في لندن اعترض على مبدأ التقسيم في مذكرة بعث بها الى وزارة المستعمرات (تشرين الاول ١٩٤٤) ، وناقشها وايزمن مع تشرشل ، فأجاب هذا ان مراجعة قضية فلسطين ستجري بعد نهاية الحرب مع المانيا . وطلبت المذكرة أن تصبح فلسطين كومونولث يهودي ، وفلسطين هنا هي جميع ما يقع غربي نهر الاردن . وقد عبرت المذكرة عن الأمل في أن الدولة اليهودية « سوف ترتبط ارتباطاً عضوياً مع الكومنولث البريطاني » . أما التقسيم فالوكالة « سوف تنظر بالأسى العميق إلى أية محاولة لبعثه » ، ففي رأيا : « ان التقسيم سيكون ميمتاً لحياة الدولة اليهودية ، وأنه سوف يغرق جميع فرص التنمية الواسعة » . ويبدو من هذه العبارة أن الوكالة اليهودية لم تغلق الباب بقوة أمام مناقشة التقسيم كأساس ممكن للتسوية ؛ وقد بدا تصريح الوكالة الرسمي وكأنما أملتته اعتبارات المساومة الدبلوماسية القادمة ، إذ ليس من الحكمة أن تلزم الوكالة اليهودية نفسها بمشروع معين للتقسيم في مؤتمر الصلح المقبل^(١) . وقد أظهر تشرشل وستاني عطفها على المناقشة الرقيقة التي وردت في صيغة الاحتجاج ، وأوضعا لوايزمن أن التقسيم هو أقصى ما يستطيعانه دون تحطيم سياسات الترضية التي تجتهد الحكومة البريطانية نفسها ملازمة باتباعها في البلدان العربية الاخرى . ومن ناحية أخرى فان بريطانيا كانت ترغب في حل لمسألة فلسطين ضمن إطار نظام سياسي تقيمه لدول المنطقة العربية ، وتمارس الجماعات اليهودية في

Hurewitz, op. cit. p. 204

(١)

نطاقه نوعاً من الاستقلال . ذلك أن السياسة البريطانية بدأت تعد خططاً لمستقبل علاقاتها مع بلدان الشرق الاوسط عموماً ، والشرق العربي خصوصاً ، بعد أن ابتعد خطر النازي نهائياً عن المنطقة العربية ؛ وبعد أن برزت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كدولتين متنافستين ، ومنافستين لبريطانيا .

ولم يخف على بريطانيا ان القومية العربية في وضعها الراهن يومذاك كانت لا تقدر على جمع شمل دول الشرق العربي ، لما بين رؤساء العرب وملوكهم وحكامهم من تنافر وفرقة . ان تجربة السنين الحرجة للحرب قد برهنت على أهمية المنطقة العربية لأمن الامبراطورية البريطانية ولوجود بريطانيا كدولة كبرى . أن تأييد بريطانيا لمساعي الانحسار العربي سيكون في صالحها ، لأن قيامه يهبها قبل غيرها لما تدعيه من مسؤولية مباشرة في فلسطين وشرق الاردن ، ولما لها من معاهدات تربطها بصر والعراق . ان بريطانيا يومذاك كانت تحتفظ في فلسطين بحمايات كبيرة ، ولها علاقات وثيقة مع حكومات صديقة في مصر والعراق . أما في سورية ولبنان فقد أصبحت ضامنة لاستقلالها ومسؤولة عن الأمن فيها . والسعودية كانت تعتمد على المعونات المالية البريطانية ، وكذلك شرق الاردن ، واليمن محاطة بالبريطانيين في الجنوب العربي . إذن فقد تأكد النفوذ البريطاني من جديد في كل من هذه الدول العربية ؛ ولكن مصلحة بريطانيا في نظام اتحادي عربي ، قد افترضت أنها سيوايها ، واضحة لا تحتاج الى دليل ؛ فالموصلات الامبراطورية ، والبتروال العربي والايرواني ، والصلات الامبراطورية الاخرى كلها يتوقف مصيرها على مصير الشرق العربي . فاذا تركت أقطاره السبعة تسيروا وفق أهواء حكامها في الانقسام والمنافسة ، فالنتيجة لن تكون في صالح بريطانيا التي تحرص على استقرار الأمر لها وحدها في المنطقة ، كما تحرص على تكتل أقطارها إزاء أي طارق أجنبي يطمع في أسواقها ومواردها الطبيعية وموقعها .

ولعل بريطانيا تحققت بعد تجاربها المريرة في فلسطين ان مشكلتها سوف تبقى عاملاً من عوامل الاضطراب في الشرق الاوسط لفترة غير محددة ، حتى تتدخل الدول العربية بمجموعها لتقترح حلاً تتحمل نتائجه ، فتخرج بريطانيا من « ورطتها » وتطلقها من مسؤوليتها لا إزاء العرب فصعب ، وإنما أيضاً إزاء الصهاينة والدوائر العاطفة عليهم في انكلترا والولايات المتحدة . ويبدو أن معظم خبراء الشرق الاوسط من البريطانيين أجمعوا على أن حل مشكلة فلسطين يتوقف على اندماج فلسطين في اتحاد عربي ، يستحسن أن تكون أول مرحلة فيه اتحاد أقطار سورية الاربعة : سورية ، لبنان ، شرق الاردن وفلسطين^(١) .

ان استقرار المنطقة العربية في هيئة نظام اتحاد عربي يهيء لبريطانيا فرصة انقـاص إشرافها السياسي ، وتحقيق ما تصبو إليه عن طريق الربط والتنسيق معه بدلاً من تعاملها مع كل دولة عربية على حدة . ومن هنا أوحى بريطانيا على الأرجح الى ممثليها السياسيين في المنطقة كي يعملوا على إنجاح مشاريع الاتحاد الجزئي : سورية الكبرى أو الهلال الخصيب واتصل هؤلاء بمن يعينهم الأمر ، فبرز مشروع سورية الكبرى ومشروع الهلال الخصيب في جو المباحثات والمداولات التي كانت تدور يومذاك للوصول الى صيغة مرضية للوحدة العربية يقبلها جميع الزعماء العرب المشتركين فيها .

ويهمنا في المشروعين اللذين تقدم بها الهاشميون في شرق الاردن والعراق آنذاك ، أن أولهما - سورية الكبرى - تضمن الاعتراف باستقلال الدولة السورية الموحدة التي تشمل على سورية الشمالية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، مع إدارة خاصة في لبنان القديم ، وفي فلسطين لحفظ حقوق الأقلية اليهودية وإلغاء وعد بلفور ، أو تفسيره تفسيراً يلغي مخاوف

(١) انظر أحمد طربين « الوحدة العربية بين ١٩١٦ - ١٩٥٨ » (دمشق ١٩٦٦) ص

العالمين العربي والاسلامي^(١) . وثانيها (الهلال الحبيب) يمنح اليهود بوجه شبه حكم ذاتي في فلسطين ، ويكون لهم الحق في ادارة أقاليمهم في المدن والريف ، بما في هذا المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس ، مع الخضوع لإشراف الدولة السورية التي تتوحد من جديد وتضم سورية ولبنان وشرق الاردن في دولة موحدة ، ثم تنشأ جامعة عربية تنضم اليها العراق وسورية مباشرة ، ويمكن أن تنضم اليها الدول العربية الاخرى متى شاءت . وبذلك تعود فلسطين الى مكانها كجزء من سورية التاريخية ، وبذلك لن يستبد الحوف بعرب فلسطين من التوسع اليهودي ، كما ستحسّ الجماعات اليهودية المقيمة الآن في فلسطين بطمأنينة أكثر ، ويمكن أن تمنح قدراً كبيراً من الحكم الذاتي المحلي ، في ظل شكل من أشكال الضمان الدولي إذا اعتبر ذلك ضرورياً^(٢) . وتكون القدس مدينة ، لمعتنقي جميع الاديان حق الدخول اليها للحج والعبادة ، وتنشأ لجنة خاصة مؤلفة من ممثلي الأديان الثلاثة لضمان مثل هذا الأمر .

والمشروعان كانا يلقىان الترحيب من جانب بريطانيا ، لا لفوائدهما في خطط ما بعد الحرب الدفاعية والاستراتيجية والاقتصادية فحسب ، وإنما أيضاً في أنها يقدمان فرصة فريدة للتخلص من مشكلة الوطن القومي اليهودي ، تلك المشكلة التي خلقتها بريطانيا ، ثم تظاهرت أنها في موقف المُخرَج لا يدري كيف المُخرَج . ومعلوم أن الكولونيل نيوكومب كان قد وضع مشروعاً للاتحاد العربي يتفق مع مشروع نوري السعيد (الهلال الحبيب) الى حدّ كبير . ومشروع نيوكومب وإن لم يُنشر ، فإنه كان يمثل أفكار السياسة البريطانية في موضوع الاتحاد العربي وأغراضه . هذا الى أن بعض المصادر الصهيونية أو الضالعة معها

(١) طرين - المصدر السابق ص ٢٨٧ .

(٢) طرين - المصدر السابق ص ٢٧٦ .

تشير الى وجود مذكرة وضعها خبراء مكتب وزارة الدولة للشرق الاوسط (البريطانية) في القاهرة ، وهي تلخص الفلسفة السياسية التي يرى هؤلاء الخبراء اتباع خطوطها في تعامل دولتهم مع دول الشرق العربي . وقد وزعت المذكرة على مؤتمر رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) في شهر شباط ١٩٤٥^{١١} في لندن . ويورد الكاتب اليهودي الصهيوني ساكر بعض فقرات هذه المذكرة في كتابه ، ولا ينسى أن يشن حملة شعواء على واضعيها الخبراء البريطانيين ، « أصدقاء العرب » !

تبدأ المذكرة بمسألة بديهية تقول إن امتلاك الشرق الاوسط بالنسبة لفاتح عسكري يضع في يده مفتاح القوة العالمية . وتستنتج منه أن أهميته بالنسبة لانكسارته هي استراتيجية بحته ، ولذا يجب إبعاد أية دولة قوية كبرى عنه . وتجاهه السياسة البريطانية ازاء الشرق الاوسط بثلاثة احتمالات : حمايته ووقايته ، احتلاله ، تشجيع الدول الصديقة القوية بما يكفي للدفاع عن نفسها بمعونة بريطانيا ، دون ان يحتمل ذلك أن تشكل خطراً جدياً على بريطانيا . الاحتمال الثالث هو المفضل ويتلخص بأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف الى خلق جماعة متحدة من الدول العربية المستقلة ، المرتبطة جماعات أو فرادى ببريطانيا بالمعونة المتبادلة كي تحافظ على سلامة أراضيها . وتلك السياسة تنطوي على نتيجتين - طرد الفرنسيين من سورية ولبنان ، والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين . ويسمح العرب لليهود « بوطن ثقافي وروحي » إذ « يبدو أنه يوجد سبب وجيه للافتراض بأن نتائج استعادة حالة معقولة في أجزاء العالم الاخرى ، هي إعادة تهجير أساسية لليهود من فلسطين » . وينبغي لبريطانيا أن تضع سلسلة من المعاهدات مشابهة للمعاهدتين الانكلو مصرية والانكلو عراقية الحاضرتين لأنه « من المهم أن لا تغيب عنا درجة النجاح التي وصلنا اليها من

(١) Sykes, op. cit., p. 301 وانظر ساكر - Saehar, op. cit., p. 30

السياسة التي تعبر عنها هذه المعاهدات » . وقالت المذكورة ان نجاح مؤتمر الاسكندرية (١٩٤٤) الذي أفضى الى انشاء جامعة الدول العربية ، انما يعزى الى أنه نتيجة خطاب شباط ١٩٤٣ الذي ألقاه ايدن وزير الخارجية البريطانية . وعن فلسطين ترى المذكورة ان القوميين العرب سوف يقبلون الآن بالكتاب الابيض ككل ، ويجب ان تبقى فلسطين بلداً عربياً : « ان الحكومة البريطانية تحاول أن تجد تسوية ، ولكنها في الحقيقة قد وجدت التسوية الممكنة الوحيدة . اليهود يجب أن يقنعوا بما حصلوا عليه ، ويجب أن يفتشوا في أمكنة أخرى عن حل لمسألة اليهودية الأوربية . ان الصهاينة لن يقبلوا رسمياً الكتاب الابيض أبداً ، ولكن كثيرين منهم سوف يدعون إذا جرى تنفيذه بعزم » . ويجب أن يدعم مركز بريطانيا العظمى بمعاهدات مع الدول العربية تحول بريطانيا استعمال المواضع القوية فيها . ويجب أن يوجد أداة للرقابة ولربط السياسة البريطانية في الشرق الأدنى . ولذا يجب إبقاء مركز وزير الدولة البريطاني في القاهرة (١) .

ومها يكن من أمر ، فان هذه واحدة من الخطط البريطانية الموضوعة لمواجهة مشاكل المنطقة العربية في فترة ما بعد الحرب . ومن الطبيعي أن يرسم الخبراء البريطانيون في وزارة الشرق الاوسط بالقاهرة ، صورة لما يرونه أقرب الى تحقيق أهداف السياسة البريطانية ومصالحها في المنطقة العربية . والحق ان هذه الخطة تطوي ، من الزاوية البريطانية ، على كثير من الحصافة وبعد النظر ، ولكنها لا يمكن بالضرورة أن تمثل ما يدور في خلد تشرشل وحكومته آنئذ ؛ ليس فقط بسبب ما قام به تشرشل من شجب خفي للكتاب الابيض ، والحيولة دون تنفيذ أمين لبنوده في الهجرة والاراضي والتقدم نحو الحكم الذاتي فحسب ، وانما أيضاً ، وأهم من ذلك ، بسبب ما أعلنه تشرشل رسمياً (ايلول

١٩٤٤) من أن اللواء اليهودي الذي استنات الصهاينة في الضغط على الحكومة البريطانية لتسمح بتشكيله ، « لن يشارك في القتال بأوربا ، وإنما في الاحتلال الذي سيتلوه » . إن خلق اللواء اليهودي كان يدل على الشعور السائد بين أعضاء الوزارة البريطانية الذين لم يعودوا يفكرون بدولة فلسطينية موحدة - بحسب الكتاب الابيض - وإنما بإنشاء دولة يهودية مستقلة في جزء من فلسطين على الأقل . وربما كان هذا عربوناً على نوايا ما بعد الحرب للحكومة البريطانية^(١) .

وقد رأينا أن منح هذا اللواء اليهودي ، الذي عمل في ايطاليا ، علمه الخاص ، قد أتاح له أن يكون شعاراً للقومية اليهودية ، وأن مكتب الوكالة اليهودية في لندن طلب في تشرين الاول ، وهو الشهر الذي تلا الاعلان عن اللواء اليهودي ، من الحكومة البريطانية ان تقيم حكومة يهودية في فلسطين ، وأن تأذن بدخول البلاد للمليون ونصف من اليهود ، وذلك لتوفير أغلبية كافية للمناداة بالدولة^(٢) .

وبعد هذه المذكرة الصهيونية الى الحكومة البريطانية ، ناقش وايزمن الخطة المقترحة بعناية أكثر مع تشرشل في منزله الصيفي ، ونجح وايزمن في هذا الاجتماع في الحصول على موافقة رئيس الوزراء البريطاني على فكرة الدولة اليهودية ، وإن لم تكن في فلسطين كلها . وقد ذكر وايزمن في سيرته أن تشرشل سأله : « عما اذا كنا نعتزم ادخال أعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين ، فقلت اننا نعتزم ادخال نحو من مائة ألف في السنة ، ولمدة خمسة عشر عاماً . وتحدثت أيضاً عن العدد الكبير من الأطفال اليهود ، الذين لا بدّ من نقلهم الى فلسطين ، وعلق تشرشل على ذلك بأن من واجب الحكومات المعنية أن ترعى هؤلاء

Hurewitz, op. cit ; p. 171

(١)

ibid., p. 205

(٢)

الأطفال ، وأن تقدم لنا المعونة المالية ، وقد أوجبت بأن المشكلة المالية تغدو ثانوية الأهمية إذا اتضح الأفق السياسي^(١) . على أنه لو بقي المحافظون في الحكم ، فمن المحتمل أن تعترف الحكومة البريطانية بالادعاءات الصهيونية باقامة دولة في جزء محدد على الأقل من فلسطين ، لا سيما وأن تشرشل قد أعلن لوايزمن تأييده لإدخال النقب في الدولة اليهودية المرتقبة^(٢) ، وما نصيحتة لوايزمن بأن يعرج على القاهرة في طريقه الى فلسطين لمقابلة اللورد موين ، إلا من قبيل دراسة جميع جوانب مشروع الدولة اليهودية أو الوطن القومي اليهودي ، كما كان يدعو تشرشل ، ولكشف كل ما يتصل به ، ولضمان النجاح . ولاعبرة بظنون الارهابيين الصهانية من عصابة شتيرن وشبهاتهم في موين ، لأن شهادة تشرشل به واعتماده كوزير في حكومته ، وتوصية وايزمن بمقابلته ، كل ذلك يفضي الى الاستنتاج بأنه كان لثقة تشرشل بموين وبعدم تحيزه ضد الصهيونية ما يفسرها ويبررها .

وكان على وايزمن أن يقوم بزيارة فلسطين التي غاب عنها منذ عام ١٩٣٩ ، كي يعاين بنفسه ماجد على مسرحها ، وكي « يجد » من موجة الارهاب ، ويقنع جماعات اليهود بأن بريطانيا مازالت الصديقة الوفية الراغبة في خير اليهود . ومجدثنا وايزمن في سيرة حياته أنه أراد أن يمضي في فلسطين عيد ميلاده السبعين بعد غيابه الطويل عنها . ورحل الى فلسطين بعد يومين من اجتماعه بالمستر تشرشل ، وبعث إليه بعد مصرع اللورد موين رسالة تستنكر الارهاب ، وتؤكد عزم يهود فلسطين على استئصال الشر أصلاً وفرعاً من وسطهم^(٣) . وقال وايزمن إن اغتيال موين ، وان الارهاب برمته لاتكمن في عواقبه تغيير نوايا الحكومة البريطانية ، وإنما أكثر من ذلك ، في تزويد أعدائنا بمعدرة مناسبة ، وفي معاونتهم على تبرير سلوكهم (نجاهنا) أمام محكمة الرأي العام^(٤) .

Weizmann, op. cit., p. 536

(١)

ibid.

(٢)

Weizmann, op. cit., p. 538

(٣)

ibid

(٤)

ووصف وايزمن عودته الى فلسطين وما جدّ من انحراف وتطرف لا مبرر لها في سلوك جماعات اليهود ، فقال : « كانت عودة رائعة بكل ما يتمناه القلب ، أو لعلها كانت كذلك لولا وجود بعض الظواهر التي اورثتني قلقاً خطيراً . . . ويستطرد وايزمن إلى امتداح ثبات يهود فلسطين أيام الخطر النازي الفاشي المتقدم نحو فلسطين . وأطرى المنجزات التي تمت منذ غيابه ، في مجالات التقدم السياسي والاقتصادي ، إلى أن يقول : « وإلى جانب هذه التطورات كان ثمة مظاهر سلبية ، تتصل بها بعض الشيء ، نجمت عن الكبت المرير للأمال المشروعة . ثمة تراخ في الأخذ بنقاوة الحلق الصهيوني التقليدي القديم ، لوثة من النزعة العسكرية . . . وهنا وهناك ما هو أسوأ – اللجوء الفاجع والعقيم وغير اليهودي إلى الارهاب ، والانحراف عن الوظيفة الدفاعية البحتة للهاغانا . وأسوأ من ذلك كله ظهور الاستعداد – في بعض الأوساط – للاسهام في الشر ، والافادة منه على الصعيد السياسي . واستنكاره أو التمعق عن استنكاره ، وعدم اعتباره لعنة تصيب الوطن القومي ، بل ظاهرة يمكن أن يكون لها فوائدها »^(١) !

وبقي وايزمن في فلسطين ١٦ أسبوعاً ، يلقي الخطب ويعقد المؤتمرات الصحفية . وكان توافقاً بوجه خاص إلى تبديد الوم السائد بأن دولة يهودية سوف تقوم حالاً في فلسطين ، مع التأكيد بأن المرحلة النهائية لبناء الوطن القومي ستستمر في طريقها المتدرج . وكان يريد إقناع اليهود بقبول مشروع التقسيم الذي كان بحث فيه مع تشرشل ، ومضى يقول لسامعيه ما قاله لتشرشل من ضرورة وجود فترة انتقالية لخمس سنوات أو عشرة ، قبل قيام الدولة اليهودية ، وفي أثناء هذه الفترة تستمر الهجرة اليهودية بمعدل مائة ألف سنوياً . وكان يرغب كذلك في إعادة الفئات اليهودية التي رفضت برنامج بلمتور إلى الخطيرة ، « ليدو يهود فلسطين موحدن غير منقسمين » ، في « هذه الساعة الحاسمة »^(٢) . وكان يسعى لتحسين

ibid.p. 539

(١)

Hurewitz, od. cit., p. 206

(٢)

العلاقات اليهودية مع بريطانيا ، فحاول أن يؤكدها لسامعيه غير مرة أن تشرشل « هو رجل مخلص لنا ، ، وذلك في أعقاب خطاب تشرشل الذي أعلنه في مجلس العموم وقال فيه إنه وأمثاله سيعيدون النظر في موقفهم المؤيد للصهيونية إذا واصلت الصهيونية تأييدها لمثل هذه الجرائم ، وكان يشير الى اغتيال اللورد موين . كذلك وصف وايزمن تشرشل بأنه « رجل يفي بعهوده للصهيونية » .

ويبدو أنه طرأ تحسن على العلاقات بين الصهاينة والانكليز خلال زيارة وايزمن لفلسطين ، فقد سرّ اليهود خاصة من قرار المندوب السامي الجديد غورت ، وموافقة وزارة المستعمرات في شباط ١٩٤٥ ، على السماح للاجئين اليهود غير الشرعيين الذي نقلوا إلى موريشوس في ايلول ١٩٤٠ باستيطان فلسطين^(١) . ولكن زيارة وايزمن لم تحقق أهدافها؛ فدعوته لوحدة الصف اليهودي لم تسفر عن شيء ، إذ ظل المنشقون عن برنامج بليتيمور في موقفهم ، والارهابيون رغم وقفهم الموقت لأعمال العنف كانوا يقومون بدعاية واسعة ، وأهم من ذلك أن وايزمن لم يستطع إقناع تنفيذية الوكالة اليهودية بسياسة المراحل « المعتدلة » التي كان يمارسها ويدعو إليها . واهتبت التنفيذية فرصة دفاع وايزمن عن خطته لزمها ، وأعلن شرتوك ان الوكالة اليهودية قدمت مذكرة الى الحكومة البريطانية تعارض فيها تقسيم البلاد ، كما اقترح المجلس الملي (القومي) الفعاد لثومي في ٦ ايلول على مشروع قرار بهذا المعنى ، فنال أكتريه ساحقة . وقبل عودة وايزمن الى انكلترا (آذار ١٩٤٥) نصح المجلس الداخلي الصهيوني العام ان لا يكون متشائماً ولا متفائلاً بغير ضرورة . وعبر عن اعتقاده « بأننا نقرب من أيام أفضل ، وأنا مقتنع بأن الشبان منا

(١) سمحت السلطات لـ ١٣٥٠ من اللاجئين اليهود الذين احتجزوا في موريشوس بالعودة الى فلسطين واحتسبوا من الكوتا المحددة في الكتاب الابيض (Survey of Palestine, p. 81) .

سوف يعيشون في دولة يهودية في فلسطين » . ولكن بن غوريون تحدث عن « كومونولث يهودي في وقتنا » . وذلك أثناء تقديمه وازمن الى مؤتمر انعقد في تل أبيب في نهاية كانون الاول ١٩٤٤ ، وقال : « أرجو أن اصراً على ان ما نحتاجه ليس هجرة على الطريقة القديمة ، ولكن نقل سكان ، ليس حركة بطيئة ، وإنما نقل سريع ، لا جزئياً بل كلياً »^(١) . وانضم الى بن غوريون غالبية حزب الماباي ، ومعظم الفئات المناهضة لوازمن بما فيهم بعض التصحيحيين . وبدا وازمن وكأنه يتزعم الأقلية التي تعارض بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية ، وبرنامج بلمتور الداعي لاقامة الدولة اليهودية فوراً .

والحق أن ما أضعف موقف وازمن « المعتدل » ، هو الدعم الجديد وغير المتوقع الذي لقيه دعاة الدولة اليهودية وأنصار بن غوريون من حزب العمال البريطاني ؛ فقد أصدر حزب العمال الذي يؤيد عادة وجهة النظر الصهيونية ، قراراً موافقاً للصهيونية في مؤتمره السنوي (كانون الاول ١٩٤٤) في نفس الشهر الذي أيد فيه الفعاد لثومي برنامج بلمتور في فلسطين ، وفيما يلي نص القرار وهو بعنوان : من تصريح بشأن « التسوية الدولية بعد الحرب » سنة ١٩٤٤ ونصه : « لقد اتخذ مؤتمر حزب العمال البريطاني هذا القرار ، في كانون الاول ١٩٤٤ :

« هانحن أولاء قد وقفنا في مفترق الطرق حائرين بين السياسات المتناقضة . ولكن الشيء الأكيد هو أنه لا أمل ولا معنى لـ (وطن قومي لليهود) ما لم نكن على استعداد للسماح لليهود (إن هم رغبوا) في دخول هذه البلاد الصغيرة (فلسطين) بأعداد كبيرة لكي يصبحوا أكثرية . لقد كانت هناك دعوى قوية لهذه الغاية قبل الحرب . وتوجد اليوم دعوى لا تقاوم الآن ، بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لحطة النازي المرسومة عمداً لقتل جميع

Hurewitz, op. cit . p. 207

(١)

يهود أوروبا . و يوجد هنا في فلسطين بالتأكيد أيضاً دعوى تقوم على اعتبارات إنسانية لإنجاح استيطان ثابت ونقل السكان فليشجع العرب على الخروج بينا اليهود يدخلون . وليجزل لهم في التعويض عن أراضيهم ، وينظم استيطانهم بعناية في أماكن أخرى وبموال بكرهم . ان للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم ، فيجب ان لا يطالبوا بإخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتي تقل عن مساحة ويلز ، وبالحقيقة يجب علينا ان نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن . وبالإضافة الى ذلك يجب ان نعى لكسب عطف وتأييد كل من الحكومتين الامريكية والروسية في تنفيذ هذه السياسة الفلسطينية»^(١)

و كذلك تضمن بيان حزب الأحرار الصادر عن مؤتمر في لندن (شباط ١٩٤٥) خطة مواتية للصهيونية زعمت ، ان الشرف البريطاني والمصلحة يتطلبان إسقاط الحكومة لسياسة الكتاب الأبيض ، وتنفيذ التزاماتها بأمانة نحو صك الانتداب ، و وعد بلفور^(٢) .

ومها كان من شأن انجاز تشرشل الى الصهيونية ، فلم يكن بمقدوره آنذاك أن يمضي الى أبعد من حدود مشروع التقسيم الذي وضعه اوليفر ستانلي وزير المستعمرات . بل إنه كان مضطراً - في حالة تقديمه المشروع إلى البرلمان - لقبول بعض التعديلات التي لا يرضاه . وقد ثبت بعد زيارة وايزمن لفلسطين أن مثل هذا المشروع سيرفضه يهود فلسطين ، بعد قرار حزب العمال في بريطانيا ، وبعد المصادقة على برنامج بلتيمور في الولايات المتحدة وبريطانيا وفلسطين ، مما دفع الهيئات اليهودية في فلسطين نحو التطرف ، وعدم القبول بأقل

(١) الوثائق الرئيسية - المصدر السابق ص ٤٤٣ مع بعض التصرف في الترجمة عن الاصل الانكليزي

من الباحث .

Hurewitz op. cit., p. 215

(٢)

من اقامة دولة يهودية فوراً^(١) . ولا شك في أن حزب العمال الذي سوف يستلم السلطة في بريطانيا بعد سنة ونيف كان يفقد بعد النظر الضروري للاحاطة بأحوال المنطقة العربية عامة . إن بيانه يبدي الاستعداد لركوب المركب الحشن تجاه حق عرب فلسطين في أن يعيشوا حيث عاش آباؤهم لقرون خلت . إن حماية « حقوقهم المدنية » قد أكدها صك الانتداب ووعد بلفور ، الأمر الذي يدل على عمارة سياسة تامة وعدم تبصر بالعواقب التي سيخلفها هذا البيان المتحاز في نفوس العرب القوميين الراغبين .

ولا مراء في أن حزب العمال قد وضع نفسه في هذا المأزق السياسي بإصغائه الى الأباطيل المنمقة والأضاليل البارة المتشبهة التي اتسمت بها خطاب الأعضاء اليهود في حزب العمال^(٢) ، تماماً كما جرى في الولايات المتحدة حيث اجتذب الصهاينة كلا الحزبين الى مناصرة برنامج بولتمور . وبينما تلمت الخارجية الامريكية آنذاك ، وضقت بمناورات الصهاينة لدى الحزبين الجمهوري والديموقراطي التي تهدف الى توريث الامريكيين في مأزق معقد يتنافى مع المصلحة الامريكية العليا ، فإنها وصفت بيان الحزب الجمهوري الذي صدر في حزيران ١٩٤٤ بأنه غير مسؤول وغير بناء^(٣) ؛ كذلك سيكون موقفها من بيان الحزب الديموقراطي الذي صدر في تموز أيضاً . وقد عبرت حتى الصحف البريطانية المستقلة عن تبرمها بسبب موقف التحيز الذي اندفع اليه حزب العمال بشكل يفوق ما تتوقعه الصهيونية نفسها آنئذ ، وبسبب البيانات اللامسؤولة التي صدرت عن الحزبين في الولايات المتحدة . وقد أذنت صحيفة بريطانية حزب العمال بأن أبة محاولة لتنفيذ مقترحاته ستؤدي إلى مواجهة بريطانيا للحرب في الشرق الأوسط . كذلك عكست بعض الصحف البريطانية انزعاج البريطانيين

Sykes, op. cit., p. 313

(١)

Kirz, op. cit., p. 318

(٢)

Christian Science Monitor, 28 June 1941

(٣)

من معالجة الدوائر الامريكية الرسمية والسياسية لقضية فلسطين . فقد لاحظت صحيفة الايكونومست ان الكونغرس في مناقشته للمقررات المؤيدة للصهيونية « قد منح نفسه ترف النقد من حيث لانية لديه للعمل البناء ، وهو إنما يقترح الحلول الاجمالية دون أن يكون لديه لا القوة ولا النية لفرضها » . وصرحت صحيفة التايمس أن « تبني الجمهوريين والديموقراطيين لبرامج موازية للصهيونية ، قد استوحى من التأييد الاصيل لليهود ، وكذلك من الضرورة البديهية لضمان نيويورك^(١) » .

الجهة العربية خارج فلسطين وداخلها :

نشط العرب في سبيل حل قضاياهم وخاصة قضية فلسطين ، أثناء الحرب الدائرة ، ولكن جهودهم في هذا النشاط كانت مبعثرة من ناحية ، ووقائية من ناحية أخرى . فبينما كانت الصهيونية تكتل اليهود حول شعار وجوب توطين يهود أوروبا المحتشدين في المعسكرات ، في فلسطين ، كانت معظم الأقطار العربية لا تشعر بفداحة الخطر على عروبة فلسطين كما يشعر بها أبناء فلسطين .

وبينا كانت المخططات والشعارات الصهيونية تشكل نغمة دائمة في النشاط الدعائي والدبلوماسي على النطاق الشعبي والبرلماني والرسمي ، في الولايات المتحدة وبريطانيا وفي بعض العواصم الأوروبية خارج النفوذ المحوري ، فتبرع في عرضها وشرحها وتلفيق الشواهد عليها ، وتثيرها بتصميم وعناد وشفافة ، دون ملل أو ضجر ، مراراً وتكراراً ، كانت المواقف السياسية العربية تتصف بالصفة الوقائية والدفاعية ، تاركة الميدان فيحاً للمناورات والمبادرات الصهيونية ؛ فالصهيونية منذ تسالت إلى فلسطين بحماية الاستعمار البريطاني ، كانت تثير في وجه العرب القضية تلو القضية ضاربة على هذه النغمة أو تلك ، ويقف العرب

Hurewitz, op. cit., pp. 215-16

(١)

إزاء هذه الحملات موقفاً وقائياً دفاعياً محضاً ، فلا يجركون القضايا في وجه الصهيونية السياسية ومن يؤازرها ، بقدر ما يردون على مبادراتها واتراءاتها ودعائها حين توحى لهم بالخطر وسوء العاقبة . وعندئذ يظهر العرب القلق والاضطراب ، ويسارعون إلى الاستنكار والاحتجاج ، عن طريق حكوماتهم وبرلماناتهم وهيئاتهم . فعل العرب ذلك حين وصلتهم أنباء النشاط الصهيوني المركز في الكونغرس الأمريكي ، حيث قرر مجلس النواب والشيوخ مساندة الصهاينة في إقامة دولة يهودية . وفعلوا ذلك حين وصلهم نبأ قرار حزب العمال البريطاني الذي دعا الى توطين اليهود في فلسطين واخراج العرب منها . وكان النشاط العربي المضاد يبرز حين تجري ألسنة الصهاينة الخطباء بظامعهم ومزاعمهم في التصريحات السياسية أو في المؤتمرات الصهيونية وما إليها . وقد بذلت بعض الجهود في بعض العواصم العربية للحد من النشاط الصهيوني الدعاوي والرد على مزاعمه ودعاويه ، فتألفت لجان مكافحة الصهيونية في أقطار سورية ولبنان والعراق ومصر ، تضم بعض الرجال البارزين ، كرؤساء الوزارة والوزراء السابقين وأعضاء البرلمان ؛ وقامت بجهود دعائية مضادة متواضعة في الدفاع عن الحق العربي وارسال مذكرات الاحتجاج والاستنكار دون أن تفضي الى وقف التحيّز السافر للصهيونية ومخططاتها الا فيما تسجله من تظاهر بتوضيح موقف سالف ، ووعد بأجراء « العدل » بين الطرفين . وقام بالدفاع عن الحق العربي أيضاً فريق من أبناء الجاليات العربية في أمريكا الشمالية ، ونشط مسلو الهند في الاحاح على بريطانيا بالتزام جانب العدل والمنطق السليم . وفي الوقت نفسه عقدت مؤتمرات شعبية في العراق والاردن وأعلنت تأييدها لعروبة فلسطين واستعدادها للتضحية في سبيلها .

وفي فلسطين بذل من بقي من زعمائها ماوسعهم لاستنكار النشاط الصهيوني والاستهاري ، على الرغم من أن الزعامة الفلسطينية الرئيسية كانت غائبة عن المسرح السياسي ، مشردة أو

منفية (الحاج امين الحسيني لاجئاً الى برلين ، تلاحقه الدعاية الصهيونية الماكرون في محاولة باثة لدمغه بالذروع مع المحور . وجمال الحسيني وامين التميمي وغيرهما من المنفيين في سيثل ، تحول المساعي الصهيونية الحثيثة للنيل منهم كيلا تسمح لهم السلطات البريطانية بالعودة الى فلسطين) .

والحق ان عرب فلسطين ، والعرب عموماً ، فشلوا في معظم المعارك التي خاضوها لإنقاذ عربوة فلسطين ، باعتبار أنهم كانوا غالباً ما يتقون بسياسة « المطالبات » : مطالبة بوقف الهجرة اليهودية ، مطالبة بمنع انتقال الأراضي لليهود ، مطالبة بإلغاء الوطن القومي اليهودي ، مطالبة بإبطال الانتداب ، ومطالبة بالاستقلال . . وكأما غاب عن العرب أن مثل هذه الأمور الحيوية لا تُطلب وإنما تؤخذ . وما انفك العرب - جميع العرب - « يطالبون » منذ اصدار وعد بلفور حتى منتصف الاربعينات ، وما بعدها، ولا أحد يصغي إليهم ، أو يكلف نفسه عناء دراسة مطالبهم ووجهات نظرهم . وقد علم العرب يومذاك ، في فلسطين وخارجها ، أنهم لم يدركوا بعض ما طالبوا به إلا عندما كفوا عن « المطالبة » ، وبدأوا النضال السياسي والشعبى والثوري ، لان تآزع حقوقهم بأنفسهم (ثورة ١٩٢٩ والكتاب الابيض الذي تلاها ١٩٣٠ ، وثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ والكتاب الابيض الذي أعقبها ١٩٣٩) . وبما أن المشكلة الرئيسية في رأي عرب فلسطين هي مشكلة الاستقلال - استقلال فلسطين ، فقد قرر مؤتمر البلديات المنتخبة ، « المطالبة » باليرفي المراحل الدستورية الموعودة في الكتاب الابيض . وكان المؤتمرون على حق في تركيزهم على الاستقلال ، لأن العرب طالما كانوا يشكلون غالبية السكان في فلسطين ، فانه يغدو بمستطاعهم ، مع مراعاتهم لوضع الأقلية اليهودية ، أن يلزموها باحترام حقوقهم وبالانصياع الى آرائهم الغالبة في مشاكل أخرى لا تقل أهمية عن الاستقلال ، وهي مشاكل الهجرة وبيع الأراضي

فلسطين ٣٨ (١٩٦٨)

وسواها . أما اليهود فلم تكن مشكلة الاستقلال هي الرئيسية لديهم ، وإنما مشكلة الهجرة التي يطمحون بواسطتها أن يصبحوا أغلبية .

وربما فسر البعض فشل العرب في سلوك سبل النضال التي أثبتت جدواها ثوراتهم الماضية ، بمرصهم على عدم إحراج بريطانيا في الحرب الدائرة يومذاك ، وإيثارهم للاقتناع بحسن نواياها وقرب إنصافها وتغير سياستها . هذا الى فقدان الجماهير الفلسطينية للزعامة والقيادة الموجهة ، وما شجر من النزاع المؤسف بين الاحزاب الفلسطينية المتعددة ، فركد نشاطها ، وثلت حركتها ، وصرفت جهودها في معارك هامشية أورثت أتباعها خصومات صغيرة ، وصدوع حالت دون وصولهم الى تشكيل هيئة توحد جبهتهم وتعلي شأنهم وتسهل عيرهم .

وهذا الواقع المفجع هو الذي شجع بريطانيا على مغادرة التزاماتها في الكتاب الابيض ، بالاضافة الى واقع الدول العربية الاخرى التي تتبرع دائماً بالنصرة لفلسطين . ولا شك في أن الدولتين الكبيرتين بريطانيا والولايات المتحدة ، كانتا على مثل اليقين بأن الدول العربية إن افترض إجماعها على خطة فاصلة بصدد قضية فلسطين ، فانها لن تجرؤ على تنفيذها طالما كانت هذه الدول ، فرادى ، أو مجتمعة في الجامعة العربية ، تعتمد الى تقديم المذكرات الدبلوماسية اللبقة والناعمة ، ومناقشة السياسة البريطانية الامريكية مناقشة فحبة وحقوقية مستمدة من كتب القانون الدولي .

ومها قيل في استعادة بريطانيا لنفوذها في اقطار المشرق العربي ومصر بعد انحسار الخطر المحوري ، فمن غير المفهوم مطلقاً كيف رضيت الدول العربية أن يكون في فلسطين يهود مسلحون أقوياء يتدربون ، وعرب عزّل ضعاف يتفرقون ، وهي تعلم تماماً أن العرب عرضة للعدوان اليهودي الغادر عليهم في كل ساعة ، وتعلم ان من مصلحة العرب أن تحسب

بريطانيا لهم حساباً وتخشى غضبهم وثورتهم؟! ومن غير المفهوم كذلك سبب تقصير الدول العربية في انشاء منظمات شعبية واسعة في كل بلد عربي تغذي المشاعر القومية، وتلبس الغيرة نحو فلسطين، وتجمع التبرعات، وتنظم المظاهرات والمؤتمرات القومية الكبرى، بما يفوق أو يضاهي ما يقوم به الصهاينة في الولايات المتحدة وغيرها لكسب الرأي العام فيها. ولماذا لا تشرف هذه المنظمات على تشكيل فرق من الشبان مدربة ومسلحة على غرار المنظمات الصهيونية الارهابية، تدخل المعركة حالما تصدر لها الأوامر، علماً بأن ما يمكن ان تقوم به هو العامل المؤثر الأكبر في السياسة البريطانية والامريكية الحريصة على سلامة مصالحها في الشرق الاوسط؟! هذا ما كان يجب أن يصدر عن الحكومات العربية يومذاك، وهذا ما كان يضحّ به صدر كل عربي مخلص لاستنقاذ فلسطين المهتدة. ولكن ما جرى في الواقع كان مختلفاً جداً؛ وفيما يلي أهم أحداثه على الصعيدين العربي والفلسطيني:

لم يطرأ تغيير يذكر على الاوضاع السياسية في الاقطار العربية خلال العامين الاولين من الحرب، ولا جرى بحث القضية الفلسطينية خلالها. وقد حرصت بريطانيا على استرضاء العرب تدليلاً على حسن نواياها تجاههم في تلك المرحلة التاريخية الخطيرة التي تمر بها مقدراتها، فظهرت غير مرة بمكافحتها للهجرة اليهودية غير الشرعية. وأوفدت الكولونيل نيوكومب الى بغداد عام ١٩٤٠ ف عقد مشروع اتفاق مع جمال الحسيني وموسى العلمي لتقريب أجل الاستقلال، وتقصير فترة الانتقال التي حددها الكتاب الابيض بعشر سنوات؛ وقد تم التوصل الى هذه الاتفاقية بمبادرة رسمية من الحكومة البريطانية.

وتفصيل ذلك أنه عندما أمكت ألمانيا في تموز ١٩٤٠ بشاطيه الاطلسي من النروج حتى اسبانيا، وعندما بدا واضحاً أن ايطاليا تحت الخطى نحو الاسكندرية بعد أن

استولت على سيدي براني قرب الحدود المصرية الليبية ، بادر الكولونيل نيوكمب لاجراء مفاوضات جديدة مع زعماء العرب بتكليف من حكومة لندن . ولما وصل الى بغداد طلب من رئيس الوزراء نوري السعيد أن يتيح له مقابلة جمال الحسيني وموسى العلمي وكانا يقمان في بغداد آنئذ . وقد أنهى نوري السعيد إليهما أن نيوكمب مبعوث رسمي من حكومة لندن للتفاوض مع صلاحيات مناسبة . وأحيطت السفارة البريطانية في بغداد بموضوع المباحثات يوماً فيوماً ، وهي بدورها كانت توصل نتائجها الى وزارة الخارجية البريطانية . وقد توصل الطرفان الى اتفاق لم يكن أكثر من تنفيذ سياسة الكتاب الابيض تنفيذاً فورياً ، ودونما انتظار لنهاية الحرب ؛ وبموجب الاتفاق ينبغي للادارة الانتدابية الفلسطينية أن تنتقل الى الزعماء الفلسطينيين ، بينما يبقى المندوب السامي البريطاني على رأس الدولة الفلسطينية حتى مابعد نهاية الحرب بستة شهور . وحينئذ تجري في فلسطين انتخابات لاختيار رئيس الحكومة فيها . والمخالفة الوحيدة لبنود الكتاب الابيض (١٩٣٩) كانت تحديد فترة الانتقال بعشر سنين . وقد صيغت بنود الاتفاق كتابة ووقع عليها الطرفان بالاحرف الاولى . والحكومة العراقية من جانبها وافقت على أن تضع نصف حجم قواتها المسلحة تحت تصرف قيادة الشرق الاوسط البريطانية ، للخدمة خارج العراق . وقد ظل رئيس الوزارة العراقية - خلال سير المباحثات - على صلة وثيقة بزعم المعارضة جميل المدفعي ، والسير بازيل نيوتون السفير البريطاني في بغداد ، حتى أصبح الطريق معبداً لاعلان الحرب رسمياً على المحور . ولأجل أن تظهر الحكومة العراقية حسن نواياها وصدق استعدادها ، فانها اعلنت الحرب فور توقيع الاتفاقية . ثم غادر نيوكمب بغداد الى القاهرة ، بعد أن وعد بأنه خلال بضعة أيام سوف يستدعي الفرقاء المعينين الى فلسطين لتنفيذ الاتفاقية . ولكن الايام امتدت الى أسابيع ، وليس ثمة اشارة لا من نيوكمب ولا من حكومة

فلسطين . ولما سئل السفير البريطاني في بغداد عن تفسير ذلك ، أجاب انه ليس لديه ما يفضي به حول ذلك . وحضر الرئيس العراقي الى القاهرة فسأل عن الموضوع ، ولكن قيادة الشرق الاوسط لم تكن تعلم شيئاً باستثناء علمها بزيارة نيوكومب للعراق ، ثم سفره الى لندن . وهناك ظلت المسألة نائمة حتى ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ حين أصدرت حكومة العمال المنتخبة بعد نهاية الحرب ، بياناً عن سياستها بصدد فلسطين ، كما سنرى .

ويبدو أن تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ونصير الصهيونية الأكبر ، قد حال دون تنفيذ الاتفاقية التي جرى التوقيع عليها في بغداد . لأنها تتنافى ونقده المبدئي للكتاب الابيض ، كما تتنافى مع ضلوعه الكامل واشتراكه في رسم السياسة الصهيونية الفعالة . وتشعر بريطانيا بمرارة موقفا خاصة بعد حركة رشيد عالي الكيلاني ، واضطرابها الى اعادة الملكية الى العراق على أسنة الحراب ، فتحاول دعم المركز الهاشمي في المنطقة العربية واستباق تطور أحداث ما بعد الحرب ، باعادة تنويع الهاشميين على عرش الفكرة الوحيدة العربية في المشرق ، فكان من ذلك مساعي الامير عبدالله في توحيد فلسطين وشرق الاردن نارة ومشروع سورية الكبرى نارة أخرى . وكان من ذلك أيضاً مساعي نوري السعيد في توحيد بلاد الشام الاربعة ، ثم في اتحاد بلاد الشام مع العراق ضمن مشروع الهلال الحبيب ، كما ذكرنا في حينه . على أن المشروع البريطاني الرامي الى تجميد المشرق العربي ، يصطدم بالجمهوريين السوريين ، كما يصطدم بالخناوف السلالية السعودية والمصرية ، وينجم عن ذلك كله جامعة للدول العربية ، لم يسجل تشكيلها أي خطوة نحو هدف قومي وحدوي معين ، بقدر ما كانت مشروعاً مضاداً لإبطال مفعول المبادرة الهاشمية والمحافظة على الوضع الراهن . ولا حاجة الى القول ان مشاريع المبادرة الهاشمية كما وضحاها ، قد اهتمت بايجاد تسوية لمشكلة اليهود في فلسطين ، بحيث تكون سائغة مهضومة غير منفرة ، يرضى بها اليهود والعرب على السواء .

وأتشكلت جامعة الدول العربية بعد مشاورات بدأت في تموز ١٩٤٣ بين الحكومة المصرية والحكومات العربية ، وانتهت المشاورات الى وضع ميثاق تحضيري في الاسكندرية عرف باسم بروتوكول الاسكندرية (تشرين الاول ١٩٤٤) وقعه ممثلو حكومات مصر والعراق والسعودية وسورية ولبنان وشرق الاردن ، أما فلسطين فقد مثلها موسى العلمي بعد أن اختارته أحزابها ببالغ الصعوبة . وبهنا ما أدلى به العلمي أمام الوفود العربية في مؤتمر الاسكندرية ، إثر الموافقة على اقتراح الحكومة العراقية بشأن انشاء مكتبين للدعاية أحدهما في انكلترا والثاني في الولايات المتحدة .

مضى مندوب فلسطين يسرد ملخصاً مؤثراً لوضع العرب في فلسطين^(١) ، ومسايعهم للاستقلال ضمن الوحدة العربية ، ومجاہتهم الحكم البريطاني المبني على صك الانتداب وعلى سياسة انشاء الوطن القومي الصهيوني . ونحدث العلمي عن الهجرة الواسعة اليهودية واستيلائها على أجود الأراضي الزراعية ، وعن سياسة الكتاب الأبيض الذي أقسمت بريطانيا بلسان رئيسها مكدونالد على تنفيذه بكل أمانة واخلاص ، سواء أقبل العرب واليهود هذه السياسة أم لم يقبلوها ، ولكنها لم تنفذ هذه السياسة . وقال ان هجرة اليهود لم تقمع بدليل الزيادة الفاحشة التي فاقت أربعة أمثال ما كان مقرراً أن يدخل من اليهود خلال الخمس سنوات التي تنتهي في (آذار ١٩٤٤) ، حيث توقف الهجرة تماماً ، وفي تشرين الثاني الماضي ألغت هذا التحديد في الزمان . هذا عن الهجرة ، وعن الأراضي ، وكذلك لم ينفذ الكتاب الأبيض لابروحه ولا بنصه . أما مشروع السياسة التي شرحت بعدئذ في الكتاب الأبيض فقد رفضته جميع الوفود العربية في مؤتمر لندن (١٩٣٩) ، لأن الاستقلال التام كان

(١) انظر احمد طربين - الوحدة العربية ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

معلقاً على رضى اليهود . ثم شرح العلمي مفاوضات بغداد بين نيوكومب وبين زعماء فلسطين بواسطة نوري السعيد . وقال العلمي بحق ان البلاد العربية بمستطاعها ان تعمل لفلسطين والمحافظة على عروبيتها أشياء كثيرة دون اللجوء الى دولة أجنبية . وذلك بأن تعمل على صون ماتبقى من الأراضي في أيدي العرب . وبعد أن أوقف سامعيه على بعض أساليب الصهاينة في الاستحواذ على أراضي فلسطين بعد شرائها من الملاك العرب ، قال ان عملية نحو القرى العربية مستمرة ، لم تقف منذ خمسة وعشرين عاماً ، مما سيكون له نتيجة واحدة محتومة ، وهي زوال فلسطين العربية لمصلحة اسرائيل .

« أما لو سألتهموني ماهو الظرف الذي سمح بذلك ، لقلت لكم بكل احترام ، هي ترك اخواننا لنا نحوض هذه المعركة العالمية وحدنا وهم واقفون ينظرون . قد امتلك اليهود السهول والوديان ، وأكثرية الأراضي الزراعية الخصبة . قد أخذوا جهة البحر ، وأخذوا جهة الشمال وسدوا ما بيننا وبين سوريا ولبنان . قد أخذوا الشرق وكادوا يسدّون ما بيننا وبين شرق الأردن وعراقنا المحبوب . وهام يأخذون الجنوب ليقطعوا ما بيننا وبين مصر العزيزة ، فأخذوا السهول وطوقونا بالجبال . وهم يضيقون علينا الخناق ، فهل يبقى إخواننا صامتين ؟ !

واقترح العلمي تأسيس صندوق قومي عربي عام ، تشترك فيه جميع البلدان العربية ، وتشرف على ادارته ، فتوقف للعرب أراضي فلسطين الباقية لتبقى أبداً في أيديهم . وتابع العلمي حديثه الصريح عن صناعات اليهود واستهلاكها في الأسواق العربية ، على أسف ، وعن الهجرة غير الشرعية عن طريق بعض الدول العربية . وقابل بين أحوال الزعماء العرب المشردين وأصواتهم المكبوتة ، وبين نشاط زعماء اليهود واتصالاتهم بأوروبا وأمريكا ، وقال ان هناك مفاوضات بين اليهود والانكليز إما :

١ - لتقسيم فلسطين .

٢ - أو لجعلها كاتونات بين العرب واليهود على قدم المساواة ، مع امكان زيادة عدد اليهود ليكونوا أكثر من العرب .

٣ - أو ابقاء فلسطين وحدة كاملة بشرط فتح باب الهجرة الواسعة ، على ان تبقى للعرب الأكثرية الاسمية ، بيضع عشرات الالوف زيادة عن اليهود ..^(١) وتعلن الدول الحليفة بعد الحرب أحد هذه الحلول الثلاثة وتفرضه على العرب .

وأصاب مندوب فلسطين كبد الحقيقة حين قال إن الدافع الحقيقي لانتجاهات الدول الكبرى هذه ، هو ما يعتقدونه من أن العرب متخاذلون ، ولذا فقد اقترح أن تقرر اللجنة التحضيرية إرسال وفد يمثل الدول العربية الى لندن وواشنطن وموسكو للاتصال بالدول الحليفة فوراً وقبل فوات الأوان ، ليبيّن لها أخطار هذه السياسة الجديدة ، ويزيل كل شك قد يكون عالقاً في ذهنها عن تخاذل العرب بخصوص فلسطين^(٢) . ولكن هذا الاقتراح على صوابه ، لم يلق تأييد اللجنة ، وانما وافقت على الاقتراح التالي الذي احتواه بروتوكول الاسكندرية باسم ملحق فلسطين ، ونصه :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وان حقوق العرب لا يمكن ان تمس من غير إضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي ، كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على

(١) عبرت صحيفة الايكونومست عن هذا الرأي فقالت : « وفقاً لهذا المشروع - سورية الكبرى = يسمح لليهود أن يصبحوا مساوين لعرب فلسطين ، حتى اذا بلغوا ذلك يمكنهم أن يزيدوا عددهم مع زيادة عددية للعرب .
The Economist, April 1, 1944, p. 423

الأراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ، ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعان اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بأنها ليست أقل تألماً من أحد لما أصاب اليهود في أوروبا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الديكتاتورية ، ولكن يجب أن لا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية ، إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحمل مسألة يهود أوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

وأحالت اللجنة التحضيرية الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في (صندوق الامة العربية) لإنقاذ أراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه . كما نصت على تفويض الرئيس المصري لمواصلة مساعيه للإفراج عن الزعيمين جمال الحسيني وأمين التميمي وغيرها من المبعدين .

وبما يؤسف له أن اللجنة التحضيرية لم تستجب لمطلب المندوب الفلسطيني ، وعندني أنها لو أوفدت الوفد المقترح الى دوائر السياسة الحليفة في عواصمها ، لكان لذلك وقع أبلغ مما لو سمعت هذه الدوائر باشتراك مندوب فلسطين في أعمال اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي ، إذ يدل على مقدار الجهود ومدى الاهتمام الذي تبذله اللجنة عملياً في هذا الصدد . صحيح ان وجود مندوب فلسطين دليل على التضامن بين الدول العربية والتأييد لمسألة فلسطين ، ولكن ايفاد الوفد دليل أقوى ، يعني أن الدول العربية لا تكتفي فقط بما يعمل سفراؤها ووزراؤها المفوضون في عواصم الحلفاء من أجل هذا الجزء الغالي من ديار العروبة ، وإنما تخطو خطوة أخرى ، أي أنها هذا التلهف المتواصل لإعادة حق عرب فلسطين الى نصابه ؛ لاسيما وان الظرف الحربي والسياسي كان مواتياً آنذاك ؛ فالعرب لا يزال لهم وزنهم في خطط

ما بعد الحرب التي يرسمها دول الحلفاء منفردة أو مجتمعة . وإرسال الوفد المقترح لا يثبت لدول الحلفاء وحدة الشعور العربي ازاء فلسطين فحسب ، بل يبرهن أيضاً على أن الآراء السياسية للدول العربية المجتمعة في الاسكندرية ، ولو تابنت بخصوص الوحدة العربية ، غير انها منسجمة ومتفقة بخصوص استنقاذ فلسطين . ومن المرجح أن اللجنة التحضيرية أو بعض أعضائها ، قد تصوروا أن المصلحة تقضي بتجنب ما يجرج ويربك الياسة الخليفة عمراً ، والبريطانية خصوصاً ، بعد أن سبق وتحدث في موضوع فلسطين بعض المملوك والرؤساء العرب الى المراجع الخليفة العليا . ومع ذلك فهذا كله لا يبرر رفض اقتراح مندوب فلسطين ، وظل العطف العربي على فلسطين عطفاً « أفلاطونياً » .

ودعت الدول العربية لدرس مشروع ميثاق جامعة الدول العربية ، فوافقت عليه في ٢٢ آذار ١٩٤٥ ؛ وخرجت الجامعة الى حيز الوجود وهي لا تمثل الشعوب والجماهير العربية الوطنية وتطلعاتها ، وانما تمثل دولها وحكوماتها ؛ وكانت تجسداً للوضع الراهن الانفصالي حين أقرّ ميثاقها ان كل دولة في الجامعة تحتفظ بكامل سيادتها في جميع شؤونها الخارجية والداخلية ، ولا تلتزم بتنفيذ قرار إلا اذا وافقت عليه . وبذلك خبت الجامعة بشكلها الراهن آمال جماهير الشعب العربي الواحد التي طالما حنّت الى صلة الروح مع أشقائها وراء الحدود المصطنعة . وصلت كهديء ومسكن لها ، بل انها صلحت لتكون البديل المرتقب للوحدة العربية الأصيلة والحقيقية ، ولتكون بمثابة الكابح الذي يحد من مد النزعات القومية الوحدوية التي تلح على الأذهان ، بدلاً من أن تكون المنطلق والحافز لتحقيق تقارب أوثق واتحاد أقوى . وذلك عن طريق رفع شعار المصلح بأن الأوضاع الحاضرة في معظم البلدان العربية الداخلة في الجامعة ، ما كانت تسمح بانشاء روابط أوثق من روابط الميثاق . والأصح من ذلك أن نقول ان ضعف الوعي القومي بين الجماهير

العربية آنذاك قد حال دون الزام الزعماء العرب المشتركين في المداولات العربية بشكل أقوى من أشكال الاتحاد والوحدة ، بقدر ما حالت الأناية وضيق الافق لدى الحكام العرب وقوة المطامع الشخصية والاسرورية ، دون ادراك قيمة الفرصة الذهبية السانحة ، في وقت كان للدول العربية فيه وزن خطير في ميزان السياسة الدولية ، بسبب ما تملكه من الطاقات البشرية العربية ومواردها الطبيعية والنفطية ، وحيوية موقعها الاستراتيجي . بل إن النفط العربي وحده ، وحاجة الحلفاء اليه أقوى ما تكون أثناء الحرب ، كان لا بد أن يفضي التلويح بقطعه وإلغاء امتيازاته الى حلّ قضايا العرب ، وأخصها قضية فلسطين . ناهيك عما كان للاقطار العربية من أهمية مركزها الاستراتيجي ، والتعويبي العظيم .

ان الذين جلسوا على مائدة المداولات في الأربعينيات من أجل تحقيق « الوحدة العربية » كانوا يمثلي حكومات لا يمثلي شعوب ، وهم فضلاً عن اختلاف مناهم القومية العليا ، لم يكونوا يمتلون عقائدهم القومية الذاتية ولا أمانهم الحقيقية العميقة . إن ترجمة فكرة الوحدة العربية إلى بناء سياسي قومي محسوس ، قد أحييت بسبب ظروف المرحلة التاريخية إلى عهدة السلطات الرسمية الحكومية ، ولذا فالفكرة العربية الوجدوية قد اتخذت شكلاً جديداً يختلف تمام الاختلاف عن تطلعات الجماهير . ان يمثلي الحكومات والدول العربية المجتمعين ، كانوا بسبب طبيعة مسألة الوحدة العربية ، متأرجحين بحساسيتها بين دفع وجذب المصالح الحكومية المتعارضة ، والمنافسات الحكومية الداخلية ، والشكوك المتبادلة . والبناء الذي أقاموه كان على الأقل نتيجة هذه العوامل الضاغطة ، ونتيجة الجهود المضنية للتوفيق بين النزعات المتبانية . إن ثمار المداولات المستفيضة التي جرت بين الحكومات العربية كانت تجافي آمال الجماهير والكتل الشعبية مجافة تامة ، كما تكشف عنها مدونات

تلك الفترة ؛ إن منشورات الأحزاب السياسية ومطالعات الصحافة وشيوع الآراء والافكار ، وتوجيه الرسائل الى المؤتمرين من قبل الأفراد والجماعات ، وما سجله المفكرون والكتاب العرب آنئذ ، كله يشهد بعمق الهوة التي كانت تفصل بين ما يرثيه الراسميون ، وما يتطلع اليه الشعب والجمهور .

وقد حث حواريني فكرة الوحدة العربية الأصيلة أن ينظروا إلى هذه الجامعة بعين السخط والنقد ، لأنهم لمحوا فيها خطراً مزدوجاً :

١ - أسفقوا من نتائجها النفسية ، خشية أن يؤدي الرضى الجزئي أو الكلي بها ، إلى أن تكون بديلاً عن الوحدة .

٢ - قلقوا من أن يفضي مبدأ تكريس سيادة كل من دول الجامعة الذي أيدته الميثاق ، وتمسك هذه الدول بما يترتب على ذلك من حسد وغيره فيما بينها في مطلع عملها الاستقلالي ، إلى تأبيده وتحليده من جانب كل دولة . ذلك أن التسليم بالسلطة والمصالح يغدو أكثر صعوبة في مرحلة قادمة ، وخاصة بعد أن تتمتع الحكومات العربية في البداية بهذه السلطة والمصالح لبعض الوقت .

ويعيننا الآن معرفة ماقرره ميثاق جامعة الدول العربية بشأن فلسطين ؛ورد ذلك في ملحق خاص صيغ بقالب حقوقي صرف ، ونصه : «منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى . وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها . وإذا لم تكن قد مُكِّنت من توالي أمورها ، فإن ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلا على اساس الاعتراف باستقلالها . فوجودها واستقلالها من الناحية الشرعية أمر لاشك فيه ، كما أنه لاشك في استقلال البلاد العربية الأخرى .

وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله .

ويبدو من الملحق أن دول الجامعة تعتبر فلسطين بلداً مستقلاً ، ولا تعترف بالتطورات السياسية التي جرت فيها منذ سقوط ولاية السلطنة العثمانية عنها ، كفرض الانتداب عليها ، ومحاولات صنع الوطن القومي اليهودي فيها . وكان يحسن بالميثاق أن يجابه ظروف هذه التطورات بصرحة أثناء عرضه لأسس قضية فلسطين ومقدماتها من الوجهة الشرعية ، وأن لا يكتفي بالقول ان فلسطين ستكون ممثلة بالجامعة برغم أنها عملياً غير مستقلة . وفي الوقت نفسه تقرر تأسيس وتنظيم مكاتب الدعاية العربية ، ووعدت الحكومات العربية بامدادها بالمال اللازم^(١) ، كما تقرر بحث الطرق الفعالة لإنقاذ أراضي فلسطين وإزالة الأسباب التي قد تدفع صاحب الأرض إلى بيع أرضه للصهيانية ، في ضوء الدروس المستفادة من تجارب (صندوق الأمة) الذي تأسس منذ ١٩٣٥ .

هذا عن الجبهة العربية خارج فلسطين ، وأما في داخل فلسطين ، فمن المعلوم أن أكثر الأحزاب الفلسطينية العربية قد تألفت قبيل ثورة ١٩٣٦ ، وقد تحالفت هذه الأحزاب للمرة الأولى عام ١٩٣٦ تحت ضغط الرأي العام في فلسطين ، ومثّلت في (اللجنة العربية العليا) التي كان يرأسها الحاج محمد أمين الحسيني مفتي القدس ثم حلت السلطة

(١) دفع العراق ١٠٠ ألف جنيه ، وسورية ٥٠ ألفاً ولبنان ٢٠ ألفاً ، وتبرع عرب فلسطين بـ ٢٥ ألفاً ، أما الحكومة المصرية فلم تسام بشيء .

اللجنة العربية العليا ، واضطهدت رجالها وأبعدت أكثرهم ، والتجأ الباقون الى البلاد العربية المجاورة ، وبذلك مُتلت حركة الأحزاب ، ولم تعاود نشاطها وتنظيمها إلا في عام ١٩٤٣ . وكان أوسع هذه الاحزاب انتشاراً واقواها نفوذاً هو الحزب العربي الفلسطيني ، وهو حزب المفتي والحسينيين ، ويضم أكثر الوطنيين صلابة في مقارعة الادارة الانتدابية والصهيونية ، وقد أسهموا مساهمة كبرى في الثورة ؛ ويرأس هذا الحزب جمال الحسيني ، ومن أبرز اعضاءه اميل الغوري . والحزب المعارض الذي يزعم أنه ملتزم بمبادئ الاعتدال ، هو حزب الدفاع ، حزب الناشئيين ورئيسه فخري الناشئي ، وقد دعاه خصومه (حزب رؤساء البلديات) لأنه كان يضم كثيراً من الموظفين .

وحزب الاستقلال برئاسة عوني عبدالمهدي ، والكتلة الوطنية برئاسة عبد الكريم صلاح ، وحزب الاصلاح برئاسة الدكتور حسين الخالدي ، وحزب مؤتمر الشباب برئاسة يعقوب الغصين . وهذه اشبه بتجمعات ظهرت بمظهر الحزب . وهناك عصبة التحرير الوطني وهي منظمة يسارية خلفت الحزب الشيوعي الفلسطيني بعد أن انفصل فيه اليهود عن العرب عام ١٩٤٣ لاختلافهم على قضية الهجرة اليهودية .

وقد جرت محاولات متعددة لتأليف لجنة جديدة تحل محل اللجنة العربية العليا ، وخاصة حين بدأت مشاورات الوحدة العربية ، فلم تلق أي نجاح بسبب ما كان بينها من ضغائن سابقة . وأخيراً اكتفى رؤساء الاحزاب بانتداب موسى العلمي ليمثل فلسطين في تلك المشاورات .

وقد شهد شهر نيسان ١٩٤٤ عودة الزعامة الى الحزب العربي الفلسطيني وعهد برئاسته الى توفيق صالح الحسيني ، وأعلن الحزب معارضته لما يطالب به حزب الاستقلال من الالتزام بسياسة الكتاب الأبيض ، وراح يطالب بتصفية الوطن القومي اليهودي . وعلى الرغم من

هذا النشاط المحدود ، فقد ظلت فلسطين مفتقرة الى قيادة موحدة توجه نشاطها السياسي في تلك المرحلة الخطيرة من تاريخها .

وكانت وحدة الجبهة اليهودية في فلسطين يقابلها تفكك صف الزعامات العربية ، ولذا ظل الميدان السياسي مززعج الأركان ضيق المدى ، ويجب أن نتنظر حتى منتصف شهر تشرين الثاني ١٩٤٥ لنشهد اهتمام مجلس الجامعة العربية بهذا الحطبة الجلل ، لاسيما وأن دولة الانتداب بدت وكأنها تبحث عن حل نهائي لقضية فلسطين ، الأمر الذي جعل الحاجة ملحة إلى قيادة موحدة في فلسطين . وقد توجه جميل مردم رئيس الدورة الثانية لمجلس الجامعة العربية ، الى فلسطين صحة تقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي ، وبذلوا جهودهم في التوفيق بين الأحزاب . وقد نجم عن هذه الوساطة الناجحة أن فوض رؤساء الأحزاب جميل مردم باختيار لجنة ، فاختر توفيق صالح الحسيني وراغب النشاشيبي وعوفي عبد الهادي والدكتور حسين الخالدي ، وعبد اللطيف صلاح ، ويعقوب الغصين ، (وهؤلاء يمثلوا الاحزاب الستة التي كانت ممثلة في اللجنة العليا المنحلثة ، وهم أنفسهم كانوا أعضاء فيها باستثناء توفيق صالح الحسيني الذي كان يتولى وكالة رئاسة الحزب العربي نيابة عن أخيه جمال المنفي في رودسيا) . واختير مع هؤلاء أحمد حلمي عبد الباقي ورفيق التميمي وموسى العلمي وأميل الغوري ويوسف صهيون . وبكلمة اخرى احتفظ الحزب العربي بخمسة مقاعد من المقاعد الاثني عشر ، واحتل كل رئيس حزب من أحزاب ما قبل الحرب الخمسة مقعداً واحداً ، وشغل موسى العلمي مقعداً وأحمد حلمي عبد الباقي مقعداً آخر . وبقي مقعد الرئاسة شاغراً وقد حجز للمفتي . ونيابة الرئاسة تتعاقب بين مختلف زعماء الأحزاب دورياً . وقد اختارت اللجنة وفداً عنها شهد بقية جلسات دورة مجلس الجامعة العربية ، وتقرر أن تشرف اللجنة العربية العليا ، لا العلمي وحده ، على مكاتب الدعاية ،

وعلى مشاريع نحسين أحوال القرية العربية والفلاح العربي باعتبارها الباعث على بيع الأراضي العربية .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٥ أفرج عن جمال الحسيني ، وقدم من جنوب رودسيا إلى مصر في ٢٢ كانون الأول وارتحل منها إلى بيروت بعد أربعة أيام ولصكن الإدارة الانتدابية لم تسمح له بدخول فلسطين^(١) . وقد أحاطت اللجنة العربية العليا الجديدة المندوب السامي الجديد الجنرال السير آلان كينغهام بتشكيلها، وكان قد وصل إلى فلسطين في ٢١ كانون الأول لاستلام عمله خلفاً للورد غورت الذي استقال لأسباب صحية ، وقالت اللجنة انها استلمت مسؤولية توجيه الشؤون السياسية والقومية باسم عرب فلسطين ، وطلبت تأييد المندوب السامي واعترافه بتمثيلها عرب فلسطين ، وتم لها ذلك في ٨ كانون الأول^(٢) .

ومها يكن ، فقد كانت البيانات السياسية التي صدرت عن فلسطين في الولايات المتحدة وبريطانيا ، ثمرة حملات التضليل التي تتعمدها الصهيونية كلما حان موعدها ، لشحن ذاكرة العالم الغربي بمآسي الماضي القريب ، ولبث الشعور في ضمائر أبنائه بأن انشاء الدولة اليهودية في فلسطين هو حق لليهود ، وأنها العيروض عما اقترفه النازيون الاوريون في حق اليهود . وقد غلامرجل الغضب في صدور عرب فلسطين بسبب التحيز الفاضح الذي انطوى عليه بيان حزب العمال^(٣) ، بينما اغتبطت يهود فلسطين به إذ جاوز كل توقعاتهم . وقد

Survey of Palestine, op. cit , p. 84 (١)

ibid. p. 84 (٢)

(٣) يورد هاري ساكر اليهودي الصهيوني ومساعد وايزمن ، في كتابه سالف الذكر أن خطاب دالتون عن تنفيذية حزب العمال في مؤتمره السنوي ١٩٤٥ قد دافع عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين دون التزام بالقيود بالحاضرة . « وقد وضعنا بلاء قام أنه من الضروري أن يوجد اتفاق وثيق وتعاون بين الحكومات البريطانية والأمريكية والسوفيتية . وفي رأبي يجب اتخاذ الخطوات بالمشاورة مع هاتين الحكومتين لئلا نرى ما اذا كنا لا نستطيع الحصول على ذلك التأييد المشترك للسياسة سوف تعطينا دولة يهودية سعيدة حرة مزدهرة في فلسطين » . Sacher op. cit, p. 29

عكست الصحافة العربية استياء العرب واتهمت حزب العمال البريطاني بأنه يطلب أكثر مما يطلبه الصهاينة أنفسهم في تلك المرحلة ، وارسلت برقيات الاحتجاج الى زعماء البلاد العربية المجاورة والى أعضاء الوزارة البريطانية .

وتزايد حنق العرب كذلك من تصريحات المتنافسين على الرئاسة الامريكية روزفلت ودبوي ، ولاحظت الصحف العربية أنه اذا كان المرشحان المذكوران قلقين من جراء اضطهاد اليهود في اوربا وتقتيلهم ، فيجب أن يبرهنوا على قبول اللاجئين اليهود في الولايات المتحدة نفسها . إن الحزبين الأمريكيين يعدان اليهود بهجرة غير محدودة الى فلسطين ، وهو إجراء لا يشتمل عليه صك الانتداب ، لبادلوا عليها بأصوات، بلداً لا يمتلكونه . ان هذه هي المكافأة المستحقة للعرب مقابل ولائهم للأمم المتحالفة أثناء الحرب . ان السياسيين الامريكيين مستعدون من أجل ضمان الأصوات الانتخابية لحرق مبادئ ميثاق الأطلسي والحريات الأربع الخ . .^(١) إن الحملة على فلسطين التي تضمنتها البيانات الحزبية تشكل مخططاً عدوانياً طالما أنها تنطوي على فرض شعب على شعب بلد واحد . وهذا لا يعني سوى طرد العرب من بيوتهم ومحو فلسطين العربية ، وانشاء دولة صهيونية على أنقاضها . ان مثل هذا العدوان سوف يقاومه العرب والمسلمون بجميع إمكانياتهم^(٢) .

(١) جرائد فلسطين - ١٤ تشرين الاول / ١٩٤٤ / المقطم ١٠ تموز / البلاغ ١٠ تموز / فلسطين ٢٥ تموز ، ١٤ تشرين الاول / الدفاع ٢ آب ، ٢٣ تشرين الاول / الاهرام ٢٧ تموز ، اوفد المصري ١٨ تشرين الاول .
Quoted in Hurewitz, op. cit., p. 217

(٢) بيان جمعية الوحدة العربية بصر في ٢٧ تموز ١٩٤٤ ، واحتجاج حزب الكتلة الوطنية في فلسطين ٢١ تشرين الاول ، ومقالة في جريدة الدفاع ٢٢ منه .

وقد حاول ممثلو الارساليات التبشيرية ووكلاء المؤسسات الصناعية الامريكية أن يهدثوا من سورة غضب العرب بقولهم : إن وعود المرشحين للصهاينة أشبه بعود المرشحين في مصر وغيرها خلال الانتخابات سرعان ما تنسى بعد انقضاء مناسبتها . ويذكر كروسمان ان الممثلين الدبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط كانوا مكرهين - لأسباب داخلية - على حصر أنفسهم في نطاق التأكيدات السرية للعرب ، بأن الدعم الأمريكي للصهيونية هو مجرد كلام يهدف فقط لهدئة الناس داخل أمريكا^(١) .

والحق أن تأكيدات روزفلت لابن سعود قد طمأنت بعض العرب ، وبرغم ايمانهم بأن الولايات المتحدة منجزة للصهيونية ، غير أنهم لم يفقدوا الأمل نهائياً بأن يتغير الأمريكيون ، وكانت فرضيتهم في هذا الأمل تقوم على أساس ان القضية العربية في فلسطين قضية واضحة كالشمس في رابعة النهار ، ومن شأن ذلك أن يستتبع تأييد أصحاب النوايا الحسنة في العالم أجمع للموقف العربي المفتأت عليه في فلسطين . وربما لم يخطر ببالهم ما تقوم به أجهزة الدعاية الضخمة والمتنوعة في جميع أوساط الرأي العام الغربي ، ولم يتحققوا من أن لكل شعب مشاكله ومتاعبه واهتماماته ، وأنه لا يهيمه من القضايا الخارجية إلا بقدر ما يصل الى علمه عنها وعن أحداثها ؛ وإلا بقدر ما تمس وجدانه ومشاعره الانسانية ومعتقداته ، سواء كان ما يصله عنها صحيحاً أم لا .

ان موقف عرب فلسطين من اليهود لم يتغير ، هذا ما صرح به كاتب صهيوني صميم . قال ان العرب أعلنوا أنهم يرحبون باليهود ، ولكنهم لا يقبلون الصهيونية السياسية التي تتاجر فقط باضطهاد يهود أوروبا . وحينما تنتهي الحرب ، وتزول النازية ، فاللاجئون اليهود ،

Crossman, op. cit., p. 122

(١)

وحتى كثيرون من يهود فلسطين سيكونون تواقين للعودة الى بلادهم الأصلية . إن فلسطين ليست كبيرة لتكفي العرب واليهود . ان الصهيونية خطر على جميع الشرق العربي ، لأن صناعها تهدف الى السيطرة على أسواقه^(١) .

أما موقف اليهود من الجهود العربية المزدوجة لانشاء الجامعة العربية ولبعث الحركة العربية وتنظيمها من جديد في فلسطين ، فقد اتم طبعاً بالنشكيك والتثييط ؛ فقد مضت الصحافة اليهودية تزعم ان حركة الوحدة العربية انما هي اختراع بريطاني ، وأنه يبدو متعذراً أن تعطى جماعة من الأمم فكرة قومية تأتيها من الخارج لتحولها الى سياسة عملية ، حين يكون رجاء تحقيقها غير واضح بما يكفي من الداخل . كذلك تجلّي الحقد الصهيوني في ما تنبأت به صحيفة صهيونية غداة مؤتمر الاسكندرية بأن عقوداً من السنين سوف تنقضي قبل أن يصوغ العرب وحدة سياسية اقتصادية أو حتى وحدة اقتصادية . وبعهد التوقيع على ميثاق الجامعة ، حذرت الصحيفة الصهاينة من أنهم لا ينالهم إلا كسب قليل حين يبرهنون أن المحاولات العربية للتقارب لا يتوقع لها إلا نصيب ضئيل من التحقيق . بالعكس ، فقد تبين لنا أي إلحاح على إخفاق هذه الجهود ، يصلح كنوع من (حقن) طاقة جديدة في جوم الساسة العرب^(٢) . والموقف الصهيوني من أية محاولة تجري للوحدة العربية معروف مسبقاً ؛ موقف المقاومة الشعواء خفية ودون ضجة حتى لا تتكشف المخططات الصهيونية التي لا يمكن تنفيذها إلا في حالة الضعف الناجم عن التجزئة .

وقد لحص موسى شرتوك الناطق السياسي باسم الوكالة اليهودية موقف الصهيونية الرسمي من الوحدة العربية في نهاية الحرب ، أثناء جلسة مشتركة عقدها المجلس الصهيوني الداخلي

Hurewitz, op. cit., p. 218

(١)

Ha-Arez, Jan. 10, 1945, & 20 Sept. 1941

(٢)

العام ، والجمعية المنتخبة في كانون الاول ١٩٤٤ ، فقال مناوراً : « إن وحدة الأراضي العربية البحتة هي من الشؤون العربية ، فإذا انجهدت الحركة انجهاها إبتاء ، فالوكالة مستعدة لمعاونتها على أساس الاعتراف المتبادل والمنفعة المتقابلة ، ولكن نظراً للعداء الذي أبدته الحركة نحو المشروع اليهودي في فلسطين ، فالصهاينة مضطرون ، في الوقت الحاضر على الأقل ، لتحسين أنفسهم ضدها » .

ولفت شرتوك انتباه الزعماء الصهاينة الى وجوب التفريق بين عداء الدول العربية للصهيونية ، وبين الأمانى الايجابية لهذه الدول في التعاون بينها لتنسيق شؤونها الداخلية . وأعلن شرتوك مؤكداً ان الشعب اليهودي ليس له تطلع نحو البلدان المجاورة لفلسطين ، فضلاً عن ان الحركة الصهيونية هي مناهضة تماماً لتبعثر المواطنين اليهود فيها^(١) .

حقيقة دليل العمل الصهيوني :

هذه التصريحات التي يطلقها بين حين وآخر زعماء الصهيونية كانت ، وما زالت ، من قبيل التضليل الصهيوني الذي يقوم على الغموض من ناحية ، وعلى المخادعة من ناحية ثانية . فالغموض يصبح وضوحاً ساعة تشاء الصهيونية ايضاحه ، والمخادعة بالنسبة لمخطط المستقبل تحدث عند إعلان التطمينات المهدرة أو الوعود الكاذبة ، مع العزم الأكيد على النكث بهذه أو التنكر لتلك ، وفق مبدأ المرحلية الذي يعني : التثبيت الدائم بالهدف النهائي مع السعي لتحقيقه تدرجاً وبالتقسيم ، وفق قواعد المرونة لا اختيار شكله وصيغته ، فالصهيونية تتظاهر في كل مرحلة أن هدفها المعلن هو كل ما تطمح الى تحقيقه . ان وايزمن وبن غوريون مثلاً كانا منسجيين مع نص وروح بيان حزب العمال الذي دعا الى (ترحيل) العرب عن

Hurewitz, op. cit., p. 220

(١)

فلسطين و (تهجير) اليهود الى فلسطين . على الرغم من تنصل بن غوريون بعد سماعه البيان بأن الصهيونية ليس لها يد فيه^(١) ، وذلك تبديداً لاتهام العرب وخشية تفاقم غضبهم آنئذ ؛ وعلى الرغم من خطبه العلنية المتعاقبة من ان فلسطين يمكن أن تستوعب اليهود والعرب على السواء مع تمتع الجميع بالحقوق المتساوية .

إن الحطة الصهيونية المباشرة لإجلاء السكان ، هي تماماً كالحطة الصهيونية المباشرة للتوسع الاقليمي الأرضي ، لم تكن بنت عام ١٩٤٨ ، وإنما ترجع أصولها الى زمن قيام الحركة الصهيونية قبل سبعين عاماً وفي مطلع كل حقبة تاريخية ، تحدد الحركة الصهيونية هدفها المرحلي لتلك الحقبة ، فيكون الحد الأقصى لذلك الهدف ما تسمح به الأوضاع الواقعية . وما أن تستنفد جميع أغراضها وأهدافها من مرحلة ما ، حتى تبدأ في التمهيد (للتصاعد) نحو المرحلة اللاحقة ، حتى تعود مرة أخرى إلى تعيين وتحدد هدفها المرحلي الجديد ووسائلها الجديدة .

فلا عجب اذا وجدنا أن السياسة الصهيونية تغلفها (اللا أخلاقية) التي لا ترضخ لأي وازع أدبي أو وجداني ، بل تتوسل بكل وسيلة ما دامت تضمن هدفها ، ومقياسها الوحيد هو النجاح العملي في طريق خدمة أهدافها النهائية . لقد ظل انشاء (وطن) في فلسطين مطلب الصهيوني وهدفها المرحلي مدى عشرين عاماً الى أن سنحت ، الفرصة خلال الحرب العالمية الاولى للحصول على وعد بلفور (١٩١٧) .

وتجلت الواقعية والمرونة أيضاً عام ١٩٤٣ حين أقرت الصهيونية برنامج بلمتور . وقد نصت احدي مواده - كما نعلم - على تحويل فلسطين بأكملها الى (كومونولث يهودي) . والدافع لاختيار هذه العبارة الجديدة أن بعض الهيئات اليهودية الامريكية كانت لا تزال

(١) Ben Gurion, • Israel, Years of challenge, • op.cit., p. 19

تعارض شعار (الدولة) ذات المعنى الواضح سياسياً وحقوقياً ، وتفضل شعار (الكومنولث) الأقل منه وضوحاً ، والممكن التوسع في تأويل غموضه في حقبة قادمة . حسب مقتضيات مصلحتها . فالغموض هنا ، مع الحيلة والحذر ، ضرورات حتمية كي لا يجمع الأعداء على ضرب الصهيونية ، والقضاء على هدفها قبل الأوان .

وفي جميع ما شهدناه من وجوده العمل المرحلي الصهيوني كان مبدأ (الواقعية) منطلقه الأساسي . فالواقعية الصهيونية تجاري الواقع دون ان ترسخ له ، انها تسايهه كي تتقلب عليه وتتفلت من ريقته . ومما اشتمل هذا الواقع على مشبطات العمل الصهيوني ، فهي لا بدّ من أن نجد فيه ميداناً للعمل مهما كان ضيقاً وصعباً . ان المرحلة الصهيونية في سعيها الحثيث لبلوغ هدفها تبدو غير مستعجلة وانما تتدرع بالصبر التكتيكي . وحين تواجه هدفها وترى أنها قادرة على تحقيقه ، تعمل فوراً على بلوغه ولا تقبل عنه بديلاً . وإذا بدا لها أن امكانياتها تجاهه محدودة ، فهي إما أن ترجيء هدفها الأكبر ، وتقبل بجزء منه ، دون أن تتنازل عن الأجزاء المتبقية منه كسمن للجزء أو الأجزاء المطلوبة آناً ، أو تتدرج نحوه في مرحلة منتظمة تسمح بالتقدم دائماً ، ولكنها لا تسمح بالتراجع أو التوقف . هذا هو أسلوبها المفضل غير المتبدل منذ نشأة الحركة الصهيونية ووضع برنامجها في مؤتمر بال (١٨٩٧) .

ومن هنا ينتقي التمييز بين (الاعتدال) و (التطرف) ، ويفقد هذا التمييز قوته ومعناه في ضوء هذه المرحلة الصهيونية . وقد ذكرنا غير مرة في سياق عرضنا لتباين الآراء بين بعض زعماء الصهيونية ، سواء في مؤتمراتهم أو تصريحاتهم ، بأن الاعتدال في الصهيونية وهم كبير ، لأن كل صهيوني ملتزم لا بدّ من تمسكه بهدفه . وإلا سقطت عنه صفة الصهيونية . (فالتطرف) هنا هو الذي يرى ان الظروف مواتية لبلوغ هدفه ،

فيعصر على بلوغه فوراً ، ومرة واحدة ، في حين يقبل (المعتدل) بإرجاء الحصول عليه مؤقتاً ، وبالتقييد . ولقد قيل بحق إذا شئت أن تستبق الزمن وتكشف عن مطالبات الصهيونيين (المعتدلين) بعد بضعة سنوات ، فما عليك إلا تصغي الى ما يطالب به (المنظرون) الخوارج من الصهاينة اليوم ^(١) .

وبعد هذا الاستطراد لتوضيح التكتيك الصهيوني الذي يتخذ مظاهر مختلفة وألواناً متباينة لبلوغ الهدف المرسوم ، نذكر من أمثله ما كان بين بن غوريون و وايزمن من خلاف ، حول الأسلوب الواجب اتباعه ، إذ بدأ وايزمن بوجه (المعتدل) المتأني ، وبدأ بن غوريون بوجه (المتطرف) الناثر . ولو طبقنا القاعدة التي أشرنا اليها لكشف مطالب وخطط (المعتدلين) وأصغيننا الى بن غوريون الذي تطور تفكيره من التدرجية الوايزمانية الى التطرف الجابوتنسكي التصحيحي ، لوجدناه يقول في مطلع عام ١٩٤٤ : « إن اليهود لا يمكنهم التخلي عن شبر من الأرض في فلسطين ، حتى عن قمم الجبال وعن كنوز البحر » . وأعلن كذلك في آذار من العام نفسه : « ان الصهيونية قد رسمت سياستها ، وان فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية » . وقد صدر هذان التصريحان قبل رفض التقسيم في مؤتمر القدس الذي انعقد في كانون الاول ١٩٤٤ .

يتبين من ذلك أن الميل الى اختصار المراحل هو الذي سيطر على الهيئات الصهيونية الرسمية ، لا سيما بعد أن نفضته البيانات الرسمية الأخيرة في الولايات المتحدة وبريطانيا بشحنة جديدة ، فاشدت سواعد الصهاينة إثر هذا الاندفاع باسم المبادئ الانسانية في الأوساط الامريكية خاصة ، وراودتهم الآمال والرؤى ، وأصبحوا يضعون شروطاً لقبولهم بحل المسألة الفلسطينية .

(١) صايغ - المصدر السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

وعلى الرغم من تأييد بيان حزب العمال للصهيونية ، فان هذه وجدت فيه آنذاك ما يجاوز متطلبات المرحلة الصهيونية التي نحرص على إخفاء نواياها الاخيرة حرصاً تاماً - وهي هنا طرد العرب وتهجيرهم من فلسطين . ولذا فان خطأ بيان حزب العمال كان صراحته المتناهية التي تصوّر بموجبها اخفاء العرب من فلسطين ، وهو خطأ في التوقيت لا في المضمون . فالصهيونية التي هي الايمان بالوحدة القومية لجميع يهود العالم - الذين يتم تعريفهم على أساس السلالة المشتركة^(١) لا على أساس الدين واللغة - لا بدّ من أن يترتب عليها ثلاث نتائج : الانغلاق العنصري والتمييز العنصري والتفوق العنصري وهذه النتائج نفسها هي بمثابة المبادئ الأساسية للايديولوجية الصهيونية^(٢) . وتحقيق الانغلاق العنصري الصهيوني - الذي يعتبر الأساس في تحقيق (الخلاص القومي) اليهودي - يتطلب إجراء عمليتين متقابلتين : ١ - تهجير جميع يهود العالم من (أرض الشتات او المنفى) الى أرض (التجمع اليهودي) أي فلسطين . ٢ - زواج غير اليهود - ولو كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان البلد الأصليين - عن أرض (التجمع اليهودي) . وفي ظل الانغلاق العنصري التام يظهر التفوق العنصري (اليهودي) . فالشعب المختار لا يستطيع تحقيق (خلاصه وبقائه وذاته) إلا عندما يجري تجميعه بكامله في وطن خاص به لا يقيم فيه سواه ، ولا يشاركه أحد في سكنائه^(٣) .

(١) ان السلالة وهي الحقيقة البيولوجية المحضة المبنية على التحدر من يهود آخرين ، هي التي تجعل الشخص (يهودياً) في نظر الصهاينة .
(٢) صايغ - المصدر السابق - ص ٣٠ .
(٣) وصف كروسمان في يومياته تحول اليهودية الامريكية الى الصهيونية المتعصبة ، بأنه أضعف مركزها في الولايات المتحدة ؛ ذلك ان جماعة اليهود التي كانت جادة في طريقها نحو التمثل والاندماج ، تشعر الآن بنفسها أنها منفصلة عن سائر المواطنين من أي وقت مضى ، وتسلك كجماعة أقلية قومية .
وتأكيد الصهاينة على حقوق اليهود في اقامة دولة يهودية ، إنما يلحون مجدداً على التعريف العنصري لليهودي ، وهو التعريف الذي وضع أساساً في قوانين نورمبرغ (التشريع ضد اليهود) . وبتكرار الصهاينة لعنى تشردم كأمة ، فانهم يجعلون أنفسهم أقل إحساساً بأنهم في وطنهم امريكا ، ويجعلون اخوتهم الامريكيين اكثر إحساساً بيهودية اليهود . ان اليهود المناهضين للصهيونية الذين شددوا أمام اللجنة (الانكرو امريكية ١٩٤٦) في واشنطن كان بمقدورهم ان يثبتوا بشكل مشروع الى هذه النتائج الخطيرة للتحول الجماعي الى الصهيونية ، ويمادلون بأن خلّصق دولة يهودية سوف يزيد الاسلامية الامريكية ولا ينقصها » .
Crossman, op. cit., pp. 40-11

وإذا رضي دعاة (التمييز العنصري) من الاوربيين المستوطنين في آسيا وأفريقيا ، التعايش مع أبناء البلاد الأصليين مع تكليفهم بما يحقرون من أعمال ووظائف ، فقد عتبر اليهود المستوطنون الصهاينة في فلسطين عن (تفوقهم) الموهوم على عرب فلسطين عن طريق (عزلهم) في البداية ، ثم اجبارهم على النزوح فيما بعد (١٩٤٨) . واكتفاء الصهاينة بعزل عرب فلسطين في البداية اعتمد على القيام بمقاطعة منظمة للمنتجات العربية والأيدي العاملة العربية — في الفترة التي أعيام خلالها طرد عرب فلسطين من أرضهم وأرض آبائهم . بيد أن الاكتفاء بمقاطعة العرب لم يكن بدلاً عن طردهم ، وإنما كان مجرد تكتيك مرحلي وتجميد موقت للمبدأ الصهيوني في التمييز العنصري ، فرضته ظروف المراحل الاولى من الاستعمار الاحتلالي الصهيوني .

وإذا كان قلق زعماء الصهاينة من صراحة بيان حزب العمال ناجماً عما اعتبروه تسرع البيان وتجاوزه مقتضيات (المرحلة) التي تواتقوا عليها فيما بينهم ، فإنهم في الوقت نفسه نعتوا الحطة السياسية التي انتهجتها الحكومة الائتلافية البريطانية منذ (١٩٣٩) بالمجود ، إن لم يكن بخيانة (المرحلة) التي وجهت خطوات الصهيونية السياسية والامبريالية البريطانية في الفترة ما بين الحربين لخلق الظروف الملائمة للاستعمار الصهيوني الاحتلالي^(١) .

(١) ما أن تغيرت الحكومة البريطانية في مطلع ١٩١٧ حتى أو عززت للصهاينة بتجديد مساعيهم ومحاولاتهم من اجل ضمان الدعم للسيطرة الصهيونية على فلسطين ، بعد أن قضى الاتفاق الانكوي فرنسي ١٩١٦ بتدويل معظم الاراضي الفلسطينية . وكان دافع بريطانيا لالغاء التدويل هو الخطر الذي تمثل لها نتيجة اقتراب فرنسا من الحدود الشرقية لقناة السويس بموجب الاتفاق المذكور . حتى إذا تم ربط المصالح المتقابلة بين الامبريالية البريطانية والصهيونية العالمية ، جرى استخدام النفوذ الصهيوني في الاوساط الفرنسية والامريكية لالغاء التدويل ، باعتبار ان تنفيذ النهج الصهيوني الاستعماري يتطلب وجود حكم بريطاني في فلسطين ورعايته . وقام كل من الفريقين المتأمرين بنصيبه =

وإزاء المعارضة المتعاظمة التي أبدتها الدول العربية ، رأت بريطانيا أن تلتزم بعض التحفظ في دعمها الحثيث للنهج الاستعماري الصهيوني ، فقامت بالشد في الاتجاه المعاكس لتخفيف الاندفاع الصهيوني نحو خلق الدولة اليهودية التي من شأنها أن تجعل الوجود البريطاني في فلسطين غير ضروري أو غير مرغوب فيه . ومن جهة مقابلة وجدت الصهيونية السياسية في الولايات المتحدة قوة لها وزنها العالمي ولها مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الأوسط ، ولها أوساطها السياسية المتجاوبة مع الصهيونية ، حليفاً غريباً بديلاً في المرحلة الجديدة الحاسمة للاستحواذ على فلسطين . ولا شك في أن خروج بريطانيا منهوكة القوى من الحرب ، وقرب نوال شبه القارة الهندية لاستقلالها ، قد أدى حتماً الى تضائل الأهمية النسبية لأغراض التحالف الانكلو صهيوني . فكان أن قامت الولايات المتحدة بالدور الذي رسمته لها الصهيونية السياسية بعد أن استنفدت اغراضها من دعم بريطانيا لها ، وحل التحالف الصهيوني الأمريكي محل التحالف الصهيوني البريطاني منذ منتصف الاربعينيات بشكل غير

= من الصفقة على خير وجه يمكن ، حتى اصبح مجتمع المستوطنين الصهاينة في منتصف الثلاثينيات (دولة خن دولة) . وظلت بريطانيا طوال ثلاثين عاماً معنية في صفاقتها بدعاء عدم الافئثات على حقوق عرب فلسطين في سياق النمو السريع للاستعمار الصهيوني وتدعيمه عدداً وسلاحاً واراضاً ، بينما كانت تحرم العرب من وسائل حماية النفس . وتوقعت بريطانيا ان هذا التحالف مع الصهيونية سيخدم اغراض الامبريالية البريطانية بالدرجة الاولى . ولكن الصهيونية كانت في هذه الآونة تحاول ان تعمل لحسابها هي . وهنا بدأ بعض التنافس : إذ كلما سعت الصهيونية إلى التعجيل في عملية بناء الدولة (وهي عملية تنتهي بعدم ضرورة استمرار الوجود البريطاني من وجهة النظر الصهيونية) ، كانت بريطانيا تقوم بالشد في الاتجاه المعاكس لتخفيف الاندفاع في هذا الاتجاه . فإذ انقربت الثلاثينات على الانتهاء حتى بدأ الصدام بين الطرفين ، خفياً في معظم الوقت ، مما أدى في النهاية إلى انفراط التحالف الانكلو صهيوني مؤقتاً في اواسط الاربعينات ، دون ان يقضي عليه القضاء المبرم ، لأن ارتباط الصهيونية مع الامبريالية هو ارتباط مصيري تتوقف عليه حياة الصهيونية .

مسبوق . ولنسرع الى القول بأن هذا التغيير التكتيكي في التحالف لا يعني أن الصهيونية تخلت عن استراتيجية التحالف مع الامبريالية البريطانية . وسنرى أنه عندما حان الوقت لتعديل الاستراتيجية البريطانية الامبريالية ، في ضوء الظروف العالمية المتغيرة ، سعت بريطانيا الى بعث تحالفها بقوة مع الاستعمار الاحتلالي الصهيوني الذي بدأ يعمل لتحقيق أهداف توسعية جديدة بعد إقامة الدولة الصهيونية . وعاد التواطؤ من جديد وبالاستراك مع فرنسا وتمثل في غزو مصر عام ١٩٥٦ .

تضاعف النشاط الصهيوني السياسي في الأوساط الأمريكية العليا على اعتبار أنها الوحيدة التي بمقدورها ممارسة الضغط على الحكومة البريطانية ، للتسليم بالمطالب الصهيونية . ومع الحكومة البريطانية ، اعتدت السياسة الصهيونية على وسيلتين لتحقيق اهدافها ؛ احدهما الرسالة الدبلوماسية المألوفة في الضغط التكتيكي عن طريق الوكالة اليهودية والفئات الضاغطة المناصرة للصهيونية في بريطانيا . وثانيها هي الوسيلة الارهابية ، وبموجبها يقوم الصهاينة بتصعيد عمليات الارهاب وتدمير ضربات موجعة للإدارة الانتدابية ، بغية حملها على التسليم بمطالبهم ، وبغية لفت نظر الرأي العام العالمي إلى ما يسمونه بحالة اليأس القاسي الذي وجد يهود فلسطين فيه أنفسهم ، بعد تضخيم ما فعلته النازية بإخوانهم في اوروبا ، وبعد اتهام بريطانيا بأنها حالت دون نجاة الكثيرين ممن كان بمستطاعهم الفرار من الاضطهاد النازي والهجرة الى فلسطين ، لولا تمسك بريطانيا بقيود الهجرة .

والوسيلتان الدبلوماسية والارهابية ، متناسقتان متكاملتان مقصد منها أن تؤدبا معاً إلى تحقيق الأهداف الصهيونية المرسومة . وسنرى أن خطط الصهاينة سوف تفلح في اجتذاب رجل من طراز الرئيس هاري ترومان الأمريكي إلى صفها ، وبذلك ستضمن الضغط المناسب على بريطانيا . في حين سيخيب ظنها بحكومة العمال التي ستولى الحكم في بريطانيا لأنها لم

تستطع ان تتجاوب سريعاً وتوأ مع ما يطلبه الصهاينة بسبب ظروف ما بعد الحرب ؛ برغم أن حكومة العمال دعت الولايات المتحدة إلى الاشتراك معها في مسؤولية رسم سياسة فلسطين ، حتى إذا اختلفت وجهات نظرها بين الاندفاع الامريكى والتردد البريطانى ، فضلت بريطانيا أن تلقي عبء المسؤولية في فلسطين على عاتق الأمم المتحدة ، وكان ذلك التبرؤ المغرض من أعباء الانتداب أول خطوة عملية هامة في طريق صنع الدولة اليهودية . هذا هو الاطار العام ، وفيما يلي التفصيل :

انخذت الاحتفالات بيوم النصر (٧ أيار ١٩٤٥) شكل مظاهرات أقامها العرب في فلسطين رافعين الاعلام العربية ومعبرين عن شعورهم القومي . وكذلك فعل اليهود فرفعوا الاعلام وألحوا على فتح باب الهجرة غير المحدودة أمام اليهود الاوربيين ضحايا الاضطهاد النازي^(١) . وبينما جرى اضراب عام من قبل أحزاب فلسطين العربية تعبيراً عن التأييد لسورية بعد قصف الفرنسيين دمشق ، وبينما شكلت لجان عربية لجمع التبرعات وتسجيل المتطوعين لمعونة سورية في نضالها الاستقلالي المشروع ضد الاحتلال الفرنسي^(٢) ، كانت الوكالة اليهودية تتقدم في نفس ذلك اليوم (٢٢ أيار ١٩٤٥) بذاكرة الى الحكومة البريطانية وصفت بانها قاسية ، تطلب قبول بريطانيا بمضمون برنامج بلتيمور . وكتب وايزمن المذكرة الى تشرشل ، شعوراً منه بأن الصهاينة لم يعودوا يقبلون (اعتداله وصبره وإيمانه في بريطانيا) بعد يوم النصر الذي أزال آخر عقبة أمام بحث الأزمة في فلسطين^(٣) . وجاء في المذكرة ان اليهود لم يقبلوا أبداً بالكتاب الأبيض ، وانهم لا يسمحون باستمراره بعد نهاية

Survey of Palestine, op. cit., p. 79

(١)

ibid.

(٢)

Hurewitz, op. cit., p. 225

(٣)

الحرب . وطلبت المذكورة اتخاذ (قرار فوري) لاقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، ونقل صلاحية تنظيم الهجرة وتنمية موارد البلاد الى الوكالة اليهودية . وطلبت أيضاً امداد الوكالة بتسهيلات دولية لنقل اليهود الذين يريدون التوطن في فلسطين ، وتزويدها بقرض دولي ، تكمله تعويضات عينية من ألمانيا . وكإجراء أولي ، اقترح ان يضع اليهود يدهم على جميع الأملاك التابعة للرعابا الألمان في فلسطين وفي حزيران ردّ تشرشل بأن مصير فلسطين لا يمكن أن يقرر « قبل ان يجلس الحلفاء المنتصرون نهائياً حول مائدة الصلح » .

وبعثت الوكالة بمذكرة أخرى في أواسط شهر حزيران طلبت فيها اصدار مائة ألف شهادة هجرة على الفور لتمنح إلى يهود أوروبا . ويبدو أن توقيت المذكرة ، من وجهة النظر البريطانية ، لم يكن مناسباً ، ولذا فلم تترك أي أثر ! فقد انفرط عقد الائتلاف الوزاري في بريطانيا ، وبوشر في الانتخابات ، وانشغلت لندن بمعالجة التوتر الناجم عن الأزمة الناشبة بين سورية ولبنان وبين فرنسا ، كما انشغلت في الحرب اليابانية في الشرق الأقصى ، وخرج تشرشل من الحكم ، وأفسح المجال لوزارة عمالية في أواخر تموز ، فأعرب اليهود عن ابتهاجهم بالنصر الذي حققه العمال .

وبعد اسبوع واحد من اعلان فوز العمال في الانتخابات انعقد مؤتمر صهيوني في لندن (آب) ، وبدا بوضوح أن الصهيونية كانت عازمة عزمها أكيداً على استغلال كل فرصة وإحكام كل تدبير حتى لا تلحق بها هزيمة في أية ناحية مها قتلت قيمتها . وقد عبّر وايزمن في المؤتمر عن اغتباط اليهود بفوز حزب العمال ، وقال انه يعتقد أن التعاون مع الحكومة البريطانية الذي كان قد مارسه لتوجيه السياسة الصهيونية منذ أيام وعد بلفور ، سيكون له فرصة أفضل وحزب العمال في الحكم ، خاصة ان المعارضة يقودها صديق قديم للصهيونية يتمثل في شخص تشرشل^(١) .

واقترضت المرحلة الصهيونية آنئذ أن لا ينفرد وايزمن (المعتدل) في استمالة الحكومات الغربية بالدعاوة الاستعطفية ، وبجداع المسؤولين بعدم تأييده للعنف والارهاب ، وانما ارتأت ان يلوح بن غوريون بالتهديد والوعيد واغتصاب المزاج بالقوة من السلطات البريطانية إن ركبت رأسها . فقد أنذر بن غوريون سامعيه من مغبة التفاؤل الذي لامبرر له . وقال ان رضى الصهيونية عن حكومة العمال رهن بالسياسة التي ستتبعها إزاءنا ، فعليها أن تعلن إلغاء قرارات الكتاب الأبيض ، وتيسح الهجرة دون قيد أو شرط ودعا الى المقاومة السلبية الفعالة ضد تنفيذ سياسة الكتاب الابيض في شكلها الحاضر ، أو في أي شكل معدّل^(١) . وأعلن الاخام آباهيل سيلفر رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا أن التقريب الدبلوماسي الشخصي أمس ، والذي استعمله وايزمن - هو غير مناسب البتة اليوم ، وأكد « أن ذروة الحصافة السياسية تكون في الابتعاد عن الحصافة » ، في اعداد الجماهير اليهودية لأي طاريء والحفاظ على روحها المقاتلة ؛ بحيث لا تخلط أبداً بين الصهيونية وهدفها الدولة اليهودية بمجرد الهجرة وتأمين الملجأ . وقال شرتوك رئيس القسم السياسي في الوكالة اليهودية أنه لا يوجد أمل في الوصول الى اتفاق مع العرب على أساس البرنامج الصهيوني ، وأن قضية فلسطين تمهم أساساً الدول الكبرى واليهودية العالمية ، وعرب فلسطين . أما بقية العالم العربي فليس له وضع رهن في القضية خلاف ماتتجه له عضويته في الأمم المتحدة^(٢) . وقد انقسم المؤتمر الصهيوني الذي حضره أكثر من ١٠٠ مندوب ومراقب من ١٧ دولة ، إلى قسمين كالعادة ، بين مناصرين لوايزمن الداعي الى التدرج والطرق الدبلوماسية ، وابن غوريون الذي ألح على العمل الفوري ضد بريطانيا اذا لم تسقط الكتاب الابيض .

(١) خلال زيارتين قام بها بن غوريون للولايات المتحدة اعلن انه اذا كانت بريطانيا عازمة على التمسك بالكتاب الابيض وفرضه ، فيجب ان تستخدم وسائل البطش والارهاب الدموي.

Kirk . The Middle East 1945-50 ، p. 191 note .

Zionist Review, 24 august 1943, p. 10

(٢)

ولكن (المتطرفين) لم يهينوا على المؤتمر لأن تأييد حزب العمال للصهيونية قد شدّ عضد (المعتدلين) موقفاً ، برغم أن عبارات المقاومة والمعركة والهجوم والصراع كانت السائدة في جو المؤتمر . وهكذا تقدم الصهاينة بمطالب جذرية من الحكومة البريطانية ، تهدف الى تهويد فلسطين برمتها ، دون أن يغيب عنهم ان الوكالة اليهودية بدأت بفضل الدعم البريطاني المستمر تكتسب خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب ؛ أو بتعبير الكاتب الصهيوني آرثر كوستلر :

« . . . ولقد تطورت الوكالة اليهودية ، بقوة الظروف ، الى حكومة ظل ، إلى دولة داخل دولة . فقد تحكمت بالقطاع الاقتصادي اليهودي في البلاد ، وكان لها مستشفياتها وخدماتها الاجتماعية . وأدارت مدارسها وجهاز استخباراتها الذي كان جميع موظفي الحكومة اليهود - عملياً - مخبرين لديه . وضبطت منظمها العسكرية الخاصة ، وهي الهاغانا المشهورة ، نواة جيش اسرائيل في المستقبل » (١) .

وكانت النتيجة الفورية لمؤتمر لندن ، أن قدم وفد برئاسة بن غوريون ، طلباً إلى وزارة المستعمرات بلهجة قوية ، بوجود اصدار ١٠٠ ألف شهادة هجرة على الفور ليهود أوروبا ، وياعلان فلسطين دولة يهودية ، وهو نفس الطلب الذي قدم في منتصف حزيران الى تشرشل . وقد تمت هذه المقابلة قبل مضي عشرة أيام على وصول حزب العمال الى الحكم ، وجرت خلالها مطالبة وزير المستعمرات المستر جورج هول بتسديد جزء من (الكمبيالة) التي تعهد حزبه بدفعها إلى الصهاينة في بيانه المشهور . وذهل وزير المستعمرات من لهجة الطلب ، وقال في مجلس العموم : « ان سلوك زائريه كان يختلف تمام الاختلاف عن كل ما كان يتوقعه » (٢) .

(١) Koestler, Arthur, Promise & Fulfillment - Palestine (١)

1917-19, N.Y. 1949, p. 21

Hansard's, Parliamentary Debates, Commons, 23 April 1917 (٢)

« من الضروري أن اقول بأن سلوك واتجاهات رجال الوفد كان يغاير كل ما عرفته من قبل؛ فهم لم يطلبوا من حكومة جلالة الملك النظر في قرارات المؤتمر الصهيوني، بل انهم طالبوا بأنه يجب على حكومة جلالة الملك ان تفعل ما تريد المنظمة الصهيونية منها أن تفعل » .
وجدير بالملاحظة ان المستر هول لم يبق طويلا كوزير للمستعمرات ، وانما حل محله المستر كرينتش جوتز المؤيد للصهيونية .

ولم يرد الوزير على هذا الطلب إلا في ٢٥ آب ، وبعد أن تلقى تحذيراً من مكتب الجامعة العربية في لندن يقول ان الجامعة لن تقبل بجعل فلسطين وطناً لليهود . وأعلن عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة في أواسط آب تصريحاً رسمياً من القاهرة باسم الجامعة العربية، بأن تأييد الغرب للصهيونية لا يمكن ان يؤدي « إلا إلى حرب صليبية جديدة » . وجاء رد وزير المستعمرات على الطلب الصهيوني بعرض ٢٠٠٠ شهادة هجرة المتبقية من الرقم المحدد في الكتاب الأبيض ، ووجوب استعمالها أولاً ، وربما تطلب موافقة العرب على استمرار الهجرة اليهودية بعدل (١٥٠٠) شهرياً . ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا العرض بكثير من الغضب .

وفي غضون ذلك كثرت الرئيس ترومان الذي خلف الرئيس روزفلت المتوفى (١٢ نيسان ١٩٤٥) يتعرض لضغط صهيوني شديد أدى إلى غرضه ، وطلب ترومان بعده السماح بادخال ١٠٠ ألف يهودي فوراً الى فلسطين ، وكان ذلك نتيجة جهود صهيونية ملحة تشكل بعدها الموقف الامريكاني المؤيد للصهيونية ، والذي كان له أكبر الأثر في المجري الفاجع الذي اتخذته بحث مسألة فلسطين .

* * *

الفصل الثامن عشر

بداية التدخل الامريكى لمصلحة الصهيونية

ترومان والصهاينة :

جابه الصهاينة بانتهاء الحرب العالمية الثانية مسألة وضع برنامج بلمتور موضع التطبيق والتنفيذ الفعلي ، اثر الجهود الضخمة التي بذلوها في الولايات المتحدة بحثاً عن مساندة (الأمم الأخرى) ، وضماناً لتحقيق النجاح النهائي ، في التوصل الى الدولة اليهودية . ولم تكن مساعيهم قد نجحت مع روزفلت ، غير أنها ابتدأت تقليداً جديداً يقصد الى التأثير على السياسة الامريكية في الشرق الأوسط من خلال البيت الأبيض ، وسنرى أن مناوراتهم جاءت بنتائج حسنة ودائمة ، لأنه بتجمس ترومان انضمت الحكومة الى أوساط الكونغرس والرأي العام المؤيد للصهيونية ، وضمنت الفوائد المطلوبة لإحراز النصر .

بدأت الصهيونية جهودها بسرعة بعد بضعة أيام فقط من استلام ترومان سلطاته ، بقصد تعريفه بأنفسهم ومخططهم ، وذلك حين طلب مقابلته الحاخام ستيفن وايزر رئيس مجلس الطوارىء الصهيوني . وقبل المقابلة بيومين تلقى ترومان رسالة من وزير الخارجية ستيتينيوس تسبق الاجتماع في الظاهر ، وتذكر : « انه من المتوقع جداً أن تبذل جهود من قبل بعض الزعماء الصهاينة للحصول منكم في وقت مبكر على بعض التعهدات لمصلحة البرنامج الصهيوني الذي يلح على هجرة يهودية غير مقيدة الى فلسطين ، وتأسيس دولة يهودية فيها . وكان تعلمون ، ان حكومة وشعب الولايات المتحدة يكتنان كل عطف نحو اليهود المضطهدين

فلسطين م ٤٠ (١٩٦٨)

في أوروبا ، ويعملان ما في وسعها لتخفيف شقايمهم ، ان مسألة فلسطين هي - على كل حال ، مسألة معقدة جداً ، وتنطوي على مسائل تتجاوز كثيراً ورطة اليهود في أوروبا . وهناك توتر مستمر في الوضع بالشرق الأوسط كنتيجة رئيسية للمسألة الفلسطينية . وبما أن لنا مصالح في تلك المنطقة الحيوية للولايات المتحدة ، فنحن نشعر بأن الموضوع بأكمله يجب أن يعالج بمنتهى العناية ، ومع مراعاة المصالح البعيدة لأمريكا^(١) .

وبكلمة أخرى وضع ستيتينيوس اهداف الصهيونية للرئيس ترومان قائلاً انها ترمي الى الهجرة اليهودية غير المقيدة الى فلسطين وإقامة دولة يهودية هناك . وكأننا قصد وزير الخارجية الى تنبيه الرئيس الى الفارق الكبير بين هذين الهدفين . ونظراً للملاحظات التي أبداه ترومان فيما بعد من خلال الاحداث التالية التي سجلها في مذكراته ، يبدو جلياً أنه لم يكشف العلاقة الأساسية بين هذين الهدفين المتكاملين ، وهي علاقة سبب ونتيجة ، كما نشأت في التفكير الاستراتيجي الصهيوني .

ولم يكثر ترومان بقلق وزير خارجيته ، وبعد اسبوعين تلقى ترومان مذكرة أخرى من نائب وزير الخارجية جوزيف كرو Grew ، عن الموضوع نفسه ، تقول ان روزفلت الراحل برغم عطفه على بعض أهداف الصهيونية ، غير أنه أعطى العرب أيضاً تأكيدات اعتبروها « ارتباطات صريحة^(٢) » ، وارفقت مذكرة كرو بنص آخر رسالة كتبها روزفلت الى ابن سعود قبل وفاته بأسبوع واحد ، مع خلاصة حديث الرئيس مع الملك ، وفي المذكرة إحاطة الرئيس ترومان بأن روزفلت كان قد خول الخارجية

Truman, Harry Solomon, « Memoirs » 2 vols N.,Y. 1955, (١)

Vol. I, pp. 68-69

Truman, ibid, II, p. 132

(٢)

الامريكية ان تؤكد لـمختلف حكومات الشرق الأدنى أنه « من وجهة نظر هذه الحكومة ، فلن يتخذ أي قرار يغير الحالة الأساسية في فلسطين دون استشارة العرب واليهود استشارة كاملة » . وقد حذر كرو الرئيس ترومان « أن الولايات المتحدة اذا اتبعت سياسة ترجت بأنها معادية للعرب ، فيسكون من المتعذر الحيولة دون لجوئهم الى السلاح للدفاع عن ما يعتبرونه بلداً عربياً^(١) » .

والحق أن الصهاينة تلقوا أول دعم رسمي من حكومة ترومان أثناء انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو (نيسان ١٩٤٥) ، حين كانوا قلقين نظراً لأن بحث الأمم المتحدة في نظام الانتداب سيجري مع الاعلان الرسمي لموت عصبة الأمم . وكانوا يخشون من مساعي الدول العربية المحس الأعضاء في الهيئة الدولية . وقد أثمرت المساعي الملحة للصهاينة حين طلبت الخارجية الامريكية من هيتين صهيونيتين هما المؤتمر اليهودي الامريكى واللجنة اليهودية الامريكية أن يعملوا بصفة مستشارين للوفد الامريكى ؛ وسارعت الوكالة اليهودية الى توزيع مذكرة على وفود المؤتمر طلبت فيها أن لا يتخذ أي إجراء يتنافى أو يضر بحقوق الشعب اليهودي ، وفقاً لوعده بلفور وصك الانتداب ، وطلبت ان يكون لها ممثلون في كل لجنة تشكلها الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين .

وحين نشط المندوبون العرب لإحباط المساعي الصهيونية ، صرح ستيتينيوس وزير الخارجية الامريكية ان المؤتمر سوف ينظر فقط في المبادئ العامة للصوابية ، وليس فيما يتعلق بمناطق معينة . وعلى الرغم من ان المنظمة الصهيونية لم تنجح في الحصول على الاعتراف بدولة يهودية من الامم المتحدة ، غير أنها نجحت في معارضة التغيير الذي اقترحه المندوبون العرب في نص فقرة الصوابية التي تقرأ كالتالي :

« باستثناء ما قد يتم الاتفاق عليه في الترتيبات الخاصة بكل وصاية ، من حيث وضع كل منطقة تحت نظام الوصاية ، لا يجوز تفسير أي نص وارد في هذا الفصل بحد ذاته لتغيير حقوق أية دولة أو شعوب في أية منطقة بصورة من الصور » .

وكان المندوبون العرب يرغبون في إحلال كلمة (شعب أي منطقة) محل كلمة (شعوب) التي أصرت عليها الوكالة اليهودية ، لأنها تنطبق على (الشعب) اليهودي القاطن في فلسطين .

وبعد أن تسلم ترومان مقاليد الرئاسة الأمريكية نشط الصهاينة من جديد في أوساط الكونغرس بقصد لفت نظر الحكومة لإقامة دولة يهودية . وقد جاء في النداء الصهيوني الموجه الى ترومان - الذي لم يكن مطلعاً على حقيقة الصراع في فلسطين وعلى أصوله ونقاطه الدقيقة - توكيد على (التاريخ) و (حسن النية) ومأساة اليهود . وكان الحرص شديداً على أن يستوعب اهتمام ترومان بهذه الاعتبارات لاستيعابها والتسلح بها من قبل حضوره مؤتمر بوتسدام واجتماعه بالأقطاب الآخرين (تموز - آب ١٩٤٥)^(١) . وقبل مطلع تشرين الاول بذل الصهاينة جهوداً أكبر للحصول على مصادقة الكونغرس على قرارات موالية للصهيونية تتعلق بفلسطين . وفي ٦ تشرين الاول صوت عدد كبير من أعضاء مجلس النواب الأمريكي بالموافقة على هجرة يهودية غير محدودة الى فلسطين وإقامة دولة يهودية^(٢) .

(١) ناقش تشرشل في مؤتمر بوتسدام ، ثم أتت باعتباره رئيس الحكومة الجديدة، قضية فلسطين مع الرئيس ترومان على أمل الوصول الى سياسة انكلاو أمريكية مشتركة ، دون جدوى . لأن الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية كان يؤيد عموماً « جلب الاولاد الى وطنهم » ، وكان ، ناهضاً لأية التزامات غربية أجنبية تناقض ذلك .
Kirk, op. cit., p. 192

(٢) بينما كان هذا النشاط الصهيوني قائماً ، فليلونم الذين تجرأوا على رفع اصواتهم بالمعارضة . وقد كتبت فرجينيا غيلدرسليف المريية الأمريكية المشهورة قائلة : من بين الغلائل الذين كانت لديهم =

وكانت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي تنظر في مشروع قرار عن فلسطين ، فتلقت اقتراحاً صهيونياً بضرورة سرعة البت فيه ، لأن اقراره « من شأنه تقوية موقف ترومان وبيرنز في مباحثاتها مع أتلي الذي سيزور الولايات المتحدة في بحر الأيام العشرة أو الاسبوعين القادمين^(١) » . وبعد أن وجدت اللجنة أن قرار فلسطين معترض عليه جدياً ، رفضته ، فسارع مجلس الطوارئ الصهيوني واقترح نص قرار جديد لفرضه على اللجنة . وكان القرار المرفوض قد وافق على خطة رضي عنها ترومان ، وهي البحث بالاشتراك مع بريطانيا في الموقف الفلسطيني برمته ، على يد لجنة تحقيق انكلو أمريكية . وقد اعترض مجلس الطوارئ على ذلك ، واعتبر أن الموافقة على لجنة التحقيق يضر بموقف الصهيونية ، إذ يعني مزيداً من عرقلة الهجرة اليهودية . وأثير الاعتراض أيضاً على استعمال عبارة (النفوذ السلمي) للولايات المتحدة مع دولة الانتداب؛ فقد اعتبر هذا غير ضروري ، لأنه قد يوحي « بأن ثمة حاجة الى التوضيح بالتخصيص بأن التدخل العسكري ليس مقصوداً » . ونظراً لكرهية الرأي العام التدخل العسكري ، فقد ارتؤي أنه من الأفضل

= معرفة حقيقية بالظروف لم يكن بينهم ولا واحد تقريباً راغباً في الكلام علناً ضد أي مشروع للصهيانية . فالمشتغلون بالسياسة خافوا من أصوات اليهود ، وغيرم خافوا ان يجموا باللامامية ، والجميع تقريباً كان عندهم شيء من الشعور بالذنب في غمرة عطفهم على اليهود بسبب المآسي المروعة التي انزلها هتلر باليهود . إلا أنه بدا لي أنه لا بد لشخص ما أن يتحدث بصراحة ضد سيل الجبن غير الاخلاقي الذي نحت امتنا على سلوكه » . وبناء على ذلك وجهت غيلدر سيف كتاباً مفتوحاً الى جريدة نيويورك تايمس نشر في عددها الصادر (٩ تشرين الاوّل ١٩٤٥) وهو بحث الولايات المتحدة على ان تسمح بدخول ٢٠٠ الف يهودي الى اراضيها بدلاً من أن تفرض اليهود بالقوة على العرب . وقالت بعد ذلك .. « لقد جاء هذا الكتاب بزوبعة على رأسي ، إذ ان كثيرين من الصهيينة هاجموني بقسوة ، وبعضهم هددني باستعمال العنف ضدي » . من كتاب : Many a Good Crusade ،

London, 1945.

(١)

اجتناب ذكر هذا الاحتمال بإبدال عبارة (النفوذ السلمي) بعبارة (نفوذ) الولايات المتحدة . كذلك اعترض مجلس الطوارئ بشدة على عبارة وردت في قرار مجلس الشيوخ الذي جاء فيه أنه من الضروري السماح لليهود بالدخول الى فلسطين « لأقصى حد عملي » من إمكانات البلاد الاقتصادية . فقد اعتبر الصهاينة هذا المقياس مهتماً وخطراً ، واقترح بعضهم أن من الضروري ان يدخل اليهود فلسطين « الى أقصى حدود إمكاناتها الاقتصادية » . وأخيراً تم رفض العبارتين « وطن قومي يهودي » و « الدولة الديمقراطية » ، اللتين كانتا متداولتين قبل مؤتمر بلنمور . وكان الهدف الذي رمى اليه مجلس الطوارئ من اقتراحاته المقابلة ، هو اكتساب تأييد الكونغرس للأهداف الصهيونية دون لبس أو إبهام .

ومع تصاعد النشاط الصهيوني في دوائر البيت الابيض ، سارعت الخارجية الامريكية الى تحذير ترومان من الآثار الضارة التي قد تنشأ عن تأييده للمطالب الصهيونية تأييداً كاملاً . فقد جاء في مذكرة وضعتها في ايلول ١٩٤٥ : « ليس في وسع أية حكومة أن تؤيد سياسة تدعو الى الهجرة الواسعة ، إلا إذا كانت على استعداد للمساعدة في توفير قوات الأمن اللازمة لذلك ، وتوفير البواخر اللازمة لنقل المهاجرين والمساكن لإيوائهم ، والضمانات لإنقاذهم من البطالة .. ولهذا الاسباب التي تقدم ذكرها ، يتحتم على الولايات المتحدة أن تمتنع عن تأييد أية سياسة تقوم على أساس الهجرة الواسعة الى فلسطين (١) » .

على أن التكنيك الدعائي الصهيوني إذا نجح في اكتساب الرأي العام الامريكي نحو الاهتمام بيهود أوروبا ، غير أنه لم يكن اهتمامه مضموناً بإقامة دولة يهودية ، اذا اقتضى منه ذلك استعمال القوة لفرضها على عرب فلسطين . ونتيجة الالحاح الصهيوني الصلب قررت

Sykes, op. cit., p. 311

(١)

لجنة العلاقات الخارجية اتخاذ قرار اجماعي ١٦
١٧ بالتأييد . وبينما وصفرأي ترومان بأنه

مؤيد لفكرة إيجاد فلسطين حرة مع هجرة غير محدودة ، إذا به يذكر إنه يعارض إقامة دولة يهودية لأنه لم يوافق على ضرورة إقامة أية دولة على أساس ديني أو عنصري . وسارع نصيرا الصهيونية الشيخان فاغتر وتافت لإنكار أن القصد هو إقامة دولة دينية أو على أساس التمييز العنصري ، وأكد أن القصد هو توفير الضمانة لجميع من يشاء من اليهود الدخول الى فلسطين ، وهذا من شأنه أن يجعل فلسطين دولة يهودية بمعنى أن أكثرية السكان فيها ستكون يهودية . وكان من رأي ترومان أن كل قرار يتخذه الكونغرس يكون أبعد أثرأ بعد انتهاء تحقيق اللجنة الأنكلو أمريكية التي سبق الاتفاق على تشكيلها بين بريطانيا والولايات المتحدة (تشرين الثاني ١٩٤٥) . أما الصهاينة فكانوا يرون أن موافقة الكونغرس على قرار فلسطين ضروري قبل انتهاء تحقيق اللجنة ونشر قرارها ، لأن قرار اللجنة سيتأثر بدعم الأمريكي لتحقيق العهود المقطوعة للصهاينة من الحزبين عام ١٩٤٤ . ولذا تقدم الشيخ فاغتر في ١٢ كانون الاول ١٩٤٥ بمشروع قرار الى مجلس الشيوخ دعا فيه الى أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود . وفي ١٧ كانون الاول وافق مجلس الشيوخ على مشروع القرار ، وتبعه مجلس النواب في ١٩ منه . وفيما يلي نص القرار الاجماعي للكونغرس الأمريكي المتخذ في اجتماعه التاسع والسبعين بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٤٥ :

« حيث أن الكونغرس في اجتماعه السابع والستين يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٢ قرر بالاجماع (ان الولايات المتحدة الامريكية تحبّد انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، على أن يعلم بجلاء أنه سوف لا يعمل شيء من شأنه ان يمس الحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والطوائف غير المسيحية الاخرى في فلسطين ، وان الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين سوف يحافظ عليها بعناية) .

وحيث ان اضهاد اليهود المجرّد من الرحمة في اوربا قد بين بوضوح الحاجة الى وطن لهم يتخذ كملجأ للأعداد الكبيرة من اليهود الذين أصبحوا بلا وطن نتيجة لهذا الاضطهاد ؛ وحيث أن هذه الحاجة الماسّة قد أبدها طلب الرئيس بالسّاح حالاً لمائة الف لاجي يهودي إضافي بالدخول الى فلسطين ؛ وحيث ان تدفق المهاجرين اليهود الى فلسطين قد أدى الى تحسن أحوالها الزراعية والمالية والصحية والاقتصادية بصورة عامة (كذا !) وحيث أن الرئيس ، ورئيس الوزارة البريطانية قد اتفقا على تعيين لجنة تحقيق امريكية انكليزية مشتركة لتحريّ الأوضاع في فلسطين بالنسبة لمشكلة الهجرة اليهودية والوضع اليهودي في أوربا ، ووضع تقرير في مدى مائة وعشرين يوماً ، لذلك فان المجلس الممثل للأمة يقرر بالاتفاق أن الاهتمام الذي أبداه الرئيس في حل هذه المشكلة كان في محله ، وان الولايات المتحدة سوف تستعمل مساعيها الحميدة لدى السلطة المنتدبة لجعل أبواب فلسطين مفتحة لدخول اليهود مجربة الى ذلك القطر الى أقصى قدرته الزراعية والاقتصادية ، وسوف تتوفر هناك فرصة كاملة للاستعمار والتنمية ، بحيث تكون لهم الحرية في استئناف بناء فلسطين كوطن قومي ، وبالإشتراك مع سائر عناصر السكان لجعل فلسطين كومنولث ديموقراطي حيث يكون الجميع ، بغض النظر عن الجنس والمذهب ، متساوين في الحقوق^(١) .

وقد أشرنا الى أنه يجب التمييز بين ما تمليه الاستراتيجية الامريكية من مواقف تجاه الصهاينة ، وما تمليه على السياسة الأمريكية عوامل داخلية بحثة تتصل بتنظيم المجتمع الامريكي وتركيبه . فقد يجتمع رأي الخبراء على سياسة تقتضيها اعتبارات المصلحة القومية ، ثم يفشل الخبراء بإقناع أجهزة الحكم التنفيذية والتشريعية بتبني هذه السياسة . والملاحظ أن خبراء الخارجية الامريكية - كغيرهم من خبراء الخارجية في دول أوربا الغربية - كانوا يقفون تماماً على حقيقة الوضع في فلسطين ، غير أنهم كانوا يصطدمون دائماً

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المصدر السابق ص ٣٧٨ - ٣٧٩

بالبيت الابيض . ولذا كان الاسلوب الصهيوني المرحلي يطمئن أولاً الى عدم معارضة البيت الابيض وإحاطته بستار محكم من التجهيل ، ثم تقوم بجمحتها في أوساط الرأي العام والكونغرس لتصل الى الضغط اللازم على الحكومة أخيراً . وبما يسهل على الصهيونية مهمتها أوضاع النظام السيامي الامريكى ، كانتخاب رئيس الجمهورية ، وثنائية الحكم الامريكى – استقلال السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية والعكس – الأمر الذي يفسح المجال لتوسط الفئات الضاغطة بين السلطين، واستغلالها الواحدة ضد الاخرى . ومع تطور النظم الرأسمالية في الغرب الاوربي والامريكى هذا التطور الصناعي الاحتكاري، أصبحت دور الصحافة والنشر ووسائل الاعلام الجماهيرية شركات احتكارية كبيرة وصلت في المجتمع الامريكى ذي الاقتصاد الحر الى درجة مذهلة من الآلية ، بحيث غدت الشعارات السياسية تستعمل وكأنها سلع تتولى شركات الدعاية مهمة بيعها وترويجها، مقابل رسوم باهظة وبصرف النظر عن المحتوى والمدلول ، خاصة اذا قدم هذا المحتوى بقلب انساني يعتمد على جهل الطبقات الشعبية بأصوله وأغراضه^(١) . وقد تغلغلت الصهيونية في مثل هذه الأجواء المواتية تعيث فيها فساداً دون أي عائق ، وظلت تضرب على نعمة اضطهاد اليهود الاوربيين المشردين ، وعذابهم ، وفنائهم ، وتبدأ القصة من منتصفها ، وكأن غير اليهود في التاريخ لم يعذبوا ولم يضطهدوا . والحق أنه يصعب على المحقق المنصف الذي خبر أحابيل المرحلية الصهيونية وطرقها الملتوية ، أن يتجنب الانفعال والغضب ، وهو يدون وقائعها وأساليبها ونفوذها . ويجزى في نفس الباحث دائماً أن الصهيونية التي لم تتغير أبداً طبيعتها العدوانية التي نشأت عليها منذ البداية ، تحاول أن تخادع ضمائر الناس البسطاء وترزع فيهم أنها حركة

(١) في عام ١٩٤٥ كان أقل من ثلث الشعب الامريكى يعرف ان فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

Bailey, Thomas, A. « The Man in the Street » N. Y. 1948,
p. 132 quoted by Stevens , op. cit.' p. 125

انسانية ديمقراطية متمدبنة أولاً ، وذلك بتزوير التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه ، وبالبكاء وذرف الدموع أسى ولوعة على ظلم الانسان للانسان ، وبندب حظ اليهود المنكودين ، بينما هي خالفة ذلك الحظ والمحرضة عليه .

ويضيق بنا المجال عن شرح حملات التجهيل والتحايل والتزييف التي نفذتها الصهيونية على أعلى المستويات الامريكية وأدناها ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، ما أكدته المنظمة الصهيونية العالمية في اواسط عام ١٩٤٥ : « لاحتل للتوأمة غير المنفصلة لمشا كل الشعب اليهودي وفلسطين ، إلا يجعل فلسطين دولة يهودية متحدة وغير منقوصة ، طبقاً لمقصد وعد بلفور . وأي تأخير في حل المشكلة ، وأي محاولة لأنصاف الحلول ، وأي قرار مها كان مؤيداً يبقى على الورق ولا ينفذ بسرعة وأمانة ، لن يلتقي مع مأساة الساعة ، وسيزيد فقط من آلام الشعب اليهودي ومن التوتر في فلسطين (١) » . وبطبيعة الحال فان جميع الصهاينة يعنون بعبارة (مقصد وعد بلفور) إيجاد دولة يهودية ، مع أن ذلك في الحقيقة مقصد الصهيونية لا مقصد وعد بلفور الذي حمى الطوائف غير اليهودية في فلسطين . وهذا يجبرنا إلى الحديث عن مدى فهم ترومان للصهيونية وأهدافها ، وذلك بعد أن عرضنا لمساها ونجاحها في الوصول إلى قرار ملائم لها في الكونغرس الأمريكي ، لنرى كيف تدخل ترومان وحكومته لمصلحة صنع الدولة اليهودية .

على الرغم من توضيح ستيتنتيوس وزير الخارجية الامريكية للرئيس ترومان غداة استلام سلطاته ، أهداف الصهيونية بأنها ترمي الى « هجرة غير محدودة الى فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها » ، ولكن الملاحظات التي أبدتها ترومان فيما بعد كشفت عن جهله للعلاقة

Esco., op. cit., p. 1188

(١)

التكتيكية الواشجة بين هذين الهدفين . ويصرح ترومان في مذكراته إنه كان على علم بعداء العرب للاستيطان اليهودي في فلسطين ، ولكنه ، مثل كثيرين غيره كان يشعر بالأسى لما حلّ باليهود في اوربا . ولعل اندفاع ترومان المتزايد في خدمة الصهيونية وأهدافها يصبح واضحاً في ضوء عدة عوامل . منها أنه بوصفه ليبرالي النزعة كان متحمساً بشكل عفوي لكل ما يقضي لخدمة اليهود أو أية أقلية أخرى . وهذه واحدة من وسائل فهم « صهيونية » (الأمم الأخرى) ، على الرغم من أن الفكرة الليبرالية الحرة ، منطقياً ، ولسخرية القدر ، تهدف الى تحقيق مبدأ الاندماج بين العناصر والأجناس بغض النظر عن وضعها المذهبي أو الديني ، بينما تعتمد الصهيونية على فرضية أن « الاندماج ، محال ؛ فباركة الصهيونية – لذلك تعني الإقرار بفشل الغرب في مكافحة حقده العنصري .

وكان مرتبطاً بالأساس الليبرالي لانجذاب ترومان نحو الصهيونية ما ألحنا إلى عطفه على اليهود النازحين من أوربا^(١) ، فسمح للصهاينة هنا أيضاً أن يخادعوه بأن ربطوا بين مسألة انسانية هي انقاذ هؤلاء اليهود ، وبين مسألة سياسة محضة هي تحقيق برنامج هرتسل ، وكانت هذا نتيجة حملات الدعاية الصهيونية التي روجت وقت الحرب للفكرة القائلة بأن الصهيونية كانت الحل النهائي لمشكلة اللاجئين اليهود . وقليل من الناس وقف يتفكر فيما اذا كانت وجود اللاجئين اليهود يبرر بالضرورة الصهيونية وما تعتمد من حجج ومعاذير ، لاسيما وان المفهوم الصهيوني « للحل النهائي للمشكلة العربية » في فلسطين ، والمفهوم النازي « للحل النهائي للمشكلة اليهودية » في ألمانيا ، يتكونان من عامل أساسي واحد ، هو القضاء على العنصر البشري غير المرغوب فيه وتصفيته !

وثمة تفسير آخر لانجذاب ترومان نحو الصهيونية ، هو اللبس الذي شاب تفكيره حول

Truman, H, op. cit., 132

١)

معنى مبادئ ويلسون في تقرير المصير وتطبيقها على وعد بلفور . فقد جاء في مذكرات ترومان أنه شعر دائماً بأن وعد بلفور كان متفقاً تماماً مع مذهب ويلسون في تقرير المصير^(١). ولكنه بينما طبق حق تقرير المصير على الشعب اليهودي ، ، إذا به لا يطبق هذا الحق نفسه على الأكتربة العربية في فلسطين . والباحث هنا لا بد له أن ينوه بسذاجة ترومان في هذه المسألة . وذلك في ضوء الحقيقة التي تثبت أنه ليس فقط لاعلاقة مطلقاً بين وعد بلفور وتقرير المصير ، فحسب ، وإنما أيضاً هما متناقضان لا يلتقيان . فلو طبق مبدأ تقرير المصير على فلسطين ، لاستبعدت إمكانية بناء دولة يهودية هناك ، لأن الغالبية العظمى من السكان كانت غير يهودية يوم أعلن ويلسون نقاطه الأربع عشرة . فضلاً عن أن ناقد الصهيونية قد وصفوا الخطوات والأحداث التي أفضت الى صنع اسرائيل بأنها انتهاك صريح لمبدأ تقرير المصير .

ويبدو من الثابت أن ترومان مها وصف بأنه كان صادقاً وإنسانياً في حوافزه الصهيونية الملحة ، فقد افتقد الفهم الواضح لكل من وعد بلفور ومبدأ تقرير المصير ، ولذا لا يبع المنصف إلا أن يرفض منطق غير السلم في تبرير تحيزه الفاضح بالتمسح بمبدأ تقرير المصير ، وبمنظرة « الإكبار » إلى قانونية وعد بلفور !

وحاول ترومان أن يفسر كذلك عدم اكتوائه بالمشورة التي قدمها له خبراء خارجيته « أصحاب السراويل المخططة » ، بتأكيد أنه اهتمامهم لم يكن كافياً بمصير الأشخاص النازحين في أوروبا^(٢) . وإذ لم يكن للرئيس ترومان سمعة سلفه واحترام العالم له ، ولا

ibid. p. 133

(١)

ibid. p. 69

(٢)

ثاقب نظره ، لذا فقد تورط في تصريح حمله الحاخام وايز إثر مقابلته للرئيس ترومان (نيسان ١٩٤٥) ، بأنه « لن يجيد قيد شعره عن البند الخاص بقضية فلسطين في برنامج الحزب الديموقراطي الذي سيرعرض في المؤتمر الانتخابي للحزب ، والذي ساعد كل منا في وضعه »^(١) . وإذا قيل عن الرئيس ترومان بأنه يختلف عن سلفه الرئيس روزفلت في صراحته ، فان ذلك القول لا يستقيم دائماً ؛ ففي بادئ الأمر واصل لعبة روزفلت في المناورة والحديعة ، برغم عطفه الصريح على الأهداف الصهيونية . ففي ردّ بعث به الى رئيس وزراء مصر النقراشي باشا ، جدد ترومان التأكيد الذي درجت حكومة سلفه على تكراره ، وهو أنها لن تتخذ أي قرار بشأن الموقف الأساسي في فلسطين دون التشاور التام مع العرب واليهود على السواء . وإذا فُسر (التشاور التام) بأنه يعني اطلاع العرب على الخطوات الامريكية الواجب اتباعها ، وان تصريح ترومان هذا كان متفقاً مع عطفه على الأماني الصهيونية ، فان الذي لاشك فيه أن تأكيدات ترومان للزعماء العرب^(٢) . تكشف عن مدى مواربتها والتزامها إن لم يكن تناقضها . وفي ١٦ حزيران جددت الخارجية الامريكية توصياتها الى ترومان ، وبناء على ذلك جددت التأكيدات التي اعطاها سلفه في رسائل الى الحكومات العربية^(٣) .

ومها يكن الأمر فقد كان مؤتمر بوتسدام هو فرصة الصهانية الأولى لممارسة الضغط الامريكي على الحكومة البريطانية ، من أجل الاذعان لمضمون مذكرة الوكالة اليهودية التي قدمتها في ٢٧ أيار ، وتلخص باعلان الدولة اليهودية ، والترخيص للوكالة اليهودية بالاشراف التام على الهجرة الى فلسطين . وأبرقت المنظمات اليهودية الى ترومان ملحة عليه أن

Lirk . The Middle East in the War . 1939-45 p. 329 (١)

Hurewitz, op. cit , p. 226 (٢)

Truman, op. cit , II, pp. 131-135 (٣)

يستخدم نفوذه لتسوية قضية فلسطين في مؤتمر بوتسدام ، وفقاً لحاجات اليهود ومطالبهم . وبعد أن ضمنت الصهيونية تعضيد معظم المجالس التشريعية في الولايات ، حملت ثمانية وثلاثين من حكام الولايات البالغ عددهم ثمانية وأربعون ، على مطالبة رئيس الجمهورية بالتخاذ الاجراءات فوراً لفتح ابواب فلسطين أمام هجرة واستيطان واسع النطاق ، ولتحويل تلك البلاد الى دولة يهودية ديمقراطية حرة « في أقصر وقت ممكن » .

٨ وفي بوتسدام ناقش تشرشل ، ثم اتلي - بعد فوز العمال - مسألة فلسطين مع الرئيس ترومان الذي ذكر أن حكومته تؤيد إدخال أكبر عدد ممكن من اليهود ، يتوطنون في فلسطين سلمياً ، ولكنه يعارض استعمال القوة الأمريكية لقمع الاضطراب المحتمل وقوعه فيها . وكان عدم رغبة ترومان في استعمال القوة الأمريكية راجعاً الى احتمال معارضة الكونغرس ، والميل الى تحديد التزامات امريكا العسكرية ما بعد الحرب في الخارج ، وضغط الرأي العام الأمريكي لإنهاء حالة التعبئة العامة بالسرعة الممكنة (١) .

وبعد عودة ترومان من بوتسدام ، كشف عن الموقف الذي اتخذته من فلسطين في مؤتمر صحفي عقده في ١٦ آب ١٩٤٥ بقوله : إنه يدافع عن استيطان حرّ ومفتوح لليهود في فلسطين إلى النقطة التي تتفق مع حفظ السلام والأمن . وترومان بتصريحه هذا قد سجل على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية معارضتها للكتاب الابيض البريطاني ؛ وقال ترومان بما أن الحرب انتهت فيجب التخلي عن سياسة التعاليل في بحث قضية فلسطين على أساس « الضرورة العسكرية » التي اتبعتها وزارة الخارجية الأمريكية أثناء الحرب . وفي الوقت نفسه حذر ترومان أنه ليس في نيته أن يبعث بـ ٥٠٠ الف جندي امريكى لحفظ السلام في فلسطين ، وقال إن مسألة الدولة اليهودية يجب بمخها مع البريطانيين ومع العرب (٢) .

ibid, p. 227

(١)

Esco, op. cit. pp. 1188-89

(٢)

على أن المحادثات التي جرت في بوتسدام ، والنقاط التي أثارها ترومان في مؤتمره الصحفي ، قد ولدت نظرة من عدم الثقة به في نفس المستر أتلي ووزير خارجيته المستر بيفن ، ستعكس على ما سيتلو من أحداث . ووضحت مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية (ايلول ١٩٤٥) المقصود من الكتاب الأبيض للرئيس ترومان ، وقالت انه حل وسط بين مطالب الصهاينة ومقاومة العرب لتلك المطالب . وأشارت بوضوح إلى التفاوت بين سياسة الرئيس وبين مقدرة بلاده على تنفيذها . ونصحت المذكرة بأن لا تدافع أية حكومة عن الهجرة الكثيفة ما لم تكن مستعدة للمساعدة على توفير ما يلزم من قوات الأمن والسفن والإسكان وخدمات العمل الخ . . ويمكن للولايات المتحدة أن تؤيد الهجرة إلى فلسطين خلال الفترة الانتقالية ، بحيث تفرض فيها قيود من جهة العدد والفئات ، بعد النظر إلى الاعتبارات الانسانية ورفاه فلسطين الاقتصادي والأوضاع السياسية فيها . ولكن على الحكومة البريطانية بوصفها الدولة المنتدبة أن تقبل بالمسؤولية الأولى لهذه السياسة وتكون مسؤولة عن تنفيذها ^(١) .

غير أن وجهة نظر ترومان كانت تقتصر إلى الواقعية الأساسية ؛ فقد أيد هجرة غير محدودة ودولة يهودية ، بشرط أن لا تتدخل الجيوش الأمريكية ، وفي الوقت نفسه رأى أن تقرير مصير فلسطين على المدى البعيد هو من نوع المشاكل التي « من أجلها أوجدنا الأمم المتحدة » ، ثم أسقط من حسابه كل حل لمسألة فلسطين على المدى البعيد حين قال : « ان ثمة حاجة إلى نوع من المعونة لليهودية في أوروبا ، ويفترض أن هذا الأمر يمكن توفيره في فلسطين ^(٢) » !!

Truman, op. cit., II, pp. 136-137

(١)

Truman, ibid. p. 140

(٢)

وبدعي أن الصهاينة اغتبطوا بالأواقعية الظاهرة في تمسك ترومان بأن تأييد الهجرة لا يعني بالضرورة وجوب استخدام القوة ، بل أراد الصهاينة أن يبددوا من ذهنه الوم بأن اعلان الدولة اليهودية لا يستوجب ارسال نصف مليون جندي امريكي للمحافظة على السلام في فلسطين ، ورأوا أن هذا الوم كان من أثر الدعاوة البريطانية في مؤتمر بوتسدام^(١) .

وقد كتب ترومان أنه انزعج من مذكرة الخارجية التي أوصته بوجود التحفظ ، وانزعج أكثر عندما اقترح بيرنز Byrnes وزير خارجيته في أوائل تشرين الاول ١٩٤٥ أنه يجب أن تنشر تأكيدات سلفه روزفلت الى ابن سعود بخصوص فلسطين ، « على أساس أن ذلك سيوضح للرأي العام الامريكي أننا لن نصادق على البرنامج الصهيوني » . والرئيس ترومان الشديد الحساسية فيما يتعلق بالرأي العام أكثر من موظفيه الدائمين ، رفض أن يصدر البيان من البيت الابيض ، بل أمر بيرنز أن يصدره إن شاء من الخارجية الامريكية ، وقال : « لا أرى سبباً يوجب عليّ بيان عام أن اتخذ موقفاً من مسألة أعتقد ان الأمم المتحدة يجب أن تسويتها^(٢) » . ولكن ترومان كان سابقاً قد اتخذ موقفه المتحيز من المسألة ، بغض النظر عما يمكن ان تراه الأمم المتحدة . فنذ ٣١ آب ١٩٤٤ كتب إلى المستر آتلي طالباً بالسماح بإدخال ١٠٠ الف يهودي الى فلسطين ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الموقف هو الموقف الرسمي للبيت الابيض . ومن جهة أخرى فالحكومة الامريكية كانت تبدي استعدادها للمشاركة في تنفيذ مثل هذه السياسة - الأمر الذي سبب الضيق للحكومة البريطانية .

وأجاب آتلي على طلب ترومان بتذكيره بالعهود التي قطعت للشعوب العربية . وقد

Stevens, op. cit., p. 133

(١)

Truman, op. cit., p. 140

(٢)

سعت الحكومة البريطانية للتخلص من الالحاح الأمريكي والضغط الذي كان يرافقه ، فاقترحت على الولايات المتحدة (١٩ تشرين الأول ١٩٤٥) ان تشاركها في مسؤولية رسم سياسة فلسطين عن طريق تشكيل لجنة تحقيق انكلو امريكية لدراسة مسألة فلسطين وجميع ما يتصل بها ، ويمكن أن تؤدي الى دعم امريكي ناشط لبريطانيا ضد توقعات التوسع السوفيتي (١) .

وبينا كان ترومان يحاول حث بريطانيا لانتهاج سياسة أكثر ليناً في مسألة الهجرة اليهودية ، كان الصهاينة ، بكلبات ترومان ، يعملون مهمته أصعب يبحثهم عن دعم امريكي لإقامة دولة يهودية ؛ وقد سجل ترومان هذا الجزء من القصة حين وضع أنه كان محاصراً من الصهاينة وعرضة لإلحاحهم الشديد بقوله : « إن الصهاينة بصبر نافذ كانوا يجعلون هدفي الاول أصعب منالأ . كانوا يريدون أكثر من مجرد إجراءات أسير للهجرة ؛ انهم كانوا يريدون من الحكومة الامريكية أن تعضد هدفهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين (٢) » .

أما صعوبة تفهم ترومان لسبب إعاقه الصهاينة جهوده في مساعدتهم ، بطلبهم أكثر من تيسير سبل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فهو دليل آخر على فهمه السقيم والسادج للحركة الصهيونية وأساليبها المرحلية . والحق أن ترومان لم يدرك أن إقحام المرحلية الصهيونية لمشكلة اللاجئين اليهود الاوربيين في صميم الاستراتيجية الصهيونية كان يشكل أضمن سبيل يؤدي الى إيجاد الدولة اليهودية . ويبدو عدم ادراكه للعلاقة الواشجة ، بين الهجرة وبين خلق الكيان السياسي ، وهي علاقة السبب بالنتيجة والعللة بالمعلول ، من دهشة ترومان التي أبدأها آنفاً . ولو أنه كاف نفسه دراسة سطحية للتكنيك الصهيوني البارع في ميدان الدعاية والسياسة في مختلف الأوساط الامريكية خلال الحرب ، لتحقق من أن الصهاينة

Crossman , op cit. , p 65

(١)

Truman , op. cit., p. 110

(٢)

قد أخذوا أنفسهم بسياسة حازمة تؤكد على دولة يهودية وشبكة القيام ، ولأدرك أن حملتهم لخلق معارضة أمريكية للكتاب الابيض (١٩٣٩) ولاستردار عطف امريكي على محنة اليهود الاوربيين ، إنما استهدفت في الحقيقة بيع فكرة الدولة اليهودية في فلسطين للجمهور الأمريكي وللكونغرس وللحكومة .

يقول ترومان ، متفكراً بمشكلة اللاجئين في أوروبا ، وبزيادة الصهاينة في إقامة الدولة : « في رأيي إن أهداف الصهاينة واغراضهم في هذه المرحلة لإنشاء دولة يهودية كانت ثانوية بالنسبة للمشكلة الأكثر إلحاحاً ، وهي إيجاد وسائل للتفريج عن كرب المشردين^(١١) ! » وهنا أيضاً دليل آخر على فشل الرئيس ترومان في فهم الصهيونية وادراك مخططاتها . فأهداف الحركة وأغراضها الأساسية ، بالنسبة للصهيونية السياسية ما كانت ثانوية أبداً . فمن المعلوم أن فكرة (الدولة) هي لب العقيدة والبرنامج الصهيونيين ، ومع ذلك فالصهيونية الرسمية ظلت طوال الأعوام الخمسين الأولى من حياتها ، تتجنب استعمال كلمة (الدولة) عند تحديد أهدافها ومطالبها .

وقد كشفنا في مكان سابق من البحث اعتبار الصهاينة لمشكلة اللاجئين أمراً ثانوياً بالنسبة لمهدف الصهيونية الأساسي : الدولة . ورأينا عدم اكتراثهم في برمودا و ايفيان باستقرار اللاجئين في أي مكان آخر غير فلسطين . كذلك عرضنا لمساعي موريس ارنست مبعوث روزفلت لتطوير خطة يمكن بواسطتها إسكان لاجئي أوروبا اليهود في الأمم التي ترحب بهم في أرجاء العالم ، وكيف ان الصهاينة نظروا الى هذا العمل كخطة غادرة تهدد تحقيق الصهيونية نفسها . ويصف ارنست ردة الفعل الصهيونية هذه بعبارة واضحة جداً

ومعبرة جداً : « عجبت ، بل انني شعرت بالإهانة حين ندد بي الزعماء اليهود النشيطون ، وهزأوا بي ثم هاجوني كأني خائن . وفي إحدى حفلات العشاء أتهمت صراحة بدعم الهجرة الحرة هذه (لليهود الى بلاد العالم) من أجل تقويض الصهيونية السياسية . . لقد وقف أصدقاؤني الصهاينة في وجه (برنامج روزفلت) . . لقد فهمت لماذا يشعر زعماء هذه الحركات (الصهيونية) أن رسالتهم الأثيرة يهددها بالخطر كرم برنامج روزفلت وإنسانيته^(١) . »

وأظهر الصهاينة هذه اللامبالاة نفسها تجاه الاهتمام الانساني بالمشردين اليهود إن لم يتضمن هذا الاهتمام إسكانهم في فلسطين ، وذلك في مناسبتين بعد الحرب ؛ أولاهما حين أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٥ كانون الاول ١٩٤٦) اقتراحاً بأن تفتح الدول الأعضاء في المنظمة الدولية أبواب بلادها أمام اللاجئين ، وثانيتهما حين نوقش مشروع قانون أمام مجلس النواب الامريكى (عام ١٩٤٧) بخصوص قبول النازحين في الولايات المتحدة^(٢) .

وبكلمة موجزة ظل الصهاينة يعتبرون إقامة دولة يهودية كشيء أول وفوق كل اعتبار ، بحيث يخلص المرء من دراسة أعمالهم الى أنهم اهتموا بمشكلة اللاجئين اليهود بقدر ما ساهمت في إقامة الدولة ، التي هي الهدف الأول والأخير للصهيونية السياسية . وقد أشار الى هذا المعنى الأمين العام للجامعة العربية عزام في أثناء زيارته للندن (خريف ١٩٤٥) حين قال إن الضجيج الصهيوني حول الموضوع (الهجرة اليهودية الى فلسطين) قد استوحى قبل كل شيء ليس من دوافع انسانية ، ولكن من دوافع سياسية . والدليل على ذلك هو تمتع الصهاينة الواضح عن السماح لليهود الفلسطينيين بالهجرة من فلسطين الى الولايات المتحدة أو

Earnst, Morris L. • So Far So Good • N.Y. 1948, pp. 176- (١)

77, quoted in Stevens, op, cit., p, 72

Lilienthal, op cit., p,34

(٢)

غيرها . وكذا جهودهم في حشد المهاجرين من كل بلد ومحاولتهم تثبيط جهود النازحين اليهود للاستيطان في أي مكان باستثناء فلسطين^(١) .

وحين طلب ترومان من آتلي ادخال ١٠٠ ألف لاجيء يهودي الى فلسطين في ٣١ آب ، فإنه سجل أول خطوة إيجابية نيابة عن الصهيونية على الطريق الى تحقيق أهدافها . وجاء هذا الطلب بناء على تقرير رفعه المستر ايرل ج . هاريسون عميد كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا ويمثل اللجنة الحكومية لتقصي شؤون اللاجئين اليهود ، وكان ترومان قد أوفده إلى اوربا في حزيران لبحث أوضاع النازحين الذين لا يمكن ارجاعهم الى اوطانهم ، وخاصة اللاجئين اليهود منهم . وقد جاء في تقريره الذي رفعه يوم ٢٤ آب ان الكثير من النازحين اليهود يتقبلون في أحوال سيئة ولا أمل لهم ولا رغبة لديهم في إعادة توطينهم في اوربا ، وحتى اليهود غير الصهانية يقال انهم ادركوا أن إمكان السماح لهم بالهجرة الى الولايات المتحدة او أي بلد آخر في نصف الكرة الغربي ، ضعيف جداً . واقترح هاريسون ترحيل اليهود النازحين عن المانيا والنمسا فوراً ، وفتح فلسطين أمام اليهود القائمين في معسكرات التجمع ، لأنها اكثر الأمكنة ملائمة لهم . وذكر هاريسون أنه حتى في المانيا والنمسا التي هي تحت الادارة الامريكية ، لا يزال الميل للتحيز ضد اليهود قائماً ، برغم جهود القادة الامريكيين لمحبتهم ، وان عدد اليهود الباقين في المعسكرات الاوربية التي اعتقلوا فيها إبان الحرب يبلغ نحواً من ١٠٠ ألف ، وذكر في تقريره أنه تأثر في تحديد هذا الرقم ، بالمذكرة التي كان الصهانية قد قدموها الى وزارة المستعمرات البريطانية .

ولكن اللفتنانت جنرال فريدريك مورغان Morgan الرئيس البريطاني لإدارة الاغاثة والاسكان التابعة للأمم المتحدة في المانيا ، كشف في أوائل ١٩٤٦ عن تقرير

الجيش الثالث حول التنظيم الصهيوني السري ، وكتب عن المؤامرة اليهودية الضخمة التي توجهها منظمة يهودية سرية لإخراج اليهود من أوروبا^(١) ، والحيولة دون استقرارهم فيها بكل وسيلة . وبين مورغان أنه قد شاهد خروج اليهود من بولندا . . ومضى يقول : « . . . إن آلاف اليهود البولنديين يفرون من شرق أوروبا الى القطاع الأمريكي (من ألمانيا المحتلة) مزودين بمخطط إيجابية محكمة التدبير للخروج من أوروبا الى فلسطين . ووراء تلك الخطط منظمة سرية يهودية وثيقة الارتباط بشا كل الارهاب القائمة في فلسطين . . وليس

(١) أشار مورغان ان ثمة حركة (خروج) ثانية محكمة التنظيم لطرد اليهود من روسيا الى فلسطين ؛ وقدم يهود نيويورك خاصة امدادات ضخمة الى هيئة الاغاثة الدولية فخدموا بذلك الهجرة اليهودية الواسعة النطاق من أوروبا الشرقية الى فلسطين . ويبدو ان تنظيم هذه العملية كان يشترك فيه كل حكومة اوربية، بدليل مناشدة بريطانيا لهذه الحكومات الاوربية بعدم تدعيم الهجرة المسارة بأراضيها ؛ وكذلك للولايات المتحدة وجيشها . ويقول ريتشارد كرومان في كتابه (بعثة فلسطين) انه كانت هناك في جميع المعسكرات دعاية صهيونية منظمة تشرف عليها لجنة (التوزيع الأمريكية المشتركة) والوكالة اليهودية أو تم بواسطة الفيلق اليهودي البريطاني أو بواسطة موظفي الاغاثة الموالين . . ولقد وجدنا صعوبة في التحري عن هذه الحركة السرية بالنمسا ، فأحد التيارات كان يبيء من بولندا عبر تشيكوسلوفاكيا ومنها عن طريق المنطقة الروسية الى فينا . . وانشى معسكر انتقال لهؤلاء المهاجرين في منشفى روتشيلد بالمنطقة الأمريكية في فينا . وتيار آخر يدخل فينا من الجنوب الشرقي . وبعض المهاجرين يأتون من بخارست عن طريق بودابست والمنطقة الروسية ، وتيار آخر من هنغاريا يتجمع في بودابست ثم ينقل منها مباشرة . وكانت المنظمات الصهيونية في رومانيا وهنغاريا وبولندا تم هؤلاء اليهود بالمال وتخطط لهم سبل تنقلهم بقدر الامكان . وثمة طريق من بولندا الى إيطاليا مباشرة عبر المنطقة البريطانية في النمسا ، حيث « للمصادفة » ، كان الفيلق اليهودي يشكل حرس الحدود .

وذكر كرومان أن الوفود التي قابلت عضوي اللجنة كرام وليفت في المنطقة الأمريكية أدلت بنفس الحطب وحملت نفس الشعارات . وان المنطقة الأمريكية كانت كالقمع ير من خلاله اليهود . وقد قدر بأن ثمة (٢٠٠٠) يهودي يدخلون المنطقة الأمريكية من النمسا كل شهر ، بشكل غير مشروع .

Grossman, pp. 89 , 92 , 91

ثمة حقيقة لما يشاع عن حوادث تعذيب (اليهود) داخل بولندا . فاليهود الوافدون بالآلاف من مدينة لوز وغيرها من المراكز البولندية يرتدون الملابس الفاخرة ، ويبدون في صحة جيدة . يتفجر الدم من وجناتهم ، وجيوبهم منتفخة بالنقود . وليس على أي فرد منهم سواه البؤس أو الاضطهاد - رغم أنهم جميعاً يروون نفس القصة الحالية المتملة عن المذابح والتعذيب . ولكن الدعاية الصهيونية شنت حملة واسعة ضد مورغان واتهمته بالعداء لليهود المضطهدين في كل مكان ، ونجحت في قلب الأوضاع وتشويه الحقائق حتى تم عزله على يد السير هربرت ليان Lehman مدير عام الادارة ، والمؤيد للصهيونية ، وذلك بتهمة اللاسامية^(١) التي لا يملك الصهانية سواها لضرب خصومهم .

وسمح الرئيس ترومان بنشر تقرير هاريسون في الصحف (٢٩ ايلول) ، وكذلك بنشر رسالة كان قد بعث بها الى الجنرال ايزنهاور (٣١ آب) يحثه فيها على اتخاذ التدابير المؤدية الى تحسين أوضاع الأشخاص النازحين في المانيا ، ومحيطه علماً باتصاله المباشر مع الحكومة البريطانية لفتح أبواب فلسطين أمام الذين يرغبون منهم بالتوجه إليها^(٢) .

(١) Lenczowski, G. « The Middle East in World Affairs, »

N, Y. 1953, pp. 276 - 7

مما له دلالة هنا أن هذا التنظيم الصهيوني السري لتجوير اليهود من اوربا قد اعترف به ووصفه بعد ذلك بالتفصيل الأخوان اليهوديان الصهيونيان جون ودافيد كيمشي في كتابها « الطرق السرية » . ولكن ليان المؤيد للصهيونية اعتبر ذلك شيئاً يجب إخفاؤه ، فلما فضحه مورغان ، غضب عليه . علماً بأن كروسمان وصف مقاله الجنرال مورغان في تقريره بأنه « كان أقل من الحقيقة بمقدار عظيم » . Grossman, p. 61

Survey of Palestine, op. cit., p. 80

(٢)

ويذكر كروسمان أيضاً أن وزير الداخلية في النمسا « أبلغنا - لجنة التحقيق الانكلو امريكيد - بغفاء أن العادة الامريكيد المتبعة تقضي بمنح هبات خاصة وتعيينات عمون لليهود الشرقيين المتعطلين عن =

وكان الرئيس روزفلت قد وعد في رسائله التي تبادلها مع ابن سعود والأمير عبد الإله والرئيس القوتلي ، بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي لفلسطين بدون استشارة تأمة للعرب واليهود ، ويلاحظ هنا أن روزفلت وعد بأن (يستشير) العرب قبل اتخاذ قرار ، فهو إذن غير ملتزم بأرائهم ، كأنما يزعم لنفسه أو للحكومة البريطانية ، الحق في تقرير مصير فلسطين . ووعده روزفلت أيضاً بأن لا يقوم بأعمال (يبرهن) أنها معادية للعرب ، وهذا أيضاً لا يقيد به شيء ، إذ بمقدوره أن يفعل ما يشاء ثم ينكر مكابراً أنها تؤذي العرب ،

== العمل في المنطقة الأمريكية بالنمسا ، بينا النمسيون الكدحون في العمل بموتون جوعاً . وكان هذا يشير شعوراً مريراً من الاستياء ومن معاداة السامية . (كروسمان -

Palestine Mission, pp. 87,100

ويذكر كرام - Crum ما يؤيد انحياز الأمريكيين لليهود في أوروبا : « ولقد أكد لنا الميجور جنرال كلارك ان السياسة الأمريكية في أوروبا الوسطى والشرقية هي ابقاء الحدود مفتوحة بأي ثمن .. إننا نريد ان نمنح اليهود الذين ياولون الخروج من بولندا الفرصة للخلاص ، وهذه السياسة التي كان مبعثها الجنرال ايزنهاور وأيدها الرئيس ترومان بقوة ، نفذت بصعوبات كبيرة بسبب متاعب النقل ، وعدم توافر امدادات الاغذية الملائمة ، ومعارضة مصادر بريطانية » .

Crum, Bartley C., • Behind the Silken Curtain, • N.Y. 1947
pp. 107-108

وجاء في الجويش كرونيكل (٦ ايلول ١٩٤٦) ان الجنرال جوزيف ت. ماك فارني قائد القوات الأمريكية في أوروبا تحدث الى جماعة من اقطاب اليهود الأمريكيين في فرنكفورت هذا الاسبوع ، فقال إنه خول الجنرال كلارك القائد الأمريكي في النمسا ترحيل ١٩ ألف يهودي من المتسولين الى المنطقة الأمريكية في المانيا ، والساح بدخول ١٩٠٠ من برلين . وان الجيش الأمريكي ، برغم نقص الاغذية والسكن ، كان يزود اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية بتموين من الاطعمة ذات قوة غذائية اكثر من الاطعمة التي تمنح لأية جماعة اخرى في المانيا .

وبخصوص الهجرة اليهودية الى فلسطين ومساعدة جمعيات الاغاثة التابعة للامم المتحدة على تنشيطها هناك ادلة وشواهد تثبتها . انظر : Junsen, « Palestine Plot »

والدعاية الصهيونية تمدد بسيل من المغالطات والأضاليل للبرهنة على أن تدفق الهجرة اليهودية يورث فلسطين الرخاء والرفاه !! وكان من الضروري أن يزداد تعقد مشكلة الهجرة بزيادة عدد اللاجئين الذين ينزحون عن شرق أوروبا قاصدين فلسطين ، ثم يتزاحمون بلا مأوى في وسط أوروبا وجنوبها انتظاراً لفتح الأبواب المغلقة . وكلما تهاونوا في الهجرة لسعتهم سياط اللاسامية المزعومة التي كانت الصهيونية تثيرها كلما خدمت ناراها ، مع تزيين فلسطين لهم بأنها غدت دولة عبرية ذات جيش عبري الخ . .^(١)

ومها يكن الأمر فان روزفلت لم يبدل شيئاً في أحوال فلسطين الأساسية ، ولكن خلفه ترومان استجاب للمطالب الصهيونية دون أن يستشير العرب خلافاً لوعود بلاده ، وذلك عندما طلب ادخال ١٠٠ الف يهودي من الذين (لا يرغبون) الاقامة حيث هم مقيمون ، أو (لا يرغبون) لسبب من الأسباب أن يعودوا الى أوطانهم الاولى ، وطلب ه إجلاء أكبر عدد ممكن من اليهود الذين لا وطن لهم في الحال ، ونقلهم الى فلسطين اذا رغبوا في ذلك . وهذا موقف غريب يصدر عن دولة كبرى نادى بمبدأ حتى تقرير المصير للشعوب ، ثم نبذته وضربت عنه صفحاً حين أقحمت نفسها إقحاماً لا مبرر له مطلقاً على قضية فلسطين .

وجاء رد أتلي على رسالة ترومان ، ولم يكن مشجعاً . وقد أشار الى رفض الوكالة اليهودية لعرض وزير المستعمرات هول ، والى أن اليهود لا يستخدمون في الوقت الحاضر شهادات الهجرة المتوفرة لديهم ، وإلى ان المطالبة بهجرة مائة الف ليست مجرد محاولة لانتقاد بعض اليهود من الشقاء، وإنما هي جزء من مطالبة عامة تقضي بإلغاء الكتاب الابيض

Irgun Zvai Leumi, The Hebrew Struggle For National Liberation, pp. 15-17 (١)

تماماً ، وانها تجري دون اكثر مما يترتب عليها من آثار على الشرق الأوسط كله وأكد الرئيس أتلي وعود سلفيها تشرشل وروزفلت للعرب حول استشارتهم قبل أي إجراء أساسي . ويقال ان أتلي وافق على ادخال عدد إضافي من اللاجئين اليهود الى فلسطين بشرط ان تقبل الولايات المتحدة المشاركة في تحمل مسؤولية ذلك ، حتى ولو كان معناه ارسال قوات عسكرية أمريكية . ولكن ترومان رفض التدخل العسكري الأمريكي ، وبذلك نامت المسألة لعدة أسابيع . وقد عكست الصحف البريطانية استياء الحكومة والرأي العام من الطلب الأمريكي ، فكثبت تعلق على سخاء النصيحة الأمريكية وعلى شحّ المعونة الأمريكية . وأعلنت صحيفة مؤيدة للصهيونية ان ترومان يطلبه هذا كان مدفوعاً برغبة الحصول على أصوات خمسة ملايين يهودي في الولايات المتحدة ، وأشارت صحيفة أخرى الى أن طلب أمريكا يكون أكثر تأثيراً لو أنها هي التي فتحت أبوابها أمام ضحايا هتلر^(١) .

وقد بدا ترومان في تصريحاته ومراجعاته الملحة لبريطانيا مغرماً في التحيز ومجافياً للعرف الدولي . ولعل ما أثار حنق الاوساط البريطانية هو ميل الصهاينة الى أمريكا واستخدامها في مآربهم ، وتظاهرهم باليأس من بريطانيا ، التي رأت في ذلك بادرة تضاف الى بوادر الارهاب الذي تلوح علامته في الأفق القريب ، لجهود الصهيونية وتمرداتها ومحاولاتها التفتت من نفوذها . مع ان الصهيونية كانت أداة بريطانيا لا في ضمان انتدابها لفلسطين وإبعاد أي نفوذ اوروبي آخر عن المعابر البرية والمائية لبريطانيا فحسب ، وانما في ما ترسمته بريطانيا من سياسة أساسها زرع اليهودية في المنطقة العربية لإعاقة تحقيق الاهداف القومية . ولكن الدهاء البريطاني الذي كان في ميسر الحاجة للقروض الأمريكية الضخمة ،

Manchester Guardian, sept. 21, 1945, New Statesman & Nation(٧)

Sept. 29, 1945, cited in Hurewitz, op, cit., p. 230

وللمعونة الأمريكية العسكرية نجاه ما يبدو من تحركات السوفيت ودوافعهم في شرقي البحر المتوسط وإيران ، لم يفعل ما يجاوز التبرم النظري بمطلب ترومان . وسرى أن بريطانيا ستجاوب مع هذا المطلب ، وستقدم ببراءة على تبدل سياستها القائمة على أساس الكتاب الأبيض ، وستوجه للعرب لطمة تسجل بداية الكارثة الفلسطينية ، بل العربية .

وفي البلدان العربية الشرقية ظهر الاستياء بوضوح من المناورات الصهيونية والأمريكية والبريطانية ، وخاصة في مطلع تشرين الأول . وفي واشنطن قدم ممشو العراق و سورية و لبنان و مصر مذكرة مشتركة الى بيروز وزير الخارجية الأمريكية (١٢ تشرين الأول) ، يحذرين من أنه لن يكون ثمة سلام في العالم العربي بتضحية المصالح العربية من أجل ترضية اليهود . « ان دولة سياسية صهيونية لا يمكن أن تقوم في فلسطين إلا بمعونة قوة خارجية » (١) .

وقام الصهاينة بجمع الانتصار وممارسة الضغط في بريطانيا و الولايات المتحدة . في بريطانيا قال زعماء الوكالة اليهودية في اجتماعات استثنائية للاتحاد الصهيوني البريطاني وللمجلس النواب اليهود البريطانيين (٢) ، ان اليهود سوف يقاومون كل جهد يرمي للابقاء على الكتاب الأبيض ، وان تنفيذه سوف يتطلب استعمال القوة . وطرق وايزمن الموضوع نفسه أمام اللجنة البرلمانية المؤيدة للصهيونية في ٩ تشرين الأول . وأبلغ من ذلك ماتقوه به الصهاينة الأمريكيون ؛ فقد أصدر الزعيمان الصهيونيان وايز و سلفر بياناً مشتركاً يكرران فيه رفض وايزمن العرض البريطاني السالح لـ ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهرياً بالدخول الى فلسطين .

(١) New York Times, oct 5, 1945, Quoted in Hurewitz p. 231

(٢) يذكر كروسمان أن عدد الأعضاء اليهود في البرلمان الهامي آتذ كان ٢٥ عضواً ، وان عدد اليهود البريطانيين هو ٣٠٠ ألف ولكنهم ، كما يزعم كروسمان «أصغر من أن يمارسوا ضغطاً فعالاً» ! Crossman, p. 60

وقال إن يهود فلسطين لن يسمحوا بوقوع كارثة كهذه تجعل منهم أقلية في دولة عربية ، وطالبا ترومان بمنع وقوع هذا (الظلم المشين) عن طريق تنفيذ الوعود الأمريكية المقطوعة لليهود (١) . وإزاء هذا النشاط الصهيوني ، أبدى بيرنز وزير الخارجية الأمريكية تخوفه للرئيس ترومان من نتائج رد الفعل العربي في الشرق الأوسط على ملاحظات ترومان . وأراد بيرنز أن يدعم موقفه فاستدعى أربعة من رؤساء البعثات الأمريكية في الشرق العربي ، كي يدلوا بشهادتهم أمام رئيس الجمهورية حول تدهور المصالح الأمريكية الأساسية في المنطقة العربية . وسمح ترومان لمبعوثيه الدبلوماسيين بمقابلته بعد شهر من الانتظار ، لأن مستشاري البيت الأبيض أقنعوا ترومان بأنه ليس من السياسة ان يرى وزراءه المفوضين في الدول العربية قبل ان تجرى انتخابات تشرين الثاني النيابية . ولكن الملاحظات التي أبداها المبعوثون لم تسفر عن شيء ؛ إذ أوجز ترومان موقفه بمنتهى الصراحة حين خاطبهم بقوله : « آسف أيها السادة ، ولكن علي أن أستجيب لمئات الألوف من المتشوقين لنجاح الصهيونية : ليس لدي مئات الألوف من العرب في صفوف ناخبي » (٢) . ونشر بيرنز نصوص الرسائل التي تبادلها روزفلت الى ابن سعود للتدليل على رغبة الحكومة الأمريكية في المحافظة على صداقة العرب واليهود ، مرفقة بملاحظات أدلى بها بيرنز توضيحاً لموقف حكومته التي « لن تؤيد قراراً نهائياً تراه يؤثر على الموقف الأساسي في فلسطين دون

New Palestine XXXV, sept. 28, 1945, cited by Stevens, op. cit., (١)
p. 136

Eddy, p. 36, quoted by Stevens, p. 138 (٢)

كان دافيد نايلز حلقة الاتصال المهمة في البيت الأبيض بين الصهاينة ورئيس الجمهورية ، وكان روزفلت قد أتى به ، ثم استبقاه ترومان وقربه حتى لقب بـ (رجل الرئيس الغامض) . ولقد اتهم فيما بعد باعطاء معلومات سرية الى إسرائيل فاستقال (راجع ليلينثال ص ٩٣-٩٤ عن إسرائيل بالانكليزية)

التشاور التام مع كل من العرب واليهود ، فاغتاز الصهاينة نتيجة لذلك، وسرعان ما قام زعيماً مجلس الطوارئ الصهيوني بإرسال مذكرة الى بيرتز (٢٣ تشرين الاول) ينددان فيها بهجمات ابن سعود على الصهيونية ، وينكران حق الدول العربية في الاستشارة بشأن مستقبل فلسطين ، وفي الوقت نفسه طالبا باتخاذ عمل سريع للتخفيف من شعاع اليهود الاوربيين وفقاً للسياسة الامريكية المعلنة (١) .

New Palestine XXXVI, oct. 31, 1945, cited in Stevens, p. 140(٧)

الفصل التاسع عشر

حكومة العمال تواجه الضغط الصهيوني

الارهاب في خدمة الهجرة :

طوال مدة الحرب حرصت الوكالة اليهودية على اجتذاب القوات البريطانية والمتحالفة في فلسطين الى جانبها بمختلف صنوف الدعاية المنظمة ، وسعت بالبحر لإحاطة هؤلاء العسكريين بجميع مظاهر الحفاوة والضيافة ، مع دعوتهم الى قضاء اجازاتهم في المستعمرات حيث كان الصهاينة يبرعون باخراج مسرحية التقدم المادي والرخاء الشامل والألفة الكاملة في الوطن القومي . فضلاً عن إراهم إمكانات المعيشة المشتركة مع العرب الأليين ، اذا لم يمرضهم ضدنا الأفندية ورجال الحكم البريطانيون ، وذلك بأن يحضروا بعض العرب السذج ممن لا يدركون مغزى ما يرون ، فيقفون صفاً واحداً لاستعراضهم ، مع وجود يهودي للترجمة . وكان هذا التنظيم المسرحي للفلاحين يجتث أحياناً ، فتتكشف الحالة على حقيقتها^(١) . وفي حين كان الغرض من هذه الدعاية على اختلاف فنونها ، كان يرمي الى أن يطلع عليها الجميع من استعماريين وأحرار واشتراكيين وتجار رأسماليين ، فان ما يسود

Crossman, R. • Palestine Mission. • p. 157

(١)

في واحدة من هذه المناسبات التي أجد تحضيرها سأل كروسمان الشيخ العربي الذي حضر وابنه المناسبة: « ما رأيك في الهجرة » ، وفجأة قفز ابن الشيخ على قدميه، وتدفق في حديث مطول يتنوي على كل المسألة العربية بما فيها عودة المغني . فسئل الشاب : « ولكنك لا تعنى اليهود في هذه المستعمرة؟ فأجاب بعنف : ان أي مزيد من اليهود في فلسطين سوف يجرب البلاد » . Crossman, p. 157

المستعمرات الجماعية من مظاهر ، وما لمنظمة (المستدروت) العمالية من دور هام في حياة الطائفة اليهودية ، قد استحوذت على اعجاب بعض الاثراكيين بوجه خاص ، وعلى الأخص أولئك الشبان المتحمسين البطاء ، الذين لم يزودوا بأكثر من الدراسة الثانوية ممن كانوا يوجدون بين صغار الضباط في الجيش البريطاني وقت الحرب^(١) .

لذلك فلا عجب إذا شعر الصهاينة بتفاوت كبير عندما آل الحكم في تموز ١٩٤٥ الى حزب العمال ، الذي كانت هيئته التنفيذية قد اعلنت منذ ستة شهور فقط تأييدها للهجرة اليهودية المطلقة ، على أن « يشجع خروج العرب كلما تمّ دخول اليهود » . فلما مضت شهور ثلاثة دون أن يسمع تصريح ما من لندن حول السماح بالهجرة اليهودية المطلقة من كل قيد الى فلسطين ، اقترح موسى سنيه Sneh (يهودي بولندي عمره ٣٧ سنة) عضو الأمن في تنفيذية الوكالة اليهودية وقائد منظمة الهاغانا ، أن تقوم قواته بالاشتراك مع عصابة الارغون وعصابة شتيرن بعملية تخريبية ضخمة ، وصفها (بالحدث الفرد الخطير) ، تحظى باكبر دعابة ممكنة ، وتكون بمثابة « تحذير للبريطانيين ، وإشارة الى احتمال وقوع أحداث أكثر خطورة تهدد سلامة جميع المصالح البريطانية في البلاد » . وكان من بين هذه المصالح مابدأته السلطات البريطانية في فلسطين من تنفيذ المخطط الموضوع لاستخدام فلسطين كقاعدة عسكرية رئيسية بدلاً من مصر ، وبأشرت فعلاً ببناء المعسكرات في بعض الاماكن . وكان أقطاب الوكالة اليهودية وايزمن وبن غوريون وموشيه شرتوك في لندن آنذاك يواصلون مفاوضاتهم اللامحددة مع الحكومة البريطانية ، حين أرسل قائد الهاغانا سنيه برقية تحمل اقتراحه الى مكتب الوكالة اليهودية في لندن . وتمكنت أجهزة المخابرات البريطانية من التقاط البرقية وحل رموزها ، وكانت واحدة في سلسلة برفيات ضبطتها السلطات

البريطانية وضممتها كتابها الابيض عن حوادث الارهاب ، وأكدت بموجبها تواطؤ الوكالة اليهودية مع الارهابيين (١) .

وقد تم وصول هذه المعلومات الى الحكومة البريطانية في الوقت الذي كانت تجري خلاله مفاوضات الزعماء الصهاينة معها ، ولذا فقد اشتدت معارضة ارنت بيغن وزير الخارجية للمطالب الصهيونية . وانعكس ذلك عندما جرت مقابلة بينه وبين وايزمن (ه تشرين الاول) الذي طلب بحث أمر العدد القليل من شهادات الهجرة التي أُصدرت ، فرفضها الصهاينة استهانة واستكباراً ، وآثروا أن لا يقبلوا شيئاً يقصر عن مطالبهم الكاملة . وقد شعر بيغن بهذا التحدي ، فبادر وايزمن بقوله : « ما الذي تعنونه برفض شهادات الهجرة التي نص عليها الكتاب الابيض ؟ أتحاولون إرغامني على قبول رأيكم ، لئن أردتم قتالاً فليكن ! » (٢) .

ويبدو أن الصهاينة كانوا في الواقع يتوقعون أن تحقق حكومة العمال مطامعهم ، ولذا فان اضطلاع العمال بالمسؤولية ونظرة حكومتهم إلى الشرق الأوسط ككل ، ومحاولة مراعاة مصالح غير اليهود في فلسطين ، قد أورث بيغن الذي كان مسؤولاً عن سياسة بلاده

(١) زعمت الوكالة اليهودية أن هذه البرقية وغيرها قد زيفت ، ولكنها لم توصل هذا الزعم . ومناحيم بيغن قائد الأרגون يؤكد صحة البرقيات في كتابه (الثورة) بقوله : « وقد وصلت هذه البرقيات بطريقة غامضة الى ايدي الاستخبارات البريطانية التي استطاع عملاؤها أن يفكوا رموزها . ونشرتها الحكومة البريطانية في (كتاب ابيض) خامس . وارى من واجبي أن أقر بأن هذا (الكتاب الابيض) بالذات حول (العنف في فلسطين) كان إحدى الوثائق البريطانية القليلة التي قرأتها عن فلسطين ، والتي لم يكن فيها أي تشويه » .

Begin, M. • the Revolt , the Story of the Irgun • London, 1951 p. 185

Weizmann, op. cit., p. 541

(٢)

في فلسطين ، سخطوايزمن والصهاينة القاسي . وكان يفن قد تقابل مع المبعوثين الدبلوماسيين البريطانيين في الشرق الأوسط ، قبل مقابلته لوايزمن ثم لعزام أمين الجامعة العربية . ولعل موقف يفن ، ومبادرته وايزمن بالتحدي - لو صحت رواية وايزمن لها - يُفسر برّد فعله تجاه برقية سنه التي توضح أن واحداً على الأقل من تنفيذية الوكالة اليهودية كان مستعداً لاستخدام العنف والارهاب وسيلة لقسر الحكومة البريطانية . وقد جرت بعض الأحداث في شهر تشرين الاول فعززت هذه الفكرة بشكل حاسم ، واعتقدت الحكومة البريطانية عموماً ، أن الزعامة الصهيونية المتمثلة بالوكالة اليهودية كلها واتباعها ، متواطئة مع الحركات الارهابية بموجب مخطط إرهابي يرتكز على التعاون التام بينها .

ومن الثابت أن الإرهاب الصهيوني الذي بدا بشكل متقطع أثناء الحرب ، قد اتسع بعد نهاية الحرب ، وأصبح أكثر ربطاً بالقيادة الصهيونية ، بينما أقرت الجماعة اليهودية في فلسطين مع القيادات الصهيونية ، أن الهجرة غير الشرعية تشكل حجر الرمح في سياستها الحاضرة . ذلك ان البرنامج الصهيوني التفت فيما بعد الحرب إلى دعم الهجرة اللاشرعية وإلى دعم نشاطه الارهابي الضاغظ على دولة الانتداب .

أما النشاط الارهابي الصهيوني فقد أظهر بعد نهاية الحرب درجة عالية من الدقة والتنظيم ، وفي الوقت نفسه كان منسقاً مع القيادات الصهيونية . نلمس ذلك بوضوح من خلال البرهان الذي أورده الكتاب الأبيض البريطاني حول أعمال العنف ، الذي أصدرته الحكومة البريطانية - وزارة المستعمرات تحت رقم ٦٨٧٣ وتاريخ ١٩٤٦^(١) . وستنخذة أساساً لوصف بعض حوادث الارهاب الصهيوني .

(١) Palestine, Statement of Information Relating to Acts of

Violence (Cmd. 6873, July 1946)

وهذا الكتاب معروف باسم White Paper on Terrorism

وقد مر بنا كيف أن الوكالة اليهودية بعد اغتيال اللورد موين تظاهرت ببذل أفضل مساعيها لتسليم زمرة الارهابيين الى السلطة ، وكان دافعها الحشية على هدف الصيانة المشترك في إقامة دولة يهودية ، أن تحيله أعمال الارهاب الى ضرب من المحال ، أو أن تبعده عن متناول الصهيونية بعد أن أصبح قاب قوسين منها . وقد خطب بن غوريون في مؤتمر لهستدروت في تل ابيب بعد حادث الاغتيال فقال : « إما عصابات إرهابية وإما يهودية منظمة » . ووضع خطة^(١) لتقويم « انحراف المراهقين الارهابيين ، وإنهاء عبثهم واستهترهم بصير الصهيونية الحرج . ولكن بعد سنة واحدة باتت الدبلوماسية الصهيونية بحاجة لضغط مادي يدعمها في مهام تحقيق هدف الدولة اليهودية ، ولم يكن هناك أفضل من الارهاب وسيلة لذلك الضغط ، خاصة وأن في وسع الوكالة اليهودية في الوقت الذي تنسق جهودها مع الارهابيين ، أن تتصل من كل ما يربطها بهم أمام الحكومة والناس ، ولها في ما ظهر من تعاونها السابق مع الحكومة ضد م خير شاهد على حسن نواياها . واجتمع ممثلو المنظمات الارهابية الثلاث : الهاغانا والارغون وشتيرن ، وتوصلوا إلى الاتفاق على تنسيق الأعمال على أن يحتفظ كل فريق بكيانه الخاص ، فتوحدت بذلك العمليات الحربية - ما عدا عمليات السطو - تحت إمرة قيادة ماسمي بـ (حركة المقاومة اليهودية) ولا يتم تنفيذ الخطط المقترحة الا بموافقتها .

في ٤ تشرين الاول دعا زعماء الوكالة اليهودية إلى إضراب اليهود نصف يوم ، احتجاجاً

(١) تلخص الخطة في اربع نقاط :

- ١ - طرد كل من له علاقة مباشرة او غير مباشرة من عمله .
- ٢ - حرمان الارهابيين من اللجوء والاحتاء .
- ٣ - اهمال تهديداتهم .
- ٤ - التعاون مع السلطات الحكومية لتعقبهم .

Begin, op. cit, pp. 146-7

فلسطين م ٤٢ (١٩٦٨)

على الاستمرار في سياسة الكتاب الابيض . وفي اليوم نفسه باشر راديو (كول ازرايل - صوت اسرائيل) اذاعته السرية بعد صمت دام منذ حزيران ١٩٤٠ . وفي ١٠ تشرين اول اغارت (بالملاح) وهي الجناح الضارب التابع للهاغانا على معسكر عتليت جنوب حيفا، ونجحت في اطلاق سراح ٢٠٨ من المهاجرين اليهود غير الشرعيين ، اختفوا في المستعمرات اليهودية حيث زودوا بتذاكر هوية مزورة ، وقد كتمت امرأة مسيحية في المعسكر فماتت اختناقاً^(١).

ووقع (الحادث الفرد الخطير) في ٣١ تشرين الاول حين « قامت بالملاح هجوم واسع النطاق على شبكة السكك الحديدية الفلسطينية . وقد نف الحط في ١٥٣ موضعاً فخرّب تماماً ، وثمة متفجرات أخرى لم تنفجر . ونفت ثلاثة قوارب كانت شرطة السواحل تستخدمها لمطاردة المهاجرين غير الشرعيين ، اثنان في حيفا وواحد في يافا . وفي الليلة ذاتها هاجمت الارغون ترفاي لثومي محطة حديد اللد وساحتها فخربت ثلاثة قطارات وخرج إشارة وسببت احتراق حظيرة للآليات . وجرت عدة حوادث منها مقتل جندي بريطاني . وقامت عصاة شتيرن في الليلة نفسها بمحاولة أخرى لنسف مصفاة النفط في حيفا^(٢) وقتل خلال هجومها رجل . وقد خطط لهذا الحادث بعناية وذلك كجزء من سياسة مدروسة ، « قصد منه أن يكون تحذيراً للحكومة صاحب الجلالة من العواقب التي ستقع إذا لم تستجب لرغبات (اليشوف) » . ولم تكن الهيئة التنفيذية في الوكالة اليهودية مستعدة لانتظار تصريح حول سياسة الحكومة ، ولكنها قررت أن تقوم (بالحادث الفرد الخطير) لتؤثر على تلك السياسة . ويمكن استجلاء هذه الحقائق بوضوح من البرقيات التالية : برقية رقم ١ - الى لندن من سنيه في القدس - ٢٣ ايلول ١٩٤٥ ، وقد ألعنا إليها آنفاً ، وهي تطلب من

Survey of Palestine, op. cit., p. 81

(١)

Cmd, ibid

(٢)

زعماء الوكالة اليهودية الموجودين في لندن آتذ : « أبرقوا برأيكم بالإشارة السابقة ، ولكن أشيروا الى الاحصاء حول الهجرة خلال سني الحرب . وافقت فرقة شتيرن على الانضمام إلينا كلياً على أساس برنامجها الارهابي . تبدو النية هذه الموجهة جدية . فاذا تم مثل هذا الاتحاد ، جاز لنا أن نعتقد بأننا نستطيع منع الاعمال المنفردة حتى من جهة الأرغون . أبرقوا برأيكم حول مسألة الاتحاد مشيرين الى الاحصاء حول التجنيد اليهودي في الجيش (١) » .

وقد أثبتت هذه الوثيقة تواطؤ تنفيذية الوكالة اليهودية الوثيق مع المنظمات الارهابية التي كانت الوكالة تبرأ دائماً من أوجه نشاطها ، وتعلن أنها عاجزة عن منعه . ويبدو غير متيسر معرفة الوقت الذي بدأ فيه هذا التواطؤ ، غير أن استخدام الوكالة اليهودية لعبارة (هذه المرة) يكشف أن الأمر ليس بجديد . وعلى الرغم من أن وايزمن كان يعلن معارضته للارهاب اليهودي ، ولكن لدى الباحث سبباً في أن يلقي الشبهات على موقفه الحقيقي من هذه المسألة ، في ضوء الدليل القاطع الذي يشير الى اندماج وايزمن وموافقته على حوادث ٣١ تشرين الاول ؛ ويمكن أن نرى كيف وافقت تنفيذية الوكالة اليهودية ، ووايزمن جزء منها ، على القيام بالحوادث المذكورة من البرقيات التالية : برقية رقم ٢ - الى لندن من برنارد جوزيف في القدس - ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٥

« يقول اليعازر كابلان معتمداً على كلمة حايم بوساطة N W B W أنه لا يجوز أن نعمل شيئاً قبل أن نشيروا علينا . إنه ضد أي عمل حقيقي نقوم به قبل أن نسمع منكم . غير أن بقية الأعضاء يرون ضرورة في دعم جهدكم السياسي بنشاط يحمل طابع صدام عام . من الضروري أن نعلم حالاً إن كانت هذه الاعمال مفيدة أو ضارة بجهودكم . إن عارضتم

أي عمل مها كان ، فأبرقوا أن علينا أن ننتظر وصول W.L.S.L.V . إذا وافقم على عمل معزول فأبرقوا أنكم توافقون على إرسال وفد الى مناطق النفوذ . اذا أراد منا حاييم أن نتجنب صداماً عاماً لا حوادث معزولة فأرسلوا تحياتكم الى تشل Chill ميلاد طفلة ،^(١) .

برقية رقم ٣ - من موشه شرتوك (أصبح شاريت) في لندن إلى برنارد جوزيف في القدس - ١٢ تشرين الاول ١٩٤٥ ، لن يسافر دافيد قبل اسبوعين ، ربما خلالها زار باريس .. دافيد يؤيد وفد مناطق النفوذ . أرجو أن تهنئوا تشل ميلاد طفلة .
التوقيع : شرتوك^(٢)

وقد استعانت الوكالة اليهودية بما تسميه (المنظمات المنشقة) للقيام بعمليات ٣١ تشرين الاول - ١ تشرين الثاني بدليل البرقية رقم ٥ - الى لندن من القدس - ١ تشرين الثاني ١٩٤٥ :

« توصلنا الى ترتيبات للعمل مع المنظمات المنشقة ، سنعهد اليهم بموجبها ببعض المهام تحت قيادتنا . سيعملون حسب خطتنا فقط . ويجتد سنيه وشاول مايروف وكني وبرنارد جوزيف مثل هذا الاتفاق . ولكنه لم ينفذ لأن الحزب يؤخره . بعضهم يعارض أي نوع من النشاط أو أي اتفاق مع المنشقين . أبناء العمليات كما يلي : (بورد حوادث سف قوارب مطاردة المهاجرين وسف السكة الحديدية ومهاجمة محطة اللد ، ومصفاة حيفا)

(١) ملاحظة : برنارد جوزيف هو مستشار قانوني للوكالة اليهودية وعضو في هيئتها التنفيذية، يعمل في غياب شرتوك كرئيس للدائرة السياسية . اليغازر كابلان هو رئيس الدائرة المالية في الوكالة وعضو في هيئتها التنفيذية - نفس المصدر السابق Cmd. 6873

(٢) ملاحظة : موشه شرتوك هو رئيس الدائرة السياسية في الوكالة وعضو في الهيئة التنفيذية. بالإشارة الى البرقية رقم (٢) نجد ان المقصود بالعبارتين (وفد مناطق النفوذ) و (تحيات الى تشل) ان هناك رغبة في اعمال معزولة وتجذب صدام عام - نفس المصدر السابق Cmd. 6873

أعلمنا المنشقون من قبل بهذا . ولم نعارض موضوع اللد ، ولكننا عارضنا مهمة المصفاة ..
تركت هذه الأعمال أثراً كبيراً في البلاد . أسقط في يد السلطات وفرضت منع التجول
ليلاً ، ينتظرون التعليقات من لندن . نتوقع هجوماً عاماً على الهاغانا ، اتخذنا اجراءات
الأمن الضرورية ومستعدون للتضحيات « ..

وقد أذيعت هذه العمليات الارهابية من محطة (صوت اسرائيل) غير الشرعية ،
وهو صوت الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية ، الذي مضى بقول متباهياً : « ان ليالي البطولة
منذ ليلة عتليت هي تعبير عن قوتنا وتصميمنا » ، كما أعلنت نشرة شتيرن السرية (همأس)
Hamaas عن حوادث أول تشرين الثاني : « للمرة الاولى كان الهجوم منسقاً
ومركزاً » (١) .

قلنا إن البرنامج الصهيوني في فترة ما بعد الحرب كان معنياً بالارهاب كوسيلة للضغط
على الحكومة البريطانية والبرهنة على القوة التي يمتلكها الصهاينة ، وكان معنياً أيضاً بدعم
الهجرة غير الشرعية على السواء ، والبرهنة على أن مشكلة الهجرة قد تعقدت بتدفق سيول
اللاجئين الذين يُدفعون بشتى الوسائل على ترك شرق اوربا (الاسلامية) بقصد الوصول
الى فلسطين (ذات أنهار اللبن والعسل) ، ثم يتزاحمون في وسط اوربا وجنوبها بلا مأوى
مع إحداث الضجيج اللازم وتكرار القصة المملولة نفسها للاضطهاد ، انتظاراً لفتح أبواب
فلسطين الموصدة في وجوههم . وكان إقحام المسألة الانسانية الناجمة عن مشكلة اللاجئين
اليهود في صميم الاستراتيجية الصهيونية ، بشكل أضمن وسيلة انفضي الى خلق دولة يهودية
على ما ذكرنا . فقد وجد الصهاينة أن مشكلة اللاجئين اليهود يجب أن لا تعالج في نطاق
الكتاب الابيض ، لأن العدد المحدد فيه قد استنفد الآن ؛ وبما أن بريطانيا رفضت اقتراح
ترومان بإدخال المائة الف ، لذا فقد صمم الصهاينة على مقاومة الاحتفاظ بالكتاب الابيض

Cmd. 6873, ibid.

(١)

ولو اضطروا الى استعمال القوة . وهذا الموضوع طرقة وايزمن أمام اللجنة البرلمانية البريطانية المؤيدة للصهيونية في ٩ تشرين الثاني . وأبلغ من ذلك ما تفوه به الزعماء الصهاينة الامريكيون ، فقد صرح سلفر : « ان يهود فلسطين لن يبقوا هادئين ويرقبوا تدمير اليهود النهائي ، بعد تحرير بقايا إخوانهم في اوربا » . وقد خطب رئيس المنظمة الصهيونية الامريكية في مظاهرة ضخمة نظمت في نيويورك وقال : « إننا نرفض الاعتراف بعدم قانونية أي مهاجر يهودي يدخل فلسطين دونما ترخيص . إن الأمر غير الشرعي (ليس هو المهاجر اليهودي) وإنما هو اليد والحكومة التي تحاول صدّ اليهودي عن الوطن القومي اليهودي »^(١) . هذا في بريطانيا والولايات المتحدة . وفي فلسطين تبدد التفاؤل بحكومة العمال ، وعقدت جلسة طارئة للزعماء اليهود في القدس (٢٧ ايلول) وأصدروا بعدها نداء أعلنوا فيه « أن وضع الهجرة بعد انتهاء الحرب هو بمثابة قتل لليهود الذين تحرروا من معسكرات النازي ، وأن الهجرة اليهودية سوف تتدقق بكل الوسائل ، وان الكتاب العبري للكتب (التوراة) بقونه الحالدة ، سوف يدمر الكتاب الابيض .. إن الدولة اليهودية سوف تقوم » . وقد رأت الوكالة اليهودية أن تدعم قولها بالفعل ، وتنفذ تهديدها ، بتنظيم ورعاية الهجرة الجماعية اليهودية غير الشرعية ، ونصحت محطة الهاغانا السرية (صوت اسرائيل) البريطانيين « أن لا يجذعوا أنفسهم بأنه سيؤود السلام هنا (في فلسطين) إذا حددت الهجرة اليهودية »^(٢) .

ولا يجب على الباحث ان ينتظر بيان ارنتست يفن حول سياسة بريطانيا بصدفلسطين (١٣ تشرين الثاني) ، ومنها أن الهجرة الى فلسطين ستحدد بـ ١٥٠٠ شهرياً ، ليشرع في الحديث عن الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين ؛ ذلك أن هذه الهجرة كانت مستمرة

cited in Hurewitz, op. cit., p. 232

(١)

ibid. p. 233

(٢)

طوال الوقت منذ بداية الانتداب البريطاني ؛ وتفاقت في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكنها بلغت درجة عالية من التنظيم والتطوير في ما بعد الحرب بحيث ظهرت أساليب الهجرة غير الشرعية التي شهدتها فلسطين ما قبل الحرب ، متخلفة وغير ملائمة . لقد كانت الاستراتيجية الصهيونية تعالج هذا الموضوع بكثير من العناية والحدق القائمين على التخطيط والدراسة . وكانت الدعاية الصهيونية تلح دائماً على القول بأن تدفق اليهود من شرقي أوروبا الى وسطها وجنوبها انتظاراً لترحيلهم الى فلسطين ، هو أمر عفوي تلقائي ، بينما يثبت البحث الجاد أن وراءه تخطيطاً سرياً بارعاً ، يستند الى العملاء الصهاينة الذين لم يعملوا على تشجيع هذه الهجرة فحسب ، وإنما عملوا على تسهيلها ورعايتها بكل وسيلة ممكنة . ويكشف تقرير لاستخبارات الجيش الامريكى الثالث عن وجود منظمة صهيونية سرية ، في فترة ما بعد الحرب مباشرة ، تقوم بتهرب (١٠٠٠) يهودي اسوعياً الى منطقة الاحتلال الامريكى ^(١) ؛ يجري ذلك بموافقة السلطات الامريكية المسؤولة كما شرحنا من قبل . وحينئذ يتم أعضاء هذه المنظمة بنقل هؤلاء المهاجرين والبائسين المضلّين عبر مسالك خاصة للنقل ، حتى يتم ترحيلهم الى فلسطين بواسطة سفن بيتاعونها أو يتأجرونها لهذا الغرض . وكان الجانب الاكبر من الاعتمادات السخية التي أنفق منها على هذه العمليات يأتي من المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة . وقد صرحت الحكومة البريطانية في هذا الصدد بأن الأغذية والملابس والمواد الطبية ومعدات النقل وغير ذلك مما تعدّه وكالة الامم المتحدة لاغاثة وإسكان اللاجئين ، وغيرها من هيئات الاسعاف في أوروبا ، كانت كلها تحولّ من الوجه الأصلي الذي خصصت له الى هذا الطريق السري الى فلسطين ^(٢) .

ويبدو أن جهود الصهاينة قد نجحت في اجتذاب المنظمة الامريكية - اليهودية الخيرية

Lenzowski, op. cit., p. 276-77 footnote (١)

Kirk. • A Short History of the Middle East • p. 216 (٢)

المشهورة باسم (لجنة التوزيع المشتركة) ، وكانت هذه اللجنة تتظاهر دائماً بالحرص على التزام القانون الدولي . ومجددنا مؤيد للصهيونية أن مديري اللجنة قد تعرضوا للانهايات الصهيونية بأنهم حافظوا على موقفهم القانوني في عصر لم تعد فيه سلطة للقانون ، وأنهم بموقفهم هذا يتخاذلون عن نصره اخوانهم . وراح هؤلاء المديرون يتحدون للمرة الاولى في تاريخ جنحتهم قوانين فلسطين ، مبررين عملهم هذا ، بما يبدو في هذه القوانين من ظلم - بحسب وجهة نظر اليهود . وأخذوا يلقون بوزنهم الثقيل في مساعدة الصهيونية في تهريب اليهود من اوربا الوسطى .. (١)

كذلك وجدت الصهيونية حليفاً آخر عضد مساعيا في الهجرة غير الشرعية ، وهو يتمثل في نفر كبير من الفرنسيين الذين يشغلون مناصب عالية في حكومة بلادهم ، وقد بذلوا العون للصهانية لإزعاج بريطانيا والتشفي منها بسبب جهودها الرامية الى طردهم من سورية ولبنان . ويعتقد أن نحواً من ثمانية آلاف مهاجر يهودي هربوا عن طريق الفيلق اليهودي في غضون سبعة أسابيع في صيف عام ١٩٤٥ (٢) .

قلنا إن الصهانية دائماً كانوا يعلنون أن هجرة اليهود الاوربيين الى فلسطين كانت تجري بصورة ذاتية عفوية غير مستندة الى تخطيط وتنظيم . ولكن عدداً من الدلائل يثبت بطلان هذا الزعم . وأول هذه الدلائل هو ما أشرنا إليه غير مرة في سياق بحثنا ، من مقاطعة الصهانية وعدم تشجيعهم بل ومقاومتهم لاعادة إسكان اللاجئين اليهود في « الشتات » ، خشية أن تفضل غالبية اللاجئين ملاجيء أخرى في (الشتات - المنفى) على استيطان فلسطين . ودليل ثان هو أن معظم اللاجئين الذين يختارهم الصهانية لترحيلهم الى فلسطين كانوا فتياناً وفتيات ورجالاً في أوج الصحة والقوة ، ليكونوا قادرين على مواجهة ما يعترض بناء الدولة

Sykes, op. cit., p. 336

(١)

ibid,

(٢)

اليهودية ، وهذا برهان آخر على أن متطلبات الصهيونية السياسية قدمت على النواحي الانسانية ، برغم أن هذه النواحي بالذات هي التي تذرعت بها الصهيونية أمام العالم . ودليل ثالث هو انزعاج الصهاينة من كشف الجنرال مورغان عن تقرير الجيش الثالث الامريكى حول التنظيم الصهيوني السري ، كما ذكرنا من قبل ، وما تلا من اتهامهم إياه بالاسامية وطرده من لجنة إغاثة اللاجئين وإسكانهم . ويكشف هذا الحلق الذي صبّه الصهاينة على مورغان والضجة الكبرى التي أثاروها ضده في الصحف والاذاعة والتلفزيون ، عن اهتمام الصهيونية الحظير بدفن تقريره ، وإخماد الضوء الكاشف الذي سلطه على المخططات الصهيونية اللاإنسانية للهجرة ودوافعها . بينما كانت الصهيونية تخدع الرأي العام في اوربا الغربية وأمريكا وتحشد قواه ضد (لا إنسانية ولا شرعية) القيود البريطانية على الهجرة في الكتاب الابيض ، بإعطائه صورة تختلف تماماً عن الصورة والكيفية التي تعمل بها . ودليل رابع على أن الهجرة اليهودية الى فلسطين كانت ظاهرة غير عفوية ولا تلقائية كلية ، هو أنه بمجرد معارضة السلطات البريطانية لتدفق سيول اللاجئين غير الشرعيين ، هرع الصهاينة في بريطانيا لبدء حملة تبرعات لجمع ١٠٠ الف جنيه استرليني لتسهيل مرور اليهود الى فلسطين^(١) ، وكذلك جرى مثل ذلك في الولايات المتحدة على نطاق أوسع كما سنرى في موضعه . والهدف من إصرار الصهيونية على نجح الهجرة المذكورة هو الاعداد سريعاً لصنع دولة يهودية وشيكة القيام ، بموجب مبدأ الأمر الواقع ، وتشكيل غالبية سكان فلسطين . ولكن حكومة العمال التي بدت سياستها في فلسطين متحفظة ومقتصدة في الدعم للصهيونية ، وغير متعجلة في ايصالها الى ما تفهمه من مقصد وعد بلفور ، كان لا بد لها أن تصطدم بالحلطة الصهيونية التي ألحت على تصعيد الارهاب اليهودي وتشجيع الهجرة غير الشرعية ، وأمعنت في تحدي السلطات البريطانية في فلسطين . وقد توقعت الحكومة البريطانية ذلك ،

Kirk, A Short History., op. cit., p. 216

(١)

فأرسلت امدادات عسكرية الى فلسطين، منها فرقة المظليين السادسة التي برزت في غزو اوربا الغربية ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، ودعمت قوى الأمن والجيش ، وشرعت قوات الاسطول والطيران تقوم بأعمال الاستطلاع لكشف حركات التنسل ، ولقطع الطريق على السفن التي تحمل المهاجرين اليهود غير الشرعيين^(١) . وفي ٥ تشرين الثاني استقال اللورد غورت المندوب السامي لأسباب صحية ، وأعقبه الجنرال السير آلان كينغهام في ١٢ تشرين الثاني^(٢) ، ثم أعلن بيفن في اليوم التالي (١٣ تشرين الثاني) في مجلس العموم البريطاني بيانه المرتقب عن سياسة حكومته في فلسطين ، وأهم ما تضمنه الاتفاق على تشكيل لجنة تحقيق انكلو امريكية مشتركة لتقصي وضع اليهود في الدول الاوربية التي كانوا فيها عرضة للاضطهاد النازي .. مع الوقوف على حقيقة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، من حيث تأثيرها في موضوع هجرة اليهود اليها واستيطانهم فيها ، ومراعاة مصلحة الأهلين المقيمين فيها الآن .

تحليل بيان بيفن (١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥) :

يلخص البيان فيما يلي :

- ١ - المشكلة اليهودية مشكلة انسانية ، ولا يسعنا ان نقبل النظرية القائلة بوجود إجلاء اليهود عن اوربا ، وعدم السماح لهم بالعيش ثانية في تلك البلدان دون ما تمييز ، وتمكينهم من المساهمة بما يملكونه من قدرة ومواهب في سبيل استعادة رفاة اوربا وازدهارها.
- ٢ - فلسطين ليس بوسعها ان نهيء الفرصة الوافية لمواجهة المشكلة اليهودية بكاملها . والحكومة البريطانية شديدة الرغبة في استجلاء جميع امکانات المؤدية إلى تهيئة فرصة مواتية لليهود يستطيعون معها النهوض والانتعاش .

Kirk, The Middle East 1915-50, op. cit., p. 197 (١)

Survey of Palestine, op cit, p. 82 (٢)

٣ - الحكومة البريطانية تضطلع بالتزام مزدوج ازاء اليهود من ناحية وازاء العرب من ناحية أخرى . وقد بذلت كل جهد للتوصل إلى تدبير يتمكن العرب واليهود معه من العيش معاً بسلام ووثام . ولكن جميع هذه الجهود باءت بالفشل . وتاريخ فلسطين منذ الانتداب ، حافل بالاختلاف المتواصل بين العنصرين ، وقد انتهى هذا الاختلاف بين فترة وأخرى باضطرابات خطيرة .

٤ - منذ أن مُعمل بالانتداب استحاله إيجاد أسس مشتركة للتفاهم بين العرب واليهود ، لصعوبة التوفيق بين الفروق القائمة بينها من ناحية الدين واللغة ، والمناحي الثقافية والاجتماعية ، وطرق التفكير والسلوك . ومن ناحية أخرى فإن كلا الشعبين يدعي بفلسطين ؛ أحدهما يبني دعواه على احتلالها حقبة من الزمن تبلغ ١٠٠٠ عام ، بينما يستند الآخر في دعواه إلى صلات تاريخية ، مقرونة بتعهد لتأسيس وطن يهودي أعطي في الحرب العالمية الأولى . والواجب هو إيجاد وسيلة للتوفيق بين وجوه هذا التباين (كذا !) .

٥ - لقد تجاوزت أصداء هذا النزاع خارج حدود فلسطين ؛ فالقضية الصهيونية أنصار أقبواه في الولايات المتحدة ، وفي بريطانيا ، وفي الممتلكات المستقلة (الدومينيون) وغيرها . وقد راع العالم المتمدن ما تعرض له يهود أوروبا من اضطهاد . ومن جهة أخرى نجد أن قضية عرب فلسطين قد احتضنها العالم العربي بأسره ، ومثار اهتمام ٩٠ مليوناً من مسلمي الهند . فاعتبارات العدل والانصاف والانسانية ليست الاعتبارات الوحيدة التي تكتنف الاستقصاء عن حل لهذه المشكلة ، بل ان مثل هذا الاستقصاء ينطوي أيضاً على اعتبارات الوثام الدولي والسلام العالمي .

٦ - وقد ارتبطت جميع الأحزاب بالتزاماتها في معالجتها قضية فلسطين ؛ فهناك التزامات فرضها صك الانتداب نفسه ، مضافاً إليها التصريحات السياسية العديدة التي صدرت عن حكومة جلالاته خلال الخمس والعشرين سنة الماضية . ثم ان حكومة الولايات المتحدة

ذاتها قد تعهدت بأن لا يتخذ قرار من شأنه ، في رأيها ، ان يؤثر في الحالة الأساسية بفلسطين ، إلا بعد التشاور التام مع العرب واليهود . وبعد ان نظرت حكومة جلالاته في الحالة من جميع نواحيها ، وفيما أثارته من هذا الاهتمام العالمي الذي يمس كلا من العرب واليهود ، قرر رأيها أن تدعو حكومة الولايات المتحدة للتعاون معها في تشكيل لجنة تحقيق انكليزية - امريكية مشتركة ، تكون الرئاسة فيها دورية ^(١) ، لبحث مسألة يهود أوروبا ، والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين على ضوء ذلك البحث .

٧ - قبلت حكومة الولايات المتحدة هذه الدعوة واتفقت مع بريطانيا على أن تكون شروط اختصاص لجنة التحقيق هذه هي :

١ - فحص الأحوال السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، بفلسطين بالنسبة لتأثيرها في مشكلة هجرة اليهود إليها واستيطانها ، وفي رفاهية الأهالي المقيمين فيها الآن .

٢ - فحص حالة اليهود في الأقطار الأوروبية حيث كانوا ضحية الاضطهاد النازي والفاشي ، والتدابير العملية التي اتخذت ، أو التي بنوى اتخاذها في تلك الاقطار ، لتمكينهم من العيش في نجوة من التمييز والعنف ، وتقدير عدد أولئك الذين يودون ، أو الذين تضطروهم أحوالهم ، أن يهاجروا الى فلسطين أو الى بلدان أخرى خارج أوروبا .

٣ - سماع آراء شهود من ذوي اللياقة ، والاستنارة بآراء ممثلي العرب واليهود بشأن مشاكل فلسطين ، بالنسبة لما تتأثر فيه تلك المشاكل بالأحوال التي يشملها التحقيق بمقتضى

(١) وافق وزير الخارجية الامريكية بيرنز في كتابه الى إيرل هاليفاكس السفير البريطاني في واشنطن بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٤٥ ، على تكون اللجنة مؤلفة من ستة امريكيين وستة بريطانيين وسيعملون تحت رئاسة دورية ، مع توصية اللجنة بالاسراع في بحثها لتضع تقريرها في مدى ١٢٠ يوماً منذ بدء التحقيق .

(عن الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المجموعة الاولى ص ٣٦٠ .)

البندين (١) (٢) أعلاه وبغيرها من الأمور الواقعية والظروف التي لها صلة بالموضوع ،
وتقديم التواصي الى حكومة جلالة وحكومة الولايات المتحدة لمعالجة هذه المشاكل معالجة
موقنة وإيجاد حل دائم لها .

٤ - تقديم أية نواص أخرى لحكومة جلالة وحكومة الولايات المتحدة ، قد تكون
ضرورية لتلافي الاحتياجات العاجلة الناجمة عن الأحوال المشار إليها ، أو تسهيل الهجرة إلى
بلاد خارج أوروبا واستيطانها .

٨ - لا يمكن بريطانيا أن تتخلى عن الواجبات والالتزامات المترتبة عليها بمقتضى صك
الانتداب مادام الانتداب قائماً . وهي تنوي وفقاً لتعهداتها ان تعالج المشكلة على ثلاث مراحل :

١ - سنستشير العرب بغية وضع ترتيب يؤمن عدم تعطيل الهجرة اليهودية حسب المعدل
الشهري الحالي ، ربمّا تقدم لجنة التحقيق نواصيها المؤقتة في هذا الشأن .

٢ - وبعد النظر في التواصي المؤقتة التي ستقدم بها لجنة التحقيق ، سنستقضي مع الفرقاء
ذوي الشأن ، إمكان استنباط ترتيبات مؤقتة أخرى لمعالجة مشكلة فلسطين ، إلى أن
يتسنى الوصول الى حل دائم لها .

٣ - ستعدّ حلاً دائماً لعرضه على الأمم المتحدة ، وسيكون هذا الحل متفقاً عليه
ما أمكن .

وأخيراً فقد ذكر بيفن في بيانه أن حكومته ترغب في أن توضح بجلاء ان مشكلة
فلسطين ليست من المشاكل التي يمكن حلها عن طريق القوة ، وان كل محاولة يقوم بها أي
فريق لحلها على هذا الوجه ستعالج بالحزم ^(١) .

(١) عن نص البيان الاصيلي رقم ٩ لسنة ١٩٤٥ المطبوع في مطبعة حكومة الانتداب في فلسطين
باللغات العربية والانكليزية والعبرية .

وفي مؤتمر صحفي عقده ييفن مع المراسلين الامريكين في أعقاب بيانه ، أذاع تصريحاً يشرح فيه سياسة حكومته في موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ويذكر من باب المداعبة ، أن اليهودي البريطاني الذي لا يصل الى رأس صفوف اليهود الواقعين على أرصفة الموانئ للهجرة الى فلسطين ، لن تصيبه اللعنة في بريطانيا^(١) ! ويخلص تصريح ييفن فيما يلي :

١ - تصبح فلسطين دولة تحت وصاية الأمم المتحدة ، وفي الوقت المناسب يكون لها حكومة ذاتية فلسطينية لا حكومة يهودية .

٢ - سوف تحافظ بريطانيا على الحصة الشهرية للهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ بعد استفاد حصة الكتاب الابيض .

٣ - يجري التشاور مع العرب الآن بصدد الهجرة اليهودية .

٤ - المشكلة الكبرى هي مشكلة (الاندماج والتمثل) - يجب على العالم أن يتغلب على مقصد عدد من الاجناس ورغبتها في تشكيل أطر قائمة بذاتها .. وجميع الأمم تخشى من تطور العناصر داخل دولها ؛ فاليهود إذن يُبرزون مشكلة صعبة جداً في الواقع .

٥ - ميتر ييفن بين الدولة اليهودية التي قال بصددها « إننا لن نتعهد بإنشائها » ، والوطن القومي اليهودي ، « وهذا - يجب أن ننفذه » .

٦ - « إنني لتواق إلى رؤية يهود أوروبا يتمتعون عن المبالغة في التأكيد على وضعهم العنصري . إن مفتاح البيان الذي ألقيته في مجلس العموم هو أنني راغب في تمسك الحرب العنصرية ، وعلى ذلك فإذا أراد اليهود - مع جميع آلامهم - أن يصلوا بأكثر مما يجب إلى رأس الرتل ، فسيترتب خطر رد فعل لاسامي آخر من جراء ذلك^(٢) » .

(١) اعتبر الصهاينة هذه المداعبة تعريضاً باليهود ، فحملوا على ييفن حملة شعواء من التحريض على كرهه وتشويه سمعته ، وحتى اتمم بالاسامية بكل وضوح .

John & David Kimche • The Secret Roods » London 1955, p. 93

Esco, op. cit., pp. 1192-93

(٢)

وفي رد يفن على الأسئلة الموجهة إليه ، مضى يؤكد : « ارجوكم في هذه الأزمة أن لاتتعبقوا العداوات العنصرية . إن أي شيء يراد إقراره يصبح أصعب ما يمكن حين تضطرم العداوات العنصرية . وصرح بالنسبة لنقطة أخرى: «انني أؤكد للمجلس ان اليهودية بغض النظر عن المنظمة الصهيونية ، التي هي يهودية عموماً ، نواقه للتوصل إلى حل نهائي للمشكلة . إن العرب متفقون معي جيداً ، وأنا أشكرهم على ذلك » (١) . وعندما سئل عن رأيه بالخطط الصهيونية لزيادة موارد فلسطين الطبيعية ، ردّ بأنه «يعتبر هذه الخطط قائمة على ثمانين بالمائة من الدعاية وعشرين بالمائة من الواقع » (٢) .

وناشد يفن في تصريحه يهود العالم ، خارج المنظمة الصهيونية ، بأن يساعدوا على إيجاد حل لموضوع فلسطين ، وأنذر بأن المسألة لا يمكن معالجتها إلا بالمداولة والتوفيق ، وأن اللجوء الى القوة سوف يقابل مجزم . ولكن الوقائع كذبت تصريح يفن ، ليس في « موافقة » العرب على مخطظه فحسب ، وإنما أيضاً في « الحزم » الذي ستقابل به حكومته للارهاب الصهيوني الدائر على أديم فلسطين .

أول ما يلفت النظر في بيان يفن هو صدوره عن الخارجية البريطانية ؛ فبرغم ان فلسطين منذ بداية الادارة الانتدابية أصبحت من مسؤوليات الخارجية البريطانية ، إلا أنه لم يصدر أي بيان عن السياسة البريطانية في فلسطين من جانب وزير الخارجية ، بعد تصريح بلفور المشؤوم .

إن الخارجية البريطانية ، قد صاغت مع الصهيونية التزاماته المزدوجة ، وطفقت ترقب محاولات العبقرية البشرية لتنفيذ العمل المستعيل . وانقضت خمس وعشرون سنة

ibid

(١)

Sykes, op. cit., p. 338

(٢)

من النضال والثورات والدماء واللجان والتقارير قبل أن تقنع وزارة المستعمرات بأن الانتداب ، وبالتالي تجربة وعد بلفور ، لا يمكن العمل بها ، وقد سامت بذلك عصبة الامم والحكومة البريطانية . وعام ١٩٣٩ صدر بيان سياسي ظهر لأول وهلة أنه وضع حداً للهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود ، وللانتداب نفسه . والآن ، وللمرة الثانية بعد وعد بلفور ، تبرز الخارجية البريطانية على المسرح فيدلي بيفن بيانها ، والبيان كسوابقه ، يطمئن ويقلق في وقت واحد ، يأخذ ويعطي ، بشدّة وبخفي . وخطة بيفن كخطة تشرشل وباسفيلد ، ومكدونالد ، هي كالسياسة البريطانية في فلسطين ملتوية تحاول إرضاء الفريقين ، فلا ترضي أحداً .

والانتداب البريطاني جعل جيلاً اعتاده ، للبقاء في فلسطين منذ الصفقة التي عقدها مع الصهاينة عام ١٩١٧ ، على الإبهام الذي أحاط به نفسه . وإن سألت كيف بقي مبهماً ، قلت بتجنّب الصيغ ، بعدم الاستعجال ، بتغليب الجوهر على العرض ، وهذا كله بقدر ومقدار . بمقدار يمنع ولا يطمع . سياسته مع العرب واليهود أن لا يغلق باب الأمل في وجوههم ، فهو معهم دائماً في شدّة وجذب ، يمنح ويمنع . يأمل من العرب أن يقبلوا الوضع الذي قرره لفلسطين ، ويرى أنهم إن فعلوا ذلك كان ذلك أجدى عليهم . وبعد أن تحييز الانتداب فساوى بين حق الغالية الساحقة الصريح ، وبين باطل الأقلية الضئيلة الصريح ، سلك نحو العرب واليهود مسلكاً لم يقطع عليهم الأمل في تسوية وحل . وكان شغله الشاغل إن يجعل العرب يشفقون من بأس اليهود ونفوذهم ، والعكس . هذا ما فعله بعد الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ذات المطالب المحقّة العادلة المشروعة ، وهذا ما يفعله بعد الارهاب الصهيوني ، مع فارق التحييز لليهود ، برغم باطلهم ، واتخاذها الارهاب وسيلة لفتح باب الهجرة اليهودية من جديد .

يراجع بيان وزير الخارجية البريطانية أولاً وضع اليهود تحت النظام النازي والفاشي في

المانيا وغيرها من دول أوروبا ، وبشير الى أن طلبات قدمت لمصلحة الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين . ويفن يعتبر ان المشكلة الأساسية هي مشكلة يهودية عالمية . ويتجاهل أن الصهيونية هي التي أوجدت هذه المشكلة حين واصلت في المانيا ، بعد الحرب العالمية الاولى ، حمل شعارات تعميق كره اليهود بإلقاء تعاليمها على كاهل اليهود غير الصهيونيين ، واتهامهم بالثورة والسيطرة على المانيا وتطعيم الثقافة الالمانية بالثقافة اليهودية . .

وعلى هذه الصورة نجحت الصهيونية في وضع اليهود الالمان لقمة سائغة في فم الحزب الاشتراكي الوطني (النازي) ، وخلق لا سامية انتقلت عدواها حيثما حلّ النفوذ النازي . وعلى الرغم من أن العرب لم يكن لهم دخل في كل ذلك ، فهم يرون ان المسألة كما يجب أن تطرح للبحث هي مسألة ابواء اليهود الذين شردهم الاضطهاد النازي ، ما عدهم ؟ وابن يذهبون ؟ والحكومة البريطانية لا تجيب على هذين السؤالين ، ولا تستكر ابراز الصابنة لتفرد اليهود بالاضطهاد النازي ، مع العلم ان ملايين من البولنديين قد نزل بهم الاضطهاد . بل إن العجز بأكلمهم تقريباً تعرضوا لنقمة النازية وإبادتها فعلاً ، وكان عدم تضخيم مشكلتهم إعلامياً مع البولنديين هو ما جعل مأساتهم منسية ، لا تذكر أمام تهاويل الاضطهادات اليهودية التي تحشد لها الصهيونية خطأً دقيقة تقصد الى جعل ضمير العالم المتمدن يتعامل تحت وطأة ما حلّ باليهود الأوربيين ، بحيث يشعر لا بمسؤوليته عنها فحسب ، بل في وجوب التعويض عن اليهود وانعاشهم ولو على حساب شعب مسلم مظلوم . ان بيان الحكومة البريطانية لا يجيب عن عدد اليهود الذين شردهم الاضطهاد النازي ولا أين يذهبون ، بل يكفي بالقول إنه لا يوافق على نقل جميع يهود أوروبا من بلدانهم ، ويلاحظ في الوقت نفسه ان فلسطين ليس بمقدورها ان تستوعب جميع اللاجئين اليهود ، وتحل المشكلة اليهودية التي خلقها الصابنة انفسهم .

فلسطين م ٤٣ (١٩٦٨)

ولا شك في أن طرح المشكلة اليهودية على اعتبار أنها مشكلة عالمية يجب أن تسهم جميع دول العالم في حلها ، يتفق مع وجهة النظر العربية التي كانت دائماً تبدي استعدادها ، منذ مقابلة الحسين للقائد هوغارث (١٩١٨) ، بأنها مستعدة للمساهمة بقدر طاقتها على استقبال اليهود ضيوفاً لاجئين ، لا غزاة فاتحين .

ثم انتقل بيان ييفن الى الالتزام المزدوج للحكومة البريطانية ووضع اللوم في منشا الاضطرابات المتعاقبة بفلسطين على كاهله ؛ نظراً لعدم توفر أي تعريف للالتزام المزدوج . وبما أن الولايات المتحدة الامريكية قد طلبت أن لا يتخذ أي قرار يؤثر على الحالة الأساسية في فلسطين ، دون مشورة كاملة مع العرب واليهود ، فالحكومة البريطانية قد دعت الحكومة الامريكية للاشتراك في تحقيق جديد . ولعل هذه المشاركة الامريكية هي أبرز ما جاء به بيان ييفن ، وما سوى ذلك من تشكيل لجنة تحقيق ، وتفسير الخطأ السياسية ، والتعليق السفطائي على الالتزام المزدوج ، ليس جديداً على السياسة البريطانية التي تجيد أساليب التسوية والتخدير . إن اشراك الحكومة الامريكية لا شيء إلا لوجود سيطرة صهيونية متنفذة فيها ، أمر لا تقره الحقوق الطبيعية والمبادئ الديمقراطية والشرع الدولي . وهو ليس سوى مناورة بريطانية أخرى يقصد منها التهرب من التزامات بريطانيا تجاه العرب ، وإقحام السياسة الامريكية على موضوع لا يخصها من قريب أو بعيد ، خوفاً من التفرد في حمل المسؤولية .

وفي فلسطين قرأ البيان موظف اداري كبير في الادارة الانتدابية على ممثلي مختلف الأذئاب العربية الذين وجهت الدعوة اليهم للحضور الى ادارة الحكومة لهذا الغرض . كذلك وجه نفس الموظف ، وفي اليوم نفسه ، الدعوة الى ممثلي اليهود . وأخيراً سلّمت نسخ من بيان ييفن الى رؤساء الحكومات العربية التي حضرت مؤتمر لندن (١٩٣٩) ، مع دعوتهم الى ابداء رأيهم في اقتراح استمرار الهجرة بمعدل (١٥٠٠) شهرياً بعد استنفاد

العدد المنصوص عليه في الكتاب الابيض ، وذلك ريثما تقدم اللجنة الانكلو امريكية تقريرها^(١) . وهكذا نقضت الحكومة البريطانية عهدا الذي قطعت على نفسها في الكتاب الابيض بوقف الهجرة نهائياً بعد ٥ سنوات من صدوره .

وقد أحال معظم الحكومات الأمر الى مجلس الجامعة العربية الذي كان منعقداً آنذاك (تشرين الثاني) ، وقد تداول المجلس في التحول الجديد الذي ظهر في بيان يفرن بالنسبة لقضية فلسطين لدراسته والرد عليه ، وقرر ارسال مذكرة باسمه على أن ترسل الحكومات العربية مذكرات بمعناها أيضاً الى الحكومة البريطانية . ونشط رؤساء البعثات الدبلوماسية البريطانية لدى الحكومات العربية لإقناعها بالموافقة على الخطة الجديدة ، حتى لقد عمدوا الى الضرب على وتر السخاء العربي وقالوا إن العالم لا ينتظر من العرب غير ما هو معروف عنهم من كرم ومرورة ، وان الهجرة الجديدة لن تمتد أكثر من أربعة أشهر التي هي مدة التحقيق ، وان قصارى ما سوف يدخل فلسطين هو تسعة آلاف يتيم وامرأة ومريض وشيخ . . . وقد بذل المندوب السامي في فلسطين مثل هذه الجهود مع اللجنة العربية العليا^(٢) . ونشر ردّ الجامعة العربية في ٦ كانون الاول في الصحف المحلية العربية ، وكان نتاج عمل عكف عليه وزراء الخارجية المسؤولون ، فانسم بالمالينة والمرونة والرزانة ، وقد وجهه الأمين العام عزام الى يفرن ، وبما جاء فيه من الثناء والشكر اللذين لا مبرر لهما :

« المجلس يقدر للحكومة البريطانية حرصها على البرّ بتعهداتها . .

المجلس يشعر بالجهود الذي بذلتهموه في تفهم المسألة الفلسطينية (!) .

المجلس يقدر فصلكم المسألة الصهيونية عن المسألة اليهودية ورجبتكم في مساعدة يهود

(١) Survey of Palestine, op. cit , p. 84

(٢) دروزة - المصدر السابق - ٤ : ٤١ .

أوروبا وغيرهم .. الدول العربية ترى في هذا المسعى عملاً انسانياً مشكوراً .. الشيخ .. وجاء في بيان الجامعة أنها بينما تقدر العناية التي درست بها القضية ، فهي لا تستطيع أن ترى ما يبرر الاستمرار في الهجرة اليهودية الى فلسطين ، على اعتبار أن إتاحة الهجرة من جديد يؤدي الى محاولة لرفع ظلامة بفرض غيرها . وقال البيان ان مسألة الهجرة قد درست من قبل الحكومة ومن قبل عدد من اللجان ، ونوقشت في المؤتمرات بشكل مسهب بحيث لم يبق مجال لبحث هذا الموضوع مرة أخرى . ان بريطانيا من تلقاء نفسها أصدرت الكتاب الابيض ، وبوجهه يجب أن تتوقف الهجرة الى فلسطين عام ١٩٤٤ .

وان الضغط الصهيوني على بريطانيا وعلى دولة صديقة أخرى ، لا يشكل - في نظر العرب - سبباً لقبول عدد آخر من المهاجرين . على العكس من ذلك ، يجب أن يتخذ ذلك ذريعة لوقف الهجرة ، لأنها وسيلة الحطة الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين . إن عرب فلسطين قد وُعدوا بالاستقلال ، والجامعة العربية تتوقع تحقيق فلسطين المستقلة بأسرع وقت ممكن .

وذكر بيان الجامعة « ان انتصار الديمقراطية يسهل لليهود المضطهدين العودة الى أوطانهم » ، وبعد أن تحدث عن معارضة الصهيونية لمصالح العرب وخطرها على وطنهم سأل عن الأساس الذي حدد بموجبه رقم ١٥٠٠ مهاجر في الشهر ، وأبان أنه مخالف للكتاب الابيض^(١) . وبرغم اللمحة الودية الناعمة عموماً ، فإن لهجة الرد كانت ثابتة في رفضها

(١) زعم كتاب Survey of Palestine ج ١ ص ٨٥ الذي جهزته سكرتارية حكومة فلسطين لتنوير أعضاء اللجنة الانكوارية عن قضية فلسطين، أن جواب الجامعة لم يكن رفضاً قاطعاً لمقترح الحكومة البريطانية، بادخال ١٥٠٠ مهاجر شهرياً حتى صدور تقرير اللجنة المشتركة، ولكنه تضمن بياناً بأن الجامعة العربية لا تعرف على أي أساس تم وضع هذا الرقم ، وأنه ليس واضحاً ما هي المساهمات التي تقترح الولايات المتحدة وبريطانيا اجراءها . وهذه هي عاقبة نعومة الرد وحرصه على عدم اغضاب الدولتين الاستعماريتين الضالعتين مع الصهاينة .

للتحول الذي طرأ على السياسة البريطانية بعيداً عن مقتضيات الكتاب الأبيض ، فقد وضحت الجامعة أنها تقف عند الوعود التي أعطيت للعرب ، وأثبتت في مؤتمر لندن (١٩٣٩) وفي الكتاب الأبيض بعد بقر المفاوضات .

ودعت اللجنة العربية العليا ، وكانت قد أعيد تشكيلها بمساع من الجامعة ، الى عقد مؤتمر عربي في فلسطين للنظر في بيان ييفن . والحق ان عرب فلسطين اعتبروا بيان ييفن ضربة جديدة ، فغلب عليهم القنوط ، وانصرفوا الى مداواة جراحهم ، وأخذوا ينظرون فيما حولهم ، فاذا بالانتداب وقد طويت الوعود بينهائه مع مدّ أجل الهجرة ، وكان ردّ اللجنة العربية العليا ، صرخة ألم عبّرت عن خيبة أمل عرب فلسطين من موقف الجامعة العربية الذي طغت الملائفة والمجاملة في ردها على نواحي القوة المستندة إلى الحق . وكما كان جديراً بها أن ترفض صراحة كل ما يقصر عن الاستقلال التام لفلسطين ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى كل تدخل أمريكي أو خلافه ، فلا تسكت عنه لثلا يعتبر سكوتها إقراراً برضاها عن لا مشروعية تدخل الولايات المتحدة ذات المواقف المؤيدة أبدأ للصهيونية . وهذا ما وضّحه رد اللجنة العربية العليا ، وهي اللجنة التي عاش أعضاؤها مرارة المأساة التي يمثلها الاستعمار والصهيونية على أرضهم ، فهم لا يتهبون من مواجهة الحقائق بأسمائها ، كما يفعل السياسيون المحترفون ، وانما هم رجال مناضلون ومطلعون على خفايا الحطط والبيانات والنوايا .

صدر رد اللجنة العربية العليا على تصريح ييفن في ١٠ كانون الاول وقال « ان الكلمة الاولى والأخيرة في قضية فلسطين ومصيرها هي للشعب العربي الفلسطيني .. الذي لا يعترف لأية دولة أجنبية أو أي شعب غريب ، بأي حق في تقرير مصيره وبلاده ، ولا يقرّ جعل حقوقه المشروعة ومطالبه الحقة العادلة موضعاً للبحث والتحقيق ، ويرفض أن تكون مصالحه موضع أبة مساومة دولة من أي مصدر جاءت » .

وبخصوص مشكلة اليهود في اوربا صرح الرّد بأن العرب لا يرون أي مبرر للربط بينها « وبين فلسطين والهجرة اليهودية إليها . فليس للعرب أن يتحملوا أوزارها ونتائجها ، وهم غير مسؤولين عن خلقها » .

وشجب رد اللجنة العربية استمرار الهجرة ونقض سياسة الحكومة البريطانية التي وضعتها بمحض اختيارها، وفي وقت كان فيه الاضطهاد النازي والفاشي لليهود على أشده . وان المستر يفن إذ قرر استمرار الهجرة مع الإشارة الى « استشارة العرب » ، إنما يبدل به « موافقة السكان العرب » .

« وأهل فلسطين ، مع تقديرهم لتأييد العرب لقضية فلسطين ، ومع امتنانهم لاهتمام الحكومات العربية ومجلس جامعة الدول العربية لقضيتهم ، يصرون على ان يكون لهم القول الفصل في أي موضوع يتعلق بفلسطين وقضيتها » .

وبخصوص التحقيق المقترح فقد أشار رد اللجنة العربية الى أن فلسطين قد ملّت من لجان التحقيق : أكثر من عشر لجان قد حققت و كتبت تقاريرها عن القضية ، بينما تتناقض أبسط مبادئ العدالة لبريطانيا مع قرار الاستمرار في الهجرة ، في الوقت الذي تقترح فيه تشكيل لجنة تحقيق عن نفس القضية التي اتخذت بشأنها قراراً ولو مؤقتاً . وان العرب الذين ما فتئوا يرفضون الهجرة اليهودية الى بلادهم ، يعلنون اليوم عدم موافقتهم على أية هجرة يهودية إليها ، ويعارضون بكل قواهم دخول مهاجر يهودي واحد الى فلسطين ... وأشار رد اللجنة الى أن ما ترتأيه اللجنة الانكلو امريكية قد يقرر مصير فلسطين ، فقال ان اللجنة العربية لا توافق على أن يكون للحكومة التي لا تأخذ على عاتقها مسؤوليات رسمية تجاه شؤون فلسطين ، ما تقوله في هذه القضية . ان العرب يعتبرون « أن قضية فلسطين قائمة بينهم وبين بريطانيا العظمى ، ولا يعترفون لأي فريق بحق التدخل في القضية ولا يقرون لأي شعب آخر أو دولة أخرى بحق تقرير مصيرهم ومصير بلادهم » .

واستنكر الرد تدخل أمريكا في المسألة وقال إن الشعب الأمريكي وحكومته قد أبدوا سابقاً تحيزهم لليهود . إن الحزب الديمقراطي والجمهوريين قد أعلنوا تأييدهم لفكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، كذلك كثيرون من رجال الكونغرس قد عبّروا عن مشاعرهم لمصلحة البرنامج الصهيوني السياسي ، بل ان الرئيس ترومان طلب وما يزال ، ادخال مائة الف الى فلسطين .

وفي مثل هذه الظروف كيف يمكن دعوة الولايات المتحدة للتوسط في مسألة قد صح عزمها فيها سابقاً وأعلنت آراءها بصدها ؟

إن العرب « يستغربون إشراك بريطانيا للولايات المتحدة الأمريكية في هذه القضية ، فلا شأن مطلقاً للولايات المتحدة بقضية فلسطين ، ولا يوجد أي مسوّغ شرعي أو قانوني لإدخالها في هذه القضية » .

وعن الاقتراح الذي نوه به ييفن من أن الانتداب يمكن ان يحل محله وصاية تحت اشراف الامم المتحدة ، لاحظ رد اللجنة العربية أن التغيير بالاسم لا يعني بالضرورة تغييراً بالسياسة . فعلى أية حال ، رفض عرب فلسطين دائماً الانتداب لأنه لا ينطبق مع تحقيق أمنهم القومية ، واعترفت بريطانيا ان الانتداب غير عملي ، وتعدت عام ١٩٣٩ بانها نهته واستبداله أخيراً بحكومة تمثيلية ومسؤولة . ان مقترحات المسترييفن يبدو أنها تعيد فلسطين الى حيث كانت تقف منذ ٢٧ عاماً . وعبرت اللجنة العربية عن أملها بأن حكومة بريطانيا ستعيد النظر في بيان ييفن وسياسته ، وتمنح فلسطين الاستقلال بما ينطبق مع تعهداتها . « إن العرب لا يمكنهم أن يرضوا ببيان ييفن ، معلنين تمسكهم بمطالبهم القومية الأساسية في وقف كل هجرة ومنع استيلاء اليهود على أراضي البلاد ، وإنهاء عهد الانتداب وعلان استقلال فلسطين » .

ولكن الحكومة البريطانية ركبت رأسها ، وما اکتوتت كعادتها بما تضمنه رد الجامعة
أورد اللجنة من نقاط في غاية المنطق والعدل ، والمماضت سادرة في سياستها الاستعمارية ،
فقررت السماح بالهجرة بمعدل ١٥٠٠ شهريا حتى يتخذ قرار في ضوء ما ترتأيه لجنة التحقيق
الانكلو امريكية . ولم يمض نحو سبعين يوماً على بيان بيفن ، حتى أصدر المندوب السامي
في فلسطين بلاغاً (٢٩ كانون الثاني ١٩٤٦) قال فيه : « ان الحكومة البريطانية كانت
رأت التشاور مع العرب بغية وضع نظام من شأنه عدم وقف الهجرة اليهودية بالمعدل
الحالي ، استنظاراً لتوصيات لجنة التوفيق ، لأنها لا يمكنها أن تتصل من واجباتها ومسؤوليتها
التي فرضها عليها الانتداب . . وان المباحثات ظلت جارية مع العرب مدة طويلة ، ولم
تكن النتائج التي أمكن الوصول اليها نهائية ، لذلك قررت الحكومة البريطانية الآن
ولأسباب قوية وجوب السماح باستمرار الهجرة بصفة مؤقتة بالمعدل المقترح وهو الف
وخمسة مائة مهاجر شهريا . . » (١)

إن ما جاء في هذا البلاغ واضح ومعبر وصريح ، ويبدو منه أن كل ما عنته الحكومة
البريطانية من مشاورة العرب هو الحصول على موافقتهم ، وحين فشلت في مسعاها الدائب
مع الدول العربية ومع عرب فلسطين ، لم تعبأ بذلك ، ولم تحجل من الدور في مغالطاتها
المألوفة في القول إنها لا يمكنها ان تتصل من واجباتها ومسؤولياتها التي فرضها الانتداب ،
وأى انتداب هذا الذي يحرم الغالية من سكان فلسطين حقوقهم ، وأي تنصل هذا الذي
تدعيه بريطانيا من واجباتها بعد ما قامت بها أوسع قيام نحو اليهود ؛ ألا يعتبر انتدابها غير
المعترف به أصلاً من قبل العرب ، مقصراً في حقهم وفيما يتوجب عليه تجاههم حين يسمح
بهجرة جديدة معروفة مراميا برغم أنفسهم ، علماً بأن الانتداب قد نسخ الكتاب الايض
الذي وعد الاستقلال لفلسطين ، وان عصبة الامم نفسها التي أقرته لم يعد لها وجود !

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٤٢-٤٣ .

وبكلمة ، فان حكومة لندن أوفت بعدها في « التشاور » مع الحكومات العربية حول استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ولكنها وجدت نفسها غير ملازمة بالعمل وفق آراء الدول العربية ، أو وفق آراء عرب فلسطين ، أو وفق سياسة الكتاب الابيض التي حددت الهجرة بـ ٧٥ ألفاً ثم تقف !

وبعد ، فلقد استلزم إقناع لندن بتعذر العمل بالانتداب ٢٥ عاماً؛ خمسة وعشرون عاماً من الترقب اليأس . خمسة وعشرون عاماً من الخوف ، من غداء الحقد على نظام مفروض على عرب فلسطين . خمسة وعشرون عاماً من النضال الوحشي المستمر والصراع الدائب من أجل البقاء . خمسة وعشرون عاماً من التمييز العنصري لمصلحة اليهود بفضل الانتداب . خمسة وعشرون عاماً من تفجير الأهواء وثورة النفوس حين لم يعد في الكأس ما يراق . خمسة وعشرون عاماً من الفقر والشقاء والتضحية ، وغمه خيوط أمل تشكلت في ١٧ أيار ١٩٣٩ ، وبعد ١٤ اسبوعاً انخرط العالم في حرب مدمرة ، وأمست فلسطين بأنفاسها . والآن وقد نخيل عرب فلسطين شرع القارب مستعداً للبحار ، رأوا أخلاطاً من الجند يرطنون ويعجمون على أديم بلادهم ، ورأوا كثيراً من محلاتهم ومشاعلمهم ومعاملهم تغلقها السلطات وتصادر آلاتهم وأدواتهم لتسلم إلى اليهود من أجل الانتاج . رأوا أسواق التصدير مغلقة أمام منتجاتهم ، نظراً لعدم توفر إجازات التصدير . قاسوا من تدابير الرقابة الصارمة على الاستيراد من الخارج ، في حين كان يسمح للانتاج اليهودي باستيراد المواد الأولية كيف يشاء ، مع منحه إجازات التصدير للبضائع اليهودية لدى طلبها مباشرة . رأى عرب فلسطين تجارتهم تبور ، وتقلب إلى حالة من الاعتدال على المصنوعات اليهودية . رأوا نواة الجيش اليهودي مشكلة تحت سمع ونظر حكومة الانتداب المحابية . رأوا اليهود يتسلحون ويسرقون السلاح البريطاني والذخيرة البريطانية إلى أقصى مدى . رأوا جماعات المهاجرة اليهودية تندفق على البلاد وبصورة غير شرعية ، مع محاولات ودبة من الحكومة لوقف

تدفقها . رأوا الاجراءات اليهودية الارهابية لإفزع الحكومة فتتلاطف حين نزول شرذمة من المهاجرين غير الشرعيين على شواطئ فلسطين .. ولجنة أخرى أيضاً ؟ ! الفارق بينها وبين سابقتها ، أن هذه كانت مؤلفة من بريطانيين ، آخرها وافقت على ما قالت به أولها . فما الفرق الذي سيترتب على أن تشمل اللجنة الجديدة على بريطانيين وأمريكيين بعدد متساو ؟ ! ان حقيقة الحال تبقى كما كانت دائماً ، والنتائج التي يتوصل إليها رجال بالشرف والعقل ، أو من حكومات تحمل مبادئ الديمقراطية ، لا يمكن ان تكون مختلفة عن سابقتها التي حكمت ببطلان الانتداب ، وانخرفت إلى محاباة اليهود^(١) .

ولكن نصريح بيفن على ما فيه من نفس لمقررات الكتاب الأبيض ، وتأيد واضح لهجرة اليهود على حساب عرب فلسطين ، استغلته الصهيونية كمادة للدعاية ضد بيفن ، فأنهته بأنه متعصب ضد الجنس السامي ، وبأنه عدو اليهود اللدود ، كما أثرت ضده شتى انواع القذف على صفحات الجرائد الامريكية . وعقدت المؤتمرات الصهيونية (التي كانت وثيقة الاتصال بعصابات شتون والأرغون والماغانا) وأصدرت قراراتها بتأييد أعمال الارهاب واقتراف فعال العنف والتخريب ، كاحتجاج على السياسة البريطانية واداة للضغط عليها . بل لقد بلغت الصفاقة بالدعاية اليهودية أنها كانت تتم بريطانيا بتحريض العرب في الدول العربية المجاورة على القيام بمظاهرات معادية لليهود^(٢) . وأذاع (صوت اسرائيل) وهو محطة الاذاعة السرية المتنقلة للهاغانا في ١٤ تشرين الثاني ، نداء حض فيه على المقاومة : ه ان ما فعله هتلر ضد الشعب اليهودي يتكرر الآن على يد الديمقراطيات في شكل سياسة متأنية ساحقة .. إن المقترحات الجديدة هي معادية لليهود ولا إنسانية . ان هذه الارض هي ارضنا ، نعمل

(١) انظر M. F. Abcarnus , Palestine through the Fog of

Propaganda , London, N, D.

The Economist, Nov . 24, 1945

(٢)

فيها وبني ونخلق وندافع . . ندعوكم لمناهضة هذه المؤامرة ، وللقضاء على القرارات المشينة . . ، (١) . وهاجم بن غوريون بيان ييفن في خطاب القاہ يوم ٢٨ تشرين الثاني أمام الجمعية اليهودية المنتخبة ، ووصفه بأنه متناقض وغامض ، وقد وُضع في شكله الراهن لتضليل الرأي العام في انكلترا وامريكا ، وأكد استعداد (ليشوف) للقتل في سبيل حقهم بالقدوم الى فلسطين وبنائها وحقهم في الاستقلال في بلدهم الخاص (٢) . وفي ظروف التحريض والاثارة هذه أعلن المجلس المتلي اليهودي (الفعداد لثومي) الاضراب ١٢ ساعة ، وخرجت مظاهرات الاحتجاج يومي ١٥ و١٦ تشرين الثاني في تل ابيب ، انتهت بإشعال النار في المباني الحكومية ، وبنهب المحلات البريطانية ، ورشق البوليس والجيش بالحجارة ، وتضررت المباني الحكومية ضرراً بالغاً ، وبعضها لم يعد صالحاً للاستعمال . وفرض منع التجول ، بعد تفريق المتظاهرين ، ووضعت تل ابيب تحت الاحتلال العسكري لمدة أيام ، وحذرت السلطة من حيازة الاسلحة والذخائر وهددت باستعمال الشدة ضد المخالفين (٣) وقد صادقت الجمعية المنتخبة والمجلس العام الداخلي الصهيوني ، وتنفيذية الوكالة اليهودية على رعاية الهجرة غير الشرعية بقياس واسع ، وباركها اليهود المعتدلون من أمثال الدكتور ماغنس الذي صرح في أوائل كانون الاول أنه ليس ضد الهجرة المدعوة بغير الشرعية ، وإن ظل يعارض أهدافها السياسية .

وخشية ان توقف بريطانيا الهجرة ، وتوقف دعمها لنمو الوطن القومي ، كان اليهود أنفسهم يدعون صفوفهم منذ أكثر من خمس سنوات ونصف . فقد حشدت الهاغانا خلال الحرب جيشاً منظماً (غير شرعي) يقدر بـ (٦٠) ألفاً ، مع قوة ضاربة ، وقوة دفاع ثابتة ، ومع الاحتياط . وإلى هذه الوحدات ينتمي معظم المجندين في اللواء اليهودي ،

Manchester Guardian, Nov. 15; 1945

(١)

Survey of Palestine, op. cit., p. 83

(٢)

ibid.

(٣)

وفي مختلف فروع القوى الحربية البريطانية ، والآن يجري تسريحهم تدريجياً . فضلاً عن ان ما يعادل تدريب سنة كاملة فرضت على طلبة المدارس العليا قد افتتحت في تشرين الثاني ١٩٤٥ ووزعت على اليهود الذخائر الحربية المكتسبة خلال أيام الحرب^(١) في حين كان الوكلاء اليهود السريون في أوروبا يتصيدون المتطوعين للانخراط في صفوف الهاغانا^(٢) وقد نوهنا بذكر نشاط المنظمة اليهودية السرية في توجيه الهجرة غير المشروعة الى فلسطين من معسكرات النازحين اليهود في اوروبا . وفي ليلة ٢٤ - ٢٥ تشرين الثاني أي بعد ليلتين من اعتراض سفينة تهريب للمهاجرين على بعد ١٢ ميلاً شمال تل أبيب ، دمرت البالمح قارين لتعقيب سفن التهريب . وتعقبت كلاب الاثر الارهابيين الى اربع مستعمرات يهودية ضربت السلطات الحصار حولها بقصد تفتيشها ، وظن الصهاينة أن قصد السلطات هو العثور على ٢٠٠ مهاجر غير شرعي كانوا قد فروا من السفينة قبل اعتراضها ، فخرج حوالي ١٠ آلاف من اليهود المسلحين بالمراوات والحجارة لمنع التفتيش^(٣) وسقط في الصدام التالي ٦ قتلى و٤٢ جريحاً ، ووجدت كمية من المتفجرات في احدى المستعمرات . وهرعت الوكالة اليهودية الى الابراق للولايات المتحدة ودوايرها المتعاطفة معها بالشكوى من فعال البريطانيين الذين دخلوا قسراً المستعمرات الزراعية اليهودية المسالمة ، وضربوا مئات من الرجال والنساء ، وأطلقوا النار وقتلوا وجرحوا كثيرين دونما سبب أو إثارة !

Hurewitz, op. cit., p. 239

(١)

ibid.

(٢)

(٣) كانت خطة الهاغانا هي أن تقوم وحداتها المسلحة بمماية المهاجرين الفارين ، في حين تقوم جماهير من اليهود بصرف نظر القوات المطاردة عن وجهتها بالهاتما أو محاصرتها في نقاط استراتيجية . وأحياناً يختلطون مع المهاجرين وبذلك يحولون دون التحقق من شخصيتهم واعتقالهم . وقد يقاوم المهاجرون القسادمي ويرفضون إبراز اوراقهم فيعتقلون ، وفي غضون ذلك تسنح الفرصة لفرار المهاجرين الجدد ، والالتجاء الى المستعمرات القريبة ، حيث يقاوم سكانها دخول قوات المطاردة ، ويرفضون إبراز هوياتهم . (Kirk, op. cit., p. 202, Footnote)

قلنا ان بريطانيا لم تحفل بذكرات الدول العربية ولا بذكر جامعة الدول العربية أو بردّ اللجنة العربية العليا ، وما فيها من حجج دامغة ونصوص ملزمة . وانما مضت في تعيين ستة من رجالها أعضاء في اللجنة المشتركة . وارتفعت بعض الأصوات العربية تدعو الى مقاطعة اللجنة ونحذر من مغبة التعاون معها ، ومن القبول باشتراك الولايات المتحدة الضالعة دواثرها مع الصهاينة ، الأمر الذي يتيح لانكلترا فرصة التملص من المسؤولية الملقاة على عاتقها . ولكن الحكومات العربية قررت الاتصال باللجنة مع تسجيل عدم اختصاصها وعدم الحاجة الى تحقيق جديد ، بحجة أن اللجنة مجال للدعاية وتنوير الرأي العام بقضية فلسطين العادلة . وكذلك أعلنت اللجنة العربية العليا قبولها المثول أمام اللجنة بدعوى أن الجهات العربية العليا نصحتها بذلك .

* * *

الفصل العشرون

لجنة التحقيق الانكلو امريكية وتوصياتها

تشكيل اللجنة وأعمالها :

كانت اجراءات لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية منذ اللحظة الأولى لتشكيلها تكاد تكشف سلفاً عن نتيجة أعمالها وتوصياتها . فقد تكونت من ستة أعضاء بريطانيين ، وستة أعضاء أمريكيين ، واحتوت بينهم على عناصر معروفة بتأييدها التام للصهيونية ، ولا عجب فإن ترومان ومعاونه قد اختاروا الأعضاء الستة الأمريكيين في اللجنة ، كما يتضح من الفصول التمهيدية في كتاب كرام Crum العضو الأمريكي فيها^(١) . أما بقية أعضائها الذين أبدوا مجرد استعداد للدراسة وجهة النظر العربية ، فقد كانوا هدفاً لمحملات الدعاية الصهيونية التي ساطتهم بهم التعصب وانعدام الانسانية . وسارع الصهاينة لتوطيد علاقات الصداقة مع أعضاء اللجنة ، فاتصل وايزمن مع بعض أعضائها امثال بارتلي كرام وفرونك بكتون وكروسمان وهتيسون بصلات المودة الواشجة ، وقال إنه عمل كل ما يوسعه لبط « الحقائق » أمامهم ، وأنه قدم اليهم التقارير الوافية التي وضعها الخبراء الصهاينة ، وعرض عليهم مخططات عملية ، « وقد تأثرت اللجنة بذلك ونجاوبت تجاوباً مرضياً »^(٢) .

Crum, Bartley, C. • Behind the Silken Curtain, A Personal (١)
Account of Anglo- American Diplomacy in Palestine & the
Middle East •, N. Y. 1917

Weizmann, op. cit., p 512

(٢)

وكان من بين أعضاء لجنة التحقيق هذه ثلاثة نشروا وصفاً شخصياً لما قامت به اللجنة ، وسجلوا وقائعها في مختلف الأقطار التي زاروها ، وقد أبدوا صراحة انخيازهم الى الأهداف الصهيونية . وأبرز هؤلاء ريتشارد كروسمان مؤلف كتاب (بعثة فلسطين) وهو عضو حزب العمال البريطاني ، تخلى عن عمله الجامعي ليتفرغ للسياسة ، فدخل البرلمان في عام ١٩٤٥ ، وفي كتابه بعض المواقف المتناقضة ، وإن كان هواه في النهاية يقع مع الصهاينة . وبارتلي كرام مؤلف كتاب (خلف الستار الحريري) وهو محام من سان فرانسيسكو عرف بتعاضده للصهيونية ولذا لا يعول كثيراً على مذكراته ^(١) . وجيمس مكدونالد مؤلف كتاب (بعثتي في اسرائيل) ، وكان قد استقال من منصبه في عصبة الأمم عام ١٩٣٥ كمفوض سامي للاجئين من ألمانيا ، احتجاجاً على « تلكرّ » الدول الكبرى في حل مشكلة اللاجئين اليهود الألمان ، وأخذ يتفانى في خدمة الصهيونية ، فاختره ترومان أول سفير له في اسرائيل ^(٢) . وكانت تلك العناصر ذات تأثير بالغ على بقية أعضاء اللجنة وعلى صياغة توصيات تلتقي مع الأهداف الصهيونية . وقد امتدح صحفي يهودي انتقاء الرئيس ترومان للأعضاء الأمريكيين الستة ، وكان كبير هؤلاء هو القاضي هتشيون Hutehison ، ويصف نفسه بأنه مسيحي متقيد بالعهد القديم ، ولم يكن لأحد من الأعضاء الأمريكيين خبرة سابقة بشؤون العالم العربي باستثناء السفير فيليبس ممثل روزفلت الشخصي في الهند خلال الحرب ^(٣) . والأعضاء الستة البريطانيون كانوا برئاسة السير جون سنكلتون

(١) وصف كروسمان البريطاني زميله كرام الأمريكي بقوله : « كان الأمريكي الوحيد معنا الذي أمامه مستقبل سياسي يمكن أن يتحقق أو يتلاشى من جراء موقفه من المسألة اليهودية .

Crossman, op. cit., p. 31

(٢) وصفه كروسمان بقوله : « كان الوحيد بيننا الذي سبق أن تعهد علناً بتأييد الصهيونية » .

ibid., p. 22

(٣) الاعضاء الأمريكيون الباقون هم البروفسور ايديلوت Aydelotte مدير معهد الدراسة العليا في برنستون ، والمستر بكستون Buxton محرر بوستون هيرالد وكان يمثل الصحافة الأمريكية ، وماكس غاردنر حاكم كارولينا الشمالية سابقاً ، والمستر مكدونالد ، والمستر بارتلي كرام .

Singleton القاضي في المحكمة العليا ، وقد وُصف بأنه من نوع الرجال الذين مهما كان ولاؤهم السياسي ، فهم عموماً يفضلون التسوية بما لا يضرّ الوضع البريطاني في الشرق الاوسط^(١) .

وحين اقترح الأعضاء الامريكان أن تبدأ اللجنة عملها في واشنطن ، شعر الأعضاء البريطانيون - فيما يقول كروسمان - ببعض الضيق والشك : « هل يرون أن واشنطن هي على الطريق الى فلسطين ؟ كلا بالطبع . ان دافعهم هو أن يغروا بنا جواً معادياً ويعرضونا للحملات المعهورة للدعاية الصهيونية كاملة »^(٢) .

ونحن في متابعتنا لأعمال لجنة التحقيق سنعتمد بعض الشيء على كتاب كروسمان ، لأنه يحتوي على بعض النقاط التي لم يستطع أن يتجاهلها برغم ميوله الصهيونية الواضحة ، فحسب ، وإنما أيضاً لأن الكتابين الآخرين لعضوي اللجنة كرام ومكدونالد ليسا في منزلة كتاب كروسمان .

اعترف كروسمان أنه بعد مطالعة الوثائق المتصلة بقضية فلسطين « اتضح لي تماماً أنه من الوجهة التاريخية ، لا جدال في الدعوى العربية . إننا بالفعل قد ضمّنا فلسطين في منطقة استقلالهم (العرب) : لقد فشلنا في إحاطة الفرنسيين بذلك الذي فعلناه . لقد تفاوضنا بشكل غير لائق كلية مع فرنسا وروسيا على تقسيم الغنائم . ومن ثم بلغ الأمر ذروته حين وعدنا اليهود بوطن قومي »^(٣) .

(١) الاعضاء البريطانيون الباقون مالمستر كريك Crick المشاور الاقتصادي لبنك ميدلاند ، والسير فريدريك ليغت Leggett ممثل بريطانيا في مكتب العمل الدولي ، واللورد موريسون Morrison العضو العاهلي في البرلمان ، والميجر مننغهام بول Manningham-Buller السكرتير البرلاني لوزارة الاشغال سابقاً ، والمستر كروسمان .

Crossman, op cit., p. 22 (٢)

Crossman, ibid., pp. 26-27 (٣)

ويسجل كروسمان أنه خلال استماع اللجنة الى الشهادات في قاعات وزارة الخارجية الامريكية بواشنطن ، لم يعلن أحد من الصهاينة الذين قابلونا أنه يريد التخلي عن مواطنة الامريكية ليصبح مواطناً في الوطن القومي ، ، ويذكر أن عدد اليهود الامريكان الذين هاجروا الى فلسطين ما بين ١٩٣٦ و ١٩٤٥ كان ٤٩٤ ، أي أقل نسبة مثوبة لأية جماعة يهودية بما فيها الجماعة الروسية في العالم (١) .

اللجنة في واشنطن :

ويبدو أن استماع اللجنة في واشنطن للشهود كان فرصة أخرى للصهاينة للقيام بدعارة عريضة يحاصرون بها بعض من لا يدعن لوجهة النظر الصهيونية . ويصف كروسمان كيف كان يتتبع الشهود الصهاينة المنظومون من حول اللجنة : فهذا الخبر دائم الحظ على تذكر اللجنة بأن الصهيونية انما هي تعبير عن الحماس الديني للأخبار اليهود (الارثوذكس) ، وهذه المرأة تتحدث عن روح الاسعاف الخيري الذي بنى المشافي اليهودية والخدمات الطبية في فلسطين برغم العراقيل البريطانية الخ . . وقد توالى عرض مسرحية الاستماع ببراءة كبرى : جاء أولاً الخبراء ، من اليهود وغيرهم ، لينهوا الى اللجنة قصة معادة مكررة للفاجمة اليهودية في اوربا ، ثم جاء دور (روبرت) ناتان ولودر ميلك ليجادلا بأن فلسطين يمكنها أن تستوعب مئات الألوف من المهاجرين ، لو أن الحكومة البريطانية وقفت موقفاً ايجابياً من التنمية الصناعية والري . وأخيراً جاء دور الصهاينة أنفسهم ليفيضوا في الحجج التاريخية والقانونية والسياسية لتشكيل حكومة يهودية في فلسطين مفتوحة ليهود العالم . . وقد تعرض أعضاء اللجنة البريطانيون لهذا السيل من الاستماع ، بحيث وجدوا أنفسهم يدفعون الاتهام عن أنفسهم بدلاً من طرح الأسئلة والحصول على المعلومات (٢) .

ibid. p. 39

(١)

Crossman, ibid, pp. 43 - 45

(٢)

فلسطين ٤٤ (١٩٦٨)

مرة واحدة فقط خلال تلك الساعات الطويلة احتج عضو بريطاني ، فاللورد موريسون - معترداً عما يمكن أن يعتبر حساسية غير ضرورية - طرح سؤالاً على الدكتور نيومان الصهيوني الذي ادعى بأن ألوفاً كثيرة من ضحايا هتلر ... كان يمكن أن يبقوا على قيد الحياة لولا السياسة البريطانية في فلسطين التي زعم أنها حالت دون دخولهم الى فلسطين ! وقال موريسون مذكراً الشاهد « بأن بريطانيا حين اختصت العرب في عام ١٩٤٠ - ١٩٤٠ ببعض المزايا ، كانت تقاتل لوحدها ، وكانت كل من روسيا وأمريكا على الهامش ، والجيش الألماني كان على أبواب مصر . فلو أن بريطانيا فتحت أبواب فلسطين أمام اليهود ، فالعالم العربي كان يمكن أن يتجه بالولاء نحو العدو ، وهذا يمكن ان يعني هزيمة بريطانيا قبل الهجوم الياباني على بيرل هاربر الذي دفع أمريكا الى خوض الحرب . ولو حدث هذا ، هل كان اليهود حقاً في موقف أفضل ،؟! «^(١) ولم يجب نيومان على السؤال .

وتظهر المواقف المتناقضة في كتاب كروسمان ؛ ففي حين يقرّ أنه « كرجل انكليزي ، اعترتني مشاعر الدهشة والغضب أثناء استماعاتي واشتظن بسبب التجاهل التام تقريباً لوجهة النظر العربية »^(٢) ، إذا به بعد قليل يعترف بأن معظم أعضاء اللجنة تأثروا تماماً بما سمعوا .. « فقد بدأنا على الباخرة كوين ماري مؤيدين جداً للعرب ، والآن ها أنذا أتأرجح نحو الجانب اليهودي » ! وفي الوقت نفسه يذكر بأن « الصحافة والنظارة هي برمتها تقريباً يهودية » .^(٣) وبينما ينقد كروسمان الموقف الامريكي بقوله : « ان الامريكان برفع عقيرتهم من أجل ايجاد الدولة اليهودية ، يرضون دوافع كثيرة : فهم يهاجمون الامبراطورية والامبرالية البريطانية ، وهم يتبنون موضوعاً أخلاقياً لا يترتب على تنفيذه أبة مسؤولية عليهم ، وأهم من كل ذلك هم يصرفون النظر عن الحقيقة بأن قوانين الهجرة

ibid., p. 45

(١)

ibid., p. 46

(٢)

الخاصة بهم هي السبب الأساسي للمسألة (اليهودية) (١) . ولكن ميوله الصهيونية تبدو بجلاء حين يشرح ما يعتبره « سبب » دعم زملائه أعضاء اللجنة الامريكاني للصهيونية بأنه يرجع الى « أن الامريكاني كاللاوسترالي وكالافريقي الجنوبي قد فتح بلاداً بكرأ وغزاهما من أجل الرجل الأبيض ، وبعمله هذا كان عليه أن يجارب معركة طويلة ضد السكان الاصليين ، وهو يعلم من خبرته المريرة ماذا تعني هذه المعركة » (٢) . وهذا يذكرنا بمواقف الدعاء الصهاينة الذين يجلو لهم دائماً أن يشيدوا برسالتهم التمديدية ، وبأعمال الرواد الصهاينة في إنهاض فلسطين من تخلفها واهمالها ، والذين يشبهون الرواد الأوائل الامريكاني الذين غزوا الغرب في امريكا، وطهروه من المنود الحمر ومن التخلف، وجعلوه جنة وارفة الظلال (٣) !

ومن ناحية أخرى نمزكروسمان من قناة الولايات المتحدة حين ذكر أن واحدة من العراقيل الرئيسية في طريق القبول العربي بعبارة من الهجرة اليهودية الى فلسطين كان رفض الديوقراطيات الغربية فتح أبوابها أمام اللاجئين . « وفي هذا المجال فقد أشار عدد من الشهود الامريكانيين في واشنطن الى أن السجل الامريكاني في هذا الصدد هو سجل أسود . إن قوانين الكوتا كانت أول مثل على التشريع العنصري ، فهي قد أعطت عن قصد الأفضلية للمهاجرين من العنصر الآري . ولكن منذ عام ١٩٣٣ لم تسمح الادارة (الامريكية) بالمهجرة حتى في حدود الارقام التي حددتها الكوتا . ويؤيد كروسمان رأيه بالأرقام ، وليثبت أن سجل كندا واوستراليا لم يكن أفضل . ويخرج من ذلك كله بالرأي الآتي : « يتضح تماماً من هذه الارقام أنه اذا كانت امريكا توافقه حقاً للحصول على قبول

ibid. (١)

Crossman, ibid., p. 42 (٢)

Eban, Abba, «TheVoice of Israel» N. Y. 1957. p.83 & seq. انظر (٣)

العرب بهجرة يهودية ، فانها يجب أن تزيل الاعتراض العربي المشروع القائل بأن الديموقراطيات يجب أن تمارس الانسانية فعلاً كما تمارس وعظ المسلمين بها قولاً. وسيكون من العسير أن يُطلب ادخال ١٠٠ الف يهودي الى فلسطين بينما يُرفض تعديل قوانين الهجرة الامريكية (١) .

ولاحظ كروسمان أن الجميع في واشنطن يرون انه ليس في مقدور الحكومة أن تعدل قوانين الهجرة ؛ فالخصص (الكوتا) وُضعت خططها ونفذت ليس لمساعدة أولئك المشردين المنكودين من اليهود وغير اليهود من شرق اوربا الذين أبرزوا مشكلة اللاجئين ، وإنما على وجه التحديد لمنع دخولهم الى امريكا (٢) . ومنظمات العمل في امريكا وفي جميع الديموقراطيات الغربية الأخرى قد ساندت بحماس مثل هذه الموانع لحشيتها من أن يؤدي العمل الاجنبي الرخيص الى المهبوط بسوية الأجور (٣) . ولا شك في ان مثل هذا الموقف يدعم أهداف الصهاينة الذين لا يفتأون يذكرون تكراراً بأن فلسطين هي المكان الوحيد لاستقبال المهاجرين اليهود .

وعلى الرغم من الميول الصهيونية للأعضاء الامريكان ، فإن العقول الاكثر موضوعية بينهم قد صدمت بالمطالب الشاملة للصهاينة الامريكان ، بزعم كروسمان (٤) ويبدو أن الجو السياسي العام في بريطانيا ، في الوقت الذي تشكلت خلاله اللجنة وبدأت عملها ، كان جو توجس متزايد من خطط السوفييت في الشرق الأوسط ، وذلك في ضوء الانقلاب الذي نظموه في اذربيجان ، وفي ضوء حملات الدعاية المضادة لتوكيا ، ولشركة الزيت الانكلو ايرانية

Crossman, op. cit., p. 54

(١)

ibid.

(٢)

ibid, p. 55

(٣)

Crossman, op. cit., pp. 22,47

(٤)

والسياسات الاستعمارية في الشرق الأوسط. (١) وقد كتب كرام أن هارولد بيلي السكرتير البريطاني في اللجنة ، أخبره مع واحد من أعضائها بينما كانوا في طريقهم الى لندن عبر الأطلسي أن « موضوع فلسطين .. يجب أن ينظر اليه في نطاق التوسع السوفيتي . ان السوفيت مخططون للنزول الى الشرق الأوسط ، وسيكون من المستحسن أن تضم الولايات المتحدة الى بريطانيا إقامة الحاجز الصحي من الدول العربية ؛ فإذا أعلنت فلسطين دولة عربية ، سوف تكون حلقة قوية في هذه السلسلة . » (٢) وقد عبر كرام عن أساءه لأن ممثلي الخارجية الامريكية مع هارولد بيلي من الخارجية البريطانية قد أذروه في واشنطن ، وخلال رحلة اللجنة عبر الأطلسي الى لندن ، ان اللجنة ليس بمستطاعها النظر بالمسائل المتصلة بفلسطين واللاجئين اليهود في فراغ مجرد عن سياسة القوى الدولية ، وبالعكس فإن القرار الذي سوف تصل اليه اللجنة سوف يجري تنفيذه في منطقة هي سابقاً موضع نزاع الدول الكبرى . (٣)

اللجنة في لندن

وفي لندن أقام المستر بيغن حفلة غداء على شرف اللجنة وحضرها وزير المستعمرات جورج هول ، وسكرتيره البرلماني المستر كريتش جوتش الذي يصفه كروسمان بأنه مناصر متعصب للصهيونية ، والمستر اوليفر ستانلي ، والمستر فيليب نويل بيكر وزير الدولة في وزارة الخارجية والمعروف بميله للصهيونية . وتحدث بيغن فقال ان اللجنة اذا انجزت تقريرها بالاجماع سوف يعمل شخصياً كل ما في طاقته لتنفيذ توصياتها . وقد هاجم العنصرية خلال حديثه ، وأشار الى أنه لا يرى حلاً في إقامة دول عنصرية في فلسطين. (٤)

Kirk, op. cit, pp. 57 - 61,207

(١)

Crum, op. cit., p. 33

(٢)

ibid., pp. 7-8,31,35-36

(٣)

ibid., pp. 65-66

(٤)

واستمر سماع الشهود في لندن منذ ٢٥ كانون الثاني حتى أول شباط ، وقد استمعت اللجنة الى ممثلي الدول العربية الذين كانوا يحضرون الاجتماع الأول للجمعية العامة للأمم المتحدة ؛ وقد طلب الممثلون العرب برئاسة الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة الصهيونية واستقلال دولة فلسطين العربية . وشهد أمام اللجنة المستر ليو اميري صديق تشرشل الحميم ووزير المستعمرات سابقاً والناصر المتحمس للصهيونية ، فذكرت اللجنة أنه حين كان موظفاً شاباً كان مسؤولاً عن صياغة تصريح بلفور النهائية . وظهر كذلك الجنرال سيرز ، السفير البريطاني في سورية ولبنان خلال الحرب العالمية الثانية . ويصفه كروسمان بأنه « كان الشاهد الوحيد من أمة جنسية حسباً اذكر ، الذي لم يجهد نفسه في إخفاء وجهة نظر غير موالية لليهود بوضوح . وأجاب سيرز على سؤال موجه إليه بقوله :

« أظن أنه يتعذر الأمل تقريباً بأنه لن يوجد قلق من أي نوع . إننا نعاين نتيجة كثير من الأخطاء التي ارتكبت على مدى وقت طويل . أنا نفسي مقتنع بأن مجاهنتنا للهاغانا غير الشرعية والتشكيلات اليهودية الأخرى ، ستكون أقل ضرراً بكثير ، حتى من وجهة النظر العملية ، من إشعال النار في الشرق الأوسط برمته ، لدعم ما يعتبر الغالبية العربية المظلومة في فلسطين . » (١)

وفي لندن ، كما في واشنطن ، لم يترك الشهود الصهانية مجالاً للشك أمام اللجنة لتعريفها بطبيعة برنامجهم ؛ فبينما اعلنوا ان جميع اليهود الاوربيين الذين يريدون الهجرة يجب ان يسمع لهم بالهجرة الى البلدان الغربية ، كانوا يزعمون بأن الغالبية الساحقة يجب أن تقبل في فلسطين ، ويقدر الصهانية عددها بـ ١٠٠ ألف بعدل ١٠٠ ألف كل عام . حتى إذا أوجد هذا السيل المتدفق من المهاجرين غالبية يهودية واضحة على ١٠٢٥٠٠٠٠ عربي ، حينئذ يجب اعلان فلسطين بلداً مستقلاً ! (٢) و كروسمان لم يستطع أن يخفي امتعاضه من هذا البرنامج

ibid., p. 68

(١)

ibid., p. 69

(٢)

الصهيوني الذي يجافي كل منطق سليم . سجل ذلك في يومياته بقوله : « كلما افكرت في هذا المخطط ، كلما بدا لي أقل قبولاً . أن الصهاينة كانوا يحتجون على الكتاب الأبيض لأنه قرر أن العرب في فلسطين سيكونون غالبية دائمة ، وقد سموا هذا ظملاً وغير ديمقراطي . كيف إذن بمقدورنا ضمان العدل والديمقراطية إذا ألغينا الكتاب الأبيض ، وأعلنا سياسة جديدة لا تعني شيئاً أقل من تحويل الغالبية العربية الى أقلية عربية بطريقة مقصودة ؟ دع أننا لو تباعدنا تماماً عن الأخلاقية ، فكيف يمكن لأية حكومة بريطانية أن تتعهد بمثل هذا المخطط ، وتعطي الاشراف على الهجرة للوكالة اليهودية وفقاً لطلب الصهاينة ؟ إننا بعملنا هذا سوف نحض العرب على الثورة . وسوف يرقب العرب غالبيتهم تتناقص سنة فسنة ، وشهراً فشهراً بتدفق المهاجرين الى فلسطين . وسوف يقا تل أي زعيم عربي ليقف مثل هذا الاجراء . إنني أستطيع أن أفهم حالة اليأس التي نهض منها البرنامج الصهيوني ، ولكنني لا أستطيع أن أرى كيف يمكن لأية حكومة أن تقبله . »^(١)

وخرج كروسمان محقّقاً من استماع الشهود الصهاينة في لندن (٢٥ كانون الثاني - شباط) وقال ان حالة زملائه كانت كحالته بسبب الدعوى المزدوجة لأولئك الصهاينة الذين لم يذهبوا إلى فلسطين ، ومع ذلك يتوقعون ان يتميز يهود فلسطين في وطنهم القومي ، وفي الوقت نفسه يُعترف بالجماعة اليهودية المنفصلة داخل كل دولة ديمقراطية . أي ان يكون اليهود يهوداً ، وفي الوقت نفسه أعضاء في بعض الأمم الأخرى (الكافرة) ، وبولاء مزدوج لبلادهم ، وللوطن القومي!^(٢)

وكان خطوة اللجنة التالية تأثير لا يستهان به على مشاعر اللجنة ونظرتها ، ولذا فقد

ibid. pp. 69-70

(١)

ibid, p. 73

(٢)

كانت هذه الخطوة عرضة للتقدي إذ لم تكن مطابقة لصلاحيات اللجنة ؛ فقد ذكرت هذه الصلاحيات على أنها فحص الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لفلسطين، وما سيكون لها من تأثير على مسألة الهجرة اليهودية والاستيطان قبل تفحص وضع اللاجئين اليهود في اوربا. وكان المفروض ان بنود الصلاحيات قد اختيرت بدقة مع وجوب التقيد بها . وبتغيير تسلسل تعليقات اللجنة ، وقيامها بزيارة اوربا في هذه المرحلة ، فإن اللجنة قد عرضت نفسها لتقع تحت تأثير رد الفعل العاطفي الضخم للاجئين اليهود المشردين ، قبل ان تقوم بزيارة فلسطين والشرق العربي . ونجحت خطط الصهاينة في اخراج اللجنة عن الحطة المرسومة لها، فزارت معسكرات اللاجئين اليهود في اوربا قبل ان تدرس الحالة في فلسطين . تماماً كما نجحت الضغوط الصهيونية على ترومان فألح على أن تشكل صلاحيات اللجنة صلة ما بين أحوال اليهود في أوروبا ، والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، وعلى أثرها على مسألة الهجرة والاستيطان اليهوديين . وكان التنظيم الصهيوني قد أعد للأمر عدته ، فأحضر مئات من اليهود أمام أعضاء لجنة التحقيق ليقدموا قصة البؤس والتعذيب والآلام والأهوال .. وهي قصة معادة ملقنة يقع تحت تأثير مسرحيتها أي انسان ساذج فيرتي لحال يهود اوربا المشردين ، ويغيب عنه أن الصهيونية وعملاءها كانوا وراء مختلف عمليات (التشريد) التي انطوت على الترغيب والترهيب ، والقسر والتهديد ، والاختطاف والاعتقال لمخومها من اليهود، والمهادفة الى تهجير يهود شرق اوربا الى معسكرات التجمع ، وخاصة في المنطقة الامريكية كما سلف ذكره . وقد وجد أعضاء اللجنة الذين انقسموا الى عدة لجان فرعية لزيارة بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان (٣ شباط) ، ان عدد اليهود في مراكز التجمع الالمانية والنمسية يبلغ حوالي المائة ألف تقريباً (٩٨ ألفاً) ، معظمهم من البولنديين ، ويعيشون في أحوال حسنة ، ولكن معنوياتهم تعاني من الهبوط . وهنا كان عضو اللجنة الامريكى كرام على عجلة من أمره فاقترح ، ان توصي اللجنة بإدخال ١٠٠ ألف

يهودي الى فلسطين فوراً ، ولكن غالبية اللجنة احتجت على قبول هذا الرقم قبل أن تظا
أقدام اللجنة ارض فلسطين وتدرس أحوالها المحلية ؛ ورأت ان ذلك سوف يزود العرب
بظلمة مشروعة ضد اللجنة . ومعظم الأعضاء البريطانيين في اللجنة رغبوا في لفت نظر
اللجنة حالاً إلى تسرب اليهود من أوروبا الشرقية ، الأمر الذي كان يزيد من ضغط الهجرة
على فلسطين ^(١) . وأبدى عضوان بريطانيان ، أحدهما سنكلتون ، رغبتهما في لفت نظر
الحكومتين البريطانية والامريكية الى ما يجري من المخالفة والشذوذ ؛ فبينما كانت المنطقة
الامريكية من المانيا تشجع هذا التسرب اليهودي ، كانت سياسة المنطقة البريطانية تحول
دونه وتمنعه . وقد ألح كرام على طلبة بالهجرة اليهودية لدرجة أنه هدد بالاستقالة من اللجنة
إذا لم ينفذ مقترحه ، لولا أن وصلته رسالة من ترومان تخفف من غضبه ، وتطلب اليه أن
يستمر في تحقيقه (السوري) وكانما كان يعلم سلفاً نتيجة التقرير النهائي للجنة ^(٢) .

ومها يكن الامر ، ففي كلمات كاتب بريطاني مؤيد للصهيونية أن اللجنة عرفت كيف
ان الهيئات الصهيونية المنظمة لهذه التجمعات والمعسكرات قد أحبطت خطط التي كانت
تعدها لجنة اللاجئين الدولية لإسكان أيتام اليهود في سويسرة وغيرها من البلاد الاوربية ^(٣) ؛
وتشدت الصهيونية وطبقت مبدأ اللاتراجع عن هدفها الرسوم ، لدرجة توهمت معها اللجنة
أن لا مجال للتوفيق او للتساهل . من ذلك مثلاً ان الحكومة البريطانية أبلغت المنظمة
الصهيونية في تشرين الثاني ١٩٤٥ بأنها على استعداد لقبول ألف من أيتام اليهود في انكلترة ،

(١) حدثت بعض الصدامات بين البولنديين واليهود ، بتحريض لم يعرف مصدره في Kielce
(٥ تموز ١٩٤٦) وقتل خلالها ٣٦ يهودياً فيما يقال . Kirk, op. cit. p. 208
(٢) Crum, op, cit., pp. 128-29

(٣) تفرد الصهاينة باراز ورطة اليهود في اوروبا على انها كارثة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها ،
وهذا كلام لا ينضب ولا ينطبق مع ما جرى بالفعل كما ذكرنا .

وتظاهرت المنظمة بأنها قبلت العرض ، واوفدت مبعوثها ادلر رودل الى المانيا لىفاوض (اللجنة المركزية لليهود المحررين في بافاريا) ، وأصيب رودل بالذهول عند ما رأى هذه اللجنة ترفض التعاون معه رفضاً باتاً^(١) .

اللجنة في القاهرة :

وفي القاهرة استمعت اللجنة الى وجهة نظر جامعة الدول العربية (٢٨ شباط) التي اكدت ان الصهاينة ليس لهم حقوق في فلسطين خلاف حقوق الأقلية ضمن دولة عربية مستقلة . وتحدث عبد الرحمن عزام أمين الجامعة ، فخطب بالانكليزية أمام اللجنة ، وبما قاله : « .. ان اليهودي .. عاد من أوروبا بأفكار امبريالية وأفكار مادبة ، وآراء رجعية أو ثورية ، وحاول أن ينفذها أولاً بواسطة الضغط البريطاني ثم بواسطة الضغط الامريكى ، ثم ممارسته للإرهاب ... ان الصهيوني ، اليهودي الجديد يريد أن تكون له السيطرة ، ويدعي أن له رسالة تمدينية خاصة يعود بها الى العنصر المتخلف المنحل من أجل أن يضع مبادئه ، التقدم في منطقة لا تقدم فيها . حسناً ، إن تلك كانت دعوى كل دولة ارادت ان تستعمر وهدفت للسيطرة . ان الحجة كانت دائماً أن الشعب متخلف ، وان الدولة ذات رسالة انسانية تضع الشعب على طريق التقدم ان العرب يقفون بكل بساطة ويقولون : كلا ، لسنا رجعيين ولسنا متخلفين . حتى ولو افتقرنا الى المعرفة فان الفارق بين الجهل والمعرفة هو عشر سنوات في المدرسة . نحن أمة ذات حيوية قوية ، اتنا في خضم نهضتنا ؛ ونحن ننجب من الأولاد بقدر أمة في العالم ، ولا نزال نملك عقولاً ، ولدينا تراث حضارتنا وحياتنا الروحية ، ولن نسمح لأنفسنا بأن يسيطر عليها لا الأمم العظمى ولا الأمم الصغرى ، ولا الأمم المشتتة^(٢) . ويبدو أن كروسمان - على الأقل - قد تأثر من

Sykes, op. cit., p. 344

(١)

Crossman op. cit. , pp. 69-70 p. 119

(٢)

كلام عزام ، وقال انه لا يشك في ان الرجل « قد تكلم عن العالم العربي بأكمله ، وأنه قد عرض علينا قضية لو صادفها القبول مرة لقطعت الدعوى اليهودية كلها بضربة واحدة ليس الا . وتساءل كروسمان : « كيف يستطيع القوميون العرب الذين هم مصممون على تصفية الحكم البريطاني وتطهير مصر من العساكر البريطانية ، أن يوافقوا على غزو بطيء لفلسطين من جانب مستوطنين قد يكونون ساميين بالأصل ، ولكنهم يسلكون تماماً كما يسلك المستعمرون الاوربيون ؟ ان معارضة العرب للصهيونية لا صلة لها باللاسامية ، كما قال عزام ، وأنا مقتنع بأنه على صواب (١) » .

وزار فريق من اللجنة سورية ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية حيث اجتمع بمختلف الهيئات الرسمية والشعبية ، واستمع الى رؤساء الدول العربية . وقد حشد العرب كل الحجج الدامغة في قوالب المنطق السليم في ما قدموه للجنة من شهادات ومذكرات ، وفيما أسعواها من تصميمهم على الدفاع عن عروبة فلسطين مهما كلفهم الأمر ؛ وفي زوال أسباب شكوى اليهود بعد انهيار النازية والفاشية ، وفي الظلمة التي تقع على رأس العرب نتيجة فرض الغرب لليهود على فلسطين ، وحلّ مشكلتهم على حساب العرب ، وفي ماتعده الصهيونية من الحطط العدواني ذات الطابع الانساني من اجل تحقيق هدفها في تهويد فلسطين واشباع مطامعها في الاستحواذ عليها وعلى خيراتها . كذلك نشر العاهل السعودي بياناً قوياً في التعبير عن استعداده لأعظم التضحيات دفاعاً عن قدسية فلسطين وعروبته (٢) . وكانت المطالب العربية تتركز على وجوب حل قضية فلسطين بقطع النظر عن المسألة اليهودية التي هي مسألة عالمية ، واقامه كيان مستقل فيها حيث يتمتع كل من العرب واليهود بالحقوق والضمانات الدستورية المعروفة . وقد شهدت اللجنة في اثناء وجودها

ibid.

(١)

(٢) دروزة - المصدر السابق ص ٤٨ .

المظاهرات الشعبية الضخمة وكلها تلح على وقف الهجرة وبيع الاراضي ، وعلى إنشاء الحكومة الوطنية المستقلة بفلسطين .

وقبل أن ننقل الى المسرح الفلسطيني لتتابع أعمال اللجنة في التقصي والبحث والاستماع (٦ آذار) ، لا بدّ من وصف ما دار على هذا المسرح قبل قدوم اللجنة ، لأن قلق العرب ، وحرص الصهاينة على احراز نصر سريع ، أفضى الى مرحلة جديدة من الضغط والضغط المضاد .

فقد أعلنت جامعة الدول العربية أهم مقرراتها بشأن فلسطين ، حين أصدرت في ٢ كانون الاول ١٩٤٥ قراراً حول مقاطعة اليهود في فلسطين اقتصادياً ، وهذا نصه :

١ - إن المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين غير مرغوب فيها في البلاد العربية ، وان إباحة دخولها الى هذه البلاد بما يؤدي الى تحقيق الأغراض السياسية الصهيونية . فإلى أن تتغير هذه الأغراض يقرر مجلس الجامعة أن تتخذ كل دولة من دول الجامعة الاجراءات التي تتناسب وتتفق مع أصول الادارة والتشريع فيها ، بمنع هذه المنتجات من دخول بلادها بعد أول كانون الثاني ١٩٤٦ ، سواء جاءت من فلسطين مباشرة ، أو عن طريق آخر ، وسوف تتخذ جميع التدابير الأخرى لمكافحة الصناعة الصهيونية (٢) .

٢ - يدعو مجلس الجامعة الشعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة ان تتضامن وتتعاون مع دول الجامعة في هذا القرار ، فتمتنع الهيئات والتجار والوسطاء والافراد فيها عن التعامل والتوزيع والاستهلاك للمنتجات الصهيونية في فلسطين والبلاد العربية .

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٤٨ .

(٢) العبارة الاخيرة لم اجدها في المصادر العربية ، بل في كتاب :

Survey of Palestine, op. cit., p. 84

٣ - تؤلف لجنة من الدول الممثلة في الجامعة للاشراف على التنفيذ^(١) .

وبالفعل قامت الدول العربية بوضع القرار موضع التنفيذ ، وفرضت العقوبات الزجرية على المخالفين ، وكانت الخطوات جادة فعالة لدرجة أثارت قلق اليهود ، فرفعوا شكواهم الى حكومة الانتداب ، فأصدرت هذه بياناً رسمياً في ١١ كانون الثاني جاء فيه ان المسدوب السامي يتشاور مع وزير المستعمرات بصدد اتخاذ الخطوات تجاه هذا الموقف الذي يهيم الدولة المنتدبة المسؤولة عن رفاه الشعوب في فلسطين^(٢) .

وكان احتجاج الوكالة اليهودية الى الجمعية العامة للامم المتحدة بسبب اعلان المقاطعة العربية ، يُفهم في نطاق الجهود الصهيونية الدائبة لإثبات وجودها العدواني في فلسطين ، ولذا فقد اغتبط الصهاينة في أواسط كانون الاول ١٩٤٥ حين أقرّ الكونغرس الامريكى القرارات المؤيدة لهم ، متجاوزاً رغبة ترومان ووزير خارجيته بيرنز الذي كان حث على أن لا تتخذ أية خطوة كهذه إلا بعد نشر تقرير اللجنة الانكلو أمريكية . أما عرب فلسطين ففي وسط يأسهم من انصاف بريطانيا لحقوقهم ومطالبهم المشروعة ، وسكوتها على تفاسق الهجرة اليهودية وعلى فعال الصهاينة المتصاعدة ، لم يكن لهم ألا يتطلعوا بالأمل الى البيان المشترك الذي صدر عن العاهلين المصري والسعودي (١٦ كانون الثاني ١٩٤٦) أثناء زيارة العاهل السعودي للقاهرة ، والذي جاء فيه « ونحن نشارك المسلمين والعرب جميعاً في ايمانهم بأن فلسطين بلاد عربية مستقلة ، وأن من حق أهلها وحق المسلمين والعرب معهم أن تبقى عربية مستقلة كما كانت دائماً »^(٣) . وفي غضون ذلك نجحت وساطة الجامعة العربية

Survey of palestine, op. cit, pp. 84-85 (١)

ibid. (٢)

(٣) دروزة - المصدر السابق ص ٤٤ ، وأيضاً Hurewitz, op. cit., p. 238

في التوفيق بين الزعماء العرب الفلسطينيين وتشكيل اللجنة العربية العليا ، وتركت رئاستها شاغرة تقديراً للفقي المقيم في فرنسا والمحظورة عودته الى فلسطين . وعاد يهود فلسطين الى الضرب على وتر النعمة المحببة لديهم ، وتكرار القول بأن البريطانيين يخرقون صك الانتداب بتحديد هجرة اليهود ، وأن تشجيعهم لقدم اليهود الى فلسطين هو أمر مشروع. وعاد عرب فلسطين يؤكدون أن الانتداب نفسه هو أمر غير مشروع ، طالما أنه مفروض عليهم - وهم أصحاب الأرض وسكان البلاد الأصليين - ضد ارادتهم وخلاف مشيئتهم ، وان جميع اليهود الذين أتوا الى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، وسواء بتخصيص الحكومة أم بدونه ، انما هم مقيمون غير شرعيين . وطلعت الحكومة البريطانية بدعوى مردودة زعمت فيها أنه طالما بقي الانتداب ، فيستوجب عليها أن لا تحول دون استمرار الهجرة اليهودية ، وبما أن عصبة الامم لم تعد قائمة لتراقب سير الانتداب ، فالحكومة لها الحق - كسلطة حاكمة - في وضع حدود للهجرة اليهودية ، وهي ملتزمة بمعارضة كل الجهود الرامية الى تجاوز المعدل الذي تحدده .

ورفضت اللجنة العربية العليا الموافقة على اقتراح الخارجية البريطانية (١٩ كانون الثاني ١٩٤٦) بالسماح لـ (١٥٠٠) مهاجر يهودي شهريا بدخول فلسطين . وأعلنت أن الشعب العربي يتمسك بشدة بحقه القومي والمكتسب بخصوص وقف الهجرة اليهودية النهائي ، وان استمرار الهجرة سوف ينظر اليه كإمتياز لطلب اليهود العدواني ، وان ذلك لن يفضي الى الجو المرغوب من السلام والاستقرار ، وانما سوف يشجع اليهود على مضاعفة نشاطهم الارهابي بقصد ضمان امتيازات أخرى ^(١) . وصادقت كل من دول جامعة الدول العربية على موقف عرب فلسطين .

Supplementary Memorandum by the Government of (١)
Palestine, p. 6. See also Hurewitz, op. cit., p. 241

وحاول المندوب السامي الجديد السير آلان كاننغهام في الايام الأخيرة من شهر كانون الثاني إرضاء العرب واليهود في وقت واحد ، مع تأكيد سلطة الدولة المنتدبة في مكافحة أعمال الارهاب والتخريب . وأصدر في الثامن والعشرين من الشهر نفسه قوانين جديدة صارمة للطوارئ ، فرضت عقوبة الاعدام كحد أقصى لا على الذين يشتركون في الهجمات الارهابية فحسب ، بل على الذين ينتمون الى جماعات ارهابية أيضاً . وفرضت العقوبة نفسها على حيازة أو صنع اسلحة وذخائر وقذائف ومتفجرات ؛ وقد خول المندوب السامي نفسه حق نفي وطرده أي شخص من فلسطين أثناء نفاذ النظام . ولموازنة ذلك أعلن المندوب السامي بعد يومين (٣٠ كانون الثاني) ان الهجرة اليهودية سوف تستمر مؤقتاً بمعدل ١٥٠٠ في الشهر ، وفي الوقت نفسه سمح لجمال الحسيني بالعودة الى فلسطين بعد اطلاق سراحه من منقاه في روديسيا . ولكن نف بريطانيا للكتاب الابيض ونكولها عن كلمة الشرف بصدد الهجرة اليهودية ، لم ترض اليهود بعد أن لمسوا تهاوت السلطات ونجاح ضغوطهم وارهابهم ، فأعلنوا الاضراب في اليوم التالي احتجاجاً على عدم اطلاق الهجرة الجماعية الى فلسطين، وعدم رفع القيود الموضوعة على شراء الأراضي ، وقالوا بأنهم لن يبدأوا حتى يسقط الكتاب الابيض ، « وتفتح أبواب فلسطين أمام بقايا اسرائيل »^(١) . وبمقتضى السياسة المرحلية والواقعية للصهيونية ، ظلت الوكالة اليهودية تقبل المعدل الشهري (١٥٠٠) حين يجين وقته ، بحيث دخل فلسطين ٢١ الفاً من اليهود بصورة (مشروعة) خلال العام القادم المضطرب ، أي نسبة ١,١٪ من مجموع سكان فلسطين^(٢) .

(١) Kirk, op. cit., p.209

(٢) تصريح بيغن في مجلس العموم - ١٨ شباط ١٩٤٧ :

H. C. Deb. 5 th Ser. vol. 133 col . 986

وبرغم استنكار الصهيونية لمعدل الهجرة ونعته بأنه (تقطير) فان نسبة الهجرة السنوية الى الولايات المتحدة لم تتجاوز ١ بالمائة استثنائياً و فقط قبل عام ١٩١٤ ، ولم تقارب هذه النسبة مطلقاً منذ ذلك الوقت .

William, S, Bernard • American, Immigration Policy • N. Y. 1950. p. 158, table 37.

ونظم عرب فلسطين اضراباً عاماً في ٢ شباط احتجاجاً على نكول بريطانيا عن التزاماتها في الكتاب الابيض ، كما أعلنت السلطات العسكرية البريطانية عن عزمها على استخدام أسرى الحرب للعمل في المنشآت العسكرية البريطانية في جنوب فلسطين . فشن الصهاينة حملة دعائية قوية ضد هذا القرار ، لأن من شأنه أن يقوي السلطان البريطاني على البلاد ، في حين كان الاتحاد الصهيوني في بريطانيا يمتج على ذلك ويصفه بأنه استفزاز عدواني وعمل يمتل ان يضطرب به سلام البلاد .

الارهاب الصهيوني وسيلة للضغط على اللجنة :

ولكن ذلك السلام كان قد اضطرب فعلاً بتجدد اتحاد الهاغانا مع الارهابيين مع الأرغون وستيرن وتنفيذها معهم خطة مشتركة هاجموا خلالها المنشآت المستعملة لمكافحة الهجرة غير الشرعية . ففي ٢٠ شباط ١٩٤٦ هاجم البالماح وهي القوة الضاربة للهاغانا محطة راديو القوة الجوية الملكية في حيفا فدمرتها وجرحت جروحاً خطيرة اثنين من الضباط ، وأوقعت أضراراً أخف بستة آخرين . وبعد ذلك بيومين قامت البالماح بهجوم على معسكرات القوة المتحركة لفلسطين في شفا عمرو وكفر فتكن وسارونا . وفي شفا عمرو وقعت أضرار بالغة ، فأصيب ضابط من الشرطة في رأسه ، وأصبت ثلاث نساء بريطانيات وطفل بصدمة . وفي ٢٥ شباط قامت الارغون وفرقة ستيرن بهجمات على اللد وبتاح تكفا وكستينا ، فدمرت سبع طائرات وخربت ثماني آخر . ويبدو أنه قصد من هذه الحوادث أن تكون (انذاراً ثانياً) لأن الانذار الاول في ٣١ تشرين الاول - ١ تشرين الثاني ١٩٤٥ كان قد (أهمل) . وقد وصفت هذه الفعال في اذاعة (صوت اسرائيل) السرية بتاريخ ٣ آذار ، وبما جاء فيها : « لقد كان هدف الهجوم على محطة الرادار في جبل الكرمل تدمير واحد من مراكز الحكومة الرئيسية لتصيد اللاجئين اليهود .. إن هذه الهجمات الثلاثة هي رمز لكفاحنا ، وفي جميع الحالات كان الهجوم موجهاً ضد السلاح الذي يستعمله

الكتاب الايض في معركة المقيتة . . . فليس من هدفنا أن نقتل أي بريطاني في هذه البلاد ، إذ أننا لا نحمل ضدهم ضغينة لعلنا نهم ادوات لتنفيذ سياسة ، وفي كثير من الأحيان أدوات غير راضية « (١) .

كذلك تباهت نشرات الهاغانا والارغون بالدور الذي لعبه أفراد (حركة المقاومة اليهودية) في هذه العمليات . وقد شارك رئيس المجلس الملي اليهودي وغيره من الزعماء الصهاينة في تل ابيب بتشجيع اربعة من افراد البالمح قتلوا في الهجوم على منشآت البوليس في سارونة (٢) .

هذا هو الجو الذي جرى فيه تحقيق اللجنة الانكلاو أمريكية في فلسطين حين جاءت إليها في ٦ آذار ١٩٤٦ ، وكان الاستقبال المشحون بالارهاب قد قامت بتحضيره الزعامة الصهيونية ، إذ أراد الارهابيون أن يضعوا أعضاء لجنة التحقيق من البريطانيين المحايدين أمام الأمر الواقع ، ويشعروهم بتحدي الصهيونية لهم الى اقصى درجات التهور والصفاقة . وبرغم تحدي بن غوريون رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية للادارة الانتدابية ، وكان في الوقت نفسه مسؤولاً عن الهاغانا وعن شؤون الدفاع لوقت طويل ، فقد أبدى لدى ظهوره الاول أمام اللجنة (١١ آذار) أنه يفتقر الى الصدق والصراحة ، الأمر الذي أدى الى استدعائه ثانية أمام اللجنة ليقوم رئيسها البريطاني باستجوابه . والتقرير الذي يتضمن استجوابه لا يحتاج الى تعليق ، لأنه يعتبر من الأدلة الناصعة على خداع الصهاينة ونفاقه وتسترهم وراء التنصل من فعال الارهاب ، وعلى أساليب المراوغة والتحايل التي كانت أساساً لا غنى عنه في التعامل

Cmd. (6873), op, cit. & Sacher, op. cit p. 189 (١)

Supplementary Memorandum, op. cit., pp.6-7 (٢)

الصهيوني . وفيما يلي محضر الاستجواب نورهه للدلالة على كذب بن غوريون وتضليله وتواطؤه ، حتى ان كروسمان البريطاني الذي لا ينقصه العطف على الصهيونية لم يستطع أن ينكر خبث بن غوريون ومرامغه . وقد وجه الاستجواب السير جون سنكلتون في ٢٦ آذار ١٩٤٦ بقصد الكشف عن مدى علاقة الوكالة اليهودية بأعمال الارهاب والتخريب والقتل :

سنكلتون : هل الهاغانا فرع من الوكالة اليهودية ؟

بن غوريون : إنني لم أتكلم عنها ؛ (هاغانا) كلمة عبرية معناها الدفاع

س : هل تعتبر منظمة من نوع ما ؟

ج : هناك منظمات دفاعية متعددة في فلسطين .

س : لا تدع الأمر للخيال ؛ لقد سمعنا هنا في هذه القاعة عن منظمة عسكرية تحمل اسم

(هاغانا) فهل هي تابعة للوكالة اليهودية ؟

ج : إنني لا اعتقد أن هناك منظمة بهذا الاسم ، أظن أنه مجرد المعنى الذي تعنيه

كلمة (هاغانا) وهو الدفاع . يوجد بالتأكيد منظمات دفاعية لليهود في فلسطين .

س : وهل هذه المنظمة خاضعة للوكالة اليهودية ؟

ج : كلا ! إنها خاضعة لليهود في فلسطين . ان الوكالة اليهودية ذات مشاغل كثيرة

— إنها مسألة دفاع وأمن ، وهي (أي الوكالة) تلجأ بين وقت وآخر الى

الحكومة لتدعيم الدفاع عن المستعمرات والمستوطنات والمدن .

س : اذن فالهاغانا ليست خاضعة للوكالة اليهودية بشكل ما ، أليس كذلك ؟

ج : كلا ! ان الوكالة اليهودية لاعلاقة لها بأي نشاط سري أو خارج عن القانون .

س : إنني لم أسألك في هذا . إنني سألتك هذا السؤال : هل الهاغانا نحت شكل من

اشراف الوكالة اليهودية أم لا ؟

ج : في مقدوري أن أحدثك عن الوكالة لا عن الهاغانا ؛ إنني أمثل الوكالة اليهودية هنا ولا أمثل الهاغانا . إن الوكالة ليس لها علاقة بنشاط سري أو غير مشروع يتعلق باليهود في هذا البلد ، ومن ثم فلا علاقة لها بأية منظمة سرية .

س : يا سيد بن غوريون ، لا بد أنك تعلم أن هذه ليست الاجابة على سؤالي . . هل الهاغانا تحت إشراف ما من الوكالة اليهودية ؟

ج : ليس فئة منظمة من هذا النوع تحت اشراف الوكالة اليهودية ، على حد علمي .
س : هل هذه هي الاجابة على سؤالي ؟

ج : نعم ، يا سيدي .

س : إذن فانت تقول ان الهاغانا ليست تحت اشراف الوكالة اليهودية بشكل من الاشكال ؟

ج : .. إنها ليست تحت اشراف الوكالة اليهودية

س : ومن الذي يدفع نفقاتها ؟

ج : لا أعلم يا سيدي . اليهود في فلسطين .

س : وهل يجري ذلك عن طريق الوكالة اليهودية ؟

ج : كلا ، يا سيدي ، لقد قلت لك كلا .

س : هل يوجد في حساباتكم ما يثبت الانفاق على تنظيم الدفاع ؟

ج : نعم توجد أشياء كثيرة .

س : حسناً جداً ، أفهم من كلامك هذا أن الوكالة اليهودية ليس لها علاقة بالهاغانا ؟

ج : كلا ، يا سيدي ، تلك منظمة سرية . أجل ، للوكالة علاقة بالدفاع ، لأن كلمة

(هاغانا) لها معنى مزدوج ، فهي تعني الدفاع . أما اذا استعملت كلمة

(هاغانا) كاسم علم فهي اسم لمنظمة سرية . ان علاقتنا قاصرة على الدفاع وليس لنا

علاقة بمنظمة تدعى (الهاغانا) .

س : هل لك أن تأخذ السؤال في أوسع معنى ممكن . هل للوكالة اليهودية أية علاقة بالهاغانا ؟

ج : قلت لك كلا ؛ بالدفاع نعم ؛ لأن (هاغانا) معناها دفاع أيضاً^(١) !
وقد أقرت هذه المهزلة التي مثلت أمام اثني عشر عضواً امتعاض كروسمان العضو البريطاني المتعاطف مع الصهيونية ، فذكر في يومياته ان بن غوريون يريد من جهة أن يبقى رئيساً للوكالة ، ومن جهة أخرى يميز الارهاب كوسيلة توقع الضغط على الادارة الانتدابية^(٢) .
وقد ذكر باركلي كرام أن بن غوريون أصرّ على القول بأن هناك كلمة عبرية هي (هاغانا) وانها تعني (الدفاع) ، ولكنه لا يعرف ان كان هذا الاسم يستعمل للتعبير عن جمعية قانونية أو خيرية ، أو شركة تأمين أو أي شيء آخر^(٣) . ولكن هذه المغالطات ما كانت لتخفى على الادارة الانتدابية التي تعلم جيداً من تقارير مخابراتها أن صندوق التأسيس اليهودي كان ينفق ما لا يقل أبداً عن مليون جنيه فلسطيني سنوياً على المنظمات الارهابية خلال ثلاثين عاماً من الانتداب البريطاني .

ويروي شاهد عيان أن موسى شرتوك (شاريت) كان يجلس وراء بن غوريون صاحب الوجه ، ليجذب كم سترته ويهمس في أذنه كلما تعثر^(٤) .

اللجنة في فلسطين :

وفي فلسطين وصف كروسمان الوكالة اليهودية فقال انها تدير شؤون الجماعة اليهودية

Kirk, op. cit., pp. 211-212 (١)

Crossman, op. cit., p. 139 (٢)

Crum, quoted by Sykes, op. cit, p. 318 (٣)

Middle East Times (Jerusalem) 28 March 1946, quoted by Kirk, p. 212, footnote. (٤)

مع غابة التجاهل لموظفي الحكومة هؤلاء ؛ إنها في الواقع دولة ضمن دولة ، بموازنتها ومجلس وزرائها السري ، وجيشها ، وقبل كل شيء مصلحة مخبراتها . ونحدث عن قوة الهاغانا فقال انه موافق مع عضو اللجنة اللورد موريسون على أنه لا فرصة للحرب بين العرب واليهود ، « لأن الهاغانا تستطيع ان تدحر العرب في بضعة أسابيع . كلا ، وإنما حرب بين الجيش البريطاني واليهود »^(١) . وخرج كروسمان بنتيجة : « ان السبيل الوحيد لاجتباب الحرب ، يبدو لي هو التقسيم النظيف ، ولكن يجب ان يجري فرضه ، ويجب أن يكون كريماً مع اليهود بما يكفي لجعل وايزمن قادراً على استعادة سلطته وإرضاء المتطرفين لديه ! ولكن كروسمان من جهة أخرى يرى أن « وايزمن وماغنيس وبن غوريون هم جميعاً متفقون على الهدف- وهو إقامة كومنولث يهودي في فلسطين . وفي ذلك يستوي ماغنيس بالتطرف مع عضو عصبة شتيرن ، وما يختلفون به هو التكتيك »^(٢) .

وقابل كروسمان الارهابيين في معسكر احتجز فيه ثلاثمائة منهم بموجب قانون الطوارئ ، ومعظمهم كان يتراوح عمره بين ١٥ - ٣٠ عاماً ، وقد عبروا عن رضاهم الكامل بأحوال إقامتهم : « كانوا ينامون على سرر متسعة تماماً ، في منازل جيدة خاصة بالجيش ، وقد زودوا بمكتبة واجهزة للراديو ، وصحف ، وجميع الشؤون الأخرى »^(٣) .

ونحدث جمال الحسيني مع كروسمان فتلخص الموقف بالكلمات التالية : « انني أقدر أن بلدكم قد انهكته الحرب ، وانكم ستحتاجون المساندة الامريكية للحفاظ على تماسك امبراطوريتكم . وأنا أفهم تماماً المصاعب الاقتصادية وافتقاركم الى القرض . وفي المستقبل

ibid., pp. 141-142

(١)

ibid., p. 143

(٢)

ibid., pp. 145

(٣)

سيتوجب عليكم اتخاذ سياسة تضمن الدعم الأمريكي ، وأنا اتوقع منكم ومن حكومتكم لهذا السبب أن تقدموا المعونة للصهاينة . وفي تلك الحالة سوف أعود الى مهنتي القديمة : ولست غير سعيد كمقاتل يخوض حرب العصابات . ولكنني سوف آمل دائماً أنه حالما تنتهي حاجتكم العاجلة للمعونة الأمريكية ، سوف تعودون الى صداقتكم القديمة مع العرب . وفي غضون ذلك لن نتوقعوا منا أن نرفض المعونة من أية جهة ،^(١) . ماذا كان جواب كروسمان ؟

قال إنه لا يقبل تحليل جمال للقضية بكل تفاصيله ، ولكنه لو اضطر أن يختار بين الصداقة الأمريكية والصداقة العربية ، فيختار الأولى ! « ولكن لماذا يكرهنا العرب على هذا الاختيار ، لماذا لا يتوصلون الى تسوية ويقبلون المائة ألف ؟ !»

وفي فلسطين قابلت اللجنة وايزمن الذي كان يرجو أن توافق بريطانيا على التقسيم . وكذلك كان موقف شرتوك الذي اقترح حدوداً للدولة اليهودية شرط أن تشمل على الجليل والنقب ، وان يعني التقسيم الاستقلال التام حقاً ، بما في ذلك العلم اليهودي والجيش اليهودي والتمثيل في الأمم المتحدة . وقال شرتوك ان مثل هذا المشروع يمكن أن ينجح شرط فرضه بسرعة وبجسم ، وإلا فالعرب سوف يسقطونه ، كما فعلوا عام ١٩٣٨ ، فيشل^(٢) . أما بن غوريون فقد رأى بالإضافة الى ذلك أنه لا خطر من نشوب ثورة عربية في الحال ، بعد الاعلان عن التقسيم ، لأنه يعتقد أن العرب يخشون نوعاً اليهود . ولم يفت بن غوريون أن يتمسح بادعاء الاشتراكية التي ستنظم الكومنولث اليهودي والتي سوف تأسر الشرق الأوسط ، وسوف تكون عقبة بريطانيا ضد روسيا^(٣) !

Crossman, *ibid.*, p. 146

(١)

ibid., pp. 137,164

(٢)

ibid., p. 165

(٣)

ويبدو تمييز اللجنة منذ أن ادعت بأن الكتاب الابيض لم يكن مشروعاً في نظرها « لأنه خرق للحقوق الطبيعية التي كفلها الانتداب لليهود ، ! ويفسر كروسمان الحاح الصهاينة على الهجرة الى فلسطين تفسيراً غريباً في بابه . قال « ان الولايات المتحدة وكندا واستراليا وبعض بلدان امريكا اللاتينية يمكن أن تقنع بقبول بعض عشرات الآلاف من الأشخاص النازحين ، ولكن اليهود كانوا يشكلون جزءاً صغيراً جداً فقط من مجموع هؤلاء . وكان من الواضح أنهم يجب ان يمضوا سنوات في المانيا والنمسا إذا كان عليهم أن ينتظروا دورهم في الرتل ، طلباً للاذن بقبولهم في بلدان الديموقراطيات الغربية . إن الحقيقة التي كان ينبغي قبولها - وهي مخجلة في حد ذاتها - بأن فلسطين كانت البلد الوحيد الذي يستطيع استيعاب المائة ألف يهودي على الفور ، ! ولكن لماذا يختص اليهود من كل الاشخاص النازحين Displaced Persons ، ولماذا لا تدرس اللجنة قبل توصيتها بادخال المائة ألف يهودي الى فلسطين ، المضاعفات السياسية التي ستنتج عن ذلك ؟ ألا تتضح النوايا السيئة المنحازة في كل ذلك ؟

ولكن كروسمان سرعان ما يجيب على هذا حين يقول أثناء عرضه لمسألة الهاغانا :
« انني لا اعتقد أن دخول المائة ألف يهودي سوف يسبب أية اضطرابات عربية لا يمكن معالجتها بسهولة بواسطة الجيش البريطاني الضخم في فلسطين ، ! فالحظوة الكبرى في نظره ليست صدام العرب الغالية بالبريطانيين ، وإنما صدام البريطانيين بالهاغانا .^(١)

وجدير بالملاحظة ان كروسمان رأى ان تقسيم فلسطين محل قضيتها ، لأن :

١ - الوكالة تقبله وتقمع فعال الارهاب .

٢ - الهجرة تصبح مسؤولية يهودية .

٣ - ان رغبة بريطانيا في الاحتفاظ بفرق عسكرية في فلسطين تُضمن بمعاهدة مع الدولة اليهودية شبيهة بمعاهدة بريطانيا مع شرق الاردن .

٤ - لا تعارض الجامعة العربية هذه الحطة بأكثر من معارضتها لالغاء الكتاب الابيض ، والعودة الى سياسة الدعم الايجابي البريطاني للاستيطان اليهودي في كل فلسطين .

٥ - وأهم من ذلك كله ان العرب واليهود يحصلون على استقلالهم ، ويصبحون مسؤولين عن علاقاتها . وعوضاً عن توجيه اللوم الى بريطانيا ، فيستوجب عليهم ان يصلوا الى اتفاق أو يتنازعا (١) .

ولكن ثمة ماوىء للتقسيم ، منها أن الدولة اليهودية ، كما صورها وايزمن ، سوف تشمل على غالبية عربية إلى أن يأتي المهاجرون اليهود الجدد . وسوف يتوجب على بريطانيا أن تفرض التقسيم وتبقى في فلسطين كدولة منتدبة لفترة سنتين او ثلاث ، ولكن كروسمان برغم هذه الماوىء يؤيد التقسيم ، « لأن حجم القوة المطلوبة لفرض التقسيم ليس بأعظم من حجمها اللازم لنزع سلاح الهاغانا . وبينما لا يؤدي نزع سلاح الهاغانا الى شيء ، فالتقسيم قد يبرهن أنه الحل النهائي (٢) » !

وقد برعت الوكالة اليهودية في إخراج مسرحية الاستماع اليهودي أمام اللجنة ، فنعت كل يهودي من الادلاء بشهادته إلا عن طريقها . كذلك استمعت اللجنة إلى يهود البلدان الغربية الذين أكدوا انهم راضون عن أحوالهم وانه ليس لديهم أية رغبة في الهجرة الى فلسطين (٣) . وتعترف بعض المصادر العاطفة على الصهيونية أنه كان من الصعب الرد على العرب والحجج العربية ، « ولا سيما عندما تصدر عنهم الحجة المهمة المعروفة وهي أن المسلمين

ibid , pp. 190-191

(١)

ibid.

(٢)

kirk, op cit.,p. 213

(٣)

العرب ليسوا هم المسؤولين عن أحوال اليهود السيئة الراهنة في أوروبا ، وإنما يُسأل عنها الاوروبيون المسيحيون ، ومع ذلك يطلب الآن الى العرب لا الى الاوربيين أن يعالجوها. ولم يستطع أحد من أعضاء اللجنة ولا من الصهاينة الرد على هذه الحجة ، ووجد بارتلي كرام نفسه ، وقد اضطرب ضميره أمام هذه الحجة ، بالرغم من أنه لم يكن يخفي عطفه على الصهيونية ^(١) . وفي أثناء قيام اللجنة بمهمتها في فلسطين تابعت الهجرة المسماة غير شرعية نشاطها ؛ فقد اعترضت البحرية البريطانية سبيل بعض السفن التي كانت تحمل قرابة الألف مهاجر يهودي واقتيدت إلى حيفا ، وفي الوقت نفسه انتشرت أعمال العنف والارهاب في تل ابيب وضواحيها ضد البريطانيين ، واشتملت على اطلاق النار ووضع الألغام وماشاكل.

وغادرت اللجنة الانكلو امريكية فلسطين في ٢٨ آذار في طريقها نحو لوزان في سويسرة لوضع تقريرها النهائي ، فقضت فيها ثلاثة أسابيع في النقاش واعداد مسودات التقارير. وحين صاغت اللجنة تقريرها في لوزان كان كروسمان و كرام في الظاهر الوحيدين المؤيدين للتقسيم : دولة يهودية في المنخفضات السهلية الحصبية ، ودولة عربية في المرتفعات ^(٢) . وقد رفضت اللجنة في آخر الأمر حل التقسيم نظراً لأنه غير عملي ، كما رفضت الاقتراح بأن تكون فلسطين دولة يهودية أو دولة عربية . ويقول الاستاذ جورج كيرك « ان اللجنة برغم تجارب السنوات العشر الماضية ، تعلقت بالأمل في امكان حض الجانبين على العيش معاً في سلام ، إذا تعهدت الولايات المتحدة بقطع أكبر من التعاون في التأكيد على أن المتحاربين لن يتلقوا دعماً مالياً ومادياً من الخارج » ^(٣) . وأعاد الاعضاء البريطانيون الى

Sykes, op. cit., p. 348 (١)

Crossman, op. cit., pp. 176-9 (٢)

Kirk, op. cit., p. 213 (٣) وقد طرح على اللجنة مقترح بريطاني تتمعد

بوجه انكثرة والولايات المتحدة بمسؤولية مشتركة للحفاظ على النظام في فلسطين ، خلال تنفيذ توصيات اللجنة ، ولكن الاعضاء الامريكان لم يوافقوا على المقترح ، فتم سحبه :

Crossman, op. cit., pp.158-69

الأذهان المصاعب البالغة في تعين الحدود العادلة بين الجماعتين العربية واليهودية المختلطتين جغرافياً، وان فكرة التقسيم نفسها كانت مكروهة لدى عرب فلسطين والدول العربية، في حين أن الصهاينة قد يرفضون أي تقسيم لا يمنحهم مساحات جديدة للاستيطان. ويقول كيرك ان هذه الحقائق هي التي جعلت الرأي الرسمي البريطاني يحجم عن فكرة محاولة فرض التقسيم دون مساندة الولايات المتحدة، طالما أنه كان توافقاً لاجتناب ما يعكر علاقته بالبلدان العربية، في وقت تندمج خلاله الحكومة السوفيتية مجرب أعصاب لجعل تركيا وإيران تدوران في فلكها، وفي حين كان طلب جلاء القوات البريطانية عن سورية ولبنان وعن مصر، يجعل امتلاك قاعدة بريطانية عسكرية في فلسطين باستمرار، أمراً في غاية الأهمية الاستراتيجية^(١). ومهما يكن الأمر فقد لقيت اللجنة بعض الصعوبة في التوفيق بين وجهتي النظر البريطانية والأمريكية، ووفقت أخيراً الى اصدار تقريرها بالاجماع.

توصيات لجنة التحقيق الانكلو - أمريكية :

نشر تقرير اللجنة في ١ أيار ١٩٤٦ وقد تضمن عشرة توصيات بدأت كل منها بعنوان واقترنت بتعليق^(٢).

المعضلة الأوربية-التوصية الاولى : ان جميع البلدان، ما عدا فلسطين، لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد مساكن لليهود الذين يرغبون في مغادرة أوروبا أو أنهم يرغبون على تركها.

Kirk, op. cit., p. 213

(١)

(٢) النص الكامل مأخوذ عن « الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين »، المصدر السابق ص

٣٦٠-٣٧٧ مترجماً عن الاصل الانكليزي المحفوظ في الملف رقم ١/٩/٦٠ في الامانة العامة لجامعة

الدول العربية . انظر النص المختصر في :

Supplementary Memorandum, op. cit., pp. 8-9

ولكن فلسطين وحدها لا تستطيع استيعاب جميع اليهود وضحايا الاضطهاد النازي والفاشي ، الأمر الذي يجعل العالم بأسره مسؤولاً عنهم وعن جميع الاشخاص المشردين . ولذا فاننا نوصي حكومتنا معاً بأن تشرعاً فوراً بالتعاون مع البلدان الأخرى بالسعي الحثيث لايجاد مساكن جديدة لجميع الاشخاص المشردين ، بقطع النظر عن عقيدتهم أو جنسيتهم ..

وعلى الرغم من أن الهجرة ستحل مشاكل بعض ضحايا الاضطهاد ، فإن الاكثوية الساحقة ، بما فيها عدد غير قليل من اليهود ، ستبقى مقيمة في اوربا ، ولهذا فاننا نوصي حكومتنا بأن تسعي لضمان تنفيذ احكام ميثاق الامم المتحدة الذي يدعو الى « تشجيع الاحترام الشامل لحقوق الانسان مع المحافظة على الحريات الأساسية للبشر أجمع دون تمييز في العرق أو اللغة أو الدين ، » .

هجرة اللاجئين الى فلسطين - التوصية الثانية :

أولاً - أن يصدر في الحال مائة ألف إجازة تحوّل دخول فلسطين لليهود الذين كانوا ضحية اضطهاد النازية وعسف الفاشية .

ثانياً - وأن تمنح هذه الاجازات إن أمكن خلال العام الحالي ، وأن تم هجرة هذا العدد الفعلية بأسرع وقت تسمح به الظروف .

وجاء في التعليق على هذه التوصية أن اللجنة لا تعرف بلداً أخرى يمكن للأكثوية الساحقة من هؤلاء اليهود أن تهاجر اليها في المستقبل القريب سوى فلسطين ، فضلاً عن هذا فكلهم تقريباً يرغبون في الذهاب الى فلسطين ، وذلك لأنهم على ثقة من أنهم سيستقبلون هناك بالترحاب الذي لا يحلمون بالحصول عليه في أي بلد آخر . وانهم هناك يأملون أن يعيشوا بأمان ويجددوا أمانهم بالحياة .

.. فضلاً عن ذلك فقد أكد لنا زعماء الوكالة اليهودية أن هؤلاء المهاجرين سيجدون كل عناية ومساعدة وعطف.. وبما لا ريب فيه أن هذا العدد الوافر من المهاجرين سيكون عبئاً ثقيلاً على فلسطين . ولكننا على ثقة من أن السلطات المختصة ستحمل ذلك على عاتقها ، وانها ستحصل على معارونة الوكالة اليهودية التامة في حمل هذا العبء .

مبادئ الحكم : لا دولة عربية ولا دولة يهودية - التوصية الثالثة :

لأجل البت نهائياً في مطالب العرب واليهود بشأن الاستئثار بفلسطين ، نرى من الضروري التصريح عن المبادئ التالية :

- ١ - أن لا سيادة لليهود على العرب ، ولا للعرب على اليهود في فلسطين .
- ٢ - أن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية .
- ٣ - إن الشكل النهائي للحكم الذي سينشأ في فلسطين يجب أن يضمن -- بضمانات دولية - حماية ورعاية المصالح المسيحية والاسلامية واليهودية على السواء في الأراضي المقدسة ، وهكذا يجب أن تصبح فلسطين في النهاية دولة ترعى وتحمي حقوق ومصالح المسلمين واليهود والمسيحيين على السواء ، وتمنح السكان بمجموعهم أكبر نصيب من الحكم الذاتي الذي يتفق وأحكام المبادئ الثلاثة الأساسية الآتفة الذكر .

وفي التعليق على ذلك قالت اللجنة : « ينبغي جعل فلسطين بلداً يمكن فيها التوفيق بين الأماني الوطنية المشروعة لليهود والعرب كليهما معاً دون أن يخشى أي فريق تسلط الفريق الآخر عليه . وفي رأينا أنه لا يمكن تحقيق هذه الغاية في ظل أي شكل من أشكال الدساتير التي يكون فيها للأكثرية العددية الرأي الحاسم . ذلك لأن نضال الفريقين في سبيل الحصول على الغالبية العددية هو الذي يعكس جو العلاقات بين العرب واليهود .

ولضمان حكم ذاتي صحيح لكلا الجماعتين العربية واليهودية ، لا بدّ من جعل هذا النضال عديم الجدوى بحكم الدستور نفسه .

الانتداب ووصاية الأمم المتحدة - التوصية الرابعة : لقد توصلنا الى النتيجة التالية وهي ان العداء بين العرب واليهود ، ولا سيما اصرار كل فريق منها على السيطرة على الفريق الآخر ، عن طريق العنف إذا اقتضى الأمر ، يجعل في حكم المؤكد أن كل محاولة لتأسيس دولة أو دول مستقلة في فلسطين في الوقت الحاضر ، أو بعد فترة من الزمن ، تؤدي الى نزاع داخلي قد يهدد السلام العالمي . ولذا فاننا نوصي ، ربّما يتلاشى هذا العداء ، باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب ، الى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الامم المتحدة عليها .

المساواة بمستوى المعيشة - التوصية الخامسة : إننا نوصي ، ونحن نتجه بأنظارنا الى شكل من الحكم الذاتي يتفق والمبادئ الثلاثة المبسطة في التوصية الثالثة ، بلزوم قيام الدولة - سواء أكانت منتدبة أو وصية - باعطاء التصريح التالي ، وهو أن تقدم العرب الاقتصادي والعلمي والسياسي في فلسطين يجب أن يكون مساوياً لتقدم اليهود في هذا المضمار . كما ينبغي على الحكومة ان تقوم بالخطوات اللازمة التي تستهدف سد الثغرة القائمة الآن بين المستويين ورفع مستوى معيشة العرب، وبهذا ينسى لكلا الشعبين نقمهم ومصالحهما المشتركة ومصيرهما المشترك في الأرض التي يعود كلاهما اليها .

سياسة الهجرة المستقلة - التوصية السادسة : ربّما نحال قضية فلسطين قريباً الى منظمة الأمم المتحدة ، وينفذ فيها نظام الوصاية ، فاننا نوصي بوجود ادارة فلسطين من قبل الدولة المنتدبة بموجب أحكام نظام الانتداب الذي يصرح بشأن الهجرة : « بأن ادارة فلسطين

مكلفة بتسهيل الهجرة اليهودية في أحوال ملائمة مع مراعاة عدم الاضرار بحقوق الطوائف الأخرى ومركزها .

وجاء في التعليق على ذلك: .. إننا نرفض الرأي القائل بعدم جواز قبول هجرة يهودية أخرى الى فلسطين دون موافقة العرب ، الأمر الذي سيؤدي الى سيطرة العرب على اليهود ، ونرفض كذلك طلب اليهود الملح بتقرير هجرة يهودية اجبارية بأسرع ما يمكن بغية إيجاد أكثرية يهودية ، ومن ثم تأسيس وإنشاء دولة يهودية في فلسطين . ان سعادة اليهود يجب أن لا تكون خاضعة لسعادة العرب . ولا سعادة هؤلاء خاضعة لسعادة أولئك . ان رفاه الفريقين ، والحالة الاقتصادية في فلسطين كمجموع ، ودرجة تنفيذ المشاريع للزيادة في تحسينها وتقديمها ، ان كل هذا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند تقرير عدد المهاجرين الممكن قبولهم في أية فترة خاصة ، ان فلسطين أرض مقدسة للأديان الثلاثة ، ويجب أن لا تصبح أرض أي واحد منها دون الآخرين . والهجرة لإنهاء الوطن القومي يجب أن لا تصبح سياسة تحيز ضد المهاجرين الآخرين . وعليه فكل شخص يرغب في دخول فلسطين ، ويكون أهلاً لذلك بموجب القوانين المرعية ، يجب ان لا يرفض قبوله بداعي أنه ليس يهودياً . وكل تشريع يتعلق بالهجرة يجب أن يوضع ويطبق على هذا المبدأ دائماً . وفضلاً عن ذلك فإننا مع اعترافنا بأن كل يهودي يدخل فلسطين وفقاً لقوانينها يكتسب حق الإقامة فيها ، نشجب بشدة وجهة نظر بعض المحافظين اليهودية في أن فلسطين قد مُنحت أو قد تنزل عنها بطريقة ما لتكون دولة ليهود العالم قاطبة ، وان كل يهودي أينما وجد هو مواطن فلسطيني لمجرد كونه يهودياً ، وفي وسعه إذن دخول فلسطين كحق مكتسب من حقوقه ، دون الالتفات الى الشروط التي تفرضها الحكومة على المهاجرين ، وانه ليس هناك هجرة يهودية غير مشروعة الى فلسطين .

إننا نصرح ونؤكد أن كل مهاجر يهودي يدخل فلسطين خلافا لقوانينها إنما هو مهاجر غير شرعي ، .

سياسة الأراضي - التوصية السابعة : إننا نوصي بما يلي :

١ - إلغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضي الصادرة في سنة ١٩٤٠ واستبدالها بقوانين تستند الى سياسة حرة في بيع الأراضي وإيجارها والانتفاع منها بقطع النظر عن الجنس أو الملة أو العقيدة ، مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين .

٢ - وعدا ذلك اتخاذ التدابير اللازمة لإبطال ومنع الاحكام المتعلقة بنقل الملكية والايجارات والاتفاقيات المتعلقة بالأراضي التي تنص على جواز استخدام أفراد عنصر أو طائفة أو دين واحد دون غيرهم في تلك الأراضي وحواليها أو فيما له صلة بها .

٣ - وجوب ممارسة الحكومة رقابة دقيقة على الأماكن والمواقع المقدسة كجسر الجليل (بحيرة طبرية) وما جاوره مما يضمن عدم انتهاك حرمتها واستعمالها في أوجه لا يرتاح اليها ضمير أهل الدين ، وأن تسن فوراً القوانين اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

وجاء في تعليق اللجنة على ذلك : كانت قوانين انتقال ملكية الأراضي الصادرة في سنة ١٩٤٠ تستهدف حماية المستأجر العربي والملاك الصغير بمنع بيع الأرض إلا للعربي الفلسطيني في احدى المناطق ، وتقييد هذه البيوع في منطقة أخرى ، والسماح ببيعها بصورة حرة في منطقة ثالثة ، مما أدى الى التحيز ضد اليهود . وهكذا نجد أن هذه القوانين ترمي الى فصل العرب عن اليهود وإبقائهم منعزلين بعضهم عن بعض . ان عقود والايجار التي يجرىها (الصندوق القومي اليهودي) تتضمن نصاً ماله أن لا يستخدم عمالاً غير يهود في الأرض المستأجرة أو حولها أو فيما له صلة بها . ونصاً آخر بأن كل عقد إيجار فرعي يجب أن يتضمن شروطاً مماثلة . إننا نعارض هذا التحيز . ونعتقد أن أحد الأسباب التي لأجلها

وضعت مثل هذه الأحكام إنما هو ضمان استخدام المهاجرين اليهود في الاراضي ، ولكننا لا نرى أن هذا الغرض يبرر الاحتفاظ بتلك النصوص والاحكام التي تعرقل التأزر والتفاهم بين العربي واليهودي .

التطور الاقتصادي – التوصية الثامنة :

لقد عرضت علينا تصاميم مختلفة لتطور فلسطين الزراعي والصناعي على نطاق واسع . وهذه التصاميم إذا ما نفذت بنجاح ، تزيد في قابلية البلاد على استيعاب ، وإعاشة عدد أكبر من السكان ، وترفع مستوى معيشة اليهود والعرب على السواء . ولنا في وضع يؤهلنا لتقدير مدى صحة هذه التصاميم الخاصة ، وإنما لا يسعنا إلا أن نؤكد أنها كانت عملية من الوجهة الفنية فستتهي بالاخفاق ، ما لم يكن ثمة سلم مستتب في فلسطين . فضلاً عن ذلك فإن نجاحها التام يستلزم مؤازرة الدول العربية المجاورة لها لأنها ليست مشاريع فلسطينية صرفة ^(١) .

التعليم – التوصية التاسعة :

تعزيراً للتفاهم بين الشعبين ، وسعيًا وراء تحسين مستوى معيشة العرب بصورة عامة فإننا نوصي بإصلاح نظام التعليم لليهود والعرب كليهما ، على أن يشمل هذا الإصلاح إدخال التعليم الاجباري خلال فترة معقولة من الوقت .

وجاء في التعليق على هذه التوصية : إننا نوصي بشدة بوجود سيطرة الحكومة التامة على نظام التعليم اليهودي والعربي ، للقضاء على هذا التثبث المشبع بروح العنصرية ومسوخ

(١) اشارة الى المشروع الصهيوني لاستعمال مياه نهر الاردن للري الواسع ، والنقد هنا موجه الى المقترحات الصهيونية الخاصة بانشاء هيئة تختص بوادي الاردن ، يكون لها حق التصرف في مياه نهر الاردن وروافده ، دون الرجوع الى حكومتنا شرق الاردن وسورية اللتين ينبع منهما من الروافد ما يغذي النهر بجانب هام من مياهه .

التعليم لأغراض الدعاية . كما أن من واجب الحكومة العمل على جعل التعليم أداة للتفاهم بين الشعبين ، وذلك بالاشراف على الكتب المدرسية ومناهج التعليم وتفتيش المدارس إشرافاً دقيقاً .

الحاجة الى استتباب السلم في فلسطين – التوصية العاشرة :

إننا نوصي في حالة العمل بما ورد في هذا التقرير ، بأن يوضح لكل من العرب واليهود معاً بصورة لا تقبل الشك ، بأن كل محاولة من أي فريق ترمي عن طريق التهديد بالعنف أو عن طريق الارهاب ، أو عن طريق تنظيم جيوش غير قانونية ، واستخدامها للحيلولة دون تنفيذه ، سوف تقمع بحزم .

وإضافة الى ذلك ، من رأينا ان تستأنف الوكالة اليهودية في الحال التعاون الفعال مع السلطة المنتدبة لقطع دابر الارهاب والهجرة غير المشروعة ، ولصيانة الأمن والنظام في جميع أنحاء فلسطين ، لأن ذلك ضروري لمصلحة الجميع بما فيهم المهاجرون الجدد .

هذا عن التوصيات التي تضمنها تقرير اللجنة الانكلو أمريكية . وعن الوضع السياسي في فلسطين جاء في التقرير : « لقد بلغ مجموع المنتسبين الى سلك البوليس ومصحة السجن في سنة ١٩٤٥ نحو خمسة عشر ألف رجل ، وأنفق على المحافظة على الأمن خلال سنة ٤٤ - ١٩٤٥ المالية ٤ ملايين و ٦٠٠ الف جنيه ، بينما أنفق على الصحة ٥٥٠ الف جنيه وعلى المعارف ٧٠٠ الف جنيه ، وبذلك تطورت فلسطين حتى أصبحت دولة شبه عسكرية أو دولة بوليس . وعرضت اللجنة لموقف العرب فقالت : « إن أبرز مظاهر السياسة العربية اليوم هو رفض العرب الموافقة على دخول يهودي واحد الى فلسطين رفضاً مطلقاً لا قيد فيه ولا شرط . ثم قالت : « هناك سبب آخر لإصرار عرب فلسطين على الاستقلال فوراً وهو رغبتهم في عضوية جامعة الدول العربية . فعرب فلسطين يشعرون أنهم لا يقلون

أهلية للحكم الذاتي عن جيرانهم في سوريا ولبنان ، أولئك الذين نالوا استقلالهم خلال الحرب العالمية الثانية ، وعن جيرانهم في شرقي الاردن الذي أصبح منذ انتهاء الحرب مستقلة . وشرح تقرير اللجنة نفوذ الوكالة اليهودية بحيث يمكن وصفها بأنها حكومة تقوم الى جانب الحكومة المنتدبة ، وأنها تمارس سلطتها على الهاغانا التي يقدر عددها بأكثر من ستين ألفاً ، وأنها ما زالت توحد المقاومة اليهودية الفعالة ضد الحكومة حتى قوضت سلطتها الادارية . وسجل التقرير ان المناصب العامة العليا في فلسطين محصورة بالموظفين البريطانيين « الذين يمارسون السلطة كأنهم في بلاد لا يزال معظم سكانها في اول مرحلة من مراحل الحضارة » .

وعن موقف البلدان العربية قال التقرير : « لقد وجد أعضاء اللجنة الذين طافوا في الاقطار العربية المجاورة أن العداء للصهيونية مستحکم فيها ومنتشر ، شأنه في فلسطين ذاتها؛ فحكومات وشعوب الدول العربية المجاورة تعتقد أن إقامة دولة صهيونية في فلسطين ينطوي على خطر مباشر عليها ، ويعرقل المساعي التي تبذل لتوثيق اتحاد العرب . وقد قال رئيس وفد سورية في الاجتماع العام لهيئة الأمم المتحدة مخاطباً أعضاء اللجنة الانكلو أمريكية في لندن : ان فلسطين في أيدي غرباء تكون اسفناً بشقّ العالم العربي في أهم نقطة حيوية منه ، وقد أعرب الشاهد أيضاً عن خوف العرب من أن تصبح أمة دولة صهيونية ميالة حتماً الى التوسع والاعتداء ، وتميل الى الاتفاق مع أمة دولة تتبع في المستقبل خطة معادية للسياسة العربية ، وهذا الشاهد كتب لنا يقول : « إن الشرق الأوسط منطقة حيوية ، وفيه لجميع الدول العظمى مصالح ، ولن تقوم قائمة لدولة صهيونية في فلسطين إلا بمعاودة الدول الأجنبية ، وهذا لا يعني نشوء التوتر بين تلك الدول والدول العربية فحسب ، بل يعني أيضاً احتمال وقوع سلسلة من الحوادث الخطيرة ، ومناورات قد ينشأ عنها احتكاك دولي شديد الوطأة يحتمل أن ينتهي بنكبة » . وعن المصالح المسيحية في

فلسطين ذكر التقرير « واستمعت اللجنة الى ممثلي الكنائس المسيحية ؛ فالمسيحيون العرب من مختلف الطوائف البالغ عددهم ١٢٥ ألف نسمة أعلنوا تضامنهم التام مع المسلمين العرب في المطالبة بدولة عربية مستقلة » . وعلى الرغم من هذه الحقائق التي وقفت عليها اللجنة خلال مراحل تحقيقها المختلفة ، في فلسطين وخارجها ، فان تقرير اللجنة صدر مخيباً لآمال العرب ، إذ جاء آية في الشذوذ والتحيّز والبعد عن العدل والمنطق والواقع ، كما جاء دليلاً قاطعاً على أن اللجنة لم تكثرت بأقوال العرب ولم تتطلع على تقاريرهم ، بل أخرجت تمثيلية تحقيقها المعروفة بنتائج مقدماً ، ونفذت الأوامر الصادرة إليها ، خاصة من واشنطن ، وهي أوامر أمليت تحت تأثير الضغوط الصهيونية .

نقد توصي التقرير :

ربما يسهل فهم توصي اللجنة إذا قابلنا ما يتصل منها بقضايا الاستقلال والهجرة والاراضي ، وهي اخطر قضايا فلسطين ، بأحكام الكتاب الأبيض الذي كان لا يزال ساري المفعول رسمياً ، والذي شكلت توصي اللجنة نسفاً كاملاً له :

أولاً : الاستقلال ومبادئ الحكم - صرحت الحكومة البريطانية في كتابها الأبيض أن الهدف الذي ترمي اليه هو : « أن تُشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين طلباتها التجارية والحربية في المستقبل ضماناً مرضياً » . فالكتاب الأبيض لو ظل نافذاً لجعل من فلسطين دولة مستقلة عام ١٩٤٩ مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا ، وذات اكثرية عربية تبلغ الثلثين . فضلاً عن أنه كان من شأن الاتفاق الذي جرى في بغداد بين نيوكمب وممثلي عرب فلسطين أن يختصر الموعد المحدد للاستقلال .

اما توصية اللجنة بهذا الصدد ، فتقضي على كل امل بالاستقلال في الحاضر وفي المستقبل ،

وذلك حين نقرر : « إننا نوصي ، ريثما يتلاشى هذا العداء (الناشب بين العرب واليهود) باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب ، إلى ان يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها » . وتتجاوز اللجنة كل حدود المنطق والعدل حين تنكر على العرب - فوق ذلك - حق الادعاء بحقوق قومية في فلسطين ، مع اعترافها بأنهم سكانها « منذ أقدم الأزمنة ، وينظرون بحق الى فلسطين كوطن لهم » ، وحين تشكك بذلك في قولها بأن « لليهود صلة تاريخية بالبلاد . وان الوطن القومي اليهودي ، وان كان يتضمن أقلية من السكان ، فقد غدا حقيقة واقعة بضمانة دولية ، وأصبح له الحق في الاستمرار والحماية والتطور باطراد » (١) .

وكل ما تمنّ به اللجنة على الغالبية العربية الكبرى هو أن لا يضطهد أفرادها في المستقبل بدعوى أنهم ليسوا يهوداً !! ومعنى ذلك أن اللجنة تجعل هذه الغالبية ذات الحق الطبيعي والدولي ، على قدم المساواة مع أقلية طارئة تم توطينها ضد رغبة العرب وإرادتهم . وهذه التوصية وإن تضمنت القضاء على دعوى العرب واليهود حين طالبت بأن لا تكون فلسطين دولة عربية أو دولة يهودية ، فان العرب وحدهم هم الذين طُلبت اليهم التضحية بشيء يملكونه ، بينما ارتفعت مكانة اليهود ، وهم أقلية دخيلة محشورة من مختلف الجنسيات بالقوة والقهر ، الى مستوى الغالبية ، فحصلوا بذلك على شيء لا حق لهم به ولا يملكونه .

هذا إلى أن اللجنة عاجلت الموضوع من الناحية الدينية بالنسبة للعرب واليهود مع ما في ذلك من مغالطة سافرة . فصلة العرب بفلسطين ليست دينية فحسب ، وإنما هي وطنهم الذي يعيشون فيه منذ أقدم العصور ، سواء في ذلك المسلمون والمسيحيون . وهذا بعكس

(١) انظر نص التقرير في ص ٣٦٦-٣٦٧ من المصدر السابق .

اليهود ؛ ولا يستطيع منصف أن يساوي بين العرب وغيرهم ، أو أن يدعي أن علاقة دينية ما يبذل تبرر أن يجرم أهلها من حقهم في حريتهم وطمانينتهم واستقلالهم .

أما توصية اللجنة بأن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا عربية ، وأن لا يسود العرب اليهود ولا اليهود العرب فيها ، وان يعطل أي نظام دستوري يعطي الأغلبية المطلقة سلطة الحكم ، وان قولها ان فلسطين ليست ولا يمكن ان تكون يوماً أرضاً يدعي أي شعب ملكيتها ، كل ذلك مستنكر تماماً لأن فيه تسوية ظالمة في المركز والحق بين العرب الذين تعترف اللجنة أن حقهم في فلسطين مستند الى حق الاستقرار الممتد على أكثر من ألف سنة ، والذي ما يزال حقيقة واقعة . وبين اليهود الذين كل ما يستندون اليه صلة تاريخية واهية انقطعت عملياً منذ ألفي سنة . وكذلك فان هذه النواحي والأقوال متناقضة مع كل ما تعارف عليه البشر وقامت عليه حقوق الدول ودساتيرها ، والتحيز فيها ضد العرب ظاهر ظهوراً واضحاً ، لأنه يرمي الى حرمان عرب فلسطين اصحاب البلاد الشرعيين من حق طبيعي لهم قد ناله اخوانهم في البلاد العربية الأخرى . ان توصية اللجنة باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه ريثما يتلاشى العداء بين العرب واليهود ، هو هدم للأسس التي قام عليها نظام الانتداب . فاليهود مسوقون بفكرة الحصول على أكثرية ودولة يهودية ، واستمرار الهجرة حسب توصية اللجنة لن يخفف من غلوائهم . والعرب مسوقون بفكرة الدفاع عن الذات والكيان ، لن يستسلموا لتحقيق اسطورة خيال اليهود الباغين .

وبكلمة ، فإن التوصية المتعلقة بباديء الحكم جاءت هدماً للأسس التي قام عليها نظام الانتداب نفسه ، ونسخاً لما تضمنه الكتاب الابيض من الاستقلال للدولة الفلسطينية ذات الغالبية العربية ، كما أوصدت الباب أمام قيام هذه الدولة ، ومنحت اليهود فرصة النمو والتكاثر والتوسع ، بدون أي عائق وتحت حماية الوصاية ، إلى أن يبلغوا الحد الذي يصبحون

فيه غالبية في السكان والأموال ، واللجنة لا يخفى عليها التقدم حينئذ نحر النتيجة الطبيعية المحتملة لذلك ، وهي الدولة اليهودية .

ثانياً الهجرة وسياسة الهجرة المستقبلية : يسمح الكتاب الابيض بادخال ٧٥ ألفاً من اليهود الى فلسطين خلال خمس سنوات ، أي في مدة تنتهي عام ١٩٤٤ ، وعندما يكتمل هذا العدد ، تقفل أبواب الهجرة نهائياً ، ولا يسمح بعدها بدخول مهاجر يهودي واحد الى فلسطين إلا بموافقة العرب ورضاهم . ومعالم أن هذا العدد قد توافق الى فلسطين عام ١٩٤٤ ، غير أن حكومة لندن نقضت تعهداتها السابقة وأعلنت أنها تسمح بدخول ١٥٠٠ يهودي شهرياً الى فلسطين .

أما توصية لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية فتطالب بدخول ١٠٠ ألف يهودي خلال عام ١٩٤٦ ، وتشترط أن لا توقف الهجرة بعد ذلك ، لأننا نرفض الرأي القائل بعدم جواز قبول هجرة يهودية أخرى الى فلسطين دون موافقة العرب ، الأمر الذي سيؤدي الى سيطرة العرب على اليهود ، ..!! ان الهجرة اليهودية يجب أن تجري وفقاً للشروط والتسهيلات التي تقدمها الحكومة الفلسطينية ، أي الحكومة المعينة من قبل مجلس الرصاية الدولي ؛ أما العرب ، فلا حق لهم بإبداء أي رأي في الهجرة ، لأن ذلك يعني فرض سيطرتهم على اليهود !!

ومن غريب تناقضات اللجنة أنها بينما تقترح ادخال ١٠٠ ألف يهودي الى فلسطين ، تعترف صراحة أنه سيكون عبئاً ثقيلاً على فلسطين ، وتعترف ان كثافة السكان فيها على نسبة عالية جداً ، حيث بلغت في الميل الواحد ٣٣٦ ، باستثناء صحراء بئر السبع المجذبة ، وحيث أثبت رأي الخبراء بأن هذه النسبة سترتفع بعد اربع عشرة سنة بدون هجرة يهودية الى نحو (٤٥٠) للميل الواحد ، وإذا لوحظ ان القسم الأعظم من أراضي فلسطين جبلي

وصحراوي ، وأنها فقيرة في صناعاتها ومواردها الأولية ، يبدو استحالة تحمل فلسطين لأي هجرة يهودية جديدة^(١) .

ومن مفارقات هذه التوصية أيضاً بصدد الهجرة مستقبلاً الى فلسطين ، اشتراطها مراعاة حقوق باقي السكان وعدم الافتئات على حقوقهم ، واللجنة تعلم حق العلم أن استمرار الهجرة الذي نوصي به كان مصدر كل هذا الافتئات ، إذ هبط بنسبة عرب فلسطين من ٨٧٪ عام ١٩٢٢ إلى ٦٩٪ عام ١٩٤٤ ، عنى ما جاء في تقرير اللجنة ، فضلاً عن تبدل النسبة بعد هذه السنة بالهجرة اليهودية المستمرة حيث صار من المحتمل أن تكون قد هبطت الى ٦٥٪ . وقد اعترفت جميع تقارير لجان التحقيق السابقة ، كما اعترفت الحكومة البريطانية ذاتها ، ولو متأخرة ، في كتابها الايض أن الهجرة قد أضرت بمركز العرب وحقوقهم ، ولذا قررت وقفها . أما زعم اللجنة بأنه لا يوجد بلد غير فلسطين يلجأ إليه اليهود فهو زعم مغرض إن صحّ فهو يكشف عن مدى التمييز ضد اليهود الذي تمارسه حكومات بريطانيا والولايات المتحدة والكمونولث للحيلولة دون هجرتهم الى أراضيها الشاسعة التي تكفي لإيواء أي يودي جرى تشريده أو يرغب في تغيير موطنه . ان رفض هذه البلدان تيسير ايواء هؤلاء اليهود والقيام بما تسميه واجباً انسانياً ، وتظاهرها بالاهتمام به مع استطاعتها عمل ذلك ، ليس معناه سوى تضحية فلسطين على مذبح الشهوة الصهيونية السياسية . وهو مناقضة للحق والانصاف ولما تظاهره به الدولتان الامريكية والبريطانية من عطف على ضحايا النازية والفاشية .

ثالثاً : الأراضي وسياسة الأراضي – قسمت أراضي فلسطين بموجب الكتاب الابيض

(١) انظر مضابط جلسات دورة الاجتماع الرابعة غير العادية لمجلس جامعة الدول العربية ص ١٠١ وما بعدها .

الى مناطق ثلاث ؛ الاولى يسمح فيها لليهود بشراء الأراضي العربية بدون قيد ولا شرط ،
والثانية يتوقف فيها بيع الأراضي لليهود على تصريح خاص من الادارة الانتدائية ، والثالثة
يحظر فيها البيع تماماً . ومع ذلك فقد لجأ اليهود إلى حيل قانونية للدوران حول هذا
الحظر . وكان تقرير خبير الأراضي السير جون سمبسون قد وضع منذ عام ١٩٣٠ بأثر
الأراضي العربية لا تكفي لإعالة العرب ، وان معدل ما يصيب العائلة العربية الواحدة
من الفلاحين لا يزيد عن (٧٠) دونماً في حين أنها تحتاج الى (١٣٠) دونماً على الأقل . وقد
هبط هذا المعدل منذ سنة ١٩٣١ حتى أصبح عام ١٩٤٦ قريباً من ٣٥ دونماً للعائلة العربية .
وعلى الرغم من هذه الضائقة الاقتصادية التي يشكو منها الفلاحون العرب ، والتي أضرت
ثورتهم الكبرى ما بين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، فان اللجنة الأنكلو أمريكية تماري في كل
ذلك ، ونوصي بأن تلغي جميع القيود المفروضة آنفاً على انتقال الأراضي عن طريق البيع
أو الرهن أو التأجير . ولم تنس اللجنة ان تقرن توصيتها المدمرة للفلاح العربي ، بالحث على
رفع مستوى العرب الاقتصادي وإنعاشهم وتعليمهم ، ورفع القيود التي يشترطها الصندوق
القومي اليهودي وقصره العمل على اليهود من دون العرب ، بما هو معاد مكرور في التقارير
والتواصي السابقة دون أن يقرن بالتنفيذ . ان اللجنة في توصيتها هذه أيضاً قد انحازت الى
اليهود ضد العرب حيث أجابت مطالب أولئك وأهملت مطالب هؤلاء .

أما الزعم بأن الفارق في مستوى المعيشة بين العرب واليهود هو أحد الأسباب الرئيسية
للتصادم والنزاع ، فتلك نعمة يضرب على وترها دائماً أعداء العرب ، ليس تسويةاً لمحاباتهم
لليهود فحسب ، وإنما أيضاً تفسيراً لما يدعونه من حقد العربي المتخلف على اليهودي المتمدن ،
ونشونه عليه ، الأمر الذي يتطلب رفع مستوى المعيشة لدى العرب الى المستوى السائد
بين اليهود على أن سبب النزاع الرئيسي ليس هو عوامل الحسد وعقد النقص والحقد

الموهوم ، وانما العدوان المستمر والدائب على اغتصاب الحقوق العربية والأرض العربية ، وان اللجنة بذلك تجافي المنطق والصواب ، وتخالف جميع ما وضعته تقارير اللجان السابقة من أن سياسة الوطن القومي اليهودي ومحاباة بريطانيا له ورعايتها اياه على حساب أقدس الحقوق العربية ، هو ما أضرم نفوس العرب ضد الصهيونية وحماها البريطانيين . ومنحى تفكير اللجنة هذا حيث يهدف الى التضييل والانحراف عن القصد ، وغرضها منه معروف وجلي .

لقد أشارت اللجنة الى مشاريع لرفع مستوى العرب واليهود ، يستلزم نجاحها تعاون الدول العربية المجاورة ، متجاهلة أنه لا يمكن لأية حكومة عربية أن ترحب بالتعاون في أي مشروع قد يؤدي الى توسع يهودي ، لأن هذا مما يهدد كيان العرب وحقوقهم في بلادهم . وبما لا ريب فيه أن أية معاونة تُطلب من الحكومات العربية في مشاريع اقتصادية وزراعية فلسطينية ، لا يمكن أن تلبى ما لم يُضمن سلفاً بقاء الصبغة العربية لفلسطين .

ان مستوى معيشة العرب في فلسطين ليس أدنى من مستوى اخوانهم في أحسن الأقطار العربية تقدماً في ميادين الاقتصاد والثقافة والاجتماع . وفي البلاد العربية طوائف يهودية ذات مستوى عالٍ من العيش ، ومع ذلك لم يقع احتكاك بينها وبين مواطنيها العرب بسبب الفروق في مستوى المعيشة ، وانما أساس الخلاف هو حشر جماعات يهودية مختلفة الثقافة والأصول في بلد عربي بقوة الحديد والنار .

ولو فرضنا جدلاً بأن هذا الفارق قائم بين عرب فلسطين واليهود ، فان نظام الانتداب ورعاية بريطانيا لسياسة الوطن القومي ، هما المسؤولان عنه ؛ ولقد أقرت اللجنة نفسها أن ما ترصده الادارة الانتدابية لإقرار الأمن^(١) ، وهي السبب في اضطرابه ، بلغ ثمانية

(١) بلغت نفقات الأمن ١٦٠٠٠٠٠٠٠ جنية فلسطيني ، ونفقات الصحة ٥٥٠٠٠٠٠ جنية ونفقات التعليم ٧٠٠٠٠٠٠ جنية .

أمثال ما ترصده مثلاً للصحة ، وستة أمثال ما ترصده للتعليم خلال العلم ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ،
وبقدر ما تنفق على الأمن تنفق على جيش الموظفين الأجانب والتراجم والتشكيلات
الآخري ، فضلاً عما تتكبد من نفقات إسكان اليهود المهاجرين (غير الشرعيين) في
معسكرات قبرص مؤقتاً ريثما يتم (طرحهم) من المعدل الشهري ، أو ريثما يتم ادخالهم
خلسة الى فلسطين^(١) .

اما توصية اللجنة بتعديل نظام التعليم وإدخال التعليم الاجباري فهي توصية في محلها ،
غير أنه ما دام الانتداب قائماً في فلسطين فانه لا يرجى تخصيص مبالغ كافية للتعليم ، ومن
هنا فاستقلال فلسطين ضرورة محتمة من هذه الناحية ، كما هي كذلك من النواحي الآخري .

وأخيراً وليس آخراً ، فانه يلاحظ بمناسبة التوصية العاشرة أن الحكومة البريطانية
بينما عاملت العرب حين قاموا بذبذبون عن حياضهم ويدافعون عن حقوقهم المشروعة
بمنتهى القسوة ، تقتيلاً وشقاً وحسباً ومصادرة وغرامة ، هادنت اعتداءات اليهود التي لا يمكن
المقارنة بينها وبين ما صدر من العرب من كل ناحية ؛ فقد عاملت اليهود بكل هوادة
وتساهل ، الأمر الذي كان سبباً في استمرار هذا العدوان ، وإزهاق حياة كثير من
الانكليز والعرب ، وتدمير ممتلكات الحكومة ، بينما نزع ما بأيدي العرب من سلاح ،
في الوقت الذي تمتلئ بالسلاح عنابر الجيوش اليهودية المنظمة ، وبالوسائل الفنية ، ولم تحاول
الحكومة تجريدتها من السلاح بل لم تحاول وقف نشاط الوكالة اليهودية الثابت ضلوعها

(١) جاء في تقرير المندوب السامي السير آلان كانتنهام الى وزير الدولة البريطاني أن الادارة
الاتدائية انفتحت ثلاثة ملايين جنيه نفقات اضافية لمواجهة الهجرة اليهودية غير الشرعية ، بما في ذلك
اقامة وصيانة المعسكرات في قبرص خلال عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ فقط .

Supplementary Memorandum, op. cit., p. 57

التام مع الارهاب ، في حين حلت اللجنة العربية العليا واعتقلت أعضائها ونفتهم دون ان يثبت ان لهم أية صلة بالاضطرابات ما بين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ؛ إن محاولة اللجنة المساواة في ذلك بين العرب واليهود مغالطة سافرة .

وفي الوقت نفسه لم يكن في مقدور أعضاء اللجنة أن يتجاهلوا بعض الحقائق ؛ فقد اعترفوا مثلاً أن اليهود في فلسطين لا يريدون قط التعاون مع العرب ، وفي اقتراحهم إنشاء دولة يهودية في فلسطين لا يعيرون أي اهتمام للمشكلة التي تترتب على ذلك ، ألا وهي تدمير مئير مليون وربع من العرب . كذلك ورد في تقريرهم لإقرارهم « بأن طلب إنشاء دولة يهودية في فلسطين يعتبر هدفاً مبالغاً فيه ، إذ أنه تعدى ما جاء في تصريح بلفور ومعاهدات الانتداب ، وقد سبق لرئيس الوكالة اليهودية عام ١٩٣٢ أن أعلن صراحة بنده لهذا الهدف » (١) .

ولكن اللجنة لم تصرح ، من ناحية أخرى ، ان هذا الهدف هو ما يسعى الصهاينة حينئذ لتحقيقه ، وأن مبدأ المرحلية كان يقضى باخفائه آنذاك لعدم موافاة الظروف . وكفي للتدليل على ذلك ببساطة أن نورد تعليقاً لزعم صهيوني على فقرة تتصل بالهجرة اليهودية وتذكر :

« إذا أخذنا بعين الاعتبار ان احتمال تحمين الأحوال الاقتصادية والسياسية في اوربا، يمكن ان يؤثر على مواقف الذين لا يرون أملاً في إعادة توطنهم في بلدانهم ، فنقدر ان حوالي ٥٠٠ الف يهودي يمكن ان يهاجروا من اوربا طوعاً او كرهاً .. »

وجاء في التعليق الصهيوني ان تقرير اللجنة ذكر أنه لن يكون ثمة دولة يهودية ، « ولكن من مستطاعه أن يعين ما يترتب على نتائج الهجرة ؟ واستطرد التعليق يقول :

(١) انظر نس التقرير

ه وعلى وجه الخصوص لن يكون هناك دولة عربية ؛ إن اللجنة شجبت استخدام (ال صندوق القومي اليهودي) لليهود فحسب ، ، ولكن ذلك كان ذا أهمية نظرية لا عملية . إن الوكالة اليهودية قد دُعيت للتعاون مع الحكومة لقمع الارهاب والهجرة غير الشرعية ، ولكن إذا أصبح التقرير نافذاً ، وإذا منعت المائة الف شهادة هجرة ، وإذا أُعيدت سياسة الهجرة الى صك الانتداب ، وإذا رفعت قيود بيع الأراضي ، فان الارهاب سوف يزول في كل احتمال ، وسوف يفقد دعم الرأي العام اليهودي بالتأكيد . وأوجز التعليق الصهيوني نتيجة تقرير اللجنة بقوله : « أما العرب فقد خسروا جميع النقاط : لن يكون هناك كتاب أبيض ، ولا دولة عربية ، ولا تدخل من الدول العربية (في شؤون فلسطين) . إن الحكومة البريطانية كسبت نقطة ذات دلالة - استمرار الاثراف البريطاني على فلسطين لأمد غير محدود (١) » .

وبعد ، أتمه شك في أن اللجنة الانكلو أمريكية قد جاءت لإقرار سياسة مرسومة سلفاً ، مثل اقرارها هجرة مائة ألف يهودي ، وهو الرّم نفسه الذي كان اقترحه الرئيس ترومان ، ومن قبله طلبه بن غوريون من وزير المستعمرات جورج هول ، وقد ثبت هذا خاصة في انعدام الارتباط المنطقي بين اللجنة وحقائق ما أوصت به . ولا عجب في ذلك إذ اتضح بعد تعيين أعضاء اللجنة تحييز عدد منهم للجانب الصهيوني ، وكان بعضهم من غلاة دعاة الصهيونية فعلاً قبل تعيينهم في اللجنة . ولذا فالدراسة السريعة التي مثلت مسرحتها لم تنفذ الى حقيقة الموقف الراهن في فلسطين ، ولا تعمقت في الكشف عن أصوله ، لا من حيث حق عرب فلسطين في الحياة المستقلة وتقرير المصير ، ولا من حيث مقتضيات القومية العربية الناشئة التي تنتمي فلسطين اليها مع الدول العربية الاخرى وإلا فكيف تصدر

عن اللجنة مثل هذه التوصيات ، وهي تعلم تماماً أنها تتنافى ومصالحة هؤلاء جميعاً . لقد
بنت اللجنة توصياتها على مشاريع اقتصادية تستند الى أسس من التعاون بين العرب والصهاينة
لا يمكن أن تتحقق ، كما أنها أوصت بالمهجرة قبل ان تحقق إمكان تنفيذ ذلك أو أثره على
حياة عرب فلسطين وحقوقهم الطبيعية الشرعية . ومن هنا كان تناقض اللجنة وتخطئها في
عدة مواضيع ولا سيما في المبادئ والأسس ، والا فكيف تدعي اللجنة تمسكها بالمبادئ
الديموقراطية الحديثة ، وبمبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، وهي في الوقت نفسه تريد فرض
سياسة معينة بالقوة على شعب بأكمله ضد رغبته وضد ارادته ، في الوقت الذي دحرت فيه
النازية والفاشية ؟

* * *

الفصل الحادي العشرون

محاولات اخيرة غير مجدية لحل المشكلة

موقف ترومان والبريطانيين والصهاينة من تقرير اللجنة :

بادر ترومان للتعليق على تقرير اللجنة الانكلو امريكية يوم نشره ؛ قال إنه سعيد لأن الطلب الذي تقدم به من أجل ادخال ١٠٠ الف يهودي الى فلسطين قد أبدته اللجنة بالاجماع ، ورحب بجميع التوصيات التي تؤيد الصهاينة ولكنه استثنى التوصيات الأخرى لأنها « تتناول قضايا متعلقة بالسياسات الطويلة الأمد ، وبمشاكل القانون الدولي والتي سوف أتلقى المشورة بشأنها^(١) »

وقال ترومان كذلك انه مغتبط أيضاً لأن اللجنة أوصت بإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، بما فيه القيود الحاضرة على الهجرة ، واكتساب الأرض ، للسماح بمزيد من النمو للوطن القومي اليهودي^(٢) . وقد وصف كروسمان بيان ترومان بأنه مفجع لأنه اختار التوصية الوحيدة المتعلقة بادخال المائة الف ، فوافق عليها بحماس ، ولم يقل شيئاً عن التقرير ككل .^(٣) ولا شك فيه أن موقف ترومان قد تأثر بموقف الصهاينة الذين قاموا ، كما هو شأنهم دائماً ، بانتخاب ما يلائهم من نواصي التقرير ، ونشروها على أنها هي التقرير بأكمله ، وسكتوا تماماً عن كل ما رأوه غير ملائم لهم منها . ورجبت الوكالة اليهودية بتوصية إدخال

New York Times, May 1, 1946

(١)

Sacher, op. cit., pp. 56-57

(٢)

Crossman, op. cit., pp. 197-8

(٣)

المائة ألف وبنقض نظم انتقال الأراضي ، ولكنها أعلنت أن الوطن القومي لا يمكن ضمائه إلا في نطاق دولة يهودية . وانتقد الصهاينة قول اللجنة بأن فلسطين لن تكون دولة يهودية أو دولة عربية ، والواقع انهم كانوا على استعداد لقبول التقرير على أنه دفعة أولى مرحلية في طريق الوصول الى الدولة اليهودية التي يعملون لها ، دون أن تكون للتقرير عندهم أية صفة أخرى . وقد أفضت الطريقة التي قبل بها ترومان تقرير اللجنة الى سخط رئيس الوزراء أتلي ووزير خارجيته بيغن ؛ وبينما كان بيغن يرسل مذكرة احتجاج شديدة الى حكومة واشنطن ، راح أتلي ينتقد بعنف تدخل الرئيس ترومان لمصلحة التوصيات المؤيدة للصهاينة . وقد تحدث في مجلس العموم (١ أيار) وذكر ان التقرير بكل ما ينطوي عليه من مسائل يجب أن ينظر اليه ككل ، وان حكومة جلالة لا تود ان تأخذ على عاتقها مثل هذه الالتزامات الضخمة وحدها ، وهي لذلك تريد أن تتأكد الى أي حد تكون الولايات المتحدة مستعدة للمشاركة في المؤتمرات العسكرية والمالية الاضافية الناجمة . وفي كل حال فان المائة الف الذين اقترح ادخالهم وايزمن في الأصل ، لا يمكن قبولهم في فلسطين الا اذا حلت الجيوش غير الشرعية وسلم سلاحها ، وتابعت الوكالة اليهودية تعاونها في قمع الارهاب الذي جرى مؤخراً ضد حياة البريطانيين ومنشأتهم^(١) . وقد تارت تائرة زعماء الصهاينة لفكرة مطالبتهم بتصفية قوات الدفاع عن الطائفة ، وعلى الرغم من نواظوم الثابت مع الارهابيين ، فإنهم عادوا الى تكرار الدعوى المهتوتة بأن الارهاب من صنع أفراد قلائل غير مسؤولين .

وكان ترومان قد سار في تدعيم المطالب الصهيونية بقدر طاقته ، وقد رسخ في ذهنه أن مسؤوليته تجاه قضية فلسطين قد انتهت بنشر تقرير اللجنة . وازاء مطالبة البريطانيين له بالمساهمة في حل الأعباء الناجمة عن فرض السياسة الجديدة المقترحة لفلسطين ، فقد شعر

(١) Hurewitz, op. cit., p. 249 & Sacher, op. cit., pp. 57-8

بالحرج ، وصرح هو نفسه بعد ذلك : « انه بينما كان يوجد ضجة في الولايات المتحدة بوجود عمل شيء ما ، فان البلاد لم تكن عازمة ولا مستعدة لتأخذ على عاتقها المخاطر والالتزامات التي قد يتطلبها منا استعمال القوة المسلحة (١) .

وقد طلب ترومان رأي القادة العسكريين في هذا الأمر ، فأشاروا عليه ضد أي عمل من شأنه نوريث الجيوش الامريكية ، وذكروا ان استخدام القوة يضر المصالح الامريكية والبريطانية في الشرق الأوسط ، فيعطي الاتحاد السوفيتي بذلك فرصة الحصول على موطئ قدم . وفي ذلك يقول ترومان : « ان القادة العسكريين قلقون قبل كل شيء على نفط الشرق الأوسط ، ويخشون أن يتفق العرب في المدى الطويل مع روسيا اذا ما صادفوا ما هو معارض لهم في الغرب (٢) » .

وفي وسع المرء ان يفهم استياء البريطانيين من تدخل امريكا ومطالبتها بادخال المائة الف - دون ان تبدي استعدادها للمشاركة في مسؤولية ذلك - في ضوء ظروف تصاعد عمليات الارهاب الصهيوني في فلسطين ؛ فها زاد في حنق البريطانيين انه في ٢٥ نيسان أي قبل خمسة أيام من نشر تقرير اللجنة ، هاجم الارهابيون موقفاً للسيارات العسكرية في تل ابيب وقتلوا سبعة من الجنود البريطانيين (٣) . وقد قوبلت أخبار جريمة تل ابيب في بريطانيا بمزيد من الغضب ، خاصة لما بدا على اليهود من نكران لجميل الحكومة البريطانية التي سمحت بهجرة ثمانية عشر ألفاً منهم في السنة ، وهو رقم مرتفع بالنسبة لمعدل الهجرة السنوية السابقة ، وذلك خلاف تغاضها عن الهجرة غير المشروعة في كثير من الحالات . هذا الى ان لهجة الصحافة الامريكية آنذاك لم تكن بما يساعد على الحيولة دون جمود

Truman, op. cit., II, p. 149

(١)

ibid.

(٢)

Supplementary Memorandum, op. cit., p. 8

(٣)

العلاقات الانكليزية الامريكية بخصوص فلسطين ، نظراً لتأييد هذه الصحافة عمليات الارهاب الصهيوني ضد البريطانيين . وكان ثمة قطاع متنفذ من الرأي العام مخدوعاً بالتضليل الصهيوني ، ومؤيداً لأهدافه مادياً ومعنوياً ، بدعوى أن الارهاب هو قتال مشروع لنوال الحرية . كبريات الصحف الامريكية كانت تدعو للمنظمات الارهابية ، وكانت المبالغ المجموعة لصالحهم معفاة من الضرائب ، وقد أحقد هذا الحال الحكومة البريطانية والشعب البريطاني عموماً ، كما تعكسه لنا محاضر جلسات البرلمان خلال عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

ومن المؤكد ان التكنيك الدعائي الصهيوني قد أظهر منتهى البراعة في انكلترا وامريكا؛ ففي انكلترا واجه ارنست يفن نقداً لسياسته اثناء انعقاد مؤتمر حزب العمال السنوي في مورموت ، اذ استنكر هارولد لاسكي رئيس الحزب أن يغدو المائة الف لاجئ يهودي في اوربا ضحايا الجبن والتردد في داوننغ ستريت^(١) ، وقال ان بما يتناقض مع (الاشتراكية) «التضحية باليهود الذين نجوا من عذاب المهترئة لارضاء الزعماء العرب» . . وقد أجاب يفن في ١٢ حزيران على هذا النقد الموجه الى (اشتراكيته) بقوله : «ان ادخال المائة ألف يهودي الى فلسطين حالاً سيكلف بريطانيا ارسال فرقة عسكرية جديدة وإتفاق مائتي مليون جنيه استرليني ، وقد وافق وزير الخزانة على تعذر القيام بذلك . ولذلك فالحكومة البريطانية قد اقترحت على الحكومة الامريكية تعيين لجنة مشتركة من الخبراء للنظر في المسائل العملية .. وقال يفن ان مجرد إلغاء الكتاب الأبيض لا يحقق الشيء الكثير^(٢) .

واردف يفن يقول : « وبخصوص التحريك في الولايات المتحدة وخاصة في نيويورك لوضع ١٠٠ ألف يهودي في فلسطين ، فأنا آمل أن لا يساء فهمي في امريكا إذا قلت بأنى

(١) شارع في لندن يشتمل على أهم مكاتب الوزارة البريطانية وخاصة المقر الرسمي لرئيس الوزراء.

Kirk, Survey for 1945-50, op. cit., p.218

(٢)

الدوافع بأن ذلك جرى لأنهم لا يريدون أكثر مما ينبغي منهم (من اليهود) في نيويورك^(١) .
 فهم الصهاينة من ردّ يفن أنه يقف بجانب الكتاب الأبيض ، وأنه غير مستعد لإدخال
 المائة ألف^(٢) ، وكان هذا إيذاناً ببدء حملة شديدة من الضغط السياسي على بريطانيا ، كانت
 تديرها الصهيونية الأمريكية بمنتهى الاحكام في الصحافة وفي البيت الابيض وفي الكونغرس ،
 وفي كل مكان ، بل وفي بعض الصحف البريطانية نفسها . ومنذ ٢٣ أيار أعلنت الخارجية
 الأمريكية أن نقل ١٠٠ الف يهودي الى فلسطين فوراً لا يزال يمثل سياسة الحكومة
 الأمريكية^(٣) ، وكرر ترومان ذلك في ٦ حزيران^(٤) .

وفي غضون ذلك كانت مراكز المهاجرين اليهود غير الشرعيين تصل الى فلسطين ،
 (اقتيدت سفينة تحمل ١٦٦٢ يهودياً الى حيفا في ١٣ أيار) ، وكذلك ظلت فعال العنف
 والارهاب مستمرة ، (هاجم الارهابيون ثلاثة قطارات في منطقة اللد وسببوا اضراراً تقدر
 بمائة الف جنيه فلسطيني) . وكان ترومان يرد فرض مقترحات الهجرة الواسعة على بريطانيا ،
 ويريد ارغامها كذلك على السكوت عن فعال الارهاب الصهيوني ، ويطلب من لندن أن
 لاتربط بين هجرة اليهود (المشروعة) والتي يجب الشروع بها فوراً ، وبين أعمال الارهاب .

وكان رد فعل الصهاينة على خطاب يفن محاولة لنسف القرض البريطاني البالغ ٣٧٥٠
 مليون دولار من ناحية ، وموجة عنيفة من الارهاب من ناحية ثانية . أما القرض فقد
 استهدفت منه بريطانيا انقاذها من الكارثة الاقتصادية ، وقد دار جدل في الاوساط

Sakran, op. cit., p. 182 (١)

Sacher, op. cit., pp. 59-60 (٢)

Supplementary Memorandum .. op. cit., pp. 10-11 (٣)

وترمز اليها فيما يلي بـ : Suppl. Mem. للاختصار .

ibid . (٤)

الامريكية حول توقيح الضغط على بريطانيا ، وبالفعل فقد قام الصهاينة بواسطة الولايات المتحدة ومارسوا ضغطاً شديداً على حكومة العمال في لندن . وإثر تصريح بيغن قامت ضجة في الكونغرس ، ولمح بعض اعضائه الصهاينة بضرورة (تأديب) الحكومة البريطانية . وكان من مظاهر تلك الضجة ما وضع أثناء مناقشة القرض الامريكى الذي كان يجري بحته آنداك في الكونغرس . فقد احتج شيخا نيويورك تافت وفاغترالى وزارة الخارجية البريطانية مباشرة ، بينما أوصى الصهيوني الامريكى سلفر المواطنين بأن يسألوا رجالهم في الكونغرس عن الحكمة من اعطاء قرض لحكومة تبدو موثيقها غير ذات قيمة . وكانت محاولة الصهاينة الضغط على الحكومة البريطانية بتهديدها بعرقلة إقرار القرض ذات أثر في ارغام البريطانيين - اخيراً - على ملاينة الصهاينة ، واتخاذ موقف اكثر موافة لهم . وقد كتب فورستال وزير الدفاع الامريكى آنذاك ، حول مثل هذا الضغط من قبل الحكومة الامريكية على أنه أمر قد وقع بالفعل . وذكر في يومياته : « ان البريطانيين يقولون بأنهم لا يستطيعون أن يعملوا كل ما يريدونه للعرب ، بسبب الضغط الذي كان بمقدورنا أن نمارسه عليهم بصدد القرض البريطانى (١) » .

على أنه بدا للصهاينة أن حكومة الولايات المتحدة لم تفلح سريعاً في تحويل السياسة البريطانية الى جانبهم ، فقرروا أن يتولوا تلك المهمة بأنفسهم عن طريق الارهاب والعنف . قامت الهاغانا عشية ١٦ حزيران بمهاجمة جسور الطرق وسكة الحديد على حدود فلسطين محدثة تخریباً تقدر خسائره بـ ٢٥٠ الف جنيه استرليني ، وقد دمرت أو أتلفت أربعة جسور عادية واربعة جسور حديدية ، ودمرت جسر واحد على نهر الأردن بفعل لغم موقت تسبب في مقتل ضابط بريطانى . وفي الليلة التالية ، قامت عصابة شتيرن بهجوم على ورشات

Millis, Walter, (ed.) • The Forrestal Diaries • N. Y (١)

1951, p. 180

سكة حديد حيفا . وفي ١٨ حزيران اختطف خمسة ضباط بريطانيين من ناد للضباط في تل ابيب ، واختطف سادس في شارع بالقدس ، وقد اعتبر هؤلاء رهائن بيد عصابة الأرغون التي كان حُكم على اثنين من أفرادها بالموت، ثم خُفِّص الحكم وتمكن الضباط من الفرار^(١) . وفُسرَت الهاغانا تدمير الجور بقولها في اذاعة ١٨ حزيران : « . . . لقد ارسلت رسائل تأييد كثيرة من شخصيات مختلفة وصحفيين الى حركة المقاومة لتجديد نشاطها نتيجة سياسة الحكومة البريطانية المهادلة وخطاب بيغن الأخير وتصريحات أتلي المعروفة . لقد اختيرت هذه الاهداف لقلقة القواعد البريطانية وطرق المواصلات ، وللوقوف في وجه العرب من البلاد المجاورة الذين يتكلمون كثيراً عن قدومهم لمحاربة اليهود في فلسطين، لفتح الحدود أمام المهاجرين اليهود . وهنا لم نجد الحكومة البريطانية تبدأ من اتخاذ خطوة جدية بتحويل المندوب السامي القبض على من يُعرف بضوءه في هذه الفعال والقضاء على حمة التشهير والتعريض والارهاب التي يقوم بها زعماء الصهانية . فقامت سلطات الأمن يوم ٢٩ حزيران بتوقيف عدد كبير من اليهود (٢٦٧٥) المشبوهين باشتراكهم في الارهاب ، وفيهم زعماء البالماح وأربعة من اعضاء تنفيذية الوكالة اليهودية مثل شرتوك وبنارد جوزيف المحامي اليهودي الكندي ودافيد راميز رئيس الفعاد لثومي وهاكوهين ، أما بن غوريون فلم يكن بينهم لتغيبه في اوربا . وقد جرى احتلال مبنى الوكالة اليهودية في القدس ، ومكاتبها في تل ابيب . وصرح المندوب السامي أن هذه الاجراءات غير موجهة ضد اليهود ككل أو ضد الوكالة اليهودية لمنعها واغلاقها ، وانما تستهدف جذور الارهاب والعنف ، واستعادة النظام والأمن^(٢) .

وبعد بده عمليات التفتيش صرحت الأوساط الرسمية في فلسطين بأنها تسعى لتسريح

Suppl. Mem., op. cit., pp. 12-13

(١)

Sacher, op. cit., p. 60

(٢)

القوة الضاربة للهاغانا أي البالماح، تم كشفت السلطات عن مجموعة جديدة من مخابىء الاسلحة، كاملة الاعداد، في مستعمرة ياغور، احدى معاقل البالماح^(١)، وفي مطلع تموز خطب المستر اتلي في مجلس العموم وقال انه منذ ١٦ كانون الأول ١٩٤٥ قتل ١٦ جندي بريطاني و ٥ من رجال البوليس، وقدرت الأضرار الناجمة عن الارهاب بأربعة ملايين جنيه. وقال اتلي ان حكومة الولايات المتحدة احيطت علماً بما قامت به الحكومة البريطانية ولكن لم يؤخذ رأياً، وألح على ان البريطانيين في فلسطين ليسوا شركاء مع الوكالة اليهودية لخلق دولة يهودية في فلسطين، وان الحكومة لاتفكر أبداً بتصفية الوكالة^(٢).

أما ترومان فقد صرح للزعماء الصهاينة الامريكيين أنه لم يكن على علم مسبق بالعمليات البريطانية، وأعرب عن الأمل في الافراج عن اعضاء تنفيذية الوكالة الموقوفين وبقية المعتقلين فوراً، وذلك في بيان ٢ تموز الذي أبدى فيه استعداد حكومته لحمل المسؤولية الفنية والمالية لنقل ١٠٠ الف مهاجر يهودي الى فلسطين^(٣) وفي غضون ذلك كانت اجهزة الدعاية الصهيونية ناشطة في عملها، تسرد أعاجيب القصص عن «فطائع» الجنود البريطانيين التي ارتكبوها ضد سكان بعض المستعمرات المسالين. وقد مثلت قمع البالماح بأنه موجه ضده النقايبين العماليين اليهود وضد المستوطنات الاشتراكية والتعاونية، واعلن كروسمان في مجلس العموم أن الجيش قد اعتقل «اليسار السياسي بأكمله». وفي ظنه أنهم قادة حركة

(١) بين الاسلحة التي عثر عليها : ٣٢٥ بندقية و ٩٦ مدفع هاون و ١٠ رشاشات و ٤٢٥ ألف طلقة و ٥٠١٧ قنبلة يدوية، و ٨٠٠ رطل من المتفجرات و ٢٦٧ قنبلة هاون وعدد من الاسلحة الاخرى. Suppl. Mem. p. 58

(٢) Saehar, op. cit., p. 61

(٣) Hurewitz, op. cit., p. 255 & Suppl. Mem. p. 13

المقاومة^(١) ، . وأشاع الصهاينة أن تصرف البريطانيين بإزاء الوكالة اليهودية قد أفقدها سلطتها على اليهود ، بحيث أصبح هؤلاء يرون في الارهاب وسيلة لاقناع بريطانيا ، ولجا وايزمن نفسه الى التضليل والوقية ، فاستنكر اعتقال شرنوك الذي قاتل وجيشه مع بريطانيا في الحرب الثانية ، وهو الآن مسجون في معتقل اللطرون ، وقارنه بالمفتي الذي هو ه مجرم حرب ، وعدو لدود لبريطانيا ، بنعم في قصره بالقاهرة !! ولا حاجة بنا للوقوف عند هذه الأكلاب الملققة ، فقد مر بنا من أساليب الصهيونية الكثير من امثالهأ ، وقد بذلت الحكومة البريطانية جهداً لتفكيدها في الكتاب الابيض الذي نشرته عن الارهاب في فلسطين يوم ٢٤ تموز ١٩٤٦ ، وكشفت فيه بوضوح تام ضلوع الهاغانا والبالمح اللتان تعملان تحت القيادة السياسية للوكالة اليهودية ، بالارهاب مستورة وراء اسم حركة المقاومة اليهودية . وكشفت ايضاً عن اشتراك الارغون وشيرين مع الهاغانا خلال الشهور الثمانية أو التسعة الماضية في بعض العمليات الارهابية . أما محطة اذاعة (كول اسرائيل) التي تزعم بأنها صوت حركة المقاومة ، فكانت تعمل تحت توجيه عام من الوكالة اليهودية ، وتقوم بمساندة هذه المنظمات الارهابية^(٢) .

ولم يدهش أحد حين كُشف ان الوكالة اليهودية لم تكن على صلة بالهاغانا والارغون وعصابة شيرين فحسب ، وانما كانت عملياً تنسق وتوجه فعالهم بالقتل والتدمير والتخريب ، ومع ذلك فقد نحدث الوكالة الحكومة البريطانية مدعية بأن المعلومات التي لدى الحكومة ليست حقيقية؛ وجواباً على شكوى بهذا الصدد الى اللجنة الخاصة (الانكوب- U.N.S.C.O.P) للأمم المتحدة التي زارت فلسطين عام ١٩٤٧ للنظر في مستقبل الحكم فيها ، فالحكومة البريطانية وصفت الهاغانا بأنها « ليست منظمة دفاعية صرفة » ، وقالت : « في هجومها على

Kirk, Survey for 194-50, op. cit., p. 220 (١)

Suppl. Mem., op. cit., p. 14 (٢)

جيفات أولغا وتخريب السكك الحديدية والايقاع بالبوليس أثناء هجومها على معسكر عنتيت ، وفي المهجات على محطات الرادار في جبل الكرمل وساروتة ، فالهاغانا كانت تُستعمل في أغراض قسرية ارهابية . ان الفارق بينها وبين جماعات الارغون ترفا في لثومي وشيرن لم يكن في أي مبدأ ، ولكن فقط بصدد اختيار الاوقات الاستراتيجية لممارسة القوة (١) .

وبينا كان وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية يلح على الحكومة البريطانية في لندن أن تنفذ فوراً تقرير اللجنة (٢) حتى يعود الهدوء والسلام ، كان الصهاينة في الولايات المتحدة يلوحون بقبضتهم في وجه بريطانيا ويهددون بإسقاط القرض الأمريكي لها ، على يد الأعضاء المؤيدين للصهيونية في الكونغرس أثناء التصويت عليه ؛ وصرح الحاخام وايز في المجلس اثناء مناقشة القرض (٨ - ١١ تموز) ، « ان الحكومة البريطانية قد جعلت من العسير علي ، كيهودي امريكي وكصهوني أن استمر في دعم القرض (٣) » ، وكان لا بد أن تدعن بريطانيا أخيراً للضغط فتعلق اجراءاتها التأديبية ، وتعلن في ١١ تموز انتهاء العمليات العسكرية التي بدأتها في ٢٩ حزيران ، وتطلق بعد أربعة شهور سراح الزعماء الصهاينة .

وكان الرئيس ترومان قد أعلن في ١١ حزيران أنه اختار لجنة مؤلفة من وزراء الخارجية والحربية والخزانة لتقدم له المشورة بشأن السياسة التي يمكن ان تتبناها حكومته بشأن فلسطين والمشاكل المتصلة بها ، وقد انيط عمل اللجنة الوزارية الفعلي بمجلس من نواب الوزراء برئاسة السفير هنري غريدي Grady . وصلت اللجنة الوزارية الى العاصمة البريطانية يوم ١٢ تموز ، وفي غضون ذلك ساد الاعتقاد أن الصهاينة على اختلاف نزعاتهم قد ذهبوا من الاعتقالات وأسقط في أيديهم ، ولكن قادة الارغون والهاغانا ، وقد عابوا ان جانباً لا

Suppl. Mem. op. cit., p. 58

(١)

(٢) يتم « المتطرفون » وايزمن و « المعتدلين » بأنهم تفاوضوا مع بريطانيا وقبلوا بمجيب

مطلب (الاستقلال) من أجل (الهجرة) .

Hurewitz, op. cit., p. 255

(٣)

يسهان به من الجماعة اليهودية قد اهتمت ثقته بنفسه نتيجة الاعتقالات الواسعة التي تمت في ٢٠ حزيران ، وأوا ان معنويات اليهود لا يمكن استعادتها إلا بهجوم مضاد ناجح ^(١) ، وكانت الارغون في الربيع الماضي قد فكرت في نفس مراكز حكومة فلسطين التي تشارك مقر القيادة العسكرية في الجناح الشرقي والدور العليا من فندق الملك داود بالقدس . وفي يوم ٢٢ تموز قام افراد من الارغون متنكرين باللباس العربي بوضع عبوات ناسفة ضمن صفايح اللبن في قبو المبنى ، فانفجرت بعد نصف ساعة وسببت مقتل ٨٨ شخصاً من الموظفين ، بينهم بريطانيون وعرب ابرياء ، وأصيب سبعون آخرون بجراح ^(٢) .

وفي أمسية هذا العمل الشائن وجهت الهاغانا أمراً الى افرادها بانخاذ موقف مطاوع للسلطات البريطانية وذلك بقصد « إظهار معارضة اليهود لما حدث في القدس » ، وكأول العادة التي جرى العمل بها سابقاً أصدرت الوكالة والمجلس الملي دعوة متكلفة الى الجماعة اليهودية لاستنكار هذه التعديت الفظيعة ، ولكن في الوقت نفسه كانت قيادة الهاغانا تتابع التواطؤ مع زعماء الارهابيين ؛ فقد كتب بيغن زعيم الأروغون : « يبدو لي أن صلاتهم معنا لم تكن أبداً أكثر وثوقاً على الأرجح من الفترة التي تلت الاعتداء على فندق الملك داود ، لقد واصلنا لزم من طويل نهية الحطط المنسقة ^(٣) . ولكن التكنيك الدعائي الصهيوني كان يفتش عن مادة جانبية تصرف نظر الناس عن جريمة الأروغون المشينة ، وتحملهم على نسيانها عن طريق إثارة موضوع آخر ، غير مهم بحد ذاته ، فتضخمه وتحرفه خلال أجهزة الدعاية المختلفة ، ثم تدعه يسقط بعد ان يستوفي غرضه . تماماً كما فعلت يوماً مع الجنرال مورغان حين فضح تأمر الهاغانا في عمليات تهريب اليهود السرية من اوربا الى فلسطين ، فانهته

Begin, op. cit., p. 217 (١)

Suppl. Mem., op. cit., p. 14 & Hurewitz, p. 256 (٢)

ويقول كبيرك ان القتلى ٩١ والجرحى ٤٥ ، ص ٢٢٢ المصدر السابق .

Begin, op. cit., p. 226 (٣)

بالاسامية في وقت مدروس بعناية ، وذلك ليطغى هذا الضجيج الصهيوني الغاضب على ملاحظات الجنرال مورغان التي ادلى بها في مؤتمر صحفي عقده في فرنكفورت بألمانيا ، واختير توقيته يوم بدأت لجنة التحقيق الانكلو امريكية في واشنطن الاستماع الى الشهود في مستهل عملها كما مر بنا (١) .

بادرت الوكالة اليهودية وأجهزة الاعلام التابعة لها لاثارة مثل هذا الضجيج حول الجنرال السير ابغلين باركر Barker القائد العام في فلسطين . وذلك عقب اصداره الى جنوده نشرة خاصة حصر تداولها بهم ، جاء فيها : ان الجماعة اليهودية في فلسطين لا يمكن ان تبرىء ساحتها من المسؤولية عن سلسلة طويلة من الاعتداءات بلغت أوجها في نصف جزء كبير من مكاتب الحكومة في فندق الملك داود ، مسببة فقداناً فاجعاً بالأرواح . ولولا الدعم الفعال أو السليبي من الجماعة اليهودية عموماً لأمكن كشف عصابات الارهاب التي قامت بهذه الافعال الاجرامية . وبهذا الاجراء فاليهود في هذا البلد هم متواطئون ، ويقع على عاتقهم نصيب من الجرم ، وانني عازم على أن ينالوا العقاب ، ويقفوا على الازدراء والنفور اللذين ننظر بهما الى سلوكهم . ونحن لا يجب أن نفسح المجال لخداعنا بالعاطفة المنافقة التي يظهرها لنا زعمائهم ويمثلو أجهزتهم ، أو باحتجاجاتهم بأنهم ليسوا مسؤولين عن هذه الافعال بحال من الأحوال . وأنا اكرر أن الجماعة اليهودية لو كانت تريد حقاً وقف هذه الجرائم ، لكان ذلك في مقدورها بالعمل والتعاون معنا . ولذا فقد حزمت أمري أنه حالما تستلمون هذه الرسالة سوف تحظرون على جميع الرتب أن يترددوا على المؤسسات اليهودية والمطاعم والمحلات والمساكن الخاصة . ولا ينبغي لأي جندي بريطاني أن يرتبط بأية علاقة اجتماعية مع أي يهودي . وأي

(١) اتهم مورغان كما رأينا بالاسامية ، وبالنازية ، وكتب ممثل السين ابيدي كتور عنه في صحيفة نيويورك تايمس بعنوان « كنت أظن ان هتلر قد مات » . وطالب معلق الاذاعة ولترونتشل أن تبرأ الحكومة البريطانية منه وان يجرّد من رتبته الخ ...

تعامل في سبيل اداء الواجب يجب ان يكون مختصراً ما أمكن ومحسوراً في حدود العمل القائم. وإني أقدّر أن الجنود سوف يلقون بعض العنت من هذه التدابير ، ولكنني متأكد أنه لو شرحت لهم أسبابي شرحاً كاملاً فسوف يتفهمون وجاهاتها . وسوف يعاقبون اليهود ، وبطريقة يكرها عنصرهم أكثر من أي شيء آخر ، وذلك بتكيدهم الأضرار المالية وإظهار احتقارنا لهم ^(١) .

موقف العرب من تقرير اللجنة الانكلو امريكىة :

أما العرب والعالم الاسلامي فكان وقع التقرير عليهم صاعقاً ؛ لقد نشطت أوساطهم الشعبية والبرلمانية والحكومية أثناء قيام اللجنة بتحقيقها ، وأدلوها أمامها بحجج لا يباري فيها إلا المكابر المعاند للحق والمنطق ، فإذا بهم يفاجأون بتواصي أبعد ما تكون عن توقعاتهم ، ولذا أضربت فلسطين إضراباً عاماً يوم ٣ أيار ^(٢) ، وقامت فيها مظاهرات السخط والاستنكار ، وارسلت اللجنة العربية العليا بريات الاحتجاج والاستغاثة الى الأقطار العربية مع وفود لبسط الحالة أمام المسؤولين فيها . وحذت سورية وشرق الاردن ولبنان والعراق ومصر حذو فلسطين في الاضراب والتظاهر والاحتجاج ، وسجلت البرلمانات احتجاجها بلهجة قوية ، وشارك مسامو الهند في اظهار شجبهم ومعارضتهم لتقرير اللجنة المتحيز ، تضامناً مع اخوانهم العرب ، فصرح محمد علي جناح زعيم المسلمين في الهند بأن العرب والمسلمين لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا جرى تنفيذ هذه التواصي المشينة « وحسي أن أقول ان هذه هي خيانة كبرى للوعود المبذولة للعرب ، وصدمة لي ^(٣) » . وارتفعت الاصوات بوجوب الاتجاه نحو الاتحاد

Sacher, op. cit., pp. 62-63

(١)

Suppl. Mem., op. cit., p. 10

(٢)

Sakran, op. cit., p. 182

(٣)

السوفيتي والتعاون معه، بعد ما انكشف غدر البريطانيين والامريكان روضح تأمرهم على العرب كما طالبت بوجوب الاستعداد للمقاومة المسلحة الرسمية والشعبية معاً ، والبدء بترحيل النساء والاطفال عن فلسطين تسهيلاً لحركة الجهاد، وتشكيل لجان طوارئ، الخ^(١).

وفي ١٠ أيار قُدم ممثلو خمس دول عربية في واشنطن احتجاجاً قوياً في مذكرة مشتركة الى نائب وزير الخارجية الامريكية دين أنثيسون ضد تقرير اللجنة ؛ وفي اليوم التالي صرح دين أنثيسون في مؤتمر صحفي بأنه قد أعطي تأكيد بأنه ستجري مشاوره كل من الزعماء العرب واليهود قبل وضع نواصي اللجنة الانكلو امريكية موضع الاجراء. وكان المستر دين انثيسون قد أنهى تأكيداً مماثلاً في وقت سابق الى مصر والعراق وسورية ولبنان والعربية السعودية^(٢). وفي ١٧ أيار ردت الحكومة الامريكية على المذكرة العربية المشتركة بأنه : « لن يتخذ أي قرار بشأن تقرير اللجنة دون التشاور المسبق مع حكومة العراق والأقطار العربية الأخرى»^(٣). وقد أشير الى أن التقرير ليس له الاصفة استشارية وان توصياته لا تلزم الخارجية الامريكية بشيء ، ولم تتضمن المذكرة لا مباشرة ولا استنتاجاً أنه جرى أي ارتباط أو وعد صريح من امريكا للاشتراك في اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين .

وفي ١٥ أيار صدر بيان عن الخارجية البريطانية في لندن ، جاء فيه أن حكومة جلالاته لن تتمكن من اعلان قرارها حول نواصي اللجنة حتى تستكمل مشاوراتها مع الحكومة الامريكية ، وتستشير العرب واليهود كليهما ، وفقاً للعهود المعلنة حين تشكلت اللجنة^(٤).

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٥١-٥٢

(٢) Suppl. Mem., op. cit., p. 10

(٣) Truman, op. cit., II, p. 148

(٤) Suppl. Mem., op. cit., p. 10

وقد ظهرت أولى بوادر التساند العربي على أعلى المستويات يومي ٢٨ و ٢٩ أيار حين حضر مؤتمر أنشاص رئيساً جمهوريتي سورية ولبنان وملك الأردن ، والوصي على عرش العراق ونجلاً ملكي السعودية واليمن نيابة عن والديهما، والملك فاروق صاحب الدعوة للمؤتمر ، وقد تداولوا في قضية فلسطين من شتى نواحيها فأروا أن قضيتها ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هي قضية العرب جميعاً ، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس في إمكان هذه الدول ان توافق بوجه من الوجوه على أي هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضاً صريحاً للكتاب الايض الذي ارتبط به الشرف البريطاني . ولهم عظيم الأمل أن لا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والدولتين الديموقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى ، أي تشبث من جانبها يرمي الى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصاً منهم على دوام هذه الصداقة ، وتفادياً لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضي الى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر في السلم العام . أما فيما رآوا زيادة على ذلك ، فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية ان يحمل الى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجهاتهم في هذا الشأن ، ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين ،^(١) .

ولكن لم ينظر فيما يمكن اتخاذه من اجراءات إلا حين انعقد مجلس جامعة الدول العربية في مصيف بلودان بسورية ما بين ٨ - ١٤ حزيران في دورة الاجتماع الرابعة غير العادية . تطلع العرب في شتى أقطارهم بلهفة يرقبون ما يسفر عنه هذا الاجتماع التاريخي في هذه الفترة الدقيقة ؛ وانبعثت في عرب فلسطين آمال جديدة تقوم على وقفة موحدة للدول العربية المجتمعة ، لمواجهة هذا الظرف التاريخي الخطير الذي يهدد العرب كافة ، وكان لايزال

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٣ وإيضاً :

Suppl. Mem., op. cit, p. 11

أمام الآملين أن يأملوا يجدوى هذا الاجتماع الذي سيحفظ لفسطين عربتها وبعيد للأمة العربية كرامتها ؛ ولو أنصف هؤلاء وامنوا النظر في حقيقة ما كان يدور وراء الأبواب المغلقة ، وتفحصوا وجوه القوم واطلعوا على نوابهم ، لرأوا أنهم مغالون في ما عقدوا الآمال عليه . ونحن لا نعلم على وجه الدقة . بخلاف الحطب الممتازة التي أقيت - ماذا تقرر سراً في الاجتماع ، ولكن لنا أن نستنتج من وجود رجل عسكري بريطاني هو البريغادير كلايتون ، في الفندق آنذاك ، والرجل قديم الصلة بالشؤون العربية . ومن طراز لورانس ، أن بريطانيا ربما خشيت أن تملك نشوة الحماس على المجتمعين رأيهم ، فأرادت أن تنهي الهم بعض ما تحب أن يفهموه عنها دون أن يبدو عليهم ما ينكرونه منها .

ولا حاجة بنا الى بسط ما دار الجدل حوله في أروقة الفندق الجميل ، وأهمها وأجداها ما يتصل بالمساعدات التي يجب أن تقدم إلى الهيئة العربية العليا لتمكينها من تنفيذ أهدافها العديدة^(١) ، ولكن لم يحظ الموضوع على خطورته بالاقرار المزمع ؛ كذلك فقد توجب على المجلس أن يعالج موضوع الانشقاق المؤسف الناجم عن عدم الانسجام بين أعضاء اللجنة العربية العليا ، والذي أعقبه انقسام خطير بين من بقي تحت لواء اللجنة العربية العليا ، وبين من شكّل لجنة أخرى باسم الهيئة العربية . واستدعي أركان اللجنتين الى بلودان وانتهى الأمر بجلّتهما وتشكيل لجنة مؤلفة من عضوين من كل منهما ، وأبقيت رياستها ساغرة ليشتغلها المفتي الحاج أمين الحسيني الذي عاد في هذه الآونة من فرنسا الى مصر ، بعد أن

(١) طلب بعضهم أن يرصد مبلغ مليون جنيه للسبر في هذه الاهداف ، « فاستعظم الأعضاء المبلغ » ، ولم يروا وجوباً للارتباط بشيء ، وترك أمر البت في الموضوع لكل حكومة على حدة تبحثه في ضوء ظروفها . دروزة - المصدر السابق ص ٥٩ .

لبث في أوروبا أربع سنوات ونيقياً . وفي ١٠ كانون الثاني ١٩٤٧ تقرر ضم خمسة أعضاء آخرين الى اللجنة (١) .

ولا بد أن نشير الى أن ممثلي الدول العربية التي شاركت في مؤتمر بلودان كانوا يعكسون ضمناً اتجاهات دولهم ورؤسائهم ، بحيث أن المحاور والجهات الداخلية التي سادت وقت تشكيل جامعة الدول العربية ، ما زالت تثقل كل مسعى لتوحيد الجهود العربية نوحيداً فعلاً يحمي عروبة فلسطين ويسمع صوت العرب مدوباً في الأوساط الأمريكية والبريطانية . إن مندوب فلسطين أعلن صادقاً بأن في فلسطين شعباً لا يبخل بدمه إذا مدّ بوسائل النضال الكافية ، وناشد المجتمعين أن ينظروا الى هذا الأمر الحيوي نظرة الجدّ ، بعد ما انكشف من مطامع الصهاينة واستعدادهم العسكري القوي ومحاسنة البريطانيين لهم .

ومها يكن من أمر ، فقد اتخذ المجلس مقررات علنية وأخرى سرية :

أما المقررات العلنية فمنها :

(١) يقول الأستاذ دروزة أن جمال الحسيني بعد عودته من منفاه في روديسيا شغل مركز أخيه توفيق في اللجنة ، وأعلن ضم أشخاص الى اللجنة ضمناً للنشاط والانجمام لأن اللجنة لم تجتمع للنظر في الأمر ، فأدى هذا الى انشقاق ، وقامت لجنتان : واحدة باسم اللجنة العربية من جمال وأنصاره ، واخرى باسم الهيئة العربية تحت ممثلي الأحزاب وبعض المستقلين والدفاعيين . وبما أن حكومة العراق كانت تبت المشروع الانشائي ، ومشروع مكاتب الدعاية العربية ومولتها ، فانها لم توافق على انتقالها الى الهيئة التي يرأسها المفتي لجفوة شديدة بينها وبينه منذ عهد إقامته في بغداد وثورة الكيلاني (١٩٤١) .

دروزة - المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨ ، وايضاً : Hurewitz, op. cit., pp. 251 - 53

تشكلت اللجنة من جمال الحسيني (نائباً للرئيس) والدكتور حسين الخالدي (سكرتيراً) وأحمد

Suppl. Mem. , op. cit., p. 13

حلمي باشا واميل الغوري .

والأعضاء الجدد م : معين الماضي وعزة دروزة ورفيق التميمي واسحاق درويش والشيخ حسن

ibid., p. 24

ابو السعود .

١ نقد لجنة التحقيق وتحيزها وتواصيا في مذكرة توجيهها الأمانة العامة للجامعة ،
وكل حكومة من حكوماتها على انفراد الى الحكومتين الامريكيتين والبريطانية .

وقد سجلت مذكرة الامانة العامة الى الحكومة الامريكية^(١) استلامها للمذكرة
المؤرخة في ٢٠ أيار والتي جاء فيها أن تواصي اللجنة ذات صفة استشارية غير ملزمة . ومضت
المذكرة العربية تقول ان الجامعة برغم المعلومات المؤيدة لشكها في حيدة بعض أعضاء
اللجنة ، فانها قررت عدم مقاطعتها ، وجلّ مقصدها « هو جلاء الحقيقة كاملة للحكومة
الامريكية وشعبها ، تفادياً للتصادم بين حقوق العرب ومصالحهم ، وسياسة دولة صديقة يُعقد
عليها أكبر الآمال ، وخشية أن تتأثر هذه السياسة بدعاوى فئة صاخبة من اليهود في
الولايات المتحدة لهم من الوسائل ما ليس للعرب ، لتوجيه الرأي العام الامريكى وجهة
ضارة بالعرب ، وهي في الحقيقة بعيدة كل البعد عن مصالح الامريكيين في الشرق العربي
والاسلامي ، ومعرضة للخطر ما بين الولايات المتحدة والشعوب العربية من الثقة والمودة .
واستطردت المذكرة العربية تقول : « ومن ثم فتدخل طائفة من رعايا الحكومة الامريكية
في شؤون أمة اخرى بما يعارض حقوق تلك الأمة ، يجر الولايات المتحدة الى النزاع مع
ملايين البشر الذين يضعون في شعب الولايات المتحدة وحكومتها ثقتهم وآمالهم الكبيرة .
وقد ترتب مع شديد الأسف على المعاونات التي ترد من الولايات المتحدة على الصهيونيين
سواء كانت مادبة أو ادبية أن تفاقم الأمر ، وظن الصهيونيون أنهم يستطيعون الاعتماد على
أكبر دول العالم لإملاء ارادتهم على شعب فلسطين الأعرل ، فنظموا قوات مسلحة هي
نواة الجيش اليهودي الجديد ، وجمعيات ارهابية هي أداة القتل والتدمير لتحقيق أغراضهم

(١) انظر نس المذكرة التي أرسلنا الامانة العامة الى الحكومة الامريكية في الوثائق الرئيسية

لفضية فلسطين - المصدر السابق ص ٣٨١ - ٣٨٤ .

بالقوة . . ومع أنه ليس من شأننا ان نتعرض لما يقال من ضغط اليهودية الصاخبة في أمريكا وأثره على سياسة الولايات المتحدة . . فإننا نشعر بأن السياسة الصهيونية توشك ان تتجح في إحداث صدام عنيف بين مصالح شعوب الشرق العربي وسياسة الولايات المتحدة ومصالحها . وإذا استمر التسليح الصهيوني والارهاب واتخاذ القوة وسيلة لإملاء ارادتهم في فلسطين فإننا نخشى ألا يقف العرب ، وهم قوم فخورون بتاريخهم ، مكتوفي الأيدي أمام تحدي القوة . . وأشد ما نخشاه كذلك الا تستطيع الحكومات العربية حصر النزاع في نطاق ضيق ، وقد أخذ يتجسم في نظر الشعوب العربية خطر التسليح الصهيوني وعجز الحكومة البريطانية المسؤولة . . .

وأخيراً جاء في المذكرة أنها ليست رداً بخلي الحكومة الامريكية من تعهدها باستشارة العرب الذي يستند الى نص وعد روزفلت الى ابن سعود المؤرخ في ٥ نيسان ١٩٤٥ .
أما مذكرة جامعة الدول العربية الى الحكومة البريطانية ، فقد نصت على أن دول الجامعة لم تمبرراً لتشكيل اللجنة الانكلو امريكية ، وأنها لم تعترف بشرعيتها ، ولذا ترفض كل ما انطوى عليه تقريرها بما هو محجف بحقوق العرب في بلادهم . وان الحكومة البريطانية بوصفها واقعيأ الدولة المنتدبة هي المسؤولة فعلاً عما يقع من إهدار لحقوق عرب فلسطين السياسية والمدنية . وانه ليس ثمة مسوغ قانوني يبيح للحكومة الامريكية ان تتدخل للتأثير على الوضع القائم في فلسطين ، وان الحكومات العربية تعتبر كل تراجع من بريطانيا عن عهودها في الكتاب الأبيض أو غيره ، بما ارتبط به شرفها ، تحدياً جديداً لحقوق العرب الطبيعية الشرعية في بلادهم . وان ما ينشب من قلاقل في فلسطين وفي الشرق العربي ، وما ينجم عن ذلك من اخلال بالسلم والأمن ، تقع مسؤوليته على من يؤيد تقرير اللجنة ويعمل على تنفيذه . وطلبت المذكرة أخيراً ان تقف بريطانيا عند حد الكتاب الأبيض ريثما تقوم حكومة وطنية مستقلة في فلسطين ، ولا بد لذلك من ايقاف الهجرة اليهودية فوراً ايقافاً

تماماً وإقصاء كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ومن دون مسوغ قانوني^(١) ،
وكان من المقررات العلنية أيضاً لدورة مجلس الجامعة في بلودان ، بخلاف (المذكرات)
سאלفة الذكر :

- ٢ - طلب المفاوضة مع الحكومة البريطانية لأجل إنهاء الحالة الراهنة في فلسطين .
- ٣ - عرض القضية على هيئة الأمم اذا لم تنته المفاوضة مع بريطانيا الى حل مرض .
- ٤ - تأليف لجنة دائمة في أمانة الجامعة للاشراف على سير القضية .
- ٥ - طلب تجريد اليهود من السلاح .
- ٦ - إنشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة ، ومنع تصدير المواد الأولية المساعدة للانتاج الصهيوني ، واتخاذ الاجراءات الجزائية الكفيلة بالتأكد من جنسية البضائع المستوردة ، ومقاطعة الخدمات الصهيونية كالمصارف والشركات والوكالات والبيوتات التجارية ووسائل النقل والمقاولين والحبراء اليهود ، ووضع تشريع في كل دولة يعتبر بموجبه بيع العقار في فلسطين للصيونيين ، وتهريب اليهود إليها ، والمساعدة على ذلك جرماً جنائياً .
- ٧ - رفض أي شكل من أشكال التقسيم من حيث المبدأ ، كحل للقضية الفلسطينية .
- ٨ - إنشاء لجان دفاع عن فلسطين في كل دولة عربية ، واصدار طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية .

(١) انظر صورة المذكرة الكاملة في دروزة - المصدر السابق ملحق رقم (٤) ص ١٣٩-١٤١ وانظر صورة المذكرة التي بعثت بها كل من دول الجامعة العربية الى الحكومة الانكليزية والامريكية وهي صورة طبق الأصل عن مذكرة الجامعة سألفة الذكر الى بريطانيا ، وذلك طبقاً لقرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان والمؤرخ في ١٢ حزيران ١٩٤٦ - الوثائق الرئيسية - المصدر السابق ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

٩ - تنظيم تمثيل فلسطين بهيئة جديدة ، ودعوة أهل فلسطين الى التضامن والاتحاد ،
وتوصية الحكومات العربية بمدّ الهيئة الجديدة بالمساعدات اللازمة ، واضطلاع هذه الهيئة
بمختلف شؤون القضية من دعاية ومقاطعة وتنظيم الخ .

أما المقررات السرية ، فقد أحيطت بكتان يشتمل على معنى الخطورة والجد ، وكان
هذا الغموض المحيط بها مخففاً لشعور الحية الذي خامر جماهير الشعب العربي ، وبجبالاً
للتعلل بالأمل المتفائل مستقبلاً . وترى بعض المصادر ان هذه المقررات تصح نافذة إذا اتخذ
أي عمل دولي يمكن ان يؤثر على حق فلسطين في ان تصح دولة عربية مستقلة ، وقد نصت
المقررات على المعونة العسكرية والمعنوية لعرب فلسطين^(١) .

وقد قصدت هذه المقررات بصورة خاصة الى تهديد المصالح البريطانية والامريكية
الاقتصادية والنفطية ، على اعتبار ان تنفيذ نواصي اللجنة الانكلو امريكية لا بد أن يؤدي
الى حالة تسوء فيها العلاقات بين البلاد العربية من ناحية، وانكلوترة وامريكا من ناحية أخرى،
بحيث يتوجب على البلاد العربية ان تدافع عن نفسها باتخاذ بعض التدابير الضرورية التي منها:

١ - عدم السماح للدولتين او احدهما أو رعاياهما بأي امتياز اقتصادي جديد .

٢ - عدم تأييد مصالحها الخاصة في أية هيئة دولية .

٣ - مقاطعتها مقاطعة أدبية .

٤ - النظر في الغاء ما يكون لها من امتيازات في البلاد العربية .

٥ - شكواهما الى مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة .

ولكن تمسك الدول العربية بأسلوبها في المطالبة بالحق عن طريق ارسال (مذكرات)
الشكوى والاحتجاج ، لم يكن ليجدي أمام عدو كان يعدّ لكل أمر عدته دون أن يتروك
شيئاً للمصادفة أو يتمسك بوجهة نظر جامدة .

Hurewitz, op. cit., p. 251

(١)

وبينا كان ساسة العرب يستولون في الكلام على الحق والعدل والاتصالات والاحتجاجات وشرح وجهات النظر وبيان الأبعاد، كانت الصهيونية تحيك خططها بتدبير محكم للقضاء على عروبة فلسطين^(١)، وكأنا كانت على مثل اليقين بأن العرب آنذاك لن يتفقوا على عمل موحد أو ينفذوه، نظراً لما يسود حكمهم من خصومة وأطماع خفية وظاهرة. ولا أظن ان أحداً من الصهاينة وأنصارهم في بريطانيا والولايات المتحدة، خفي عليه ما تعاني منه الجبهة العربية آنذاك من فرقة وانقسام، ولا ما اختلف حوله الحكام العرب الذين بأيديهم الحل والعقد والذين يجد معظمهم في بريطانيا سنداً لحكمهم، وبين جماهير الشعب التي تتطلع بعفويتها الى استنقاذ فلسطين متسامية عن الأغراض والمنافع القريبة. ولذا كان من اليسير على الصهاينة وأنصارهم ان يهوتوا من شأن العرب وغضبهم ومذكرات دولهم. وكما كانت المصلحة القومية العليا تقتضي الحكام أن يلتزموا بالخط النضالي الشعبي، إذن لوجدوا في الشعب خير سند يغنيهم عن دعم بريطانيا أو أمريكا، ولسجل لهم التاريخ في صفحاته غير ما سجل.

وعلى الرغم من احتجاج دول الجامعة العربية، واعلامنا أن التدخل الامريكى في شؤون فلسطين لا يسوغه حق أو عرف أو منطق سليم، فإن الرئيس ترومان أرسل لجنة وزارية خاصة الى لندن للتباحث مع لجنة بريطانية ماثلة بخصوص تنفيذ توصيات اللجنة الانكلو أمريكية كما سلف ذكره.

وبينا كان أتلي يحضر مؤتمر الصلح في باريس، وبينف يقاسي من نوبة مرضية، فقد توجب على رئيس مجلس اللوردات هيرت موريسون أن يعلن في ٣١ تموز الوضع الحاضر لسياسة الحكومة تجاه قضية فلسطين إثر المناقشات بين المندوبين الانكليز والامريكيين، ونجم عنها مشروع دعي بخطة موريسون-غريدي، وقد تصور تحويل الانتداب الى وصاية وتقسيم.

(١) قال بن غوريون: « منذ نهاية الحرب صرفت اهتمامي للبحث عن أسلحة ثقيلة، وقد استجاب الامريكيون لي واشترينا اسلحة بما يقرب من مليون دولار، هربناها الى فلسطين... ووافقت فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على بيعنا الاسلحة على أن تشحن الاسلحة بعد قيام الدولة.»

Israel, Years of Challenge, op. cit., p. 22

قال موريسون ان المندوبين الخبراء اقترحوا أن تحاول الحكومتان نهيشة أحوال مناسبة لاستيطان عدد وافر من الاشخاص الذين لا مأوى لهم في أوربا ، حيث قد اتضح ان الغالبية الساحقة ستستمر في المعيشة هناك ، كذلك يتحتم إيجاد مواطن جديدة فيأوراء البحار لكثير من أولئك الذين انفصمت عرى علاقاتهم بجانايتهم السابقة بشكل لا يمكن اصلاحه . . وبعد أن شرح موريسون اجراءات تنشيط هذا المشروع ، قال إن الخبراء عندما صاغوا سياسة جديدة لملسطين قبلوا كأساس التوصية الثالثة للجنة الانكلو امريكية ، وهي ان فلسطين في مجموعها لا يمكن ان تكون دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأنه لا حق لإحدى الجانبين أن تسيطر على الأخرى . « ويظهر أن الأمل الوحيد في السلام وفي انجاء مبرع نحو أنظمة الحكم الذاتي ينحصر في صياغة دستور البلاد بشكل يعطي كلا من الفريقين أعظم قسط ممكن من السلطة لإدارة شؤونه الخاصة » .

نهاية الجهود الانكلو امريكية

مشروع موريسون - غريدي :

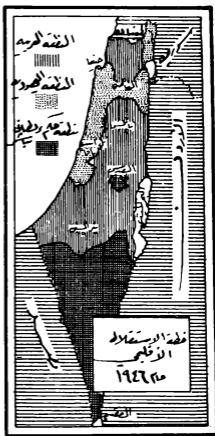
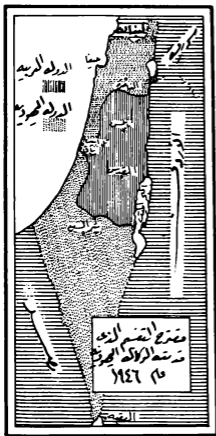
وعرض موريسون المشروع الذي اتفق عليه المندوبون الخبراء، وقال انه يقوم على « انشاء مناطق عربية ويهودية تتمتع بقسط وافر من الحكم الذاتي تحت اشراف حكومة مركزية » .

ويقتوحون :

١ - تقسيم فلسطين الى أربع مناطق : منطقة عربية ، ومنطقة يهودية ، ومقاطعة للقدس وأخرى في النقب .

٢ - تشمل المنطقة اليهودية الجزء الأعظم من مساحة الأراضي التي استقر بها اليهود، ومساحة كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها .

٣ - تشمل منطقة القدس مدينة القدس وبيت لحم وضواحيها المباشرة .



٤ - تؤلف منطقة النقب من مثلث الارض الفضاء غير المسكونة ، الكائن جنوبي فلسطين عبر الحدود الحالية للأرض المزروعة .

٥ - تشمل المنطقة العربية باقي فلسطين ، وتكون بذلك في الغالب عربية محضة من ناحيتي الارض والسكان .

٦ - تكون حدود هذه المناطق حدوداً ادارية بحتة تعين المنطقة التي يقع في داخلها مجلس نيابي محلي مخول له سن القوانين في أمور معينة ، وهيئة تنفيذية تقوم بتطبيق هذه القوانين ، ولن يكون لهذه الحدود أية أهمية من ناحية الدفاع أو الجمارك أو المواصلات ، وإنما لإعطائها صبغة نهائية ، فإنها بمجرد تقريرها تصبح غير قابلة لأي تغيير إلا باتفاق بين المنطقتين المختصتين ، ويدمج نص بهذا المعنى في صلب اتفاقيات الوصاية ، وكذا في الوثيقة التنفيذية لهذا المشروع .

٧ - تخول الحكومات الاقليمية سلطة التشريع والادارة داخل مقاطعاتها في نطاق واسع من المسائل ذات الصبغة الاقليمية المحضة ، وتخول هذه الحكومات أيضاً السلطة لتحديد عدد الاشخاص الراغبين في الاقامة الدائمة في أراضيها وتقرير مؤهلاتهم لهذه الاقامة بعد عرض هذا المشروع ، ويطلب من هذه الحكومة بواسطة الهيئات التي تسن القانون الأساسي ان تتخذ الطرق اللازمة لضمان الحقوق المدنية والمساواة لجميع السكان أمام القانون ، وكذلك لضمان حرية الانتقال والتجارة بين المناطق ، وتخول هذه الحكومة أيضاً السلطة لجمع الاموال اللازمة للقيام بوظائفها .

٨ - تنفرد الحكومة المركزية بالسلطة في وسائل الدفاع والعلاقات الخارجية والجمارك والضرائب ، وكذا يحتفظ لها في البداية بنفس السلطة في تطبيق القوانين والمحافظة على النظام ، بما فيه البوليس والمحاكم وعدد معين من الأمور التي تم فلسطين بأجمعها . وتحتفظ كذلك بكل السلطات التي لم تعين تعييناً واضحاً للمناطق في كيان التشريع .

٩ - ينتخب مجلس نيابي لكل منطقة ، وكذا يعين المندوب السامي من بين أعضاء المجلس النيابي هيئة تنفيذية مؤلفة من وزير رئيسي ومجلس وزراء بعد استشارة الزعماء . وكل قانون تقره المجالس النيابية يتطلب موافقة المندوب السامي ، إلا أن هذا القانون لا يوقف ما لم يتعارض مع الأصول الحكومية التي تقيض السبل لضمان السلم في فلسطين ولحقوق الاقليات . كما انه من الضروري ان يحتفظ المندوب السامي في حالة الطوارئ بحق التدخل عند عجز أي حكومة اقليمية عن القيام بتأدية وظائفها الأصلية أو في حالة تجاوزها هذه الوظائف .

١٠ - يقوم المندوب السامي في بادئ الأمر بممارسة الوظائف التنفيذية والتشريعية للحكومة المركزية على أن يعاونه في ذلك مجلس تنفيذي معين من قبله . وقد يرأس الفلسطينيون بعض أقسام الحكومة المركزية إذا اعتبر المندوب السامي أن ذلك أصبح في حيز الامكان .

١١ - ينشئ المندوب السامي مجلساً لمشروعات الانشاء والتنظيم ، ومجلساً لتحديد الرسوم الحكومية ، مؤلفين من مندوبي الحكومة المركزية ويمثل للمناطق .

١٢ - ينشأ في منطقة القدس مجلس له صلاحيات المجلس البلدي ، وينتخب معظم أعضائه انتخاباً على أن يكون للمندوب السامي تعيين عدد معلوم منهم .

١٣ - تكون منطقة النقب تحت ادارة الحكومة المركزية في الوقت الحاضر .

١٤ - ان السيطرة على الهجرة اليهودية تبقى من خصائص الحكومة المركزية على أن تكون في نطاق الاستيعاب الاقتصادي لأية منطقة ، وعلى أن لا يجوز للحكومة المركزية ان ترخص هجرة تجاوز الحد الذي تقترحه الحكومة الاقليمية .

وبناء على ذلك فلحكومة المناطق العربية حق التمتع بتمام السلطة لمنع مهاجرة اليهود

الى منطقتها ، كما تتمتع المنطقة اليهودية بحق قبول أي عدد من المهاجرين ترغب فيه حكومتها .

هذه هي الخطوط الرئيسية لمشروع موريسون غريدي ، ويقترح الخبراء أيضاً كجزء منه أن يصبح في حيز الامسكان قبول توصيات اللجنة الانكلو امريكية ، القائلة بإدخال مائة الف مهاجر يهودي في الحال الى فلسطين ، وباستمرار حركة المهاجرة بعد ذلك . وقد وضع الخبراء مشروعاً لنقل المائة الف يهودي من اوربا الى المنطقة اليهودية في فلسطين ، على أن يكون نقلهم وتأمين معيشتهم شهرين في فلسطين على نفقة الحكومة الامريكية . وفي المشروع توصيات بشأن ترقية أحوال العرب الصحية والثقافية والاجتماعية والزراعية ، تمول بهبات مالية لحكومة فلسطين ، كما ان فيه توصيات بشأن مساعدة شرق الاردن خاصة ، وسورية ولبنان ان أمكن ، على تنفيذ المشاريع وعقد القروض التي يمكن استفادة فلسطين منها^(١) .

وقال موريسون في ختام عرضه للمشروع ان حكومته أخطرت الحكومة الامريكية باستعدادها لقبول هذه التواصي كأساس للمفاوضات ، وعبر عن أمه في أن يصله رد الرئيس ترومان بعد اجتماعه مع المندوبين الخبراء الامريكيين الذين عادوا نواً الى بلادهم لمناقشة الرئيس في تفاصيلها ، لأن تنفيذ المشروع يتوقف على تعاوث الولايات المتحدة . وأعلن موريسون كذلك ان حكومته قد دعت مندوبي العرب واليهود الى لندن لمناقشة مشروع المندوبين الخبراء . وامتدح المشروع بأنه يطلق يد اليهود للتحكم في الهجرة الى منطقتهم حيث تلغى قيود نقل الاراضي ، ويتخلص العرب نهائياً من شبح السيطرة اليهودية ، ويتمتعون بقسط وافر من الحكم الذاتي مصحوباً بضمانات قوية لصون حقوق الأقلية العربية في المنطقة اليهودية .

(١) يجري قياس موارد الماء المشتركة بالسرعة الممكنة مع نظرة الى تنمية اقتصادية واسعة لكل من فلسطين وشرق الاردن على أن يتم ذلك كله بعد موافقة الحكومة الاردنية .

والمشروع في نظر موريسون ايضاً ، يترك الطريق مفتوحاً للوصول الى تقدم سلمي وتطور دستوري إما نحو وحدة اتحادية (فدرالية) ، أو (في حالة ثبات عوامل التباعد) نحو التقسيم ^(١) .

ردود ومناورات :

رفض العرب فوراً المشروع ، وأصرروا على أن تبقى بلادهم موحدة في ظل حكومة ديمقراطية . والصهاينة رفضوه بحجة ان منطقتهم غير متسعة وان الهجرة ليست بأيديهم . وفي المناقشة التي جرت حول المشروع في اليوم التالي أعلن السير سترا ترفورد كريبيس Cripps عزم حكومته على مناقشة خطة الاستقلال الاقليمي هذه في لندن مع ممثلين يهود من مختلف البلدان ، ومن فلسطين على السواء دون إهمال الوكالة اليهودية ، ومع عرب فلسطين والدول العربية دون دعوة المفتي . وقد اتضح في النقاش الذي جرى في اليوم التالي أن خطة موريسون لم تكن خطة جديدة من وضع الخبراء البريطانيين والامريكيين ، وانما خطة كانت وزارة المستعمرات في حكومة الحرب الائتلافية قد وضعتها كبديل عن مشروع التقسيم ، في حالة عدم القبول النهائي به ^(٢) . والى تشرشل كلمته فقال : « ان على الحكومة ان تقول أنه اذا لم تتقدم الولايات المتحدة وتشارك في عبء القضية الصهيونية ، كما هو محدد أو كما هو متفق عليه ، فيتوجب علينا الآن أن نخططها بأننا سوف نعيد انتدابنا الى هيئة الأمم المتحدة ، واننا سوف نجلو عن فلسطين ضمن فترة معينة ^(٣) » ، ترى هل بلوح تشرشل بالخروج الذي ينقذ بريطانيا من المأزق ، والخروج الذي اقترحه وهو ما كانت تصبو

(١) انظر نص خطاب موريسون مع مقترحات مشروع موريسون - غريدي في « الوثائق الرئيسية »

المصدر السابق ص ٤٠٠ - ٤٠٧ مستخرجة من محاضر مجلس العموم - هانارد بتاريخ ٣١ تموز ١٩٤٦ :

Hansard, Parliamentary Debates - Commons, July 31, 1946 .

ibid., 5th ser. Vol. 126, coll. 981 - 5 (٢)

ibid., 5th ser, Vol. 126, col. 1256 . (٣)

إليه الصهيونية ، وما فعلته حكومة العمال فيما بعد ، هو إلغاء مسؤولية البت في مشكلة فلسطين على عاتق الولايات المتحدة ، حتى اذا حققت الصهيونية أغراضها جزئياً أو كلياً ، كان بوسع البريطانيين أن يدعوا بأن الامريكان قد خدعوا العرب ، وان بريطانيا برتبة من كل ذلك .

ولكن تشرشل لا يكتفي بهذا فيتحدث في مجلس العموم ناقداً سياسة العمال بقوله : « ان حكومة جلالة بتخليها المبكر عن حقوق معاهدتها مع مصر ، وخاصة في منطقة قناة السويس ، مضطرة الآن للتفتيش عن أرض تقفز عليها في فلسطين لتحمي القناة من خارج مصر . . وهذه السياسة غير الحكيمة فسوف يمكن اتهامنا بأن لنا دافعاً قومياً استراتيجياً للاحتفاظ بمرکزنا في فلسطين^(١) . » وتشرشل بتصريحه هذا لا يعرض سياسة خصومه العمال فحسب ، كما هو مألوف بين المعارضة والحكومة ، وإنما يجرّص على الألماني الوطنية المصرية ، وهو هنا يلتقي مع الصهاينة ويماند دعاوى التي كانت تطلقها آنذاك أجهزة الاعلام الصهيوني في استغلال مطالبات الوطنيين العرب بالاستقلال والجلالة ، فتسعى بنجبت متعمد الى تشويه القضايا القومية بغية احداث الوقيعة بين العرب وبريطانيا ، وتحذر الشعب البريطاني من مغبة الجلاء عن أرض مصر ؛ وبصحب ذلك حملة من النشرات والتصريحات الصهيونية توحى بمهارة المحترف لحكومة العمال بأنها اذا اضطرت للرضوخ أمام المطالب المصرية الوطنية وقبلت بالجلاء عن قواعدها بمصر ، فاليهود لن يقبلوا بانشاء قاعدة بريطانية واحدة في فلسطين إلا اذا وافقت حكومة العمال على مطالب الصهاينة بمجازيرها . وهذه الحملة الهادفة الى عرقلة المفاوضات المصرية البريطانية ، تكررت بالنسبة لعلاقة بريطانيا مع شرق الاردن والعراق ، وإنما شاءت الظروف للشعور القومي في تلك الدول ان ينبثق في شكل إعراب عن استياء الأمة العربية من التواءات السياسة البريطانية وبمائلتها

في تنفيذ وعودها . وإذا فشلت بريطانيا في تلبية هذه المطالب فعليها أن تواجه موجات الارهاب الصهيوني في فلسطين .

ورأت بريطانيا بثاقب نظرها أن لا تستجيب سريعاً الى مطالب الصهاينة ، فراحت نحاور وتماطل أولاً منها في إيجاد تسوية تنال موافقة العرب واليهود على السواء وتحظى بموافقة الصهاينة « المعتدلين » بغية شطرم عن « المتطرفين »^(١) . وأدرك زعماء الصهاينة ، اللعبة البريطانية ، فمضوا بشددون التكبير على بريطانيا في الأوساط الأمريكية ، كما عمدوا الى تسهيل الهجرة اليهودية غير المشروعة متحدّين سلطات الانتداب .

وبالنسبة لمعظم الامريكيين كان الصراع الذي تدور رحاه على أرض فلسطين مجرد مأساة اللاجئين اليهود الذين يقاقلون من أجل الحصول على مأوى لهم - وهذه المرة يقاقلون مضطهدين الجدد من الانكليز . وحين تشددت الحكومة البريطانية في تطبيق قيود الهجرة ، تصاعدت مشاعر العداوة لبريطانيا في الولايات المتحدة . ومارست اليهودية الأمريكية المنظمة أقوى الضغوط على الرأي العام الأمريكي والسياسين ، ومضت تذكّرهم بأن ما يجري هو من نوع الحرب التي كان الثوار الأمريكيون يقومون بها ضد نفس الدولة الامبريالية . وأنواع التكتيك البريطاني في فلسطين قورن مع تلك التي استعملت لوقت طويل ضد المغاثلين الارلنديين من أجل الحرية^(٢) . وهكذا لم يقابل الرأي العام الأمريكي أعمال الصهاينة الارهابيين بالاستنكار والاستهجان ، كنسف فندق الملك داود في القدس بما فيه من النزلاء والموظفين والخدم الارباه . أما العرب فقد كان عليهم أن يجاروا الانكليز والصهاينة معاً ، ويطالبون بقيام دولة عربية مستقلة في الارض المقدسة .

Lilienthal, op. cit., p. 40

(١)

ibid., p. 11

(٢)

ومبررات الارهاب لدى الصهاينة تستند الى تقاليد عريقة في المخادعة والتحويل والتزييف ، ثم اختلاق المواقف والحجج ، والتعهد بمواثيق مكذوبة ، كل ذلك بلا أخلاقية تتخذ النجاح العملي مقياساً في خدمة قضيتها .

فالذين أغرقوا (الباتريا) و (ستروما) مثلهم كمثل الذين نسفوا فندق الملك دارد ، جماعة من منكموي اليهود الذين تقطعت في صدورهم أواصر العزم والایمان ، بسبب نكول بريطانيا عن وعودها لليهود ، الأمر الذي دفع هؤلاء (الارهابيين) الى حافة اليأس ! وعند الصهاينة أن خطاب بيغن ساعد على استثارة اعمال العنف ، وأن إقامة المعسكرات البريطانية في جنوب فلسطين لعبة مزدوجة تستثمر بريطانيا فيها فاجعة اليهود للاستمرار في انتدابها ، في حين أنها تحاول ان تتملص من مختلف مسؤولياتها بموجب ذلك الانتداب^(١) . وان هذا التصرف من حكومة بريطانيا إزاء الوكالة اليهودية أفقد هذه سلطتها على اليهود ، بحيث اصبح هؤلاء يرون في الارهاب وسيلة لإقناع بريطانيا والقضاء على ترددها ، وما الى ذلك ، ما سبقت الاشارة اليه .

ولكن الصهيونية تسكت عن مهادة بريطانيا لإرهابها في فلسطين وخضوعها للنفوذ الصهيوني المتعمك في أوساط البيت الأبيض والكونغرس الامريكى ، وتدعن لما ماتليه عليها الحكومة الامريكية . تسكت بريطانيا لأنها تواجه أزمة مالية سيئة في الداخل وثناء قارصاً يهدد بتفانق أزمة الوقود ، فتغدو مشكلة فلسطين في المرتبة الثانية من الأهمية ، ويكون الظرف إذ ذاك موثياً لغض الطرف عن سلسلة فعال القتل والتدمير التي لا يظهر بصددهاشيء للرأي العام لا في الصحف والاذاعة ، ولا في الأوساط السياسية .

ومع امريكا فالاعلام الصهيوني لا يستطيع مخادعة موظفي وزارة الخارجية الامريكية

Hurewitz, op. cit., p. 251

(١)

المطلعين على خفايا سياسة الشرق الأوسط والحريصين على مصالح بلادهم ، لذا فؤلاء الموظفين مع خبراء وزارة الدفاع في واشنطن كانوا في رأي الصهيونية ينظرون الى الشرق الاوسط بعيون بريطانيا من خلال المصالح النفطية التي كانت تلعب دورها !^(١) دع أت اليهود لا دولة لهم ، بينا ترهو سبع دول عربية بمقاعدتها في المؤسسة الدولية ، في حين أن العرب لا يجب ان يحسب لهم حساب . فعرب فلسطين منقسمون لا نهاية لخلافاتهم ، والمفتي رئيس اللجنة العربية ضالع مع المحور الذي حاربه الديموقراطيات الغربية ، والدول العربية تحسبها جميعاً وقلوبها شتى ، في حين أن الدولة اليهودية المرتقبة على ارض الشرق الأوسط ، ستكون حليفاً قويا يساند المصالح الغربية ويحميها . وأهم من هذا وذاك فالقنات اليهودية الضاغطة ، والمرجعة لنجاح أحد الحزبين في الانتخابات ، يجب احلالها محلها اللائق ، وهذا ما حاولته الصهيونية بنجاح تام مع الرئيس ترومان .

والحق أن الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ نسف سياسة وايزمن المستندة الى (التدرج) والرامية الى تحقيق الهدف الصهيوني بالتعاون الدبلوماسي الماهر مع بريطانيا ، وذلك حين حددت الهجوة اليهودية ووعده بوقفها بعد خمس سنوات . وعندما ظهر للصهانية أن الانتداب أمسى حجر عثرة في سبيل توفير غالبية يهودية في فلسطين ، تطلع الصهانية الى الولايات المتحدة كمصدر أساسي لدعمهم . وإذ بدا لبريطانيا ان تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين هو امر ضروري لأغراض المجهود البريطاني الحربي ، طالبت الزعامة الصهيونية بانهاء الانتداب بعد ان استنفد غرضه - وهذه نقطة تحول هامة تجب الاشارة اليها .

وتضامناً مع عدم التعاون الصهيوني في فلسطين ، أخذ صهانية الولايات المتحدة يتحدثون

Sacher, op. cit., p. 64

(١)

عن انشاء كومونولث يهودي بعد الحرب ؛ وإذ ظهرت بريطانيا حريصة على عدم الضلوع الكامل مع البرنامج الصهيوني ، باشرت الصهيونية تنظيم اليهودية الأمريكية وحشد هاوراه برنامج بلمتور . حتى إذا تم لها ذلك ، أمكنها الادعاء بأنها تتحدث بلسان اليهودية الأمريكية ذات الوزن الانتخابي المعتبر ، لمطالبة حكومة أقوى دولة بعد الحرب بدعم هدفها . وتوفي روزفلت ، والصهاينة ما زالوا بعيدين عن هدفهم ، ولكن عهد ترومان هو الذي يسجل التأييد المطلق للبرنامج الصهيوني الذي استطاع بمختلف الأساليب تكوير فئة قوية مرتفعة الصوت ذات مصلحة ، تستطيع استخدام الأجهزة السياسية الأمريكية ليصبح البرنامج الصهيوني جزءاً من سياسة أمريكا الخارجية . وفيما يلي سنكشف حلقات الاتصال المباشر بين النشاط الصهيوني المحموم ، وتطور الدبلوماسية الأمريكية في هذه الفترة الحاسمة ، وسنرى أن التكنيك الصهيوني قد أوقع ترومان في فخ أحسن إعداده . واليك التفصيل :

لم تكن بوادر قبول واشنطن بمشروع موريسون مشجعة ، ولا عجب في ذلك ؛ فإنه بغض النظر عن الاحجام التقليدي لحكومة الولايات المتحدة وشعبها عن الارتباط بالتزامات فيما وراء البحار وقت السلم ، فإن انتخابات الكونغرس في تشرين الثاني المقبل . التي حمي وطيسها في هذه الآونة ، قد جعلت ترومان هدفاً سهلاً امام المناورة الصهيونية . ولم يكن يتوقع من الحزب الديموقراطي آنذاك أن يعمل شيئاً باستثناء التنافس مع المعارضة الجمهورية على اكتساب تأييد الفئات الضاغطة الصهيونية .

ولا حاجة الى القول بأن الصهيونية والحزبية الأمريكية كانت تتبادلان المنافع المشتركة ؛ فالهبات المالية المعفية من ضريبة الدخل والتبرعات والاعانات كانت تتدفق لمساعدة المنظمات الصهيونية ، فتنفق هذه جزءاً منها على تنظيم الحملات الانتخابية لهذا الحزب أو ذاك - وكان للحزب الديموقراطي نصيب الأسد ، وتمد بها خزائن لجان الحزب وشؤونه العامة ، مقابل عرفان الحزب المنتصر لجليل اصدقائه الصهاينة ، وذلك برده هذه الأموال

بأسماء معونات « إنسانية » واستخدام الصهانية لها في الانفاق على تهريب الارهابيين اليهود من اوربا الى فلسطين، وفي تصدير السلاح والعتاد الحربي الى منظمات الصهيونية في فلسطين. وبما بلغت النظر في هذا الصدد ان المساعدات الامريكية للمنظمات الصهيونية ومؤسساتها، باعتراف الصهانية، زادت عن مليون ونصف جنيه سنوياً فيما بين ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ ، الى أن اصبحت اربعة ملايين جنيه سنة ١٩٤٥ ، ثم قاربت الستة ملايين في ١٩٤٦^(١) . أما المساعدات السرية فترتفع بالمساعدات أضعاف هذه الارقام ، وهي دليل على مدى التواطؤ بين الصهيونية والحزبية . وحين اجتمع جيمس فورستال وزير الدفاع الامريكي مع بيرنز وزير الخارجية على غداء اواخر عام ١٩٤٧ ، واستمع فورستال الى اسرار الضغط الصهيوني الشديد على الرئيس ترومان، قال لمحدثه معترضاً بالصهيونية: « انني اعتقد انها حقيقة مدمرة ومؤسفة ان تُقرر السياسة الخارجية في هذه البلاد ، بموجب ما تسام به كتلة معينة ذات مصالح خاصة نحو صندوق الحزب »^(٢) . وقد سعى فورستال الى الالحاح على وجوب عدم التحيز لأي من العرب واليهود، حرصاً على مصلحة الولايات المتحدة النفطية في الشرق الأوسط ، وبدأ حملته ليقنع زعماء الحزبين بوجهة نظره . ويصف ما لقيه في هذا الصدد بقوله : « ووجدت موافقة تامة على الرغبة في هذا الهدف من مختلف الجمهوريين الآخرين ، وليس من الزعامة الجمهورية . . . ومن الجانب الديموقراطي لقيت نجاحاً حول أهمية وخطورة الحالة » ولكن معه ادراك بأن جزءاً جوهرياً من أموال الحزب الديموقراطي أتت من مصادر صهيونية مبالغة لتطلب مقابلهما حق الحزب على هذا الجزء من سياستنا القومية^(٣) !

وقبل أن ينشر مضمون مشروع موريسون - غريدي ، كان جيمس مكدونالد الذي

Jewish National Finances. 2nd issue of 1947, pp. 66,68 (١)

Millis , op. cit., p. 317 (٢)

ibid., p. 360 (٣)

نعرف هواء الصهيوني في لجنة التحقيق ، قد أقنع عضوين بارزين في مجلس الشيوخ ومؤيدين للصهيونية للانضمام اليه بقصد الاحتجاج لدى ترومان ضد المشروع ويبدو أن ترومان كان على استعداد لقبول المشروع طالما يضمن هجرة المائة ألف ، ولكن الصهاينة ربما ادركوا الآن خطأهم في إلحاحهم فقط على هجرة هذا الرقم ، ولذا مضى اليهود الصهاينة من مستشاري الحزب الديمقراطي يندرون الرئيس من الأثر السيء المحتمل للتصويت اليهودي في انتخابات تشرين الثاني القادمة إذا تابعت الحكومة دعمها للمشروع . وإذ جوبه ترومان بهذه المعارضة الصهيونية القوية ، تردد ، بينها وبين نصيحة وزير خارجيته بيرنز الذي اجتمع في باريس يوم ٢٨ تموز مع أتلي ، والذي كان من رأيه قبول المشروع . وبعد أن تداول ترومان مع وزير الخارجية بيرنز والدفاع فورستال ، ومع نائب وزير الخارجية أتشيون بشأن قضية فلسطين ، رأى انه سيعلم قراره النهائي بعد ان يتباحث مع الأعضاء الأمريكيين الستة في لجنة التحقيق لمعرفة رأيهم بشأن المشروع الجديد ، كذلك اجتمع ترومان مع لجنة الخبراء الوزارية التي عادت لتوها من لندن ، وكان من الطبيعي ان ينظر الأعضاء الستة الى مشروع موريسون على أنه يتناقض مع نواصهم الأولى ، فيقروا بالاجماع رفضه (١) . وفي الوقت نفسه وجهت الى ترومان نداءات من الاعضاء اليهود البارزين في الكونغرس ، ومن ثلاثة أعضاء في اللجنة الانكلو امريكية هم كرام ومكدونالد وباكتون ، ونتيجة لهذه الجواذب والدوافع والمباحثات والتحذيرات ، تخلى ترومان عن المشروع خلاف نصيحة وزارة الخارجية ؛ وفي ١٢ آب أمي ترومان الى رئيس الوزارة البريطانية أتلي : « لا أستطيع ان أؤيد رسمياً الحطة في شكلها الحاضر كحطة انكلو امريكية مشتركة ، فالمعارضة للحطة في هذه البلاد أصبحت من العنف بحيث اتضح انه يتعذر حشد القوة الكافية من الرأي العام

Hurewitz, op. cit., p. 259

(١)

لتأييدها بصورة مجدية (١) . ونتيجة لذلك لم تمثل الولايات المتحدة في مؤتمر لندن القادم، وانسحب ترومان من الجهود المشتركة مع بريطانيا لحل مسألة فلسطين انسحاباً مؤقتاً . ويبدو أن المعارضة الصهيونية للمشروع استندت الى قرار سري تبنته تنفيذية الوكالة اليهودية، ويهدف الى انشاء دولة يهودية مستقلة في جزء من فلسطين ، وأوصلت تفاصيله الى الحكومتين الامريكيتين والبريطانية (٢) ذلك أن من بقي طليقاً من أعضاء تنفيذية الوكالة اليهودية عقدوا اجتماعاً في باريس بحضور بن غوريون الذي كان على قائمة المطلوب اعتقالهم في فلسطين، وكانت الوكالة قد أعلنت في ٥ آب رفضها لمشروع موريسون ؛ وقد اتضح انه برغم تهديد ما يسمى بحركة المقاومة بتصعيد عملياتها الارهابية إذا لم يتخلى البريطانيون عن تشدهم في تطبيق قيود الهجرة ويبيع الأراضي ، فان اجراءات سلطات فلسطين القمعية قد هزت ثقة تنفيذية الوكالة بنفسها، فألت على نفسها ان تطبق مبدأ المرحلة والمرونة في اعلان مطالبها ، وذلك بالتراجع عن برنامج بلمتور الذي كان زعماء الصهاينة قد أبرزوه الى اللجنة الانكلو أمريكية (٣) على أنه سياستهم الرسمية ، ووضع خطة في باريس لإنشاء دولة يهودية قادرة على الحياة في رقعة مناسبة من فلسطين ، بدلاً من دولة يهودية في كل فلسطين . وابتدت التنفيذة استعدادها لمناقشة هذه الخطة، واقترحت الوكالة ان تكون الرقعة المخصصة لليهود مشتملة على الجليل والسهل الساحلي -- كما نصت توصيات التقسيم عام

(١) Truman, op. cit., II, p.152

(٢) Jewish Agency Political Survey 1946-7, pp. 12-18, 28-29

quoted by Hurewitz, p. 260

(٣) يقول الزعيم الصهيوني ساكر في كتابه : «ان الزعماء الصهاينة كانوا سيقبلون تقرير اللجنة

الانكلو أمريكية (من حيث المبدأ) . صحيح أنه لم يعط الوكالة دولة يهودية، ولكنه أبطل الكتاب

الابيض الذي كانت تحاربه الوكالة ، وفتح الامكانيات الالامحدودة للهجرة والتنمية .

Sacher, op. cit., p. 189

١٩٣٧ - مضافاً إليها النقب . وباقي البلاد ، وهي المناطق الجبلية ووسط فلسطين الشرقي
ومر الى البحر عند يافا يخصص للعرب .

والدولة اليهودية المقترحة سوف تمارس استقلالاً كاملاً ذاتياً مع الاشراف على الهجرة
والسياسة الاقتصادية .. وسيكون لبريطانيا حقوق افضلية بمائلة لما تضمنته معاهدتها الأخيرة
مع شرق الاردن ، بما في ذلك القواعد البحرية والعسكرية . وينقل هيروتر عن وايزمن
أنه قال : « لا يستطيع اي ممثل يهودي الذهاب الى أبعد من هذا المشروع ^(١) . وبلا حظ
أن الحطة لم تطالب بالقدس ، وقد طار أحد أعضاء اللجنة التنفيذية بالحطة الى الولايات المتحدة
لتحظى بتأييد الرئيس ترومان . ثم مضى وايزمن وعضوان امريكيان من أعضاء اللجنة
يضغطون في ١٥ آب على وزير المستعمرات هول لقبولها أساساً في التفاوض مع لندن ^(٢) .
ولكن لم يتم التوصل الى اتفاق بينها ، يؤدي الى مشاركة الوكالة اليهودية رسمياً في مؤتمر
لندن الذي دعت حكومة لندن الى عقده في ١٠ ايلول . فالحكومة البريطانية أصرت على
أن يكون مشروع موريسون هو أول بند في جدول أعمال المؤتمر ، مع ترك الحرية
الكاملة للوفود العربية واليهودية في اقتراح تعديلات عليه . ولكن الوكالة اليهودية طلبت ان
يكون لها الحرية الكاملة لا في اختيار مندوبيها الى المؤتمر بما فيهم المعتقلين أو المطلوب

ibid.

(١)

(٢) في مؤتمر بان الصهيوني الذي انعقد في ٩ كانون الأول ١٩٤٦ صرح المدافعون عن هذا
التغيير في السياسة الصهيونية بأن تنفيذية الوكالة لم يكن لها الخيار في وقت وجدت فيه نفسها أمام عقبة
كثود ، ولم تكن على اتصال مع الحكومة البريطانية ، وكان زعماء فلسطين الصهاينة معتقلين ، ولو
لم يقدم العرض لنقلت امريكا يديها من هذه المشكلة المزعجة بأكملها .

Dr. Nahum Goldman in Zionist Review, Dec. 20, 1946 pp. 6-7,
cf. Rabbi Silver in New Judaea, Dec. 1946 - Jan. 1947, p. 61 .

فلسطين م ٤٩ (١٩٦٨)

اعتقالهم فحسب ، وإنما أيضاً في اصدار الدعوات الى جميع أعضاء الوفد اليهودي الذي سوف يتضمن ممثلين عن الاجهزة والمنظمات اليهودية بخلاف الوكالة ، وذلك بالتشاور مع الحكومة البريطانية .

ولو أن الحكومة البريطانية قبلت ادراج خطة التقسيم الصهيونية في جدول أعمال المؤتمر لنسفت مؤتمر لندن ، ولذلك رفضت العرض الصهيوني ، ولكنها لاحظت التبديل الذي جدد في تفكير بعض القادة الصهاينة ، ولذا فبعد انتهاء المؤتمر سوف تستأنف المحادثات بينها وبين وايزمن . والباحث يرى أن هذا العرض الصهيوني إنما كان مناورة قصدت بها الصهيونية الى دفع شيء والحصول على شيء . دفع ما قد ينهما به خصومها من موقف التصلب والجمود والسلبية الذي تقفه إزاء مقترحات الخبراء البريطانيين الامريكيين التي تضمنها مشروع موريسون غريدي ، والتي كان ترومان في البداية مرحباً بها مع وزارة الخارجية الامريكية . والحصول على نتيجة تزويد ترومان بردّ ايجابي على مشروع موريسون ، بلباز خطة تقسيم مقابلة له ، لا تكفي بإدخال المائة الف يهودي الى فلسطين فحسب ، وإنما تتبنى جزءاً لا يستهان به من البرنامج الصهيوني ، وترشح ترومان في هذه الفترة العصبية عن موقف التردد والحيرة الذي انتهى اليه ، والذي كان يتأرجح بين الضغط الصهيوني عليه لرفض مشروع موريسون ونصيحة وزارة الخارجية له بقبوله . وأهم من هذا أنه بدا للصهاينة أن الولايات المتحدة وهي البلد الذي تطمح بدعمه موشكة أن تتملص من هذه المشكلة الفلسطينية التي سببت بعض البرود مع بريطانيا بفعل النشاط الصهيوني المغموم . وإلى أن ينجح الصهاينة في حمل ترومان على رفض المشروع رسمياً ، بعد أن قوي مركزهم في المساومة الانتخابية كما سنرى ، وصى ترومان يبحث عن حلّ للناحية الانسانية من مشكلة اللاجئين اليهود الاوربيين ^(١) ، وذلك حين فصل مشكلتهم - جزئياً على الأقل - عن القضية

Truman, op. cit., II, p. 101

(١)

الفلسطينية ، وعبر عن أمه في أن تسمح بلاد مختلفة بدخول كثير منهم الى أراضيها .
وحين عزم ترومان على ادخال عدد معين من المشردين الاوربيين الى الولايات المتحدة ،
لم تصادف خطته في الحصول على صلاحية ادخالهم من الكونغرس ، أي تأييد من الصهاينة ،
تماماً كما جرى في عهد سلفه روزفلت (١) .

ومها يكن من أمر ، فإن جمود الموقف الامريكى من مشروع موريسون - غريدي ،

(١) منذ كانون الاول ١٩٤٥ أصدر ترومان تعليمات صريحة الى وزارتي الخارجية والمحربية
وبعض السلطات الفدرالية الأخرى لتقديم كل التسهيلات الممكنة على وجه السرعة لهجرة الأشخاص
المشردين الاوربيين الى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا . والكونغرس الذي غالباً ما كان يخضع
لضغط الفئات اليهودية ، لم ينفذ طلب الرئيس بخصوص تطبيق الكوتا غير المستعملة على المشردين
الاوربيين (وكانوا خليطاً من سكان النمسا وبولندا وهنغاريا ورومانيا ، منهم حوالي نصف مليون
كاثوليكى ومائة الف بروتستانتى وحوالي ٢٠٠ الف يهودى ، بحسب تقديرات اللجنة الانكوارى امريكىة -
Lilienthal, p. 28) . وفي مؤتمر الحزب الجمهورى الثانى الذى انعقد عام ١٩٤٧ تقدم عضو
الكونغرس وليم ستراتون Straton بمشروع قانون لقبول الاوربيين المشردين « بعدد يساوى جزءاً
من مجموع أعداد الكوتا غير المستعملة خلال سنوات الحرب » ، بحيث يمكن لاربعمائة الف مشرد من
مختلف الأديان الدخول الى الولايات المتحدة . وكلفت لجنة خاصة بالاستماع الى الآراء وتسجيل الشهادات
بخصوص هذا التشريع (H R 2910) ، ودام عملها ١١ يوماً واستغرق تقريرها ٦٩٣ صفحة منها
١١ فقط لآراء المنظمات اليهودية ومطالبها ، « وقد ظهروا في الحقيقة غير مهتمين كلية » . بينما في
عام ١٩٤٤ حين كانت لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس تنظر في مشروع رايت وكومبتون الذى
دعا الى اقامة كومنولث يهودى - كما رأينا - ندر أن تخلت منظمة صهيونية عن أداء شهادتها والادلاء
برأيها المؤيد جداً للمشروع . وقد ملأ دعم المشروع ٥٠٠ صفحة خلال اربعة ايام ، معظمها للصهاينة
وأنصارهم . أما بالنسبة لمشروع ستراتون الذى كان يمكن ان يفتح ابواب الولايات المتحدة أمام ٤٠٠
الف من المشردين الاوربيين بما فيهم اليهود ، فقد تجاهلت الفئات الضاغطة الصهيونية دعمه ، في حين
كانت المنظمات الصهيونية آنذاك تقوم بجمع الأموال والتاس المعونات « للتخفيف عن الآلام الانسانية »
لهؤلاء المشردين .

وقد كان موضع أمل بريطانيا ، قد أُلجأها الى محاولة سلوك الطريق الدبلوماسي ككرة أخرى فدعت العرب واليهود الى مؤتمر لندن كما سبق وأشرنا ، لمحاولة إيجاد حل يرضي وجهة نظر كل منهما . وافقت سبعة من الدول العربية على حضور هذا المؤتمر ، بشرط ان يكون العرب أحراراً في مناقشة مشروعهم الخاص ، وان تكون فلسطين دولة عربية مستقلة ، وان لا يشترك الصهاينة والامريكان في المحادثات (١) .

وكانت الدول العربية يحدوها الأمل بأن بريطانيا في هذه الفترة وصلت في علاقاتها مع الصهاينة وأنصارهم الامريكيين الى درجة من الاستياء الواضح الذي لم تستطع إخفاؤه ، وخاصة بعد إصدارها الكتاب الابيض في ٢٤ تموز عن فعال الارهاب الصهيوني تفصيلاً مع ضلوع الوكالة اليهودية تماماً فيه ، وقد تطلعت الدول العربية بكثير من الترقب الايجابي الى المؤتمر القادم لعل بريطانيا تنصف وجهة نظرم ، وتنصر جانب العدالة والحق . ونجاني الحقيقة اذا قلنا ان الدول العربية قد أعدت للأمر عدته على أحسن وجه ؛ إن تقصيرها يبدو مجلأ حين نراها لا تستغل هذه الآونة بالذات للتوصل الى حل مرض مع الحكومة البريطانية ، ومن المؤسف أن دول الجامعة العربية لم تكن بعيدة النظر فتعدّ نفسها بالتسلح والدعم السياسي لمرکزها والتوحيد لعملها والتنظيم لصفها ، وتعدّ نفسها لمواجهة الضغط الامريكي عن طريق شرح عواقبه للمسؤولين في واشنطن شرحاً منطقياً لا يكتفي بمجرد الاحتجاج والتلويح بوجهة نظر جامدة ، وانما ينتقل من أسلوب المطالبة بالحق عن طريق المذكرات والاحتجاج ، إلى الضغط المضاد المهذب للمصالح الامريكية المتعاضمة الأهمية في البلدان العربية ، دون إغفال الحصول على السلاح والعتاد تحمراً من قيام حرب .

أما الصهاينة فكان كبار زعمائهم في الولايات المتحدة يضغطون بكل الوسائل على

ترومان ليستخدم المقدرة الأمريكية وقواتها المسلحة بقصد تحقيق أماني اليهود في فلسطين^(١). وأفلحت مساعي الصهاينة في ١٤ آب حين قدم ترومان الى الحكومة البريطانية المشروع الذي أقره الصهاينة في باريس، والذي ينص على اعطاء اليهود منطقة الدولة اليهودية تقريباً التي أوصت بها لجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧ مضافاً اليها النقب، وقد عقب ترومان على المشروع بأنه يستحق نظرة جدية^(٢).

ولجأت الصهيونية الى الضغط على الحكومة البريطانية عن طريق تصعيد حركة الهجرة غير المشروعة الى فلسطين وتصعيد فعال الارهاب وما الى ذلك. فالمهاجرون غير الشرعيين كانوا يُطرحون من الكوتا الشهرية (١٥٠٠)، وبعد أن يوقفوا عدة أسابيع يطلق سراحهم عموماً. ولكن تفاقمت الهجرة في شهر تموز حين وصلت ثلاث سفن تحمل أكثر من ٤٠٠٠ يهودي، فاحتجزها الاسطول البريطاني في حيفا، ولجأت السلطات الى تشديد الحصار على فلسطين فزيدت دوريات البحر والجو، وطُلب من الحكومات الاوربية أن تحول دون مرور اليهود من أراضيها اذا لم يحملوا أوراقاً رسمية. وفي ١٢ آب وصلت سفينتان تحملان ١٢٩٣ يهوديا الى مياه فلسطين، وقيل أن آلافاً غيرهم في طريقهم الى فلسطين، فأعلنت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه في بيان رسمي «ان استمرار الهجرة غير المشروعة في حجبها الحالي يرجح ان يكون له مفعول معاكس لأمل التوصل الى تسوية عامة في فلسطين، وان الحكومة البريطانية قد أحاطت سلطات فلسطين بأنه يجب التوقف عن ادخال المهاجرين غير الشرعيين، وان هؤلاء سوف ينقلون الى قبرص أو أي مكان آخر، حيث سيمكثون هناك في معسكرات حتى يتخذ قرار بشأن مستقبلهم»^(٣).

Truman, op. cit., II, p. 153

(١)

Suppl. Mem. op. cit., p. 16

(٢)

ibid

(٣)

وصرح البيان المذكور بأن دولة الانتداب لا يمكن ان تتسامح مع محاولة أقلية من المتطرفين الصهاينة استغلال آلام الشعب المنكود بقصد خلق حالة تفتت على التسوية العادية لمسألة فلسطين^(١) وعلى ذلك جرى نقل ركاب السفينتين الى قبرص ، وقد أثارت هذه التدابير لدى الصهاينة عاصفة من المظاهرات والشتائم . ولكن الصهاينة قاموا بمظاهرة في حيفا يوم الترحيل وخرقوا منع التجول في محاولة للوصول الى الميناء ، فاضطرت السلطات لاطلاق النار وأصيب ٩ من اليهود منهم ٣ إصاباتهم خطيرة .

وفي بحر اسبوعين اثنين قام الصهاينة بمحاولة لتدمير السفن التي كانت تستخدم في نقل المهاجرين الى قبرص ، وأصابوهما باضرار^(٢) فضلاً عن ذلك عقد المجلس الملي اليهودي (الفعاد لثومي) اجتماعاً يوم ٩ ايلول حضره رؤساء المجالس اليهودية المحلية والطائفية ، وأقر فيه قراراتين كخطوة أولى في نضاله ضد حملة القمع التي تشنها الحكومة على (اليسوف) :

١ ينقطع الاعضاء اليهود الذين يمثلون (اليسوف) في لجان الحكومة عن المشاركة في أعمال هذه اللجان .

٢ - يأخذ الفعاد لثومي على عاتقه مع البلديات اليهودية والمجالس المحلية والطائفية تدبير مبلغ ١٠٠ ألف جنيه فلسطيني لزيادة الهجرة الى فلسطين ، دون مراعاة لقيود الكتاب الايض غير المشروع الذي من شأنه القضاء على حركة الوطن القومي بالركود^(٣) . وجدير

Hurewitz, p. 260

(١)

Suppl. Mem. p 17

(٢)

(٣) ibid p. 18 ادعاء الصهاينة بأن الوطن القومي سينتلى بالركود ، مالم تجر حركة الهجرة اليه بنسبة كبيرة ، قد أيد بخاوف العرب التي طالما أشاروا اليها بحق ، وهي أن مشكلة فلسطين سواء حلت بهذه الخطه (الفدرالية) أو بموجب واحدة من خطط التنقيص ، فقد بيت الصهاينة النية على حشد =

بالملاحظة أن الصهاينة حتى تلك اللحظة كانوا يزعمون أن رحيل اليهود من أوروبا كان مجرد حركة ذاتية غير مدبرة .

مؤتمر لندن - الدورة الاولى :

انعقد مؤتمر فلسطين في لندن (١٠ ايلول) بحضور مندوبي الدول العربية والأمانة العامة للجامعة والحكومة البريطانية ، وغياب عرب فلسطين ، ودام المؤتمر في دورته الاولى حتى الثاني من تشرين الاول . وعرضت الحكومة البريطانية في مطلعها على العرب مشروع النظام الاتحادي المسمى مشروع موريسون ، ولكن الدول العربية رفضته وتقدمت وفودها بمشروع بديل . وفيما يلي شيء مما جرى ، نثبه لا لأهميته في الكشف عن التضليل الصهيوني والتحيز البريطاني الذي ساندته ، وإنما أيضاً للدلالة على أن فهم الدول العربية للخطر الصهيوني الاستعماري آنذاك كان فهماً سليماً وعميقاً ، وقد اثبتت الاحداث التالية صحة توقعاته ، ولكن ما احتاجه العرب آنذاك هو العمل المنظم الموحد الذي لا يرى له هدفاً إلا استنقاذ فلسطين وافتداؤها .

افتتح أتلي رئيس الوزارة البريطانية المؤتمر بخطاب أكد فيه ان حكومته لم تتخذ أي قرار بشأن مشروع موريسون قبل مناقشته مع أعضاء المؤتمر ، وأعلن أن لكل وفد الحرية لاقتراح أية تعديلات يريتها أو لعرض أية مشروعات أخرى للوصول الى تسوية بطرق مختلفة . وردّ فارس الحوري رئيس وفد سورية على كلمة أتلي باسم الوفود العربية ، فأسف لتغيب وفد عرب فلسطين عن حضور المؤتمر ، وقال ان العالم العربي كله

= رقعتهم بالمهاجرين ، على أن يقوم هؤلاء فجأة - وعندما تسنح الفرصة المناسبة - بغزو الرقعة العربية . أما ما كان من شأن النقل الى قبرص ، فان عدد اليهود الذين أنزلوا في معسكراتها بلغت جلته في نهاية أيار ١٩٤٧ نحو خمسة عشر الف مهاجر ، وهي جثة الكوتا المقررة لعشرة شهور .

يقف بجانبهم ، وأشار إلى مغبة التسليح الصهيوني والارهاب الشنيع الذي تقوم به العصابات الصهيونية إذا لم تنهض الدولة المنتدبة بواجبها في حزم وسرعة^(١) . وتحدث عبد الرزاق السنهوري عن مصر فقال ان اقتطاع منطقة القدس والنقب من الأراضي العربية أمر غير مفهوم ، وان المنطقة اليهودية التي ستبدأ الهجرة إليها بمائة ألف ، وتباع الأراضي فيها لليهود دون قيد ولا شرط ، سينتهي الى تقسيم فلسطين لا إلى دولة اتحادية ، لأن اليهود أعلنوا عن هدفهم صراحة في إقامة دولة مستقلة يهودية في فلسطين وفقاً لبرنامج بلمتور وقد رفضوا حضور المؤتمر لأنهم طالبوا ان يكون أساس البحث إقامة هذه الدولة حتى إذا ازدحت المنطقة اليهودية (بموجب مشروع موريسون) بالسكان ، فانهم يشكون بعد ذلك أن منطقتهم تضيق بسكانها ، وانهم في حاجة الى توسيعها . ومن هنا يبدأون في الوثوب على المنطقة العربية المجاورة ، وربما على البلاد العربية المجاورة . وقال السنهوري ان هذا يعني أن العرب قبلوا تقسيم فلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة ، وبذلك يحققون البرنامج الصهيوني ثم أن مثل هذه الدولة ستهدد البلاد العربية المجاورة ، وتكون بمثابة قاعدة تمكن اليهود من اجتياح العالم العربي في الشرق وقال ان تصريح بلفور وحك الانتداب على السواء لا يشير ان إلا الى سياسة معينة ، ولا يقران حقاً شرعياً^(٢) .

وتحدث فاضل الجمالي عن العراق فعبر عن اهتمام بلاده العميق بشكلة فلسطين التي تعتبر إحدى المسائل الداخلية في العراق ، فضلاً عن دلالتها الوطنية والدولية ، ولأن سلامة العراق واستقراره يتأثران مباشرة بمحوادثها . وقال ان الصهيونية حركة عدوانية تشمل فكرتها على العنصرية والدين والقومية ، وهي تلتقي مع النازية في فكرة (الشعب المختار)

(١) انظر الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين - المصدر السابق ص ٣٩٨ - ٣٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ٤٠٩ ، ٤١٢

وان الصهاينة ليسوا من الغباء بحيث ينفقون الملايين من الجنيهات من أجل بلاد فاحلة ضعيفة؛ لقد وفدوا للسيطرة على العالم العربي بأسره ، اقتصاديا على الاقل . وسأل الجألي ييفن ما إذا كان يرحب بخمسة ألاف نازي يجلبون الى انكلترة بقصد تشييد أركان وطن نازي قومي، وأعلن عن معارضة العراق لمشروع موريسون لأنه سيؤدي الى التقسيم . « والعرب لن يوافقوا أبداً على التقسيم لأنهم هم الأم الحقيقية للطفل ، إذا نحن تذكرنا قصة المرأتين اللتين احتكمتا إلى سليمان الحكيم » (١) .

ونحدث كميل شمعون عن لبنان فلاحظ بأسف أن الحكومة البريطانية لم تنفذ من كتابها الايض إلا مايساعد منه على الهجرة اليهودية ، واهملت الالتزامات التي اخذتها على نفسها نحو السكان العرب ، وان الحديث عن مقدرة فلسطين الاستيعابية محض وهم يستخدمه الصهاينة لتبرير الهجرة الواسعة فيحققون غرضهم الحقيقي السياسي ، وهو تحويل فلسطين الى دولة يهودية . وقال مندوب لبنان ان الموافقة على المقترحات البريطانية ستؤدي حتماً الى أغلبية صهيونية تسيطر على فلسطين ، وان المشروع الذي يضعه الزعماء الصهاينة « يحتم لتنفيذه السيطرة المطلقة على كل وادي الاردن ، ومنابع نهر الأردن ، وهذه المنابع توجد في أراضي سورية ولبنان ، ولذا نجد أن في المشروعات الصهيونية تهديداً قوياً للبلاد المجاورة » . وعلق شمعون على مقاله ييفن في خطابه بالمؤتمر : « اني لا أرى أنه من الحير اقتراح أية تسوية لايرضى عنها اليهود ، فإن هذا كفيل بأن يقضي عليها » ، فقال إذا كان هذا الحال ، فليس من الممكن وضع حل للمسألة الفلسطينية قبل أن يحظى برضاء الأقلية اليهودية ، وبهذا يتوقف مستقبل هذه البلاد ووحدها على رغبات هذه الأقلية (٢) .

(١) المصدر نفسه ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢٥ ، ٤٢٧

وتحدث سمير الرفاعي عن شرق الاردن ، فأشار الى الطابع المزدوج لتصريح بلفور ، وقال ان النظر الى قضية فلسطين من خلال عامل الاضطهاد ، يتفق مع القضية المعزومة الى (قرقوش) ؛ فلنكي ننتقم لليهود ونرضيهم ونحقق لهم العدالة من مضطهدهم ، يجب على فلسطين أن تفقد عيناً (من عينها) ، كما يجب على العرب الأبرياء أن يتحملوا العقاب^(١).

وتحدث عادل ارسلان عن سورية فقال لم يُطلب الى أمة في الأرض غير الامة العربية بأن تضحي بمقوقها وشرفها وأرواح أبنائها في سبيل شعب مبغوض من أغلب من عاش بينهم في جميع أنحاء العالم . وقال : ه لقد حمى العرب اليهود في الماضي ، وبريطانيا تحميمهم الآن ، ولكن لن تتمكن نحن ولا أتم من الحصول على دليل بالاعتراف بالجليل من هؤلاء اليهود . أليس من المستغرب أن هؤلاء الناس الذين قيل لنا عنهم انهم تعرضوا لاضطهادات فظيعة في رومانيا والمانيا وبولندا لم يستعملوا أسلحتهم وقنابلهم ضد مضطهدهم ، وأنهم استعملوها ضد من يحميمهم ؟ فاذا كان هذا سلوكهم مع وجود قوات بريطانية كبيرة ،

(١) روى الرفاعي أن الحاكم قرقوش كان طاغية في ظاه الزمان ، له منطق خاص ، وبفهم العدالة على صورة ممعنة في الغرابة ، ولكنه يرى تصرفاته الشاذة سليمة صحيحة ما دامت تنسق مع عقليته وأغراضه . وحدث يوماً أن شكى اليه رجل من فقدان عينه اليسرى في عراك مع رجل آخر ، وطلب الشاكي تحقيق العدالة بحق المعتدي . وحين مثل هذا أمام قرقوش اعترف بذنبه الذي جرى عن غير قصد منه ، ثم طلب الصنح والمغفرة . وأصدر قرقوش حكمه على قاعدة (العين بالعين والسن بالسن) ، غير أن المتهم ناشد قرقوش ان يتيح له فرصة للدفاع عن نفسه ، وحينذاك اعلن المتهم انه يتعرف صنعة النسيج وأنه في حاجة ماسة الى بصر عينيه الاثنتين ، ولكنه قال ان جاراً له يعمل صياداً ، يقفل عينه اليسرى دائماً حين يسدد نحو الهدف ، وهذا الصياد لا ينتاج في عمله الى بصر عينه اليسرى ، فالعدالة تتحقق لو نفذ الحكم في جاره الصياد البريء ، لا فيه ، وهو النساج المذنب . ورأى قرقوش بمنطقه أنها فكرة عادلة ، فأمر بقلع عين الصياد اليسرى ، وهكذا حسمت القضية ! المصدر نفسه ص ٣٢ ؛

فكيف يعيشون في سلام مع جيرانهم إذا تولوا زمام الحكم أو أعطيت لهم السلطة في إقليم من الأقاليم^(١) ، ؟

وقال المندوب السوري إن فلسطين أو سورية الجنوبية أقرب الى سورية من بليجكا الى المملكة المتحدة ، وكما أن بريطانيا قد خاضت غمار حربين عالميتين لأنها اعتبرت احتلال بليجكا وهولندا وفرنسا من دولة معادية كتهديد لكيانها القومي ، كذلك تشعر سورية نحو وجود الأجانب المنتشرين في سورية الجنوبية . وانتقد التمييز الذي تمارسه بريطانيا في المعاملة بين اليهود والعرب في فلسطين ، فقارن بين العسف بالعرب ما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وشنق ١٨٥ عربياً لمجرد حملهم سلاحاً أو ذخيرة ، وبين تعاملها باللطف والاعتبار مع المجرمين الصهاينة الذين يزهقون أرواح الأبرياء ويقطعون المواصلات ويقتلون كبار الضباط ... واستغرب عجز البحرية البريطانية التي سادت البحار عن منع بضعة سفن من جلب مهاجرين غير شرعيين الى فلسطين ، والاسلوب الاعتذاري الذي يلجأ اليه الساسة البريطانيون في محاولاتهم جمع الاسلحة غير المشروعة من اليهود ، وقد استنكر كذلك عجز جهاز الرادار البريطاني عن تعيين موضع الاذاعة اليهودية السرية رغم صغر حجمها .

وأشار ارسلان الى نقطة وردت في خطاب بيغن في مطلع المؤتمر حين قال : « إن اليهود في الواقع هم الآن في فلسطين ، وان وجودهم لا يمكن إنكاره » ، وعلق ارسلان على ذلك بقوله « اذا خطونا بهذه النظرية خطوة اخرى . وقلنا ان أي شخص يدخل بلداً لا تخصه يكتب حق البقاء فيه^(٢) ، وجب اذن أن يبقى نصف اوربا اليوم مع روسيا . »

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٢

(٢) وردت في النص (فيها) ، وصوابها فيه ، وربما الخطأ عن ترجمة الخطاب الى العربية .

المصدر السابق ص ٤٤٣ .

وتحدث الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود عن السعودية ، فأيد مقاله مندوبو الدول العربية في الموضوع ، وقال ان اليهود اتخذوا الديانة ستماً للوصول إلى أغراضهم السياسية . وذكر انه يوجد في جميع انحاء العالم يهود ومسلمون ومسيحيون ، ولكن يحتفظ اتباع كل من هذه الديانات بجنسية البلد التي يعيش فيه ؛ « أما في فلسطين فقد أدت السياسة الصهيونية الى وجود خليط عظيم من الشعوب . . لدرجة نحول دون استحقاقهم لقب (أمة) ، وان اغلبية هؤلاء شريرة منكبة على أعمال التدمير والتخريب ، فهم لذلك خطر داهم يهدد ليس فلسطين فحسب ، بل جميع بلدان الشرق الأوسط »^(١) .

وتحدث الأمير عبد الله عن اليمن ، فقال : ان ما يهدف اليه الصهاينة هو انشاء غالبية يهودية داخل المنطقة اليهودية يزيد فيها اليهود على العرب عن طريق مواصلة الهجرة ، وحينذاك لن يترددوا في المطالبة بإنشاء دولة يهودية تشمل فلسطين كلها ، فإذا عارض العرب ، الذين سيصبحون آنذاك أقلية ، أجبروا بأن مصير البلاد إنما تقرره الأغلبية لا الأقلية . هذا بينا الآن حيناً يطالب اليهود بتقرير مصير فلسطين بأنفسهم ، لانزام يجابون قط بأنهم أقلية ، ويجب أن يتكروا هذا الأمر لأغلبية الشعب»^(٢) .

وتحدث عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية فقال إن اعتراضات العرب على المشروع هي اعتراضات مبنية على أسس عملية مما يثبت ان المشروع لم يكن وليد الرغبة في الاصلاح الاداري ، بل هو مصدر خطر على ذلك البلد الصغير . لذلك يعترض العرب عليه ويرفضونه بالاجماع^(٣) . وأخيراً ألقى فارس الحوري رئيس وفد سورية كلمة نوه فيها

(١) المصدر نفسه ص ٤٤٤

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤٦

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥٠

بتغيب عرب فلسطين عن حضور المؤتمر ، وقال انه لا يرغب في تعداد أسبابه ، ولكن تفرقة الحكومة المنتدبة في المعاملة بين اليهود والعرب في فلسطين مسألة تستوجب العناية ، إذ أن كثيرين من العرب لا يزالون في السجون لأشياء حدثت في سنة ١٩٣٦ ، وبعض هؤلاء لم يقدم للمحاكمة ، بينما معاملة اليهود اتصفت بكثير من التسامح والتساهل . وتساءل الحوري ، لماذا يبقى العرب في السجون لجرائم صغيرة مثل حوز الأسلحة ؟ وقال المندوب السوري : ان بعض المسؤولين يدعون أن تصريح بلفور وعد شرف يجب مُحقق ، وقد يكون هذا حقاً لو أن فلسطين كانت ملكاً خاصاً للورد بلفور ، أو أرضاً خالية تملكها الحكومة . ولكن ليست هذه هي الحالة ؛ ان فلسطين تزدهم بشعب أمة عظيمة تشغل منطقة على غابة من الأهمية في العالم ولها تاريخ رائع ؛ ان مثل هذه الوعود التي تهب املاك الغير لا قيمة لها .

وكان رئيس الوفد السوري معبراً وصريحاً حين ذكر اعضاء المؤتمر بعبارة الحروب الصليبية بقوله : « ان ذكريات الحملات الأليمة التي شنها الصليبيون ، لا تزال ماثلة حية في الأذهان . ولقد ظل نقاد العصور التالية يحملون عليها بعنف وما يدعو الى أشد الأسف ان يُشرع من جديد في حملة صليبية يهودية في القرن العشرين ، تداس فيها كل المبادئ الانسانية هذا ، رغم وجود هيئة الأمم المتحدة . وستكون كارثة أعظم اذا قامت الدول العظمى التي يُعتقد أنها الدعامات الكبرى للديموقراطية وحقوق الانسان ، بمنصرة هذه الحملة الصليبية الجديدة (١) » .

رفضت الوفود العربية مشروع موبسون ، فطلب الجانب البريطاني مشروعاً عربياً بديلاً ، وفي ١٩ ايلول قدمت الوفود العربية مقترحاتها ضمن مشروع لحل مشكلة فلسطين ، وفيها يلي أهم نقاط المشروع العربي (٢) :

(١) المصدر نفسه ص ٥٤

(٢) انظر نصه الكامل في الوثائق الرئيسية : المصدر السابق ص ٥٦ ٥٨

- ١ - تكون فلسطين دولة موحدة ذات دستور ديموقراطي ومجلس نيابي منتخب .
- ٢ - ينص الدستور على ضمانات لقداسة الأماكن المقدسة تناول حرمتها والحفاظة عليها وحرية زيارتها وحرية العبادة طبقاً للحالة الراهنة .
- ٣ - يتمتع بكافة حقوق المواطن كل شخص اكتسب الجنسية الفلسطينية عن طريق التجنس قبل أيار ١٩٣٩ وأقام في فلسطين إقامة دائمة لمدة عشر سنوات ، وأي شخص يحصل في المستقبل على الجنسية الفلسطينية بحكم ذلك .
- ٤ - يضمن الدستور حق الهيئات الدينية وغيرها من الجمعيات أو الأفراد في ان يكون لهم مدارس خاصة وجامعات ، بشرط تعليم اللغة العربية في هذه المدارس بصفة اجبارية ، وخضوعها لرقابة الحكم لحفظ مستوى التعليم ، ومنع التعاليم المثيرة ، وذلك بقصد ايجاد ولاء مشترك . ويضمن أيضاً حق اليهود في استعمال اللغة العبرية كلغة رسمية ثانية في الاقسام التي لهم الغالبية المطلقة .
- ٥ - لا يزيد عدد ممثلي اليهود في المجلس النيابي بأي حال من الاحوال عن ثلث أعضاء المجلس ، وتجدر المحافظة على نسبة التمثيل في المجلس النيابي عند تكوين السلطات التنفيذية أو الادارية .
- ٦ - ما لم ، والى أن يصدر تشريع ينص على خلاف ذلك ، تحرم الهجرة اليهودية الى فلسطين بتاتا ، وتبقى القيود المفروضة في الوقت الحاضر على نقل الأراضي دون تغيير ، وينص في الدستور على ان كل تغيير في هاتين المسألتين يقتضي اصدار قانون يتطلب موافقة العرب في فلسطين بأغلبية تمثيلهم في المجلس النيابي .
- ٧ - يصدر بالضمانات الخاصة بالاماكن المقدسة نصريح للجمعية العمومية للأمم المتحدة من دولة فلسطين المستقلة ، تعهد فيه بعدم تغيير هذه الضمانات بغير موافقة الجمعية المذكورة .

٨ - يقوم المندوب السامي بعد استشارة زعماء فلسطين بتعيين حكومة مؤقتة مؤلفة من ٧ وزراء عرب وثلاثة من اليهود ذوي الجنسية الفلسطينية ، وتتحول السلطات التشريعية والتنفيذية التي تمارسها الادارة الفلسطينية الحالية الى الحكومة المؤقتة بمجرد تعيينها ، ويكون للمندوب السامي حق الاعتراض (الفيتو) على قرارات هذه الحكومة أثناء فترة الانتقال .

٩ - تقوم الحكومة المؤقتة بتحضير الجداول لاجراء انتخابات عامة على درجة واحدة للذكور البالغين ، ثم تجري الانتخابات لجمعية تأسيسية وفقاً لقانون الانتخاب الذي يصدره الحكومة . وتؤلف الجمعية التأسيسية من ٦٠ عضواً يمثلون جميع فئات المواطنين بنسبة تعدادها .

١٠ - تعدّ الحكومة المؤقتة مشروع دستور لفلسطين تعرضه على الجمعية التأسيسية ، وفي حال عدم وصول الجمعية الى قرار بشأنه خلال ستة شهور ، تعيد الحكومة النظر فيه على ضوء مداوات الجمعية ، وتعده اذا اقتضى الأمر ثم تصدره وتلتزم الحكومة عند اعداد مشروع الدستور أو إصداره ، وكذلك الجمعية التأسيسية عند مناقشته والتصويت عليه ، بالارشادات التي يقدمها المندوب السامي .

١١ - بعد أن يصدر الدستور ، تتخذ الحكومة المؤقتة التدابير اللازمة لاجراء اول انتخابات برلمانية ، ويعين بعد ذلك أول رئيس للدولة الفلسطينية المستقلة بحسب ما ينص عليه الدستور ، وحينئذ يتمتع الرئيس بالسلطات المخولة له ، وتتهي الدولة المنتدبة للانتداب وتعترف باستقلال فلسطين ، وتتعقد معاهدة تحالف لتحديد العلاقات المستقبلية بين بريطانيا وحكومة فلسطين المستقلة . ويجب أن لا يتأخر تسليم رئيس الدولة الفلسطينية لمقاييد منصبه عن ٣١ كانون الأول ١٩٤٨ .

وبعد يومين من وضع المشروع العربي على جدول أعمال المؤتمر ، طلب الجانب البريطاني

فسحة من الوقت لدراسة المشروع ، واقترح تعليق جلسات المؤتمر من ٢ تشرين الاول الى ١٦ كانون الأول ، ثم تأجل المؤتمر مرة أخرى حتى ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧ . وقد جرى التأجيل بسبب انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٣ تشرين الاول بنيويورك ، واضطرار المندوبين العرب لحضورها ، وبسبب الانتخابات الامريكية . وثمة فائدتان تكتسبهما أيضاً كان لها تأثير على حكومة العمال :

اولهما أن الجمعية العامة تكون وقت استئناف المؤتمر قد أنهت دورتها ، فالتأجيل جعل من غير المحتمل أن يثير العرب مسألة فلسطين إبان الدورة . وثانيها ان الانتخابات الامريكية تكون قد انتهت ، بحيث تصبح حكومة الولايات المتحدة اكثر استعداداً لأن تلعب دوراً فعالاً بعد الانتهاء منها .

وفي هذه الأثناء كانت الحكومة البريطانية تجري مفاوضات ماثلة مع الوكالة اليهودية رغبة في إعادة جيل الاتصال المقطوع بينها . ذلك أنه في مطلع تشرين الأول تبادل وزيراً الخارجية والمستعمرات وجهات النظر مع وايزمن وزملائه من أعضاء الوكالة اليهودية ، وقدم بيغن خلالها فكرة تحكيم بوجها فلسطين على أساس الوصاية لفترة تتراوح بين ثلاث أو خمس أو عشر سنوات ، كاستهلال لنجها الحكم الذاتي . وكانت الحكومة البريطانية مشوقة بقدر الوكالة اليهودية لتجاوز الهوة ورأب الصدع بينها . وتديلاً على حسن نوايا حكومة لندن تجاه الصهاينة ومؤيديهم الامريكين أجرى أنلي تعديلاً وزارياً عين بوجبه المستر ارثر كريتش جونز وزيراً للمستعمرات بعد ترفيعه من منصبه السابق كوكيل للوزارة نفسها ، وذلك خلفاً للمستر هول . وكان جونز اكثر زعماء حزب العمال تأييداً للصهيونية وميوله واضحة صرح بها علناً في خطبه بلندن ونيويورك عام ١٩٤٥^(١) .

Kirk, Survey for 1945-50 op. cit., p. 229 footnote

(١)

وقد تم التعيين يوم ٤ تشرين الأول ، وهو ذلك اليوم نفسه الذي أصدر فيه الرئيس ترومان تصريحه المؤيد للصهيونية ، فقوي الموقف الصهيوني آنذاك بصورة هددت بسحب البساط من تحت أرجل المفاوضين البريطانيين (١) .

استعرض ترومان في البيان جهود حكومته منذ أن قدم هاريسون تقريره بهجرة المائة ألف يهودي الى فلسطين ، إلى دعوة بريطانيا للحكومة واشتطن كي تتعاون معها في تكوين لجنة التحقيق ، وأخيراً ارسال ترومان المندوبين الخبراء الى لندن . وقال إن المعارضة لمشروع موريسون ظهرت بين أعضاء الأحزاب السياسية الرئيسية في الولايات المتحدة . ولذا لم يمنح ترومان نأيده للمشروع . ثم قال ان جميع الفرقاء المدعويين الى مؤتمر لندن لم يجدوا أنفسهم قادرين على حضوره ، وفي هذه الاثناء اقترحت الوكالة اليهودية حلاً للقضية الفلسطينية عن طريق انشاء دولة يهودية قابلة للحياة ، تتولى هي الاشراف على هجرتها وسياساتها الاقتصادية في منطقة كافية في فلسطين ، بدلاً من أن تكون في جميع فلسطين ، كما اقترحت أيضاً اصدار الشهادات لمائة الف مهاجر يهودي حالاً . ولقد حظي هذا الاقتراح باهتمام واسع المدى في لولايات المتحدة ، سواء في الصحافة أو في المجتمعات العامة . ومن نتيجة المناقشات التي تلت هذا الاقتراح ، فإني أعتقد أن حلاً على ضوء هذه الخطوط ، سيحظى بمعاوضة الرأي العام في الولايات المتحدة . واني لأعتقد بأن الثغرة بين المقترحات التي قدمت هي عظيمة جداً لدرجة لا يمكن سدّها على يد رجال يتمتعون بالحكمة والنية الحسنة . وان حكومتنا على استعداد لتقديم دعمها لحل من هذا القبيل ، .

وألح ترومان على أن « هجرة أساسية إلى فلسطين لا يمكنها ان تنتظر إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وانها يجب أن تبدأ حالاً . وان التدابير لهذه الحركة قد تم اتخاذها من قبل

ibid., pp. 229-230

(١)

هذه الحكومة التي هي على استعداد لمديد المساعدة حالاً^(١) . ومن ناحية أخرى أبدى ترومان استعداداً لتوصية الكونغرس بتحرير قوانين الهجرة الأمريكية ، وبم شروع للمساعدة الاقتصادية من أجل تقدم فلسطين .

ما الذي جعل ترومان ينتقل من موقف عدم الالتزام والجمود والتردد الى موقف التأييد والالتزام والتورط في دعم الصهيونية ؟ كانت سنة ١٩٤٦ سنة انتخابات الكونغرس في الولايات المتحدة ، فاستغل الصهاينة هذا الظرف لمضي بقضيتهم الى مدى أبعد . وقد حدث أثناء الحملة الانتخابية أن تنافس مرشحا الحزب الديمقراطي جيمس ميد وهيربرت ليهمان Mead & Lehman ضد كل من ايرفنج أيفس وتوماس ديوي Ives & Dewey من الجمهوريين على مناصبي عضوية مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك وحاكمها ، وأوعز الصهاينة الى مستشاري ترومان أن ينهوا الرئيس الى أن ديوي يهيء تصريحا خطيرا يستميل به الناخبين للأهداف الصهيونية ، وأنه خير للرئيس ان يسارع بالادلاء بتصريح يعلن فيه عن نوايا الديمقراطيين تجاه القضية الصهيونية ، وإلا أفسد عليه الجمهوريون جهوده ، وكان أن وقع ترومان في الفخ الصهيوني ، فأصدر تصريحا اختار له يوم مناسبة عيد يهودي زيادة في التملق والمالأة . وقد رفض ترومان مشروع موريسون رسمياً في هذا التصريح ، مع أن يفن سبق له أن توسل بأن لا يصدر بيان الرفض ، ولم يكتف ترومان برفض المشروع وإنما طلب ادخال المائة الف يهودي فوراً والتوصية بمشروع الوكالة اليهودية بإنشاء الدولة اليهودية . وكان هذا التصريح صدمة قوية للمستري يفن الذي أقسم أنه كان على وشك الوصول الى حل يرضي العرب واليهود ، وكاد ينجح في اقناعها بالتنازل عن بعض المطالب المتشددة ، فجاء تصريح الرئيس ترومان وأفسد كل أمل في التفاهم مع الصهاينة الذين أخذوا تصريحه على أنه

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المصدر السابق انظر نص البيان ص ٤٥٩ - ٤٦١ .
وانظر ايضاً p. 19 Suppl. Mem.,

تأييد تام لمطالبهم المتطرفة . وقد شرح بيغن فيما بعد (٢٥ شباط ١٩٤٦) أمام مجلس العموم موضوع محادثاته مع ممثلي الوكالة اليهودية ، التي نسفها بيان ترومان ، بقوله : « لقد توصلت الى مرحلة ، في الاجتماع مع اليهود على حدة ، إذ عرضت فكرة ترتيب موقت يؤدي في النهاية الى الحكم الذاتي . وقد بينت لهم انه لا يهمني إن امتدت الفترة على خمس أو عشر أو ثلاث سنين أو بالغاً ما بلغت . قلت لهم (اذا علمتم معاً لثلاث أو خمس أو عشر سنين فيحتمل جداً ان لا ترغبوا بعدها في الانفصال . دعونا نحاول حل الخلاف) . وفي تلك المرحلة ظهرت الاشياء تعد بأمل أكثر ، فقد وُجد لدي شعور – لا أظن أنني أبالغ في تقديره – بأنهم غادروني في وزارة الخارجية البريطانية ذلك اليوم وهم يرون أنني على الطريق الصحيح في النهاية . ولكن ماذا جرى ؟ عدت الى مؤتمر الصلح في باريس ، وفي اليوم التالي – أعتقد أنه كان يوم التكفير اليهودي ، أو يوماً خاصاً في الدين اليهودي كلعني صديقي النبيل رئيس الوزراء في منتصف الليل ، وأخبرني بأن رئيس الولايات المتحدة ماض في اصدار بيان آخر عن المائة الف . وفي صباح اليوم التالي ، قابلت المستر بيرنز وزير الخارجية وأخبرته عن المدى الذي وصلت اليه في اليوم السابق ، وكنت أعتقد أننا على الطريق ، فقط لو تمكنا لوحدنا . رجوت أن لا يصدر البيان ، ولكنني أخبرت أن المستر ترومان اذا لم يصدر البيان ، فان المستر ديوي سوف يصدر بياناً منافساً . وأنا لا أستطيع تسوية الأمور في الشؤون الدولية إذا جعلت قضيتي موضوعاً للانتخابات المحلية .. (١) »

وكتب جيمس ريبستون الصحفي المعروف في جريدة النيويورك تايمس (٧ تشرين الأول ١٩٤٦) حول الموضوع يقول : « ان عدداً من مستشاري الرئيس ترومان عارض

Sakran, op. cit., pp. 185-186 & Sacher, op. cit., p. 69, (١)

Hurewitz, op. cit., p. 275, Lilienthal, op. cit., p. 41

صدر مثل هذا البيان ، نظراً لتوقع التوصل الى هدنة بين بريطانيا والصهاينة .. ان بيان الرئيس ترومان بشأن فلسطين يدل بوضوح على مدى تأثير السياسة الداخلية على سياسة الولايات المتحدة الخارجية ... فلقد تصرف الرئيس ضد رأي مستشاريه في السياسة الخارجية ، واختار اتباع آراء أولئك المهتمين أولاً وآخرها بالمحافظة على الأكثرية للحزب الديمقراطي في الكونغرس الأمريكي^(١) .. ، واتضح بعد يومين من بيان ترومان أن الاعتبارات الحزبية الانتخابية هي التي كان لها الأثر الأكبر في صدور البيان ، وذلك عندما أعلن حاكم نيويورك ديوي بأنه « ليس مائة الف ، وإنما عدة مئات الألوف من اليهود ، يجب أن يسمح لهم بدخول فلسطين^(٢) . وقد كتب وزير الدفاع الأمريكي فورستار عن المؤامرة الصهيونية على ترومان ، فقال إن بيرنز وزير الخارجية أنهى إليه ان قرار الرئيس برفض مشروع موريسون ونقده البريطانيون على سياستهم الفلسطينية قد وضع بيفن وأتلي في أصعب وضع ، وان « دافيد . ك نايلز Niles المساعد الإداري للرئيس ، وسام روزنمان Rosenman كانا مسؤولين خاصة عن قرار الرئيس ، وان كليهما كان قد أخبر الرئيس بأن ديوي على وشك أن يخرج بيان يجذب وضع الصهيونية في فلسطين ، وانها قد ألحاً أنه مالم يستبق الرئيس هذه البادرة فإن ولاية نيويورك سوف يجرها الديمقراطيون^(٣) » .. وكذلك اشترك الشيخ تأفت في هذه المهزلة ، وأعلن تأييده للهجرة اليهودية المطلقة إلى فلسطين ، وهذه التصريحات كلها كانت جزءاً من الدعاية التي استغلها الحزبان الديمقراطي والجمهوري لكسب معركة الرئاسة^(٤) .

ويرى هيروتر الكاتب الصهيوني أن بيان ترومان في استعراضه القضية لم يتناول كل

New York Times, oct. 7 1946

(١)

Suppl. Mem. op. cit. p. 20

(٢)

Millis, op. cit., p. 348

(٣)

Lilienthal, op. cit., p. 45

(٤)

حقائقها وتجاهل تماماً الناحية العربية ، ولذا فيعتبر تدعيمه للبرنامج الصهيوني تدعيماً سياسياً أكثر مما هو بيان عن السياسة ^(١) . ولكن هناك ما يشير إلى أن ترومان ببيانه هذا ربط الولايات المتحدة بواجب تأييد التقسيم .

وبعد عشرة أيام تقريباً ظهر رد الفعل العربي على بيان ترومان ؛ ففي رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤرخة في ١٥ تشرين الأول ^(٢) ، بين الملك العربي حق العرب الطبيعي وقال : « .. ان اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية .. أضف الى ذلك أطعامهم التي بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن في بلادنا المقدسة . وقال ابن سعود إنه قد دُهِش للتصريح الذي نسب الى ترومان بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأيد هجرتهم اليها لأنه مخالف للتعهدات السابقة » ، واستطرد يقول : « ولقد زاد في دهشتي ان التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة في جدة من وزارة خارجيتنا ان ينشر في جريدة أم القرى باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس (آب) ١٩٤٦ ، وذلك البيان صريح في ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم مجلبها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية ، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث ، وأظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلعت على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني أشك بصحة نسبه لكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس (آب) من البيت الابيض » ..

Hurewitz, op. cit., p. 265

(١)

(٢) انظر نصها الكامل في « الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين » .. المصدر السابق ، ص

وجاء رد ترومان على شكل رسالة مؤرخة في ٢٨ تشرين الأول ، وكانت غابة في التماس والصفاقة . أشار ترومان إلى ماسماه بوضع اليهود المفتح ، والى أن الوطن القومي لم يكتمل تقدمه بعد ، ولذا فمن الطبيعي ان تشجع حكومة واشنطن دخول عدد هام من المشردين اليهود الى فلسطين ، « لا ليجدوا هناك ملجأ فحسب ، وانما ايضا ليمكنوا من المساهمة بواجبهم وفعاليتهم في سبيل تشييد الوطن القومي اليهودي » . وقال إنه لا يزال متمسكاً بأن السماح بدخول المائة الف يساهم بتخفيف نكبة اليهود . وبصدد ما تصوروه الملك من استخدام اليهود للعنف في مشاريع عدوانية ضد البلاد العربية المجاورة ، أكد ترومان معارضته للعدوان والارهاب في تحقيق الأغراض السياسية : « وبإمكانني أن اضيف أيضاً بأنني مقتنع بأن زعماء اليهود المسؤولين لا يفكرون بسياسة عدوانية ضد البلاد العربية الملاصقة لفلسطين » . وانكر ترومان أن يكون بيانه الصادر في ٤ تشرين الأول يناقض تصريحه الصادر في ١٦ آب ، وأشكل عليه فهم شعور الملك السعودي بأن بيان ٤ تشرين الأول يتضارب مع العهود السابقة أو التصريحات الصادرة عن حكومة واشنطن ، التي تؤكد عدم اتخاذ اجراء من شأنه ان يكون عدائياً للشعب العربي ، وتتعهد بعدم اتخاذ أي قرار يمس وضع فلسطين دون مشورة العرب واليهود . وقال ترومان مغالطاً ، إن إلحاحه على السماح بقبول عدد هام من اليهود المشردين في فلسطين أو تصريحاته بصدد حل قضية فلسطين « لا يعتبر بأي معنى عن عمل عدائي نحو الشعب العربي » !!^(١) .

وكان من دلائل استياء سورية والعراق رفضها بحث الاتفاقيات الجوية مع وزارة الخارجية الامريكية ، وحذرت شركة مد الانايب (التابلاين) أنها سوف تغير وجهة أنابيبها الى فلسطين^(٢) .

(١) انظر نص الرسالة الكامل بالأصل الانكليزي في « الوثائق الرئيسية » المصدر السابق ،

ص ٤٧٤ - ٤٧١ .

Hurewitz, op. cit , p. 265

(٢)

أما جامعة الدول العربية ، فقد انعقد مجلسها في دورته الخامسة (٣٠ تشرين الأول - ١٢ كانون الأول) للبحث في ما أدلى به ترومان ، وما كان له من أثر على اتساع موجة الارهاب الصهيوني وتفانم الهجرة غير الشرعية ؛ ونحدث البعض عن وجوب مواجهة الأمر على فلسطين قبل فوات الأوان ، وذلك عن طريق تنفيذ قرارات بلودان السرية نظراً لإمعان امريكا وبريطانيا في محاباة الصهاينة . ولكن الغالبية أرتأت انتظار نتائج مؤتمر لندن ، فـإذا فشل تنفيذ المقررات ، وبذلك لم يخرج المجلس عن أسلوبه السابق^(١) ، أسلوب (المذكرات) :

١ - الاحتجاج على بريطانيا لسماحها باستمرار الهجرة « المشروعة وغير المشروعة » .
٢ - الاحتجاج على حكومة الولايات المتحدة لإشعارها بخخطر السياسة التي تتبعها بشأن فلسطين ، وما يترتب عليها من إساءة لطيب العلاقات التي ترغب حكومات دول الجامعة ان تظل دائماً بينها وبين الحكومة الامريكية^(٢) .

٣ - مطالبة بريطانيا بوقف الارهاب اليهودي لما ينطوي من الخطر على العرب ، أو السماح للحكومات العربية بإرسال حرس مسلح يحميهم منه .
٤ - اعتبار الدورة ممتمة ، على ان يدعى المجلس الى الاجتماع عندما تدعو الظروف الطارئة .

٥ - رفض كل مشروع يرمي الى تقسيم فلسطين أو إحداث أي تعديل في كيانها .
ولمواجهة الأخطار المحدقة ، أقر المجلس فيما يتصل بالتنظيم الفلسطيني، توصية الحكومات العربية بتنفيذ قرار بلودان بشأن التشريع الزجري بحق الذين يبيعون أرضهم لليهود أو

(١) دروزة - المصدر السابق ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) تقرير الامانة العامة لجامعة الدول العربية عام ١٩٤٩ ، ص ٢١ .

بمسرون عليها أو يتحايلون فيها من رعاياها . وتوصية الحكومات العربية بالاسراع الى مساعدة عرب فلسطين بما خُصص في موازنتها ، وصرف ما يجتمع لدى الأمانة العامة من المال الخاص بقضية فلسطين الى الهيئة العربية العليا لتنفقه في وجوهه^(١) ، وهو مال يسير لا يذكر ، أين منه ما تكدهس الوكالة اليهودية بفروعها المتشعبة في العالم العربي، والمنظمات الصهيونية والعاطفة عليها هناك . وما تنفقه على خططها التي لم يكن الاحتجاج التكتيكي يشكل إلا جزءاً صغيراً من استراتيجيتها التي وضعتها منذ أوائل هذا القرن لتهود فلسطين والاستحواذ على ما حولها . إن كل هذا المال الذي رصده العرب أو تبرعوا به رسمياً ، وشعياً مهابلغ مجموعه ، ومهماشرفت نوايا أصحابه ، لن يكون الا كقطرة في أسفل الوعاء ، إذا قورن بالتبرعات والهبات التي انهالت وتنهالت على الصابئة معفاة من كل رسم^(٢)

وصل الرد من الولايات المتحدة على مذكرة الجامعة ، ولا يخرج في مضمونه على ردّ ترومان لابن سعود ، مع الأمل في ان تزداد عرى صداقة الولايات المتحدة بجميع الدول العربية توثقاً !!^(٣) .

(١) يذكر دروزة أن الهيئة العربية العليا نشرت في حزيران ١٩٤٨ ميزانية وارداتها ومصاريها ، ويظهر منه ان جميع ما دفعته الدول العربية خلال سنتين ، أي من حزيران ١٩٤٦ الى حزيران ١٩٤٨ قد بلغ نحو ١٤٣ ألف جنيه . دفعت سورية وحدها ١٠٣ آلاف ، ومصر ٢٠ ألفاً ، ولبنان ١٥ ألفاً ، واليمن ٥٠٠ جنيه . ودفعت مصادر عربية اخرى مبلغ ٤٦ ألفاً يرجح أن العاهل السعودي دفع بعضها . وليرد في النشرة شيء مما دفعته حكومات العراق والاردن والسعودية . (انظر المصدر السابق ص ٧٤) .

(٢) أشار اللورد هول في مجلس اللوردات (٢٣ نيسان ١٩٤٧) الى تقرير يثبت انه قد جرى جمع مبلغ يتراوح بين ٢٥-٣٠ مليون دولار منذ بدء عام ١٩٤٧ في الولايات المتحدة للاغراض اليهودية غير المشروعة بما فيها الهجرة غير الشرعية .

Parliamentary Debates (Lords) , 5th ser. Vol. 117 col. 114

(٣) انظر نص المذكرة التي أرسلتها جامعة الدول العربية بتاريخ ٤ كانون الاول بناء على قرار مجلس الجامعة ، وانظر صورة الرد الامريكى المؤرخ في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٧ - في ملحق رقم (١٥) دروزة - المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٣ .

وفي مطلع تشرين الاول بدأت في لندن محادثات استعلامية تهدف لتخفيف التوتر في فلسطين ، بين وزارتي الخارجية والمستعمرات من ناحية ، وبين زعماء الوكالة اليهودية من ناحية أخرى . وفي ١٩ تشرين الاول صدر في لندن بيان رسمي بأن المباحثات مع الدكتور وايزمن وأعضاء تنفيذية الوكالة بخصوص « الخطوات التي يمكن اتخاذها للتخفيف من التوتر القائم حالياً في فلسطين » ، قد وصلت الى نهايتها . وبعد اسبوع تقريباً صرح ناحوم غولدمان عضو تنفيذية الوكالة اليهودية في مؤتمر صحفي بنيويورك ان الصهانية سوف يتحولون بريطانيا العظمى جميع الحقوق لانشاء قواعد عسكرية وبحرية وجوية في فلسطين ، وذلك مقابل الاتفاق على إقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في فلسطين ، تشمل على الدولة اليهودية التي اوصت بها اللجنة الملكية (١٩٣٧) علاوة على النقب^(١) .

وبرغم النكسة التي شعرت بها الحكومة البريطانية إثر بيان ترومان الذي وصفته بأنه أنعس عمل ، ورغم تأكيدها بأن البيان يحتمل جداً أن يؤدي تسوية قضية فلسطين الصعبة ، غير ان وزير المستعمرات الجديد كريتش جونز صديق الصهيونية ، سعى الآن الى ابرام اتفاق يهدى حدة التوتر بين حكومته واليهود في فلسطين ، عن طريق استرضاء الصهانية مقدماً . فأوعز بإيقاف جميع اجراءات تفتيش المستعمرات اليهودية أو الاوكار الارهابية ، وإيقاف التحقيق مع من قبض عليهم بتهمة القتل والتدمير ، علماً بأنه بلغ عدد الضحايا البريطانيين بسبب الارهاب الصهيوني في عام واحد ٢٨ قتيلاً من أفراد البوليس ، و٤٥ قتيلاً و٩٣ جريحاً من القوات البريطانية المسلحة ، بالإضافة الى ٢١٢ من المدنيين القتلى و٤٢٨ جريحاً ، بما في ذلك ضحايا فندق الملك داود ، دون أن تثبت الجريمة على مجرم واحد من الارهابيين عن هذه الجرائم رغم توفر الأدلة في مسرح الجريمة^(٢) . ولم يلق ارهابي واحد

Suppl. Mem. op. cit. pp. 19-20

(١)

Parliamentary Debates, Commons. 5th ser., Vol. 432, col. (٢)

197. 1336

جزاءه الذي يستحقه . و كأنما كل ذلك لم يطمئن الحكومة البريطانية ووزير مستعمراتها كريتش جونز فأصدرت أمرها في الوقت نفسه (٢١ تشرين الاول) بمعاقبة المجني عليه ، وإرضاء الجاني : معاقبة المجني عليه بالقبض على أعضاء لجنة المقاطعة العربية في حيفا ، الذين لم يكن ذنبهم سوى انهم كانوا يعملون بدافع وطنيتهم على إحكام قطع الصلات التجارية بين التجار اليهود والمستهلكين العرب ، تنفيذاً لقرار جامعة الدول العربية . وارضاء الجاني بالاعلان عن استدعاء الجنرال بار كر قريباً من فلسطين ليشغل وظيفة جديدة في لندن . وإرضاء الجاني في ٥ تشرين الثاني باطلاق سراح زعماء الوكالة اليهودية واكثر من مائة غيرهم ممن جرى اعتقالهم قبل اربعة شهور . ولكن وزارة المستعمرات تفسر ذلك بما أعلنه المجلس الداخلي الصهيوني في ٢٩ تشرين الاول « بالتبرؤ نهائياً من حملة الارهاب ، وعمل كل ما بوسعه لاستئصال شرورها »^(١) .

وفي الوقت نفسه ولثلاثتهم الحكومة بالتحيز ، أعلنت ايضاً عن عزمها على اطلاق سراح عرب فلسطين المعتقلين في جزر سيشل منذ ثورة (١٩٣٦ -- ١٩٣٩) والسماح لهم بالعودة الى فلسطين . ولكن المجلس الداخلي الصهيوني قرر في الوقت نفسه أن العلاج الوحيد لحل المشاكل الثنائية للجماعات اليهودية وفلسطين انما هو في انشاء دولة يهودية ، وتحذير بريطانيا من ان خرقها التزامات الانتداب في وضع القيود على الهجرة لن يحول دون وصول المشردين اليهود الى شواطئ وطنهم القومي^(٢) . ومضت الحكومة البريطانية في استرضاء الجاني الصهيوني فأعلنت في تشرين الثاني نفسه ان ٢٨٠٠ من المهاجرين اليهود غير

Suppl. Mem., p. 21 & Hurewitz, p. 266

(١)

Hurewitz, op. cit., p. 266

(٢)

الشرعيين المحتجزين في قبرص . سيجري قبولهم في فلسطين كجزء من الكوتا الشهرية ، وان السلطات ستمدم بالمساعدات اللازمة لاستيطان فلسطين^(١) .

وخطت الحكومة البريطانية خطوة جديدة نحو تمليك الجاني الصهيوني حين وعدت بتعويض اليهود أصحاب المنشآت التجارية الذين اخليت محللتهم لتشغلها دوائر الحكومة بعد نسف مبناها في فندق الملك داود ، كما سمحت باستمرار التجنيد في بوليس المستعمرات اليهودية ، وكان قد توقف منذ قيام السلطة بعملياتها ضد البالمح التي يشكل بوليس المستعمرات نواتها ، وكان هذا الترخيص البريطاني بمثابة تشجيع الصهاينة على التآدي في إرهابهم .

غير ان هذا الاسترضاء البريطاني لم يكن من ورائه سوى اشتداد موجة الارهاب وتفانم الهجرة :

٩ تشرين الثاني قتل اربعة أنفار من البريطانيين في قوة البوليس الفلسطيني بسبب انفجار لغه اثناء تفتيشهم لمنزل بالقدس .

١٠ تشرين الثاني دمرت محطة سكة حديد رأس العين في هجوم ارهابي نجم عنه جرح بوليس عربي وثلاثة بريطانيين .

١٣ تشرين الثاني قتل ستة من افراد قوة البوليس الفلسطيني ، وجرح عشرة في هجمات ارهابية بالقنابل .

١٧ تشرين الثاني قتل ثلاثة من أفراد البوليس البريطاني وضابط صف في سلاح الجو ، وجرح ستة آخرون من قوات الأمن إثر نسف سيارة بوليس بلغم قرب تل ابيب .

(٤) ناهت المجلة الصهيونية Zionist Review, 4 April 1947, p. 6 أنه خلال أربعة عشر شهراً وصلت الى مياة فلسطين ٢٤ سفينة تم شراؤها وتجهيزها وإجرائها بواسطة أفراد من الهاغانا، ونقلت الى فلسطين ٢٣٥٠٠ مهاجر غير شرعي .

quoted by Kirk, Survey for 1945-50, p. 230, footnote .

١٩ تشرين الثاني أعلن وقف سير القطارات مؤقتاً بعد هجوم الارهابيين على السكك الحديدية مراراً .

٢٠ تشرين الثاني تضرر مكتب ضريبة الدخل بالقدس إثر محاولة لتسفه

٢٦ تشرين الثاني اقتاد الاسطول الى ميناء حيفا سفينة تحمل ٣٩١٤ مهاجراً غير شرعي ، وأثناء نقلهم الى مراكب الترحيل بدرت منهم مقاومة عنيفة جرح خلالها اثنان منهم ، وتم ترحيل الركاب الى قبرص .

٢ كانون الأول : قتل اربعة جنود بريطانيون حين دمرت عربتهم بفعل لغم ارضي .

٤ كانون الأول : اصدرت تنفيذية كل من الفعادلثومي والوكالة اليهودية نداء مشتركاً لوقف الهجمات الارهابية^(١) .

على ان موجة الارهاب انحسرت فجأة عندما افتتح في بال المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون (٩ كانون الأول) ، ويعتبر الأول من نوعه منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية. ويصف وايزمن المؤتمر بأن الجماعتين الأقوى فيه كانتا : اليهود الامريكيين واليهود الفلسطينيين؛ الأولى يقودها الحاخام أباهيلل سلفر وهي الأقوى ليس بعددها وبمندوبيها وإنما بضعف الآخرين نجاحها . وقال وايزمن ان المؤتمر كان له مزية خاصة تختلف عما كانت عليه المؤتمرات الصهيونية السابقة ، ألا وهي انعدام الايمان - وحتى الأمل ، في الحكومة البريطانية من جانب الكثرة الكاثرة من المندوبين ، والميل للاعتداع على العنف والتطرف ضدها . وشكا وايزمن في سيرة حياته أنه أصبح هدفاً لهجوم « المتطرفين » عليه ، وكبش الفداء عن ذنوب الحكومة البريطانية ، « وقد علموا ان (هجومهم) على الحكومة البريطانية كان غير مجدي ،

ولذا وجهوا سهامهم نحوي .. نصف الوفد الامريكى بقيادة سلفر وجزء من الوفد الفلسطينى بقيادة بن غوريون قرروا اني يجب أن أمضي (١) . . .

والحق ان الخلاف بين الصهاينة « المعتدلين » و « العمليين » كان حول الاستراتيجية التي توصل الى الهدف عن طريق أقصر ونتائج أفضل ؛ « فالمعتدلون » مثل وايزمن وشروتوك ، كانوا يرون منذ مثولهم امام اللجنة الانكلو - أمريكية ما رآه وايزمن حين أخبر اللجنة بأنه اذا سمحت بريطانيا بهجرة المائة الف يهودي الى فلسطين فإنهم على استعداد لنسيان فكرة (الاستقلال) فهم يريدون الهجرة ويرجئون أمر الاستقلال موقتماً . اما (العمليون) مثل بن غوريون ، فقد غضبوا من هذا الاقتراح ، وقال بن غوريون ان وايزمن لا يمثل إلا نفسه ، ولم يخوله أحد ان يقترح ما يتعارض مع قرارات الصهيونية في فلسطين . وفي اليوم التالي ألقى بن غوريون خطاباً بعنوان (الدولة اليهودية أملنا) ، فبعث النزاع من جديد مع وايزمن (٢) . وبعد نشر تقرير اللجنة الانكلو - أمريكية رأى وايزمن وشروتوك فيه بعض ما يرضيهم ، بينما رفض بن غوريون التقرير برمته ، وأصدر الى الهاغانا تعليقات مريرة يوضح فيها ما يجب عمله ضد البريطانيين ، كإنشاء مستعمرات جديدة في مناطق محظورة ، والمضي في مساندة الهجرة غير الشرعية ، وخاصة من فرنسا حيث يتدرب اليهود هناك على الحرب ، ثم اعلان عصيان مدني وتنظيم مظاهرات والامتناع عن دفع الضرائب (٣) .

وكان وايزمن يدافع عن دولة يهودية في قسم من فلسطين ، ولكن الصهاينة الامريكيين برياسة سلفر رأوا ان بريطانيا هي التي يجب ان تقدم التنازلات لا اليهود ،

Weizmann, op. cit., pp. 513-14 (١)

Michael, Bar-Zohar, - The Armed Prophet - , London (٢)
1954, p. 86

ibid., p. 87 (٣)

وفي مواجهة بريطانيا كان سلفر يعول كثيراً على اقناع اليهود للولايات المتحدة بعدم مساعدة بريطانيا وعدم اعطائها القرض عند الزوم . وفي المؤتمر نادى سلفر بدولة يهودية تضم ضفتي نهر الاردن ، وبتوجيه الحركة الصهيونية من الولايات المتحدة . ولكن ناحوم غولدمان قال ان الحركة الصهيونية يجب ان تكون مستعدة للتخلي عن بعض المزايا بغية التغلب على العقبة السياسية الحاضرة ، وبغية التخلص من الحكم الأجنبي وفتح الابواب أمام الهجرة الواسعة . وقال : « إن برنامج بلمتور بطلبه إقامة دولة في فلسطين كلها ، كان قائماً على اساس الافتراض بأن ملايين اليهود يجب ان يُنقلوا الى فلسطين فور انتهاء الحرب ، ولكن ذلك لم يحدث ، وإنه لوهم ان نفترض بأن الولايات المتحدة سوف تتنازع جدياً مع بريطانيا من أجل المطالب الصهيونية في فلسطين ^(١) » . وشجب الحاخام سلفر ما دعاه بالمؤامرة المنظمة للحكومة البريطانية في انكارها حق الصهاينة بفلسطين ، وعبر عن خشيته من أن خطة تقسيم فلسطين التي اقترحتها الوكالة اليهودية في باريس قد تضعف قوة مساومتها في مؤتمر لندن ، ولذا فلا يجب على الصهاينة حضوره ^(٢) . وقد وجه وايزمن نقداً لاذعاً الى « المتطرفين الامريكيين » ولام نائب رئيس المنظمة الصهيونية ايمانويل نيومان وسلفر لتحريضها يهود فلسطين على الثورة ، وتأكيدهما بأن الثورة ستلقى كل دعم سياسي ومعنوي من يهود أمريكا . وقال وايزمن إن إنشاء احدى عشرة مستعمرة جديدة في النقب أهم بكثير من مائة خطاب عن المقاومة ، وخاصة حين تُلقى في واشنطن او نيويورك ، في حين تجري المقاومة في القدس او تل ابيب . ان الدعم المالي والسياسي يغدو قليل القيمة حين ترسل آخرين لمواجهة الدبابات البريطانية والسلاح البريطاني ^(٣) » . وناشد وايزمن المؤتمر

Kirk, Survey for 1945-50, pp. 231-232

(١)

ibid.

(٢)

Kirk, op cit., p. 232

(٣)

ان يعمل على التفاهم مع بريطانيا لإقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في فلسطين ، وحذر من ان رفض ذلك يهدد تقدم الصهيونية وما أحرزته في احدى وعشرين سنة .

واجه المؤتمر موضوعين أساسيين هما : قبول التقسيم ، وقبول المشاركة في مؤتمر لندن لدى انعقاده في أواخر كانون الثاني ١٩٤٧ . واحتدم الصراع بين وايزمن وبن غوريون . الأول مع شرنوك ووايزرون وجوب التوصل الى اتفاق مع الدولة المنتدبة ، ولذا ينبغي ان يوافق المؤتمر على التقسيم ، وعلى التفاوض مع بريطانيا . والثاني مع سلفر يريان أنه بالنسبة للتقسيم ، يجب لأسباب تكتكية - أن يأتي من جانب بريطانيا أو العرب . فالسألة إذن كما ذكر وايزمن في سيرته ، لم تكن مسألة شخصية بينه وبين بن غوريون « فالنقاش حمي وطيه حول ما اذا كان علينا ان نرسل أو لا نرسل مندوبين الى مؤتمر لندن (١) . . . » .

وانقسم المؤتمر تجاه موضوع التقسيم ، ولدى الاقتراع ربح بن غوريون وسلفر ١٧ صوتاً ضد ١٥٤ صوتاً ، وحين قرر المؤتمر بأنه في الظروف الحاضرة ، لا يمكن للحركة الصهيونية ان تشارك في مؤتمر لندن ، ولكنه خول المجلس العام بإعادة النظر في قرار المؤتمر إذا طرأ تغيير على الحالة (٢) . وقرر كذلك رفض مشروع موريسون وعارض أية وصاية جديدة تُفرض على فلسطين قد تمنع أو تؤجل قيام دولة يهودية فيها ، وأعلن أن الدولة اليهودية فقط هي ما يمكن إنشاؤه في حالة انتهاء الانتداب . واعد المؤتمر تأكيد نقاط برنامج بلمتور الثالث (٣) وشجب اعمال الارهاب دون ان يسمي عصابات الارغوت وشتيرين باسمها ، وانما اطلق عليها تسمية ملطفة هي (الجماعات المنشقة) . وهنا استقال وايزمن ، وغادر المؤتمر قبل نهايته دون ان يعاد انتخابه لرياسة المنظمة ، لأنه اشترط لقبولها

Weizmann, op. cit., p. 514

(١)

Hurewitz, op. cit., p. 269

(٢)

Suppl. Mem., pp. 23 - 24

(٣)

مفاوضة بريطانيا ، ولكن نظراً لمكانته ترك المنصب شاغراً ، واحتفظ بن غوريون برئاسة التنفيذية ، وسلفر برئاسة القسم الامريكى المؤلف من ٦ أعضاء بينهم شرتوك الذي عين منسقاً متجولاً للنشاط الصهيوني السياسى ، على ان يكون مقر عمله في واشنطن^(١).

والحق ان معارضة بن غوريون لوايزمن حول إحدى الأساليب لبلوغ الهدف الصهيوني ، تذكرنا بالمعارضة التي قادها وايزمن ضد هرتسل سنة ١٩٠٣ . ان بن غوريون الذي دعا وايزمن أثناء الحرب العالمية الأولى لقيادة الحركة الصهيونية عملياً ، ثم دعاه سنة ١٩٣٥ ليتكلم باسم اليهودية العالمية ، رأى الآن ان بريطانيا قد غيرت سياستها ، فلماذا يبقى وايزمن سجين اعتداله ولوائه لها^(٢) ؟ .

ولكن المطلعين من الصهاينة أقروا بأن جو المؤتمر كان يعكس صلابة أقل بكثير مما تدل عليه المقررات^(٣) . وكما قال وايزمن ، كان على المندوبين الصهاينة أن يذهبوا لمفاوضة لندن من الباب الخلفي^(٤) . وبالفعل فإن خطر التفاوض مع بريطانيا الذي صوت عليه المؤتمر لم يمنع بن غوريون وشرتوك وغيرهما من زعماء الوكالة اليهودية من اجراء محادثات استطلاعية مع كريتش جونز وبيفن .

وكانت الحكومة البريطانية ، كما يقول الصهيوني ساكر ، تدافع عن فكرة انشاء دولة فلسطينية موحدة مع مناطق (كانتونات) تتطور وشيكاً نحو الحكم الذاتي . ورأى الصهاينة في ذلك تحديداً للهجرة والاستيطان ، وإخضاع الأقلية اليهودية للغالبية العربية . ولذا قدموا ثلاثة حلول ، يختار البريطانيون أحدها ، وهي :

١ - ان تصبح فلسطين كلها دولة يهودية .

٢ - أو يبقى الانتداب كما كان قبل عام ١٩٣٩ .

Hurewitz, p. 269 (١)

Bar - Zohar, op. cit., p. 100 (٢)

Sacher, op. cit., p. 71 (٣)

Weizmann, p. 541 (٤)

٣ - إذا عرضت بريطانيا مشروع انشاء دولة يهودية في جزء مناسب من فلسطين ، فيكون الصهاينة راغبين في مناقشته . ولا حاجة الى القول بأن هذه « الحلول » كانت مرفوضة من الجانب البريطاني ؛ فقد وضح بيفن للصهاينة أنه ما لم يتم التوصل الى اتفاق فسوف يجبل قضية فلسطين برمتها على هيئة الأمم المتحدة . ويبدو أن بن غوريون كانت يتخوف من ذلك ؛ فهو يرى أن الحلاف مع بريطانيا أمر مألوف ، ويضمن للصهاينة غالباً وضعاً متفقاً . أما بالنسبة للمنظمة الدولية فهو لا يستطيع ان يجزم بصحة تصرفه ، فضلاً عن ان للعرب فيها قيمة اقتراعية . دع ما كان يخشاه من أن تصبح فلسطين ككرة يتقاذفها المعسكران الشرقي والغربي في الأمم المتحدة . وهكذا فضل ان يتفق مباشرة مع حكومة لندن ، وكان يرى ان الحل الثاني (بقاء الانتداب كما كان قبل ١٩٣٩) هو الحل الأمثل ، وكان في سبيله مستعداً للتجاوز عن ذكر (الدولة اليهودية) كهدف ، وان يتوكأ أمرها للزمن ^(١) .

وفي مقابلة مع بيفن أشار بن غوريون الى احتمال وجود النفط في النقب ، وعرض على بيفن انشاء قواعد بريطانية في النقب تكون بديلة لقواعد الانكليز في منطقة قناة السويس ، ويقال ان بيفن تأثر بهذه المقترحات ، ولكن المقابلات كانت غير رسمية وغير مرخصة فلم ينجم عنها شيء ^(٢) .

وقبل أن نعود الى مؤتمر لندن في دورته الثانية ، لا بد من الاشارة الى ان وزير المستعمرات البريطاني حاول ان يطبق سياسة تضمن نجاح من دعاهم « بالمعتدلين » من الصهاينة ، ولكنه مع بيفن لم يتمكن من المضي الى حد تأييد مشروع التقسيم الصهيوني .

Sacher, op. cit., p. 72

(١)

Litvinoff, Barnet • Ben Gurion of Israel •, London, 1954, p. 170 (٢)

فلسطين م ٥١ (١٩٦٨)

ولم يكن بوسع سياسة الاسترضاء التي تابعتها كريتش جوزان تضمن إلا فترة قصيرة من الهدوء . فقد استؤنفت اعمال الارهاب مع مطلع العام الجديد .

وقد لجأ الصهاينة الى استخدام الفتیان ضمن عصاباتهم حتى إذا قبض عليهم متلبسين ، لم تجرؤ السلطات على معاقبتهم أو إدانتهم ، وإلا كانت هدفاً للتشهير والانتقام بالوحشية والقسوة . وقد ضبط أحد شبان العصابات وهو متلبس بجرمة سرقة مسلحة من احد البنوك ، وحوكم وصدر الحكم بجلده ثماني عشرة جلدة . وما أن نفذ عليه الحكم حتى ردّ الارهابيون باختطاف ضابط بريطاني وثلاثة من ضباط الصف ، في تل ابيب ونانانيا وریشون لزیون^(١) ، وجلدوم بوحشية حتى أفقدوم صوابهم . وقام الارهابيون في ٢ كانون الثاني ١٩٤٧ بهجمات على المنشآت العسكرية ومباني البوليس في تل ابيب والقدس وحيفا وطبريا وغيرها ، وقتل فيها ضابط بريطاني وجرح خمسة جنود . وبعد عشرة ايام قامت جماعة شتيرن بمحاولة اعتداء مروعة دفعت فيها عربية محملة بعبوات ناسفة الى مجموعة مباني الادارة والبوليس في حيفا ، فأحدثت ضرراً كبيراً ، وقتل من جرائها اثنان من البوليس العربي وجرح تسعة أنفار من البوليس بجراح خطيرة ، بالإضافة الى مائة آخرين أصيبوا بجراح مختلفة .

عندئذ أصدر المجلس الملي (الفعاد لثومي) قراراً في ٢٠ كانون الثاني باستهجان القتل كوسيلة من وسائل المعارضة السياسية ، ولكنه أكد دعمه للنضال السياسي ورفض أية فكرة لمعارضة الارهابيين^(٢) . وعندما سئل متكلم بلسان الوكالة اليهودية في مؤتمر صحفي عما اذا كان سيطلب من الطائفة التدخل في الأمر إذا وقع اعتداء من الارهابيين على البريطانيين ، أجاب بأن نص القرار لا يفهم منه ذلك . وقد حذرت غولدا مايرسون رئيسة القسم السياسي بالوكالة الارهابيين ، ولكن أضافت بأنه لا يصح ان ينتظر من

Suppl. Mem., op. cit , p. 24

(١)

Kirk, Survey for 1945 - 50, p. 234 .

(٢)

(اليشوف) أن يقوموا بالتجسس على بني جلدتهم^(١) . وزادت جرأة الارهابيين على استخذاء السلطات التي لم تمسهم بأي عقاب ، وفي المرة الوحيدة التي تجرأ فيها الجنرال باركر فوافق على حكم بالاعدام صادر ضد ارهابي أدب إداة قاطعة لدوره في الهجوم على مركز بوليس نجم عنه مقتل رجل بوليس ؛ ردت الأرغون باختطاف قاض بريطاني من محكمة تل اييب كرهينة مع مدني بريطاني آخر . فأصدر المندوب السامي انداراً أعلن فيه أنه مالم يفرج عن المخطوفين بغير أذى خلال ٤٨ ساعة ، فإن منطقة تل اييب ستوضع تحت اوامر الحاكم العربي العسكري . وجرى إطلاق سراح الرجلين^(٢) .

غير ان الارهابيين أعادوا الكرة فأذاعوا تهديداً بأن « يجعلوا فلسطين مجزأ من الدماء » إذا نفذ حكم الاعدام الآنف الذكر ، فكانت نتيجة ذلك أن اصدرت السلطات أمرها في ١ شباط بتحويل جميع النساء والأطفال البريطانيين وغيرهم من المدنيين الذين لا توجد حاجة ماسة لبقائهم ، لتلا يجري اختطافهم ويصبحوا رهائن ، ولتلا يعرفلوا عمليات قوات الأمن . وقد تم إجلاؤهم بالفعل بعد ثلاثة ايام . وفي ٤ شباط أذيع أن المتخلفين عن الرحيل سوف يجري حشدهم في أماكن عسكرية محمية . وفي اليوم نفسه أعلن أن رسالة وجهت الى الوكالة اليهودية والمجلس اللتي في ٣ شباط بأنه نظراً لما وقع من رفضهم الصريح المستمر للمعاونة ضد الارهابيين ، فإنها تطلب منهم « أن يقرروا في صراحة تامة وفي الحال ، ما اذا كانوا على استعداد لأن يصدروا نداء علنياً للطائفة اليهودية بأن تمد يد المساعدة للحكومة بالتعاون مع البوليس والقوات المسلحة على كشف اماكن أعضاء الجماعات الارهابية وتقديمهم للقضاء » ، فكان جوابهم على ذلك « أن الجالية اليهودية لا تستطيع أن تضع نفسها تحت تصرف الحكومة لمكافحة النتائج السيئة التي نجمت عن سياسة هي من صنع الحكومة نفسها ، وتراها الجالية مهددة لكيانها^(٣) » .

Kirk, A Short History .. p 218. (١)

Suppl. Mem, p. 25. (٢)

ibid, pp. 25-26 & Kirk, Survey.. p. 236 (٣)

الفصل الثاني والعشرون

قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة

دورة مؤتمر لندن الثانية واللجوء الى الأمم المتحدة :

بدأ مؤتمر لندن الدورة الثانية من انعقاده في ٢٦ كانون الثاني ، ولم تحضره الوكالة اليهودية ولم يحضره مراقب عن الحكومة الأمريكية . وكان بيغن قد بحث في نيويورك مع بيرنز مشكلة فلسطين كجهود أخير لتسوية وضعها قبل اللجوء الى الأمم المتحدة . وكانت النتيجة أن ألحت الخارجية الأمريكية في ٧ كانون الأول ١٩٤٦ على كل من العرب واليهود أن يحضروا مؤتمر لندن . وقال بيرنز أيضاً أن بلاده مستعدة أن تبعث بمراقب شرط أن يحضر المؤتمر كل من العرب واليهود^(١) . وقد اشترك وفد الهيئة العربية العليا المثلة لعرب فلسطين في المؤتمر مع وفود الحكومات العربية بينما التزمت الوكالة اليهودية بقرار مؤتمر بال القاضي بعدم الاشتراك الا على أساس البحث في الدولة اليهودية . غير أن بعض أعضاء الوكالة حضروا الى لندن ، كما ذكرنا ، وكانوا على اتصال مع الحكومة البريطانية أثناء انعقاد المؤتمر ، وعقدوا ، كما في السابق ، محادثات منفصلة مع بيغن وكريتش جوتز ، وظلوا يربحون مايسفر عن المؤتمر . وقد ألقى جمال الحسيني كلمة فلسطين واعلن ان انشاء الدولة الواحدة ووقف الهجرة هو السبيل العادل الوحيد لإقرار الأمن ، وان انشاء دولة يهودية أو كيان يهودي سيكون قرحة مزمنة لا ينتج عنها غير الشر والاضطراب ، وأعلن تصميم العرب على رفض التقسيم^(٢) . واعلنت الحكومة البريطانية عدم قبولها بالمشروع

(١) Suppl. Mem. p. 23 & Hurewitz, p. 272

(٢) دروزة - المصدر السابق ص ٨٤

العربي ، وعادت الى مشروع موريسون - غريدي فأدخلت عليه بعض التعديل لتقديمه الى العرب كحل نهائي ومفضل لديها . وفي غضون ذلك كان رئيس تنفيذية الوكالة اليهودية بن غوريون يفاوض كرينش جونز ويفن ويكرر طلب الصهاينة : دولة يهودية قادرة على الحياة في جزء مناسب من فلسطين . وقيل أن كرينش جونز قد دافع عن وجوب عرض مشروع للتقسيم على الصهاينة ، مادامت الدعاوى العربية والصهونية غير متطابقة ولا يمكن التوفيق بينها . ولكن المشاورين القانونيين للحكومة بينوا أن محاولة فرض التقسيم على أي من الطرفين مخالف لبند الانتداب ، وفي حالة استياء العرب ، لا يستبعد أن تخوض معهم صراعاً جدياً^(١) . ولذا تقرر أن يعرض الوفد البريطاني على الوفد العربية في مؤتمر لندن، وعلى الوكالة اليهودية أيضاً ، تسوية نهائية عرفت بمشروع ويفن وخلاصتها : يقترح تطبيق نظام الوصاية البريطانية على فلسطين لخمس سنوات بهدف معلن هو تهيئتها للاستقلال ، وتمنح بنود الوصاية المقترحة سلطة واسعة من الحكم المحلي للمناطق المحددة التي تختوي على غالبية عربية أو يهودية . وتقع مسؤولية حماية الأقليات في هذه المناطق على عاتق المندوب السامي الذي يشكل مجلساً استشارياً نيابياً . وفي نهاية السنوات الاربع تُنتخب جمعية تأسيسية ، فاذا توصلت غالبية النواب العرب فيها الى اتفاق مع غالبية النواب اليهود ، فسوف تقام دولة مستقلة دون تأخير . وفي حالة عدم الاتفاق تُطلب نصيحة مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة حول الاجراء المقبل . وينص اتفاق الوصاية ايضاً على ادخال ٩٦ ألفاً من المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال السنتين الأوليين من نفاذه ، ومن ثم تحدد نسبة المهاجرة من قبل المندوب السامي بحسب مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، وبالتشاور مع مجلسه الاستشاري . وفي حالة عدم الاتفاق فالقرار الاخير ستخذه محكمة تعيينها الأمم المتحدة للتحكيم في المشكلة . ان مشروع ويفن يختلف عن مشروع موريسون في عدة أمور

Parliamentary Debates, Commons, 5 th Ser. vol. 333, col. 2004 (١)

أساسية : فقد تحددت فترة الوصاية بخمس سنوات ، تكون البلاد خلالها مهياً للاستقلال التدريجي ضمن دولة موحدة ، وبذلك زالت امكانية التقسيم تماماً . يمارس المندوب السامي سلطة التشريع والتنفيذ . ولكن أهالي فلسطين سيمنحون حكماً ذاتياً يقوم على المنطقة (الكانتون) التي تحدد مساحتها وفقاً لغالبية السكان العرب أو اليهود فيها ، ولن تكون هذه الكانتونات بالضرورة متجاورة متلاصقة ، وسوف تتمتع بصلاحيات تشريعية وإدارية ومالية واسعة ، بما في ذلك نصيب في مسؤولية الأمن . تحل الوكالة اليهودية فوراً بعد أن يوقع اتفاق الوصاية ، ويمثل اليهود كالعرب بمندوبين في المجلس الاستشاري . وفي السنوات الثلاث الأخيرة من الوصاية سيكون للعرب صوت في تحديد سياسة الهجرة ، رغم أن القرار النهائي سيكون لمجلس الوصاية في الأمم المتحدة .

هذه هي الخطوط العامة لمشروع ييفن ، وقد رفضته الوفود العربية ، وكذا الوكالة اليهودية ، ولم تحاول الحكومة البريطانية ان تحملمهم على تغيير موقفهم ، وإنما أعلنت في ١٤ شباط احالة الموضوع بأكماله الى الأمم المتحدة . وفي ٢٥ شباط ألقى ييفن خطاباً في مجلس العموم موضعاً سبب فشل مؤتمر لندن ، وفيما يلي بعض فقراته نوردتها لدلائها الهامة في مدى ما توصلت اليه الحكومة البريطانية آنذاك في تفهمها عند اللزوم لوجهة الحجج العربية ، جرى بها لسان رجل تعرض فيما بعد لسخط الصهاينة العنيف ، لا لأنه « انحاز » الى العرب - فهذا أمر لا يخطر على بال ، وإنما لأنه كشف عن خداعها ونجايلها بجرأة قتل نظيرها بين أمثاله ، وفضح بعض خفايا القضية . قال ييفن : « إن مجرى الأحداث جعل حكومة جلالة تقرر ان مشكلة فلسطين يجب إحالتها على الأمم المتحدة ، وفقاً لما أوجزته في بيان الاسبوع الماضي الذي أوليت به في المجلس . ان مشكلة فلسطين هي مشكلة معقدة جداً ومتنازع عليها ، ولا ننكر الحقيقة بأن الانتداب قد اشتمل على وعود متضاربة ؛ فهو من ناحية وعد اليهود بوطن قومي ، ومن ناحية ثانية أعلن وجوب حماية حقوق ووضع

العرب . وإذن فقد هيا السبل لما كان في الواقع غزواً للبلاد من ألوف المهاجرين ، وفي الوقت نفسه قال إن هذا ليس له أن يزعج السكان أصحاب البلاد والسؤال الذي أنير هو ما اذا كان في مقدورنا انجاز هذا الأمر دون حدوث صراع ، وقد برهنت أحداث الخمس والعشرين سنة الماضية بأن ذلك ليس في مقدورنا . وقال يفن ان الموضوع الذي يجب أن تنظر فيه الأمم المتحدة وتصدر بشأنه قراراً هو أولاً ما اذا كانت فلسطين يجب ان تكون دولة يهودية بموجب مطالب اليهود ، أو ما اذا كانت ستصبح دولة فلسطينية ، تُضمن فيها مصالح الجماعتين وتتوازن بقدر الامكان . وقال يفن ان تقرير اللجنة الانكلو امريكية قد انجبه انجهاً مضاداً لإنشاء دولة يهودية ، ولذا « فإن أول محاولة لنا نجح عنها خطة للاستقلال الاقليمي » .

ومضى يفن يتحدث المجلس بما كان من ظروف بيان ترومان الذي نسب - في رأيه - التسوية التي كان يوشك ان يصل اليها مع الصهاينة ، ثم قال : « أنا أقول بكل جد ، إذا كان الموضوع فقط هو موضوع التفريغ عن مائة ألف من يهود أوروبا ، واذا كانت المسألة التي يجب علي حلها هي مسألة إنسانية بحتة ، فأعتقد أنه يمكن العثور على تسوية . ولوء الحظ لم يكن الموضوع كذلك ، فإن المائة الف من وجهة النظر الصهيونية هم فقط بداية ، وان الوكالة اليهودية تتحدث عن الملايين . إن طلب العرب هو طلب عسيرة جداً إجابته . نحن هنا في بريطانيا العظمى كجلس للعموم تقرر ما اذا كنا سنقبل الناس في هذا البلد أم لا . لا أحد غيرنا يقوم بذلك ، فلماذا يجب أن تقرر وكالة خارجية بمولة بسخاء من امريكا كم من الناس يجب أن يدخل الى فلسطين ، وتدخل باقتصاديات العرب ، الذين كانوا هناك منذ ألفي عام ؟ هذا ما يجب علي مواجتهه .

« وهذا يقودني الى نقطة أخرى ، هي أيضاً عسيرة جداً . قيل إننا لو أقمنا دولة موحدة فاليهود كيهود لن يكونوا أعضاء في الأمم المتحدة . ان هذا في الحق يثير مسألة كبيرة

جداً . هل وجودنا في الأمم المتحدة يقوم على أساس الدين ، هل وجودنا في الأمم المتحدة يقوم على أساس أننا شعب يقيم في رقعة جغرافية ، أم كيف نحن فيها ؟ إذا كان للأمم المتحدة ان تصل الى وضع تهيمن فيه خمسة أو ستة أديان عظيمة ، فذلك حالة تدعو الى القلق الشديد آنذاك . وتابع يفتن حديثه عن التقسيم فقال :

« هل لي أن أنتقل الآن الى موضوع التقسيم ؟ ان عدداً كبيراً من الناس قالوا ان السبيل للخروج من المأزق هو في التقسيم . أنا متأكد اننا لو وافقنا على التقسيم ، فسنعلى صخباً هائلاً حول ما يجب ان تكون عليه الحدود . إننا رسمنا الحدود في خطة الاستقلال الاقليمي ؛ وأنا طالعت الفكرة اليهودية عن التقسيم في صحيفة امريكية ، ولكننا في الحقيقة لا نستطيع ان نجعل من فلسطين دولتين قادرتين على الحياة ، وعلى كل حال فيمكن أن نجرب .

« ان أفضل مشروع للتقسيم رأيتُه أكثر موافاة حتى الآن ، ينجم عنه في الوقت الحاضر وجود ٤٥٠ الف يهودي و ٣٨٠ الف عربي في الدولة اليهودية . وقد شرحت ذلك للعرب بصراحة كاملة ، فماذا كان جوابهم ؟ يقول العرب (اذا لم يكن من العدل لليهود ان يكونوا أقلية ٣٣% أو ٤٠ بالمائة في كل البلاد ، فما هو مبرر وضع ٣٨٠ الف عربي تحت الحكم اليهودي ؟ ما هو جوابكم على ذلك ؟ أنا ليس لدي إجابة عنه ^(١) ، !! .

وقد عكست ملاحظات يفتن عن ترومان والنفوذ الصهيوني اليهودي في امريكا ، ضيق البريطانيين بما اعتبروه تدخلا لا مبرر له . وأيدت جميع الصحف البريطانية ملاحظات يفتن ، ولكن البيت الأبيض وصفها بالتعاسة والتضليل ، وذلك في بيان غاضب صدر عن

Sakran, op. cit., pp. 184 - 187

(١) انظر نص الخطاب في

الرئيس ترومان وجاء فيه : « ان الاعتقاد بأن مصلحة امريكا في فلسطين وتوطين اليهود فيها تسيرها السياسة الحزبية والمحلية قول مضلل الى أقصى حد^(١) » . وعبر الموالون للصهيونية في الكونغرس عن مشاعر الخلق والاستياء ، كما أبدت الصحف الامريكية مشاعر بمائلة تجاه سياسة بيفن . ولم يفت الهيئة العربية العليا أن تردّ على خطاب بيفن بقولها إن الانكليز هم الذين خلقوا المشكلة لتحقيق مشروعهم الاستعماري ، وأنهم وحدهم هم الذين يتحملون مسؤوليتها . وهكذا لم يستطع التضليل البريطاني أن يحتفظ بصداقة من تعامل معهم ، وناله منهم جميعاً .. أدواته وضحاياه - ما استحقه من التكذيب والاستنكار والظعن .

طلبت الحكومة البريطانية في ٢ نيسان من الأمين العام لهيئة الامم المتحدة ، إدراج قضية فلسطين ضمن جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها السنوية العادية . ولتفادي التأخير طلبت الى الأمين العام أن يدعو الى عقد دورة طارئة للجمعية العامة لتشكيل لجنة خاصة تعد تقريراً عن قضية فلسطين ، وتكون مستعدة بدورها ل طرحه في الدورة الثانية للجمعية العامة ، تستير به في مناقشاتها المنتظر انعقادها في ايلول . وافقت أكثرية الأعضاء على هذا الطلب بحلول يوم ١٣ نيسان ، ولما وجدت الدول العربية الخمس ان الاجتماع مقرر ، طلبت من الأمين العام تريفغلي (٢١ و ٢٢ نيسان) ان يتضمن جدول أعمال الدورة الخاصة بنبدأ إضافياً القصد منه « إنهاء الانتداب في فلسطين وإعلان استقلالها » . ولكن حين انعقدت أولى جلسات الدورة الخاصة في ٢٨ نيسان ورد في جدول أعمالها فقط ما اقترحه بريطانيا ، وكان تردد الدول العربية وتباطؤها طوال الأسابيع الثلاثة^(٢) قد

Hurewitz, op. cit. , p. 277

(١)

(٢) عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته السابقة في القاهرة بتاريخ ١٧ آذار ، أي بعد إعلان انتهاء مؤتمر لندن بثلاثة أسابيع ، فقرر المجلس معارضته تشكيل لجنة التحقيق الدولية المزمع تشكيلها ، والانطلاق في مباشرة قضية فلسطين على أساس إعلان استقلالها ، ثم الاحتجاج على حكومة لندن لساحها باستمرار الهجرة وضعف وسائلها في مكافحة اللاشريعة منها .

أتاح لعملاء الصهيونية في أمانة الأمم المتحدة فرصة لإرجاء البت في طلب الدول العربية ، ثم رفضه في لجنة الإدارة العامة التي تقر جدول الأعمال ، بثمانية أصوات مقابل صوت واحد ، وامتناع خمسة . ولكن الدول العربية عارضت توصية لجنة الإدارة على أساس أن ما ستجري مناقشته هو الاعتراف باستقلال فلسطين ، لا تشكيل لجنة خاصة تضع تقريرها بعد أكثر من أربعة شهور . ولكن الطلب العربي سقط بالتصويت : ٢٤ ضده وامتناع ١٠ وصوتت الولايات المتحدة ضده ، في حين صوت الاتحاد السوفيتي معه .

ان الطريقة التي أحالت بها بريطانيا قضية فلسطين الى الأمم المتحدة ، وما قامت به اجهزة هذه الأخيرة من مناورات لطمس معالم المطالب العربية وتعويقها ، لم يتروك للأمل موقعا في قلوب الدول العربية وعرب فلسطين ، وقد شعر هؤلاء أن ما أجرته بريطانيا والأمم المتحدة لا ينطبق مع ما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة في تقرير المصير .

وفي ٣ أيار طلب المندوب البولندي دعوة الوكالة اليهودية لحضور اجتماعات الجمعية العامة والادلاء بأرائها حول تشكيل اللجنة وصلاحياتها ، ودعم الاتحاد السوفيتي بقوة هذا الاقتراح ، وارتأى المندوب الأمريكي ان يُستمع الى المنظمات غير الحكومية أمام اللجان فقط ، واقترح أن تحضر الوكالة اليهودية جلسات اللجنة السياسية لا الجمعية العامة ، وفاز هذا الاقتراح في ٥ أيار . واحتج المندوبون العرب على دعوة الوكالة اليهودية من دون الهيئة العربية العليا ، ودعا مندوب الهند لعقد اجتماع فوري توجه فيه الدعوة الى اللجنة العربية ، فاتخذ قرار بالموافقة في ٧ أيار ، ولكن لم يسمح لأبيها بالكلام أمام الجمعية العامة .

وقبل أن يُشرع في بحث مسألة فلسطين ، جرى جدل بشأن ما لقرارات الأمم المتحدة من قوة تنفيذية ، وانجلي عن ان كل توصية من الجمعية العامة ليس لها قوة تنفيذية بالمعنى القانوني . وفشلت محاولات ترمي الى الحصول على تأكيد من بريطانيا باتباع توصية الجمعية العامة وتنفيذها ، إذ رفضت بريطانيا ان تلزم نفسها باتفاق من هذا النوع . ومنذ بداية

المناقشات قدمت الولايات المتحدة مسودة قرار بتحديد صلاحيات اللجنة المقترح تشكيلها لدراسة الموقف في فلسطين وتقديم تقرير عنه ، وكانت الصلاحيات عريضة الخطوط ذات مرونة كبيرة. وأخيراً تشكلت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (أنسكوب UNSCOP) من أحد عشر عضواً بعد أن استبعدت الدول الخمسة الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الأمن ، بحجة أن اشتراكها قد يفضي إلى وضع تقرير متحيز . والحقيقة ان الولايات المتحدة خشيت من اهتمام السوفييت بمشكلة فلسطين ، فقررت إبعادهم عن ميدان الشرق الأوسط والحيلولة دون التغلغل السوفييتي في أقطاره ، وذلك عن طريق عضوية السوفييت في اللجنة^(١). وجرى اختيار اعضاء اللجنة الأحد عشر من دول اوستراليا ، كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، غواتيمالا ، الهند ، هولندا ، ايران ، بيرو ، السويد ، الاورغواي ، يوغوسلافيا ، وهي دول صغيرة ومتوسطة ليس لها مصالح ولا التزامات مباشرة في فلسطين ، وقد عين القاضي السويدي اميل ساندستروم Sandstrom رئيساً للجنة . واشتملت صلاحياتها على البحث في جميع المسائل والنتائج المرتبطة بمشكلة فلسطين ، على أن تقدم تقريرها الى الجمعية العامة في دور انعقادها التالي في ايلول ، ويكون التقرير شاملاً لما تراه اللجنة من المقترحات لحل المشكلة .

وقد احتج عرب فلسطين بقوة ضد قرار إرسال لجنة أخرى الى فلسطين ، وصوتت جميع الدول العربية ضد قرار الجمعية العامة ، مؤيدة من الافغانستان وتركيا . وكان تشكيل اللجنة يمثل تحيزاً آخر ضد عرب فلسطين والدول العربية ، إذ أن عدداً من اعضائها كانوا معروفين بميولهم الصهيونية أو خضوعهم للضغط الامريكاني . أما المندوب اليوغوسلافي فقد كان تصرفه يدل على تأييد كل ما هو مناوئ لبريطانيا ، وكان اثنان من اعضائها على

Garcia - Granados, Jorge • The Birth of Israel : The (١)
Drama asl Saw it . ., N. Y. 1949 , pp. 5-6

الأقل صهيونيين بارزين ، أحدهما هو جورج غارسيا غرانادوس مندوب غواتيمالا الذي عرف بمساعيه الدائبة للتأثير على اللجنة . والآخر هو رودريغز فابريغات Fabregat مندوب الاورغواي ، وبلاده تتحكم في سياستها جالية يهودية ناشطة تتركز في عاصمتها ، وكان اندفاعه في تأييد وجهة نظر الصهاينة موضع دهشة في الأمم المتحدة (١) .

وقد أعلن المندوب البريطاني في الأمم المتحدة السير الكسندر كادوغان في ٩ أيار أن حكومته برغم احترامها لأي قرار تصدره الجمعية العامة ، فيجب أن لا تملك وحدنا مسؤولية فرض قرار لا يقبله الطرفان (العرب واليهود) ، والذي لا يمكننا أن نوافق بينه وبين ضميرنا . وقد عبرت الحكومة البريطانية عن هذا الموقف نفسه غير مرة خلال مختلف مراحل نظرية القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، وحتى انتهاء الانتداب ، وانسحاب القوات البريطانية من فلسطين . وقد أبرز هذا الموقف البريطاني مسألة فرض أي قرار تتخذه الجمعية العامة بشأن فلسطين ، وأصبح من أول ما تحسب له السياسة الامريكية حياجه ، بإزائها . ولذا انتقد قطاع هام من الصحافة الامريكية هذا الموقف البريطاني ، كما انتقده الصهاينة وأنصارهم في الأوساط السياسية الامريكية . أما العرب فقد علموا أن تحقق بريطانيا من أن الانتداب لا يمكن العمل به ، وأن التزاماتها للجانبين غير متطابقة ، قد استغرق منها ثلاثين عاماً ، منذ أن رمت فلسطين بوعدهم بلفور ، فخلقت به معضلة لم تكن ماثلة من قبل ،

(١) تشكلت اللجنة من السير عبدالرحمن عن الهند ، ونصرا لله انتظام عن ايران ، فلاديمير سيميك Simic عن يوغوسلافيا ، كارل ليسبكي Lisicky عن تشيكوسلوفاكيا ، نيقولا بلوم Blom عن هولندا ، ارتورو غارسيا سالازار عن بيرو ، فيكتور هو Hoo الصيني ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، جون هود Hood عن اوستراليا ، ساندستروم عن السويد ، ايفان راند Rand عن كندا ، بالإضافة الى غرانادوس وفابريغات ، وكان يساعد في اعمال السكرتارية الدكتور رالف بانس ، والدكتور غارسيا روبلز . وما يذكر أن تشكيل اللجنة على هذا الشكل مع استبعاد الدول الخمسة الكبرى كان اقتراحاً أستراليا .

Granados, pp. 6, 9 - 12

واغرقت البلاد بالمهاجرين اليهود الذين اعترف السير آلان كاننغهام المندوب السامي البريطاني الأخير ، أنه لولا السلاح البريطاني لما ارتفع عدد اليهود من ٤٨ ألفاً عام ١٩٢٢ الى ٦٤٠ ألفاً عام ١٩٤٨^(١) . وبعد أن اطمانت الى قوة هؤلاء لاغتصاب البلد من اصحابه العرب ، غلت يديها من (المعضلة) في هذا الوقت المتأخر جداً ، وأعلنت عدم رغبتها في فرض أي حل ، ولا يقبله الطرفان ولا ينطبق مع مقتضيات ضميرها ، !! وبما يستحق التسجيل ان الخلاف الرئيسي دار حول تضمين إشارة إلى استقلال فلسطين كهدف نهائي في توصيات لجنة التحقيق . أصرت الدول العربية ، مؤيدة من الاتحاد السوفيتي ، تضمين تلك الإشارة ، بينما عارضه الولايات المتحدة على اساس أن ذكر (الاستقلال) في موجّهات الانسكوب سيكون استباقاً للحكم في الموضوع . وذكر المندوب الأمريكي السبب بصراحة في قوله : « لأن الممثلين اليهود هم من المنادين بالدولة الصهيونية ، وأي التزام مسبق لمصلحة استقلال فلسطين المبكر ، سوف لا ينطبق مع الأماني الصهيونية »^(٢) . وتثبت المندوب الأمريكي بموقفه ، ثم ترحزح عنه قليلاً واقترح : « ان اللجنة الخاصة في دراستها لمستقبل الحكم في فلسطين سوف تولي عنايتها الكاملة لضمانات شعوبها (فلسطين) في الحقوق اللازمة للسلام والاستقلال^(٣) » .

عارض المندوبيون العرب ذلك بشدة ، لأنهم وجدوا أن استعمال كلمة (شعوب) إنما هو إشارة خفية للتقسيم . وكانت النتيجة أن حذفت أي إشارة إلى (الاستقلال) من

Alan Cunningham • Palestine , The Last Days of the (١)
Mandate • , International Affairs , April 1948 , p. 811.

U. N. Official Records of the First Special Session of the (٢)
General Assembly, Vol. III pp. 202-5

ibid., p. 288 (٣)

بنود صلاحيات ومهام اللجنة ، وبدأ جلياً أن غالبية أعضاء الجمعية العامة كانوا يفتفون بأرائهم أثر المندوب الامريكى (١) .

وفي غضون المناقشات كان المندوبون العرب يستكروون المزاعم الصهيونية ويشجون استمرار الانتداب على فلسطين ، ويدافعون عن استقلال فلسطين العربية بكافة أقليتها مع كل الضمانات . ومضوا يقولون إن أي انحراف عن هذا الهدف من جانب الامم المتحدة يجب أن يجري فرضه على عرب فلسطين ضد ارادتهم ، واحتفظ المندوبون العرب بحق حكوماتهم في اتخاذ الموقف مستقبلاً . وشرح ممثل الهيئة العربية العليا موقف مواطيه عرب فلسطين وقال انهم يطالبون بفلسطين دولة مستقلة ووقف الهجرة اليهودية إليها فوراً . وأعلن أن العرب سوف يعارضون جميع صلاحيات اللجنة ونتائج تحقيقها ، إذا كانت تعارض وأمانهم وحقهم في بلادهم . أما ممثل الوكالة اليهودية فطلب انشاء الدولة اليهودية ، وقال انه الحل العادل .

وقد توضح موقف الاتحاد السوفيتي بصدد قضية فلسطين حين عبر اندريه غروميكو Gromyko المندوب السوفيتي عن تأييد حكومته لأمنية اليهود في تأسيس دولة خاصة بهم ، والنظر في تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين واحدة يهودية وواحدة عربية ، وذلك في حال تعذر حل القضية عن طريق « تأسيس دولة ثنائية ديموقراطية متجانسة عربية يهودية » (٢) . أما الموقف الامريكى فلم يذكر التقسيم بعد ، وظل بمعناً في الحذر لا في غضون هذه المناقشات فحسب ، وانما طوال الأشهر الثلاثة التي أجرت فيها اللجنة الخاصة

(١) Granados , p. 6 ويعترف غرانادوس أن الدول الكبرى كانت تناور من أجل

مصالحها وان « معظم الدول الصغرى - باستثناء الكتلة الاسلامية - كانت تخشى معاداة البلاد الأكثر نفوذاً » .
ibid p. 7.

(٢) ibid. Vol I, Plenary Meetings, pp. 132, 131

(الانسكوب) اجتماعاتها وتحقيقاتها . ورفضت الخارجية الامريكية في هذه الآونة ان تكشف النقاب عن وجهات نظرها إلا بعد أن ينشر تقرير اللجنة الخاصة المكلفة بالتحقيق .

وقبل أن نتابع أعمال اللجنة في فلسطين ، ينبغي أن نلقي بعض الضوء لتحليل الجو السياسي العام الذي انطلقت أثناءه اللجنة لانجاز مهمتها ، إذ لا يعقل ان تبقى اللجنة في معزل عن تأثيراته حين تضع اعتباراته موضع النظر في توصياتها النهائية ، كما انه لا يعقل أن لا تكتوثر اللجنة برأي الدولتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تجاه فلسطين ، لأن ذلك يفضي الى إخفاق الحل الذي ترتأبه . ومن المعلوم أن موقف الدولتين كان مؤيداً بشكل أو بآخر لتقسيم فلسطين ، وان تحفظ السوفيت بأن التقسيم يجب إجراؤه فقط عندما يتعذر التوفيق بين مطالب العرب والصهاينة ، إما كان تحفظاً نظرياً أكثر منه واقعي ؛ لأن مطالب الفريقين كانت غير متطابقة في الأصل ، وأمرها واضح لذي عينين . وفيما يلي شرح للموقف الدولي :

الموقف الامريكي :

فالولايات المتحدة كانت في ؛ تشرين الأول قد أبدت الأمامي الصهيونية في انشاء دولة يهودية في بيان الرئيس ترومان ، ولا حاجة بنا الى شرح التأييد الذي تلقاه الصهيونية من الرأي العام الأمريكي ، فزادت - وقد شدّ التأييد الامريكي من أزرها - في مطالبتهها بدولة يهودية ومجربة الهجرة والاستيطان في كل أنحاء فلسطين ، ولم تقبل التقسيم إلا على أنه الحل الأخير^(١) . وكانت الدعاية الماكرة التي ينظمها الصهاينة اليهود في الولايات المتحدة يزداد تأثيرها على عقول الامريكيين وجيوبهم^(٢) .

Alan Cunningham, Palestine, the Last Days of the Mandate, (١)
International Affairs, April 1948 p. 812

ibid.

(٢)

وبينا كان الغليان والتوتر يسودان فلسطين نتيجة جرائم الارهاب الصهيوني ، ازدادت جرأة الصهاينة الامريكيتين في تأييد الهجرة غير الشرعية ، فأعلنت المنظمة الصهيونية أنها قطعت على نفسها عهداً بمساندة الحملة الرامية لمساعدة اللاجئين اليهود في الوصول الى فلسطين بدون تأشيرات أو سمات^(١) . وحين حالت السلطات البريطانية في فلسطين دون وصول الباخرة (اكودس - Exodus) بركابها البالغ عددهم (٥٥٠) الى البر الفلسطيني ، شنت أجهزة الدعاية الصهيونية في كل أنحاء العالم حملة شعواء ضد بريطانيا ، فنشرت الصحف العالمية كل مرحلة من مراحل سفر الباخرة ثم إعادتها الى ميناء هامبورغ ، وجرى اجتماع حاشد في نيويورك طالب فيه المجتمعون حكومة واشنطن بالتدخل والعمل^(٢) . وتكرر هذا الطلب من جانب اللجنة اليهودية الامريكية ، وعدد من أعضاء الكونغرس . وفي الوقت نفسه برزت جماعة امريكية لنصرة الهاغانا ، وتشكلت من ممثلي جميع الاحزاب الصهيونية الامريكية ما عدا التصحيحيين . وبذلك تم تأييد علني للهجرة اليهودية غير الشرعية باعتبار أن الهاغانا كانت ضالعة تماماً في هذا النشاط . وفي تشرين الاول اصبح بارتلي كرام رئيساً لهذه الجماعة ، ومعه هربرت ليهان وصنبر ويلز ووليم ادوير وغيرهم . كذلك أسدت عدة منظمات امريكية معونة كبرى للهجرة غير الشرعية ، ومن هذه المنظمات الرابطة الامريكية لفلسطين الحرة ، واللجنة العبرية للتحرر الوطني ، ولجنة العمل السياسي من أجل فلسطين ؛ وهذه المنظمات كلها كانت تقوم بجمع الأموال والتبرعات من الامريكيتين لتعزيز فعال الارهاب الصهيوني . وبلغت الصفاقة بعضو الكونغرس جوزيف بالدوين ، أن وقف في نيويورك يدافع عن فعلة جلد الجنود البريطانيين الاربعة على يد الارهابيين ، ويؤكد لزعم الأروغون منحهم بيغن أنه سوف يعمل كل ما بوسعه لتوضيح

New York Times, March 3,1947

(١)

ibid., July 25 , 1947

(٢)

سياسة بيغن في الولايات المتحدة^(١) . كذلك أبدى مجلس المنظمات الصناعية في الولايات المتحدة (C. I.) والسيدة ايليانور روزفلت أرملة الرئيس السابق ، واللجنة المسيحية لفلسطين .. غيرة عظيمة لنصرة القضية الصهيونية . واحتلت أنباء الصدامات التي وقعت بين المنظمات الصهيونية التي تتولى تهريب المهاجرة اليهودية غير الشرعية وبين القوات البريطانية مركز الصدارة في الصحف الامريكية ، وارتفعت الاصوات وتعددت التصريحات لمصلحة المشردين اليهود وما يقاسونه من بؤس وشقاء . وبراعة التكنيك الدعائي الصهيوني الخبيث كانت تستند الى الجهل الذي يسود الرأي العام للوضع السياسي والاجتماعي في الشرق العربي ؛ فقد أشاع عملاء الصهاينة أن أقطار الشرق الأوسط (العربي) يسكنها شعب بدوي ، وقامت المؤسسات الصهيونية الواسعة النفوذ في عالم الدعاية والمال بنشر هذه الأضاليل ، حتى طالب رجل الشارع بضرورة فتح أبواب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعها^(٢) ، وخاصة حين أدخل الصهاينة في روع الامريكيين أنه يمكن التضحية بمصالح ذلك الشعب البدوي دون أن تتعرض مصالح الولايات المتحدة لأي خطر . هذا إلى « أن إقامة دولة يهودية جديدة كان يبدو وسيلة جيدة للتخلص من اليهود في امريكا » على ما يقول ليلينثال^(٣) .

وقد فعلت تلك الدعاية فعلها في الأوساط اليهودية ، وخاصة في الولايات المتحدة - وهنا بيت القصيد - مما حفز ثرياً يهودياً صهيونياً يقيم في هوليوود ويدعى (بن هخت (Ben Hecht) ان ينشر رسالة تشجيع بعنوان « رسالة الى الارهابيين في فلسطين » ،

Lilienthal, op. cit., pp. 42-43 (١)

ibid., p. 45 (٢)

ibid., p. 72 (٣)

يستنفر فيها عصابات الأرغون وشيرين التي كانت ماضية في اقتراف فعال التخريب والقتل ، ويقول : « ان اليهود في امريكا معكم ، إنكم أبطالهم ، إنكم الابتامة التي يعيشونها ، انكم الريشة في قبعاتهم .. وفي كل مرة تنسفون فيها مستودع سلاح بريطاني أو تنسفون قطاراً بريطانياً ليتطاير في الهواء أو تسلبون مصراً بريطانياً ، أو تطلقون سلاحكم وقنابلكم على الحونة البريطانيين وغزاة أرضكم ، أقام لكم يهود أمريكا الأفراح في أعماق قلوبهم » ، وختم رسالته بالتاكيد - للأصدقاء الشجعان - « اننا نعمل لمساعدتكم ، وإننا نجمع الأموال لكم » (١) .

إن هذه الرسالة لا تحتاج الى تعليق ، فهي معبرة وصریحة تدل دلالة واضحة على ان الارهاب الصهيوني لم يكن ممكن الحدوث لولا ما يلقاه من الدعم والتأييد المادي والمعنوي من ذوي النفوذ المتعاطفين معه في الولايات المتحدة . وحين صادرت السلطات البريطانية في فلسطين المركب (ابريل April) الذي يمتلكه بن هتت ، وكان يحمل مئات المهاجرين غير الشرعيين ، قام الارهابيون الصهاينة بالرد على هذا العمل بنسف أنابيب بتروك نفط العراق المتجهة الى حيفا (٢) .

خطا الصهاينة خطوة هامة حين وضعوا مشكلة فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة بشكل فيه خيار بين أمرين : إما أن يستمر الانتداب كما كان قبل عام ١٩٣٩ ، وإما أن يمنح (شعباً) فلسطين شكل استقلال ما ، فهذه الخطوة أبرزت مسألة قومية لم يكن لها من قبل كبير اعتبار . وكانت خطوة الصهاينة الأخرى بعد وضع هذه المسألة على جدول أعمال الأمم المتحدة ، هي بذل المعنى للتأكد من أن الأمم المتحدة سوف تقرّ مبدأ

New York Herald Tribune of 15 May 1947, quoted by (١)

Hadawi , op. cit, pp. 74-75

Lilienthal, op. cit., p. 45 (٢)

الاستقلال لفلسطين ، ثم تصادق على انشاء دولة يهودية في جزء من فلسطين على الاقل .
واستخدم الصهاينة اسلوبهم المرحلي الذي ثبت نجاحه منذ قيام حركتهم ، وذلك حين اهتم
مجلس الطوارئ الصهيوني بموضوع الاستراتيجية الصهيونية ، فقرر في ١٧ شباط مطالبة
الأمم المتحدة بالاعزاز الى حكومة لندن لتنفيذ بنود الانتداب ، ومطالبة الولايات المتحدة
بأن تتزعم تأييد الأماني الصهيونية . والمرحلية تبدو هنا في إغفال موضوع الدولة القومية
اليهودية مؤقتاً ، والالاحاح على الهجرة غير المقيدة الى فلسطين ، لأن الصهاينة شعروا أنه
ليس من المناسب ان تضغط منظماتهم سريعاً وتوأ على الامم المتحدة كما تحمض الوضع
السياسي الأخير لفلسطين ، لاسيما وأن هيئة الأمم المتحدة ، على نقيض عصبة الأمم
السابقة ، ليست مرتبطة بأي حل في صالح الصهاينة . ولذا فتأكد « الوجه الشرعي »
للانتداب الذي صادقت عليه عصبة الأمم السابقة خطوة تكتيكية لإكساب الهجرة المطلقة
شكلاً مشروعاً وتأييداً عالمياً من ناحية ، ومن ناحية ثانية لمحل حكومة واشنطن على
التدخل لتقرير السياسة التي يجب أن تسود الشرق الأدنى ، وحينذاك يمكن للصهاينة أن
يوجهوا لخدمة أهدافهم . وكان لا بد من شعار يُرفع في هذه المرحلة بما يوحي أن الاعتماد
على اليهود في فلسطين هو بمثابة الاعتماد على حصن قوي للديموقراطية ، ضد أي نوع من الحكم
الديكتاتوري الاقطاعي في الشرق الأوسط المتفكك . والفكرة التي تكمن وراء هذا الشعار
هي ربط الجماعة اليهودية في فلسطين بسياسة أمريكا الجديدة المناهضة لروسيا في الشرق
الأوسط . ولا حاجة الى القول إن هذه الفكرة لا يمكن اذاعتها في هذه الآونة التي يحتاج
فيها الصهاينة الى دعم الاتحاد السوفيتي في الامم المتحدة ، ولكنها كانت فكرة سيجري
استغلالها الى أقصى حد بعد تحقيق الصهاينة هدفهم في موافقة الامم المتحدة على التقسيم .
والتكتيك الآخر الذي تبناه الصهاينة كان استغلال الاهتمام الأمريكي المتزايد بالشرق
الأوسط ، لإضافة ضغط جديد على بريطانيا التي كانت تعاني من الصعوبات المالية في

المنطقة . والمدعش أن يصل النفوذ الصهيوني الى الأوساط السياسية الأمريكية العليا ويمارس عليها الضغط ليجعل مقرراتها في خدمة الأغراض الصهيونية ، دون أن يرتفع صوت واحد بالاعتراض على هذا الاستغلال الخطير الذي قد يهدد أمن أمريكا والعالم الغربي على حدّ سواء . ففي أثناء المناقشة بشأن مشروع قانون المعونة الأمريكية لليونان وتركيا ، وهو تديبرٌ قصد منه انقاذ سياسة التطويق التقليدية البريطانية ضد روسيا ، أوحث الصهيونية لأنصارها بأن عنى الولايات المتحدة ان تساوم حكومة لندن بأن المعونة الأمريكية لها في ذبك البلدين ، مشروطة بموافقتهم على السماح لمائة ألف يهودي بدخول فلسطين . لقد ارتأى الصهاينة الامريكانيون وجوب حمل الخارجية الأمريكية على ابلاغ بريطانيا بأنها لا تستطيع تخفيف أعبائها في اليونان وتركيا ما لم توافق على المطالب الأمريكية بشأن فلسطين . وظهر أن الصحافة الأمريكية نسبت أن هذا الاسلوب من شأنه تهديد الأمن في الغرب على حساب الأهداف الصهيونية ، فظهرت عناوين (تهويشة) هدفها التأثير على الرأي العام العالمي ، ولا سيما على الساسة البريطانيين ، ومنها : « أخبروا البريطانيين أنه لن يكون هناك مساعدات للسياسة البريطانية في اليونان وتركيا إلا اذا اتبعوا خطة الولايات المتحدة بشأن فلسطين »^(١) . وبرغم تحذيرات وزارتي الحرية والخارجية للبيت الأبيض والكونغرس من مغبة الضرر البالغ الذي قد ينجم عن تصيد الاصوات اليهودية للانتخابية بشأن فلسطين ، على الوضع الأمريكي في واحدة من أهم البقاع الاستراتيجية في العالم ، فإن الساسة الأمريكيين لم يكثرثوا لهذه التحذيرات وضحووا بها من أجل سياسة تحقق مآربهم الشخصية والحزبية . وتعدت لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية ياخذاد كل صوت حرّ بتنقد الاساليب الصهيونية أو ينال من أهدافها ، وذلك عن طريق تخويف أبة مجلة أو صحيفة « مذنبه » بقطع الاعلانات والاشتراكات عنها . ولكن الحكومة الأمريكية لم تعلن في الامم

Lilienthal, op. cit , p. 46

(١)

المتحدة بعد عن سياستها بصدد فلسطين برغم الضغوط الصهيونية عليها ، إلى أن تراجعت عن هذا الموقف الصامت يوم ١١ تشرين الاول حين أعلن الجنرال مارشال وزير الخارجية الذي خلف بيرنز رسمياً ، عن تأييد بلاده لمشروع الاكثريّة في اللجنة الخاصة ، الذي يقضي بالتقسيم والمجرة اليهودية كما سنرى .

الموقف السوفيتي :

أحاطت بالموقف العربي والدولي مجموعة من الظروف والملازمات أسهمت في صوغ الموقف السوفيتي من قضية فلسطين في هذه المرحلة الحطيرة من نظرها في هيئة الامم المتحدة ، وأهمها :

أ - مال الاتحاد السوفيتي الى الاعتقاد بأن العرب يؤيدون بريطانيا في حين يناهضها الصهاينة في فلسطين ، وبما ساعد على هذا الاعتقاد أن بعض الزعامات العربية اتجهت للتفاوض مع بريطانيا من أجل الاستقلال ، هذا الى تبني بريطانيا فكرة انشاء جامعة الدول العربية ، والحلافات المظهيرية حول الحطة المثلى لتحقيق هدف الاستعمار والصهيونية بين المنظمات الارهابية الصهيونية وبين الادارة الانتدابية في فلسطين .

ب - مال الاتحاد السوفيتي الى الاعتقاد بأن الحركة القومية العربية لم تعبر عن تأييدها الكافي أثناء الحرب ، وتخيل أن بعض الزعماء العرب كانوا على صلة بالامان النازيين ، على حين كانت الدوائر الصهيونية تبسط يدها بالمودة والتودد الى الاتحاد السوفيتي ^(١) .

(١) كتبت المجلة الصهيونية Zionist Review في عدد ٢٨ آب ١٩٤٢ تقول : « كثير من يهود فلسطين (اليسوف) ما زال حب الشعب الروسي وأدبه جزءاً من تراثهم الثقافي . فضلاً عن ان عدداً كبيراً من القادة الصهاينة قد ولدوا في روسيا ... وكان للصهاينة الروس نفوذ ضخم في نمو الحركة ... وان عدداً كبيراً من قادة المستدروت قد تأثروا في شبابهم بالحركة الثورية الروسية ، واستوحوا من اعمال المفكرين والكتاب والشعراء الروس الكبار . ان بناء المستعمرات الجماعية في =

ج - وجد لدى الحكومة السوفيتية إحساس بضرورة التخفيف عما لحق باليهود نتيجة الاضطهاد النازي أثناء الحرب ، ومن هنا دعوتها للربط بين مشكلة اللاجئين اليهود في اوربا ومسألة فلسطين .

د - شاع الاعتقاد لدى الحكومة السوفيتية أن قيام حكم صهيوني في فلسطين هو انتصار لحركة التحرر الوطني التي يعتبر تأييدها من أساسيات السياسة الخارجية السوفيتية ، وان الصدام الحقيقي هو بين هذه الحركة وبين القيادات الرجعية العربية ، وهو ما أسهب في توضيحه اندريه غروميكو المندوب السوفيتي لدى الأمم المتحدة في مجلس الأمن (٢١ أيار ١٩٤٨) . وقد ساعد على هذا الاعتقاد ان قيادات الدولة الصهيونية التي قامت على جزء من فلسطين المحتلة كانت تنتمي في أصولها الى يهود اوربا الشرقية وروسيا ، وترعمت الحركة الصهيونية منذ بدئها ، دع تحلف النظم الاجتماعية والسياسية العربية ، بالمقاييس الماركسية . ورفض الزعامات العربية عمداً التعاون مع الاتحاد السوفيتي وتخوفها من التقارب معه .

= فلسطين يشعرون بالتعاطف مع الافكار الاجتماعية التي قامت بدور عظيم في التاريخ الروسي خلال الستين والسبعين سنة الأخيرة » .

Quoted in Kirk, Survey for 1939 - 45 , pp. 332 - 33 footnote.

وكتب أحد الصهاينة عام ١٩٤٤ موضحاً للاغاد السوفييتي المزاي التي تنتج عن تأييده للحركة الصهيونية قائلاً : « لقد فضل المحافظون البريطانيون التحالف مع الدوائر الاقطاعية العريضة في الشرق الاوسط بدلاً من التحالف مع المستوطن اليهودي الاوربي . ان هذه الظروف قد تدفع روسيا السوفيتية الى تحالف قوي مع اليهود الفلسطينيين ، معطية تأييدها غير المشروط لفلسطين يهودية . واتباع هذه السياسة فان روسيا لن تكسب فقط العرفان الابدني من عديد الجماعات اليهودية في العالم ، وتأييد مختلف الأمم في اوربا المهتمة بهجرة اليهود الذين يقطنون فيها ، وانما ايضاً ستحصل على مركز ممتاز في الشرق الاوسط » .

Barbour, op. cit , p. 223

• إن التأييد السوفيتي لتقسيم فلسطين ، كما جرى به لسان غروميكو رسمياً قبل بدء اللجنة الخاصة عملها في فلسطين ، يمكن اعتباره خطوة للتقرب من اليهود المقيمين في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، ولإرضاء بعض الزعامات المحسوبة على الأحزاب الاشتراكية الأوروبية (١) .

وأهم من هذا وذلك ان الاتحاد السوفيتي كانت تسيره الحسابات التكتيكية الباردة التي كان يتصور بموجبها مصلحته ليضعها فوق كل مصلحة ، وهي التي جعلته حتى النهاية يصوت لصالح قرار التقسيم (٢) .

(١) حرصت الصهيونية على احتلال مركز الوسط في الصراع الناشب بين كتل اليمين وكتل اليسار في معظم اقطار أوروبا الغربية ؛ فتارة توازر هؤلاء وتارة تساند أولئك ، لأن الصهيونية تقدر أن إغفال أمر اليسار الذي أصبح له سلطانه على الجماهير ، قد يبعدها عن الصفوف الأمامية . وتسمى الصهيونية جاهدة لاضفاء صفة الانسانية على مذهبيتها لكي تخفي حقيقتها العنصرية والعدوانية والاستعمارية التي تتنافى تماماً مع المبادئ الاشتراكية . والصهيونية إذ تشارك اليسار في معاركه حتى لاتفقد ثقة جماهيره ، لاتريد في الوقت نفسه لأي أوربي أن يشكو ظلماً سوى ظلم النازية ، ولا تريد لأية ثورة تحررية منها تعاطفت ضحاياها أن تطفئ على الصورة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية عن ضحايا النازية من اليهود ، كأنما قضايا تحرير الانسانية من العبودية والاستغلال قابلة للتجزؤ على هذا النحو المغلوط . وقصد الصهيونية من ذلك وأضح هو خوفها من ان تختفي «قضيتها» التي برعت في إخراج مسرحيتها ، من أذهان المثقفين والسياسيين والنقائيين المتأثرين بها .

(٢) تفسر بعض المصادر السوفيتية دعم الكرملين لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ بأن الجناح اليساري في الحركة الصهيونية أومم السوفيت بأنه يسيطر على الحكم في اسرائيل ، ويوجه توجيهاً يسارياً يفضي الى احسن الفرص لانتشار الشيوعية . هذا الى الموافقة الضمنية من الاحزاب الشيوعية التي ذكرت في تقاريرها الى موسكو أن العداء الجماهيري العربي الموجه نحو (اسرائيل الاشتراكية) ليس إلا موجة عاطفية يقوم بتصعيدها الرجعيون العرب .

(والتر لاکور : « الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط » الترجمة العربية - بيروت ١٩٥٩ ص ٣٦٢) =

هذا تصوير عام لموقف الدولتين الأعظم من قضية فلسطين في هذه الآونة ، أجهلناه
ثلاثاً نظراً الى تكرار تفسيره في عرضنا لسباق الأحداث التالية .

أما عرب فلسطين فكانوا يرقبون بقلق بالغ ما يجري في الأمم المتحدة ، ويتقصون
بدقة مناورات الدول الكبرى . كانوا مقتنعين ان السياسة الامريكىة هي مؤيدة
للصهيونية قطعاً ، وفسروا الاحاح الامريكى على تشكيل اللجنة الخاصة من ممثلي الأمم
الصغيرة تقريباً بأنه مخطط بارع للوصول الى نتائج مؤكدة مواتية للصهيونية . واستنكر
جمال الحسيني نائب الهيئة العربية العليا تشكيل اللجنة على هذا الوجه ، وقال ان ممثلي
الدول الصغرى ليس لهم مصلحة مباشرة في مصير فلسطين ، على عكس الدول الكبرى ،
وإنما هم عرضة للضغط اليهودي وخاصة الضغط المالى من الولايات المتحدة أو في بلادهم
وهدد جمال بأن اللجنة الخاصة اذا فرضت قراراً لا يتفق مع مبادئ الديمقراطية ، فإن

= وتفسر الأوساط الغربية دعم السوفيت لتقسيم فلسطين بأنه كان يستهدف أمرين :

١- إضعاف النفوذ البريطانى في الشرق الأوسط على اعتبار أن اسرائيل ستكون معادية لبريطانيا التي تحكم
حركة التطويق ضد الاتحاد السوفيتي ، وان هذا التأييد السوفيتي للصهيونية كان جزءاً من مجرود متناسق
لضرب بريطانيا التي لاتزال مهيمنة على مقدرات الشرق الأوسط . وان ما حفز ستالين عامي ١٩٤٥ و
١٩٤٦ لم يكن عطفه على الصهيونية بقدر ما كان كرهه للغرب .

٢ - خلق نواة للاضطراب في الشرق الاوسط ، وذريعة للتدخل في منطقتة الاستراتيجية النفطية
كوسيلة لنشر الشيوعية عن طريق خلق موطنىء قدم للسوفيت فيها ، طالما ان الأوضاع في العالم
العربى آنذاك لم تنطو على ما يضمن الوصول اليه مباشرة . اذن فالاعتراف السوفيتي الذي سيتلو
بإسرائيل لا يرجع الى أي تعاطف سوفييتي مع الصهيونية وإنما يرجع الى الاعترافات المعادية لبريطانيا والغرب .

Clarkson , Jess . A History of Russia from the Ninth Century .
London 1962 , p. 820

التشاؤم البريطاني بحدوث ردة فعل عربية عنيفة سيصبح أمراً محتماً^(١) . وحتى قبل إلغاء غروميكو خطابه بتأييد التقسيم ، فالشعور كان يسود الاوساط العربية في فلسطين بأن موسكو لن تتخلي عن نظرتها التقليدية المناهضة للصهيونية ، وسوف تنحاز في النهاية الى الجانب العربي . ولكن العرب الآن أصيبوا بنجبة أمل ، في حين زها الصهانية فرحاً بالبيان السوفيتي ، وشعروا ان مطالبهم قريبة التحقيق ، بعد مساندة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وقد مُصعق العرب بموقف موسكو ؛ فقبل اسبوع من خطاب غروميكو ، أنهى جمال الحسيني للمراسين الأجانب في القدس بأن الهيئة العربية العليا تقوم باتصالات مع الاتحاد السوفيتي لإرسال وفد عربي الى موسكو ؛ وقبل البيان الروسي بيوم واحد ، اكد مصدر عربي مأذون ان العرب في ياسهم قد يقبلون المعونة من روسيا^(٢) . وهنا انقلب اعتقاد الهيئة العربية العليا الى يقين بأن الدول الكبرى راغبة في التستر وراء الأمم المتحدة لبلوغ أغراضها الخاصة ، وأن حصيلة التحقيق لن تنسجم مع مبادئ الحق والعدل .

اللجنة الخاصة في فلسطين :

وصلت اللجنة الخاصة الى فلسطين في ١٤ و ١٥ حزيران ، وخلال اقامتها في الشرق الأوسط عقدت ٣٦ اجتماعاً ، وكان من البديهي ان يرى عرب فلسطين ان غالبية اعضائها جاءت الى فلسطين ولديها ميل مسبق لقبول (الحل الصهيوني) الذي يقوم على تقسيم الارض المقدسة . ولذا فقد أبرق ممثل الهيئة العربية العليا الى الأمين العام للأمم المتحدة في ١٣

The Times, 21 May, 1947

(١)

(٢) Hurewitz, op. cit , p. 289 انظر جريدة (فلسطين) بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٧ ،

و (الدفاع) بتاريخ ١٦ أيار ١٩٤٧ للاطلاع على ردود الفعل العربية حول تطورات قضية فلسطين في الامم المتحدة آنذاك .

حزيران بأن عرب فلسطين قرروا الامتناع عن التعاون مع اللجنة الخاصة او الظهور أمامها وذلك بعد استعراضهم الشامل للدواول والظروف التي تشكلت في ظلها اللجنة الخاصة ، والنقاش الذي أفضى الى تحديد صلاحياتها . واسباب مقاطعة لجنة التحقيق هي :

١ - رفض الأمم المتحدة تبني المجرى الطبيعي لقضية فلسطين بإدماج انهاء الانتداب وعلان استقلال فلسطين في جدول اعمال الدورة الخاصة للجمعية العامة ، وفي صلاحيات اللجنة الخاصة .

٢ -- فشل الأمم المتحدة في فصل مشكلة اليهود العالمية (مشردي اوربا) عن مسألة فلسطين .

٣ - تجاوز مصالح سكان فلسطين باسم المصالح الدينية العالمية ، برغم ان هذه الأخيرة لم تكن موضوع نزاع .

وأعلنت الهيئة العربية العليا ان الحقوق الطبيعية لعرب فلسطين في بلادهم هي بديهية بحد ذاتها ولا يمكن ان تتعرض للتحقيق باستمرار ، وإنما تستحق أن يعترف بها على أساس مبادئ ميثاق الأمم المتحدة^(١) .

ودعت الهيئة العربية العليا الى الاضراب العام يوم وصول اللجنة الخاصة الى القدس (١٧ حزيران) فعم الاضراب مدن فلسطين^(٢) ، والعواصم العربية الأخرى ، وكانت قوياً وشاملاً . أما الحكومات العربية ، فان اللجنة السياسية للجامعة العربية التي اجتمعت في القاهرة (٧ حزيران) رأت أنه لايسعها المقاطعة لأنها أعضاء في هيئة الامم^(٣) ، وقررت أن يقابل ممثلوها اللجنة مجتمعين . وكان مسلك عرب فلسطين تجاه اللجنة الخاصة

(١) U. N Document A 361. vol. II, Annexes, Annex 5, p. 5.

(٢) ذكر غرانادوس ان اللجنة استقبلت باضراب لمدة ١٥ ساعة 39 Granados, p.

ibid.

(٣)

مسلماً يقتصر على ما نوجه اصول اللياقة والترحيب دون الحوض معها بأي حديث حول المسألة الفلسطينية . وفي يوم ٦ تموز انعقد اجتماع عربي كبير في القدس باسم الدعوة الى الاحتفاظ بالأرض والتنديد بالمسيرة والبيعة ، والاحتجاج على قانون نزع ملكية الغابات ولإزالة الشيوخ وتسجيل الأراضي باسم المندوب السامي الخ .. وخطب في الحشد الكبير جمال الحسيني ، وتليت فيه رسالة من الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية المقيم في القاهرة ، وكان هذا الاجتماع بمثابة إسماع كلمة العرب بشكل غير مباشر الى اللجنة الخاصة .

أما الصهاينة فقد كانوا يتمنون مقاطعة العرب للجنة الخاصة لينفردوا بالميدان الدعائي المؤثر ، وليغرقوا أعضائها بالكتب والنشرات والاحصائيات والبيانات^(١) - ومعظمها مشوه كاذب . منها مرجع أساسي صهيو في يقع في قرابة السبعينات صفحة باسم (القضية اليهودية أمام لجنة التحقيق الانكلاو - امريكية) ، ومنها ٦٩ مستنداً أرسلتها المنظمات الصهيونية في اوربا وامريكا ، تحتوي على ادعاءات ملفقة تحور أية قضية كما تشاء وتغطيها بستار محكم من التجهيل ، وترزع في ضمائر اعضاء اللجنة القناعة بأنها حركة انسانية في المقام الأول . وذلك بتزوير التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه ، وذرف الدموع آسي ولوعة على ظلم الدنيا لليهود ، وتصوير النزاع مع العرب بأنه نزاع بين (البداوة) و (الحضارة) ، واتهام البريطانيين بأنهم متكبرون للعود التي قطعوها لهم منذ وعد بلفور الخ ... والحق ان اللجنة الخاصة كانت تعتمد في تحقيقاتها (بصرف النظر عن تحيز بعض أعضائها للصهيونية) على كل ما وصل اليها من الجانب الصهيوني .. مئات الصفحات من ضجيج الدعاية الصهيونية التي تمسح الحق وتحيله الى باطل مما كان حياذ الجهة التي احتكم اليها . ومن الناحية (القانونية) ،

(١) قدم المتحدثون الصهاينة الى اللجنة خرائط ومصورات واحصائيات عن الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية ، وزعموا أن الهجرة اليهودية أوجدت مقدرة استيعابية جديدة استفاد منها جميع سكان فلسطين ، وان الوكالة اليهودية وضعت خطة عملية لاستيعاب مليون يهودي آخر ، دون ان ينتزع أي عربي من أرضه !!

استمعت اللجنة الخاصة الى ممثل الحكومة الانتدابية الناطق باسمها^(١) ، ودرست تقريراً مقدماً من الحكومة البريطانية بعنوان (تاريخ فلسطين السياسي تحت الانتداب البريطاني)^(٢)، وكانت بمثابة تبرير لأعمال الادارة الانتدابية خلال ٣٠ عاماً ، ولم يتضمن مايفيد رفض العرب لوعدهم بلفور وللانتداب الذي نشأ عنه كما يفهم من التقرير، ومقاومتها منذ البداية. كما استمعت اللجنة الى مطران الانجليكان بالقدس ، وبعض المتحدثين المدنيين الانكليز . وأدلت مختلف، المنظمات اليهودية بشهادتها وكانت مائة منذ أرائل عام ١٩٤٦ لتقدم الى اللجنة الانكلو امريكية^(٣) .

وكان رئيس اللجنة الخاصة اميل ساندستروم السويدي قد أذاع من الراديو نداءً في ١٦ حزيران أكد فيه أنه وزملاءه قد أنوا إلى فلسطين بذهن مفتوح تماماً ، وانهم ينوون التوصل الى تقرير غير متحيز يقدمونه الى هيئة الامم المتحدة . ولكن ساندستروم لم

(١) قال سكرتير حكومة فلسطين السير هنري غورني Gurney جواباً على سؤال وجهه اليه السير عبد الرحمن عن الكليات والمعاهد الحكومية في فلسطين إنه لا يوجد منها شيء ، فقال له عبد الرحمن : ان مئات الألوف من الطلبة العرب لا يجدون مكاناً في المدارس ؟ فاجاب غورني : لدينا قصور في عدد المدارس . فقال عبد الرحمن : ان العرب حاولوا أن يضعوا أبناءهم في المدارس فلم يستطيعوا نظراً للقصور في المدارس ، أليس كذلك ؟ فاجاب غورني : صحيح تماماً ، فسل غورني كم تنفقون على الجيش والبوليس ، فأجاب غورني : لا تنفق شيئاً على الجيش ، وقد أنفقنا على البوليس في العام الماضي ٦ ملايين و ٥٢ ألف جنيه ، وهذا العام ٧ ملايين و ١٠ آلاف جنيه . وناجي غرانادوس نفسه قائلاً هل يمكن لأحد أن ينكر ان هذه دولة بوليسية ؟ وحين نسأل عبد الرحمن عما فعلته بريطانيا كدولة منتدبة للقيام بأعباء الانتداب الذي وكل إليها ، ساد صمت قصير ، وكان غورني ينظر من خلال النافذة الى الأفق .

Granados, pp. 45-46

The Political History of Palestine under the British (٢)

Mandate , Memorandum Presented by His Majesty Government, London, July 1947.

Hurewitz, op. cit., p. 290

(٣)

يلت ان اجتمع سراً بقيادة الأرغون ، كما فعل في مناسبة منفصلة مندوبا غواتيالا والأورغواي المعروفان بتعاطفها الشديد مع الصهيونية^(١) . و « لمساعدة » اللجنة الخاصة الخاصة على صياغة حل عملي لقضية فلسطين ، قام الصهاينة بإعداد الاحصاءات غير الصحيحة عن مناطق فلسطين المختلفة ، وعدد اليهود القاطنين فيها ، حتى اذا أوفت ساعة التقسيم على اساس توزيع الغالبية من السكان (عرب أو يهود) بحسب توزيعهم الفعلي في مناطق فلسطين ، وجدت اللجنة امامها خريطة يكاد لا يخلو جزءه فيها من (غالبية يهودية) . واذا تعذر تصديق ذلك ، أحيطت المناطق العربية بعدديد من المستعمرات اليهودية التي قيل ان آلاف اليهود يسكنونها ، وهم على أحسن وفاق مع جيرانهم العرب ، لولادانس المسقي ورعيه المهيح المقرض ! ألم يقل وايزمن ان انشاء احدى عشرة مستعمرة في النقب اهم بكثير من مئات الحطب ؟ أجل ان هذا هو الاسلوب العملي الذي به يؤمن عجوز الصهيونية . ولقد أقام الصهاينة بالفعل في ٦ تشرين الاول ١٩٤٦ احدى عشرة مستعمرة جديدة على ارض تحايوا لشرائها في جنوب فلسطين^(٢) . وادخروها ليوم يطالبون فيه بالنقب (مثلاً) ؛ أليس لهم فيه مستعمرات على أرض كانت « متروكة » ، فأصبحت أهلة يسكنها ؟ هاهم أولاء اليوم يرون أن تخطيطهم كان صائباً ، واعدادهم لنواحي التنظيم الأخرى كان محكماً . من ذلك ما اعدته الصهيونية منذ زمن طويل للاستيلاء على فلسطين بالقوة ، ليس بتدريب العصابات وشراء الاسلحة والعتاد ابنا وجدتها فحسب ، وإنما ايضاً بتدريب الصهاينة على القيام بالوظائف الادارية المختلفة حتى لا تفاجأ بالفوضى التي قد تنجم عن انسحاب السلطات الانتدابية فجأة من فلسطين . وها هو ذا بن غوريون يقول لأصحابه في حزب الماباي : « إذا احيات

(١) انظر كتاب غرانادوس سالف الذكر عن مقابلته وزميله فابريغات زعيم الارغون

Granados, pp. 154-161

مناحيم بيغن :

Suppl. Mem., op. cit., p. 19

(٢)

المشكلة على هيئة الأمم المتحدة فإننا لن نضع قضيتنا كقضية ايمان وخوف بل سنأخذ دور الاتهام. ولكن علينا ان نفهم ان ما يقرر هذه المشكلة هو قوتنا وارادتنا^(١) . وقد انصرف انصاراً كاملاً - بوصفه وزيراً للدفاع في اللجنة التنفيذية - لدعم القوات اليهودية وتسليحها، وتحدث عن خطر العرب والانكليز على اليهود ، فقال ان الحلاف مع بريطانيا خلاف سياسي ، أما مع العرب فهو خلاف يتطلب عمليات حربية ، وكانت الاجراءات لتحويل الهاغانا الى جيش قد بدأت قبل نيف وستين^(٢) .

وحين لقي اللجنة الدولية ، اتخذ بن غوريون تكتيك الاتهام الذي ارتآه سابقاً ، ولام حكومة الانتداب لأنها لم تتبع نص وعد بلفور الذي لم يذكر اسم العرب مطلقاً - على حد قوله . وأصر على أن العرب واليهود يستطيعون التفاهم والتقدم اذا حلت دولة يهودية فقط محل الانتداب ! وان اليهود بحاجة الى الهجرة والدولة ، وما يحتاجه العرب هو التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي ! وعن استعمال القوة قال بن غوريون : «لنا سوف نذهب اليهم (الى العرب) ونقول ان الأمم المتحدة وجدت أننا على حق ؛ نريد ان نجلس معكم ونسوي هذه المسألة .. وإذا قال العرب لا ، فسوف نستعمل القوة ضدهم ثم نلتفت لرعاية شؤوننا^(٣) .. »

وقد استغلت الصهيونية اللجنة الخاصة بطريقة انتهازية خبيثة ؛ فعندما طلبت السلطات الانتدبية أن يستمع إلى الناظرين باسمها في دورة مغلقة لمقتضيات الأمن ، وطلبت عدم السماح لممثلي الوكالة اليهودية بحضور الدورة ، احتج الصهاينة على هذا الاجراء ، وطلبوا أن

Litvinoff, op. cit., p. 162 (١)

Ben Gurion Looks Back, p. 136 (٢)

(٣) انظر وصف مراوغات بن غوريون امام اللجنة الدولية في :

Granados, op. cit., pp. 132-136

يُقر بحق الوكالة اليهودية في أن تعامل أمام اللجنة على قدم المساواة مع الحكومة الانتدابية ، حتى يثبت بذلك حق الوكالة في اتخاذ البصغة الرسمية اللازمة للسلطة التي سوف تمثل (الحكومة لفلسطين المقبلة) بعد انتهاء الانتداب . وأيدهم غرانادوس مندوب غواتيمالا في احتجاجهم^(١) .

وباستثناء فترة قصيرة من الهدوء خلال جزء من شهر كانون الاول ١٩٤٦ فان عام ١٩٤٧ شهد منذ مطلعها تصاعداً مستمراً في النشاط الارهابي الصهيوني . وضاغف الارهابيون جهودهم لارغام السلطات الانتدابية على التراخي في تطبيق قوانين حظر الهجرة تراجيحاً كاملاً ، فدمروا نادياً للضباط الانكليزي في القدس (١ آذار) ، ونسفوا عدداً من العربات في حيفا ، وقاموا بهجمات متعددة في أماكن أخرى ، ونجم عن كل ذلك مقتل ٢٠ وجرح ٢٥ من الجيش والبوليس والمدنيين . وفي اليوم التالي أعلن المندوب السامي الاحكام العرفية في المناطق اليهودية التي عرف أن معظم العمليات الارهابية توجه منها ، واشتملت على منطقة اللد وتل اييب ورامات جان وبني براق وبتاح تكفا ، والمنطقة اليهودية في القدس ، ونجم عن ذلك تعطيل الحكم المدني بما في ذلك إغلاق المحاكم والمصارف ، وتقييد حركة الاشخاص والعربات من هذه المناطق وإلها إلا بأمر من الحاكم العسكري . وظل الحظر نافذاً حتى ١٧ آذار حين أعلن أن ٧٨ شخصاً قد اعتقلوا لضلوعهم في الارهاب^(٢) . ولكن تاهل الحكومة الانتدابية مع الارهابيين قد شجع هؤلاء على العت بهيبتها ، وكان يكفي ان يرفع الزعماء الصهاينة عقيرتهم بالاحتجاج ضد أي إجراء تفرضه الحكومة أثناء أي تحقيق ، لتلغيه فوراً رغم شعور الجنود بالمرارة والعار^(٣) .

Granados, pp. 40-41 (١)

Suppl. Mem., op. cit., pp. 27 - 28 (٢)

(٣) انظر تفاصيل مثيرة عن تعامل السلطات الانتدابية مع الارهابيين ، وتصرفها معهم =

== كتصرف الاب الحنون مع ولده الشقي المحبوب ، في كتاب الحنجر الطائر نؤلفه الرائد روي فاران :

Roy Farran « Winged Dagger », London 1948

ومؤلف الكتاب ضابط في الجيش البريطاني نال اوسمة رفيعة لحسن بلائه في الحرب ، ثم عهد إليه بمعاونة قوى الأمن في فلسطين . ولما نجح في مهمته لفق الصهاينة ضده تهمة قتل غلام يهودي في السادسة عشرة يعمل مع عصابة شتيرن . وكان قصد الصهاينة من إثارة موضوع اتهامه زعزعة ثقة الأمم المتحدة في الادارة الانتدابية ، منتهزين فرصة وجود اللجنة الخاصة آنذاك في فلسطين (تموز ١٩٤٧) لاسترداد العطف على قضيتهم ، بالاضافة إلى وقف فاران وفريقه عن تعقيبهم . وبروي فاران وقائع مذهلة شاهدها بنفسه عن تسامح الادارة الانتدابية مع الهاغانا التي تعتبر في نظرها منظمة شبه رسمية برغم عدم شرعية وجودها ، ومزاولتها للارهاب بمثل شدة الارغون رشتيرن ، وكيف ان قوى الأمن البريطانية كانت تعتقد ان استغلالها للخلاف الظاهري بين الارغون وشتيرن من ناحية والهاغانا من ناحية ثانية ، قد يكسبها المعركة عن طريق الاعتراف شبه الرسمي بالهاغانا . وبمدنا فاران عن إعزاز المسؤولين في الحكومة الانتدابية الى مرؤوسيم (لكنن غير قساة مع اليهود ، ومها حدث فيجب أن لا تتعدام مطلقاً . إن القلة القليلة منهم فقط هي الشريرة ، وبهذه الطريقة ثبت لهم أننا نجهم فينتقدمون البنا بالمعلومات التي ترشدنا الى الارهابيين) ا ويبدو أن جميع مصالح الحكومة الانتدابية ومراكز البوليس ومعسكرات الجيش كانت تخوي أعداداً كبيرة من الموظفين اليهود الذين كانوا يعملون كجواسيس لمنظمات الارهاب ، وبذلك كان نظام المخابرات الصهيوني أفضل نظام من نوعه في العالم إذ كان يعتمد على وجود عملاء له في جميع فروع الادارة الحكومية . وعن هذا الطريق كانت العصابات الارهابية تعرف دائماً وعلى الدقة ماذا عليها ان تفعل وأين تضرب . وعن الجيش الذي ناهز عدده المائة ألف جندي بضباطهم ، قال فاران ان واجبه كان محصوراً بأعمال الحراسة ، والمعاونة أحياناً في تطبيق منع التجول . والمرابطة عند مفارق الطرق ا أما الباقون فكانوا محتجزين وراء الاسلاك داخل المعسكرات ، بمعنى أن نصف الجيش كان يحرس نصفه الآخر ؛ وقد توكل اليه من آن لآخر حراسة قوافل التعمون على الطرق الرئيسية . ولم يكن رجال البوليس البريطاني بأحسن حالاً إذ كانوا محتجزين في مباني البوليس وراء اكياس الرمل ، في حين كانت ادارة الأمن بيد رجال البوليس اليهودي وحدهم ، ولا يتوقع منهم الدلالة على اخوانهم . وتلس المرارة في قول فاران حين يذكر ان هذا الاسلوب المتساهل جداً مع الارهابيين هو ما تراه الادارة الانتدابية الاسلوب القويم الذي يؤدي الى عدم إثارة مشاعر اليهود ، ويطمئن البريطانيين على أرواحهم . وحتى حين يعثر المحققون ==

ويستفحل الارهاب برغم كل ذلك ، ويبلغ أقصاه ، ويخر الجنود البريطانيون صرعى نكران الجليل ، ويتعرض العرب في فلسطين لأخطار هذا الارهاب وآثاره تحت سمع المسؤولين البريطانيين وبصرهم ، فيطالبون بريطانيا على لسان جامعة الدول العربية « باتخاذ التدابير اللازمة لتسليح الشعب العربي ليتسنى له مواجهة هذا الخطر المتزايد ، والدفاع عن نفسه ، وذلك وفق المبدأ الذي جرت عليه في الماضي بالنسبة ليهود فلسطين حينما قامت الحكومة بتسليحهم » .. فلا تجيب حكومة لندن بما يني عن اكتوائها بهذا الطلب ^(١) . وتستمر فعال التدمير ونسف القطارات ^(٢) ، ولا تهدأ حدة الارهاب ، ولا ينحصر مدّ الهجرة غير الشرعية في الوقت نفسه ^(٣) .

= على ما يمكن ان يؤدي إلى القبض على اراهابي أو آخر، فإن المسمى عادة ينتهي بالحبة حين تصدى لهم ايدي خفية تدمر الادلة التي حصلوا عليها وكأنها لم تكن . وبأسف فاران حين يذكر أن سياسة الانكيز في فلسطين كانت ترسما وتغلبها الصحافة اليهودية في كل شيء . وكان خبر توقيف أي يهودي عادي ينشر في صحيفة البالستين بوست في نصف عمود ، مصحوباً بالوم العنيف لرجل البوليس الذي ارتكب هذه (الجناية) . (فاران - نفس المصدر السابق)

(١) تقرير الامانة العامة لجامعة الدول العربية عام ١٩٤٩ ، ص ٢٠

(٢) من أعمال النسف والتدمير ما لحقه اراهايون بمصافي الزيت في حيفا ، وقدرت أضراره بـ ٣٠٠ ألف جنيه فلسطيني (٣١ آذار) ، وفي ٢٢ نيسان قتل ثمانية أشخاص حين خرج قطار القاهرة حيفا عن سكنته قرب رحوبوت بفعل التخريب الارهابي . وفي ١٥ أيار قتل ضابطان بريطانيان وجرح جنديان بانفجار لغم على السكة الحديدية ، وتضرر قطاران بانفجار الالغام . وفي ٢٧ أيار جرت أعمال تخريبية في محطة سكة حديد الرملة وسيت ضرراً فادحاً ونسف قطاران بالالغام . وفي ٤ حزيران تضرر قطاران آخران ، وفي اليوم التالي أصيبت محطة عنتبت بعبوات ناسفة وضعا الاراهايون .

Suppl. Mem. pp. 28 - 31

(٣) توالى قدوم السفن التي تحمل المهاجرين غير الشرعيين الى شواطئ فلسطين ، وكانت سفن الحراسة البريطانية تقنادهما الى ميناء حيفا . ومنها سفينة تحمل ٦٠١ مهاجراً (٨ آذار) ، وأخرى =

فلسطين م ٥٣ (١٩٦٨)

فقد وصل الى فلسطين ما بين ٢٨ شباط و ٣١ آذار ١٩٤٧ حوالي ١١ الف مهاجر غير شرعي باعتراف هيروتز ، برغم مناشدة لندن حكومات اوربا لمنع مغادرة السفن الحاملة للمهاجرين اليهود من موانئها^(١) .

ولم يصدق الصهاينة أن السلطات قد نفذت حكم الاعدام بالارهابي دوف غرونو مع ثلاثة ارهابيين آخرين في سجن عكا (١٦ نيسان) ، لأن الصهاينة اعتادوا على تخفيض أحكام الاعدام الى السجن المؤبد أو الموقت كما فعلوا مرات عديدة في الماضي . ألم يحدث مثل ذلك مع الارهابيين برغم القبض عليهم متلبسين^(٢) ؟

ورد الارهابيون بعد عشرة أيام باغتيال ضابط بوليس في حيفا ، وقتل خمسة من قوات الأمن حين فجر الارهابيون سيارة تحمل عبوات ناسفة في منطقة سارونة . وفي ٤ أيار سنحت الفرصة للارهابيين فهاجموا سجن عكا المركزي ونسفوا جدرانه ، ونجس عن

= تحمل ٨٠٠ مهاجراً (١٢ آذار) هرب منهم ٣٧٥ الى البر ، وسفينة تحمل ١٥٧٧ مهاجراً (٣١ آذار) وسفينة تحمل ٢٦٢٣ مهاجراً (١٥ نيسان) ، وقد جرى صدام بين ركابها والسلطات انتهى بمقتل ثلاثة وجرح ١٨ من المهاجرين . وسفينة تحمل ٧٦١ مهاجراً (٢٣ نيسان) وسفينة تحمل ١٤٢٠ مهاجراً (١٧ أيار) ، وأخرى تحمل ١٤٥٩ مهاجراً (٢٤ أيار) ، وسفينة تحمل ٣٩٩ مهاجراً (٣١ أيار) . هذا ما اعترفت به الادارة الانتدائية في مذكرتها للجنة الخاصة (الانسكوب) التي جاءت إلى فلسطين .
Suppl. Mem., pp. 28-30

Hurewitz, op. cit., p. 291 (١)

(٢) حين قررت الحكومة الانتدائية معاقبة الغلمان اليهود بالجلد بعد ثبوت اشتراكهم بالارهاب، رد الصهاينة بجلد ضابط بريطاني ، وبعد ذلك ألغت الحكومة عقوبة الجلد ولم تحاول مطلقاً الانتقام لما حدث للضابط . وعندما صدر حكم الاعدام على ارهابي صهيوني ، قام زملاؤه باختطاف بضعة ضباط بريطانيين وهددوا بقتلهم ، اذا نفذ الحكم بالارهابي ، وانحنت الحكومة ، وقبلت المساومة .

صدامهم مع الحرس مقتل ٩ أشخاص بما فيهم بعض المدنيين والسجناء الفارين والارهابيين، وفرّ ٤١ يهودياً و ٢١٤ من السجناء العرب العاديين^(١) .

وفي تقرير للمندوب السامي الى حكومته عن الهجوم الارهابي الذي وقع على سجن عكا في ٤ أيار ، وصف المندوب الحالة في فلسطين ، واعترف أن بمسئله ان يقضي على الارهاب والارهابيين في ظرف ساعات ، الأمر الذي يكشف بوضوح عن مدى التساهل الذي تعامل به الحكومة الانتدابية أبناءها المدللين .

يقول التقرير : « ان العامل الاول والاهم في الوضع هو أنه بسبب الخلافات السياسية مع الادارة الانتدابية ، لعدم تسليم حكومة جلالة بالمطالب اليهودية ، فالجماعة اليهودية ، التي كان أفرادها المنشقون مسؤولين عن هذه الجرائم ، قد أخفقت ولا تزال بمدّ أي معونة للبوليس ولل قوات المسلحة من أجل استعادة القانون والنظام . وهذه القوات ما زالت تعمل على هذه الشاكلة بين ٥٠٠ الف يرفض زعمائهم التعاون مع البوليس ضد المتطرفين ، وبذلك يشجعون الجماعات الارهابية على التمادي في خرق القانون وفي الهجمات الطائشة .. وبرغم أن ممثلي اليهود قد استنكروا هذه الفعال ، فشكاواهم كانت موجهة خاصة للدفاع عن (اليشوف) ضد أوائلك الذين تلحق فعالمهم الضرر بالاقتصاد اليهودي أو القضية اليهودية . وقصرت عن الاعتراف بمسؤولية كل مواطن في أبة حكومة متمدنة عن مساعدتها في منع الجريمة ومحاكمة المجرمين ، وهي حالة بصرع فيها رجل بوليس ويتمدد جريماً في الشارع بجانب موقف باص دون أن يمد أحد أصبعه لمعونته . إن عمل قوات الأمن قد غدا أكثر صعوبة بهذا الموقف .. أما أولئك الذين يشيرون الى وجود ١٠٠ الف جندي في فلسطين والذين لا يفلحون في الظاهر بفهم كيف يمكن ان تستمر التعديبات الارهابية في هذه الظروف ، فيجب ان يتذكروا

أن استعمال القوات المسلحة يكون لمساعدة السلطة المدنية القائمة . . ولو سمح للقوات العسكرية باستعمال كل قوة سلاحها ضد الجماعة اليهودية بأكملها ، فالنشاط الارهابي يمكن ان ينتهي بظرف ساعات ، ولكن حكومة جلالاته لم تتصور مثل تلك التدابير مطلقاً ، ولا جرت التوصية بها ، ولا يرغب الجيش فيها ،^(١) .

وقامت منظمة الارغون بمساومة الادارة الانتدابية مساومة انطوت على التحدي والاستهتار ، فأبدت استعدادها لوقف اعمال الارهاب اثناء زيارة اللجنة الخاصة للامم المتحدة لفلسطين ، إذا كفت بريطانيا عن ايقاف سفن المهاجرة من يهود أوروبا ، وذلك بمناسبة صدور الحكم باعدام ثلاثة من الأرغون شاركوا في الهجوم على سجن عكا وثبتت ادايتهم بجرائم القتل المتعدد . وباشرت أجهزة الدعاية الصهيونية عملها فنادت بالويل والثبور ، على لسان المتحدث باسم الوكالة اليهودية الذي أبدى الاسف « لأن اللجنة تباشر أعمالها في ظل المشائق »^(٢) ، فما كان من بعض أعضاء اللجنة الخاصة إلا أن عارضوا في هذا الحكم وصوت ستة منهم بدعم قرار يعبر عن الاهتمام بالردود غير المستحبة الممكنة نتيجة تنفيذ احكام الاعدام^(٣) . وفي أثناء وجود لجنة التحقيق الدولية ، حرص الصهاينة على اظهار استقلالهم في العمل وعلى الامعان في مضايقة السلطات ، وقيل ان اثنين من أعضاء اللجنة اشتركا في تشييع جنازة ارهابي من البالمخ في تل ابيب^(٤) .

وكان أهم حادث وقع أثناء وجود لجنة التحقيق الدولية في فلسطين ، وصول السفينة (اكسودس - Exodus) الى مياه فلسطين ، وعليها ٥٥٠ مهاجراً غير شرعي ، وهو

Suppl. Mem. op. cit., pp., 56-57 (١)

Zionist Review, 20 June, 1947, quoted in Kirk, op. cit., p.241(٢)

(٣) انظر Granados, op. cit., p. 50-62 وعارض التدخل مندوبو الهند وكندا

وهولندا ، وامتنع مندوبا ايران واستراليا

Beigin, op. cit., pp. 291-93 (٤)

أكبر عدد شهدته رحلة واحدة . وقد رتب الصهاينة وصول السفينة في هذه الآونة ليجعلوا منها مادة دعائية ضخمة ، وقد اشترت السفينة بمعونة العملاء الصهاينة الامريكين الذين يطلقون على أنفسهم اسم (أصدقاء الهاغانا) وزودت ببخارة من الهاغانا وحملت رخصة احدى دول امريكا الوسطى ، واطلق عليها (خروج ١٩٤٧) . ورس في ميناء سيت Sète الفرنسي على بعد ٨٥ ميلاً غربي مرسيليا حيث قامت الهاغانا في نهاية حزيران بنقل مئات من يهود المانيا بمعونة السلطات الفرنسية (وكان أغلبهم مدرباً على حرب العصابات) ، وجميعهم مزودون بجوازات سفر وسمات دخول الى جمهورية كولومبيا . والسلطات الفرنسية ساعدت السفينة على الهروب باتجاه فلسطين برغم علمها أن مفوضية كولومبيا في باريس صرحت بأن سمات السفر كانت مزورة ، ورغم تعهدا لبريطانيا بمساعدتها على وقف الهجرة غير الشرعية ^(١) ، وذلك كما يبدو نكابة ببريطانيا التي عاونت على إخراج فرنسا من دولتي المشرق سورية ولبنان .

وفي المياه الاقليمية لفلسطين اعترضت وحدات الاسطول البريطاني سبيل السفينة ، وحاولت ارغامها على العودة من حيث أتت ، وجرت معركة استخدمت فيها المرافات وقنابل الغاز ، فمات اثنين من اليهود إثر اصابهم بالمرافات . وحين اقتيدت السفينة الى ميناء حيفا ، شنت اجهزة الدعاية الصهيونية حملة محمومة ضد السلطات البريطانية ، وادعت ان الاسطول أطلق المدافع الرشاشة على المهاجرين ، وتسبب في قتل النساء والاطفال العزل . وفي الوقت نفسه كان الصهاينة يفاخرون بأن « سفينة واحدة تحمل المهاجرين غير الشرعيين تساوي عشرة ملايين كلمة إقناع للجنة ^(٢) » ، وتم للصهاينة الحصول على الأثر الدعائي

(١) Parliamentary Debates, Lords, 5th Ser., vol. 151, col. 1388

(٢) Kirks, p. 241 . وقد بلغ من انحطاط الاساليب الدعائية الصهيونية أن قامت بنشر صورة لطفل في السنة الاولى من عمره ، قبل إنه مات بالسفينة ، أرفقتها بيان الى الصحف زعمت فيها أن القتل القذرين من البريطانيين النازيين ، خنقوا هذا الطفل بالغاز .

المطلوب قبل رحيل اللجنة الدولية الى بيروت في ٢٠ تموز ، وذلك حين صرح المندوب اليوغوسلافي بأن « هذه خير شهادة يمكننا الحصول عليها » (١) ، وتم نقل ركاب السفينة (اكدوس) إلى ثلاثة مراكز بريطانية عادت بهم الى مرسيلا ثم الى هامبورغ (٢) .

وفي ٢٢ تموز قابلت اللجنة ممثلي الحكومات العربية في صوفر (لبنان) حيث تلا وزير خارجية لبنان مذكرة اجماعية باسمهم ، نهت الى عواقب مجانبة الحق العربي ، ومسيرة الباطل الصهيوني ، وقررت المذكرة العربية ان الحل الطبيعي الوحيد هو قيام حكومة مستقلة نعم فيها العرب واليهود بالحقوق والواجبات الدستورية . وبعد أن طرحت اللجنة أسئلتها على الممثلين العرب ، وأجيب عنها إجابات وافية ، قدمت لها الهيئة العربية العليا مذكرة قوية على الرغم من قرار المقاطعة الذي أعلنته ، وذلك نزولا عند نواحي الحكومات العربية (٣) وكذلك قام رئيس اللجنة مع بعض أعضائها بزيارة عمان ومقابلة الملك عبد الله الذي أكد لهم وجوب صون حقوق العرب التي لا تنازع (٤) .

ولكي يتني الارهابيون السلطات البريطانية في فلسطين عن قرارها اعدام الارهابيين الثلاثة الذين أدينوا في الهجوم على سجن عكا ، سارعت الارغون باختطاف (جاوشين) بريطانيين في ١٣ تموز . وفي مناسبتين اذعنت السلطات في العام الماضي لهذا التكتيك

ibid.

(١)

(٢) نسجت الصهيونية حول حادث السفينة (اكدوس) قصة كتبها الامريكاني الصهيوني ليون اوريث Uris عام ١٩٦٨ ووزع منها الصهاينة ملايين النسخ بعد دعايتهم الواسعة لها ، والقصة مشحونة بالاكاذيب المألوفة ، وفيها محاولة للحط من العرب وتمجيد اليهود ، ولم يخل دجل كاتبها من أية صفحة من صفحات قصته الخيالية المغرضة .

(٣) دروزة ، ص ٩٣ - ٩٤

(٤) انظر عن محادثات اللجنة مع الممثلين العرب ومع الملك عبد الله :

Granados, pp. 198 - 210

الصهوني . ولكن في وجه التهديدات الأخيرة أصرت السلطات على إجرائها ، وأعدمت الارهابيين الثلاثة في نهاية تموز . وبعد يومين وجدت جثتا الجاوشين معلقتين على شجرة في غابة قرب ناتانيا ، مع بيان بأنها أعدما لأنها عدوان مسلحان في وطن اليهود الشرعي ! وقد ضمت احدى الجثتين قبنة ما لبثت ان انفجرت إثر قطع الضابط الجبل المعلقة به ، فتمزقت الجثتان ، وأصيب الضابط بجراح بليغة . وقد أثار هذا الحادث كرامن الحقد لدى بعض رجال البوليس البريطاني ، فهاجموا بجراهم بعض اليهود في فلسطين ، وحدثت بعض المظاهرات المعادية لليهود في عدد من المدن البريطانية ^(١) ، وصحبا أعمال عنف . ولكن الحكومة البريطانية الحريصة على استرضاء الصهاينة ، لم تلبث أن أمرت سلطات فلسطين بقبول إداخل ١١٠٠ مهاجر من معسكرات قبرص الى فلسطين ، في محاولة لتهديئة ^(٢) .

وقبل ان تجتمع اللجنة الخاصة في جنيف للنظر في توصياتها ، قررت في ٢٧ تموز بغالبية ٦ ضد ٤ تأليف لجنة فرعية ترور مراكز تجمع اليهود في المانيا والنمسا ، وذلك على الرغم من اعتراض العرب واحتجاجهم على الربط بين مسألة فلسطين ومسألة يهود اوربا المشردين . وفي احدى ملاحظات اللجنة الفرعية حول ما يتعرض له اللاجئون من ضغوط الدعاية الصهيونية المركزة ، ما شاهده على شكل اعلانات ومواد مكتوبة في بعض المراكز . وقد لاحظت اللجنة في واحد منها اعلاناً مكتوباً فيه : « فلسطين - دولة يهودية للشعب اليهودي » ، كما لاحظت رسماً تخطيطياً يمثل اليهود وهم يتقدمون من شرق اوربا نحو فلسطين التي تبدو بمحدود جغرافية أكبر بكثير من حدودها الحاضرة . واسترعى انتباه

Kirk, Survey... p. 245

(١)

Hurewitz, p. 201

(٢)

اللجنة كذلك ، ان المدارس في مختلف المراكز كانت تعلم الأولاد اللغة العبرية وتزودهم بمعرفة تاريخية وجغرافية صميمة عن فلسطين .

وقد علقت اللجنة الفرعية في تقريرها بأنه من الطبيعي أيضاً « ان وجود ممثلين دائمين في هذه المراكز عن هيئات مثل اللجنة المركزية لليهود المحررين ، والوكالة اليهودية ، ولجنة التوزيع الامريكية المشتركة ، وغيرها من المنظمات الطوعية ، يتيح كل فرصة للتوعية العامة بفكرة استيطان فلسطين » (١) . ولا حاجة الى القول بأن الأجهزة الصهيونية قد برعت في إخراج مسرحية الاستجابات التي أجرتها اللجنة الفرعية لخداعها عن طريق اثاره الناحية الانسانية في نفوس أعضائها . بينما كانت المكاتب الصهيونية في لندن تتلقى تعليمات الوكالة اليهودية للرد على أية صحيفة تجرؤ على نقد الارهاب الصهيوني اللانساني في فلسطين .

تقرير اللجنة خلاصة :

أنهت اللجنة الخاصة تقريرها يوم ٣١ آب ١٩٤٧ ، وعرضته على الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد اشتمل التقرير على اثني عشرة توصية ، وافق أعضاء اللجنة اجماعاً على احدى عشرة توصية منها ، والثانية عشرة خالفها اثنان وامتنع ثالث عن تسجيل رأيه . وهي تنص على أنه « في تقييم قضية فلسطين ، من المسلم به كأمر لا جدال فيه أن أي حل لفلسطين لا يمكن ان يعتبر حلاً للمسألة اليهودية بوجه عام » .

أما التوصيات الاحدى عشرة (٢) ، فتلخص في ضرورة انهاء الانتداب لفلسطين ومنحها الاستقلال ، على أن تسبقه مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة في اثنائها مسؤولة

U.N. Document A 364. Add. 1, vol. II, Annexes, Annex 18, p. 16 (١)

UNSCOP, Report, I, pp. 42-46, Sakran, op. cit., (٢) انظر

pp. 190-192 & Hurewitz, p. 295

امام منظمة الأمم المتحدة ، مع بقاء الصبغة الدينية للأماكن المقدسة . وعلى أن يبني النظام السياسي للدولة أو للدولتين ، والدستور ، على أساس ديموقراطي تمثيلي يضمن حقوق الانسان الأساسية ، ويحافظ على حقوق الاقليات . وعلى ان تسجل المبادئ الأساسية لميثاق الأمم المتحدة في الدستور بما فيها واجب تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية من غير لجوء الى التهديد باستعمال القوة . وعلى وجوب قبول مبدأ المحافظة على الوحدة الاقتصادية في فلسطين الذي اعتبرته اللجنة أمراً لا غنى عنه من أجل حياة وتطور البلاد وسكانها مع إلغاء الامتيازات. وينبغي على الجمعية العامة أن تصدر وتنفذ فوراً ترتيباً دولياً لحل المشكلة الملحة لـ ٢٥٠ ألف من المشردين اليهود في اوربا . وأخيراً دعوة الفريقين لانهاء أعمال العنف . وبيننا وافق أعضاء اللجنة الخاصة إجماعاً على التواصي العامة ، فإنهم لم يتوصلوا إلى الاتفاق على خطة موحدة لتنفيذ هذه التواصي ، فقد ارتأت غالبية اللجنة المؤلفة من ٧ أعضاء هم ممثلو كندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وهولندا وبيرو والسويد والارغواي ، أن الأقلية اليهودية يجب أن تسود الغالبية العربية في القسم الأعظم من فلسطين فاقترحوا على الجمعية العامة تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية . وارتأت أقلية اللجنة المؤلفة من ٣ أعضاء هم ممثلو الهند ويران ويوغوسلافيا ان يكون لليهود الذين يؤلفون ثلث سكان فلسطين ، وزن متساو مع العرب في كل فلسطين ، واقترحوا تشكيل دولة اتحادية تكون عاصمتها القدس . اما العضو الحادي عشر (اوستراليا) فلم يوافق على اي من المشروعين ، ولم يقدم واحدة من عنده ورأى ان كلا المشروعين يؤثر تأثيراً سيئاً على حكم الجمعية العامة (١) .

مشروع الأكثرية :

ويدعو الى التقسيم السياسي والاتحاد الاقتصادي (٢) . ويقضي بأن تقسم فلسطين الى

(١) يذكر غرانادوس أن مندوب اوستراليا جون هود امتنع عن تأييد أي من المشروعين

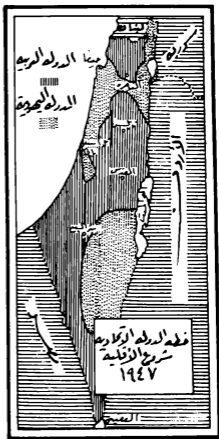
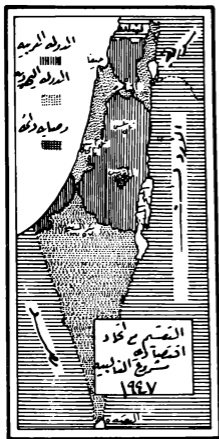
لأن اللجنة لم تتفق بالاجماع على مشروع يعينه : Granados, p. 242, footnote

UNSCOP Report, ibid., pp. 47-58.

(٢)

دولتين مستقلتين عربية ويهودية . وقد قسمت فلسطين بموجبها الى ستة أجزاء رئيسية ، خصصت ثلاثة منها - وتمثل ٤٣ بالمائة من مجموع مساحة البلاد لإقامة دولة عربية فيها . وخصصت الأجزاء الثلاثة الأخرى - وتمثل ٥٦ بالمائة من مجموع المساحة لإقامة دولة يهودية فيها . أما القدس وما يحيط بها وتمثل ٠,٦٥ في المائة لتكون قطاعاً تحت الوصاية الدولية تتولى ادارته الأمم المتحدة . وتتألف الدولة العربية من الجليل الغربي ومنطقة نابلس والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب الى الحدود المصرية ، وفي هذا تدخل منطقة الحليل وجبل القدس وغور الأردن .

والدولة اليهودية تتألف من الجليل الشرقي والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب . وتصبح الدولتان مستقلتين بعد فترة انتقالية تدوم سنتين ابتداء من أول ايلول ١٩٤٧ . ويترتب على الدولتين الموافقة على دستور كل منها ، وتوقيع معاهدة توطيد النظام والتعاون الاقتصادي مدتها ١٠ سنوات . وإقامة اتحاد اقتصادي يهدف الى استثمار المرافق العامة كالسكك الحديدية والطرق ضمن نطاق المصلحة العامة المشتركة ، والى وحدة الرسوم الجمركية والنقد ، ولإى تهيئة الاسواق العالمية لصادرات فلسطين كلها . وتستمر بريطانيا إما وحدها أو بالاشتراك مع دولة أو أكثر من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة ، في إدارة حكم فلسطين تحت اشراف الهيئة المذكورة . وتاغى قيود الكتاب الابيض (١٩٣٩) على بيع الأراضي في منطقة الدولة اليهودية ، وتنظم الوكالة اليهودية تدفق الهجرة اليهودية بمعدل شهري قدره (٦٢٥٠) في السنتين الأوليين ثم بمعدل (٥٠٠٠) شهرياً بعد ذلك . وتتخذ التدابير لقبول ١٥٠ ألف يهودي من بينهم ٣٠ ألفاً يتم اختيارهم لأسباب انسانية . وينتخب في كل من الدولتين مجلس تأسيسي لوضع الدستور ، والقيام بتعيين حكومة مؤقتة تمنح صلاحية توقيع معاهدة الاتحاد الاقتصادي ، وتوقيع بيان بنصوص حماية الاماكن المقدسة والحقوق الدينية وحقوق



الأقليات . أما منطقة القدس فتوضع تحت نظام الوصاية الدولية . ويعين مجلس الوصاية في هيئة الأمم حاكم القدس العام على أن لا يكون عربياً أو يهودياً ، وعلى أن تدخل القدس في الاتحاد الاقتصادي المشترك .

مشروع الأقلية^(١) :

اقترح تطوير الانتداب - بعد ثلاث سنوات انتقالية من ادارة الامم المتحدة - إلى دولة مستقلة اتحادية عاصمتها القدس وتشمل على حكومتين مستقلتين استقلالاً ذاتياً . وقد خصت الدولة العربية بموجب بنصب أكبر من نصيبها في مشروع الاكثوية . ويشمل اختصاص الحكومتين في الدولة الاتحادية شؤون التربية والتعليم والضرائب ، وحق الإقامة واجازات التجارة وحقوق الرعي والهجرة بين الدولتين ، والاستيطان ، وعقوبات الجرائم ، والمؤسسات الاجتماعية والخدمات . أما شؤون الهجرة والعلاقات الخارجية والدفاع الوطني ، والنقد وشؤون المياه والري ، والنقل والمواصلات .. فتبقى من اختصاص الحكومة المركزية ، وسلطة التشريع فيها بيد مجلسين يكون التمثيل في أحدهما متساويا بين العرب واليهود ، وفي الثاني نسبياً . وقرار جميع القوانين يتطلب غالبية المجلسين ؛ وفي حالة عدم الاتفاق ، مجال الموضوع على هيئة تحكيمية مؤلفة من خمسة أعضاء ، بشرط أن لا يقل فيها عدد كل من العرب واليهود عن عضوين . ويسمح بالهجرة اليهودية لفترة ثلاث سنوات ، بأعداد لا تتجاوز المقدرة الاستيعابية ، مع الاعتبار الواجب لحقوق السكان الحاضرين آنذاك داخل تلك الدولة ، ولنسبة زيادتهم الطبيعية مسبقاً . والمقدرة الاستيعابية تقررها لجنة مشتركة مؤلفة من تسعة أعضاء يكون منهم لكل من العرب واليهود والأمم المتحدة ثلاثة مندوبين . وينتخب رئيس الدولة من قبل مجلس الاتحاد . وتوجد جنسية

فلسطينية واحدة ، مع ضمانات بالحقوق المتساوية للأقليات ، وضمان حرية زيارة الأماكن المقدسة .

ملاحظات: كانت جميع المناطق التي يملكها أو يقطنها اليهود داخله ضمن رقعة (الدولة اليهودية) ، ولكن أضيف إليها مساحات يملكها ويقطنها عرب بكاملها ، غير أن الصهاينة اليهود كانوا يتطلعون الى امتلاكها . فقد أدخلت مثلاً منطقة (النقب) في جنوب فلسطين ، وهي تمثل قرابة نصف مجموع مساحة فلسطين ، ولم تتجاوز ملكية اليهود فيها النصف بالمائة !

وكانت المنطقة المخصصة للدولة العربية تضم أقل عدد ممكن من اليهود ومن الممتلكات اليهودية . أما فيما يتعلق بالسكان فقد افترض ان تشمل الدولة اليهودية ٩٨ ألفاً من اليهود و ٧٩٤ ألفاً من العرب ، في حين أن الدولة العربية ستشمل ٧٢٥ ألفاً من العرب و ١٠ آلاف فقط من اليهود . وما بقي من العرب واليهود كانوا من سكان قطاع القدس (الدولي) وتشمل ١٠٥ آلاف من العرب و ١٠٠ ألف من اليهود ، هذا إلى أن نسبة ما يملكه اليهود داخل حدود الدولة اليهودية هي أقل من ١٠٪ ، وأقل من ٦٪ في جميع أنحاء فلسطين ! فضلاً عن أن الدولة اليهودية المقترحة تتضمن أخصب مناطق فلسطين حيث يوجد القمح والمحاصيل ، كما تقع فيها أهم موانئ فلسطين .

وإذ ارتأى مشروع الأكثرية إقامة دولتين متعاديتين كل منهما تتألف من مناطق منفصلة متباعدة ودونما حدود مستمرة ، فقد قرر أن ترتبط المناطق في الدولتين بنقطتي تقاطع ، تقع واحدة منها جنوب شرق العفولة في منطقة الناصرة ، وتقع الثانية في منطقة غزة . ونقطتا التقاطع اللتان أريد لهما أن تُسهّلا الاتصال بين مناطق الدولتين ، كانتا تشكلان في الواقع مسببات إضافية للاحتكاك بين الدولتين طالما تدعي كل منهما ملكيتها وتستعملها !

وإذ قبل (مشروع الاكثريّة) ان فلسطين بلد مساحتها وموارده محدودة ، وأنّ كلا الجماعتين العربية واليهودية ستقامي من القضاء على الوحدة الاقتصادية للبلد ، فقد اقترح على العرب واليهود المتنازعين أن يتحدوا اقتصادياً واجتماعياً ، وأن يعملوا سوياً من أجل منافعهم المتبادلة ! مع أنه أقرّ بأنه لا يمكن التوفيق بين العرب واليهود للاتحاد في ظل حكومة واحدة بسبب عنف مشاعرهم القومية !

ولكن (أقلية) اللجنة لم توافق على مشروع الاكثريّة ، ووصفته بأنه مقترح للاتحاد بترتيبات مصطنعة تهدف لايجاد وحدة اقتصادية واجتماعية بعد أن قضى على الوحدة السياسية والاقتصادية أولاً بالتقسيم . وعبرت الأقلية عن اعتقادها بأن المشروع غير عملي ولا يمكن العمل به ولا يلبق بدرلتين قادرتين على الحياة . وإذ استنكرت الاقلية مشروع التقسيم ، فقد امتدحت حل الدولة الاتحادية الذي اقترحتّه ، وقالت إنه أخذ بعين الاعتبار سؤالين :

أ - ما اذا كانت القومية اليهودية ومطلب انشاء دولة يهودية مستقلة ومنفصلة أمرين يجب ان يعترف بهما بأي ثمن .

ب - ما إذا كان يمكن تغذية ارادة التعاون بين العرب واليهود في الدولة الاتحادية . ان الجواب عن السؤال الاول هو سلبي طالما أن حسن سير البلد وسكانه ككل قد سُلم به على أنه يفوق وزناً أماني اليهود بهذا الخصوص . والجواب عن السؤال الثاني هو ايجابي ، طالما أنه يوجد فرصة معقولة للوصول الى هذا التعاون في ظل أحوال ملائمة .

إن اكثريّة أعضاء اللجنة قد أخذوا أنفسهم ، أو تلقوا الأمر من حكوماتهم ، بمهمة حلّ مشكلة فلسطين طبقاً لما سموه (مشروع الاكثريّة) . سبعة أعضاء وقعوا تحت تأثير الصهيونية والضايعين معها ، وزعموا أنهم درسوا المشكلة دراسة وافية خلال اقامتهم القصيرة في فلسطين (٣٦ يوماً) ، وادعوا أن لديهم من المنطق والأسانيد ما يبرر تقطيع أوصال

البلاد التي برأها الله واحدة ، دون أن يقفوا عند التضليل والتزييف الذي خلعه الصهاينة على الاحصاء والتاريخ ، لكي يعطوا الجزء الأكبر والأغنى من البلد الى غرباء غاصبن ، بينما يطرد اهاليه الشرعيون من بيوتهم وأراضيهم لا لشيء سوى أنهم فقراء ضعفاء لا يُسمع لهم صوت أو نداء !

وبينا أعلنت الهيئة العربية العليا رفضها لمشروع الاكثريّة والأقليّة في اليوم التالي من نشر تقرير اللجنة الخاصة ، عبرت غولدا مايرسون ممثلة الوكالة اليهودية عن قبولها الضمني بمشروع الأكتريّة وناقشت بعض تفاصيله . وذكرت صحيفة التايمس في ٢ ايلول أن الدوائر اليهودية الامريكية قد اغتبطت بمشروع الأكتريّة وأبدى معظم اليهود كذلك ارتياحهم . وفي اليوم نفسه لاحظت اللجنة السياسية للمجلس الصهيوني العام المنعقد في زوريخ بارتياح ، اقتراح التوصية بانشاء دولة يهودية مستقلة في وقت مبكر ، ولكنها أضافت بأسف ، أن الرقعة المخصصة لها ما هي إلا جزء صغير من الرقعة التي وعد بها الشعب اليهودي في الأصل على أساس حقوقه التاريخية ، فهي لا تختوي على مناطق ذات أهمية قصوى (١) !

قضية فلسطين بيد جامعة الدول العربية :

وقع التشاؤم وتحقق قلق العرب من نتائج التحقيق وهو التاسع عشر من نوعه في فلسطين ، وكان لتقرير اللجنة صدى استياء عام شامل رددته جميع الأقطار العربية . وبادرت الهيئة العربية العليا لاعلان استنكارها وعزمها على مقاومة تنفيذه ، وامتلأ الجو العربي الشعبي بالحماس والتوتر حين قامت المظاهرات الصاخبة في سورية والعراق ولبنان ، وارتفعت الدعوة الى البذل والفداء . وفي غمرة هذه الاثارة الجديدة التي ألت بالأمة العربية ، سارعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الى الاجتماع في صوفر (١٦ ايلول)

(١) سجل القرار تراجعاً عن قرار الوكالة اليهودية الصادر في آب ١٩٤٦

Kirk, op. cit., p. 246

لدراسة محتوى تقرير اللجنة الدولية واتخاذ موقف سياسي موحد ، وحضر ممثلون عن الهيئة العربية العليا ، وبدا على الاجتماع طابع الخطورة والجد واتخذت في نهايته المقررات التالية :
١ . . ترى اللجنة السياسية في تنفيذ هذه المقترحات خطراً محققاً يهدد الأمن والسلام في فلسطين والبلاد العربية جمعاء ، ولذا فقد وطدت العزم على ان تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات وتنفيذ كل تدبير آخر لا يحقق استقلال فلسطين كدولة عربية .

٢ - ترى اللجنة السياسية ان تكاشف الشعوب العربية جميعاً بحقيقة المخاطر التي تحيط بقضية فلسطين ، وان تدعو كل عربي ان يقدر خطورة هذه المخاطر ، وان يقدم لفلسطين كل ما في وسعه من معونة وتضحية . وقد اتخذت اللجنة من جانبها التدابير الفعالة لما يكفل تحقيق الأهداف العربية .

٣ قررت اللجنة السياسية ارسال المذكرات الى حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا تعالنها بأن كل قرار يتخذ في صدد قضية فلسطين دون ان ينص على قيام دولة عربية مستقلة فيها ، يهدد بآثاره اضطرابات خطيرة في الشرق الأوسط من شأنها تهديد السلام فيها . وان الدول العربية عازمة على تأييد عرب فلسطين في كل ما يقومون به عندئذ من أعمال في سبيل الدفاع عن عروبة وطنهم وحريرتهم واستقلالهم .

٤ - قررت اللجنة السياسية ان توصي دول الجامعة بتقديم أقصى ما يمكن من معونة عاجلة لأهل فلسطين من مال وسلاح ورجال ، وتشكيل لجنة فنية يكون لكل حكومة مندوب فيها ، لتعرف حاجات فلسطين وسائل دفاعها وتنسيق المعونة المادية التي ينبغي على الحكومات تقديمها ، على ان تقدم تقريرها الفني الى مجلس الجامعة الذي سينعقد قريباً^(١) . وفي احدى الجلسات الرسمية للجنة السياسية أعلن رئيس وزراء العراق صالح جبر استعداد

حكومته لتحمل التضحية الجسيمة وقطع النفط إذا تضامنت المملكة السعودية معها ، وعلق على هذه البادرة اعظم الآمال ، وسرعان ما بدت مظاهر المحور الهاشمي بانضمام مندوب الاردن الى العراق والمحور السعودي الذي انضم اليه مندوبو مصر وسورية ولبنان ، ودار همس بأن العراق إنما يريد الاحراج ، وانتهى الأمر بأن أعلن المندوب السعودي بعد اتصاله بالرياض ان حكومته مستعدة للتضامن مع الجامعة في تنفيذ أي قرار حاسم يقره مجلسها (١) .

وفي ٧ تشرين الاول انعقد مجلس الجامعة في بيروت ثم تابع اجتماعاته في عاليه حتى منتصف الشهر نفسه ، وقد ساد الاعتقاد بأن بريطانيا آخذة في تهيئة أسباب انسحابها من فلسطين ، وأن على العرب ان يواجهوا العدو الصهيوني المدرب والمجهز بأحسن السلاح . وقد وزع على المجلس تقرير أعدته اللجنة الفنية العسكرية التي قررت اللجنة السياسية تشكيلها . وخلاصة التقرير ان المنظمات اليهودية تضم ما لا يقل عن ٦٠ ألفاً موزعة بين الهاغانا والارغون وشتون ، يمكن تعبئة نصفهم او ثلثهم وسوقهم الى المعركة فوراً . وان لديهم اسلحة جديدة وعتاداً وافراً ومعامل للذخيرة ، ولديهم عدد من الضباط المجرنين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية ، هذا الى امكانية موفورة لطلب السلاح . يعكس العرب الذين يشكون من ضآلة السلاح وعدم صلاحية أكثره وندرة عتاده وبساطته وقلة المدربين لديهم ، ومدى الخطر الذي يتعرض له عرب فلسطين في المناطق المكتظة باليهود فور جلاء القوات البريطانية . وأوصت اللجنة بأن تحشد الحكومات العربية بعض قطع من جيوشها على حدود فلسطين الشمالية والشرقية والجنوبية ، والمساعدة الى تسليح العرب في مناطق اكتظاظ اليهود ليستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ، ومباشرة تدريب وتنظيم الشباب الذين هم في الحظ الثاني ليكونوا قوة الظهر والنضال ، وان تشكل حالاً قيادة عربية عامة كاملة

(١) المصدر نفسه ص ٩٩

الاركان لتتولى هذا الامر ، وان يرصد ما لا يقل عن مليون جنيه له كدفعة اولى . وبعد المذاكرة ، قرر مجلس الجامعة بالاجماع ما يلي :

١ - ان مقررات بلودان السرية لا تزال فائتة وواجبة التنفيذ في حالة تطبيق اي حل من شأنه ان يس بحن فلسطين في ان تكون دولة عربية مستقلة .

٢ - وبالنسبة لقرار الحكومة البريطانية المعلن أخيراً بعزمها على التخلي عن انتدابها لفلسطين وانسحابها منها بقواتها العسكرية وجهازها الاداري ، ونظراً لوجود القوات الصهيونية ومنظمتها الارهابية التي تهدد سلامة العرب في فلسطين ، فإن الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربية اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين . ولهذا يوصي المجلس الدول العربية بأن تبادر لاتخاذ هذه الاحتياطات العسكرية ، على ان تيسر الدول المتاخمة لفلسطين سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق بينها .

٣ - يوصي المجلس دول الجامعة بالمبادرة الى اداء المساعدات المادية والمعنوية الى العرب في فلسطين لتقويتهم وتعريضهم في الدفاع عن انفسهم وعن كيانهم ، وان ترصد دول الجامعة من فورها الاموال اللازمة لذلك . وقد تقرر تأليف لجنة فنية عسكرية تتولى تهيئة وتنظيم وسائل الدفاع وتدريب الفلسطينيين ، كما تقرر حشد قطع من الجيوش المصرية والسورية واللبنانية والاردنية والعراقية على حدود فلسطين .

وبصد تنفيذ الفقرة الأولى من قرار المجلس - تأكيد مقررات بلودان السرية وتنفيذها - فقد اعتبر ان وقت التنفيذ لم يحن لأن التقسيم لم يكن قد تقرر ! اما الفقرات الأخرى فقد بوشر في تنفيذها واتخذت اللجنة الفنية دمشق مركزاً رئيسياً لها ، وشرعت في اعداد الوسائل وتجهيز المناضلين والمتطوعين ، في مختلف البلاد العربية ، واستخدم معسكر تدريب واسع في قطنا قرب دمشق ، فاحتشد فيه المتطوعون من سورية وفلسطين والاردن ومصر

فلسطين م ٥٤ (١٩٦٨)

والعراق ولبنان الخ . . وكان مدبروه ضباطاً سوريين . وأنشىء كذلك معسكر لتخريج ضباط فلسطينيين ؛ وكان ولاء سورية لحركة استنقاذ فلسطين في هذه الآونة مضرب المثل في بذله وفدائه ^(١) . ويسرت الحكومات العربية الاخرى السبل للمتطوعين فيها تدريباً وتجهيزاً ، وتسابق أبناء فلسطين للبدل والتطوع وانتشروا يفتشون بكل نفيس عن السلاح الذي ندر بين ايديهم .

وقد دلت مقررات مجلس الجامعة على شعور العزم والتصميم المنبعث من الشعور بالخطر المتفاقم ورفض الاستسلام لعواقبه . وهي على كل حال تلتزم قانونياً ومعنويًا بالحكومات العربية التي كان يقودها حتماً الحماس الشعبي العربي الرائع . ولا بد للباحث من أن يأسف لأن القرارات صدرت متأخرة ، وكان يجب أن يتم الاتفاق عليها في وقت مبكر حتى يتسع مجال الاعداد والتدريب ، وخاصة بالنسبة للفلسطينيين الذين هم عزّل تقريباً على خط المواجهة مع العدو المدرب المدجج .

إن خطورة الوضع الذي آلت اليه قضية فلسطين كانت متوقعة بعدما ظهر من مكر بريطانيا وخداعها للعرب ثم تحاذلها تجاه الارهاب الصهيوني واستكانتها لضربات ، وبعد ما بدا على الولايات المتحدة خاصة من اللؤم والاستهتار بالعرب وكرامتهم ، ومن الامعان في تأييد الأهداف الصهيونية . إن التدهور الذي آلت اليه قضية فلسطين كان متوقفاً منذ شهور عديدة ، لا سيما وان القرارات المتخذة في دورة مجلس الجامعة السابقة بشأن مساعدة عرب فلسطين على تهيئة أنفسهم بما تدفعه الحكومات العربية الى الهيئة العربية العليا ، لم تجد سبيلها الى التنفيذ الجدي كما أسلفنا .

ولا مراء في أن العمل الجاد الموحد والمبكر ، كان يعطي مؤيدي التقسيم فرصة

(١) دروزة - المصدر نفسه ١٠٣ - ١٠٦

للتفكير في خطورة ما هم مقدمون عليه . وكان يمكن اقناع بعض المترددين من أعضاء الأمم المتحدة الذين تسميت الصهيونية لاجتذابهم الى صفها ، بأن العرب يمكنهم ان يقرنوا القول بالفعل ، وان تهديداتهم ذات معنى ، وان قرار التقسيم إذا صدر عن المنظمة الدولية فيكون لذلك ما بعده ، إذ لا يكفي هنا التوسل بالمنطق وببداىء العدالة والمثل الاخلاقية ، ولا يكفي التغني بحقوق العرب المشروعة في تقرير المصير عند من هو ضالع مع المؤامرة الصهيونية الاستعمارية على الارض المقدسة وعلى الامة العربية .

إن اسلوب تقديم المذكرات الاحتجاجية والبيانات الاستنكارية والمقررات النظرية في معالجة قضية فلسطين ، جعل الصهاينة ومن يظاهروهم يحسّون بما ينطوي عليه الموقف العربي من تردد ووهن . ولذا سارعوا إلى التهورين من شأن العرب وقوتهم واكدوا أن العرب سيذعنون للأمر الواقع^(١) .

ألم يخاطب وايزمن مندوب فرنسا في الأمم المتحدة بأن يهود فلسطين سوف ينسفون « الحرافة التي بُنيت حول المعتدين العرب » ؟ ألم يبادر الصهاينة الى ارسال مذكرة لأمين الامم المتحدة يؤكدون فيها ان الدول العربية « لن تستطيع خوض معركة مسلحة في فلسطين إلا إذا حصلت على الاسلحة من الدول الكبرى .. وان لدى الهاغانا وحدها قوة تعادل ٧٠ ألفاً ، تكفي للوقوف في وجه أي اعتداء ، وتدمير كل قوة مهاجمة ، والدفاع عن فلسطين مدة عام كامل » ؟ وعلى الرغم من أن هذا القول ثبت بطلانه حين طلبت القيادة الصهيونية ، فيما بعد ، من الامم المتحدة إنقاذ يهود القدس ، غير أن ذلك لا ينفي ما قد ينجم عن فعالية الموقف العربي الموحد من آثار ايجابية تنعكس على الرأي

(١) تحدث وايزمن مع اللجنة الخاصة في ٨ تموز بقوله : انا اعتقد تماماً أن كثيراً من المتفكرين العرب سوف يذعنون في النهاية ، إذا شعروا أن هذا المشروع (الاكثريه) تدفعه الأمم المتحدة بكل ما لها من السلطة والهيبة والقوة الأدبية .

العام الدولي عموماً . إن بوادر الهزيمة السياسية العربية لقضية فلسطين قد لاحت في الافق منذ أن تهاون مجلس جامعة الدول العربية بإزاء مقررات بلودان السرية التي كانت واجبة التنفيذ في حالة الموافقة على تقرير لجنة التحقيق الانكلو - امريكية . دع الرغبة في تجاوزه امعاناً في التعصب للصهيونية كما اثبت الموقف الامريكي . وبعد أن ثبت لأعداء العروبة أن الخلافات ما تزال تمزق الحكومات العربية ، وان منطق السيادة الاقليمية هو المتحكم في مقدراتها السياسية والعسكرية ، تصور الصهاينة والاستعماريون ان العرب سيرضخون أخيراً للأمر الواقع ، وإلا فأن عواقب ما نخوف منه خبراء وزاراتي الخارجية والدفاع في واشنطن الذين اشتركوا مع الممثلين الدبلوماسيين لامريكا في الشرق الاوسط في تحذير الرئيس ترومان من مغبة ما ينجم عن اتباع سياسة منحازة للصهاينة في الشرق العربي؟! إن الفرصة التي أضعها العرب ، فلم يثبتوا للعالم - يوم كان عليهم أن يثبتوا - أنهم قوم يعنون ما يقولون ، هي نفس الفرصة التي تثبت بها الصهاينة واستغلوها في الانجاء المعاكس تماماً ، للتهدين من شأن تهديدات العرب ، والضغط على المترددين من دول المنظمة الدولية الذين قد يشفقون من ردة فعل عربية تهدد أمن المنطقة التي خرجت وشيكا من معمعان الحرب العالمية الثانية ، او الذين لا تزال تراودهم رؤى مبادئ العدالة ومثلها - الاخلاقية العليا في وجوب اعلاء كلمة الحق . ويبدو أن تلك المناورة الصهيونية كان لها أثرها على بعض الوفود ، فبدأ العرب يفقدون بعض المؤيدين لوجهة نظرهم ، وبدأت بوادر النصر السياسي الصهيوني تتوضح كلما اقترب موعد طرح مشروع التقسيم على الامم المتحدة .

وبعد أن سجل الباحث اندفاع الصهاينة منذ أول أيام الانتداب للسلح واعداد أنفسهم للمعركة ، لا بد له من أن يسجل مقابل ذلك ضعف التنظيم ، ضالة التنسيق والتدريب بين صفوف جماهير عرب فلسطين ، مع استعدادهم الضخم للتضحية والفداء . بلى ! لقد

وجدت في يافا منذ أواخر الحرب العالمية الثانية منظمة كشفية رياضية للشباب باسم (النجادة) باشرت شيئاً من التدريب ^(١) ، وقوبلت بالاغتياب والتشجيع نظراً لظروف المرحلة القاسية التي تمر بها قضية فلسطين . حتى اذا نشب خلاف بين القائمين على (النجادة) وبين الحزب العربي الذي يرأسه جمال الحسيني ، قام تشكيل جديد بمائل باسم (الفتوة) ، ولم تلبث المنظمتان العربيتان أن توحدتا برئاسة الهيئة العربية العليا ، وتحت اسم (منظمة الشباب العربي) ، وبلغ عدد أفرادها ١٠ آلاف شاب عكفوا على التدريب استعداداً للأخطار التي اخذت تتضح مع تزايد الارهاب الصهيوني . ويعترف آلان كينغهام آخر مندوب سامي في فلسطين بأنه « لم يكن بينها وفاق على الاطلاق ، ولم نجد ما يوجب اتخاذ أي اجراء ضدها ، ولو أن ضغطاً قد وقع علينا لكي نفعل ذلك . ولقد برهن عدم اشتراكها في الاضطرابات العربية التي جرت فيما بعد ، أننا كنا على حق » ^(٢) . وحين وجه الصهاينة اراهمم نحو العرب ^(٣) ، وتكررت حوادث الصدام مع اليهود ، اتفقت الهيئة العربية مع الضابط المصري المتقاعد محمود لبيب ليتولى تدريب شباب المنظمة

(١) على نسق المنظمة الكشفية الرياضية الاسلامية التي اشتهرت في بيروت بهذا الاسم آنذاك ،

انظر دروزة س ٩٥ - ٩٦ و Hurewitz, pp. 270-71

(٢) International Affairs, op. cit. (٢)

(٣) سجلت المذكرة الرسمية التي قدمتها حكومة الانتداب الى اللجنة الخاصة (الانسكوب)

بعض حوادث الارهاب الصهيوني ضد العرب . من ذلك ما جرى يوم ٢١ أيار حين هاجمت عصابة من اليهود المسلحين مقهى في قرية فجة العربية قرب مستعمرة بناح تكفا ، واطلقت النار على عربي وقتل وجرح سبعة آخرون ، ووضعت متفجرات في المكان . كما هوجم مخيم عربي في الناحية نفسها وقتل عربي . والمهاغانا هي التي قامت بالعدوان لارهاب العرب القرييين من المستعمرات اليهودية اثر ظهور بعض العرب المسلحين في تلك الناحية ، وزعمت أن هذه الهجمات موجبة ضد الفتنة .

Suppl. Mem. p. 30

وأعدادهم للطوارئ»^(١). ولكن الحكومة المنتدبة سارعت الى طرده من فلسطين (آب ١٩٤٧) رغم شرعية إقامته ورغم علمها بثبات الضباط والمدربين الصهاينة الذين دخلوا البلاد خلسة، أو فروا من جيوش الحلفاء. وأضيفت هذه الظلامة الى مظاهر المؤامرة الصهيونية الاستعمارية ضد العرب، لحربهم في هذه المرحلة الصعبة من وسائل الدفاع والتنظيم. ولم تلبث هذه المنظمة العربية أن انهارت نتيجة التنافس - وهو الداء المستشري.. الذي غذته الحزبية المحلية والمطامح الأناثية.

وفي هذه الآونة بالذات كان بن غوريون يصدر تعليقاته الى الهاغانا، بوصفه وزيراً للدفاع في التنفيذية الصهيونية، وبما جاء في بيانه: «.. ان سياسة حكومة الانتداب المعادية للصهيونية تشجع العداوة العربية وتحرضها وتنشطها وتدعمها.. إن الهاغانا ستكون العامل الرئيسي في مواجهة العدوان العربي وليس يمكن الحصول على نتيجة مما إلا بالسلاح اليهودي، وإذن، فما لم تكن الهاغانا مستعدة ولائقة بالوصول الى مثل هذه النتيجة، فانها فاشلة في بلوغ هدفها، ولن تواجه فلسطين اليهودية والجهود الصهيونية سوى النكبة»^(٢) وفي غضون ذلك قررت الجمعية اليهودية المنتخبة تعبئة عامة للقوة البشرية اليهودية، وبدأ نشاط محمود لتحويل الهاغانا من قوة ذات نشاط سرّي الى جيش نظامي. و صدر الامر بانتشار قوات الهاغانا على طول الحدود السورية حيث جرى لغط حول وجود حشود عسكرية عربية^(٣). هذا ما جرى في فلسطين، أما في الامم المتحدة فقد انكشفت المؤامرة الصهيونية الاستعمارية بكل أبعادها ودونما برقع من حياء.

(١) يذكر مرجع غير عربي أن عدد أفراد والنجادة تراوح بين ٣٠ - ٤٠ ألفاً « ولكن بتسليح وتدريب مشكوك فيها » ، وانها كانت مهملتين عموماً كعامل عسكري جدي .

Kirk, p. 247, footnote.

Ben-Gurion, Years of Challenge, pp. 24-25 (٢)

Zionist Review, 10 & 17 oct. 1947, pp. 2, 5 respectively, (٣)

quoted by Kirk p. 247.

الفصل الثالث والعشرون

الامم المتحدة تخرق ميثاقها بقرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧)

قضية فلسطين أمام اللجنة الموقته (ايلول - تشرين الاول ١٩٤٧) :

افتتحت الدورة الثانية للجمعية العامة في ١٦ ايلول وتحدث جورج مارشال وزير الخارجية الامريكى فامتدح جهود اللجنة الخاصة وقال ان حكومته علقّت أهمية كبرى لس فقط على توصيات التقرير التي لقيت موافقة اجماعية من اللجنة ، وانما أيضاً على ما رأته اكثرية اللجنة . وبدا أن هذا البيان اشارة غامضة الى تحلي الولايات المتحدة عن صحتها ، وميلها للتقسيم ^(١) . وانبرى المندوبون العرب لانتقاد بيان مارشال المتحيز ، وأشاروا الى تأثر اللجنة الخاصة بدعاية الصهاينة ، وبتعاطف غير الصهاينة ، وشجروا مساعي بعض الامريكيين في التشجيع على الهجرة غير الشرعية على مستوى واسع ، واعتبروا ذلك موقفاً معادياً لعرب فلسطين ثم طرح مشروع قرار بتشكيل لجنة موقته Ad Hoc للنظر في المشروعين اللذين تقدمت بهما اللجنة الخاصة ، فعارض المندوبون العرب ذلك لأن ممارسة الضغط عليها يصبح امراً ممكناً الى أقصى حد ، وارتأوا أن يطرح الموضوع على اللجنة السياسية التي يمكنها في الوقت نفسه النظر في المسائل المهمة الأخرى . ولكن الجمعية العامة قررت في ٢٣ ايلول تشكيل اللجنة الموقته Ad Hoc على ان تبدأ عملها خلال يومين ، وتكون مؤلفة من جميع أعضاء الجمعية العامة . وعقدت اللجنة اربعة وثلاثين اجتماعاً في الفترة ما بين ٢٥ ايلول و ٢٥ تشرين الثاني .

ودعيت الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية لحضور اجتماعات اللجنة الموقته التي استهلّت

Hurewitz, op. cit. , p. 304

(١)

اعمالها في ٢٦ ايلول بخطاب كريتش جرتز وزير المستعمرات البريطاني ، قال فيه أن حكومته غير مستعدة لفرض سياسة في فلسطين بقوة السلاح ، وأنها تتعاون مع الامم المتحدة لتنفيذ أية خطط يرضى بها العرب واليهود ، وأعلن عن عزم حكومته على وضع خططها لسحب قواتها وادارتها من فلسطين في وقت مبكر إذا لم تتوصل الجمعية العامة الى تسوية للقضية^(١) . وهو بذلك يكرر ما ذكره قبله الكسندر كادوغان المندوب البريطاني في الامم المتحدة . ويعلق أهمية على تنفيذ المقررات والتواصي ؛ والصهاينة الذين تفاءلوا بمشروع الاكثوية لم يخف عليهم غرض وزير المستعمرات ، فشعروا بالامتعاض من بيانه وانهموه بتعقيد المشكلة . وانبرى بن غوريون للرد عليه بخطاب ألقاه في القدس وقال فيه ان المسألة برمتها هي مسألة إجراؤه يقع تنفيذه على عاتق الامم المتحدة وعلينا ؛ « ربما استهدف المستر كريتش جرتز تغيير الامم المتحدة ، وجعل اتخاذ القرار أصعب ؛ حسناً جداً .. لا احتجاجات ولا ضجيج بعد الآن . ولن نخفي يوماً آخر في فراغ النظرية أو التشريع والأخلاق . سوف نحمل المسؤولية الخطيرة بأنفسنا »^(٢) . واستهل بن غوريون بخطابه حملة صهيونية عنيفة لم تلبث أن تأثرت السياسة الامريكية الى حد غير قليل ، بمظاهرها السياسية والدبلوماسية والدعائية .

وفي ٢٩ ايلول دعي ممثل الهيئة العربية العليا لشرح وجهة نظر عرب فلسطين أمام اللجنة الموقفة ، فشرح جمال الحسيني القضية شرحاً وافياً فنّد فيه مزاعم الصهاينة ، وقال ان العرب سيقاومون أي مشروع للتقسيم الى آخر نقطة من دعائمهم ، وانهم يرفضون تقرير اللجنة الخاصة (الانسكوب) بمشروعه ، لأن مشروع الأقلية يدور أيضاً في نطاق

U. N.General Assembly,Ad Hoc Committee, Summary (١)
Records, pp. 3-5

Ben Gurion, Ribirth & Destiny of Israel , pp. 215-216 (٢)

التقسيم وينتهي إليه . وقال مندوب عرب فلسطين إن منطق الامم المتحدة ومبرر وجودها يلزمها بمساعدة الدفاع العربي الذاتي ضد العدوان الصهيوني الذي يقصد الاستيلاء على فلسطين بالقوة^(١) . وان حقوق عرب فلسطين وميراثهم قد تعرضا لما لا يقل عن ثمانية عشر تحقيقاً خلال ربع قرن ، ولم تؤد كلها الى شيء . وان لجان التحقيق كانت إما تنتقص من حقوق عرب فلسطين الشرعية أو تكتفي بالتعليق عليها . وان التواصي القليلة المؤيدة للحق العربي تجاهها حكومة الانتداب . ولهذا السبب وغيره ليس عجيباً ان تمتنع الهيئة العربية العليا عن الظهور أمام اللجنة الخاصة . وقال المندوب الفلسطيني إن بلاده سبق ان استوعبت أكثر بكثير من حصتها العادلة ، وان اليهود لا يمكنهم ان يفرضوا ارادتهم على الامم الاخرى باختيار مسكان إغائهم وطريقتها ، خاصة إذا كان اختيارهم يتنافى مع مبادئ القانون الدولي والعدل ، ويفتتت على مصالح الامم المعنية افتثاتاً مباشراً . واسترعى المندوب الانتباه الى ان حل قضية فلسطين أمر بسيط يكمن في ميثاق الأمم المتحدة ، الذي يوجه بشكل عرب فلسطين غالبية السكان ، ولمهم الحق في دولة حرة مستقلة . وقال ان الامم المتحدة ليست مخرولة من الوجهة القانونية ان تقرر أو تفرض تنظيماً دستورياً لفلسطين . ثم لخص المبادئ التالية على أنها أساس للتنظيم الدستوري المقبل لفلسطين :

١ - إقامة دولة عربية في فلسطين على أسس الديمقراطية .

(١) إن الامم المتحدة بإنكارها على عرب فلسطين وهم يشكلون غالبية الثلثين الصريحة في البلاد الحق في ان يقرروا مصيرهم بأنفسهم ، قد خرقت ميثاقها بنفسها . دع أن مشروع التقسيم كان أيضاً مخالفاً لمبادئ ميثاق الاطلسي التي أقرت في ١٢ آب ١٩٤١ واعلنت أن بريطانيا والولايات المتحدة « ترغبان في أن لا تجري تغييرات اقليمية لا تتفق والارغاب التي تعرب عنها بحرية الشعوب صاحبة العلاقة » . ومضى ميثاق الاطلسي يقول إن هاتين الدولتين « تحترمان حق جميع الشعوب في ان تختار نوع الحكم الذاتي الذي ترغب في العيش في ظلّه » .

٢ - تحترم دولة فلسطين العربية حقوق الانسان والحريات الأساسية والساواة لجميع الأشخاص أمام القانون .

٣ - تحمي دولة فلسطين العربية الحقوق المشروعة لجميع الأقليات ومصالحها .

٤ - تضمن للجميع حرية العبادة والوصول الى الاماكن المقدسة .

ثم لحص المندوب الفلسطيني الخطوات اللازمة لتنفيذ المبادئ السابقة ، وقال ان ميثاق العرب هو : لا تقسيم ، لا هجرة ، لا دولة يهودية ^(١) .

ودعي يمثل الوكالة اليهودية الحاخام اباهيل سلفر فشرح وجهة النظر الصهيونية شرحاً مليئاً بالافتراء والتضليل ورفض مشروع الأقلية ، واعلن عن قبول التقسيم ، ولكنه اعترض على ترك الجليل الغربي والقدس خارج الدولة اليهودية ، ورحب بقرار بريطانيا الانسحاب من فلسطين ، وأكد استعداد اليهود سريعاً لضمان القوة اللازمة لحفظ الأمن وملء الفراغ ^(٢) ، ومع ان التقسيم يعني تضحية عظيمة بالنسبة لليهود فهم يقبلونه على مضض ^(٣) ! وفي غضون ذلك كان الصهاينة يجهزون أوثق الصلات مع هرشل جونسون كبير اعضاء الوفد الامريكى والجنرال هيلدرنغ مستشار الوفد والشخص الثاني فيه ؛ ويصف دافيد هوروفتزر ذلك فيقول إن جونسون لم يعد يتبع (عواطف) وزارة الخارجية ، وانما تجاوزها باذلاً ما في وسعه لمعاونة الصهاينة ، حتى أن تأثيره انعكس بصورة ايجابية على موقف وزارة الخارجية . أما الجنرال هيلدرنغ فكان حصن القوة منذ البداية . . وكان يتحدث غالباً مع الاستراتيجيين الصهاينة ^(٤) . وفي ١١ تشرين الاول كشف جونسون رسمياً النقاب في

Ad Hoc Report, pp. 2-19 (١)

Sacher, op. cit., p. 92 (٢)

Granados, op. cit. , p. 249 (٣)

Horowitz, D. • State in the Making •, N.Y. 1953, pp. 255-56 (٤)

اللجنة الموقفة عن تأييد حكومته لمشروع الاكثريّة في التقسيم على أن تجرى عليه بعض التعديلات لصالح العرب كضم بافا للدولة العربية . وقال ان مسؤولية الادارة في فلسطين لا تزال تقع على عاتق الدولة المنتدبة خلال فترة الانتقال المؤبدّة للاستقلال ، ولذلك اقترح أن تجنّد الأمم المتحدة قوة بوليس على أساس التطوع تقوم بحفظ القانون والنظام خلال هذه الفترة . وقد أشار المندوب الامريكى في خطابه اشارة لها مغزاها الى ما ناله العرب من دول وكيانات القانون والنظام ، واهتمام بلاده بقضية اليهود ووطنهم القومي . وبعد يومين تحدث المندوب السوفيتي سيمون تسارابكين Semyon Tsarapkin فأيد التقسيم دون مشروع الدولة الاتحادية الذي وصفه بأنه غير عملي ^(١) . وضح المندوبون العرب بالشكوى من الموقف الامريكى المتأثر بالنفوذ الصهيوني ، بل ان المندوب العراقي تحدث صراحة عن « الموسم الانتخابي » في الولايات المتحدة وعن قوة الأصوات اليهودية هناك . كذلك انتقد العرب الموقف السوفيتي ؛ ولعل الصهاينة قد فوجئوا بموقف موسكو المؤيد لهم لأن موقفها لم يكن قد اتضح صراحة بعد ، لذلك شعروا بارتياح عظيم حين سمعوا التأييد السوفيتي ووصفه بأنه مفاجئ ومشجع ومثير . واعلن تسارابكين عطف حكومته على قضية اليهود ، وقال انه لا مفرّ من قبول التقسيم لأن جمع العرب واليهود في دولة واحدة أمسى مستحيلاً . وتتابع ممثلو الدول في الكلام بين كثرة مؤيدة للتقسيم وقلة مؤيدة للحق العربي ، ويقف بينها بعض المندوبين مترددين حائزين بستوحون مواقفهم من الظروف . وفي ١٦ تشرين الأول رد كريتش جوتز على المندوب الامريكى بأن حكومة لندن ترفض قبول مسؤولية الادارة في فلسطين خلال فترة الانتقال « لا منفردة ولا قائمة بدور رئيسي » ، وأبدى أسفه للشائعات والتأكيدات الصهيونية بأن حكومة فلسطين تشجع اعمال العنف العربية ، واحتج ضد إغضاء بعض الحكومات عن تزويد الصهاينة

بالسفن والسلاح والمال لتغذية الهجرة غير المشروعة » التي تؤثر كثيراً على مشاعر العالم العربي وتثير بذلك ما لا يمكن السيطرة عليه .

ثم قررت اللجنة الموقته Ad Hoc في ٢٢ تشرين الأول تأليف لجنتين فرعيتين لإعداد مشروعات مفصلة حول تقرير اللجنة الخاصة (الانسكوب) ؛ احدهما تضع خططاً تتفق مع مشروع الأكتوية وتتألف من أعضاء معظمهم من المؤيدين له ، وثانيها لاعداد خطط تتفق مع مشروع الأقلية ، وقد اختير أعضاؤها من المعارضين لمشروع الأكتوية .

واشتملت اللجنة الفرعية رقم (١) على مندوبي كندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وبولندا وجنوب افريقيا والولايات المتحدة والاورغواي والاتحاد السوفيتي وقزويلا^(١). وقد قدمت اللجنة رقم (١) مشروعاً يتضمن لإنهاء الانتداب في وقت لا يتجاوز أول آب ١٩٤٨ واتمام الجلاء خلال ذلك ، وظهور الدولتين بعد الجلاء بشهرين ، وإشراف لجنة انتقال دولية تعينها الأمم المتحدة وتعهد اليها بادارة فلسطين ، وتنفيذ التقسيم في فترة الانتقال . وحددت اللجنة كلاً من المنطقتين وفق ما اقترحه مشروع الأكتوية على أن تضم يافا بسكانها السبعين ألفاً وبعض أقسام من النقب بما فيها مدينة بئر السبع الى الدولة العربية . كما أجريت تعديلات لمصلحة الدولة اليهودية على شواطئ البحر الميت وفي منطقة صفد من ناحية الجليل الغربي .

واشتملت اللجنة الفرعية رقم (٢) على مندوبي افغانستان وكولومبيا ومصر والعراق ولبنان والباكستان والسعودية وسورية واليمن^(٢) . وقد شعرت اللجنة منذ اجتماعها الأول في ٢٣ تشرين الأول بأن كلاً من اللجنين الفرعيتين (١) و (٢) قد شكلت بحيث تضم مندوبين من تفكير سياسي واحد، وان تمثيل الدول المحايدة فيها غير كاف، ولذا اقترح ان

U. N. Document A Ac. 44 31 (19 November 1947) (١)

ibid., (11 November 1947) (٢)

يطلب الى رئيس اللجنة الموقته الاوستراي الدكتور ابغات Evall إعادة تشكيل اللجنة الفرعية رقم (٢) بحيث تستبدل دول محايدة غير ملتزمة بمحل معين لقضية فلسطين بدولتين عربيتين (بصرف النظر عما يمكن عمله بصدد اللجنة الفرعية رقم (١) . ولكن رئيس اللجنة رفض الاقتراح ، وكان تشكيل اللجنتين الفرعيتين على هذا الوجه ، وموقف رئيس اللجنة الموقته Ab Hoc يميلان في نظر المندوبين العرب وأنصارهم القلائل شيئاً واحداً ، هو أن تقسيم فلسطين قد قرره الدول الكبرى ليتلاءم مع الأمان الصهيونية ، وان مايجري في الأمم المتحدة ، لا يعدو ان يكون إسدال رداء الشرعية على عملية غير شرعية . ومع ذلك فقد تابعت اللجنة الفرعية رقم (٢) عملها برئاسة محمد ظفر الله خان من الباكستان وشكلت ثلاث فئات تعالج:

- ١ - المسائل القانونية - من مندوبي الباكستان وسورية والسعودية .
- ٢ - مسألة اللاجئين - من ممثلي الأفغانستان وكولومبيا ولبنان .
- ٣ - المقترحات الدستورية - من ممثلي مصر والعراق واليمن .

وبعد دراسة تقارير الفئات الثلاث ، قدمت اللجنة الفرعية (٢) توصياتها الى اللجنة الموقته على شكل مشاريع قرارات . وينص مشروع القرار الأول على ان الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل التوصية بمحل قضية فلسطين ، تطلب من محكمة العدل الدولية رأياً استشارياً حول بعض المسائل القانونية المتصلة بصلاحيات الأمم المتحدة في التوصية ، أو في فرض أي حل مخالف لرغبات غالبية سكان فلسطين . ويوصي مشروع القرار الثاني بتسوية دولية لمسألة اليهود اللاجئين والاشخاص المشردين ، ويقترح كيفية تعاون الدول الأعضاء في هذه التسوية . وينص مشروع القرار الثالث على إيجاد حكومة موقته تدير جميع فلسطين ، على أن تبدأ الدولة المنتدبة بالجللاء بعد قيامها ، وتنتهي منه خلال سنة واحدة . وتدعو الحكومة الموقته جمعية تأسيسية لسن دستور ديموقراطي ينص على وحدة فلسطين

واستقلالها وسيادتها ، ومنج جميع رعاياها الحقوق المتساوية بدون أي تمييز^(١).

(١) أعد العلامة الأستاذ فارس الخوري رئيس الوفد السوري بالاشتراك مع السير محمد ظفر الله خان رئيس وفد باكستان ، دراسة قيمة حول المسائل القانونية التي يثيرها مشروع الأكتية . وقد بادرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية إلى إعادة نشرها نقلاً عن سجلات الامم المتحدة تحت رقم Document A Ac. 14/32 et Add. 1 وذلك بمناسبة مرور عشرين عاماً على مؤامرة التقسيم التي تمت في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، بعنوان :

• Le Partage de la Palestine. • Series des Monographies No. 9 Beirut 1967
ولا ينسج المجال لوفاء هذه الدراسة المستفيضة الممتازة حقها من التنويه ، نظراً للحجج القانونية الدامغة التي أوردها اثنان من جباذة القانون الدولي في العالم . وحسبنا ان نشير الى أنها تقوم على تقد مشروع الأكتية الذي أخطأ فوضع دعاوى العرب واليهود على قدم المساواة . وبما أن دعاوى اليهود لا ترتكز إلا على تصريح بلغور ، وبما أن اللجنة الخاصة لم تدرسه ولم تبد رأياً بشرعيته ، فن الضروري طرح مسألة صلاحية وعد بلغور على محكمة العدل الدولية. وان عبارة (وطن قومي يودي) يجب أن تعني (مركز ثقاني) لا يؤثر وجوده على وضع الشعب الساكن في فلسطين ولا على حقوقه. هذا إلى ان اغلال عصبية الأمم نزع عن الانتداب كل مبرر قانوني ، وان تصريحات الدولة المنتدبة عن نوابها الجلاء عن فلسطين قد فتحت سبيل إقامة حكومة مستقلة في البلد دون تدخل الأمم المتحدة أو غيرها . إن بريطانيا بموجب المادة الخامسة من الانتداب ملزمة بالمحافظة على تمامية أراضي فلسطين ضد أي انتقاص منها، أو استئجار ، وضد اقامة أي اشراف من دول اجنبية عليها . فضلاً عن ان المادة ٢٨ من الانتداب تنص على انتقال أراضي فلسطين الى سلطة حكومة فلسطين . وبموجب المادة ٢٢ من ميثاق العصبة تصبح فلسطين مستقلة تماماً عند انتهاء التقييد الموقت لسيادتها القومية بالانتداب ، والتدابير التي اتخذت لقيام وطن قومي يودي لم تدحض النتيجة السابقة . وان واضعي حك الانتداب لم يفهموا أن هجرة اليهود الى فلسطين كانت نجر ورامها تقسيم البنية السياسية والجغرافية والادارية للبلد . وأي تفسير آخر هو بمثابة نكث بيمادى ميثاق العصبة ومحو الاهداف الأساسية للانتداب . وبالتالي فاقترح التقسيم مناقض لتدابير الانتداب على فلسطين ولبيادى ميثاق العصبة وأهدافه ، وان الامم المتحدة لا تملك حق تطبيقه لانها ملزمة بموجب المادة الاولى من ميثاقها بالعمل حسب مبادئ العدل والحق الدوليين وباحترام حق الشعب في تقرير مصيره ، وان فرض تقسيم فلسطين ضد رغبات اكتية شعبيها خرق كامل لمبادئ الميثاق . دع أن التقسيم ينطوي على =

انتقال الاراضي واقتراف الظلم ، والامم المتحدة لا يمكنها ان تتصرف بأرض أو تنقلها ونحرم الشعب الفلسطيني من ارضه ، او تمنح الاقلية حق الانتفاع منها . وان الامم المتحدة لا تملك سلطة إيجاد دولة جديدة ، فهذا انقرار لا يمكن ان يتم إلا بالاختيار الحر من جانب شعب فلسطين. وهذا الشرط غير متوفر في مشروع الاكثريّة الذي ينص على انشاء دولة يهودية دون اعتبار رغائب ومصالح عرب فلسطين . كذلك ليس ثمة مبرر في ميثاق الامم المتحدة ولا في روح صك الانتداب وميثاق عصبة الأمم ، لاقتراح انشاء وصاية دولية دائمة على مدينة القدس . والقيد الوحيد الذي فرضه الانتداب ورد في المادة ٢٨ وهو التزام حكومة فلسطين بحماية وصيانة الأماكن المقدسة في فلسطين. ولكن واضعي صك الانتداب لم يسعوا قط أن هذا التدبير يمكن استعماله لتحديد او انتقاص سلطة حكومة فلسطين على عاصمة البلد . وينطبق نفس هذا الاعتراض على توصية إيجاد اتحاد اقتصادي بين دولتي العرب واليهود ومدينة القدس . والنتيجة الواضحة للتوصية ليس فقط السماح للدولة اليهودية بالتدخل دائماً في شؤون الدولة العربية ضد رغبات شعبها العربي ، ولكن السماح للمنظمة الدولية بالمساهمة المباشرة في ادارة الحياة الاقتصادية للبلد . اما بصد فرض مشروع الغالبية بالقوة على فلسطين ، فإن الدولة المنتدبة نفسها اعلنت منذ ١٩٣٩ ان ذلك ضد روح المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم وضد العهود المقطوعة للعرب في الانتداب . وعليه فليس للأمم المتحدة اقل حق في ان تأخذ على عاتقها تنفيذ مشروع ضد رغبة اكثرية الشعب الفلسطيني ، لئلا يؤدي ذلك الى معضلة اعظم خطورة بدلاً من حلها . هذا الى ان انشاء دولة يهودية بالقوة في قلب العالم العربي لا يخلق عنصراً خطيراً للاضطراب داخل فلسطين فحسب ، وانما ايضاً يعرض السلام والامن الدوليين في الشرق الاوسط لأفدح الاخطار . كما أنه لا يوجد في المبادئ القانونية ما يؤيد اقتراح بعض المندوبين بتجنيد جيش من المتطوعة او قوة من البوليس لحفظ السلام والنظام داخل فلسطين اثناء فترة الانتقاف . ومن المحتمل ان هذه القوة سوف تستخدم لقمع معارضة مشروع الاكثريّة . ونفس هذه الملاحظات تنطبق على استخدام قوات نظامية من الدول الاعضاء ؛ فالجمعية العامة لا يمكن ان تعهد باستعمال هذه القوات ، ولا يمكنها أن تنفذ برنامجاً يؤدي حتماً لاستخدام القوة العسكرية . والميثاق لا يسمح حتى لمجلس الامن بأن يستعمل قواته الخاصة أو قوات الدول الاعضاء لفرض هذه او تلك من سياسات الأمم المتحدة ، وأن يتدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد بحجة تأمين احترام النظام العام أو لأي سبب آخر.

وفي اللجنة الرباعية التي تشكلت من ممثلي الولايات المتحدة (جونسون) وكندا (ليستيريسون) والاتحاد السوفيتي (تسارابكين) وغواتيمالا (غرانادوس) والتي توجب عليها ان تعالج كيفية تنفيذ التقسيم ، جرى خلاف بين جونسون وتسارابكين حول طول فترة الانتقال وطبيعة السلطة المنفذة . جونسون أصر على ان يستمر الانتداب البريطاني خلال فترة الانتقال التي تنتهي في اول تموز او قبله ، وتسارابكين يريد أن تتخلى بريطانيا عن انتدابها في أول كانون الثاني ١٩٤٨ وتسحب قواتها بحلول ٣٠ نيسان ١٩٤٨^(١).

واستهدف المندوب السوفيتي أمام اللجنة رقم (١) أن يضمن لبلده صوتاً في تنفيذ التقسيم إذا ما اشتركت به أيضاً بريطانيا والولايات المتحدة ، كما اصر على أن مجلس الأمن يجب ان يكون مسؤولاً عن الادارة في فلسطين اثناء فترة الانتقال ، وان لجنة الاشراف الدولية يجب أن تتألف من أعضاء مجلس الأمن آنذاك لتشرف على المليشيا العربية واليهودية المكلفة بحفظ القانون والنظام في الدولتين العربية واليهودية . ولكن المندوب الامريكاني جونسون خشي من النوايا السوفيتية الكامنة في الموقف السوفيتي ، ولذا لم يأت في خطابه الذي ألقاه يوم ٣١ تشرين الاول على أي ذكر لقوة البوليس الدولية ، مخافة أن تشتبك فيها روسيا ، فتزيد نطاق التهديد السوفيتي في الشرق الأوسط ، الامر الذي كان يقلق القادة العسكريين الأمريكيين . وخاصة بعد أن ابدى الروس رغبتهم في خروج البريطانيين المبكر من فلسطين ، وألحوا على وجوب انتهاء الانتداب مع مطلع عام ١٩٤٨ تماماً ، وجلاء الجيوش البريطانية حتماً بعد مرور أربعة شهور من هذا التاريخ . ولشلا يشارك السوفيت في أي مشروع وصاية ، وخشية أن تتاح لهم الفرصة للتغلغل في المنطقة إبان البلبة المرجح حدوثها ، اقترح جونسون تقصير أمد فترة الانتقال ، وتقديم موعد

Lilienthal, op. cit., p. 46

(١)

اعلان الاستقلال من أول ايلول ١٩٤٩ الى حوالى الاول من تموز ١٩٤٨ . ولا يمكن أن يغيب عن موسكو أن انسحاب بريطانيا من فلسطين مقابل عدم زيادة النفوذ الأمريكي ، سينجم عنه بالضرورة تحسن نسبي في وضع السوفيت الاستراتيجي والسياسي في كل أنحاء الشرق الاوسط . ويبدو أن السوفيت أبدوا ارتياحهم لاقتراح واشنطن تقصير فترة الانتقال لأن الانسحاب سوف يخدم الأغراض السوفيتية في الحرب الباردة ، سواء تبعه احتكاك بين الولايات المتحدة وبريطانيا في حال تنفيذ التقسيم ، أم لا . والصهيونية في غضون ذلك لم تكن بمعزل عما يجري ؛ ويصف هوروفتزر الصهيوني عضو تنفيذية الوكالة اليهودية وأحد المفاوضين الرئيسيين في الأمم المتحدة كيف تأثر الوفد الأمريكي بصد الحظر الروسي . يقول هوروفتزر : « كنا نعلم ان الروس سيصرون على انتقال سلطة التنفيذ الى مجلس الأمن ، في حين كان الامريكيون يفضلون ابقاءها بيد الجمعية العامة أو إحدى لجنتها . ولقد نبهنا الامريكيين إلى هذه العقبة ، ولكنهم أبرزوا نقطة مهمة تعارض إسناد السلطة الى مجلس الأمن ، وذلك بالإشارة إلى أعضائه يومذاك الذين كانت معظمهم في الحقيقة إما معارضين للتقسيم أو محايدين : بريطانيا والصين وكولومبيا وسورية معارضة . أما بلجيكا وفرنسا فكانتا متروكيتين . وفي تلك الظروف كان من المفضل عدم اللجوء الى مجلس الأمن لكيلا يبطل أي قرار تتبناه الجمعية العامة . على أن الجنرال هايدرنغ تجاوز الحد الذي ذهب اليه وفد بلاده ، وقال مؤكداً : (لا تقلقوا فلن نسمح للخلاف بيننا وبين الروس بأن يفسد الأمور ويضرب الحل) . ولقد أشار إشارة دقيقة إلى احتمال التوصل إلى حل وسط على أساس انقسام القوى . وفي الواقع كان هذا هو السبيل الذي أفلح » (١) .

Horowitz, op. cit., pp. 273

(١)

وكان غرانادوس في الوقت نفسه بلغت نظر الوفد الامريكى الى صعوبة الحصول على تصويت ايجابي لمصلحة تنفيذ التقسيم ، في مجلس الامن ، نظراً لمعارضة غالبية أعضائه آنذاك للتقسيم .

Granados, p. 252

فلسطين م ٥٥ (١٩٦٨)

والحق ان السياسة الامريكية في سعيها لتفادي التورط في عملية تدخل عسكري رأت أن وضع التنفيذ في يد مجلس الأمن أسلم عاقبة من وضعه في يد الجمعية العامة أو لجنة ما ، لأن الولايات المتحدة يمكنها ان تمارس حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن عند اللزوم ، ولكن المفاوضات أسفرت أخيراً (١٠ تشرين الثاني) عن الاتفاق بين العملاقين بشأن انتهاء الانتداب ، وذلك في أول اتفاق من نوعه يجري بينها في المنظمة الدولية ^(١) .

ويقضي بدعوة بريطانيا لإنهاء انتدابها وسحب قواتها من فلسطين بحلول أول أيار ١٩٤٨ ، واختصرت فترة الانتقال من سنتين الى شهرين تفادياً للقوض لدى انسحابها . وان تقوم الدولتان العربية واليهودية قبل مطلع تموز ١٩٤٨ ، وتختار الجمعية العامة لجنة دولية من

(١) ذكرنا أن الصهاينة كانوا على اتصال تام مع جونسون ومساعدته الجنرال هيلدرنغ ، ويقر هوروفتزر ان جونسون أصبح صديقاً قوياً للصهيونية وأنه « لم يعد يتعثر وراء عواطف وزارة الخارجية ، ولكنه تجاوزها باذلاً جهده لمساعدتنا ، حتى بالتأثير على موقف وزارة الخارجية لمصلحتنا .. أما الجنرال هيلدرنغ فكان حصننا القوي منذ البداية . كان الروح المحركة في الوفد الامريكى لاتخاذ موقف أكثر ثباتاً وفعالية .. وبوصفه حلقة اتصال للمعلومات مع الممثلين اليهود ، فقد كان يجتمع بنا باستمرار .. »

ويبدو كذلك من كتابات الصهاينة ومؤيديهم أن أم الجهد كان ينصرف نحو ضمان التأييد الامريكى والسوفيتي . وفي رواية لعضو الوفد الصهيوني هوروفتزر أن اللقاء مع الوفد السوفيتي برئاسة تسارابكين كان يتم في مبنى القنصلية العامة للروس في نيويورك ، وحضرها شرتوك والياهو ابشتاين وهوروفتزر . وقد سأل الروس الصهاينة : « هل لديكم قوة كافية لصد أي هجوم ممكن ؟ كيف تتصورون فرض قرار التقسيم » ، وكانت الدهشة مستولية على الصهاينة حين تبادلوا مع الروس الاغتاب من أجل الدولة اليهودية المقبلة . وعبر هوروفتزر عن ذلك بقوله : « ان ما جرى لنا مع الاغناد السوفيتي هو معجزة حقيقية ، نظراً لتبدل موقفه بعد سنوات عديدة من المعارضة الى التأييد » . ويطلب الصهاينة ان يياهوا بأهميتهم بين العملاقين الكبيرين ، فيذكر هوروفتزر ان الصهاينة كانوا نوعاً من الجسر الواصل او نقطة الاتصال بين الروس والامريكان . بحيث كان كل من الوفد الروسي والوفد الامريكى ينصح للصهاينة بأن يتوصلوا ، لتذليل ما يعترضهم ، الى اتفاق بشأنه مع « اصدقاكم الامريكى » ، أو « مع اصدقاكم السوفيت » .. انظر :

Horowitz, pp. 255 - 6 & 270 - 274 Re. pectively

الدول المؤيدة للتقسيم ، تكون مسؤولة أمام مجلس الأمن ، لتحقيق من أن ميليشيا الدولتين تقوم بالمحافظة على القانون والنظام ، ولتعيين حكومة مؤقتة في كل دولة تجري انتخابات ديمقراطية (١) .

ولكن في ١٣ تشرين الثاني تحدث السير الكسندر كادوغان وأعلن أن بلاده ستجاول عن فلسطين في مطلع آب وليس في مطلع أيار . وقال ان الجيوش البريطانية حينما وجدت فيكون لها السلطة لا للجنة الامم المتحدة ، وان بريطانيا سوف تنهي انتدابها حينما ترى ذلك ملائماً إذا قررت الجمعية العامة خطة لا يوافق عليها العرب واليهود . وقال ان القوات البريطانية لن تكون أداة لفرض تسوية ضد ارادة العرب واليهود ، ولن تحافظ على النظام نيابة عن اللجنة المقترحة ، ولكنها لن تعيقها عن عملها . وبعد اسبوع أعلن كادوغان أمام اللجنة المؤقتة Ad Hoc أن البريطانيين سوف لا يتخلون عن السلطة للعرب أو لليهود ، وما دام الانتداب نافذاً فلن يسمحوا للجنة الأمم المتحدة بممارسة السلطة في أي جزء من فلسطين (٢) . وانتقد جونسون هذا الإعلان بمرارة وشجب (الاتعاون) البريطاني، وقال ان البريطانيين يجعون عملنا صعباً جداً (٣) . وبما أن أحداً – باستثناء الكتلة السوفيتية – لم يشغل نفسه بما قد يحدث عند فرض قرار التقسيم على عرب فلسطين ضد ارادتهم ، فان مشروع قرار اللجنة الفرعية الذي دعا إلى كل تنسيق وتعاون ممكن بين دولة الانتداب واللجنة الدولية في فترة الانتقال ، لم يواجه هذه المسألة مواجهة ملائمة . وقد آثرت اللجنة أن لا تعيد النظر في مقرراتها لتتنطبق مع الموقف البريطاني ، وإنما ذكرت أنه في حالة الطوارئ، تعهد الى مجلس الأمن بمعالجة الموضوع .

Granados, pp. 253-4

(١)

Granados , pp. 254 , 256

(٢)

ibid. p. 256 & Sacher, p. 91

(٣)

وفي ١٩ تشرين الثاني اجتمعت اللجنة الموقفة للنظر في تقريرى اللجنتين الفرعيتين ، ودعي بمثل الهيئة العربية العليا ثانياً للكلام ، فعلق على مشروع الغالبية الذي اقترح التقسيم ، بقوله : « ان الرائدتين العظيمتين للحربة - الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة - قد تشابكت أيديها ، مدفوعتين - على حد قولهما - بدوافع انسانية ، لدعم الانحراف الهائل عن مبدأ تقرير المصير في فلسطين . إنها قد وافقتا فقط على أمر واحد ، هو تقسيم فلسطين . لقد كانتا تعدان لتلك السياسة المدمرة ، بجواز متنافرة : الواحدة لإرضاء الأصوات اليهودية في الولايات المتحدة . والأخرى كي تسمح لعشرات الألوف من المهاجرين باغراق فلسطين بغية الترويج لنظرياتها وأغراضها السياسية . وكرر المنسوب العربي الفلسطيني ان الأمم المتحدة يجب أن تشارك في إنشاء دولة ديموقراطية ، كما اقترحتها العرب ، ولن ينجم عنها سوى الرفاه والسلام للجميع ^(١) .

وقبل ان يجري التصويت على القرارات التي رفعتها اللجنة الفرعية كان جونسون وهيلدرنج قد استدعيا في ١٩ تشرين الثاني شرتوك كبير الصابنة في وفد الوكالة اليهودية ، واطلعهما على التعليقات الصادرة الى الوفد الأمريكي والقاضية باستثناء النقب أو معظمه بما في ذلك العقبة من الدولة اليهودية ، وذلك لتعويض العرب ، لأن النقب جسر يصل بين مصر والدول العربية الاخرى ^(٢) . والعقبة في نظر وايزمن « هي بوابة المحيط الهندي ، والطريق بواسطتها من فلسطين الى الشرق الاقصى أقصر بكثير من الطريق عبر بور سعيد وقناة السويس » ^(٣) . وهنا جاء دور وايزمن الذي كان يستدعى حين تبرز مصاعب غير متوقعة ، وحين يبطيء سير الأمور ، ليقابل هذا الوفد أو ذاك في محاولة لإقناعه بوجهة النظر

Summary Records of Ad Hoc Committee, op. cit., (١)

pp. 150, 199-201

Horowitz, op. cit., p. 267 (٢)

Weizmann, p. 560 (٣)

الصهيونية . وبعد التشاور مع أعضاء تنفيذية الوكالة اليهودية تقرر أن يتوجه وايزمن الى واشنطن لمقابلة الرئيس ترومان ، وطرح الموضوع أمامه . « وفي صباح يوم الأربعاء ١٩ تشرين الثاني استقبلني الرئيس بمودة بالغة . تحدثت أولاً عن النقب ككل وهو ما أعتقد أن مصيره يصبح جزءاً مهماً من الدولة اليهودية .. ، ويبدو أن المسألة سويت لصالح الصهاينة بعد عدة ساعات ، حين أعطى ترومان تعليقاته إلى رئيس الوفد الأمريكي جونسون . ويصف هوروفتر كيف كان الصهاينة يتابعون الموضوع لحظة فلحظة بينما كان جونسون يستقبل شرتوك ويوشك ان ينهي إليه ما جد على قضية النقب .. « وفجأة استدعي (جونسون) الى الهاتف ، ولكنه رفض أن يقطع حديثه ، حتى همس في أذنه أحد معاونيه الشبان بثلاث كلمات : (الرئيس ، يا سيدي) . نهض جونسون مسرعاً ودخل حجرة التلفون حيث بقي عشرين دقيقة . وحينما خرج أحاط به زملاؤه المندوبون ومعاونوهم .. ثم انجى إلى شرتوك وقال : ما أردت أن أقوله يا مستر شرتوك ، هو أنه لا يوجد جديد في هذه القضية » (١) .

وجرى التصويت على قرارات اللجنتين الفرعيتين في ٢٤ تشرين الثاني بدءاً بقرارات اللجنة الفرعية رقم (٢) . وكان القرار الاول ذا شقين أولهما يقضي بحالة المسائل القانونية على محكمة العدل الدولية لمعرفة رأيها الاستشاري . وسقط القرار بأغلبية ٢١ صوتاً ضد ١٨ وامتناع ١١ صوتاً . وثانيها ينقد صلاحية الأمم المتحدة لفرض أية خطة لتقسيم فلسطين ضد أماني أكثرية سكانها أو تبني التقسيم دون موافقة الاكثرية ، وقد رفض بـ ٢١ صوتاً ضد ٢٠ وامتناع ١٣ صوتاً . وجدير بالملاحظة بالنسبة لما سيتلو أن الارجننتين واليونان

Horowitz, op. cit. , p. 270

(١)

وفي رواية وايزمن أن جونسون والجنرال هيدرغ استمعا الى تعليقات ترومان بالهاتف لمدة نصف ساعة ، ثم خرجا وعلنا ذلك .

Weizmann, p. 562-563

وهايتي وليبيريا ساندت العرب في هاتين القضيتين المهمتين . أما القرار الثاني الذي يوصي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بإعادة توطئ اللاجئين اليهود والاشخاص المشردين في بلدانهم الأصلية ، واستيعاب الآخرين العاجزين عن الرجوع الى أوطانهم ، بحسب مساحة البلد وموارده الاقتصادية ، فقد صوت الى جانبه ١٦ وعارضه ١٦ وامتنع عن التصويت ٢٦ ، وقد صوتت الولايات المتحدة ضد القرار لأنه أوصى باستيعاب اللاجئين في بلاد غير فلسطين . أما القرار الثالث المتعلق باقامة دولة موحدة مستقلة في فلسطين ، فقد رفضها أكثرية ٢٩ صوتاً ضد ١٢ وامتناع ١٤ . ثم جرى التصويت على قرارات اللجنة الفرعية رقم (١) بصدد التقسيم مع اتحاد اقتصادي ، فجرت الموافقة عليه بغالبية ٢٥ صوتاً ضد ١٣ وامتناع ١٧^(١) . فاحتجت وفود سورية والعراق ومصر على إقرار التقسيم لأنه غير عادل وغير عملي وضد ميثاق الامم المتحدة ، ومهدد للسلام ، واحتفظ بمثل مصر بحق حكومته في النظر الى عدم شرعية القرار وبطلانه .

ولوحظ ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كانا بصوتان معاً ، وأن قرار التقسيم ليس مقترح الاكثرية ، طالما أن الاكثرية وهي (٣٢ صوتاً) إما صوتت ضده أو امتنعت أو تغيبت ، بما فيها أصوات ثلاثة من الدول الخمس الكبرى ، وهي فرنسا والصين وبريطانيا . وان صوتاً واحداً هو الذي جعل مشروع التقسيم ينال (الاكثرية) البسيطة اللازمة في اللجنة الموقته ، في حين أن غالبية الثلثين كانت ضرورية لإقراره في الجمعية العامة .

United Nations Official Records of Second Session of (١)

General Assembly, Plenary Meetings, Vol. II, pp. 1635 - 1637

عارض قرار التقسيم : أفغانستان ، كوبا ، مصر ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، باكستان ، العربية السعودية ، سيام ، سورية ، تركيا ، اليمن . وامتنع عن التصويت : الأرجنتين ، بلجيكا ، الصين ، كولومبيا ، السلفادور ، اثيوبيا ، فرنسا ، اليونان ، هايتي ، هوندوراس ، لوكسمبرغ ، المكسيك . هولندا ، نيوزيلندا ، بريطانيا ، يوغوسلافيا .

وقد اختلف قرار التقسيم الذي جرى التصويت عليه في اللجنة المؤقتة (أد - هوك) ، من بعض النواحي عن مشروع الاكثريه الذي أوصت به اللجنة الخاصة (الانسكوب) ، واشتمل على انقاص المساحة المخصصة للدولة اليهودية بنقل يافا ورقعة تقدر بنصف مليون فدان في منطقة النقب الى الدولة العربية .

وبدأت الجمعية العامة في ٢٦ تشرين الثاني بحث تقرير اللجنة المؤقتة ، وبدا أن الانجاء ميل نحو تبني مشروع التقسيم ؛ وقد حذر مندوبو الدول التي لم تتأثر بالضغوط الخارجية ، من أخطار التقسيم . فقد عبّر وزير خارجية الفلين الجنرال كارلوس رومولو Romulo عن شكوكه العميقة في الحكمة من التقسيم وقال : « لقد تابعنا باهتمام مجرى النقاش . . ودرسنا بعناية تقرير اللجنة الخاصة عن فلسطين ، وأمعنا النظر في شتى الاقتراحات التي قدمت . ونتيجة لهذه الدراسات توصلت حكومة الفلين الى القرار بأنها لا تستطيع ان تساند أي مقترح للتجزئة السياسية ولتمزيق أرض فلسطين . إننا نعتبر أن الموضوع أخلاقي قبل كل شيء ؛ انه ما إذا كان ينبغي على الأمم المتحدة - دون ان تكون منتدبة بأي نص في الميثاق أو منطبقة مع مبادئه الأساسية - ان تقبل مسؤولية فرض سياسة تتنافر بوضوح مع الأماني القومية المشروعة لشعب فلسطين . إن حكومة الفلين تعتقد أن الأمم المتحدة لا يجب أن تأخذ على عاتقها مثل هذه المسؤولية ، . وقال رومولو : « حين أتفوه بهذه الكلمات (دوامًا تمييز في العرق أو الجنس او اللغة أو الدين) ، أفكر في ميثاق منظمة أمنا المتحدة نظراً لورود هذه الكلمات مرات ومرات فيه ، والسبب بسيط هو أنها تتطلع الى الأمم لا إلى الوراء . . نحن لا يمكننا أن نصدق ان غالبية الجمعية العامة سوف تصادق على حل لمسألة فلسطين يعود بنا ثانية الى طريق المبادئ الخطيرة للانغلاق العنصري ولنظريات الحكومات الدينية المهترئة . » وقال أيضاً « إن من حق كل شعب أن يقرر مصيره السياسي وان

يحافظ على وضع أراضيه وكيانه من أي اعتداء . . وان مشكلة المشردين اليهود في اوربا لا علاقة لها البتة بانشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين^(١) .

وكذلك أعربت بعض الدول الأعضاء التي صوتت مؤخراً الى جانب التقسيم عن الشكوك التي تراودها فقد سلم مندوب السويد بأن خطة التقسيم « تطوي على جوانب ضعيفة ونواقص خطيرة » ، وقال المندوب الكندي : « نساند الخطة بقلوب محزونة وبكثير من الريب » . وتحدث المندوب النيوزيلندي عن « القصور الخطير في المقترحات الحاضرة » . أماوزير خارجية بلجيكا فان لانكهنوف Langenhove فقد وصف التقسيم بقوله : « لسنا على ثقة بأنه عادل تماماً ، ونشك فيما اذا كان عملياً ، ونخشى أن يشتمل على مخاطر كبيرة » . وغمز من قناة الصهيونية حين قال : « إن القضية الفلسطينية تقلق بوجه خاص البلجيكين الذين وجهوا اهتماماً خاصاً لتفهم الصهيونية . إن الوطن القومي لمواطنينا اليهود هو بلجيكا لأنهم لم يلقوا أية معاملة نحملهم على الرغبة في ايجاد وطن آخر بفلسطين »^(٢) .

وقد حاول المندوب الأمريكي جونسون أن يوهم الرأي العام العالمي بأن التقسيم لا يعني تجزئة فلسطين في الواقع ، نظراً لأن المشروع يشتمل على فقرة خاصة بالاتحاد الاقتصادي وتدويل منطقة القدس . وقال إن حل قضية فلسطين يتطلب « استعمال السكين » ، ولكنه أمل أن تكون الحدود بين الدولتين سهلة العبور بحرية . وتصور بداجة مقصودة ان الحدود بين الدولتين الجديدتين « ستكون في المودة كالحدود التي تمتد على طول ثلاثة آلاف ميل بين كندا والولايات المتحدة » !!^(٣) أما خطاب ظفر الله خان فقد كان

ibid. , pp. 1313- 1315 (١)

ibid. , pp. 1317 , 1319 , 1357 , 1364 , 1365 (٢)

ibid. , pp. 1326 - 1327 (٣)

بليغاً ومؤثراً ، إذ قال موجهاً حديثه الناصح الى الدول الغربية المساندة للتقسيم : « تذكرتوا أنكم قد تحتاجون غداً الى أصدقاء ، وتحتاجون الى حلفاء في الشرق الأوسط ، فأرجو منكم أن لا تهدموا وتنسفوا رصيدكم في تلك البلدان » . وتساءل عن قابلية الحياة للدولة اليهودية المقترحة وعن مدى إخلاص الولايات المتحدة والدول الغربية : « أولئك الذين أسدوا خدمات سفوية للمبادئ الانسانية ، قد أوصدوا أبواب بلادهم أمام المشردين اليهود ولكنهم صوتوا لا لتكون فلسطين العربية ملجأهم الوحيد وملاذم فحسب ، وإنما أيضاً لتكون دولة ينبغي لليهودي المشرد فيها أن يحكم العربي » . ومضى وزير خارجية باكستان يتهم على رفض الدول التي رفضت توصية اللجنة الفرعية باستيعاب الاشخاص المشردين واستقبالهم بحسب مقدرة تلك الدول : « أستراليا ، البلد الصغير الغارق بالسكان ذو المساحات المزدهمة تقول : لا ، لا ، لا . كندا أيضاً تقيض بسكانها ومزدهمة ، تقول لا . الولايات المتحدة ، البلد الانساني العظيم ذو المساحة الصغيرة والموارد الضئيلة تقول لا . إن هذا هو إسهامهم نحو المبدأ الانساني ، ولكنهم قالوا : دعوهم يذهبوا الى فلسطين حيث توجد الأراضي المتسعة والاقتصاد العظيم ، وحيث لا مناعب ، وهناك بمستطاعهم أن يُستوعبوا بسهولة » !! (١)

وعشية التصويت في الجمعية العامة ناشد المندوب اللبناني زملاءه مقاومة الضغط الصهيوني ، وقال : لو حكمت من تقارير الصحافة التي تصلنا بانتظام كل يومين أو ثلاثة ، لكان بمقدوري أن أتصور جيداً مدى ما تعرّض له احساسكم بالعدالة والمساواة والديموقراطية من ضغط ومناورات خلال الساعات الست والثلاثين الماضية . واستطيع كذلك ان أتصور كيف كنتم تقاومون جميع هذه المحاولات حرصاً منكم على ما نعتبره أعز وأقدس

ما في الأمم المتحدة ألا وهو الحفاظ على مبادئ الميثاق وصيانة الديمقراطية والأساليب الديمقراطية لمنظمتنا. ثم ذكرهم « بالوسائل الديمقراطية وحرية التصويت التي يقدها كل وفد من وفودنا » وقال : « اذا تخلينا عن هذه فسخنا المجال أمام الأسلوب الطغياني لمعالجة كل وفد على حدة في غرف الفنادق ، وفي الفراش ، وفي الردهات والغرف الخلفية لتهديد أعضائها بالعقوبات الاقتصادية ، أو برشوتهم بالوعود لملمهم على التصويت على وجه من الوجوه ، فتأملوا ما سيحل بمنظمتنا في المستقبل (١) » .

وتحدث مندوب مصر محمود فوزي فأشار الى الضغط الذي تعرض له أعضاء اللجنة الموقفة لمصلحة التقسيم ، ولم يذكر صراحة اسم الولايات المتحدة ولكنه عنها بوضوح وغمز من قناتها بإشارته الى مقتضيات السياسة الانتخابية . وبيناهض غروميكو وأيد مشروع التقسيم ، فإنه هاجم بشدة موقف بريطانيا ، واستنكر عمليات المناورة حول اكتساب الاصوات التي تجري في الجمعية العامة ، وهو بذلك يلمح الى مساعي الولايات المتحدة (٢) . ولضمان إقرار مشروع التقسيم اشدد الضغط الصهيوني داخل أروقة الأمم المتحدة وخارجها ، وتقرب الصهاينة من الرأي العام الأمريكي عن طريق التوراة ، والمتاجرة بما يقاسيه اليهود الاوربيون . ومن ناحية أخرى فقد فتح تعاون ترومان مع ايزمن حول مسألة النقب والعقبة طريق التصويت لمصلحة التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني . ولكن الصهاينة كانوا لا يزالون أمام مهمة ضمان ما يكفي من الأصوات للحصول على أغلبية الثلثين المطلوبة لإقرار التقسيم .

وفي مساء يوم الأربعاء ٢٦ تشرين الثاني أوشك التصويت أن يجري في الجمعية العامة . ومن المؤكد أن التقسيم لو طرح للتصويت عليه آنذاك لسقط دون أن ينال أكثرية

ibid. , p. 1314

(١)

ibid. , pp. 1358 - 1363

(٢)

الثلاثين . فقد تحدث مندوب اليونان وأعلن أنه يعارض التقسيم ، ونهض الجنرال رومولو فحذا حذوه ، ثم وجه المندوب السويدي سلسلة من الشكوك ضد التقسيم وإن أعلن أخيراً أنه يصوت معه على مفض لأنه لا يجد بديلاً عنه ، ثم قام مندوب هايتي وتحدث ضد التقسيم ، وكان هذا نذيراً باحتمال سقوط التقسيم .

ونترك وصف ما اعترى الصهاينة من قلق واضطراب لعضو تنفيذية الوكالة اليهودية هوروفتز : « وتركنا القاعة ، وأجرينا مشاورة قصيرة في المرء ، بدا لنا أن القضية قد ضاعت منا ، وإن تأجيل التصويت فقط يمكن أن ينقذنا - الغد هو عطلة قومية أمريكية (يوم الشكر) ولا يمكن عقد الاجتماع ، ويمكننا استغلال الوقت لتحسين وضعنا »^(١) وكان لابد من رفع الجلسة بأي ثمن ؛ وهذا اسفرت الولايات المتحدة عن وجهها أكثر من ذي قبل ، وأوعز الى الوفد الأمريكي ليقترح تأجيل التصويت ، ويسارع رئيس الجمعية العامة (آرانها) البرازيلي برفع الجلسة بحجة أنه لم يبق وقت كاف لسماح جميع الذين تقدموا بطلبات للكلام . فاحتجت الوفود العربية وأعلنت تنازلها عن خطبها نوبيراً للوقت وتمكيناً للجمعية من إجراء التصويت في تلك الجلسة . ولكن رئيس الجلسة أبى إلا التأجيل لأن كفة العرب كانت راجحة . ومن المعلوم أن آرانها يعتبر صديقاً حميماً للصهيونية ، ولولا ذلك لما اختصه غرانادوس بالمديح في قوله : « إن اختيارنا وقع بالاجماع على الدكتور اوزوالدو آرانها البرازيلي للرياسة »^(٢) ، وكانت الساعة آنذاك السادسة والنصف مساءً ، ولم يكن من غير المألوف أن تستمر الجمعية العامة في جلساتها حتى منتصف الليل . وعلى الرغم من أن المندوبين العرب سحبوا أسماءهم من قائمة المتحدثين ، فقد تثبت آرانها بموقفه ، ولم يتابع المناقشة في موضوع التقسيم التي ثبت بعد

Horowitz, op. cit., p. 299

(١)

Granados, op. cit., p. 217

(٢)

استئناف الجلسة فيما بعد ، أنها لم تستغرق سوى أربع ساعات فقط !^(١) ومها يكن من أمر فقد وضح للصهاينة ان مصيرهم بأيدي هايتي وليبريا والحبشة والفلبين،^(٢) وكان اغتباطهم بالغاً لان الاجتماع أنهى دون تصويت ويعترف الكتاب الصهاينة حين يصفون الفترة الحاسمة التي مرت ما بين ٢٦ و ٢٩ تشرين الثاني بأن جهودهم مع الوفد الامريكى لم تترك شيئاً للصدف ، وبأنهم اتصلوا مع القاصي والداني لضمان التأييد المطلوب . وبعد أن تبددت موجة اليأس التي أمت بالصهاينة ، بدأوا فترة نشاط عنيف، وطبقوا ما ثبت نجاحه سابقاً في صهينة الجماعات اليهودية الامريكية من حيث استعمال نفس الأساليب : الضغط السيامي والدعاية الماكيفيلية . ويشير هوروفتزر الى هذه الفترة بقوله : « انقضى يوم الأربعاء الأسود ، ونشأت الروح المقاتلة فينا ثانية ، فاجتمعنا في مكاتب الوكالةوتشاورنا حول الطرق والوسائل لادارة عجلة الاحداث مرة أخرى . وبدأ الصراع من جديد . أجراس الهاتف ترن بجنون ، والبرقيات تسارع الى جميع اجزاء العالم ، وأخذ الناس من فراشهم في منتصف الليل وأرسلوا في مهام غريبة ، وأعجب من كل ذلك أنه لم يرفض يهودي ذو نفوذ صهونياً كان او غير صهوني ، أن يقدم لنا مساعدته في أي وقت ، ووضع كل فرد ثقله

(١) لما تفعل المندوبون العرب في ٢٦ تشرين الثاني بضمان الأصوات التي يمكن بواسطتها إسقاط مشروع التقسيم ، شاع في اوساط الأمم المتحدة بأن الاجتماع المزمع عقده مساء ذلك اليوم لن يتم . وهنا توجه ظفرالله خان مع فاضل الجمالي لمقابلة تريغفلي السكرتير العام للأمم المتحدة فقال لها إنه لن يعقد جلسة مساء اليوم طالما أن غداً هو عيد الشكر . وقال إنه يصعب على موظفي الأمم المتحدة ان يعملوا ليلاً . ولما ذكره ظفرالله خان بأن الجمعية العامة انعقدت في العام الماضي يوم عيد الشكر ، لم يجب السكرتير العام . وهكذا أجلت الجلسة الى ٢٨ تشرين الثاني ، وثبت أن التأجيل كان العامل الفعال الذي أفضى لنجاح التقسيم . انظر ، Zafrullah Khan, Sir Muhammad, *Palestine in the U. N. O* , Karachi , 1948 , p. 20

Horowitz , op. cit. , p. 299

(٢)

القليل او الكبير في مجهد يائس لجعل الميزان في صالحنا . . في اليوم الواحد كنا نجتمع بعشرات من أعضاء الـ'رفورد'^(١). شرتوك اجتمع بـندوبي الحبشة وذكّرهم بالعلاقة التقليدية مع اسرائيل منذ القدم حتى الحرب الحبشية . . . أما غرانادوس الذي باع نفسه للصهاينة فقد أجرى إحصاء للمؤيدين والمعارضين ، واستنتج ان اليونان وهايتي والفلبين معارضون بالاضافة الى ١٣ اكتبهم العرب ، فالجموع هو ١٦ ، وغالبية الثلثين المطلوبة تعني إذن الحصول على ٣٢ صوتاً . . ساعة فساعة كنا نمثل الأصوات بالأرقام والقروض. ووفقاً لحساباتي فهناك ٣١ صوتاً ايجابياً : ٢٥ جرى التصويت عليها مسبقاً ، ويضاف اليها بلجيكا ولوكسمبرغ وهولندا ونيوزيلندا . وهذا يقصر بصوت واحد عن المطلوب ، وإنه لأمر منغص ان يفشل هذا القرار المهم . . بسبب عدم استلام مندوب هايتي بريقة من حكومته ، أو بسبب عدم وصول تعليقات حكومة البارغواي الى مندوبها ، أو بسبب تشكك حكومة ليبريا^(٢) . . !

وبما أن اليوم التالي عطلة تقليدية يدعوها الامريكيون (يوم الشكر) لأنهم يخصصونها للابتهاال الى المولى وشكره على ما أسبغ عليهم من النعم ، ولذا لم تعقد الجمعية العامة جلساتها ، ولكن بعض المسؤولين الامريكيين استغلوا هذا اليوم للتأمر على تشريد شعب فلسطين العربي ، وذلك بالتأثير على وفود بعض الدول الصغيرة وحكوماتها للانضمام الى المعسكر الصهيوني الاستعماري .

وبينما كانت مهرجانات عيد الشكر تجري في شوارع نيويورك ، ورد نبأ إلغاء اوراق اعتماد مندوب سيام الذي كان صوتاً ضدالتقسيم في اللجنة الخاصة، وقيل ان اوراق اعتماد جديدة

ibid., p. 300

(١)

Granados , op. cit., p. 267

(٢)

سوف تصدر في حينه^(١). وبذلك خسر المعارضون للتقسيم صوتاً وفي يوم الجمعة ٢٨ تشرين الثاني عقدت الجمعية العامة اجتماعها ، واستمعت الى بعض الخطب الأخيرة . وتكلم مندوب كولومبيا لوبز Lopez داعياً الى بذل جهد أخير للوصول الى حل سلمي ، ولإعادة القضية الى اللجنة الموقفة Ad Hoc مع تكليفها بمحاولة اجراء مرامي للمصالحة في مدة ثلاثة شهور . ولكن المندوب الفرنسي بارودي Parodi عرض مقترحاً بديلاً ، اذا طلب تأجيل التصويت مدة ٢٤ ساعة . وقد أيده مندوبو فنزويلا والدانمرك واللوكسمبرغ بدافع المبدأ القائل : (حيث توجد الحياة يوجد الأمل) ، وتأجل الاجتماع بأكثرية ٢٥ صوتاً ضد ١٥ صوتاً . ولم يكن من العسير ادراك ان التأجيل استهدف مصلحة مؤيدي التقسيم^(٢) .

وكان بمشطاء دعاة التقسيم ان يعلنوا ان مندوبي بلجيكا وهولندا ونيوزيلندا واللوكسمبرغ سيقفون الى جانبهم في التصويت ، وكان هؤلاء قد تغيروا اثناء الاقتراع على المشروع في اللجنة الموقفة . وفي صباح يوم ٢٩ تشرين الثاني وقبل اجتماع الجمعية العامة بساعات معدودة ، صرح ارانها رئيس الجمعية العامة ومندوب البرازيل بأنه باتمقتنعاً أن قرار التقسيم سينال الأكثرية اللازمة عند طرحه على التصويت . وبالفعل أقرت الجمعية العامة مشروع الاكثرية لتقسيم فلسطين ، على ارتياح ظاهر من الصهيونية والبيت الأبيض ، وذلك بثلاثة وثلاثين صوتاً الى جانبه مقابل ثلاثة عشر صوتاً ضده وامتناع عشرة أعضاء عن التصويت ، وتغيب سيام^(٣) . وقد صوت مع التقسيم كل من : اوستراليا ، بلجيكا ، بوليفيا ، البرازيل ، روسيا البيضاء ، كندا ، كوستاريكا ، تشيكوسلوفاكيا ، الدانمرك ، الدومنيكان ، اكوادور ، فرنسا ، غواتيمالا ، هايتي ، ايسلندا ، ليبريا ، لوكسمبرغ ،

Lilienthal, op. cit., p. 61

(١)

ibid., p. 62

(٢)

Official Records of Second Session of General Assembly, (٣)

Vol. II., pp. 1424-25, U. N. Resolution 181 (II) of 29 Nov. 1947

هولندا ، نيوزيلندا ، نيكارغوا ، النروج ، باناما ، بارغواي ، بيرو ، الفلين ، بولندا ، السويد ، اوكرانيا ، اتحاد جنوب افريقيا ، الاتحاد السوفيتي ، الولايات المتحدة الامريكية ، اورغواي ، فنزويلا .

وعارض التقسيم كل من : أفغانستان ، كوبا ، مصر ، اليونان ، الهند ، ايران ، العراق ، لبنان ، باكستان ، العربية السعودية ، سورية ، تركيا ، اليمن . وامتنع عن التصويت كل من : الأرجنتين ، شيلي ، الصين ، كولومبيا ، السلفادور ، اثيوبيا ، هندوراس ، مكسيكو ، بريطانيا ، يوغوسلافيا .

ولا يجد الباحث خيراً مما كتبه ظفر الله خان ، وقرىء نيابة عنه بعد التصويت ، حين علق على هذه النتيجة التي أسفر عنها التصويت بقوله : « لقد سعينا لإحقاق الحق الذي استوحيناه من الله ، ونجحنا في اقناع عدد كاف من زملائنا الممثلين ليروا الحق كما رأيناه ، ولكن لم يُسمح لهم بأن يقفوا بجانب الحق لما رأوه .. إننا لانحل ضغينة لأصدقائنا وزملائنا الذين اضطروا ، تحت وطأة الضغط الشديد الى تغيير موقفهم والتصويت الى جانب اقتراح لم يتبنوا هم انفسهم فيه وجهاً من وجوه العدالة والانصاف . إننا نشعر بالاشفاق عليهم إذ ألفوا انفسهم في حيرة بين حكمهم الشخصي وضميرهم من جهة ، وبين الضغط الذي تعرضت له حكوماتهم من جهة ثانية^(١) » . وقد وصف الكاتب اليهودي الفرد ليدنتال الطريقة المكيافلية التي تم بها الحصول على قرار التقسيم بقوله : « ان الأمم المتحدة سددت ضربة شديدة الى هبة القانون الدولي والنظام الدولي ، بمعالجتها المتسرعة التافهة والمتغطرسة لقضية فلسطين . وقد أساحت الجمعية العامة بوجهها عن المقترحين المعقولين الوحيدين - وهما اجراء استفتاء في فلسطين ، وعرض المشكلات القانونية على محكمة العدل الدولية . إن مشكلة الاشخاص المرشدين قد عولجت بطيش مشين ، لأن الاشخاص الذين

شردتهم الحرب العالمية الثانية مها كان معتقدهم ، إنما تقع مسؤوليتهم بالتأكيد على عاتق المنظمات الخيرية العالمية- وليسوا حجارة سُطرنج في لعبة القوى المتقلبة للقوميين اليهود^(١) .

نص قرار التقسيم :

جاءت صيغة قرار التقسيم مسبوكه بدقة لضمان تنفيذ التقسيم برغم ارادة العرب ، وقد انطوى القرار على تهديدهم أيضاً ، وربما كان للصهاينة الباع الطويل في صدوره على هذا الشكل ، نظراً لتغلغل أنصارهم في هيئة السكرتارية وخلافها من الأجهزة المنوطة بوضع مشاريع التواصي والقرارات . والنص هو :

« ان الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة بعد أن عقدت دورة خاصة بناء على طلب الدولة المنتدبة ، بريطانيا ، للبحث في تشكيل وتحديد صلاحية لجنة خاصة يعهد اليها بتحضير اقتراح يساعد على حل المشكلة ، وبعد أن تلقت وبجنت تقرير اللجنة الخاصة الذي تضمن عدة توصيات قدمتها اللجنة بموافقة إجماعها ، ومشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي الذي وافقت عليه أغلبية اللجنة ، تعتبر أن الحالة الحاضرة في فلسطين من شأنها ايقاع الضرر بالرفاهية العامة والعلاقات الودية بين الأمم ، وتأخذ علماً بتصريحات الدولة المنتدبة التي اعلنت بموجبها أنها تنوي إنهاء الجلاء عن فلسطين في أول آب ١٩٤٨ ، وتوصي انكسرة بصفتها دولة منتدبة على فلسطين ، وكل دولة أخرى من أعضاء الامم المتحدة ، بالموافقة وتنفيذ مشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي لحكومة فلسطين العتيدة على الصورة المينة أدناه :

أولاً - يجب على مجلس الأمن ان يتخذ التدابير الضرورية المنوّه عنها في المشروع للعمل على تنفيذه .

ثانياً - يقرر مجلس الأمن ، إذا أوجبت الظروف ذلك أثناء المرحلة الانتقالية ، ما إذا

Lilienthal , op. cit. , pp. 73

(١)

كانت الحالة في فلسطين تشكل تهديداً للسلام ، فإذا قرر أن مثل هذا التهديد موجود فعلاً فيجب عليه للمحافظة على السلم والأمن الدوليين ان ينفذ تفويض الجمعية العامة باتخاذ التدابير اللازمة وفاقاً للمادتين ٣٩ و ٤١ من الميثاق ، وذلك في إعطاء الصلاحيات الضرورية الى اللجنة الدولية للقيام في فلسطين بالاعمال الملقاة على عاتقها كما هو منوه عنه في المشروع .

ثالثاً - يجب على مجلس الامن ان يعتبر تهديداً للسلام وقطعاً للعلاقات السامية وعملاً عدوانياً بموجب نصوص المادة ٣٩ من الميثاق ، كل محاولة، ترمي الى تغيير نظام حقوقه وقضى به المشروع ، بواسطة القوة .

رابعاً - يجب أن يطلع مجلس الوصاية على الصلاحيات التي ستمنح له بموجب المشروع .

وتدعو الجمعية العامة سكان فلسطين إلى اتخاذ جميع التدابير الضرورية والمطلوبة منهم لتأمين تطبيق هذا القرار ، وتوجه نداء الى جميع الحكومات والشعوب لتمتنع عن القيام بأي عمل من شأنه عرقلة أو تأخير تنفيذ المشروع ، وتأذن للأمين العام لهيئة الامم المتحدة بدفع نفقات سفر وإعالة أعضاء اللجنة المنوه عنها على الأساس والشكل اللذين يراهما مناسبين ، وعليه أن يقدم الموظفين والمستخدمين الضروريين لمساعدة اللجنة في المهام التي ألقنها الجمعية العامة على عاتقها . هـ .

وقررت الجمعية العامة ان تكون اللجنة الدولية مؤلفة من ممثلين عن دول بوليفيا وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك ، وباناما ، والفلبين لتسلم الادارة من الحكومة المنتدبة في فلسطين بعد جلائها ، وذلك تحت اشراف مجلس الامن .

الضغوط الصهيونية الاستعمارية داخل الامم المتحدة وخارجها للتصويت على التقسيم :
لقد أحكم تديير المؤامرات الاستعمارية ضد الامة العربية ، وأهمها وأخطرها المؤامرة

فلسطين ٥٦م (١٩٦٨)

الصهيونية الاستعمارية لتقسيم فلسطين . ومع أن الملابس التي أحاطت بممارسة الضغط لضمان الاكثوية لا تزال طي الكتمان ، فإنه قد كشف النقاب عن مقدار لا يستهان به منها عن طريق نشر المذكرات والسير الذاتية والصحافة ، بحيث لم تعد سراً خبيثاً تتعذر معرفته . من ذلك مثلاً ما أشار إليه الكتاب الصهاينة أنفسهم أو أصدقائهم حين تناولوا هذه المرحلة من مراحل العمل الصهيوني . فقد ذكر الأمين العام للأمم المتحدة تريغفلي الترويجي أنه كان يبذل جهده لتأييد الصهيونية . اعترف بذلك صراحة في كتابه ، وقال إن جهوده قد أثارت حفيظة العرب ، وأن الوفود حين كانت تتصل به طلباً للنصح ، كان يوصي بلا تردد بمشروع الاكثوية (التقسيم) ، وبكلماته : « أصبحت المناقشات محمومة خلف الكواليس ، وقد هاجمني بعض مندوبي العرب صراحة ، ولكن لم يكن في مقدوري أن أستسلم »^(١) . والكاتب الصهيوني هوروفتز يشير بالعرفان إلى تأييد تريغفلي الحار للتقسيم مع ايفات مندوب اوستراليا ووزير خارجيتها الذي رأس اللجنة الموقته Ad Hoc ، ويخصمها بالمديح والثناء^(٢) ، بقوله : « ان زمرة ابطال المثل في الأمم المتحدة ، تشمل

Lie Trygve . In the cause of Peace , Seven Years with (١)
the U. N. . N. Y. 1954 , p. 162

وقد ذكر الصهيوني اسرائيل كوهن أن تريغفلي وصف قرار التقسيم لدى التصويت عليه بأنه أول إنجاز إيجابي للدورة ، وان آرائها البرازيلي قال انه مقتنع بأن التقسيم احسن حل .

Cohen , op. cit. , p. 214

(٢) عهد إلى ايفات - للسخرية - بمساعي المصالحة والتوفيق بين العرب واليهود في الامم المتحدة قبل التصويت على المشاريع . وقد شكأ فارس الحوري وغيره من اعمال بعض موظفي السكرتارية العامة ، الذين يقومون بتحريف الاقوال العربية في المحاضر والنشرات . انظر دروزة-المصدر السابق ص ٨٧ حاشية . وقد وصف اميل الغوري ما لسه اعضاء الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة من تحيز الأمين العام تريغفلي الذي كان يعرض المراجع والكتب والمغالات التي تعالج قضية فلسطين من وجهة النظر الصهيونية . وقد احتج الوفد الفلسطيني على موقف تريغفلي خلال مقابلة جرت معه ، =

على الأمين العام تريغفلي الذي يماثل في إيمانه ومعتقداته ما يعتنقه الدكتور ايفات ، وقد احتل مكاناً ممتازاً في التطورات التي جرت في ليك ساكس ،^(١) . وهوروفتز كذلك يثني على ايفات لأنه جنّب الصهاينة هزيمة محققة في اللجنة الموقته ، وذلك بفضل مناوراته لمصاحبة الصهيونية^(٢) . ويشيد كذلك بفضل رئيس اللجنة التي كلفتها الجمعية العامة بوضع تفاصيل التقسيم ، وهو البولندي برونسكي Pruszyński ، الذي زار فلسطين عدة مرات وكان مرتبطاً بأوثق روابط الصداقة مع الصهاينة . ويطري هوروفتز موقف بولندا المؤيد جداً لليهود ، والذي أعلنه وزير خارجيتها ، وكذلك تشيكوسلوفاكيا التي تعهد وزير خارجيتها جان مازاريك بدعم الصهيونية^(٣) . وكان لكتلة امريكا اللاتينية أهمية خاصة لدى الصهاينة، ووصف هوروفتز الجهود الصهيونية المخصصة لها بأنها ناجحة جداً، بقوله : « ان مرش توف Tove الذي كان لا يفتقر نشاطه قد استعمل في إدارتها جميع الوسائل الموضوعية تحت تصرفه للاقناع : ايضاحات ، رساوى ، ضغط ، اجتذاب - لقد استعمل جميع هذه الوسائل بمهارة ونجاح . ولازم الهاتف نهاراً وليلاً ، يخاطب عواصم جمهوريات امريكا اللاتينية ، كما أن مبعوثيه كانوا يسارعون الى كل جزء في القارة . ان المناورات السياسية استمرت وراء الكواليس، بينما كانت القوى تتجمع من أجل الصراع الحاسم^(٤) . وقد بذل أنصار الصهاينة مثل غرانادوس وفابريغات وغيرهما قصارى مساعيهم لاقناع

= وكذلك فعلت الوفود العربية الاخرى. وثبت ان السكرتير العام ضالع مع الصهاينة إذ أخفى المستندات والوثائق التي تدعم الحق العربي ولم يعرضها على الاعضاء ولا وضعها في المكتبة والدوائر المختلفة مع انه كان قد تسلمها من الوفد الفلسطيني .

« المؤامرة الكبرى » طبع القاهرة ١٩٥٥ ص ١٩١-١٩٢

Horowitz , op. cit. , p. 278 (١)

ibid , p. 261 (٢)

ibid. , p. 258 (٣)

ibid. , p. 259 (٤)

مندوبي الدول في الامم المتحدة بالتقسيم^(١). إن خبر هذه المساعي يلا صفحات من كتاب غرانادوس الذي اعترف الصهاينة بصنيعه ، وقاموا بتوزيعه لأنه دافع عن قضيتهم^(٢).

واليانور روزفلت أرملة الرئيس الراحل لم تدخر وسعاً لتعزيد التقسيم ، واستعانت بأصدقائها الكثيرين من بين مندوبي الدول في الأمم المتحدة ، وكانت تلح على ترومان كي يضغط على موظفي الخارجية لئلا يكتفوا بالمناقشات السامية مع مندوبي الدول الأخرى^(٣). وكان دعاة التقسيم من الصهاينة يتقدمون الى مفوضيات عدة دول أجنبية للحصول على تأييدها ، مستخدمين شتى وسائل الاغراء ، وقد اشرف على ذلك جهاز ذو نفوذ دولي مؤلف من ثلاثة صهاينة هم: القاضي جوزيف بروسكاور رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية ، والاقتصادي روبرت ناتان ، ومستشار البيت الأبيض لشؤون الأقليات دافيد نابلز . ولعل المثلّ الليبري عن كيفية انعكاس موقف ليبريا من التقسيم يدل دلالة واضحة على التكنيك الصهيوني المتبع : فقد جرب ناتان ان يستغل كل موهبة الاقناعية مع مندوب ليبريا المستر دينيس Dennis ؛ ويذكر الكاتب الامريكى اليهودي ليلينثال أن هذا المندوب أحبط بأن ناتان سوف يلاحق صديقه ستانينوس وزير الخارجية الامريكى الاسبق ، والذي كان آنذاك يتابع مصالح عمله الضخم في ليبريا . واعتبر الدبلوماسي الليبري هذه البادرة محاولة للتأثير عليه وتخويفه فاحتج لدى وزارة الخارجية . وأخيراً وبمطابقة غريبة صوت ليبريا مع التقسيم^(٤). وروي فورستال وزير الدفاع الامريكى آنذاك ، المسألة ببعض التفصيل بقوله إن لوفيت Lovett (وكيل الخارجية الامريكى) ذكر في تقرير الى حكومته في ١ كانون الاول ١٩٤٧ حول ما فعلته الامم المتحدة بصدد فلسطين ، فقال إنه

Granados, pp. 264 - 267

(١)

Lilienthal, p. 53

(٢)

Lilienthal, pp. 64 - 65

(٣)

ibid., p. 64

(٤)

لم يتعرض في حياته قط لمثل الضغط الذي تعرض له خلال الايام الثلاثة الماضية بدءاً من صباح الخميس وانتهاءً بليل السبت ، وكان ممن قابله سووب Swope وروبرت فانان . وان شركة فايرستون للمطاط التي لها امتياز في ليبريا قد أحاطته بأنها تلقت هاتفاً طلب منها أن تنقل رسالة الى ممثلها في ليبريا ليجارس ضغطاً على الحكومة الليبيرية كبا تصوت لصالح التقسيم ، (١) .

وقد بلغ من استياء (لوفيت) أنه حيناً فاتحه القاضي الصهيوني فيليكس فرانكفورتر حول موضوع فلسطين ، رفض لوفيت الدخول في نقاش معه . وقد تضايق القاضي حين خاطبه لوفيت بمخشونة بقوله إنه قد سمع ما فيه الكفاية عن فلسطين في الوقت الحاضر ولا يرغب في مزيد من السماع عنها ثانية (٢) .

ويقول ليلينثال إن هارفي فايرستون الذي يملك مزارع المطاط الضخمة في ليبريا « تحدث » مع الحكومة الليبيرية لمصلحة التقسيم (٣) . وقد اعترف مندوب ليبريا لمندوب باكستان ظفر الله خان بأن سفير دولته في واشنطن وهو رئيس سابق للجمهورية ، قد طلب منه أن يصوت بجانب التقسيم ، وأنه لا سبيل الى معارضته .

وقد كتب الصحفي درو بيرسون Drew Pearson في ٣ كانون الاول ١٩٤٧ في زاويته (دردشة) يقول : استخدم الكثيرون نفوذهم لحمل المصوتين على السير في الصف المرسوم . فقد انهمك هارفي فايرستون صاحب مزارع المطاط في ليبريا مع الحكومة الليبيرية ، وضمن أدولف بيرل Berle مستشار رئيس جمهورية هايتي صوت هذه البلاد . . وحذر سفير الصين ولتغتن كو حكومته .. وحمل السفير الفرنسي حكومته على الرغم مما

Millis , op. cit. , p. 346

(١)

ibid. , p. 358

(٢)

Lilienthal , p. 64

(٣)

كانت تعانیه من أزمات على تأييد التقسيم . . ومضى بيرسون يقول بعد التصويت :
« قليون أولئك الذين أدر كوا الحقيقة ، غير أن الرئيس ترومان ضغط على وزارة الخارجية
أكثر من أي وقت مضى لضمان التصويت في الامم المتحدة الى جانب تقسيم فلسطين .

واستدعى ترومان وزير الخارجية بالوكالة (لوفيت) الى البيت الأبيض يوم الاربعاء
ثم يوم الجمعة ونبهه الى أنه (أي ترومان) سيطلب توضيحاً إذا لم تصوت الدول ، التي تقف
عادة الى جانب الولايات المتحدة ، معها هذه المرة «^(١) . والنتيجة كانت مزيداً من الضغط
على ليبيريا ، هايتي ، الفلبين «^(٢) . وبذكر ظفر الله خان ان مندوب هايتي جاءه قبل
التصويت بقليل ، « والدموع في عينيه » وقال له كنت اقترعت ضد التقسيم بموجب تعليقات
حكومي ، والآن تلقيت تعليقات بتأييد التقسيم . وصرح المندوب ان ذلك تم لأسباب
اقتصادية «^(٣) . وقد أشار الى الدور الذي قامت به الولايات المتحدة من أجل إقرار التقسيم ،
عضو الكونغرس لورانس سميث عن وسكونسن الذي أعلن في الكونغرس عن عزمه على
مطالبة الكونغرس باجراء تحقيق حول الموضوع بأكمله ، وذلك في خطاب مشحون
بالغضب ألقاه يوم ١٨ كانون الاول ١٩٤٧ وجاء فيه : « . . لننظر ، يا حضرة الرئيس ،
الى السجلات لنرى ما حدث في الجمعية العامة للامم المتحدة خلال الاجتماع الذي سبق
التصويت على التقسيم . كان لا بدّ من ضمان ثلثي الاصوات لنجاح المشروع ، وكان على
الجمعية أن تجري التصويت مرتين ، الا أن التصويت تأجل مرتين ، فكان من الواضح أن
التأجيل ضروري لأن حاملتي لواء المشروع (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) لم
تتمكننا من ضمان الاصوات اللازمة . وذكر في الوقت نفسه من مصادر موثوق بها أن

Quoted by Hadawi , op. cit., p. 94

(١)

Sakran, op. cit., p. 197

(٢)

Zafrullah, op. cit., p. 22

(٣)

مندوبي ثلاث دول تعرضوا لضغط شديد من جانب مندوب الولايات المتحدة ، ومن مسؤولين على أعلى المستويات في واشنطن ، وهذه تهمة خطيرة . وعندما عرضت المسألة أخيراً على النظر في ٢٩ منه ، فماذا حدث ؟ ان الاصوات الحاسمة والمرجحة الى جانب التقسيم كانت أصوات هايتي وليبيريا والفلبين . فقد كانت هذه الاصوات كافية لتأمين أكثرية الثلثين . وكانت هذه البلدان في السابق تعارض الفكرة . . غير أن ضغط مندوبينا ومسؤولينا وغيرهم من المواطنين الخصوصيين في الولايات المتحدة بشكل مسلكاً ضدنا يستوجب التعنيف والزجر « (١) .

وقد أنهى ناثان الى مندوبي امريكا اللاتينية ان مساندتهم للتقسيم ستساعد على تحقيق بناء (طريق امريكا) الذي يصل بين الامريكيتين وذلك اعتماداً على المعونات الامريكية الضخمة . ويبدو أن ناثان تجاوز حدوده فاستعمل اسم وزارة الخارجية واسم رئيس الولايات المتحدة أيضاً في بذل هذه الوعود . وقد سلم ناثان بذلك في مذكرة بعث بها الى صديقه ستاتينيوس وزير الخارجية الأسبق ولا تزال موجودة في محفوظات الوزارة وقد تخلف مندوب الفلبين الجنرال رومولو عن حضور التصويت في اللجنة الموقته Ad Hoc لتفادي الضغط عليه من جانب المندوبين الامريكين والصهاينة . وعزم على أن لا يظهر على المسرح إلا بعد التصويت . وفي أعقاب الهجوم العنيف الذي وجهه ضد التقسيم غادر الولايات المتحدة بجرأ في طريقه الى اوربا تاركاً تعليماته الى نائبه بالتصويت ضد التقسيم . وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفلبين اليزالدي Elizalde برئيس الفلبين روكساس Roxas هاتفياً وأنبأه بالضغط الشديد الذي تعرض له رومولو وأعضاء الوفد ، وتم الاتفاق بينهما على أنه من المحتم ان تصوت الفلبين ضدسياسة

U. S. Congressional Record, 18 December 1947, p. 1176 (١)

quoted by Hadawi, p. 93; See also Sakran , p. 199

تساندها الولايات لمتحدة بإصرار ، وخاصة بعد أن تلقت حكومة الفلبين برقية موقعة من ٢٦ من أعضاء الكونغرس الموالين للصهيونية ، وضع نصها روبرت فاغنر اليهودي الصهيوني المعروف ، والبرقية تطلب بالحاح تأييد التقسيم ، وتذكر المسؤولين في الفلبين بالمنافع التي تعود على الجزيرة نتيجة ذلك . وحين جاء جواب رومولو بوجوب التصويت ضد التقسيم ، إلا إذا تدخل رئيس الجمهورية وارتأى خلافه . وتدخل الرئيس مساء الجمعة^(١) . وقد أرسلت مثل هذه البرقية الى اثني عشر وفداً في الأمم المتحدة لتبديل موقفها وللحصول على تصويتها الى جانب التقسيم . فتبدل موقف اربعة منها الى الموافقة ، وامتنعت سبعة وفود عن التصويت . ووقفت اليونان وحدها تقاوم الضغط . وظلت على تمسكها برفض التقسيم^(٢) .

وقد أشار وايزمن الى برنارد باروخ وهربرت بايار سووب واختصها بالثناء نظراً لمساعدتها لليهود مع مختلف الوفود^(٣) . وفي اللحظة الحرجة قبل التصويت النهائي حمل باروخ على التحدث مع الفرنسيين الذين لم يكن بوسعهم التضحية بمساعدات الولايات المتحدة التي كانوا يتلقونها بموجب مشروع مارشال^(٤) . وقام غيره من كبار الشخصيات بالاتصال مع مندوب الحبشة وبارغواي ولو كسمبرغ وهايتي والفلبين ، وجميعها تعتمد على الولايات المتحدة . وقد أشار مندوب كولومبيا الى المناورات التي جرت لمصلحة التقسيم بقوله : و يبدو لجميع المراقبين المحايدون أنه لولا الدعم القوي ، فإن مقترح التقسيم ما كان ليجد طريقه الى الجمعية العامة حيث يمكن ان يتخذ قراراً بتبني مشروع التقسيم . ولكننا نرى

Lilienthal. op. cit., p. 66 (١)

ibid. (٢)

Weizmann, op. cit., p. 560 (٣)

Lilienthal, p. 65 (٤)

ان الأصوات المترددة التي حُشدت نتيجة مساع ومناشدات غير مقبولة ، خلال الاحدى عشرة ساعة التي سبقت الجلسة ، لن تحسّن موقعها في نظر العالم الخارجي ^(١) . وقد سبقت الاشارة الى موقف مندوب سيام المعارض للتقسيم ، ثم حدث انقلاب سياسي في سيام قبل التصويت ولكن لم تحسب حكومة الانقلاب اوراق اعتماد الوفد السيامي لدى الأمم المتحدة ، ثم قيل ان سفارة سيام في واشنطن استلمت برقية مؤداها سحب اعتماد المندوبين السياميين في الأمم المتحدة ، وان اوراق اعتماد جديدة سوف تصدر . ويشكك ظفر الله خان بهذه البرقية ويقول « سواء وردت البرقية من حكومة سيام أو من مصدر آخر ، لا نعرف » ! وطبعاً فالهم ان نتيجة البرقية هي ابعاد اوتوماتيكي لصوت سيام المعارض للتقسيم . وهكذا يشاء القدر ان يفقد العرب صوتاً آخر لدولة تبعد آلاف الأميال عن فلسطين ، في وقت يجتدم الصراع فيه على غالبية صوت واحد فقط ، وقد فاز التقسيم بغالبية هذا الصوت ! وقد ألقى الضوء على مساعي واشنطن الرسمية التي بذلت لحشد الأصوات بجانب التقسيم ، عن طريق بعض التصريحات الصادرة عن أعلى المستويات ؛ فقد أشار دين راسك Rusk مدير مكتب وزارة الخارجية لشؤون الأمم المتحدة أنه « بينما لم تمارس الولايات المتحدة ضغطاً على بلدان الامم المتحدة لحساب هذا الجانب أو ذاك ، فان بعض الموظفين غير المرخص لهم ، او الاشخاص العاديين ، خرقوا أصول اللياقة وتجاوزوا حدود القانون ، لممارسة مثل هذا الضغط . ونتيجة لذلك ، كما يقول راسك ، فإن التقسيم قد فسر على أنه خطة امريكية في نظر بعض الدول ، وسلب القرار ما يمكن ان يكون له من قوة أدبية ^(٢) » .

وقد اعترف الرئيس الامريكي ترومان بالضغط الذي مارسته الصهيونية على البيت

U. N. Official Records of Second Session of General Assembly, II, pp. 1396-7 (١)

Lilienthal., p. 67 (٢)

الابيض ، بقوله : « .. الحقيقة أنه لم تمارس الضغوط فقط حول الامم المتحدة كما لم تمارس من قبل ، وإنما أيضاً تعرض البيت الأبيض لموجات قوية متواصلة من الضغط . ولا أظن انني تعرضت من قبل لضغط ودعاوة موجهين الى البيت الابيض كما تعرضت في هذا الوقت ، وقد أزعجني واقلقني الحاح بعض الزعماء الصهاينة المتشددين ، مجدداً بجوافز سياسية ومرتبطة بتهديدات سياسية . حتى ان بعضهم كان يقترح علينا ان نضغط على أمم ذات سيادة لتقترح في جانبهم في الجمعية العامة ، ولكن هذا النوع من أساليب الضغط الذي كان بعض المتصلين به يمارسونه ، لم يحظ بالموافقة^(١) .. » .

وبينما كان الرئيس ترومان يحاول جاهداً ان ينكر انواع الضغط التي ضلع بها وادارته يبدو ان مراجع أخرى تعترف باندماج البيت الابيض في الموضوع كلية . فقد كتب المستر سمتر ويلز وكيل وزارة الخارجية الامريكية المؤيد للصهيونية ، يقول : « في ضوء الوقائع التي جرت بعدئذ ، فانه من المهم أن لا يكون هناك سوء فهم للموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة في تلك الفترة . ان المسؤولين الامريكيين استعملوا ، بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كل أنواع الضغط المباشر وغير المباشر ، للتأثير في البلدان الواقعة خارج العالم الاسلامي ، والتي عرف انها مترددة او معارضة للتقسيم . واستخدم مندوبون ووسطاء من لدن البيت الابيض للتأكد من الحصول على الغالبية الضرورية على الأقل^(٢) .. » .

ولكن هوروفتزر يعترف صراحة بتدخل الولايات المتحدة لمصلحة الصهاينة في إقناع الدول بالتقسيم ، وذلك بقوله : « تابعنا الاتصال بالوفود ، فرادى أو مجتمعين ، وشعرنا أنه حدث تبدل طفيف نحو الافضل ؛ ذلك ان خط العمل الامريكي كان قد اندفع في اتجاه

Truman, II, pp. 158-9

(١)

Welles, Sumner, «We Need not Fail», Boston, 1948, p. 63 (٢)

جديد ، و كنتيجة لتعليقات تلقتها وزارة الخارجية الامريكية من الرئيس (ترومان) ، فإنها الآن سلكت سبيلاً معاوناً ذا اهمية عظمى لمصلحتنا . وقد دفع الجو المتحسن عدداً من الدول نحونا ، وفي آخر ساعة تقريباً ، ألفت الولايات المتحدة بثقل نفوذها ، وان تحول مجرى التصويت النهائي يجب ان يعزى الى هذه الحقيقة . ان تدخلها (الولايات المتحدة) قد تجاوز مفعول الاصوات الجانية ضدنا (١) .

أما جيمس فورستال الذي كان حينذاك وزيراً للدفاع ، فكان يخشى من تأييد واشنطن للصهاينة ، ويرى ان موضوع فلسطين يؤثر بشدة على علاقات الولايات المتحدة مع الشرق الأوسط وموارد نفطه . وكان فورستال يلح على عدم التحيز لأي من العرب أو اليهود حرصاً على مصلحة بلاده النفطية في الشرق الاوسط ؛ وقال : ما لم نتوصل الى نفط الشرق الاوسط فإن شركات السيارات الامريكية يتوجب عليها ان تخطط محركاتها لأربع اسطوانات في وقت ما خلال السنوات الخمس القادمة . وفي اثناء دعوة للغذاء بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٤٨ ، سمع فورستال من لوي هندرسون مدير مكتب وزارة الخارجية لشؤون الشرق الأوسط عن « الضغط البالغ القوة » ، الذي تعرض له مع لوفيت للتوصل الى الحث الامريكي على حشد الاصوات في الامم المتحدة لمصلحة التقسيم . وقال هندرسون « ان (القاضي) فيليكس فرانكفورتر والقاضي مورفي Murphy ، كليهما ، كان قد بعثا برسائل الى مندوب الفلبين في الجمعية العامة تحضه بقوة على التصويت للتقسيم » (٢) . وفي محادثة لفورستال مع فرانكاين د . روزفلت المشايخ للصهيونية ولوجوب تعضيد واشنطن (قرار) الأمم المتحدة وعموماً البرنامج الصهيوني ، قال فورستال : « ان الامم المتحدة لم تتخذ حتى الآن (قراراً) ، والأمر كله مجرد توصية للجمعية العامة ، وان أي تنفيذ لهذا

Horowitz, op. cit., p. 301

(١)

Millis, op. cit., pp. , 324, 357

(٢)

(القرار) من الولايات المتحدة سوف تنشأ عنه حاجة للتعبئة الجزئية ، واني أعتقد ان الوسائل التي استخدمها أناس خارج الفرع التنفيذي من الحكومة لقسر بقية الامم وإكراهها في الجمعية العامة قد قاربت الفضيحة . وقد ادعى محدث فورستال الجهل حول النقطة الأخيرة ، وعاد الى عرض الوضع الصهيوني عموماً^(١) .

ولن يفي الباحث المناورات الصهيونية المدعمة بالنفوذ الامريكى حقها من التفصيل ، وها هي ذي أخيراً ، لا آخرأ ، شهادة أحد الكتاب الأمريكين أنفسهم ؛ فقد علق كرمت روزفلت في مقال عن تقسيم فلسطين، على الموضوع بقوله : «... ستة بلدان كانت عبرت عن عزمها على التصويت ضد التقسيم ، فاختارها الصهاينة أهدافاً لحملاتهم : هايتي ، ليبيريا ، الفلبين ، الصين ، اثيوبيا ، اليونان . وجميعها ما عدا اليونان إما صوتت بجانب التقسيم أو أقنعت بالامتناع عن التصويت . وليس ثمة ما يمنع هذه البلدان وغيرها أيضاً من ان يكون لها أسباب وجية للتصويت ضد التقسيم ؛ فبغض النظر عما يلحق من الشبهات الأخلاقية يبدأ تقرير المصير ، والظلم المرجح حدوثه نتيجة فرض التقسيم على بلد ضد ارادة غالبية سكانه ، فهناك حقائق سياسية ثابتة يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار . فمثلاً بعض تلك البلدان (التي سُلِّط عليها الضغط) ، تضم فئات ضاغطة يمكن أن تبرهن على قوتها في بلدها ، تماماً كما يبرهن الصهاينة في الولايات المتحدة . ففي هايتي عدد ملموس من المواطنين السوريين . وفي ليبيريا والصين والفلبين أعداد كبيرة من المسلمين بين شعوبها . واثيوبيا واليونان ترغبان في أن تكونا على علاقات طيبة مع جيرانها المسلمين الذين يعارضون التقسيم بشدة . ولكنها جميعاً بلدان صغيرة وضعيفة ، فلماذا يُسمح لها بتصرف التصويت بلوغ مصالح مضادة لمصالح تلك الفئة القوية (الصهيونية) في بلد قوي كالولايات المتحدة ؟ إن

ibid. , p. 363

(١)

مندوبي تلك الدول الست وحكوماتهم أيضاً قد أقرقوا بالبرقيات والدعوات الهاتفية والرسائل والزيارات . وكثير من البرقيات ، خاصة ، كانت من أعضاء الكونغرس ، وغيرها كانت تتوسل باسم حكومة الولايات المتحدة وهيبتها . لقد قام حاكم (ولاية) سابق وهو عضو لامع في الحزب الديموقراطي ، وعلى صلة وثيقة بالبيت الابيض .. بمخاطبة حكومة هايتي هاتفياً ، وحثها على ابلاغ وفدها بوجود تغيير تصريته . وكان يتكلم بلهجة يفهم منها نفوذه وساطته . كما قام اقتصادي معروف أيضاً بصلته الوثيقة بالبيت الابيض ، وبعلاقاته كصلة وصل مع المنظمة الصهيونية ، باستخدام نفوذه لاقناع وفد ليريبا . وكلا الدولتين غيرت موقفها وصوتت بجانب التقسيم .. ان ما حدث في الامم المتحدة كان تكراراً لما حدث في الولايات المتحدة . فالصهيانية باستخدامهم نفس الاساليب التي برهنت على نجاحها الكبير هنا ، وبعد أن توصلوا إلى تأييد حكومة الولايات المتحدة ، واستخدموه هناك ، فانهم نجحوا في الحصول على بغيتهم . ويبقى السؤال الملح : إلى أين نتجه الآن ؟ (١)

ومها يكن من أمر فان هيروتر يسجل للصهيانية تفوقهم في وسائل المناورة والدعابة السياسية التي بنوها على مر السنين ، حتى أصبح بمقدورهم أن يكسبوا معونة من سمّاهم « الأصدقاء الأمريكان غير الرسميين » ، وهؤلاء اتصلوا برؤساء بعض الحكومات التي « ظن المندوبون العرب والمسلمون أنهم قد انحازوا اليهم ضد التقسيم » (٢) . ولكن أحداً من الكتاب الصهيينة لم يشر إلى الوسائل المكيفيلية التي استخدمها الصهيينة لإغراء أعضاء الوفود . إذ حشد الصهيينة الحسنات بالعشرات بتجيبين الى هذا ويتقرن الى ذلك ،

Kermit Roosevelt . The Partition of Palestine . Middle (١)
East Journal, January 1918, pp. 14-15

Hurewitz, op. cit., p. 309

(٢)

ويصطحبن أو يوقعن في جبايلهن المعاند الذي لم تؤثر فيه حقن الدعاية ووعود الدولار ؛ في الوقت الذي كان بندس عشرات بل مئات الصحفيين والمصورين ومراسلي الاذاعات الامريكية وغير الامريكية ، ومعظمهم من اليهود ، بين أعضاء الوفود ، بأساليبهم الماكرة المخادعة للتأثير عليهم ، حتى كنت لا تسمع إلا أقوال وخطب المؤيدين للصهيونية بينما كانت شراذم يهود نيويورك تتكفل صاحبة في الردهات والقاعات وفي مداخل مبنى المنظمة الدولية ، وتوجه شتى الاهانات النابية للمندوبين العرب . وبرغم احتجاج الوفود العربية رسمياً لدى حكومة واشنطن واللجنة الاجتماعية في الجمعية العامة ، فالمحملات المضادة للعرب لم تتوقف . ولقد صدق مراسل جريدة التايمس اللندنية في نيويورك حين قال معلقاً على إقرار التقسيم : « ان المندوبين في الامم المتحدة يعتقدون أنه بغض النظر عن محاسن التقسيم أو مساوئه ، وبغض النظر عن الجهد المشترك الذي قام به الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، فان مشروع التقسيم ما كان يمكن أن ينجح في مدينة أخرى غير نيويورك »^(١).

ولا بدّ قبل ختام الحديث عن التقسيم من الاشارة الى موقف بريطانيا . لقد امتنعت بريطانيا عن التصويت على مشروع التقسيم ، بعد ما كان من مسؤوليتها الكاملة عن خلق قضية فلسطين ومحنة أهلها العرب ، غير أن موقفها كان مخادعاً . فدول الدومينيون البريطاني المستقلة الأربع التي كانت تتبع (البلد الأم) حتى تلك اللحظة ، (تخلت) عنها لأجل موقوت ، وتبنت مشروع التقسيم ، وقد وصف هوروفتزر هذا الحدث بأنه (معجزة) ! وذلك بعد معجزة وقوف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معاً بجانب التقسيم . ذلك أن تقاليد الكومنولث البريطاني تشير دائماً الى تصويت هذه الدول مع (البلد الأم) في الموضوعات الدولية^(٢) . ولكن بريطانيا لا تلبث بعد اقرار التقسيم ان تسفر عن وجهها

The Times , 1 Dec. 1947

(١)

Horowitz , op. cit. , p. 311

(٢)

الاستعماري فتعلن قبولها به مع الوعد بالمساعدة على تطبيقه ، ولكنها تريد أن تنقل سلطاتها بطريقة نظامية . أما فرنسا فكان متوقفاً ان تمتنع عن التصويت في الاقتراع النهائي ، كما فعلت في اللجنة المؤقتة ، ثم لم تلبث أن تراجعت وأيدت التقسيم ، ولم تكثر بمصالح الأمة العربية . ولعل ضلوعها المشين يهدف للتشفي من دول الجامعة العربية لما نخشاه من تدخلها المرتقب في شؤون شقيقاتها العربيات في الشمال الافريقي . ولا بد أن فرنسا كانت راغبة في استواء السياسة الامريكية الاستعمارية التي سوف تعاونها لتأييد مصالح الاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا على المدى البعيد .

* * *

الفصل الرابع والعشرون

من التقسيم إلى النكبة (١٥ أيار ١٩٤٨)

صدي التقسيم :

طغت موجة من الاستنكار والسخط على أقطار الوطن العربي قاصيها ودانيها ، واتخذت شكل الاضراب الشامل ، والمسيرات الصاخبة وحتى الصدام الدموي ^(١) . ففي سورية سار المتظاهرون بحماس منقطع النظير في جميع المدن ، وهم يستكرونها مشايعة واشطن وموسكو للتقسيم ، وهاجموا المفوضية الامريكية في دمشق ومكتب الحزب الشيوعي . وشجبت الفئات المثقفة الواعية تقاعس الحكومات العربية عن تنظيم الشعب العربي وتعبئة قواه وتسلحه وإعداده للمعركة الوشيكة ^(٢) . وكانت الحالة في العراق والأردن مماثل ما كانت عليه الشام من هياج وسخط واستنكار . وتم في بغداد ، وفي العواصم العربية الأخرى ، تشكيل لجان للتبرع وأخرى للتطوع ، كما هاجم المتظاهرون

(١) جرت في عدن صدامات دامية بين العرب واليهود ، أسفرت عن سقوط عدد من القتلى قبل إنه بلغ ٧٦ من اليهود و ٣٨ من العرب .

Kirk, Survey ... p. 251, footnote

(٢) طالب (حزب البعث العربي) بالحرب الاجماعية ، وتعبئة جميع القوى المادية والمعنوية في الوطن العربي لسحق الصهيونية ، ورأى اتخاذ تدابير نفضية تهدد مصالح الغرب ونجبره على التخلي عن التقسيم . كما قرر في اواسط كانون الثاني ١٩٤٨ إرسال أول كتبية منه الى الجبهة . انظر منشورات ومقالات الحزب في كتاب (نضال البعث في سبيل الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية) الجزء الاول بيروت ١٩٦٣ ص ٢٢٧ - ٢٤٤ ، وفي الوقت نفسه دعت جماعة (الاخوان المسلمين) للجهاد في فلسطين ، وعبر فريق من شبابها الذين تدربوا في معسكرات قطنا ، الحدود الى فلسطين غاربة الصباينة . انظر دروزة ج ٤ الصور ما بين ص ١٠٤ - ١٥٠

في عمان مقر شركة التابلاين، وأحرقوا سياراتها، وفي بيروت كما في عمان فتح باب التطوع . وفي المملكة العربية السعودية ساند الشعب قضية فلسطين بالتبرع لها والمطالبة بنقل المتطوعين الى فلسطين لخدمة اخوانهم العرب فيها . وفي مصر خرجت مظاهرة ضخمة من الأزهر الشريف جابت شوارع القاهرة ، داعية الى الجهاد . وفي الاسبوع الثاني من شهر كانون الأول عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعات متعددة في القاهرة حضرها معظم رؤساء الحكومات العربية، وأذاعوا في نهايتها (١٧ منه) بياناً باستنكار التقسيم والعزم على مقاومته . وجرى في الاجتماعات حديث عن وجوب قطع النفط الذي آن أوانه بعد قرار التقسيم واتضح موقف الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ولكن الأمر لم يتعد حدود الكلام ، ولذا لم يأخذ الأعداء تصريحاتهم وتهديداتهم مأخذ الجّد . وأسفرت هذه الاجتماعات عن قرار بالعمل على احباط التقسيم والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين، والاحتفاظ بفلسطين عربية موحدة ، وتقديم الأسلحة المقررة في اجتمع عاليه (تشرين الأول ١٩٤٧) الى اللجنة العسكرية للجامعة^(١) ، مع عتاد كاف لها . وامداد عرب فلسطين بما يمكن الحصول عليه من السلاح ، واعتماد مليون جنيه ثان للانفاق على حركة التعبئة والتطوع . وعلى سائل الدفاع الاخرى ، وإرسال ثلاثة آلاف متطوع كاملي العدة بأسرع ما يمكن لمعونة عرب فلسطين . كما تقرر توزيع القوات المحاربة في تنظيمين ، اولهما جيش الانقاذ أو جيش التحرير الذي كلف بإنشائه الفريق طه الهاشمي واللواء اسماعيل صفوت والقائد فوزي القاوقجي ، والذي يتكون من الضباط والجنود المتطوعين من البلاد

(١) تألفت اللجنة العسكرية من ممثلين عن العراق وسورية ولبنان وفلسطين والسعودية ، ولم تمثل في اللجنة مصر واليمن وشرق الاردن. واختير اللواء اسماعيل صفوت رئيساً للجنة التي اتخذت دمشق مقراً لها ، وعهد اليه بتنسيق خطط الحركة النضالية التي اعتمدت على قسوات المتطوعين من جميع البلاد العربية والاسلامية ، بعد ان يجري تدريبهم في قطنا بسورية .

العربية المختلفة ، يتدربون في معسكرات قطنا بسورية تحت اشراف اللجنة العسكرية وثانيها جيش المجاهدين الفلسطينيين الذي يعمل داخل فلسطين وتشرف عليه الهيئة العربية العليا . وكان مجلس الجامعة في عاليه قد وافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين في وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنها وقراهم وجعلهم الأساس في الدفاع عن بلادهم لأنهم أعرف بمواقعها وطرقها ومساكنها ، ولأنهم أشد تصميماً واستماتة في الذود عن اهلهم واموالهم وديارهم ، بالاضافة الى أنهم أقل نفقة من المتطوعين القادمين من خارج فلسطين . كما قرر أن ترابط الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها، لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالعتاد والضباط وبعض الوحدات الفنية (١) .

وشكلت الهيئة العربية العليا جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني ، يساعده الشيخ حسن سلامة ، وعدد من المشهود لهم بالبسالة والجرأة من قواد المناطق في فلسطين ، يعاونهم عدد من الضباط السوريين والعراقيين . والحق ان جيش الجهاد المقدس لم يكن جيشاً بالمعنى المألوف ، وانما قوامه مجاهدون بزعامة المفتي الذي كان يعيش في مصر لان السلطات البريطانية حظرت دخوله فلسطين .

وكانت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية قد قسمت فلسطين الى اربع قيادات عسكرية مستقلة على الوجه التالي :

- ١ - اللواء الشمالي ، ويمتد من الحدود السورية اللبنانية ويشمل جهة : الناصرة - جنين - نابلس - طولكرم - جلجولية - عكا ، وعهدت بقيادتها الى فوزي القاوقجي .
- ٢ - القدس - رام الله - اريحا - الخليل ، وعهدت بقيادتها الى عبد القادر الحسيني .

(١) محمد أمين الحسيني : « حقائق عن قضية فلسطين » ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٦٢

٣ - منطقة اللد والرمة وقرى يافا وعهدت بقيادتها الى حسن سلامة .

٤ - منطقة غزة والجنوب ، بقيادة طارق الافريقي .

وعينت لمدينة يافا قيادة خاصة سلمت الى المقدم العراقي عادل نجم الدين ، وكذلك حيفا ، كانت قيادتها مستقلة ، عهد بها الى الملازم الاول الاردني محمد الحيطي^(١) . ولكن يبدو ان القيادة الموحدة لم تكن مضمونة في بعض المناطق فقد كتب قنصل مصر العام في القدس بتاريخ ٦ آذار ١٩٤٨ يستعرض الحالة في فلسطين إثر اجتماعه بقناصل العراق والسعودية وسورية ولبنان وشرق الاردن قال إنه وزملائه متفقون على ان القيادة العسكرية في القدس تنوزعها أيدي عديدة لا اتصال بينها أصلاً^(٢) . أما جيش الانقاذ فقد جرى تدريب أربعة آلاف متطوع فيه بسرعة كبيرة ، ودخل أول فوج منه أرض فلسطين في شهر كانون الثاني ١٩٤٨ وتمركز في شمالها وعسكر الفوج الثاني في منطقة ييسان نابلس (شباط) ، ودخل الفوج الثالث في آذار وعسكر في مثلث نابلس جنين طولكرم .

ويلاحظ أنه حين وصل أول فوج من جيش الانقاذ إلى درعا في ٩ كانون الثاني ١٩٤٨ رفع الأمر الى السير كبير كبرايد وزير بريطانيا المفوض في عمان والجنرال كلوب قائد الجيش الاردني ، وبعد اتصالات عديدة مع حكومة عمان وافق الرجلان على مرور الفوج من الاردن الى فلسطين سراً وبعد منتصف الليل ، بشرط ان يعسكر في منطقة عربية بحسب مشروع التقسيم . وفي ٢٥ من الشهر نفسه دخل القاوقجي الى فلسطين ماراً بالاردن بعد ان اشترط الانكليز أن لا يحارب في فلسطين إلا بعد جلائهم عنها ، وان لا يعسكر الا في ارض عربية بحسب قرار التقسيم .

(١) التل - المصدر السابق ص ١٠

(٢) فراج طابع - المصدر السابق ص ٧٦

وقد تقرر في اجتماع عاليه أن تكون أنصبة الدول العربية في تمويل الأعمال العسكرية كما يلي : مصر ٤٢٪ . سورية ولبنان ٢٣٪ ، السعودية ٢٠٪ ، العراق ١٥٪

بدأت المعارك الدموية بين العرب واليهود إثر قرار الهيئة العربية العليا القاضي باعتبار يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ يوم حداد ، وناشدت فيه الشعب ان يستمر في المقاطعة وان يضرب ثلاثة أيام هي ٢ ، ٣ ، ٤ كانون الاول . وسرعان ما ارتفعت أسعار السلاح^(١) - على ندرته - لأن كل عربي في فلسطين هرع للحصول على قطعة منه يدافع بها عن وطنه المهتد . وبلغت ثورة النفوس أوجها في أيام الاضراب الثلاثة عندما هاجم المتظاهرون وقد أثارتهم الاحتفالات اليهودية التي أعقبت قرار التقسيم ، سوق اليهود التجاري (الشهاعة) في القدس ، وعملوا في مخازنه حرقاً وتدميراً . كما وقعت صدامات كثيرة في أنحاء مختلفة من البلاد كان أهمها ما وقع في مدينة يافا حيث تعرضت الأحياء المشتركة بين يافا وتل ابيب لعمليات تدميرية واسعة النطاق . ويمكن القول إن الاضراب قد شلّ جميع مرافق الحياة في المدن والقرى ، فكان معبراً أصدق تعبير عن تصميم عرب فلسطين على مقاومة التقسيم .

ودارت رحى معارك طاحنة في الأشهر الخمسة التي تلت قرار التقسيم ، أبدى فيها مجاهدو فلسطين ومتطوعو الأقطار العربية من ضروب الافداهم والتضحية والصبر ما يملأ النفس زهواً وإعجاباً . وعلى الرغم من وفرة سلاح العدو ، ووحدة قيادته واكتمال الوسائل الآلية والاسعافية لديه ، فقد كانت الحرب سجالاتاً بين الطرفين طوال الأشهر الأربعة الأولى . وكان العرب أسياد الموقف والمسيطرين على ناصية المبادرة منذ يوم القتال الأول ، في حين أن العدو كان يتهرب من الميدان ولا يبرز بغير الغدر والارهاب ، وقد تفوق

(١) بلغ سعر البندقية الحربية اكثر من مائة جنيه فلسطيني وسعر الطلقة اكثر من سبعة قروش فلسطينية .

بادىء الأمر في أعمال النسف والتدمير بقصد الفتك بالعرب وإلحاق الحقائق المادية بهم وبث الرعب في نفوسهم . وقد لجأ الصهاينة الى المكر والخداع لتنفيذ جرائمهم كارتداء الزي العربي أو البريطاني العسكري ، وأهم أعمالهم الاجرامية : نسف (السرايا القديمة) في بافا (آذار ١٩٤٨) ، وكانت مصلحة الشؤون الاجتماعية تستعمل المبنى لإيواء اطعام الأيتام والمعوزين ، وقد قتل سبعة عشر عربياً وجرح ما يزيد على المائة معظمهم من الشيوخ المقعدين والأطفال . ونسف عمارة بنك (باركليس) ، وأفضى الحادثنان الى تصديع عدد كبير من المباني المجاورة من بينها البنك العربي ودار البلدية القديمة . وفي القدس نسفت الهاغانا فندق (سميراميس) في حي القطمون العربي ، فتهدم على نزلائه ، وبلغ عدد الشهداء ثمانية عشر رجلاً وامرأة ، وزاد عدد الجرحى عن العشرين . كما ألقى الارهابيون الصهاينة برميلاً من المتفجرات بين الجموع المحتشدة في باب الخليل بالقدس فاستشهد عشرون عربياً وجرح ستة وثلاثون . وفي حيفا تسلل نفر من الارهابيين الصهاينة بالزي العسكري البريطاني الى عمارة المغربي ، فنسفوها على من فيها من المدنيين العزل . ودحرج بعض الارهابيين برميلاً مليئاً بالمواد الناسفة من قمة حي يهودي مرتفع في حيفا ، على حي العباسية العربي ، فاستشهد عدد كبير من العرب العزل معظمهم من النساء والاطفال ، وفي اليوم التالي كان سكان الحي قد هجروه تماماً لوقوعه تحت الحلي اليهودي مباشرة ، ولافتقاره الى وسائل الدفاع النخ . ولم يلبث العرب أن كالوا للصهاينة بكييلهم فاضطروهم الى وقف فعال الغدر والتدمير ضد السكان العزل . من ذلك ان المناضلين العرب في حيفا قادوا سيارة بريد حكومية تحمل لغمأ موقوتاً ، ثم اقتحموا الخطوط اليهودية وغادروا السيارة الملغمة الى سيارات أخرى كانت تحرسها ، وانفجر اللغم فقتل عدداً كبيراً من اليهود (١) .

وقام المناضلون العرب في القدس يوم ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨ بنسف شارع (هاسوليل)

(١) عبد الله التل - كارثة فلسطين . القاهرة ١٩٥٩ ص ٧

ونجم عنه تدمير ثماني عمارات ضخمة على من فيها ، وقد أصيب الصهاينة بجسائر فادحة في الارواح لم يكشفوا عن ارقامها ، وجاوزت خسائرهم المادية نصف مليون جنيه ومنها هجرم العرب على حي (مونتيفوري) في القدس حيث نسفوا بعض منازلهم ، وانسحب المناضلون بعد تدخل الجيش البريطاني . وقامت قوات الجهاد المقدس بعملية كبرى في القدس ، وذلك حين تقدمت بثلاث سيارات كبيرة تحمل كل منها طناً من المتفجرات ، تقدمهم مصفحة بريطانية اختطفها المناضلون من مركز بوليس يافا ، وفي شارع (بن يهودا) انفجرت السيارات الثلاث (١ شباط) وتهدمت عشرات الأبنية اليهودية ، منها مبنى المستدروت . وكذلك جرى نسف مبنى الوكالة اليهودية (١١ آذار) فانهارت بعض أجنحتها على من فيها وقتل وجرح عشرات من اليهود بينهم ادوين صموئيل ابن هربرت صموئيل اول مندوب سامي على فلسطين ، وغيره . واعترفت المصادر الصهيونية بمقتل ٧٤ وجرح مائتين الخ .

وقد تفوق العرب أيضاً في معارك الطرق ؛ ذلك ان أيام القتال الاولى اتخذت شكل المصادمات البسيطة ومهاجمة القوافل اليهودية المارة بالأحياء العربية . وعمد الصهاينة بعد المصادمات الى تغيير خط سير مختلف عرباتهم عن طريق المستعمرات الممتدة بين تل ابيب ومدن الشمال والوسط والجنوب . غير أنه كان لا بد من عبور أراض وقرى عربية مما نجم عنه غالباً شل حركة المواصلات تماماً واحتدام معارك كبيرة أثرت على مجرى الحرب ، كما أثرت على نفوس اليهود المحاصرين في مستعمراتهم ، وخاصة في القدس . ولكن هذا الاجراء لم يخفف من حدة القتال ، فلا يكاد يمضي يوم دون أن يشبك فيه العرب مع القوافل اليهودية التي كانت تسير بأعداد كبيرة من سيارات النقل والركاب التي تحمل المؤن للمستعمرات ، والتي عمد الصهاينة الى تصفيح بعضها لتقاوم الرصاص . ولقد تضرر الصهاينة كثيراً بحرب المواصلات التي جرت معاركها بين المجاهدين والقوافل الصهيونية ، وكان

النصر فيها حليف العرب . وفي معركة كفار عصيون طلب يهود احدى هذه القوافل الاستسلام ، واستولى العرب على جميع اسلحة القافلة وسياراتها ، وسمحوا للأحياء بالسفر الى القدس ، وكان عدد الناجين منهم ١٦١ و ١٩ جريحاً ، ولولا شهامة القائد العربي عبد القادر الحسيني لأبىد جميع أفراد القافلة اليهود وعددهم يقارب الثلاثمائة^(١) . ولكن المناضلين العرب وقفوا جامدين تجاه المستعمرات اليهودية المحصنة لأنهم لا يملكون السلاح اللازم لاقتحامها ، ولذا فقد اكتفوا في هذه المرحلة بقطع التموين عنها والاستيلاء على الطرق المؤدية اليها . وفي واحدة من المعارك نجح العرب في القضاء على مفرزة من الهاغانا مؤلفة من ٣٥ رجلاً كانوا قد أرسلوا لمساندة فئة من الهاغانا في كفار عصيون المؤلفة من ٤ مستعمرات منعزلة في الهضاب الواقعة بين القدس والخليل^(٢) .

وبينا كانت الوكالة اليهودية والأجهزة الصهيونية الأخرى تقوم باعداد الترتيبات للحفاظ على الخدمات الحكومية في حال جلاء البريطانيين ، كانت الهاغانا تستقدم من الخارج المحاربين اليهود الذين خدموا في جيوش الحلفاء لتدعيم قواتها وقيادتها . وتفرض التجنيد الاجباري على اليهود ، وتدريب الاحتياطيين ، وتشكل حرس لحماية المدن ، وتصلح الحصون الريفية والمواصلات . وكانت الاستراتيجية الصهيونية ترمي مبدئياً الى السيطرة على الأراضي المحصنة للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم ، وحماية المستعمرات اليهودية في المناطق المحصنة للدولة العربية ، والحرص على ان تظل خطوط المواصلات مفتوحة ، وخاصة مع القدس التي حشد الصهاينة فيها قرابة المائة ألف ، أي ١٦٪ من يهود فلسطين^(٣) . وخشي القائمون على توجيه السياسة الصهيونية ان تقوت عليهم فرصة الاستعداد الكامل قبل جلاء القوات البريطانية عن فلسطين ، فسعوا لدى أصدقائهم الامريكين للضغط على

(١) التل - المصدر السابق ص ٩ - ١٠

Kirk , Survey.. , p. 253 (٢)

Hurewitz, op. cit. , pp. 310-311 (٣)

حكومة لندن في محاولة لإقناعها بتسليم اليهود أي ميناء بحري كامل المعدات قبل الموعد المحدد للجلء ، كما يتسنى ضمان هجرة ألوف الصهاينة من اوربا ، وخاصة من فرنسا حيث كانوا يتدربون هناك على الحرب . ولما فشلت جهودهم مضى العملاء الصهاينة يشكون من أن بريطانيا تزود الدول العربية بالمعدات الحربية - طبقاً للمعاهدات بينها وبينهم ، بينا اليهود محرومون منها ، بعد أن حظرت الولايات المتحدة تصدير الأسلحة الى الشرق الأوسط ، ومنعت الامريكيين من الخدمة في صفوف قوات مسلحة أجنبية . وهاجم شرتوك حكومة لندن لما ادعاه من التزامها (الحياذ) بين المهاجرين والمهاجرين ، بين المحافظين على سلطة الأمم المتحدة والمتحدّين لها . وشكا من أن البريطانيين منحازون ضد الصهاينة ، ودعا في حالة عدم تشكيل قوة دولية تفرض التقسيم في فلسطين ، الى رفع القيود على توريد السلاح للصهاينة الذين يريدون الدفاع عن أنفسهم ، ويقومون بتنفيذ مقترحات الامم المتحدة ، وحبس السلاح عن العرب الذين يعارضونها ، بما في ذلك جميع دول الجامعة العربية (١) .

كانت تلك الاضاليل والا كاذيب تسجل في محاضر مجلس الأمن وقيود الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتنتشر في الأوساط الرسمية والصحافة الامريكية ، بينما كانت ألوف الأطنان من المواد المتفجرة والمعدات والاسلحة تشتري بواسطة عملاء الصهيونية في نيويورك ، وت شحن سرأ على السفن المتجهة نحو فلسطين ، وغالباً ما كان يحدث هذا بعلم السلطات الامريكية ورضاها (٢) . وفي حين كان الصهاينة لا يزالون يعلنون عن افتقارهم

U. N. Security Council Official Records, 3 rd year, (١)
pp. 344 - 56.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في أعداد جريدة التايمس : The Times, 5, 10, 12 Jan. & 18 Feb 1948

لوسائل الدفاع المشروع عن النفس ، كانت شحنات الاسلحة التشيكية تصل دراكا الى تل ابيب، ويدفع يهود امريكا ثمنها بالدولار . وبينما كان المتطوعون يصلون الى فلسطين منذ أن صدر قرار التقسيم ، كان بن غوريون مشغولاً آنذاك باعدادهم للمعركة، وامتحح ما قاموا به بقوله : « دون مساعدتهم لا أعرف اذا كنا سنربح الحرب »^(١)

مشكلة ضالة السلاح بيد عرب فلسطين :

وقد لاحظ قناصل الدول العربية في القدس ، قلة السلاح وندرته بيد العرب ، وكرته لدى اليهود . وقد كتب قنصل مصر الى حكومته في ٩ كانون الاول يلح على وجوب مسارعة الدول العربية بمدّ عرب فلسطين بالسلاح والذخيرة . وفي ٢٥ كانون الاول أبلغ القنصل حكومته تدمير أمين سر الهيئة العربية العليا الدكتور حسين فخري الخالدي ، من تأخر وصول الاسلحة التي وعد بها رؤساء الحكومات العربية . وقال القنصل : « ..وبدا عرب فلسطين يمجّون التصريحات الرنانة المتوالية التي يفضي بها هؤلاء الرؤساء ورجال الأحزاب في تلك البلاد عن تصميمهم على مساعدة فلسطين ، واصبح كثير من أهل فلسطين يعتقدون أن رؤساء الحكومات العربية ورجال الاحزاب في البلاد العربية اتخذوا من مأساة فلسطين وسيلة للدعاية الحزبية^(٢) » . ويبدو أن جميع اللجان الفرعية التي تشكلت للدفاع عن القرى والمدن كانت تشكو من عدم وصول الاسلحة المخصصة لها ، كما يتضح من البرقية التي أرسلتها اللجنة القومية في نابلس ، بتاريخ اول كانون الثاني ١٩٤٨ ونشرت في جريدة(فلسطين) بالتاريخ نفسه ، الى الحكام والمسؤولين في الاقطار العربية ، الى الهيئة العربية العليا بالقاهرة ، تطلب فيها السلاح . ونص البرقية :

« ان ماتسمعونه كل يوم من الجرائم اليهودية الغادرة التي يحترق بنيرانها مئات الأبرياء من العرب ، والتي يترفع عن اقترافها الجنود الشرفاء البواسل بحق عرب فلسطين العزل

Bar - Zohar, op. cit., p. 105

(١)

(٢) فراج طابع - المصدر السابق ص ٦٨

من السلاح المؤمنين بحقهم والمجاهدين ذوداً عنه ، يسألونكم بمرارة وألم يا أصحاب الجلالة والفضامة والدولة الى متى ؟ .. إنه لشرف لعرب فلسطين يتسابقون اليه أن يموتوا دفاعاً عن بلادهم وصوناً لشرف العروبة ، ولكنه يؤلمهم ان يموت ابناءؤهم موت الخراف في الشوارع وأيديهم يكبلها الاستعمار بقيوده وحديدته وجنوده . ويؤلمهم تتابع هذه المآسي وعيون الأهل ناظرة والسيوف مغمدة . يؤلمهم ان يفاجئهم الموت الغادر وما تزال في نفوسهم حسرة وفي قلوبهم ألم من الأهل والعشيرة ، فإلى متى ؟ .. يرى العالم قوافل النجدة والعتاد من اليهودية العالمية ، ويسمع مقررات الدول العربية ، فإلى متى ؟ .. !

هذا الى ان اليهود كانوا يفتنمون كل ظرف للتسلح والتدريب ؛ فقد هربوا بواخر محملة بالسلاح من طبرق . واستولوا بشتى الوسائل على كميات اخرى من المعسكرات البريطانية ، وكميات غيرها . اشتروها من تجار الأسلحة الذين كانوا يهربونها من الصحراء الغربية ومن المعسكرات البريطانية في مصر ، وكذلك أنشأوا مصانع للأسلحة الخفيفة والمهاون . أما العرب فلم تقم بينهم حركة جذبة للتسلح والتدريب العسكري ، فقد كانوا خارجين من الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، وخلالها أخذتهم بريطانيا بالبطش والتنكيل ، وكانت المحاكم العسكرية تحكم بإعدام من يوجد لديه أو قرب بيته سلاح ولو رصاصة مخبوءة . وتؤكد المصادر العربية المطلعة ان الانكليز لما عاينوا رجحان كفة العرب في المعارك ، وخشوا من تفاقم حرب العصابات العربية وتأثيرها الضار على الصهاينة ، سارعوا بتقديم مذكرة الى جامعة الدول العربية يعترضون فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم في سورية ، وبصفون ذلك العمل بأنه غير ودي ، لأن بريطانيا مازالت موجودة في فلسطين . ويذكر المفتي ان الانكليز تمكنوا من « هدم الركن الاساسي في

(١) فراج - المصدر السابق ص ٦٨-٦٩

برنامج العرب الدفاع عن فلسطين ، مجرمان المجاهدين الفلسطينيين من السلاح وسائر وسائل الجهاد^(١) ، وكان الانكليز قد جمعوا كل ما تخلف لدى العرب من سلاح الثورة ، وكانت قوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية لا تزال قائمة بسبب الحرب^(٢) . وكان يصح ان تقوم الأقطار العربية بواجب تسليح عرب فلسطين وتدريبهم وإعدادهم للمعركة المحتومة ، بمثل ما يفعل اليهود داخل فلسطين وخارجها ، لولا ان التجزئة التي فرضت على اقطار الوطن العربي أدت الى التناقض الذي غذاه الاستعماريون بين حكام الدول العربية ، والذي انعكس بالفشل على خطط استنقاذ فلسطين . لقد كانت مواطن الضعف الاساسية في الدفاع العربي ، يوم كان عبء الدفاع ملقى في معظمه على عاتق الفلسطينيين ، ان العدو الصهيوني كان على أهبة كاملة للمعركة ، في حين ان عرب فلسطين لم يكونوا مستعدين لها ، وان لم يؤخذوا على غرة . ثم انهم جروا في المعركة على مقياس الثورات السابقة ، أي على طريقة موضعية دون وحدة ودون شمول ودون قيادة عامة ، بينما جرى الصهاينة في المعركة على طريقة الحرب الشاملة . فلا عجب اذا كان الدفاع العربي مفككاً والفوضى قائمة . كل بلد يجارب وحده . ولا يدخل المعركة الا ابناء المناطق المجاورة لليهود . هذا الى سلاح عرب فلسطين كان رديئاً وناقصاً بل نادراً ، مقابل سلاح اليهود الحسن القوي ، لا لأن هدفهم كان مرسوماً ومخططاً له بوضوح ودقة فحسب ، وانما أيضاً لأن اهدافنا من المعركة كانت مضطربة متباينة ومرتعلة . وعلى الرغم من املاق العرب بالسلاح والعتاد ، فإن انعدام الضبط والربط والتخطيط قد ساهم في الحد من فعالية سلاحهم وجدواه . وقد لاحظ ذلك رئيس بلدية القدس المستر غريفز Graves آنذاك ، فكتب يقول : « ان عدم خضوع المناضلين العرب لقيادة منظمة كان سبباً في ضياع كمية هائلة من الذخيرة التي كانت

(١) انظر الحسيني - المصدر السابق ص ١٦٣ وانظر اميل العوري - المصدر ص ٢١٢

(٢) موسى العلمي « عبء فلسطين » بيروت .. الطبعة الثالثة ١٩٤٩ ص ١٠

تطلق بغير داع ، وان كثيراً من المعارك التي كانت تدور ، كانت تحدث بدون تصريح للمناضلين العرب^(١) . على ان هذه الجوانب القائمة من الصورة لا يجب ان تحجب عنا جوانبها المضيئة المشرقة . وهنا يضيق بنا المجال عن سرد اعمال التضحية والبسالة التي قام بها المجاهدون العرب ، ولن يكفي هذا التنويه السريع لوفاء شهدائنا الابرار حقهم من التمجيد والتقدير ، وخاصة في مثل تلك الظروف الصعبة التي اضطروا ان يجاهروا العدو اثناءها ، وظلوا في معظم الاوقات مسيطرين على الموقف .

ولكن هذا التفوق لم يلبث في اواسط آذار ان تحول الى جبهة الصهانية، وأصبح واضحاً ولاسيما منذ اواسط نيسان . ذلك أن السياسة البريطانية رغم تظاهرها بعدم الموافقة على التقسيم ، مضت تحقق للصهانية ماسبق وتعهدت بجمائته ورعايته منذ وعد بلفور . ولا يتسع مجال البحث لتوضيح ما قامت به السلطات البريطانية من تسهيل سبل المدد والنجدات للصهانية ، وتضييق سبلها على العرب فمنذ أن قرر الانكليز وقف الادارة المدنية وتصفيتها اعتباراً من أول آذار ، وتبديل صفة المندوب السامي ليصبح حاكماً عسكرياً ، مضوا ينسحبون من تل ابيب والمناطق المحصنة لليهود تاركين ادارتها لهم . وكان وزير الدولة البريطاني لشؤون المستعمرات قد أعلن منذ ٢٠ كانون الثاني أنه سمح للعرب واليهود باتخاذ ترتيبات لضمان أمنهم في المناطق التي يشكون فيها غالبية، حتى يتسنى لقوى الأمن البريطانية أن تحتشد في القدس والمناطق المحتلطة الأخرى^(٢) . وكانت الوكالة اليهودية مستعدة لملاء الفراغ ، والتحول فعلاً الى حكومة يهودية تضع يدها على المرافق العامة ونجبي الضرائب وتقرض التجنيد وتستولي على ميناء تل ابيب ومطاراتها وعلى المطارات في ما يجاورها ؛

(١) عن كتابه : Graves « Experiment in Anarchy », p. 27

Kirk, Survey.. p. 254

(٢)

وبذلك سحت الفرصة لجلب المدربين والاسلحة والخبراء والضباط والمتطوعين^(١) جراً ومجرأ . في حين كان السلطات البريطانية في المناطق العربية تشدد قبضتها على زمام الادارة ، ولا تسمح بمرور المتطوعين والعتاد والتموين الى فلسطين ، فكان ذلك يتم خفية وبعد عمليات كشف واستطلاع تماثل ما كان يجري أيام الثورة العربية الكبرى . وفي الوقت نفسه كانت حكومة لندن تلوح بالوعيد في وجه الحكومات العربية اذ ظهر لها أن الاسلحة البريطانية التي كانت تتلقاها بعض الدول العربية تحوّل الى فلسطين ، مع علمها بأن جميع الاسلحة الثقيلة والمدركات ووسائل الاقتحام التي كان يملكها الجيش الاردني بقيادته البريطانية كان محظوراً استعمالها ضد اليهود ، والاسلحة العراقية لم تستخدم قط حين كان عليها أن تتدخل كما سنرى . بينما كانت السلطات البريطانية تغض الطرف عن نزول السلاح الثقيل المتنوع في تل ابيب ، وتسلم الصهاينة في اواخر آذار كميات كبيرة من السيارات المصفحة والدبابات مع السلاح والعتاد من معسكراتها في وادي الصوار ورأس العين وصرفند وغيرها^(٢) .

(١) يذكرفراج طابع نقلاً عن كتاب (الستارالحديدي حول امريكا) لمؤلفه جون بيتي Beaty عن المعونات الخارجية للصهاينة ما يلي : « لايعرف بالضبط عدد الجنود والضباط الامريكيين الذين التحقوا سرأ بالجيش الاسرائيلي أثناء الحرب ضد العرب . وقد كتب روبرت كنوي Conwey من القدس في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٨ قائلاً ان اكثر من ألفي امريكي التحقوا بالهاغانا وهو جيش الدفاع الاسرائيلي وذلك طبقاً لما قاله دبلوماسي كبير . وأضاف كنوي ان الوكالة اليهودية تنتظر وصول خمسة آلاف امريكي آخرين ليعاربوا في صف اليهود ، ولو أدى الأمر ان تسقط الولايات المتحدة الجنسية الامريكية عن هؤلاء المتطوعين .. وكان من بين الامريكيين الذين حاربوا في صف الصهاينة دافيد ماركوس الذي كان برتبة كولونيل في الحرب العالمية الثانية ، وقتل في حزيران ١٩٤٨ بالقرب من القدس ، وكان يومذاك قائد القوة اليهودية في جبهة القدس . وقد أرسل ترومان الى المحتفلين بذكراه في نيويورك خطاباً مجسد فيه ادوار البطولة التي لعبها ماركوس في حربين ، وأشارت جريدة نيويورك تايمس للخطاب في عدد ١١ تشرين الأول ١٩٤٨ . عن طابع ص ١٧٠-١٧١ (٢) الغوري-ص ٢٢٣ . ويذكر دروزة نقلاً عن جريدة مشبار اليهودية أن الوكالة اليهودية اشترت =

المهجوم اليهودي يستهدف اقرار الأمر الواقع واجلاء عرب فلسطين :

ارتاعت الأمم المتحدة بسبب الاضطرابات الدامية التي أثارها توصية التقسيم ، فانعقد

= مخلفات حربية من السلطات البريطانية بقيمة خمسة ملايين جنيه ، ومنها ٢٤ طائرة تدريب وسيارات واجهزة رصد وغير ذلك . ونشرت جريدة بديعوت اليهودية أن عشرة أشخاص من اليهود اشتروا من الجيش الانكليزي ألف سيارة نقل كبيرة . كما أن الطيارين اليهود كانوا من فرقة سلاح الجو الملكي البريطاني وكان عددهم في البدء خمسين كانوا نواة للتدريب ، على ما ذكرته جريدة البوست الانكليزية نقلاً عن ناطق بلسان الوكالة اليهودية .

دروزة - ج ٥ ص ١٠

ويصف منحيم بيغن في كتابه كيف أن عصابة الأرغون هاجت قطاراً بريطانياً عملاً بشق أنواع الأسلحة ، ويعترف بأن الجنود البريطانيين الذين اوكلت اليهم حراسة القطار تعاونوا مع الارغون في نقل الاسلحة من القطار الى سيارات الشحن المعدة لذلك . وبعد أكثر من اربع ساعات من العمل المتواصل اختفت قوات الارغون بوصول قسوات بريطانية الى مكان الحادث ، وبدلاً من ان تطارد المعتدين صرح ضابطها بأنه لن يقوم بأية اجراءات ، وبأن الارغون حصلت على الاسلحة بعد قتال عادل شريف .

ويعترف بيغن انه لولا هذه الاسلحة لما تمكن اليهود من الهجوم بافا واحتلالها في وقت كان الانتداب ما يزال قائماً .

Beigin , op. cit., p. 352

وحين قررت بريطانيا الجلاء عن فلسطين، بدأت تشحن اسلحة جيوشها الى خارج فلسطين عن طريق ميناء حيفا . ويذكر مصدر عربي مطلع ان السلطات البريطانية سلت اليهود في حيفا كميات كبيرة من السلاح والعتاد بينها بنادق ، ومدافع عيار ٦ رطل ، ومدافع (بيات) صاروخ ، وجميع مدرعات البوليس الفلسطيني ، ودبابات (تشرشل) الثقيلة . وقد ظهرت هذه الاسلحة البريطانية بعد جلاء البريطانيين ، ولم يكن لدى اليهود شيء قبل ذلك . ويؤكد المصدر المذكور أن الضباط والجنود الانكليز الذين كانوا مسؤولين عن المستودعات في مختلف انحاء فلسطين ، قد باعوا كميات من العتاد الحربي لليهود ، لا حياً بهم ، وانما طمعاً بالمال . وترومان كذلك متم لأنه أوعز سرأ بإيصال السلاح والمواد المتفجرة الى يهود فلسطين . ولتضليل العالم تظاهر بوليس ميناء نيويورك بأنه اكتشف باخرة كانت على وشك شحن كميات كبيرة من المتفجرات الى تل أبيب .

(التل - المصدر السابق ص ٥٠-٥١)

مجلس الأمن الدولي في ١٩ آذار للنظر في الحالة الخطيرة التي آلت إليها أوضاع فلسطين . وأبلغ وارن اوستن مندوب الولايات المتحدة المجلس قائلاً : « طالما أنه اتضح ان قرار الجمعية لا يمكن تنفيذه بالوسائل السامية ، وبما أن المجلس ليس مستعداً لتنفيذه ، فينبغي على المجلس أن يوصي بوضع فلسطين تحت الوصاية الموقته لمجلس الوصاية . وعليه كذلك أن يطلب عقد جلسة خاصة للجمعية العامة ، وعليه - بانتظار انعقاد الجلسة الخاصة - ان يصدر تعليماته الى لجنة فلسطين لتوقف مساعيها في سبيل تنفيذ مشروع التقسيم » (١) . وفي ٢٤ آذار حذر شرتوك مجلس الأمن الدولي « بأن الشعب اليهودي سيعارض أي اقتراح يرمي الى منع أو تأجيل إقامة الدولة اليهودية ، وبأن هذا الشعب يرفض نظام الوصاية على فلسطين ، وان على لجنة فلسطين ان تعترف دوماً باطباء بالمجلس الموقت لحكومة الدولة اليهودية ، وانه لدى انتهاء حكم الانتداب ، وفي ١٦ أيار ١٩٤٨ على أبعد تقدير ، ستبدأ الحكومة اليهودية الموقته عملها بالتعاون مع مندوب الامم المتحدة في فلسطين » (٢) .

وهنا قرر الصهاينة لإجباط كل محاولة يقوم بها مجلس الأمن الدولي قد تبطل أو ترجىء مفعول قرار التقسيم ، أن يجابهوا الامم المتحدة بالأمر الواقع اعتباراً من مطلع شهر نيسان . ويبدأ اليهود هجومهم العام في (عملية نخشون من مخطط داليت) بمركتين : الاولى من تل ابيب ، والثانية من القدس . ويستخدم اليهود في هذه العمليات ولأول مرة ، قوات بحجم اللواء هدفها الالتقاء في سهل اللطرون ، وشطر فلسطين الى شطرين ، مع فتح الطريق من تل ابيب الى القدس ، واكتساح العشرات من القرى العربية . ويوضح بن غوريون ما أسفر عنه الهجوم اليهودي بقوله : « . . وفي عملية نخشون نظفت الطريق المؤدية الى القدس في مطلع نيسان ، وتم احتلال القدس الجديدة كلها تقريباً ، وطردها

U.N. Document A 565 - Official Records of third Session (١)
of the General Assembly pp. 5 - 6 - 8 - 9

ibid.

(٢)

الثوار من حيفا وبافا وطبريا وصفد ، بينما كان الانتداب لا يزال قائماً في البلاد . وقد قامت الهاغانا بواجبها « (١) .

إذن قصد الصهاينة من هجومهم العام أن يثبتوا للأمم المتحدة ان في مقدورهم تنفيذ التقسيم بالقوة ، ولذا تصاعدت عملياتهم الحربية ونجم عنها الاستيلاء على قرية القسطل العربية الهامة التي تقع غربي القدس بجمسة أميال على الطريق الى يافا ، وذلك بعد أن تغلبوا على حاميتها الصغيرة المؤلفة من ٥٠ مجاهداً ، واستهدفوا فتح الطريق الى القدس الجديدة التي أحكم العرب حصار أحيائها اليهودية ، ومنعوا وصول التعمير اليها ، حتى ضج اليهود المائة ألف فيها بالشكوى وطالبوا الأمم المتحدة بأن تغيبهم قبل أن يموتوا جوعاً وعطشاً . وقد تم استيلاء الصهاينة على القسطل في غياب قائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني الذي كان في دمشق يحاول اقناع رئيس اللجنة وأعضائها بإعطائه المدافع والمعدات الحربية الحديثة لمواجهة الرشاشات ومدافع الهاون والميدان والطائرات اليهودية . وحين سمع بسقوط القسطل ألح على مطالبه وقال ان القسطل حصن منيع ليس من السهل استرجاعه بالبنادق الابطالية والذخيرة القليلة ولكن المطالبة لم تسفر عن شيء ، وخرج عبد القادر غاضباً . وما أن استقر في القدس حتى اجتمع لديه خمسون مجاهداً خرج بهم نحو القسطل غير مزودين إلا بالاسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية . واستطاع عبد القادر أن يحقق معجزة حربية بطرد اليهود من القسطل بعد معركة حامية في ٩ نيسان . ولكن الفرحة لم تكتمل إذ أصابته شظية أثناء التحامه بالاعداء في قمة التل ، فسقط شهيداً بعد أن اكتحلت عيناه بالنصر . وقد استغل الصهاينة موجة الحزن والأسى التي أعقبت سقوط القائد البطل فسارعوا بعد ساعات واحتلوا القرية ثانية ، ودمروا بيوتها وحصونها ومسجدها حين علموا أن معظم المجاهدين هرعوا الى القدس للاشتراك في تشييع جنازة فقيدهم « (٢) .

Ben Gurion, Rebirth & Destiny of Israel , p. 291 (١)

١٦٤ (٢) عارف العارف « نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود » بيروت ، الجزء الأول س ١٦٤

وفي الوقت نفسه ، و كجزء من خطة الهجوم العام بادر الصهاينة الى تدبير مذبحه
 قرية دير ياسين العربية المسالمة الواقعة في ضواحي القدس الغربية ، إذ جاءت حملة مسلحة
 من عصابتي الارغون وشستيرن وأندرت السكان الآمنين بمغادرة منازلهم خلال ربع ساعة ،
 فأذعن فريق منهم ، وبقي آخر ؛ فما كان من الارهابيين إلا أن اقتحموا القرية بالمسدافع
 والقنابل ، ومثلوا بالقتلى الذين بلغوا مائتان وخمسون عربياً نصفهم من النساء والاطفال .
 وبعد أن زار ممثل الصليب الأحمر القرية بعد يومين - بفعل تأخير الصهاينة له - وصف
 ما افترفه المجرمون بأنه « مذبحه متعمدة » لا مبرر لها مطلقاً سوى الزهو بالقتل والتنكيل
 بالعرب الآمنين ^(١) . ووصف الكاتب اليهودي جون كيمشي هذه الجريمة الوحشية بأنها
 « أبشع وصمة في تاريخ اليهود » ^(٢) . وكتب منحيم بيغن الذي تزعم هذا الهجوم يقول :
 « لولا (النصر) في دير ياسين ، لما كانت هناك دولة اسرائيل » ^(٣) . ويقول أيضاً : « كنا
 في القدس وغيرها أول من انتقل من الدفاع الى الهجوم .. وبدأ العرب يفرون خائفين ..
 وكانت الهاغانا تقوم بهجمات ناجحة على الجبهات الأخرى ، بينما كانت جميع القوات اليهودية
 قد بدأت تتقدم عبر حيفا كالسكين في الزبدة . وراح العرب يفرون مذعورين وهم
 يصيحون (دير ياسين) » ^(٤) !!

(١) كتب ضابط بوليس يهودي تقريراً عن مذبحه دير ياسين حين أرسل للتحقيق ، وذكر فيه
 ان عربياً واحداً قد قتل . انظر :

Graves . Experiment in Anarchy . , p. 179

وقد بذلت الوكالة اليهودية والهاغانا كل ما بوسعها للحيلولة دون تحقيق ممثل الصليب الأحمر
 في المذبحه . انظر :

Reynier : « A Jerusalem un drapeau » . pp. 69-70, 77 . quoted
 by Kirk , Survey.. p. 261 footnote.

Kimche, Jon., «The Seven Fallen Pillars», N.Y. 1953, p. 228 (٢)

Beigin . op. cit. , p. 162 (٣)

ibid. (٤)

فلسطين م ٥٨ (١٩٦٨)

وجدير بالملاحظة أن القوات البريطانية في القدس لم تحرك ساكناً ، وكانت قريبة جداً من مكان الحادث ومسؤولة عن الأمن ، ولكنها كانت متنبهة وقتذاك لانقاذ القوافل اليهودية والمستعمرات من هجمات العرب ، حالما تتلقى الإشارة عنها . وان تحركت لنجدة العرب فالويل لمن بقي منهم في مكان الاعتداء لأن رصاص الانكليز يتناولهم بحجة ان البادية بالاعتداء لم يُعرف ! وكل حادثة أو موقعة يظهر فيها تفوق عرب فلسطين ، فقوات الانكليز كانت تتدخل لتفقد النجاح أو تضعفه (١) .

وأبت كرامة المجاهدين إلا أن يثاروا لآخوانهم شهداء دير ياسين ، فردّوا بالهجوم على قافلة جبل سكوبس . ذلك أن الارهابيين الصهاينة كانوا يتسترون وراء علامة (الترس الاحمر) الذي يقابل (الهلال أو الصليب الأحمر) فينقلون المؤن والذخائر والمعدات الحربية خفية على أنها مواد طبية الى مستشفى هاداسا والجامعة العبرية الواقعين على جبل سكوبس المهيمن على القدس العربية . وقد هاجم المجاهدون القافلة صباح يوم ١٣ نيسان ، ففتكوا بأفرادها وأحرقوا سياراتها ، واستنجدت الوكالة اليهودية بقوات الانكليز فسارعت الى مكان المعركة ولكن بعد فوات الأوان ، فقد قتل المجاهدون حوالي ٧٧ من أفراد القافلة بينهم شخصيات بارزة . وقد كشف بمثل الصليب الأحمر عن خداع الارهابيين وانها كهم لاتفاقيات جنيف الخاصة بجرمة المستشفيات وقوافل الجرحى ، وذلك في قوله : « إننا نؤيد الرأي بأن أية جماعة طبية متقلة يجب أن تنتقل دونما سلاح ، ودائماً منفصلة عن الجماعة العسكرية . وينبغي للصهاينة أن يختاروا إما اللجوء الى حماية مسلحة وإما الاحتيا باتفاقيات جنيف ، أي براءة الصليب الأحمر . ان كل منطقة الهاداسا ذات أهمية استراتيجية عظمى تسمح بضرب الخطوط العربية من ورائها » (٢) .

(١) التل - المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢

Quoted by Kirk, p. 261 footnote

(٢)

وفي شمال فلسطين، سلم البريطانيون مدينة طبريا في ١٨ نيسان الى اليهود ، بعد أن سهلوا وصول المدد اليهم وحالوا دون وصول النجسيدات العربية الى المدينة ، وتذرعوها لإجلاء سكانها العرب الى سمخ ، بحجة أنهم أقلية يخشى عليها من غدر الأكتريية اليهودية ، وطبريا أول مدينة تقط بيد الصهاينة . أما حيفا فقد صمدت خمسة أشهر وقتل قائد مجاهديها الضابط الأردني محمد الحنيطي ، الذي اتفق مع لجنتها القومية على قيادة المعركة فيها، في كمين نصبه الصهاينة بمعونة الانكليز أثناء عودته بالمعدات العسكرية من سورية ولبنان.^(١) وكانت السلطات البريطانية قد اعلنت أنها قررت البقاء في حيفا حتى مطلع شهر آب ١٩٤٨ ، وفجأة أبلغ الجنرال ستيكويل Stockwell^(٢) السلطات العربية في المدينة بأنه قرر الانسحاب الى منطقة الميناء ، واخلاء جميع المراكز التي كانت تحتلها قواته وتفصل العرب عن اليهود . ولعل خطأ عرب حيفا هو نفس خطأ عدد من المدن الأخرى ان سكانها لم يستكملوا أسباب الدفاع عنها نظراً لانكاهم على الجيوش العربية التي وُعدوا بأنها سوف تتدخل في نهاية الانتداب (١٥ أيار) ، واعتقدوا أن حكومة الانتداب ستحافظ على المدينة وتحول دون احتلالها .

وبينما كان الانكليز ينسحبون من حيفا بنخطة مدبرة^(٣) كان الصهاينة يحتلون المواقع المحصنة فيها ، ويشنون الهجمات على سكانها العرب . وامتدت المعركة دامية من صباح ١٩ نيسان حتى مساء ٢١ منه ، والانكليز قابعون في مراكزهم لا يمانعون ؛ ولكن حين

(١) انظر عودة بطرس عودة « مصرع فلسطين » القدس ١٩٥٠ ص ١٣٦ - ١٤١ في وصف سقوط طبريا .

(٢) هو قائد قوات العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) .

(٣) اتم جان الحسيني مندوب الهيئة العربية العليا السلطات العسكرية البريطانية بالتواطؤ مع الهاغانا ، وذلك في خطابه أمام مجلس الأمن يوم ٢٣ نيسان :

أقبلت جموع عربية من القرى المجاورة للنجدة ، تحرك الانكليز وحالوا بينها وبين دخول حيفا ، كما منعوا سرية من الجيش الاردني كانت تعسكر حول حيفا من تقديم المعونة إليها ، وأبى عرب حيفارغم ضعف وسائلهم تسليم المدينة للغاصبين فقاتلوا بضراوة ، وسقط منهم الكثير ، وكبدوا العدو خاسراً باهظة ، ونزح عن المدينة بعد ذلك ألوف العرب لاجئين إلى لبنان ، ثم سقطت صفد وعكا وشفا عمرو والناصره وبافا وسلمة ومعظم جهة الجليلين الشرقي والغربي بعد معارك ضارية لا يتسع المجال لسرد ما اتسمت به من ايمان وبطولة يازاء غدر الانكليز وتواطؤهم ، وتقصير الدول العربية عن مدّ عرب فلسطين بالسلاح والعتاد الضروريين للدفاع^(١) .

أما في القدس فقد شدد الصهاينة في أواخر نيسان ضغطهم على حي القطمون العربي ذي الموقع الاستراتيجي الهام لأنه بشرف على أغلب الأحياء العربية واليهودية في القدس الجديدة ، وكان يدافع عنه المجاهد ابراهيم ابو ديه على رأس سرية من جيش الجهاد المقدس ، ولما حاولت سرية من الجيش الاردني مساعدة العرب في الدفاع عن الحي أنذر القائد البريطاني بقصف السرية الاردنية ، وأدرك العرب ان القائد المذكور قد تأمر على تسليم القطمون الى الصهاينة ، وقد تم ماتوقعوه^(٢) .

وقد ساعدت وسائل الاعلام العربية - عن غير قصد - على اشاعة الفزع والرعب ، من حيث أرادت اكتساب التأيد ؛ فهي بسردها تفاصيل مذهجة دير ياسين وناصر الدين القريبة من طبريا وغيرها ، نشرت الذعر في القرى العربية ، والصهاينة لم يدخروا وسعاً في إذاعة أبناء القتل الجماعي لتحطيم معنويات العرب ودفعهم لمغادرة أراضيهم وقرامهم ، وقد

(١) انظر عن تفاصيل احداث سقوط هذه المدن الفلسطينية المجاهدة : عارف العارف ، عبد الله التل ، عودة بطرس عودة وغيرها من التواليف عن حرب فلسطين .

(٢) التل - المصدر السابق ص ٢١

حدث ما ترسموه تماماً ؛ ففي مرحلة متأخرة لم تكتف القوات اليهودية بشن حرب دعائية نفسية للضغط على العرب فحسب ، وإنما قامت أيضاً باستخدام القوة لطردهم

من ذلك أن سكان عكا بما فيهم اللاجئون الذين قدموا إليها من حيفا ، طُردوا في أيار . وسيجري طرد السكان العرب بما فيهم اللاجئون ، من اللد والرملة وبئر السبع والجليل الغربي ما بين أيار وتشيرين الأول ١٩٤٨^(١) .

وقد أصاب المؤرخ البريطاني الشهير توينبي كبد الحقيقة حين وصف التكتيك الصهيوني النفسي بقوله :

« ان الأعمال الشريرة التي اقترافها اليهود الصهاينة ضد عرب فلسطين ، والتي يمكن مقارنتها مع الجرائم التي اقترافها النازيون ضد اليهود ، يمكن تصويرها في ذبح النساء والرجال والأطفال في دير ياسين في التاسع من نيسان ١٩٤٨ ، كما أسفر عن هروب السكان العرب بأعداد كبيرة من المناطق التي تقع ضمن نطاق أعمال القوات اليهودية المسلحة »^(٢) .

والحق أن الصهيونية كانت تدرك متاعها بعد التقسيم ، بسبب المشكلة الكبيرة الناجمة عن وجود العرب في الأراضي المخصصة للدولة اليهودية . وكان لا بد من معالجة أمرهم ، لأن فلسطين عربية في غالبيتها من حيث عدد السكان وملكية الأراضي . وكانت المعضلة التي واجهت الصهيونية هي كيف يمكنها أن تقيم الدولة اليهودية في فلسطين عن طريق السلام ؟ ولكنها وجدت الحل في الارهاب . وتولت الهاغانا تنفيذه مع الارغون وشتين . رأت الصهيونية أن قرار الجمعية العامة بخلق اسرائيل لا يمكنه وحده أن يخلقها . أو كما قال

(١) Kirk, Survey.. p. 264

(٢) Toynbee , Arnold - A Study of History. London 1953-4, (٢) vol. VIII, p. 290

بن غوريون في خطابه أمام اللجنة المركزية لحزب العمل الاسرائيلي في ٨ كانون الثاني ١٩٤٨ : « إن القرارات الدولية يمكن قلبها . نحن نذكر التسويات التي صاغها الحلفاء الأقوياء في الشرق الأدنى لاقتسام الاراضي التركية ؛ لقد أتى مصطفى كمال وقلبها رأساً على عقب » (١) . إذن بسحق مقاومة عرب فلسطين ، واجتثاثهم من جذورهم ، وبارهابهم ، تصبح العمليات العسكرية أمراً لازماً . وفي الخطاب نفسه كرر بن غوريون هذا المعنى حين تحدث عن النقب الذي يعتبر قطب الرمح بالنسبة للاستعمار الصهيوني في فلسطين قال : « ان توسيع حدودنا في النقب هو أسهل من توسيعها في أبة نقطة أخرى . إن الأمم المتحدة أعطتنا إياه للاستعمار ، ولكن قوة السلاح لا القرارات الشكلية ، سوف نحسم الموضوع . وما لم نحشد القوة المسلحة هناك ، فسوف نخسر سريعاً . إن كل مستعمرة هناك يجب ان تكون حامية ، وكل يهودي جندياً » (٢) . ولا ريب في أن هذا الاعلان هام للغاية لأنه يكشف عن سياسة مرسومة . ولعل التاريخ الذي تقوه فيه بن غوريون بهذا الخطاب يقوم دليلاً لا على اعتزام الصهاينة ببدء العدوان فحسب ، وإنما أيضاً على خوض الحرب الشاملة . ومن هنا تنتفي حجة الصهاينة بأن عرب فلسطين قد هربوا طوعاً من قراهم وأراضيهم ؛ ان فرار اللاجئين العرب من فلسطين كان ثمرة طبيعية من ثمار الحرب العدوانية التي ترسم خطاها الصهاينة (٣) لا بعد التقسيم فحسب ، وإنما قبله بوقت طويل ، كما تدل على ذلك فعال اربابهم واستعداداتهم وما ينقلت من تصريحات زعمائهم . لقد وضع الصهاينة مخططهم على أساس إرهاب العرب وترويعهم ، وقد تم لهم ذلك . ولا حاجة بنا الى سرد أنواع الترغيب والترهيب التي نشرها الصهاينة في طول فلسطين وعرضها ، والتي انطوت على انذار الأهلين بأن لا ينتظروا رحمة أو إسفافاً ، وان الحيار لهم قائم بين البقاء والموت ، وبين

Ben Gurion, Rebirth & Destiny.. p. 227 (١)

ibid. , p. 232 (٢)

(٣) انظر لتفنيد هذه الدعوى ما كتبه الكاتب الانكليزي ارسكين تشيلدرز في المجلة اللندنية :

Spectator, 12 May 1961

الفرار والحياة . لقد كانت مكبرات الصوت في القدس تذيع باسم الهاغانا، وتطلب بالعربية من الأهلين مغادرة المنطقة قبل الساعة الخامسة والرابع من يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ ، وتقول: « اسفقوا على نساءكم واطفالكم واخرجوا من الحمام الدموي . اخرجوا عن طريق أريحا التي ما زالت مفتوحة أمامكم. أما إذا آثرتم البقاء، فإنكم تجلبون على أنفسكم الكوارث»^(١). وفي منشور ألقته الطائرات اليهودية في شمال الجليل يوم ١٦ أيار ١٩٤٨ قال قائد الهاغانا : « واني اعلن تبعاً لذلك ان على كل من لا يرغبون في هذه الحرب ، ان يتركوا بيوتهم مع نساءهم واطفالهم ، ليكونوا آمنين ، فهذه الحرب ستكون قاسية لا رحمة فيها ولا هودة . وليس ثمة من داع يحملكم على تعريض أنفسكم للخطر »^(٢) . وقد تمكنت القوات اليهودية قبل أيار ١٩٤٨ ، عن طريق المذابح وأعمال القتل بالجملة ، من احتلال مناطق عربية لم ينص عليها التقسيم ، وبذلك أصبح شعب فلسطين يعيش في (المنفى) ، وقد عبّر وايزمن أبلغ تعبير عن مشكلة اللاجئين حين وصفها بأنها « تبسيط مهمة اسرائيل »^(٣) .

وقبل ان يغادر البريطانيون فلسطين في ١٤ أيار ، وقبل أن تتدخل الجيوش العربية في الصراع على اديم فلسطين ، كان الصهاينة قد أنجزوا ما يلي :

١ - في الاراضي المخصصة للدولة العربية - احتلوا عكا ويافا والقرى العربية قزاز وسامة وسريس والقسطل وبيار عدس .

٢ . في الاراضي المخصصة للدولة اليهودية - طردوا سكان المدن العربية طبريا وحيفا وصفد وبيسان ومئات من القرى العربية .

٣ في منطقة القدس الدولية - احتلوا حي القطمون العربي بعد عشرين يوماً من

(١) أحمد الشقيري « قضايا عربية » بيروت ١٩٦١ ، ص ٢٠١

(٢) نفس المصدر والصفحة ٢٤١

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٢

مذبحة دير ياسين . وقد أتم الصهاينة طرد حوالي ٤٠٠ ألف عربي فلسطيني من ديارهم ، واصبحوا لاجئين .

ولولا تدخل الجيوش العربية في ١٤ أيار ، فان ألوف اللاجئين كانوا سيلقون حتفهم ، وكان هدف التدخل الوحيد هو إعادة السلام والطمأنينة وتوطيد دعائم القانون والنظام في فلسطين . وكان هذا الواجب بالنسبة لجامعة الدول العربية ، واجبا قومياً ودولياً في آن واحد ، إذ لم يكن لدى مجلس الأمن القوات اللازمة الموجودة تحت تصرفه لإعادة السلام وحماية القانون والنظام .

بداية تراجع الولايات المتحدة عن دعم التقسيم :

كانت مشكلة تنفيذ قرار التقسيم وما اشتمل عليه من مسؤولية ملموسة ومجاهدة عملية لحقائق الاشياء في فلسطين ، قد أوجبت على حكومة واشنطن مراجعة سياستها بخصوص التقسيم ، لا سيما حين يصل الأمر إلى حدّ فرضه بالقوة . وكانت واشنطن ترقب تطور الأحداث في فلسطين ، وما أسفر عنه الصدام المتسع بين العرب واليهود منذ كانون الاول . وفي الوقت نفسه تلاحظ ما تقوم به لجنة فلسطين الدولية الحماسية في مجال التنفيذ لتتخذ الحكومة الامريكية في ضوءه موقفاً ملائماً . ويبدو أن خبراء الخارجية برئاسة لوفيت وهندرسون لم يكونوا مقتنعين بالحكمة من وراء دعم واشنطن للتقسيم ، كما كانت خبراء وزارة الدفاع وعلى رأسهم الوزير فورستال نفسه يعارضون التقسيم على أساس أنه قد يؤدي الى احتمال التدخل السوفيتي في الشرق الأدنى . وقد سعى فورستال بكل جهده ، وحتى على حساب مركزه الخاص ، الى وضع فلسطين خارج السياسة ، ولسوء الحظ فشلت كل مساعيه ، ففلسطين كانت « في صميم السياسة »^(١) وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨ ، وجّه فورستال كتاباً الى لوفيت يقترح فيه « اتباع سياسة خارجية ثنائية المشايعة » ، وقال :

Millis « Forrestal Diaries » , p. 322

(١)

أشك في أنه يوجد أي قطاع في علاقاتنا الخارجية أعظم أهمية أو أشد خطراً في مضامينه العريضة على أمن الولايات المتحدة ، من علاقاتنا بالشرق الأوسط .. وطبقاً لهذه المقدمات فمن الحق ان نسمح للحالة ان تتطور بحيث تعود بالضرر الدائم على علاقاتنا بالعالم الاسلامي ، أو تنتهي بانزلاقنا نحو الحرب . وحين اطلع لوفيت على الكتاب وافق على مضمونه ، ثم أصدر كتاباً عن هيئة التخطيط في الخارجية الامريكية ينهي بالقول : « ان قرار التقسيم ليس قابلاً للتطبيق ، وان الولايات المتحدة غير ملازمة بدعم خطة التقسيم ، أو القبول بمسؤولية وحيدة الطرف لتنفيذ قرار مناقض للمصالح الامريكية ، وعلى الولايات المتحدة ان تتخذ الخطوات لضمان سحب مقترح التقسيم بالسرعة الممكنة ^(١) . » وقد شعر فورستال ان الخارجية متضايقة جداً لأن نايلز يعرقل نشاطها حين يذهب مباشرة الى الرئيس في البيت الابيض لحسم القضايا المتصلة بفلسطين ^(٢) . وفي ٢٩ كانون الثاني قابل فورستال مع بعض معاونيه ، دين راسك ولوي هندرسون وغيرهما من رجال الخارجية لمناقشة موضوع فلسطين رأى هندرسون « أن تصويت الجمعية العامة على التقسيم ليس إلا توصية ، وليس قراراً نهائياً للامم المتحدة نفسها ، وان الدعم الامريكي للتوصية قد استند الى الافتراض بأن التقسيم سوف يبرهن على انه عادل وقابل للتطبيق ، ^(٣) . ومنذ ذلك الوقت برزت نظرية فورستال التي دافع عنها بقوة فيما بعد ، والقائلة بأن عدم قابلية العمل بالتقسيم يبرر اعادة النظر فيه . وفي ١٢ شباط انعقد مجلس الأمن القومي ، وحضره وزير الخارجية مارشال ورؤساء الاركان وغيرهم من الخبراء . قال مارشال ان وزارته وضعت مذكرة تشير الى ثلاثة سبل لتسير عليها السياسة الامريكية : ١ - ان تتخلى امريكا مباشرة عن

ibid . (١)

ibid . p. 361 (٢)

ibid . p. 362 (٣)

دعم توصية الجمعية العامة بالتقسيم . ٢ - أن تؤكد التنفيذ الجبري للتوصية من قبل مجلس الأمن الذي سوف يتضمن استخدام القوات الأمريكية إما لوحدها او بالاشتراك مع روسيا . ٣ - أن تبذل الجهود لاعادة المسألة ثانية الى الجمعية العامة، وتحاول إعادة تشكيل السياسة ليس بالتخلي عن مبدأ التقسيم ، وانما بتبني بعض الوسائل المؤقتة مثل الوصاية أو الانتداب المشترك الانكلو فرنسي امريكي ، مع مراجعة لقرار التقسيم وفقاً لمبادئ خطة الكانتونات التي ارتها بريطانيا. ويبدو ان مارشال اقتنع بوجهة نظر لوفيت، وإن لم يصرح في الاجتماع بموافقة على أي من الحلول الثلاثة . وجرى اجتماع في البيت الابيض بعد ستة أيام ذكر فيه الجنرال غرونتر Gruenther للرئيس ترومان « أن النقاط الممكنة الانفجار في العالم هي اليونان ، ايطاليا ، كوريا ، فلسطين وقدّر ان ما يتطلبه التنفيذ الجبري للتقسيم ما بين ٨٠ - ١٦٠ ألف جندي »^(١) .

وكان فورستال قد أشار في حديثه مع الزعيم الديموقراطي والتر جورج الى أن حجم القوات المتوفرة لديه أقل من ٣٠ ألفاً بالإضافة الى ٢٣ ألف بحار، في حين أن البريطانيين لديهم ٩٠ ألفاً في فلسطين لحفظ الأمن^(٢) . وكان ترومان قبل يوم واحد ، (١٧ شباط) قد صرح بموافقة على اقتراح للخارجية يقضي بأن يستخدم مجلس الأمن سلطاته في الوساطة والتسوية الودية^(٣) . ومنذ نهاية شباط بدا وكان الوضع في فلسطين قد اتضح ، واصبح من الممكن ملاحظة نتائج المهمة التي كلفت بها لجنة فلسطين ، بما يكفي لاتخاذ موقف امريكي مدروس من مسألة تنفيذ قرار التقسيم . ونظر مجلس الأمن في تقرير اللجنة (٢٤ شباط) ، التي اقترحت ان تحل قوات غير فلسطينية محل قوات الانتداب لتحول دون الحرب بين الطرفين في فلسطين ، وتكون تحت قيادة اللجنة لتتمكن هذه من القيام بمهمتها .

ibid . p. 376

(١)

ibid.

(٢)

Truman, II. op. cit. , p 159

(٣)

وقد صرح رئيس اللجنة التشيكي أنه لا بد من قوات عسكرية من الامم المتحدة لتهديته فلسطين ولفرض التقسيم . واقترح المندوب الامريكى اوستن على مجلس الأمن ان يقرر الأعضاء الخمسة الدائمون ما اذا كانت الحالة القائمة في فلسطين تشكل تهديداً للسلام العالمي وأمنه^(١) . وتم تبني هذا الاقتراح في ٥ آذار ، وقد لفت اوستن النظر الى أن مجلس الأمن محول باتخاذ اجراءات لاستخدام القوة في فلسطين لإزالة التهديد للسلام العالمي . ولكن ميثاق الأمم المتحدة لا يصرح لمجلس الامن بفرض تسوية سياسية ؛ أي أن عمل مجلس الامن موجه للحفاظ على السلام ، لا لفرض التقسيم . وكرر المندوب البريطاني أن بلاده لن تفرض ما لا يرضى عنه العرب واليهود . وتقدم المندوب الامريكى بمشروع قرار يدعو الى تشكيل لجنة من اعضاء الدول الخمس الدائمة في مجلس الأمن ، تضع توصياتها بشأن فلسطين بالتشاور مع اللجنة الخماسية ودولة الانتداب والفرقاء المعنيين بخصوص تنفيذ التقسيم . وهنا صرح العرب لأول مرة على لسان المندوب المصري : انه اذا استمر هذا الاتجاه نحو تنفيذ التقسيم فإن الدول العربية المحيطة بفلسطين سوف تصل الى نقطة لا تجد عندها مفرأ من الهجوم لانقاذ عرب فلسطين^(٢) .

واتضح الموقف الامريكى في تفضيل الحل الوسط والتراجع عن التقسيم في اجتماعات مجلس الأمن ابتداء من ٨ آذار ، وبدا فيها وكان الاتحاد السوفيتي أقوى نصير للتقسيم ، وخطته دائماً هي السعي لإنهاء الانتداب البريطاني في أسرع وقت ممكن ، ونحويل مجلس الأمن حيث يمارس الفيتو ، لا الجمعية العامة حتى الاشراف على تنفيذ قرار التقسيم ، وذلك بارسال قوات دولية تساهم فيها الدول الكبرى ، وهذا ما كانت الدول الغربية تخشاه لأنه

U. N. Security Council, Official Records, 3 rd year , (١)
pp. 35 - 36

U. N. Security Council, Official, Records, 3 rd year, (٢)
5 feb. to 2 March 1948, p. 301

قد تتخذ هذه القوات وسيلة لتسلل السوفيتي الى الشرق الاوسط عبر فلسطين . وكانت الولايات المتحدة والصين وفرنسا قد ناشدت رسمياً العرب واليهود أن يتفقوا على عقد هدنة في فلسطين . و طلب تريغفلي امين عام الأمم المتحدة توزيع نشرة تشرح الموضوع شرحاً متحيزاً للصهاينة ، مفاده أن تنفيذ التقسيم كان داخلاً ضمن اختصاص مجلس الأمن ، وقد كتب تريغفلي أن الدكتور ارسى Arce الارجنطيني انبرى له آنذاك وهاجم النشرة بشدة ، واعتبر المبادرة على أنها تدخل لا مبرر له من جانب الأمانة العامة ^(١) .

ولم ينتظر الصهاينة اعلان التراجع الأمريكي رسمياً عن التقسيم ، وإن كانوا يدركون أنه يجري التحضير له ، ويفسرون ذلك بحجبتهم المفضلة المعادة عن تأثير المصالح النفطية والاستراتيجية على وزارتي الخارجية والدفاع، وهذه الحجة مبنية على أن العرب كان يهددون باستخدام سلاح النفط في حرب فلسطين ^(٢) ، ولكن ما سبق بيانه عن مؤتمرات الجامعة العربية « ومقرراتها ، لا تترك مجالاً للشك في أن التهديد العربي لم يكن ملوساً ؛ وقد مرّ بنا كيف أن شركات النفط الامريكية كانت تستخدم كأداة لتضليل العرب ، وللتأكيد لهم بأن واشنطن لا يمكنها أن ترغب في عداء العرب لها من أجل الصهاينة ، وان مداراة هؤلاء أمر موقوت بالانتخابات ، وان وعود المرشحين المبذولة أثناءها يزول تأثيرها بزوال موسمها . ومضى الصهاينة يكيلون التهم جزافاً ، ويطلقون أقسى النعوت ضد (التراجع) الامريكي . فهو نارة لظمة مسددة الى هيئة الامم المتحدة وسمعتها والى حكومة ترومان ، وتارة (لا سامية) صرقة مبرقعة بكلمات اوستن ، وحيناً مناسبة لاسترضاء العرب وبريطانيا ، وطوراً يطالب باستدعاء هندرسون أمام مجلس الشيوخ ومحامته بتهمة اغتصابه

(١) Lie , op. cit. , pp. 167-8 يتدح ويزمن تريغفلي ويشيد بجهته في « تأكيد

سلطة الجمعية العامة » : Weizmann, p. 581

Hurewitz, p. 312

(٢)

سلطات الحكومة، أو اتهام فورستال وزير الدفاع وسيمينغتون قائد سلاح الجو بأنها يعملان نيابة عن مصالح النفط والمصارف ، ولهذا السبب سعيا الى حل الحكومة على تغيير سياستها بابتكارهما فكرة البعج الروسي الخ^(١) . . وقد تصاعدت موجة الدعاية الصهيونية للضغط على الحكومة قبل أن يحدّد أوستن الموقف الامريكى في مجلس الأمن. ولكن أوستن وقف في وجه دعاة التقسيم الذين كانوا ينادون بضرورة التدخل المسلح إن لم يكن بواسطة الامم المتحدة ، فبواسطة الولايات المتحدة وحدها ، وكان في طليعة المتحمسين السيدة اليانور روزفلت وصنمو ويلز وهربرت ليهان والبرت توماس ، والشيخ نافث^(٢) . وقبل أيام من بيان أوستن ، كانت أوساط الأمم المتحدة تتحدث عن خطة امريكية جديدة لحل قضية فلسطين ، وأشارت الصحافة تليحاً الى الضغط الذي يتعرض له ترومان من قبل زعماء نيويورك السياسيين ليحملوه على اتخاذ موقف مؤيد للصهيونية^(٣) . وأصر زعماء الحزب الديموقراطي على مساندة الصهاينة لكسب أصوات يهود امريكا في الانتخابات القادمة ، في حين أصرت وزارة الخارجية على وجوب حقن الدماء في فلسطين وعدم توريث القوات الامريكية بالتزام التدخل . وكان ترومان نفسه متبهاً الى الاعتراضات ضد التدخل الامريكى العسكري في فلسطين ، وعلى علم تام بأن تدخل الامم المتحدة يتطلب تشكيل قوة دولية تشارك فيها روسيا . ولكن موقفه كان يستحق التقدير واللوم من حيث أن الرئيس وإن كان متأثراً بالرأي العام الامريكى الذي ضلته الصهيونية ، ولكنه أيضاً كان ملتزماً أمام هذا الرأي العام بموقف عسكري محدد لا يفرض على ترومان الولايات المتحدة بحرب . ويبدو أن إدارة ترومان وقعت بين شقي الرحى ، ولذا اختارت أن تجد تدابير

New York Post, 25 feb. 1948

(١)

Lilienthal, p. 74

(٢)

New York Times, 20 & 21 feb. 1948

(٣)

موقفة لحل القضية الفلسطينية ضمن الحدود القانونية ، ولم يكن أمام مجلس الأمن ازاء الآراء المتضاربة للدول الكبرى سوى أن يفرض عقوبات اقتصادية ، أو أن يقوم بأي عمل ايجابي من شأنه ان يحمل العرب واليهود في فلسطين على قبول حل وسط . ولكن مجلس الامن لم يتمكن من اتخاذ أي قرار لعدم توفر أكثرية ٧ أصوات من ١٢ .^(١)

واستدعي وايزمن بسرعة للعودة الى نيويورك في منتصف كانون الثاني فوصلها في ٤ شباط ليساعد في حل الأزمة المتجمعة^(٢) ، وقد مرت بنا كيف قابل ترومان وتقاهم معه ، ويرى هوروفتزر أن اعتراف امريكا الفوري باسرائيل انما يرجع الفضل به الى هذه المقابلة التي تمت في ١٨ آذار^(٣) .

الوصاية بدلاً من التقسيم :

وقد تطورت الاحداث في اليوم التالي (١٩ آذار) حين وقف اوستن في مجلس الأمن ليعلن بأن قرار الجمعية العامة بتأييد التقسيم لم يشكل أمراً تنقيد به الأمم المتحدة أو أي عضو منها ، وأن مشروع التقسيم نفسه قد جرت الموافقة عليه على أساس الافتراض بأن جميع أقسام المشروع ستنفذ معاً ، وبما أنه ثبت الآن تعذر ذلك ، فان واجب الأمم المتحدة إعادة السلام والنظام الى نصابها . وقال ان حكومته تقترح اقامة وصاية موقفة على فلسطين قد تساعد الفريقين المتحاربين على التوصل الى اتفاق ، على أن يكون معلوماً أن نظام الوصاية هذا لن يضير التسوية السياسية النهائية . وطلب اوستن من مجلس الامن أن يوصي الجمعية العامة والدولة المنتدبة بتبني نظام الوصاية هذا ، وكان لا بد من عقد دورة خاصة للجمعية العامة فوراً للنظر في التوصية ، مع إعلام اللجنة الخماسية الدولية

Lilienthal, p. 76 (١)

Weizmann, p. 575 (٢)

Horowitz, p. 330 (٣)

بوقف جهودها الرامية الى تنفيذ التقسيم . وقد وصف الناطق اليهودي في مجلس الأمن البيان الامريكى بأنه « تراجع مؤلم ، و « تسليم مفرج . . للتهديد والارهاب » . واحتج الصهاينة بشدة ضد (انقلاب) السياسة الامريكية . وفي فلسطين رفضت الوكالة اليهودية والمجلس الملى اليهودي في ٢٣ آذار أبة خطوة لاقامة نظام وصاية على فلسطين حتى لفترة قصيرة^(١) . وأعلنت الوكالة ان حكومة يهودية مؤقتة سوف تقوم قبل ١٦ أيار . وفي ٢٠ آذار طلب ترومان من القاضي اليهودي روزنمان أن يبلغ وايزمن بأنه لم يطرأ تغيير على السياسة الامريكية في المدى البعيد^(٢) . ومعنى هذا ان ترومان كان واقفاً على بيان اوستن عموماً ، وأنه لا صحة للقول بأن الخارجية خالفت الرئيس ترومان وفاجأته ببيان الوصاية . وأكد ترومان ان وايزمن قد تفهم قصده الحقيقي ، لأن وايزمن لم يهاجم السياسة الامريكية ، وكان الوحيد الذي فعل ذلك بين الزعماء الصهاينة^(٣) . وبدلاً من ذلك صرح وايزمن للصحافة في ٢٥ آذار منتقداً مسلك بريطانيا لا الولايات المتحدة ، ولا بد أنه كان يقصد بنقده أن يحذر الولايات المتحدة تليحاً لا صراحة . قال وايزمن : « يقترح بعض الناس الآن ان يوضع قرار التقسيم على الرف لأنه لم يضمن موافقة جميع الأطراف عليه ! . إن أي حل ينبغي فرضه ليصبح نافذاً^(٤) » . إذن لا انتقاد صراحة ولا تشهير ، وإنما لفت نظر ، وبشكل خاص ، سرعان ما تحقق في رسالة كتبها وايزمن الى ترومان في ٩ نيسان ، شرح فيها وجهات نظره بغاية الدهاء ، واسترعى انتباه الرئيس الى « الآثار النفسية للاستقلال اليهودي الموعود في تشرين الثاني ، والى محاولة نفسه في آذار » ، وناشده ان يحول دون ذلك^(٥) . ولكن وايزمن لم يقتصر مساعيه على اوساط البيت الأبيض ، وإنما سارع لاقناع

Sacher, op. cit. , p. 11٥

(١)

Truman, op. cit. , p. 162

(٢)

ibid.

(٣)

Weizmann, pp. 577-8

(٤)

ibid. , 579

(٥)

اعضاء الوفد الامريكى بأن القوة العسكرية العربية التي يتخوفون منها هي محض خرافة ،
يرجو ان يتاح لليهود فرصة تبديدها ، وانه يعتبر عزم اليهود على اعلان استقلالهم يوم نهاية
الانتداب له ما يبرره ، وواقعي تماماً^(١) .

وبينا اصدر وزير الخارجية مارشال بياناً يعلن فيه ان نظام الوصاية هو السبيل الوحيد
لحلقن الدماء ، كان توماس ديوي حاكم نيويورك يهاجم (لطفة) ادارة ترومان للموضوع ،
وبذلك مبعثت المزاودة الانتخابية على الأصوات اليهودية بشأن فلسطين بين الحزبين
الديموقراطي والجمهوري . وأدلت جريدة نيويورك تايمس وغيرها من الصحف الامريكية
بدلوها في الحملة ، وراحت تطالب الرئيس ترومان « بإصدار بيان صريح عن موقفه ، يهد
به الطريق امام الاعتراف بالدولة اليهودية»^(٢) . وبعد يومين أي في ٢٥ آذار تحدث ترومان
فدعا الى وصاية موقنة على فلسطين ، ولكنه نفى ان يكون قد صرف النظر عن مشروع
التقسيم . وفسرت الدوائر السياسية هذا التصريح بأنه تراجع ظاهر عن السياسة الامريكية
الجديدة التي اعلنها اوستن ولم يلبث هذا مع دين راسك والناطقون باسم الوفد الامريكى
ان كرروا ما قاله ترومان ، من أن الوصاية ليست بديلاً عن التقسيم ، وانما هي تدبير
موقت قصد به أن يملأ الفراغ الذي سينجم عن انسحاب الادارة البريطانية من فلسطين^(٣) .
ولكن وزارة الخارجية كانت ما زالت تشعر بالتناقض بين موقف واشنطن المؤيد بشكل
غامض للتقسيم من ناحية ، وبين امتناعها عن استخدام القوات الامريكية لفرضه إذا ما
طلبت الأمم المتحدة المساهمة الامريكية ، من ناحية ثانية . ولكن هذا التناقض كان يدعم
موقف خبراء الخارجية والدفاع الذين كانوا يرون أن الوضع الدولي ينذر بخطر جدي ؛

ibid. (١)
Lilienthal p. 78 (٢)
ibid. (٣)

فالانقلاب الشيوعي الذي جرى في تشيكوسلوفاكيا (٢٥ شباط ١٩٤٨) أسفر عن تجميع غيوم الحرب ونصاعد التوتر في الأوساط الغربية ^(١) . وظلت قضية فلسطين تقلق السياسة الأميركية في الأمم المتحدة بينما كان أوستن على وشك أن يقدم مشروع الوصاية الى الأمم المتحدة ، فقد سأل لوفيت فورستال في ٢٩ آذار ، ماذا يستطيع أوستن ان يقول إذا سئل عن حجم القوات التي ستساهم بها الولايات المتحدة عند الحاجة . وقد بحث فورستال الأمر مع ترومان الذي قال انه لا يريد ان يصرح بأي التزام ثابت لإرسال القوات العسكرية الى فلسطين ، « فأخبرته بموضوع لوفيت ، الذي يحاول فقط ان يحصل على شيء ايجابي للشيخ أوستن كي يفضي به في حالة محاصرته ، فقال حينئذ انه يشعر اذا كان علينا ان نجيب فيمكن القول بأننا نستطيع المساهمة في تنفيذ انتداب الوصاية بحسب -دود امكانياتنا ^(٢) » ، وفي اليوم التالي (٣٠ آذار) قدم المندوب الامريكى أوستن مشروع قرار يطلب عقد دورة خاصة للجمعية العامة ، ومشروع قرار آخر بدعوة ممثلين عن العرب واليهود الى الاجتماع بقصد وضع ترتيبات للهدنة في فلسطين . وتبنى مجلس الأمن مشروع القرارين الامريكين ، وكلف رئيسه بمناقشة تفاصيل الهدنة مع ممثلي العرب واليهود . وقد دعي العرب واليهود لوقف أعمال العنف فوراً ، ووجهت الدعوة لانعقاد الجمعية العامة ^(٣) . وقد رحب المندوب السوري باقتراح عقد الدورة الخاصة لأن من شأن ذلك ان يؤخر تنفيذ التقسيم ، ولكنه اعلن عن تحفظه بخصوص اقتراح الهدنة . وحصرت تنفيذة الوكالة اليهودية قبولها للهدنة في فلسطين-التي اذاعها المندوب السامي في ٣ نيسان- باللاحاح على سحب « جميع الفرق الاجنبية والثوار » ، ونقل وحدات الفيلق الاردني الى شرق الاردن باعتبارها

Millis, op. cit., p. 387 (١)

ibid., pp. 405-6 (٢)

U. N. Security Council Official Records, 3rd year pp. 247-8 (٣)

تقع ضمن مسؤوليات بريطانيا بموجب المعاهدة الاردنية البريطانية الجديدة التي وقعت في ١٥ آذار ، ومنع التسلل مستقبلاً من البلاد العربية ، والافتراض بأن الهدنة العسكرية لا تحول دون قبول المهاجرين اليهود . وبكلمة ، فان شرتوك أصر على ان الهدنة يجب أن لا تؤخر إنجاز الاستقلال ، واردف يقول ان الصهاينة قد تحطوا عتبة اقامة دوائهم ، ويرفضون ان يتراجعا^(١) . وفي غضون ذلك حذت بعض الدول حذو الولايات المتحدة في سياسة التراجع عن التقسيم وتأييد الوصاية ، وذلك حين أعلنت كل من كندا وبلجيكا إمكان إعادة النظر في قرار التقسيم^(٢) . وبادر المندوب الامريكى يوم أول نيسان لتقديم مقترحات محددة الى مجلس الأمن وهي تدعو الى وضع فلسطين تحت الوصاية ريثما يصل العرب واليهود الى اتفاق على شكل الحكومة ، واشراف هيئة الامم على ادارة البلاد بواسطة حاكم عام تعينه ، على أن يعاونه مجلس استشاري منتخب وقوة بوليس مختلطة ، وتكون الوحدات الادارية مستقلة استقلالاً ذاتياً ، ويسمح بهجرة خمسة آلاف يهودي في الشهر . أمامشروع قرار الهدنة فقد تضمن وقف جميع الأعمال العسكرية وأعمال العنف والتخريب ، والامتناع عن جلب السلاح وادخال الجماعات المسلحة ، والقيام بأي نشاط سياسي حتى تعيد الجمعية العامة نظرها في القضية^(٣) ، وتعين قناصل الولايات المتحدة وبلجيكا وفرنسا في القدس ك لجنة مشرفة على الهدنة . وقد وافق مجلس الأمن على الاقتراح الامريكى بغالبية تسعة أصوات وامتناع صوتين هما الاتحاد السوفيتي واوكرانيا .

ولكن الخارجية الامريكية ما زالت تسأل عن القوات التي تستطيع الولايات المتحدة أن تقدمها على وجه التقدير في حالة فرض نظام الوصاية على فلسطين . ونتيجة للاحالوفيت

(١) ibid . , pp. 5-23

(٢) Sacher op. cit. , p. 108

(٣) دروزة : ه : ١٨ : وايضاً Kirk, Survey.. p. 266

وأيضاً Sacher, op. cit. , p. 107

عقد اجتماع في ٤ نيسان حضره رؤساء الاركان المشتركة مع فورستال وموظفو الخارجية وقد طرح دين راسك المشكلة بايجاز على الشكل التالي : « اذا لم نفعل شيئاً ، فمن المحتمل ان الروس يستطيعون أن يتخذوا الخطوات المقررة للسيطرة على فلسطين من خلال تسلل المهاجرين المدربين على وجه الخصوص . أو بتمويل حرب أهلية مدمرة يحتمل ان تتدلع على نطاق واسع . وأضاف راسك : « ان ما قد ينجح عن قتل الألوف وربما مئات الألوف في فلسطين سوف يخلق أخطر المشاكل للولايات المتحدة ، وفي حالة حدوث مثل هذه التطورات ، فالولايات المتحدة قد تضطر للتدخل ، والتدخل في تلك الظروف قد يتطلب قوة مادية أكبر من القوة المطلوبة فقط لدعم الوصاية » . وقدّر فورستال ان بلاده لا يمكن ان ترسل اكثر من فرقة واحدة (١٥ ألف رجل) ، في حين ان اتساع موجة العنف بين العرب واليهود تتطلب مواجهتها ١٠٤ آلاف رجل كحد ادنى تقريبي^(١) . يتضح من ذلك ان السياسة الامريكية حين تراجعت عن التقسيم الى الوصاية تأثرت بعامل استراتيجي هو عدم استعدادها للتوسط في نزاع مسلح بالشرق الأدنى قد يفيد منه الانحاد السوفيتي ، بالاضافة الى فشل محاولات فرض التقسيم ، وسلامة الموقف العربي عسكرياً وصموده في فلسطين حتى ذلك الحين (أوائل نيسان) ، او ما تصورت امريكا انه كذلك ، على الرغم من ان قوات الجهاد المقدس وافواج جيش الانقاذ لم تستطع ، بعد ان تحول الصهاينة الى الهجوم المدعم بالامدادات الخارجية والسلاح الجديد . ان تحول دون رجحان كفة الصهاينة . اما الصهاينة فيرون ان هذا التغيير الرئيسي في الموقف الامريكي كان نتيجة باحثات ما وراء الكواليس التي جرت بين الخارجية الامريكية والخارجية البريطانية . وان الخارجية الامريكية لم تكن على انسجام مع الرئيس ترومان لأنها كانت تقدم المصالح النفطية والاستراتيجية على مصالح الأمم المتحدة^(٢) .

Millis, op. cit., pp. 410-411

(١)

Sacher, op. cit., p. 106

(٢)

اما العرب فيرون في التراجع الامريكى عن التفسير تتويجاً لصلابتهم في مواجهة الصهاينة في فلسطين قبل التدخل العربي الرسمي ، وثمره عاجلة من ثمرات عزائمهم النضالية والسياسية^(١) . ولكن العرب اطمأنوا الى ذلك ، ولم يقابلوه بما يرجح كفتهم ازاء المدد المستمر بالسلاح والعتاد الى الصهاينة من تشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة وابطاليا ، ومن مخلفات الجيوش البريطانية في فلسطين . ولم يكن خطأ الدول العربية في اذعانها فقط للانذار البريطانى القاضى بمنع الدول العربية من التدخل بفلسطين قبل ١٥ أيار ، وانما كان خطأها أيضاً أنها بالغت في الاستهانة بقوة عدوها واعتقدت ان تدخل جيوشها بعده ١٥ ايار سوف يعدل الحالة ، ويقبلها لمصلحة العرب . وبقيت تعيش على هذا الوهم دون ان تحرك ساكناً ، ففسرت للصهاينة انجاز ما رموا اليه من السيطرة لا على الاجزاء المخصصة لهم في التقسيم فحسب ، وانما أيضاً في إجلاء العرب عنها فزعين مذعورين ، تاركين للصهاينة كل اموالهم واملاكهم ، فضلاً عن اقسام أخرى مخصصة للعرب . ولولا هذا الجلود الرسمي العربي لما تشرد عرب فلسطين ، ولما وضع الصهاينة يدهم على اراضيهم وممتلكاتهم ، ولظلت المبادرة بيد العرب ، ولأمكن الحفاظ على كثير من المواقع التي استولى عليها اليهود حتى ١٥ أيار ، ولكان (التراجع) الامريكى الذي حدث في الأمم المتحدة ازاء التقسيم قد أثمر ثمرته المرجوة ، علماً بأن المناضلين الفلسطينيين لم يتوقفوا لحظة عن القتال رغم دقة موقفهم ، وقلة العتاد والوسائل بأيديهم ، وظلوا يقاتلون متفرقين ، ولكن شرفاء ، بقية شهر نيسان ، والاسبوعين الاولين من شهر أيار .

التناقض الامريكى : الاعتراف باسرائيل أثناء مناقشة الوصاية :

رفضت اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية الوصاية بقرار اتخذته في أواسط

(١) انظر دروزة ج ٥ ص ٢٢

نيسان على اعتبار أن الوصاية نظام مؤقت سيكسب اليهود منه قوة وعدداً ووقتاً ، ولا يلغي التقسيم والدولة اليهودية بل يجعل تفادياً أعسر . وكان أعضاء اللجنة مستبشرين بتطور الموقف ، وبناتج الزحف الرسمي المرتقب ، ولم يكن الوضع العربي في فلسطين قد تدهور بعد ، وكان العرب لا يزالون يوجهون الضربات الموجعة الى يهود القدس المحاصرين الذين طالب زعماءهم بالتسليم ووقف القتال . أما الهدنة فقد اشترط العرب لموافقتهم عليها حلّ الهاغانا ووقف الهجرة وتجريد اليهود من السلاح^(١) . وقد ذكرنا أن الصابنة منذ ٢٣ آذار رفضوا الوصاية ولو لوقت قصير ، واشتروا لقبول الهدنة أن لا تحول دون قيام دولتهم^(٢) .

واعتباراً من ١٦ نيسان عقدت الجمعية العامة دورتها الخاصة برئاسة الدكتور أوسي الأرجنتيني ، وفي ٢٠ نيسان تحدث اوستن فاقرتخ اقامة وصاية مؤقتة ، وقال ان حكومته ترغب في المساهمة بمسؤولية تقديم القوات المطلوبة خلال الهدنة ، وفترة الوصاية إذا أعلنت بقية الدول استعدادها بالمثل . وقال انه يأمل ان تتوفر القوات البريطانية في فلسطين وقوات الدول الاخرى على استعادة القانون والنظام بموجب نظام الوصاية . وردّ غروميكو بعنف على مقترح الوصاية ، واتهم الولايات المتحدة بمحاولة نفق قرار التقسيم بالاتفاق مع الحكومة البريطانية ، وذكر ان تغير الموقف الامريكى يعزى الى مصالح امريكا النفطية والعسكرية . وهاجم غروميكو كذلك موقف بريطانيا بإزاء تنفيذ التقسيم ، واتهم لندن بالتآمر مع العرب ، وصرح أخيراً بأن حكومته ما زالت تساند تنفيذ التقسيم^(٣) . وكان قصده الحيلولة دون بقاء النفوذ البريطانى في فلسطين ومنع رسوخ النفوذ

(١) دروزة - المصدر السابق ص ٢٦

Sacher, op. cit., p. 110

(٢) انظر

U. N. Official Records of the 2nd Special Session of the (٣)

General Assembly, V. II, Main Committees, Summary Records,

16 April - 14 May 1948, pp. 17 - 20

لا امريكي في الشرق الأوسط . وقيل ان بعض كبار المسؤولين الصهاينة ، ومن بينهم شرتوك كانوا يريدون قبول مشروع الوصاية كتدبير مؤقت ، ولكن بن غوريون تغلب عليهم ودعمه المتشددون العسكريون (١) . وبينما انتقد المندوبون العرب قرار التقسيم ودعوا الى التخلي عنه ، رفض المندوب الصهيوني مشروع الوصاية الذي اقترحه اوستن ، وهدد أن أي شكل من أشكالها يجب أن يفرض بالقوة ، وأعلن أن الدولة اليهودية سوف تقوم في يوم ١٥ أيار . وفي ٢٢ نيسان أعلن المندوب اللبناني ومندوب الهيئة العربية العليا استعدادهما المشروط ، للنظر في مقترح الوصاية على أساس أنه تدبير مؤقت فقط يرمي في النهاية الى حل مقبول يرضى به العرب (٢) . وأحيل مشروع الوصاية الامريكي على اللجنة الأولى التي يرأسها الدكتور تسيانغ الصيني ، وتقرر إقامة لجنة فرعية برقم (٩) تكون مهمتها النظر في جميع الموضوعات المتصلة بتأسيس نظام انتقالي في فلسطين ، ومشروع الوصاية يعتبر أساساً من أسسه ، واشترك الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في عضوية اللجنة الفرعية المذكورة . ووافقت اللجنة برقم (٩) على تعديل مشروع الوصاية الامريكي وإقراره ، كما وافقت على تدعيم جهود مجلس الأمن من أجل التوصل الى هدنة في فلسطين ، وكلفت وسيط الأمم المتحدة - الذي سيختاره الأعضاء الدائمون - بالتوصل الى تسوية سلمية (٣) ، وقررت وقف نشاط لجنة فلسطين الخماسية . وقدّم قرار اللجنة برقم (٩) الى اللجنة السياسية

Beigin, op. cit., pp. 246-7 (١)

Official Records, op. cit., pp. 69, 97 (٢)

(٣) تلخص مهمة الوسيط الدولي بما يلي : - بذل مساعيه لدى السلطات المحلية والطوائف في فلسطين لتنظيم سير المصالح المشتركة الضرورية لسلامة وخير شعب فلسطين ، وتأمين حياية الاماكن المقدسة والأبنية والطقوس الدينية في فلسطين . ٢ - التعاون مع لجنة الهدنة القنصلية التي ألفتها المجلس في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ . ٣ - ائارة ومساعدة وتنسيق المنظمات الاختصاصية التابعة للأمم المتحدة بالشكل الذي يراه مناسباً ...

في ١٣ أيار ، فشن عليه مندوبو تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وأوكرانيا هجوماً عنيفاً ، واتهم المندوب البولوني القرار بأنه نتيجة المناورات الامريكية لمنع تنفيذ التقسيم . ولكن اللجنة وقفت الى جانب الولايات المتحدة ، وتقرر كذلك ان يتلقى الوسيط الدولي توجيه ليس فقط من مجلس الأمن ، وإنما أيضاً من الجمعية العامة .

واجتمعت اللجنة في ١٤ أيار للنظر في قرار اللجنة رقم (٩) المختص بالوصاية ، وقرار اللجنة رقم (١٠) المختص بحماية القدس ، وطُرح القرار الثاني على التصويت فسقط لأنه لم يحظ بأكثرية الثلثين . وبدأت الجمعية العامة مناقشتها قرار اللجنة الفرعية رقم (٩) الذي يعالج قضية فلسطين عموماً .

وكانت المصادر الرسمية الصهيونية قد حددت موعد اعلان استقلال الدولة اليهودية في الساعة السادسة مساءً ؛ وبعد السادسة بقليل راجت في أوساط الأمم المتحدة شائعات بأن الولايات المتحدة قد اعترفت بحكومة امرائيل الجديدة ، ولما سأل المندوب الكولومبي المستر ساير Sayre أحد أعضاء الوفد الامريكي ما إذا كان صحيحاً أن حكومته قد اعترفت باسرائيل ، أجاب ساير انه ليس لديه معلومات رسمية بهذا الخصوص (١) .

وفي هذه الآونة كانت تجري تطورات خطيرة في أوساط البيت الأبيض ووزارة الخارجية الامريكية . ويبدو أن الطرفين توصلا بضغط ترومان الى حصر المناقشة بينها في الموعد الذي يجب ان يتم فيه الاعتراف بالدولة اليهودية . وحتى ١٣ أيار كان ترومان موافقاً على وجوب التريث في الوقت الحاضر ، ولكن الصهاينة تابعوا ضغطهم عليه . وفي ظهر يوم ١٤ أيار كانت الخارجية تطلب مهلة بضعة أيام فقط تتشاور خلالها مع حكومتها لندن وباريس ، ولكن تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس ترومان الخاص ، والذي كان على

صلة مستمرة بزعماء الحزب الديموقراطي وقادة الصهيونية ، من اقناع الرئيس بوجوب العمل الفوري لانقاذ الحزب من هزيمة محققة في الانتخابات القادمة ، لأن الفائزين بالحملة الانتخابية أبلغوه أن (مشروع الوصاية) الذي عرضته حكومة واشنطن على الجمعية العامة سوف يفضي الى فشل ترومان وحزبه . ويذكر ليلينثال أن ترومان اختلى طوال يوم ١٤ أيار مع مستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف ، كما اجتمع مع فرانك غولدمان رئيس منظمة (بيني بيرث) التي ينتمي اليها صديق ترومان وشريكه القديم جاكوبسون ، بينما أبرق سول بلوم عضو الكونغرس الى ترومان يقول : « ان من المستحسن أن تبادر الولايات المتحدة بأن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، لكي تبعد فلسطين والشرق الأدنى عن النفوذ السوفييتي وسيطرته » (١) .

وكان ايزمن في ١٣ أيار قد وجه رسالة الى ترومان يتسح فيها قيادته للحكومة الامريكية . . ويعبر عن أمله باعتراف الولايات المتحدة بالحكومة الموقته للدولة اليهودية الجديدة ، وقال : « ان العالم ، في ظني سوف يعتبر ذلك أمراً ملائماً ، لأن أعظم ديموقراطية في العالم ، كانت الأولى في الترحيب بأحدث ديموقراطية بين أسرة الأمم . . . » (٢) ! أرايتم قلباً للحقائق كهذا القلب ؟!

وقد كتب ليلينثال - أياً كانت قيمة شهادته - أن البيت الأبيض استدعى في الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر اليوم نفسه (١٤ أيار) ممثل الوكالة اليهودية في واشنطن الياهو ابشتاين (الذي سيصبح ايلياهو ايلات أول سفير لاسرائيل في الولايات المتحدة) ، حيث أبلغ أن الولايات المتحدة قررت ان تعترف اعترافاً واقعياً De Facto باستقلال اسرائيل شرط أن تتلقى واشنطن طلباً بهذا الاعتراف . وفي الساعة السادسة تماماً حسب

Lilienthal, pp. 82 - 3

(١)

Weizmann, p. 584

(٢)

نوقت واشنطن أعلن نبأ نهاية الانتداب البريطاني عن فلسطين ، وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة اسرائيل ، وفي الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بدولة اسرائيل ، مشفوعاً بتعنيات الرئيس الامريكى لاقرارها السلام في تلك الربوع !^(١) وكان مندوبو الولايات المتحدة في هذه الآونة بالذات لا يزالون يدافعون عن مشروع الوصاية في الامم المتحدة ، ولذا فقد تلقى دين راسك أوامر البيت الأبيض بأن يطلع اوستن على قرار الرئيس ترومان ، وتبلغ اوستن القرار في غرفته بفندق والدورف استوريا ، بينما كان أحد المساعدين للوفد الأمريكى في الأمم المتحدة يسرع لتقصي آخر الأنباء ، ويحيط وفده بها ؛ وقد أبدى المندوب الكويي دهشته واستغرابه لجهل الوفد الأمريكى هذا الموضوع الذي تدور به الألسنة حالياً ، ولاحظ بسخرية ان « مندوبي الاتحاد السوفيتي وبولندا أكثر اطلاعاً على الأحداث في واشنطن » من مندوبي الوفد الأمريكى نفسه ، وأنه لا حاجة لمزيد من النظر في المشروع المطروح على بساط البحث « اذا كانت حكومة الولايات المتحدة قد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة »^(٢) . ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث حتى دخل الدكتور جَسَب Jessup نائب رئيس الوفد الأمريكى الى القاعة ، وقرأ بياناً قصيراً أصدره البيت الابيض ، وجاء فيه : « أحيطت هذه الحكومة علماً بأنه قد أعلن عن قيام دولة يهودية في فلسطين ، وقد طلبت حكومتها الموقنة الاعتراف بها . والولايات المتحدة تعترف بالحكومة الموقنة على أنها سلطة قائمة بالفعل لدولة اسرائيل الجديدة »^(٣) . ثم قرأ (جَسَب) بياناً آخر عن البيت الأبيض ورد فيه « أن أمل الولايات المتحدة في الوصول الى هدنة بفلسطين لن يتناقض باعلان الدولة اليهودية ،

Lilienthal. , pp. 83 , 84

(١)

ibid. , p. 85

(٢)

ibid. , pp. 85 - 86

(٣)

نأمل أن الدولة الجديدة سوف تنضم الى لجنة الهدنة التي شكلها مجلس الأمن في جهود مضاعفة لانهاء القتال، ولقد كان هذا هو الهدف الرئيسي لهذه الحكومة أثناء بحث الأمم المتحدة لقضية فلسطين، واعلن (جيب) أن حكومته سوف تتابع تدعيم القرار الذي كان مطروحاً على الجمعية العامة ! ويبدو من سياق الاحداث ان اعلان الاعتراف باسرائيل كان مفاجأة حتى للمندوبين الامريكيين . أما المندوبون العرب فقد دهشوا واغتاظوا وانتقدوا التناقض الخيف في الموقف الامريكي . وحين طُرح قرار ارسال وسيط دولي الى فلسطين ، على التصويت ، امتنعوا عن التصويت ، كما صوتت ضده الكتلة الشيوعية ، ولكن القرار كسب الغالبية ، وتأجلت الدورة الخاصة الثانية للجمعية العامة في مساء ذلك اليوم .

ملاحظات :

لامراء في أن اعتراف الولايات المتحدة بحكومة اسرايل الموقته كان مبادرة من الرئيس ترومان خلاف آراء (الخبراء) في وزارتي الخارجية والدفاع الذين كانوا يرون - على الأقل - وجوب التريث . ولقد كشف الباحث في موضع سابق من هذه المحاضرات عن عملية الشد والجذب التي كانت تدور بين وزارة الخارجية وبين البيت الأبيض . وزارة الخارجية التي لم تكن تتأثر في رسم السياسة الامريكية إلا بالمصالح القومية القريبة والبعيدة . والبيت الابيض الذي كان يتأثر بمقتضيات الحملات الانتخابية القائمة على التبرع والدعم بالمال والأصوات . ان هذه الثنائية السياسية قد اورثت السياسة الامريكية يازاء فلسطين مواقف اتسمت بالحيرة والتردد ، لا تلبث في النهاية ان تتأرجح نحو تحقيق الغرض الصهيوني . ولا شك في ان الفترة ما بين كانون الاول ١٩٤٧ وأواسط أيار ١٩٤٨ قد عكست هذا (الصراع) الذي كان محتدماً خلف كواليس الحكومة الامريكية ، تارة يعلو ضجيجها وتارة يخفت ، واهم سماته التراجع عن التقسيم الى الوصاية ، ثم الاعتراف سريعاً ونواً باسرائيل .

ويبدو أن هذا الصراع بدأ منذ أواخر عهد روزفلت يوم شق الصهاينة طريقهم الى البيت الابيض وسجلوا سابقة في العمل السياسي على أعلى المستويات ، وذلك بقصد التأثير على السياسة الامريكية من خلال الرئيس الامريكي نفسه . وما زال الصراع يشتد بين الرئيس والخبراء حتى انضح تماماً في مسألتي التراجع عن التقسيم ، والاعتراف باسرائيل . والرئيس ترومان ، الذي كان يستعد لانتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٤٨ ما كان ليقبل التخلي عن سياسته الفلسطينية الى خبراء وزارتي الخارجية والدفاع الذين كانوا اقتنعوا بشروع الوصاية . وقد اندفع ترومان وراء السياسة المؤيدة للصهيونية دون ان يكتوثر بمعارضتهم ، لدرجة أن وزير الخارجية مارشال وو كيلها لوفيت لم يحاطا علماً بقرار الرئيس الاعتراف باسرائيل إلا ما بين الساعة ٣ - ٤ بعد ظهر يوم ١٤ أيار ، أي قبل ساعتين او ثلاث فقط من اعلان الاعتراف الرسمي . وذلك حين مُدعيا للاجتماع بالرئيس ترومان ، حيث تم ابلاغها القرار . وقد صدرت التعليقات الى مارشال بأن يكتف هذا الخبر عن جميع موظفي الخارجية ، وقد قصد نايلز وكليفورد اللذان حضرا الاجتماع ابقاء قرار الاعتراف طفي الكتان حتى ما بعد الظهر ، بغية تفادي أي معارضة قد يثيرها مارشال ، فيعمد ترومان الى تأجيل الاعتراف (١) .

وقد أشار ترومان بشيء من الامتعاض والمرارة الى دهشة كبار موظفي الخارجية لدى اعلان الاعتراف باسرائيل ، ونمز من قناتهم ، بقوله : « قيل لي ان بعض موظفي الخارجية قد فوجئوا بإعلان الاعتراف باسرائيل ، ولو كان هؤلاء يؤيدون سياستي بأمانة ، لما كان ينبغي لهم ان يفاجأوا بذلك » . واستطرد يقول : « ان الصعوبة مع كثير من موظفي الحكومة هي أنهم يعتبرون ان سياسة الحكومة وتوجيه دفنها ، لا بد أن تكون من صنعهم ، وهم ينظرون الى الرؤساء المنتخبين باعتبار أنهم يشغلون مناصبهم مؤقتاً . ولقد

رغبت في ان أوضح لهم بجلاء ان رئيس الولايات المتحدة ، وليس الصف الثاني ، او الثالث من موظفي الخارجية ، هو المسؤول عن صنع السياسة الخارجية . فضلاً عن ان أحداً في أبة وزارة ، ليس في مقدوره أن يخترّب سياسة الرئيس^(١) . والحق ان كلمة (بخرب) لها دلالاتها فيما نحن بصدده ؛ فهي تعكس بوضوح كثيراً من المرارة التي كان يحس بها ترومان ، وتلمح الى الحالة الخطيرة التي أسفر عنها الصراع مع الادارات الحكومية التي تشرف على سياسة امريكا تجاه فلسطين .

ويبدو ان الرئيس ترومان كان يتبنى نفس ما يردده الصهاينة في دعاوهم التضليلية ، كأعتبارات النفط العربي ، وهم الاسلامية . يقول ترومان في مذكراته : « يرى بعض رجالات الخارجية أنه لا يمكن تنفيذ وعد بلفور دون الافتئات على حقوق العرب . وكان دبلوماسيون ، كمثل معظم السياسيين البريطانيين ، يعتقدون ان العرب بحكم عددهم وبحكم واقع امتلاكهم لموارد النفط الغنية ، يجب ان تكون ثلثتهم . وفي آسف إذ أقول إنه يوجد بين هؤلاء الدبلوماسيين من يميلون الى الاسلامية^(٢) » . وهنا لا بد للباحث أن يتساءل : ترى لو استخدم العرب سلاح النفط ضد المصالح الامريكية ، هل كان بوسع الرئيس ترومان أن يصر على رأيه هذا؟! وقال ترومان « ان الخبراء بشؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية كانوا بلا استثناء غير مرحبين بفكرة الدولة اليهودية ، وان تفكيرهم يتجه بموجب المنحنى التالي : احتفظت بريطانيا في المنطقة بمودة العرب ، وبما انها تبدو الآن غير قادرة على الاحتفاظ بمر كزها ، فينبغي عنى الولايات المتحدة أن تأخذ مكانها ، ويتم ذلك بنفس الصيغة تماماً ، وهي : اذا جوبه العرب بالعداوة ، فسوف يتجهون نحو المعسكر السوفييتي » ، ويعلق ترومان على ذلك بقوله : « لم أكن مقتنعاً قط بأراء الدبلوماسيين^(٣) » .

Truman, II, p. 165

(١)

ibid., p. 164

(٢)

ibid., p. 162

(٣)

ولا حاجة بنا الى مزيد من توضيح حرص الرئيس ترومان على استواء الصهيونية ، وبكفي أن نورد شهادة ممنز وبلز بأن سياسة ترومان ودوافعها لم يكن يقف أمام مقتضياتها الانتخابية آراء وزارتي الخارجية والدفاع^(١) . ترى لو كانت جماهير الشعب الامركي واقفة على حقيقة قضية فلسطين ، ومدى الضرر الذي يلحق المصالح القومية الامريكية العليا نتيجة استجداء اصوات الفئات الصهيونية الضاغطة ، هل كان يجروا الرئيس الامريكي على تجاهل هذه الجماهير؟! لقد فضح وزير الدفاع في ادارة الرئيس ترومان ، مقتضيات السياسة الانتخابية ، وما لها من تأثير بالغ على جمع الأموال اللازمة للحملة الانتخابية الضرورية لنجاح المرشحين ، وكان يرى أن نجاح مشروع مارشال لإنعاش اوربا بالمعونات الاقتصادية (١٩٤٧) مشروط بتدفق النفط من آبار الشرق الأوسط ، وكذلك فإن مقدرة الولايات المتحدة على خوض الحرب وعلى النهوض الاقتصادي تتوقف عليه^(٢) .

ولا شك في أن الرئيس ترومان لم يوافق على مقترح الوصاية إلا بإحجام وتردد ، وعلى الأرجح بشيء من الضيق ، مع العزم على نقضه في الوقت المناسب ؛ وقد كتب جيمس مكدونالد اول سفير امريكي في اسرائيل ، وعضو اللجنة الانكلو امريكية (١٩٤٦) ، بقول : «ان الرئيس ، بخلاف نصيحة مستشاريه ، اعترف بدولة اسرائيل فور إعلانها^(٣)»

Welles, op. cit., p. 80 (١)

Millis, op. cit., p. 358 (٢)

Mackdonald, op. cit., p.6 (٣)

حين انتخب وايزمن أول رئيس لدولة اسرائيل ، وكان لايزان في الولايات المتحدة ، ذهب ليقدم الشكر الى الرئيس ترومان ، وقدم اليه التوراة ، وناقش معه المعونة الاقتصادية والسياسية التي تحتاجها (اسرائيل) في الأشهر الحرجة القادمة . ويقول وايزمن ان الرئيس « أبدى اهتماماً خاصاً بموضوع مد اسرائيل بقرص لتنمية المشاريع ، وباستخدام نفوذ الولايات المتحدة لضمان وسائل دفاع اسرائيل - إن أمكن ، بمنع عدوان العرب خلال دورة الأمم المتحدة ، أو إذا استمرت الحرب مفروضة علينا ، بتأمين ما نحتاجه من السلاح » . Weizmann, p. 588

وما يدعو الى الدهشة حقاً ان يحاط وزير الدفاع الامريكى فورستال ، بقرار الاعتراف الامريكى بعد إعلانه بربع ساعة ، ويصدر قرار الاعتراف باسم حكومته دون ان يبلغ ذلك في وقت ملائم ودون أن يؤخذ رأيه . لقد كتب فورستال يقول بهذا الصدد :
« تحدث لوفيت معي بالهاتف في الساعة السادسة والنصف ، وقال ان هذه الحكومة قد اعترفت في الساعة السادسة والرابع بدولة اسرائيل الجديدة »^(١) .

ذيل

في الحرب العربية الاسرائيلية

انتهى الانتداب رسمياً على فلسطين ليلة ١٥ أيار وكانت الادارة البريطانية قد انتهت انسحابها مع المندوب السامي . وفي ١٤ أيار أبرق عزام الى الأمين العام للامم المتحدة يبلغه ان الدول العرتية « كانت مضطرة الى التدخل لا شيء إلا لإعادة السلام الى نصابه وإقرار الأمن والنظام في فلسطين .. ومنع انتشار الفوضى في الاراضي العربية المجاورة وملء الفراغ الذى خلفه انتهاء الانتداب » . وليس قصد الباحث ان يخوض في موضوع الحرب العربية الاسرائيلية تفصيلاً ، ليسدل به الستار على الفصل الأخير من المرحلة الاولى

Millis, op cit., p. 440

(١)

وقد ظل ترومان غير مكترث بأراء وزارة الخارجية ، وظهر ذلك حين رفض قائمة قدمتها الخارجية باسماء المرشحين لتولي منصب اول سفير امريكى في اسرائيل ، واختار في ٢٢ حزيران جيمس مكدونالد دون ان يستشير بشأن تعيينه مارشال نفسه . وقد تحدث كليفورد مع لوفيت لبصدر اعلان بذلك عن الخارجية . ولما اعترض لوفيت على ذلك بحجة أن مكدونالد معروف بانحياز له للصهيونية ولأسباب اخرى ، أجاب كليفورد ان الرئيس لا يريد أي مناقشة في الموضوع *ibid.*, p. 441

للكبة عام ١٩٠٨ ، ولكن لا بد من ايراد بعض الملاحظات عن هذه (الحرب) ،
وبقيني أنها لم تدرس بعد الدراسة العملية الوافية . لقد كان ربط العمل العسكري بالعمل
غير العسكري ضرورة ملحة لاحتراز النصر ، فما الفائدة من تعبئة جيش للقتال دون أن
تتوفر لدى القادة النية والعزيمة على سوقه وتوجيهه نحو الغاية المرجوة ؟ ولنبدأ بالجيش
العربي الاردني ، لا لأن العرب كانوا يعلقون عليه أعظم الآمال فحسب ، بل لأنه أيضاً
كان أفضل نسبياً من بقية الجيوش العربية تسليحاً وتدريباً^(١) . وعلى الرغم من أن هذا
الجيش كان يسيطر عليه الانكليز سيطرة تامة ، إلا أنه في الحدود التي استطاع أن يتفقت
من ربقتهم أحياناً ، كان يثبت أنه جيش منظم قوي الشكينة ومن العجب أن تركز
جامعة الدول العربية وأمينها عزام الى الجيش الاردني في قهر الصهاينة ، وتقرر له دوراً
رئيسياً في خطتها الحربية ، وكأما خفي عليها أن عمليات هذا الجيش لا تجري إلا بقدر ومقدار
لا يخرجان حتماً عن ارادة قائدها البريطاني ، ورؤسائه في لندن . ولكن الجنرال كلوب
كان ماهراً في إخفاء هذه الحقيقة ، حين كان يتعلل لرفض بقاء أي جندي اردني في القدس
بأن « جلالة سيدنا لا يوافق على بقاء أي جندي في القدس لأن الجامعة العربية قررت أن
تعرض للقدس ، وأن لا تدبجها في خطة الجيوش العربية » ، وقد تم سحب آخر جندي
اردني على القدس مساء يوم ١٣ أيار ١٩٤٨ . وادعى كلوب أن الجيش البريطاني ،
والحكومة البريطانية هما اللذان أمرا بإخراج الجيش الاردني قبل ١٥ أيار ، تحقيقاً لوعده
المنسوب البريطاني في مجلس الأمن في جلسة ١٧ نيسان ؛ وقد ورد في محضر تلك الجلسة

(١) يقدر حجم القوات الاردنية بتسعة آلاف جندي بالإضافة الى ١٢٠٠ من المتطوعين
الاردنيين واغلبهم من عشيرتي الحويطات وبني صخر ، ويتضح من كشف الاسلحة ان المدفعية
والمدرعات الثقيلة والخفيفة كانت في الكتائب التي يقودها الضباط الانكليز . (انظر التل س ٨١-٨٣)
لمعرفة اسماء الضباط الانكليز والعرب الذين دخلوا فلسطين يوم ١٥ أيار ، وبملاحظان جميعهم من
الانكليز ما عدا خمسة عرب فقط .

أن مندوب المملكة المتحدة أجاب « بأن المسألة عائدة كلية الى العمليات الحربية للقوات البريطانية ، وان وحدات الجيش العربي الموجودة في فلسطين سوف تُسحب حالما ينتهي الانتداب » . وكان على الساسة العرب أن يحسنوا تقييم موقف الملك عبد الله الذي اختاروه قائداً أعلى للجيش العربية ، والذي لم يكن في مقدوره أن يخرج على سياسة بريطانيا ، وهي سياسة معروفة تماماً لا من تقارير اللجان ومن الكتب البيضاء فحسب ، وإنما أيضاً من حرصها دائماً على وضع العرب واليهود على قدم المساواة ، ورفضها لأية تسوية لا يوافق الطرفان المتنازعان عليها !

وعلى الرغم من تعيين القائد العراقي نور الدين محمود وكيلاً للقائد العام، والموافقة على أن يتولى مهام القيادة الفعلية ، غير أنه لم يستطع ان يمارس سلطاته على القوات الاردنية والمصرية ، ذات الوزن النوعي في سير المعركة ، وكان دائم الشكوى والتذمر بسبب ذلك^(١) . وقد ترتب على ذلك أن بريطانيا أمرت الجيش الاردني ذي القيادات البريطانية أن لا يتعدى القسم المخصص للعرب في مشروع التقسيم . فاذا تجاوز ضابط عربي بسريته هذه الحدود المرسومة ، وأوشك أن يحقق أي كسب للعرب ، أنذر بوجود التراجع تحت طائلة القصف وحبس الذخيرة عنه وعزله^(٢) .

ويبدو أن الحكومة الاردنية قد اتفقت مع الخارجية البريطانية على ان الجيش الاردني باحتلاله المنطقة المخصصة للعرب في قرار التقسيم ، لا ينبغي له أن يهاجم المنطقة المخصصة للصهاينة^(٣) . وقد احتل الجيش الاردني أريحا والقدس القديمة حيث استسلم له ١٧٠٠ يهودي

(١) دروزه ص ٤٧ - ٤٨

(٢) انظر « كارثة فلسطين » للقائد عبدالله النحل ، نجد فيه أمثلة كثيرة وشواهد عديدة، على استيلاء الضباط العرب والجنود من نخب البريطانيين لليهود .

(٣) أشار بينغ في مجلس العموم بتاريخ ٢٦ أيار و ٢ حزيران ١٩٤٨ ان الجيش الاردني ندخل فقط « في المنطقة التي خصصتها الأمم المتحدة للعرب »

Parliamentary Debates, 5th Ser., Vol. 451, coll. 187, 999-1000

وكان يصح أن تفكر حكومة شرق الأردن وجامعة الدول العربية (مثلاً) بالاستعانة بقوة =

من سكان الحبي اليهودي ، وكان بوسعه الاستيلاء على القدس الجديدة التي غدت رحمة مدافعه لولا أن الانكليز حالوا دون ذلك .

أما قوات الجيش العراقي التي ارسلت الى فلسطين فقد تألفت آنذاك من جحفل لواء - أي لواء مشاة مع مدفعية جبلية ، بالإضافة الى فوج مدرعات (حوالي ٣٠ مدرعة) . ووصلت طلائعه الى منطقة جسر المجامع حيث حاولت اقتحام مستعمرة كيشر الحصينة ، فلم تفلح بسبب الاستحكامات المتخلفة من (خط ايدن) الذي بناه الانكليز في الحرب العالمية الثانية . وحين شدد العراقيون ضغطهم أو شكت المستعمرة ان تسقط ، ولكن صدر الأمر إليهم بالانسحاب الى منطقة المثلث بين نابلس وطولكرم وجنين . ويصف القائد التل الموقف بقوله : « وانتشرت القوات العراقية في لواء نابلس (المثلث) ، وانتظر العالم العربي المفاجآت التي كان يتوقعها من الجيش العراقي ، ولكن الانتظار قد طال دون جدوى ، ولم تلبث الحيلة ان انكشفت يوم وطّد الجيش العراقي أقدامه في المثلث العربي لأنه منطقة عربية ، ولم يتعدّ حدود التقسيم ، ولم يشتبك مع اليهود في أية معركة جديدة طول مدة الحرب في المرحلة الاولى باستثناء الهجوم المعاكس الذي قام به فوج عراقي ،

= حدود شرق الأردن ، ضباطاً وأفراداً نظراً لخبراتها القتالية الممتازة . والقوة تتألف من لواء كامل ومعه كتيبة من الفرسان ، وكانت مهمتها مساعدة السلطات البريطانية في فلسطين وشرق الأردن على تنفيذ سياسة بريطانيا بإنشاء الوطن القومي ، مع واجب حفظ الأمن في شرق الأردن إذا دعت الضرورة . وكان افراد القوة يعاونون العرب سرّاً أثناء الاضطرابات التي شهدتها فلسطين ، وخاصة بعد اعلان التقسيم ، وهنا أدرك الانكليز أن هذه القوة لم تعد تخدم مصالحهم ، فقرروا حلها ، وكان للجنرال كلوب ، قائد الجيش الاردني ، اليد الطولى في ذلك . وقد صدر أمر المندوب السامي بتسريحها في ٩ شباط ١٩٤٨ ، دون أن يؤخذ رأي حكومة عمان ، بينما كانت الجامعة العربية تشقى لتدريب المتطوعين الناشئين ، وهي أشد ما تكون حاجة لقوة مجربة متمرسه بغنون القتال المختلفة .

فلسطين م ٦٠ (١٩٦٨)

واسترد فيه مدينة جنين التي كان اليهود قد احتلوها في ٢/٦/١٩٤٨ . وقد كانت تلك المعركة مشرفة للضباط والجنود العراقيين ، وأثبتوا أنهم حينئذٍ متاح لهم الفرصة فإنهم يبنون بلاءً حسناً ويؤدون من الأعمال الحربية ما يرفع رأس العرب عالياً ،^(١) . وقد احتل العراقيون مدينة طولكرم واقتربوا من المستعمرة اليهودية نائانيا على البحر شمال تل ابيب .

أما الجيش المصري ، فلم يتقرر سوقه للقتال إلا في ١٢ أيار^(٢) ، وقد شرع في الزحف باتجاهين عبر سيناء ، أولهما على طول الطرق الساحلي مخترباً مدينة أسدود على بعد ٢٠ ميلاً من تل ابيب حيث توقف أمام خط الدفاع الاسرائيلي الأول ، وثانيها تقدم عبر بئر السبع والحليل وبيت لحم نحو ضواحي مدينة القدس الجديدة . وكان حجم القوات التي استخدمت حوالي عشرة آلاف جندي تشمل على ألوية مشاة ، لواء مدفعية ، لواء مدرع ، وحدة مدافع مضادة للطائرات ، وأخرى مضادة للدبابات ، ١٥ طائرة مقاتلة ، ٥ طائرات نقل جرى تحويلها الى قاذفات قنابل ، وهي قوات بسيطة لا تتناسب مع ضخامة المهمة واتساع الجبهة المخصصة لها وخطورتها . وقد استطاعت مع ذلك ان تحتل ثلاث مستعمرات يهودية في جنوب فلسطين هي اسدود ودير سنيد ونيستاليم ، كما احتلت غزة وبئر السبع ، واستطاعت ان تعزل مستعمرات النقب وان تحتل بعضها بين يافا وغزة ، وبذلك سيطرت على القسم الجنوبي من فلسطين عدا بعض المستعمرات المعزولة ، واقتربت من تل ابيب التي نشطت الطائرات المصرية في الإغارة عليها . وقد اشتركت كتيبة مشاة من القوات السعودية الى جانب الجيش المصري ، وخاضت كل المعارك معه بالإضافة الى متطوعين من السودان وليبيا

(١) المصدر نفسه ص ١٨٩

(٢) سجل النفراسي رئيس وزراء مصر تحفظه ازاء فكرة الاشتباك المسلح في اجتماع الجامعة العربية في عاليه (تشرين الاول ١٩٤٧) ، وقال بالحرف : « انني أريد ان يكون معلوماً من الجميع ان مصر اذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية - أي الحشد على الحدود - فانها غير مستعدة قط للضحي اكثر من ذلك » . ولكن رضي فيما بعد ان يشترك بقوة بسيطة . دروزة ص ١٥

ومصر ، ولكن الجيش المصري كان يعاني من قصور فاحش في امدادات السلاح والذخيرة والخدمات الطبية ومن الفساد والاهمال من جانب القيادة (١) .

أما الجيش اللبناني فقد ظل يحمي حدود بلاده ، واشتبك أحياناً مع اليهود في معارك محلية ، ولم يتوقع منه الكثير بسبب حداثة نشأته وقلة عدده ، وضآلة تدريبه وبالتالي فلم يشكل تحدياً خطيراً . وقد تمركز جيش الانقاذ في (جبع) الواقعة بين نابلس وطولكرم وجنين ، ووزع جنوده الذين ناف عددهم على الأربعة آلاف على المواقع المهددة بالعدوان ، وقد أحرز نجاحاً في معركة مستعمرة (الحمراء) قرب بيسان (شباط ١٩٤٨) ولكنه وقف عاجزاً أمام مستعمرة مشمار هاعيميك الواقعة جنوب شرق حيفا . على أن مدينة عكا التي تقع في منطقة جيش الانقاذ سقطت بيد اليهود ١٦ أيار ، ولم تكن فيها للأسف سوى وحدات ضعيفة من هذا الجيش . في حين استولت قوات الجهاد المقدس على مطار اللد الاستراتيجي الذي يبعد ١٢ ميلاً عن جنوب شرق تل ابيب . والجيش السوري اشترك بقوات بحجم اللواء ، وبذخيرة لا تكفيه أكثر من عشرة أيام (٢) ، واستطاع أن يحتل سمخ

Kirk, Survey .. p. 271

(١)

وخلص فؤاد صادق القائد العام للجبهة المصرية حالة الجيش المصري آنذاك ، بقوله إن العجز كان ظاهراً في مقدرة الوحدات عموماً وخاصة في المشاة لعدم تدريبهم قبل ذلك . كانت العربات والدبابات الخفيفة في حالة يرثى لها ، ولكن الطيران كان مع المدفعية في حالة جيدة . وقال ان طول خطوط مواصلات الجيش قد عرضها للتهديد ، وان الروح المعنوية في أكثر الجنود كانت معدومة بسبب نقص الهائل الذي كان يشعرون به في التسليح . دروزة ٤٨

(٢) كان من حق الجيش السوري ، وهو بحكم تكوينه مؤلف من العناصر القومية الشابة الواعية ، أن يتم الحكومة السورية بالاهمال الذي يبلغ حد سوء النية والحيانة ؛ فقد زجت بالجيش في معركة فلسطين دون ان تزوده بالتدريب والعتاد اللازمين مع أن الفرصة كانت سانحة لشراء أية كمية من السلاح ودون قيد أو شرط آنذاك .

وقد حدثني اللواء عبدالله عطفه رئيس اركان الجيش السوري ووزير الدفاع ان الحكومة السورية =

== التي كان يرأسها سعد الله الجابري آنذاك كانت تصر على أن سورية ليست بحاجة الى جيش أو سلاح ، وقد سمع اللواء في شهر كانون الاول ١٩٤٥ من الجابري قوله: « نحن لا نحتاج للسلاح ولا للجيش ، لأننا مستقلون باعتراف الامم المتحدة ، وفي أطرافنا دول عربية ، ونحن في سورية وضعنا كوضع سويسرة ، نفقاتنا توازي وارداتنا ونحتاج فقط إلى قوى أمن داخلي رمزية». ويبدو أن الحكومة السورية آنذاك كانت تردد نظرية بريطانيا التي كانت توحى بها الى الساسة السوريين منذ حزيران ١٩٤٥ اثناء اشتداد مطالبة السوريين فرنسا بتسليم الجيش ، والقائمة : لا حاجة لكم بالجيش . ولكن الحكومة لم تجرؤ على اعلان ذلك خوفاً من غضبة الشعب الذي استأثرت ليفوز بالجيش ، ومن غضبة الجيش الوليد حين يشعر بنوايا الحكومة لتسريحه ، أو تعديد قوته وإنقاص مخصصاته .

وفي مؤتمرات فلسطين كان وزير الدفاع يرسل مبعوثه الخاص من دون رئيس الأركان ، وكان يتذرع لذلك بشق الحجج ، والاجتماع الوحيد الذي حضره عطفة كان قبل ١٥ يوماً من حرب فلسطين، وقد انعقد في عمان حيث اجتمع رؤساء الوزارة والدفاع والأركان للدول العربية . وحضره من الجانب السوري جميل مردم ، واحمد الشرباتي ، وعبد الله عطفه . ويروي عطفة أن وزير الدفاع طلب منه أن لا يتكلم في الاجتماع « لأن الاجتماع سياسي لا عسكري » . ولكن عطفة كان اول المتكلمين ، فوجه خطابه لرئيس المؤتمر - وكان الملك عبد الله - وقال : « نحن نجتمع سبع دول وجيوش لنشترك في معركة انقاذ بلد عربي . وعلى نتائجها يتوقف شرف العرب ، فيجب أن نضع في الميزان الوزن الكافي للنجاح المؤكد، وإلا فلا أرى من الصواب دخول الجيوش النظامية أرض المعركة » . (استحسان) وتابع عطفة : « قبل كل شيء يجب تقرير ثلاثة أمور رئيسية :

اولاً - اذا كانت الجيوش سبعة فيجب توحيد القيادة . (استحسان)

ثانياً - تقدير نصيب كل دولة في ما يمكنها ان تقدم من قوات لمعرفة الوزن العام .

ثالثاً - الاتفاق بين السياسيين والعسكريين لبدء المعركة .

وافق الحاضرون ، وطلب الى العسكريين أن يتباحثوا ومعهم صفوة باشا العراقي قائد جيش الانقاذ ، طالما كان جيشه يشتبك مع اليهود منذ أربعة أشهر . وأعطى صفوت العسكريين معلومات عن القوات اليهودية . وقال ان جميع الطرق فيها مستعمرات محصنة ، ويقدر حجم قوات الجيش الاسرائيلي المتحرك بـ ٤٠٠ - ٥٠٠ الفاً ، ولديهم معامل ذخيرة ، وقد حولوا سيارات النقل الى مصفحات ، وتأثيم امدادات من البحر ، وان اكثر ضباطهم مدربون لا شتر اكرمهم بالحرب العالمية الثانية. ==

بعد أن طرد اليهود منها ، ثم لحق بهم الى موقع (باب التم) حيث تعذر عليه الاستمرار في الزحف بسبب مناعته الحربية الطبيعية ، فاضطر الى التراجع عن سمخ بعد خسارة جسيمة .
 ويذكر القائد التل أن الجيش السوري ظل يعمل في منطقة سمخ والغور مكشوف الجناح الأيسر بعد انسحاب الجيش العراقي ، وهو ما كان يرمي اليه كلوب لأن فيه ضمناً بعدم التعرض للمواقع اليهودية الهامة مثل العفولة التي كان احتلالها سيعزل جزءاً كبيراً من الأراضي العربية المحتلة عن القاعدة الرئيسية - حيفا - ، وفيه احتمال القضاء على الجيش السوري ، وهو ما لم يتحقق ، لأن ذلك الجيش استطاع ان يحافظ على شرفه العسكري فلم يخسره في فلسطين^(١) .

إن النسبة العدوية للقوات المحاربة كانت لمصلحة اسرائيل ، ونعرف اليوم أنه كان لها يوم اعلانها اثنا عشر لواء ، ثلاثة منها في المدن الرئيسية وهي اللواء كارميلي في حيفا ، واللواء كيرباتي في تل ابيب ، واللواء عتسيوني في القدس . وأربعة منها في المناطق الريفية المتوسطة

= ودرس العسكريون الموقف في ضوء الامكانيات العربية المحدودة ، وحظر بيع السلاح الساري المفعول ، ورأوا ان الوقت يجانب الصيانة ، ولذا يتوجب اتمام المعركة بالسرعة الممكنة . وقد تطلب هذا ان تكون القوة العربية الضاربة كبيرة الحجم لتقوم بالهجوم الناجح ، وقدر لها ست فرق أي من ٧٠ - ٨٠ الفاً مع كل فرقة سرب طائرات . وقد جرى تقدير ما يمكن ان تقدمه كل دولة . ثم انفض اجتماع العسكريين بعد تقديم محضرة ، وبقي السياسيون . وقد لمس رئيس الاركان السوري من اجتماعات عمان ان الدول العربية توجس خفية من غدر بعضها ، كأنها اجتنبه لاشقيقة . وعلى الرغم من الاجتماعات التي انعقدت بين القوتلي وعبد الله ، في الرياض وبيروت ... ولكن بقيت الأحن والمطامع في القلوب ! وكل منها كان يخشى من الآخر ، وحين انعكس ذلك على حرب فلسطين ، وصل الأمر حد الحياقة والتواطؤ خلال المعركة المصيرية، وكانت الحكومة السورية تخشى من التفاف الملك على سورية في غمرة حرب فلسطين لتحقيق حلمه في « سورية الكبرى » ، وتبالغ في تقدير حجم قواتها أثناء المؤتمرات لتخويفه !

(١) التل - ص ١٩١ - ١٩٢

اللواء جفعاتي في اللد والرملة . اللواء جولاني في العفولة ، اللواء الكسندروني في طولكرم ، اللواء عوديد في الجليل الأعلى . والألوية السبعة هذه كانت ألوية مشاة مرتبطة بالمناطق المرابطة فيها . هذا إلى ثلاثة ألوية بالملاح تميزت بسرعة الحركة والعناصر الشابة (١٨-٢٥) وهي لواء يفتاح وقد نشط في الجليل ، ولواء هارثيل ، وعمل غالباً في ضواحي القدس الغربية ، ولواء نيكف (النقب) وكانت عملياته في الجنوب . وبالإضافة الى هذه الألوية التسعة هناك لواءان آليان هما اللواء شيفاع (أي سبعة) واللواء شموني (أي ثمانية) . أما سكان المستعمرات فكانوا تابعين لقوة مستقلة عن الألوية النظامية يقال لها حيم (وهي مختصر حيل ماتساف) ومعناها بالعبرية قوة الطوارئ، وكان عددها حوالي ٣٣ ألفاً^(١) .

فرض الهدنة الاولى على العرب :

وبعد ثلاثة أيام من دخول الجيوش العربية حرب فلسطين ، سارع الوفد الامريكى في الامم المتحدة بتقديم مشروع قرار الى مجلس الأمن بأمر المتحاربين بوقف اطلاق النار خلال ٣٦ ساعة ، أملاً منه في انقاذ جهود القدس الجديدة المائة الف الذين أوشكوا على التسليم . وقد اعترف وزير الدولة البريطانى بعد ذلك بأنه أخبر البرلمان في ٢١ أيار بأن الممثلين البريطانيين في جميع البلدان العربية تلقوا تعليمات بوجود حث العرب على قبول الهدنة بأية شروط^(٢) ، ولوحت بريطانيا بالتهديد . قالت انها سوف تستمر في إعطاء الملك عبد الله المعونة المالية والعسكرية ضمن شروط التزامات المعاهدة الموقعة مع الاردن ، ما لم نجد الامم المتحدة ان الاردن يتصرف بطريقة غير قانونية في احتلال الأراضي المحصنة للعرب بموجب التقسيم . وفي الوقت نفسه أعلن المندوب الامريكى اوستن في ٢٢ أيار ، أن تبرير الدول العربية لتدخلها في فلسطين إنما هو « أقوى دليل على خرق القانون

(١) وليد الخالدي - فلسطين - مجموعة دراسات ، بيروت ١٩٦٣ ص ٩٤ - ٩٥

(٢) Kirk, Survey.. pp. 272 - 3

الدولي ه ، واتهم الاردن بعدم الامتثال لمجلس الأمن^(١) . وبينما كان السفير الامريكى في لندن يحاول الضغط على الحكومة البريطانية من خلال اجتماعاته المتكررة بالمسترييفن ، أعلن المندوبون العرب في مجلس الأمن (٢٦ أيار) انهم سوف يوافقون على وقف اطلاق النار بشرط ان يوقف تدفق المهاجرين اليهود والسلاح الى اسرائيل . وأعلن المندوب البريطاني كادوغان في اليوم التالي أنه لم يشترك في القتال الدائر في القدس أي ضابط بريطاني ، وان الاجراءات قد اتخذت فوراً للتأكد من أن الضباط الانكليز الذين يعملون في الجيش الاردني لن يخدموا في فلسطين ، وان التزام بريطانيا بدفع القسط الثاني من المعونة المالية للاردن والمستحقة في ١٢ تموز القادم سوف يعاد النظر فيه على ضوء قرارات الامم المتحدة ، وان لندن سوف توقف شحن السلاح الى مصر والعراق والاردن ، اذا قرر مجلس الأمن تطبيق حظر عام على تصدير السلاح الى الجانبين المتحاربين . وقال كادوغان انه حاول عبثاً أن يقنع الدول العربية بوقف اطلاق النار ، وهو يقترح دعوة الفريقين الى وقف العمليات الحربية لمدة ٤ أسابيع ، لا يدخل أثناءها الى فلسطين الرجال والعتاد الحربي ، ويشرف على مراقبة تنفيذ ذلك عدد من المراقبين العسكريين بإمرة وسيط الامم المتحدة الكونت فولك برنادوت^(٢) . وتحقق أمل الصهاينة في انقاذ يهود القدس حين جاءتهم النجدة عن طريق هدنة فرضها مجلس الأمن في ٩ حزيران لمدة أربعة أسابيع . وكانت جهود القوات العربية تضع بسبب فقدان وحدة القيادة ، وانعدام التنسيق والتعاون ، وأدهى من ذلك قرب نفاذ الاحتياطي من اسلحتهم وذخيرتهم بعد ان استجابت بريطانيا للأمم المتحدة فأوقفت توريد ما كانت تورده لهم من العتاد بمقتضى معاهداتها مع مصر والعراق والاردن . في حين كان الصهاينة يحرصون على توفير العتاد وحشد الطاقات ، وقد عملوا على توحيد

U. N. Security Council, Official Records, 3 rd year pp 42-44 (١)

Kirk, Survey.. p. 274 - 5

(٢)

عصاباتهم وخاصة في القدس حيث احتشد فيها أفواج من الارغون وشنيرن ، وكان لا يزال ثمة أمل بالنصر العربي لو لم توافق اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد أو شرط ، أو كما قال قائد معركة القدس الأردني : « وافقوا قبل أن يفهموا أن القدس هي كل شيء في فلسطين وان من يحتلها ينهي المعركة كلها » (١) ، وقد اعتبر القائد المذكور موافقة العرب على الهدنة كارثة ، كما اعتبر ان جميع الدول العربية مسؤولة عن قرار الموافقة الذي أتاح لليهود ترمين القدس الجديدة وتخزين المؤن والذخائر والأسلحة فيها ، تحت نظر وسمع المراقبين الدوليين . وثبت أن الدول العربية امتثلت لشروط الهدنة ، أما الصهاينة فعلى العكس ، تلقوا خلالها الكثير من الامدادات المهربة من طائرات وأسلحة ثقيلة وصغيرة ومتطوعين من الحارج (٢) . ويقرّ الصحفي اليهودي الصهيوني جون كيمشي بذلك حين يقول : « طاف المبعوثون الاسرائيليون جميع أنحاء اوربا وامريكا بحثاً عن المدد العسكري . وتبرع يهود امريكا بسخاه بدولاراتهم إذ أن تجار الاسلحة كانوا مستعدين للبيع مقابل الدفع بالدولار . وكان التشيكيون أكثر الناس مساعدة في هذا الصدد . وبدأ جسر جوي منتظم بالعمل من براغ الى عاقر في جنوب فلسطين ، وأخذت البنادق والذخائر والمسدسات تتدفق على الاسرائيليين . وكذلك تم تهريب أول قاذفات قنابل من نوع فلاينغ فورتريس من الولايات المتحدة ، وقاذفات بوفورت المقاتلة من انكلترا .. وعندما انتهت الهدنة كان هناك جيش يهودي متماسك وله

(١) عبد الله التل - المصدر السابق ص ٢٠٣

(٢) حصل الصهاينة على مدافع ٢٥ رطل الانكليزية وشحنوها الى فلسطين ، وعلى عشرات الآلاف من البنادق والرشاشات وذخيرتها من بريطانيا والولايات المتحدة وآلاف الاطنان من المواد المتفجرة من الاخيرة بالاضافة الى الاسلحة التشيكية ، وصار لدى الصهاينة طائرات ثقيلة من نوع ب ٦ ؛ ذوات المحركات الاربعة التي لا يمكن بيعها والتصرف بها دون ترخيص واشنطن ، كما استفدوا الخبراء لقيادة الطائرات وإدارة العمليات . المصدر نفسه ص ٢٢٧-٢٢٨

قوة جوية صغيرة ولكنها فعالة ، واسطول صغير ولكنه جريء ومستعد لدخول المعركة ^(١) . هذا الى حصول الصهاينة على العتاد الحربي قبل نهاية الانتداب ، كما ذكرنا ، بما فيها الدبابات ^(٢) .

وفي الجانب العربي ، عزز الجيش العراقي قواته فأصبحت تزيد عن خمسة عشر ألفاً مزودة بالمدافع والمدركات ، أما استيراد الاسلحة والذخائر للجيش العربي فلم تفلح حكوماتها في شراء صفقات ذات قيمة كما فعل الصهاينة ؛ وقد نجحت سورية في شراء صفقة سلاح بمبلغ ١١ مليون دولار ولكن يبدو أن مخابرات اسرائيل تعقبها فأغرقتها أو استولت عليها . وربما لو وصلت هذه الشحنة الى القوات العربية في فلسطين لأبطلت مفعول صفقة السلاح التشيكية التي حققها مبعوث بن غوريون (ايجود افريل) واستطاع الصهاينة في أثناء الهدنة أن يقوموا بتعمين مستعمراتهم المنعزلة في النقب بواسطة الطائرات ، وقضوا على جيوب المقاومة التي كانت تتمثل في القرى العربية ضمن منطقتهم ، وطرودوا سكانها فاطمأنوا الى سلامة خطوط مواصلاتهم . وفي نهاية حزيران أخلى الانكليز ميناء حيفا برغم اعلانهم أن انسحابهم سيجري منه في شهر آب ، ومكثوا الصهاينة من الاستحواذ عليه دون أن يكتفروا بصيحات الغضب والاستنكار الصادرة عن العرب . وتأمرت بريطانيا على تجريد عرب فلسطين من السلاح ، وراح كلوب يوعز الى جميع الوحدات في فلسطين بتقديم المساعدات اللازمة لساسة السلاح الذين نشرهم في فلسطين لشراء جميع انواع الاسلحة ^(٣) . وقد اتصل الكونت برنادوت بالعرب واليهود ، فقال

(١) Kimche, • The Seven Fallen Pillars • , pp. 249-51

(٢) استلم ضابطان بريطانيان واثنان من ضباط الصف مبلغ ٢٠ ألف جنيه من الهاغانا في صفقة اسلحة . انظر جريدة التايمس عن محاكمتهم . اعداد ٢١ و ٢٨ تشرين الأول ، ١٩٤٠ ، ١٤ كانون الأول ١٩٥١

(٣) التل - المصدر نفسه ص ٢٣٢

العرب انهم يرفضون التقسيم وقيام دولة يهودية ، وقال اليهود انهم لا يقبلون حلاً لا يقوم على أساس الاعتراف بدولتهم . وفي ٢٧ حزيران انتهى برنادوت من وضع مقترحات نشرت رسمياً في ٤ تموز . ورآها تصلح أساساً لنسوية سامية ، وارسلها بذكره الى الحكومات العربية والصهاينة ، أهم ما فيها أن تنشأ في فلسطين بحدودها التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني الأصلي في عام ١٩٢٢ ، أي بما فيها شرق الاردن ، الاتحاد من عضوين احدهما عربي والآخر يهودي ، وتجري مفاوضات يساهم فيها الوسيط لتخطيط الحدود بين العضوين ، ويعمل الاتحاد على النهوض بالمصالح الاقتصادية المشتركة وادارة المنشآت المشتركة وصيانتها بما في ذلك الجمارك والضرائب . وتنسيق السياسة الخارجية وتدابير الدفاع المشترك ، ويؤدي الاتحاد وظيفته عن طريق مجلس مركزي ، ولكل عضو سلطة الاشراف على شؤونه الخاصة بما فيها السياسة الخارجية ، وتكون الهجرة الى أراضي كل عضو محدودة بطاقته الاستيعابية . لسكان فلسطين الذين غادروها بسبب النزاع القائم الحق في العودة الى منازلهم دون قيد واسترجاع ممتلكاتهم ، وضم منطقة النقب بأكملها الى الأراضي العربية ، مقابل ضم منطقة الجليل الغربي بأكملها أو جزء منها الى الأراضي اليهودية ، وضم مدينة القدس الى الأراضي العربية ومنح الجالية اليهودية فيها بلدية مستقلة استقلالاً ذاتياً^(١) .

رفضت اللجنة السياسية للجامعة مقترحات الوسيط الدولي لأنها تقوم على أساس التقسيم وقيام دولة يهودية ، ولأنها تعتبر شرق الاردن جزءاً متمماً لفلسطين ، وقدمت اللجنة مع مذكرة الرفض مشروعاً بديلاً لحل المشكلة^(٢) . ورفض الصهاينة مقترحات برنادوت لأنها تعطي النقب والقدس للعرب ، ولكنهم كانوا أشد سخطاً على الوسيط الدولي ، ولا سيما المتشددين من أفراد الارغون وشثيون . وقبل انتهاء أجل الهدنة سعى برنادوت لمدها ،

(١) انظر نص المقترحات الكامل في دروزة - ص ٢١٤-٢١٦

(٢) انظر نص مذكرة الجامعة برفض مقترحات برنادوت في المصدر السابق ص ٢١٧-٢٢٣

ولكن العرب رأوا أن الهدنة كانت في مصلحة الصهاينة فرفضوا طلب برنادوت و أعلنوا عزمهم على مواصلة القتال ، برغم المساعي الحثيثة التي بذلها السفراء البريطانيون والامريكان في عواصم الدول العربية . وفي الوقت نفسه أعلن الصهاينة استعدادهم لقبول مدّة الهدنة ، بغية كسب الوقت في اكمال استعدادهم ، لاسيا وانهم لم يكتفوا بشروط الهدنة ، واستنجد برنادوت بمجلس الامن ، فقرر هذا توجيه نداء عاجل في ٧ تموز الى الطرفين بقبول مدّة الهدنة فترة يتم الاتفاق عليها بالتشاور مع الوسيط^(١) ولكن القتال استؤنف في ٩ تموز بمجاسة على كل الجبهات . وكان الصهاينة قد أعدوا اسلحتهم الجديدة ، وزاد من قوتهم فقدرات القيادة العربية الموحدة من ناحية ، وما استجدت من الحلاف بين الدول العربية من ناحية ثانية . فقد امتنعت مصر والعربية السعودية عن الاستجابة لمشروع الملك عبد الله الذي أراد به ادماج فلسطين العربية في مملكته الاردنية ، وبدلاً من ذلك اعلنت اللجنة السياسية في الجامعة ليلة ١٠ تموز اعلان تشكيل الادارة المدنية الفلسطينية، وعين احمد حامي باشا رئيساً لمجلس الادارة . ويبدو أن الباعث على ذلك هو طلب الهيئة العربية العليا اعلان دولة عربية فلسطينية اثر انتهاء الانتداب ودخول الجيوش العربية فلسطين ، على غرار ما فعله اليهود ولكن تعطل مشروع الادارة الفلسطينية بسبب تدهور الموقف في الاسبوع الذي اعقب استئناف القتال .

والحق أن العرب استطاعوا زحزحة الصهاينة في الأيام الأربعة الاولى من مواقع كانوا استولوا عليها في الشال والوسط والجنوب على السواء ؛ وقد عاود السلاح الجوي المصري غاراته على قل ايبب وغيرها ، واشتد الضغط على يهود القدس فقاوسوا مرارة الحصار مرة أخرى . ولكن الوضع ما لبث ان تبدل حين اشتد النشاط الصهيوني في مختلف الجبهات ، وخاصة في مناطق عمليات الجيش الاردني والجيش العراقي مثل اللد والرملة ورأس العين

1 irk, Survey.. p. 279

(١)

ومرج ابن عامر ؛ ثم كانت المفاجأة في اللد والرملة حيث أوعزت بريطانيا بتسليمها الى الصهاينة كأنما تثار من العرب لعدم موافقتهم على مد الهدنة ، وقد كانت المدينتان تشكلان خطراً كبيراً يهدد تل ابيب إذ لا تبعدان عنها سوى ١٥ كم . وقد تمت مأساة التسليم حين أمر كلوب بنقل القوة الاردنية الوحيدة التي كان يعول عليها العرب في صد أي هجوم يهودي ، الى منطقة طوباس في الغور لتراقب « تجمعات اليهود »^(١) ورأى أهالي المدينتين العزل أنفسهم وجهاً لوجه أمام القوات اليهودية فاضطروا الى التسليم ، وبذلك ارتفع عدد اللاجئين الفلسطينيين الى ٥٠ ألفاً حتى ذلك الحين . وكان من نتائج التسليم أن تيسر للصهاينة الاتصال بالجنوب بعد ان انكشفت ميمنة الجيش المصري ، واصيبت الجيوش العربية بأول نكسة عنيفة ظن العالم انها نتجت عن قوة اليهود وضعف العرب ، واصيب عرب فلسطين بصدمة أورتهم الحقد والياس ، على حين نجح الصهاينة في ايهام الامم المتحدة بقوتهم في الميدان الحربي ونجاحهم في فرض سياسة الأمر الواقع . وكان تسليم اللد والرملة مما جعل المصريين يعتقدون بأنها مؤامرة بريطانية لكسر شوكة الجيش المصري ، وتزايدت شكوك المصريين حين أخلى الجيش الاردني قرية (عرطوف) العربية التي تشكل حصناً منيعاً يتم به تطويق القدس . ولم يكن أمام المفرزة المصرية التي كانت تعاون الاردنيين في احتلالها ، إلا أن تنسحب ، واتخذ الصهاينة عرطوف قاعدة لتسيير قوافلهم الى القدس والى جنوب فلسطين وخاصة في معركة النقب^(٢) . وأدى سقوط اللد والرملة الى انسحاب القوات العراقية من رأس العين وبعض مناطق مرج ابن عامر ، كما انسحب جيش الانقاذ من انحاء الجليل الغربي الشمالية والوسطى ، فهاجم اليهود صفد والناصره وشفاعمرو ، وزاد عدد اللاجئين ، وأغارت الطائرات اليهودية على دمشق والقاهرة وعمان ، وتركزت الحملات

(١) انظر تفاصيل تسليم اللد والرملة في كتاب التل - المصدر السابق ص ٢٤٥ - ٢٦٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٦ - ٢٦٧

الصهيونية على النقب لاجلاء المصريين عنها . وبعد ان طار برنادوت الى ليكسكس ليقدم تقريره شخصياً الى مجلس الامن ، قدّم حسب قراراً في ١٣ تموز يأمر بوقف اطلاق النار خلال ثلاثة ايام تحت طائلة فرض العقوبات المنصوص عنها في الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة . وفي ١٥ تموز حصل القرار على غالبية بعد تعضيد بريطانيا له ، وأبلغ القرار الى الحكومات العربية واليهود .

اغتيال برنادوت وانسطار الجبهة العربية السياسية أثناء الهدنة الثانية :

وفي ١٧ تموز اعلنت اللجنة السياسية المنعقدة في لبنان قبول قرار وقف القتال ، وارفقته بمذكرة تشرح فيها باسباب مخالقات اليهود لشروط الهدنة السابقة ووجوب ضمان عدم تكرارها وخاصة وقف الهجرة ، وقمع فعال العصابات الصهيونية التي نجم عنها تشريد ٣٠٠ ألف عربي ، وتحديد ١٧ تموز موعداً لوقف اطلاق النار في القدس و ١٩ منه في سائر فلسطين . واغتبط الصهاينة بقرار مجلس الامن ، بينما قوبل بالاستنكار والسخط في دمشق وبغداد حيث سارت مظاهرات صاحبة تعلن احتجاجها على قبول الهدنة . وأنهى شرنوك وزير خارجية الصهاينة الى برنادوت استعدادهم للتفاوض مع العرب على عقد الصلح ، وأبرق برنادوت بالموضوع الى امانة الجامعة والى الحكومات العربية ، وكان الجواب هو الرفض البات . وواضح أن العرض الصهيوني نوع من المكر والخداع قصد به ترسيخ الأمر الواقع المعتمد على الارهاب وامتهان الحقوق ، كما قصد به مادة دعائية للصهاينة تصاح كغصن الزيتون في وجوه الدول الكبرى والعالم . وفي ٢٢ آب عمت نفوس العرب موجة من الحماس والفرح حين صدر عن عمان بيان بقرار وضع الجيشين العراقي والاردني تحت قيادة عراقية عامة^(١) . ولكن رفضت مصر توحيد القيادة العامة العربية في ضوء تأثرها بالاحداث العسكرية الاخيرة ، ومضت تلقي تبعة الهزيمة في الجولة الثانية على الاردن ،

ولذا رأت مصر أنها لا تضمن أن يذعن الجيشان الاردني والعراقي لأوامرها .
الأول بسبب ما رأت من موقفه الحربي المريب في الجولة الثانية، والثاني لأن قائده وضابطه
الأميرين كانوا من الانكليز .

وحضر برنادوت الى الاسكندرية حيث اجتمع مع رؤساء الوفود العربية في اللجنة
السياسية ، وعرض عليهم مقترحاته المعدلة ، ثم ادرك عبث محاولة اقناعهم بقبول وجود
دولة يهودية . وقد أعد برنادوت تقريره وضمنه مقترحاته الجديدة وبعث به في ١٧ ايلول
الى الأمم المتحدة التي انعقدت في باريس . وبعد ذلك بست ساعات اغتاله رجال منشقون
عن عصبة ستيرن مع مرافقه الفرنسي الكولونيل سيرو في القسم الذي يحتله الصهاينة من
القدس . واسباب الاغتيال تعود الى أن مقترحات برنادوت كانت تنطوي على ضم النقب
الى العرب ، مع منفذ لهم الى البحر (حيفا) وآخر الى مطار اللد ، كما أنه أوصى بتدويل
القدس وبعودة اللاجئين أو تعويضهم . وجرى الحادث حين اعترض طريق سيارته بعض
المسلحين بألبسة الجيش الاسرائيلي ، ولما وقفت السيارة تقدم إليها اليهود وأطلقوا النار على
برنادوت وسيرو ولم يعتدوا على رئيس المراقبين الامريكى الكولونل (بيجلي) الذي كان
يركب بجانب السائق . ثم ركب الجناة سيارتهم وانصرفوا . وقد مر على الجريمة أكثر من
عشرين ساعة قبل أن يصدر الحاكم العسكري الصهيوني في القدس أمر حظر التجول في
المدينة ، وكان أفراد عصبة ستيرن أثناءها يتجولون بحرية ^(١) . وقد نشر تقرير برنادوت
في باريس يوم ٢٠ ايلول ، وفيه لفت الوسيط الدولي نظر الجمعية العامة الى حقيقة راهنة ،
وهي أنه « ما من تسوية عادلة وكاملة إلا اذا تم الاعتراف بحق اللاجئين العرب في العودة
الى دياره التي أخرج منها بسبب المحاطر واستراتيجية الصراع المسلح بين العرب واليهود في
فلسطين » . وقال الوسيط مخذراً « من الجرم بحق مبدأ العدالة الأساسية الانكار على ضحايا

الصراع الابرياء حق العودة الى ديارهم بينما يتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين . فهذا يمثل على الأقل تهديداً بالحكم على اللاجئين الذين استقروا في البلاد منذ قرون ، بالتشرد الدائم . وقد عرض برنادوت لما وصفه « بالعمليات الصهيونية الواسعة النطاق من النهب والسلب والسرقة وعن حوادث تدمير القرى دون مبرر عسكري واضح » ، وأكد « أن مسؤولية حكومة اسرائيل الموقته في ضرورة اعادة الممتلكات الخاصة الى اصحابها العرب ، وفي التعويض على الملاكين الذين دمرت ممتلكاتهم دون مبرر ، واضحة لا تحتاج الى بيان »^(١) . وقد أوصى برنادوت ان يضم النقب الى الأراضي العربية ، وتخرج اللد والرملة من الدولة اليهودية ، ويضم الجليل بأكمله الى الدولة اليهودية . ونظراً لما بين المنطقة العربية في فلسطين وشرق الاردن من علاقات اقتصادية وتاريخية وجغرافية وسياسية ، فهناك من الاسباب القوية ما يجعل على ضمها الى شرق الاردن ، وتوضع القدس تحت اشراف منظمة الأمم المتحدة ، وبعد ذلك عين رالف بانس وسيطاً بالوكالة . وقد أعلن بيفن وزير الخارجية البريطانية في ٢٥ ايلول أن حكومته تؤيد مقترحات برنادوت . وكأنما لم تكف هذه الانقسامات الناشئة عن الاوضاع العسكرية المتعثرة ، فقد برزت في هذه الآونة الدقيقة قضية تمثيل عرب فلسطين لتزيد الخلافات العربية . فقد عادت اللجنة السياسية في اجتماعات ايلول لبحث موضوع اقامة حكومة فلسطينية ، نظراً لقرب انعقاد الجمعية العامة في باريس ، وضرورة ظهور ممثلين لحكومة فلسطينية عربية أمامها ، كما اعتزم الصهاينة أن يفعلوا ، وتفنيد قول برنادوت في تقريره بأنه لم تظهر بادرة تدل على الرغبة في إنشاء حكومة عربية فلسطينية أسوة باليهود ، وبالتالي اقتراحه دمج المنطقة العربية من فلسطين بشرق الاردن ، ورفض بعض الحكومات العربية للاقتراح مع الهيئة العربية العليا^(٢) . وسادالجامعة

U. N. Document A 618 - Report of U. N. Mediator, p. 14 (١)

(٢) دروزة ، ص ٨٩

العربية جو من التوتر والجفاء ، بعد أن استنكر الملك عبد الله الفكرة . وحرصاً على رأب الصدع وتوحيد الكلمة والاستعداد لاستئناف القتال وغسل العار ، رأت اللجنة السياسية أن تكتفي بإقرار وجهة الفكرة ومشروعيتها وضرورتها ، وأنها حق طبيعي لأهل فلسطين الذين يناط بإرادتهم تنفيذها . ولكن الأزمة احتدمت حين لقيت الهيئة العربية العليا تأييد مصر وسورية والسعودية فأعلنت في غزة قيام حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي باشا عبد الباقي في ٢٣ ايلول ١٩٤٨ . واعترفت بها جميع الحكومات العربية عدا الاردن ، وردّ الملك عبد الله بعقد مؤتمر اربحا في مطلع كانون الاول ، وأعلن المؤتمر وحدة الأراضي الفلسطينية والاردنية ومبايعة الملك عبد الله على فلسطين كلها . ومهد بذلك لضم الضفة الغربية الى الاردن . وقد انعكس هذا الانشطار المحزن على الظروف القاسية التي جرت خلالها معركة النقب بين مصر والصهاينة ؛ والتي لقي فيها الأخيرون النجاح في هجومهم ، بينما كان الجيشان العراقي والاردني جامدين برغم مقدرتها على مساعده المصريين والتخفيف عنهم ^(١) .

وكانت القيادة الصهيونية منذ أوائل تشرين الأول راغبة في استصفاء النقب فزعمت بأن المصريين هاجموا قافلة تموين اسرائيلية متجهة الى المستعمرات ، ولكن القائد المصري ردّ التهمة بقوله أن سيارة مدرعة اسرائيلية قد تمركزت في المنطقة وأن هجوماً عاماً قد شنّه الاسرائيليون صباح يوم ١٥ تشرين الأول ^(٢) . واستطاع الصهاينة أن يحققوا مكاسب جوهرية برغم الهدنة والمقاومة المصرية الضاربة ، نظراً لتفوقهم في سلاح الطيران لاول مرة ^(٣) ، فاستولوا على بئر السبع في ٢١ تشرين الأول ، وبيت حانون شمال شرق غزة بخمسة أميال ،

(١) المصدر نفسه ص ٩٣

(٢) U. N. Security Council, 3rd year, Suppl. for Oct. 1948 pp 55-6

(٣) قدرت الخارجية البريطانية أن الطيران الاسرائيلي بعد أن كان عدد طائراته ٤٠ زاد فأصبح ١١٤ في نهاية عام ١٩٤٨ The Times , 6 Jan. 1948

في ٢٢ ، وبيت جبرين بعد ذلك ، وعزلوا قوة اللواء المصري في منطقة الفالوجا لثلاثة شهور أخرى .

الصهاينة يستغلون اختلاف الدول العربية ويمحقون المكاسب برغم الهدنة :

لقد تمكنت اسرائيل من ربط العمل العسكري بالعمل غير العسكري ، وفي الوقت نفسه أحكمت العمل العسكري ذاته لتأمين عناصر النجاح المادية في ميدان المعركة . ومعلوم أن أهم العمليات الحربية الاسرائيلية جرت منذ منتصف تشرين الأول ، وانتهت بتوقيع الدول العربية اتفاقيات الهدنة مع اسرائيل وان من يعن النظر في حرب ١٩٤٨ يكاد يدهش من براعة الاستراتيجية الصهيونية في استغلال العامل غير العسكري واختيار الوسيلة السياسية لتحقيق ظروف تساعد تماماً في احراز النصر بدون كلفة باهظة . وأهم العمليات الحربية التي كسبتها الصهيونية برغم سريان الهدنة الثانية هي العمليات التي افضت الى احتلال النقب والجليل والعقبة والمثلث الصغير . ومن نافلة القول ان أساس ما اعتمدت عليه الاستراتيجية الصهيونية هو هذا الداء المستحکم بين حكام الدول العربية آنذاك ، واستغلال الصهيونية لهذا الداء كما تحقق النصر . كانت الجفوة قائمة بين مصر وبين كل من الاردن والعراق ، ولا بدّ من تحقيق مرحلة من الهدف الصهيوني أثناءها قبل أن تحدث (المعجزة) ويصلح الحكام ذات بينهم ، ويصبح حلم الجماهير العربية حقيقة . واسرعت القيادة العسكرية الصهيونية فأمرت بهجوم شامل على الجبهة المصرية في ١٥ تشرين الاول بموجب خطة (يواف) واستخدمت فيه معظم قوتها الضاربة التي حشدتها على الجبهات الأخرى . واستمر الهجوم ثمانية أيام وانتهى باختراق الجبهة المصرية في ٢٢ تشرين الاول دون ان يتحرك الجيشان الاردني والعراقي للنجدة ، أو الإشغال والهجوم . وربما هدفت الصهيونية من هذا إلى إخراج مصر من الحرب وارغامها على طلب الصلح وهي كبرى الدول العربية ، كما تتبعها الدول الأخرى ، ولكن ذلك لم يتحقق أبداً . وفي

فلسطين م ٦١ (١٩٦٨)

١٦٦ تشرين الثاني قرر مجلس الأمن دعوة المتحاربين الى التفاوض من أجل هدنة دائمة بواسطة رالف بانث القائم بأعمال الوسيط الدولي ، وتعيين الحدود الدائمة والتمهيد لسحب القوات المسلحة او انقاصها^(١) . ولكن القيادة العسكرية الصهيونية بعد أن وجهت ضربتها الى مصر في الجنوب ، سارعت لتوجيه ضربة الى الشمال حيث هدفت الى طرد كتاب جيش الانقاذ من الجليل الشمالي بموجب خطة (حيرام) . وتذرت القيادة للهجوم بأن القاونجي رفض الانسحاب من مراكزها الجبلية ، تحدى القيادة الصهيونية تحذير مراقبي الأمم المتحدة، وقامت بهجوم واسع يوم ٢٨ تشرين الأول انتهى يوم ٣١ منه بمخروج قوات الانقاذ نهائياً ومطاردتها داخل الحدود اللبنانية، واحتلال حوالي ١٥ قرية لبنانية . وهنا أيضاً لم تتحرك الجهات العربية الأخرى أثناء الهجوم على جيش الانقاذ ، وصدق توقع الاستراتيجية الصهيونية مرة أخرى فاستفردت القاونجي واستصفت الجليل بأكمله بعد أن أبطلت مفعول الجهة المصرية مؤقتاً . ويبدو أن مصر بدأت تستعد لهجوم مضاد ، برغم عزل ما يقرب من نصف قواتها في الفالوجا ، وكان لا بد للصهيانية من ذريعة لاستفراء مصر كرة أخرى . قالوا أن مصر تعزز حامية الفالوجا لتخليصها من الحصار ، وبذلك تحرق وقف اطلاق النار^(٢) ؛ وادعوا حربة العمل للدفاع عن حوزتهم . نقلوا قواتهم الضاربة جنوباً بعد تعبئة الجهات العربية الأخرى منها، ثم ركزوها في ٢٣ كانون الاول بهجوم شامل بموجب خطة (ايين) ، ومرة ثالثة صح ما توقعته الاستراتيجية الصهيونية إذ لم تتحرك جبهة عربية واحدة ، في حين كانت حامية الفالوجا تقاوم ببسالة مشهودة . وقد اختار الصهيانية توقيت الهجوم في فترة تأزم الوضع الداخلي في مصر نتيجة تردي الوضع العسكري وثورة النفوس

Kirk, Survey.. p. 288 (١)

U. N. Security Council, Official Records, 3 rd Year. (٢)

pp. 11-22

في القاهرة التي بلغت أوجها باغتبال النقراشي في ٢٨ كانون الاول . ولما شعرت الحكومة المصرية برئاسة ابراهيم عبد الهادي أن حلفاء مصر تركوها وحيدة أمام العدو ولم يبادروا لمعاونتها . أبلغت الوسيط بالوكالة بأنها راغبة في المفاوضة على توقيع هدنة مع اسرائيل ، اذا قبلت هذه بوقف اطلاق النار . وتم ذلك في ٧ كانون الثاني بعد (توسط) أمريكي وضغط بريطاني ، وانسحبت القوات الاسرائيلية الى الحدود المصرية الفلسطينية تقريباً باستثناء قطاع غزة . وحينما دخلت القوات الاردنية الى جنوب النقب واحتلت معابر العقبة من ناحية فلسطين ، كان الصهاينة قد قرروا الاستيلاء على منفذ مجري على خليج العقبة ليكون مركز انطلاقهم الحيوي الى افريقيا وآسيا . وكان تراجع المصريين في كانون الاول إيداناً بنهاية الحرب إذ أتاح للصهاينة ان ينساحوا جنوب النقب ، ويقال ان الملك عبدالله طلب المعونة من بريطانيا وفق معاهدة ٢ كانون الثاني ١٩٤٩ بينه وبينها ، فتمركزت قوة بريطانية صغيرة في العقبة ، وظلت الحال كذلك حتى أواخر شباط . وبينما كانت مفاوضات توقيع الهدنة بين الاردن والصهاينة جارية في رودس ، اندفع طابوران صهيونيان الى الجنوب من وادي العربية نحو خليج العقبة^(١) . وفي غضون ذلك كانت الحكومة العراقية قد قررت الانسحاب من المنطقة التي كان يربط فيها الجيش العراقي شمال نابلس وغربها بدون التفاوض مع الصهاينة على هدنة ، واتفقت مع الاردن في ٣ شباط على انسحاب الجيش العراقي من فلسطين ليحل محله الجيش الاردني ، وعلى ان تتعقد الهدنة وتحدد الحدود بين الاردن والصهاينة فقط . ووقعت الهدنة في ٣ نيسان . وكان على العراق أن ينسحب ، وكان على اسرائيل أن (تقبل) بدخول الاردن المنطقة العراقية مقابل تخلي الاردن لاسرائيل عن المثلث الصغير ، ومساحتها نصف مليون دونم من أجود أراضي فلسطين ، ويضم نحو ٢٤ قرية عربية

يقطنها ستون ألفاً من أبسل العرب ، كان ذنبه أنهم رابطوا حتى النهاية ، وكان جزاؤهم أن أصبحوا رعايا لاسرائيل .

اتفاقيات الهدنة :

وهكذا وقعت (اسرائيل) اتفاقيات هدنة مع مصر (٢٤ شباط) ومع لبنان (٢٣ آذار) ومع الاردن (٣ نيسان) ومع سورية (٢٠ تموز) ١٩٤٩ .

وبذلك أصبحت الدولة اليهودية تسيطر على ٧٧,٤٠٪ من البلاد ، عوضاً عن ٥٦,٤٧٪ خصصت لها بموجب مشروع التقسيم ، وكانت الملكيات اليهودية في المنطقة التي استولى عليها الصهاينة لا تزيد على ٣٦٠,٦٤١ فداناً (أي حوالي ٧,٢٣٪) من أصل ما مجموعه ٥,١٠٤,٥٥٥ فدان .

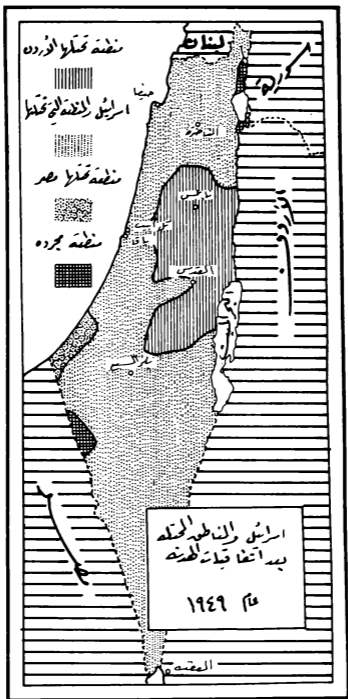
وقد زعم الصهاينة أن اتفاقيات الهدنة أفقدت الدول العربية الادعاء بوجود حالة حرب ، والقصد هو ارغامها على سلام دائم يقوم على الأمر الواقع ، ولكن الدول العربية أصرت على أن حالة الحرب ما زالت قائمة ، لأن اتفاقيات الهدنة بأوسع معانيها هي اتفاقيات بين القوى المتحاربة لوقف الاعمال الحربية مؤقتاً . ولا يمكن أن تقارن بالصلح ، ولا أن تسمى بالصلح الموقت ، ذلك لأن ظروف الحرب تبقى قائمة بين المتحاررين والمحايدين بالنسبة الى جميع النقاط عدا مجرد وقف الاعمال الحربية (١) .

وبعد ، فإن (اسرائيل) تزعم أن حقها في ما احتلته من فلسطين يستند الى حق الفتح . والباحث يؤكد ، في ضوء ما سبق بيانه إيجازاً ، أن العرب لم يخوضوا حرباً جديرة بالاسم (٢) ، ويستشهد بوثائق الامم المتحدة ليبرهن أن أهم ما احتلته اسرائيل تم أثناء

Quoted by Hadawi , p. 117

(١)

(٢) يرى الفريق طسه الهاتمي أحد القادة العسكريين البارزين في العراق ، في مقال نشرته جريدة الزمان العراقية (١٥ مائس - أيار ١٩٥١) ان القوات العربية لم تحارب بالمعنى الصحيح حتى يقال انها خسرت المعركة ، واذا كانت النتيجة بعد القتال الذي جرى بين العرب واليهود أن =



الهدنة . وقد ظن العرب أن الأمم المتحدة سوف تعيد لهم ما اغتصب منهم ، وأنها سوف تعاقب الجانب الصهيوني ، ومرة أخرى خاب ظنهم ، وعوقبوا على ثقتهم بغير حقهم المستند الى قوتهم ووحدتهم .



= هؤلاء نجحوا في تأسيس دولتهم فإن مرد ذلك الى أسباب سياسية لا لأسباب عسكرية . وعلى الرغم من ان الجيوش العربية لم تشترك في قتال فلسطين بقوات كافية، فإنها لو استخدمت في الأغراض العسكرية البحتة من دون ان تصبح الأغراض السياسية هي المسيطرة لكانت تلك القوات على قلتها حالت دون تأسيس تلك الدولة . ولم يحدث في الحروب .. ان الجيوش تخارب منفردة من دون ان تخضع لقيادة عامة تديرها حسب الخطة الحربية ، بينما كانت حركات القوات العربية في حرب فلسطين تجري من دون قيادة موحدة ، وتتحرك من دون الاستناد الى خطة حربية ..

فهرس المواد

الصفحة

	الفصل الثاني عشر	
٤٠٣	الصهيونية والكتاب الابيض	
	الفصل الثالث عشر	
	فلسطين والحرب العالمية الثانية (١)	
٤٣٨	المخطط الصهيونية لقرض الدولة اليهودية (١٩٣٩ - ١٩٤٢)	X
٤٥٥ ✓	الفصل الرابع عشر	
	فلسطين والحرب العالمية الثانية (٢)	
٤٨٠	المساعي الصهيونية الهادفة في امريكا	
	الفصل الخامس عشر	
٥١٤	الصهيونية وحكومة روزفلت	
	الفصل السادس عشر	
٥٤١	الضغوط والمساعي الصهيونية في فلسطين وبريطانيا وقت الحرب	
	الفصل السابع عشر	
٥٧٧	خطط ما بعد الحرب لحل مشكلة فلسطين	
	الفصل الثامن عشر	
٦٢٥	بداية التدخل الامريكى لمصلحة الصهيونية	X
	الفصل التاسع عشر	
٦٥٣	حكومة العمال تواجه الضغط الصهيوني	X

	الفصل العشرون
٦٨٦	لجنة التحقيق الانكلو امريكية وتوصياتها
	الفصل الحادي والعشرون
٧٣٤	محاولة أخيرة غير مجدبة لحل المشكلة
	الفصل الثاني والعشرون
٨٠٤	قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة
	الفصل الثالث والعشرون
٨٥٥	الأمم المتحدة تحرق ميثاقها بقرار التقسيم
	الفصل الرابع والعشرون
٨٩٦	من التقسيم الى النكبة
	ذيل
٩٤٢	في الحرب العربية الاسرائيلية